ملحق

عظمة بابل

موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة

تأليف

الاستاذ الدكتور ـ هاري ساكز

ترجمة دكتور عامر سليمان ابراهيم

عَظَمَةُ بَابِل

The Greatnes that was Babylon

R&S
RADWAN WALEED

الجمعة 2019/11/1

عَظَمَةُ بَابِل
«موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة»

تأليف
الاستاذ الدكتور هاري ساكز
رئيس قسم اللغات السامية ــ الكلية الجامعة
كارديف

ترجمة وتعليق
الاستاذ الدكتور عامر سليمان
مدير مركز البحوث الاثارية والحضارية
كلية الآداب ــ جامعة الموصل

الطبعة الأولى ــ لندن ١٩٦٢
الطبعة الثانية ــ لندن ١٩٦٦
الترجمة العربية : ١٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

يعد كتاب «عظمة بابل» الذي نقدمه لقراء العربية من بين اهم الكتب الاجنبية التي صدرت حتى الان عن تاريخ العراق القديم وحضارته العريقة . ولعل في عنوان الكتاب اشارة ودلالة واضحة على عظمة واصالة الحضارة التي نشأت ونمت وازدهرت في هذا الجزء المهم من العالم وقدمت للانسانية تراثا زاخرا على مر العصور . ويشير العنوان ايضا الى النظرة المنصفة التي ينظر من خلالها المؤلف الى تلك الحضارة العريقة . ولا تظهر هذه النظرة في عنوان الكتاب فحسب بل يمكن تلمسها في معظم صفحاته ولا سيما تلك التي تتحدث عن تراثنا العلمي والادبي واثاره الواضحة في مختلف الحضارات الانسانية المتعاقبة حتى عصورنا الحديثة . وقد لا تبدو هذه النظرة غريبة على باحث اجنبي زار العراق عشرات المرات ومكث فيه كل مرة فترة ليست بالقصيرة وتعرف على آثاره ومعالمه التاريخية كما تعرف على حضارته المعاصرة والتطور والتقدم السريع الذي يشهده وعلى طبيعة شعبه وخصائصه فزاده ذلك ايمانا باصالة هذا الشعب ، وكانت كل زيارة من زياراته للعراق تشده اكثر واكثر الى هذا البلد العريق . وقلّما اتيحت الفرصة لاي باحث اجنبي ما اتيح للاستاذ هاري ساكز ، رئيس قسم اللغات السامية في الكلية الجامعة في كارديف ، في التعرف على العراق في ماضيه وحاضره . فاضافة الى زياراته المتكررة للعراق عندما كان عضوا في البعثة التنقيبية البريطانية التي عملت في مدينة النمرود وتل الرماح وعند زيارته للمتحف العراقي في بغداد ، عمل استاذا في قسم الاثار بكلية الاداب في جامعة بغداد لمدة سنتين تقريبا : كما اشرف على دراسة العديد من الطلبة العراقيين ، كان المترجم احدهم ، في دراساتهم العليا في جامعة لندن والكلية الجامعة وتعرف من خلالهم على الكثير من احوال العراق الحاضرة فكان دائما يربط بين الماضي والحاضر مشيرا بذلك الى استمرار العطاء الحضاري منذ اقدم العصور التاريخية المعروفة لدينا وحتى الان .

وعلى الرغم من نظرة المؤلف الموضوعية والمنصفة لتاريخ العراق القديم وحضارته الا ان ذلك لا يعني اننا نتفق معه كليا في جميع ما ذهب اليه من اراء ونظريات في هذا الكتاب وفي غيره من كتب وبحوث اصدرها عن تاريخ العراق القديم ، ولولا ضيق المجال وعزوف المؤلف نفسه عن تذييل الكتاب بالملاحظات الكثيرة رغبة في عدم ارباك القارىء بتلك الملاحظات والهوامش

سيما وان الكتاب اعد اصلا لطلبة السنة الاولى في الجامعة ٢ لادرجنا الكثير من ملاحظاتنا حول ما ورد في الكتاب . ومع ذلك ، وعندما وجدنا من الضروري جدا ايراد بعض الملاحظات ، اشرنا الى ذلك في المكان المناسب . ولعل من بين الملاحظات التي يجدر التنويه عنها هي تلك الخاصة ببعض التسميات التي استخدمها المؤلف ، كغيره من الكتاب العرب والاجانب على حد سواء ، ومن هذه التسميات مصطلح «ميزوبوتاميا» الذي ترجمناه على هيئة (بلاد مابين النهرين) توخيا للدقة على الرغم من اننا نفضل استخدام مصطلح «العراق القديم» عند الحديث عن تاريخنا القديم لنؤكد على ارتباط الماضي بالحاضر وعلى استمرار العطاء الحضاري في العراق على مر العصور . كذلك فان تسمية «الاقوام العربية القديمة» التي خرجت اصلا من شبه الجزيرة العربية في موجات متعاقبة وانتشرت في انحاء بلاد الشام والعراق ، وكان منها الاقوام الاكدية والبابلية والاشورية والكلدانية والارامية (في العراق) ، بالاقوام السامية وتسمية مجموعة لغاتهم بـ « اللغات السامية» هي تسمية غير دقيقة ولا تتفق وما لدينا من معلومات تاريخية ولغوية ، ومع ذلك ، ورغبة في المحافظة على ما جاء في النص الانكليزي من تسميات فقد ابقينا على هذه المصطلحات كما وردت مع الاشارة الى رأينا فيها عند اول ورودها .

ولقد حاولت قصارى جهدي ان اقدم للقارىء العربي ترجمة دقيقة للكتاب واحافظ على المعنى المطلوب مع الالتزام بالاسلوب العربي المستساغ وتجنب الحرفية في النقل . وعلى الرغم من ان الكتاب هو ليس من الكتب ذات الاختصاص الدقيق الا انه احتوى على الكثير من المصطلحات الفنية التي تصعب ترجمتها الى العربية . وتجدر الاشارة هنا الى الدقة المتناهية التي اتبعها المؤلف في أسلوبه الادبي بنوع من التعقيد والدقة في استخدام المصطلحات والمفردات اللغوية . وكان لمعرفتي الشخصية بالاستاذ ساكز لفترة جاوزت العشرين عاما واطلاعي على ارائه ونظرته الى تاريخ العراق القديم اكبر الاثر في فهم ما كان غامضا من فقرات الكتاب . وعندما علم الاستاذ ساكز بعزمي على ترجمة الكتاب الى العربية زودني مشكورا بجملة ملاحظات وتنقيحات اراد ادخالها على النص الانكليزي في الطبعة التي ستظهر قريبا وطلب مني ادخالها في النص العربي ومعظم تلك الملاحظات تخص القسم الاول الخاص بتاريخ عصور ما قبل التاريخ .

ونظرا للاهمية التي يحتلها الكتاب بين الكتب التي الفت حول الموضوع ، ونظرته الموضوعية ، واحتوائه على موجز كامل لتاريخ العراق القديم منذ اقدم

العهود وحتى نهاية الحكم الوطني في العراق عند سقوط بابل عام ٥٣٩ ق.م وشموله على تفصيل لاهم المظاهر الحضارية التي ازدهرت في العراق القديم خلال الالاف الثلاثة من السنين التي سبقت الميلاد ولمطابقة ذلك مع ماجاء في مفردات المناهج المقررة لطلبة قسم الاثار في كلية الاداب ، فقد قررت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بناء على توصية اللجان العلمية المختصة ، اعتماد الكتاب كتاباً منهجيا لطلبة قسم الآثار وتولت مشكورة امر طبعه تنفيذا لسياستها العامة في توفير الكتب المنهجية والمساعدة للطلبة في جميع مراحلهم الدراسية .

ان الفصول التي تحدثت عن المنجزات الحضارية الرائعة والرائدة التي حققها العراقيون القدماء على مر العصور لدليل قاطع على حيوية هذه الامة وعلى قدراتها وطاقاتها الكامنة وحافز قوي يدفعنا للسير في خطى اجدادنا العرب القدماء الذين شادوا اعظم واعرق الحضارات الانسانية .

وكلنا امل ان يفيد طلبتنا الاعزاء من هذا الكتاب .

ومن الله التوفيق .

المترجم
الدكتور عامر سليمان

المحتويات

اشبي ــ ارّا ومملكة ايسن ، مملكة لارسا ، سلالة بابل الاولى ، ماري وسجلاتها ، بلاد آشور ، التجارة بين آشور ، وآسيا الصغرى ، يسمخ ــ آدد ، توحيد بلاد بابل ، منجزات حمورابي ، الكاشيون ، نهب بابل ، المملكة الحثية ، تأثيرات الحوريين على بلاد ما بين النهرين ، مملكة الميتانيين ، السلالة الكاشية ، استقلال آشور ، نهاية مملكة الميتانيين .

اللباس ، حلاقة الشعر ، الزواج والعلاقة الجنسية ، التعليم ، الرياضة والالعاب ، الموسيقى ، الصحة وعلم النفس ، الأحلام ، عدم الانسجام الاجتماعي ، معالجة الحيوانات .

احترام تطبيق القانون في بلاد ما بين النهرين ، العدالة الاقتصادية من اهتمامات الملك ، قوانين اور ــ نمّو ، قوانين لبّت ــ عشتار ، اناايتشوّ ، قوانين اشنونا ، قوانين حمورابي ، القوانين الآشورية ، تطبيق العدالة ، الامتحان ، القانون الدولي ، المعاهدات والدبلوماسية .

الالف الثالث والثاني قبل الميلاد : نهاية عصر فجر السلالات ، فترة سلالة اور الثالثة ، العهد البابلي القديم .

العهد الاشوري الحديث : نظام اداري كفوء ، اشور لا تعتبر بربرية بالنسبة لمعاصريها ، علاقات الدويلات الصغيرة بآشور ، التعذيب ، المراسلات الادارية الامبراطورية ، الحكام وتابعيهم ، نظام المواصلات ، ادارة المدن المحلية ، الضرائب والجزية ، نظام الامن ، الجيش الآشوري .

العهد البابلي الحديث : لامركزية القوة ، ادارة المعبد في الوركاء ، مقاطعات المعبد ، شيركي **Shirke** ، الحصة الملكية في واردات المعبد ، السياسة البابلية الحديثة في ادارة المقاطعات .

التجارة الخارجية : فترة ما قبل التاريخ ، العهد الشبيه بالكتابي وعصور فجر السلالات ، العلاقات مع مصر والهند ، التجارة البحرية حوالي ١٩٠٠ ق.م ، التجارة مع الاقاليم البعيدة في عهد السلالة الاكدية ، التجارة مع اسيا الصغرى حوالي ١٩٠٠ ق.م ، النظرية القائلة بان بلاد ما بين النهرين كانت تفتقد اقتصاد السوق ، سوريا في التجارة الدولية ، مستعمرات التجار ، الطرق التجارية عبر اورارتو وسوريا

وايران ، محاولات ملوك الدولة البابلية الحديثة للحصول على طرق تجارية جديدة . الـ «تمكارم» **Tamkarum** .
التجارة الداخلية : الـ «تمكارم» Tamkarum او التاجر الصرّاف ، القروض ، العقود التجارية ، الغش ، نقل البضائع ، عقود العقارات ، النكول ، اهتمام الملوك الاشوريين بالرفاهية الداخلية ، تجارة المعبد والتجارة الخاصة في العهد البابلي الحديث .

الفصل العاشر

الدين ٣٣٦

مصادر معلوماتنا ، هل كان الدين البابلي ساميا ، مذهب الحيوية ، العفاريت ، طرد الارواح ، السحر العاطفي ، **شُرْبُ Shurpu** ، **مقلُ moqlu** **وأتكُ لِمُنتِ Utukki Limnuti** ونصوص اخرى تتعلق بالعفاريت والطقوس السحرية ، العفاريت في العهد الجديد ، العفاريت الخيرة ، السحر ، المحرمات ، التنبوآت ، منع نتائج التنبوآت السيئة ، الصلاة ، التفريد ، مجمع الآلهة ، آنو ، انليل ، ايا ، سن ، شمش ، عشتار ، آدد ، ننورتا ، نركال ، آلهة النار ، مردوخ ، نابو ، آشور ، داكان ، خدمة الالهة .
انواع القائمين بالطقوس الـ«**إن**» **En** ، **اريب بيت Erib-biti** ، **مَشمشُ Mashmashu** ، **اشيبُ Ashipu** ، **شيشكلُ Sheshgallu** ، **شنكُ Shangu** **بارُ Baru** ، **شألُ Sha'ilu** ، الخصيان ، **إنتُ Entu** ، **قادشتُ Qadishtu** ، بناء المعبد كما وصفه هيرودتس ، قرابين الالهة ، الاضحيات .
مجمع المعبد : الزقورة : صرح بابل ، هيكل الاله ، صنع تمثال مقدس ، المواكب المقدسة .

الفصل الحادي عشر

الملك ٤١٣

الملكية في فكر بلاد ما بين النهرين ، اصل الملكية ، الملكية المقدسة ، البديل الملكي ، الملك مسؤول عن تشييد وتعمير المعابد ، تعمير المعابد ، تقرير الى الآلهة ، فتح القنوات من الواجبات الملكية ، الملك حامي الضعيف ، المقابر الملكية في اور والنظريات الخاصة

بها ، الزواج المقدس ، عيد اكيتُ **Akitu** ، عيد رأس السنة الجديدة في بابل ، مسح المخاريط .

الفصل الثاني عشر

الآداب ٤٤٥

ملحمة جلجامش ، اتراحاسس ، ملحمة آدابا ، ملحمة الخليقة ، اساطير الخليقة الاخرى ، نركال ، ايريشكيكال ، نزول عشتار ، اسطورة زو ، اتانا ، اسطورة سرجون الاكدي ونرام سن ، ملحمة توكلني ـــ ننورتا ، ادب الحكمة ، الامثال السومرية ، الوصايا ، الاقوال المأثورة والنوادر ، تآليف إدبّا **Edubba** ، المدارس ، قصيدة التقي المعذب ، العدل الالهي البابلي ، محاورة التشاؤم ، استشارة الحكمة ، الامثال الاكدية ، الوصايا ، الاقوال المأثورة والحكايات النادرة .

الفصل الثالث عشر

الرياضيات ، الفلك ، الطب والكيمياء التقنية والفن . ٥١٥

الرياضيات : العد ورموز الاعداد ، المرتبة العددية ، النصوص الرياضية ، معادلات الدرجة الثانية البابلية ، النصوص الهندسية .
الفلك : العلاقة بالتنجيم ، الارصادات الفلكية ، جبر الايام ، التقاويم .
الطب : ممارسي الطب ، نصوص التشخيص والوصف ، الوصفات ، الجراحة ، الكيمياء التقنية .
الفن : الفخار المزخرف ، النحت ، التطعيم ، النحت الاشوري البارز ، الحفر على العاج ، التصوير ، صناعة المعادن .

الفصل الرابع عشر

التراث والآثار ٥٥٤

قنوات انتقال عناصر حضارة بلاد ما بين النهرين ، عناصر بلاد ما بين النهرين في الكتاب المقدس ، التنجيم ، منطقة البروج ، كشف الطوالع ، الفلك ، العد ، تقسيم الوقت ، المفردات ، العمارة ، رموز الفن الديني ، الآداب ، الصيغ الادبية ، التراث الشعبي ، احادية الزواج الرسمية .

الصور التوضيحية :

١٥ب مقلاة من البرونز
١٦أ منحوتة نرام ــ سن الحجرية في سلسلة قرة داغ العراق (حوالي ٢٢٨٠ ق.م)
١٦ب مسلة نرام ــ سن (حوالي ٢٢٨٠ ق.م)
١٧ رأس من الروكاء (الألف الثالث)
١٨أ تمثال اسس برونزي يمثل حاكما سومريا يحمل اناء على رأسه عند بناء معبد .
١٨ب رأس سومري من الديوريت (اواخر الالف الثالث)
١٩ آلهة تحمل اناء كنافورة (من مدينة ماري)
٢٠ موظف سومري
٢١أ حجر حدود بابلية (اواخر الالف الثاني ق م)
٢١ب نموذج لمسلة حمورابي (بداية الالف الثاني ق م)
٢٢ جزء من رقيم مسماري (من نينوى من الالف الاول قبل الميلاد) يحمل نهاية قصة الطوفان من ملحمة كلكامش .
٢٣ وجه رقيم طيني دوّن عليه تمارين هندسية (اوائل الالف الثاني قبل الميلاد)
٢٤ قفا رقيم مسماري دون عليه تمارين هندسية (اوائل الالف الثاني قبل الميلاد)
٢٥ مسمار اور ــ باوا الفخاري المكتوب (حوالي ٢٢٠٠ ق م)
٢٦أ رقيم طيني من العهد البابلي القديم مع الغلاف وهو عقد بيع ارض .
٢٦ب رقيم مسماري (حوالي ٦٠٠ ق م) يحمل خارطة العالم (تمثل الحلقة البحر الذي يفترض انه كان يحيط الارض .
٢٦جـ رقيم مسماري مع ختم مصري
٢٧أ طبعة ختم اسطواني تبين الصلبان المالطية
٢٧ب نموذج من الطين مكتوب يمثل عضو داخلي يستعمل للعرافة
٢٨ الملك آشور ناصربال الثاني
٢٩ الملك آشور ناصربال الثاني
٣٠ اله اشوري
٣١ مراسيم دينية آشورية من الالف الاول قبل الميلاد يشترك فيها الملك (الشكل الايسر)

اللوحاتّ

صفحة ٤٣٣ ايل من اور (النصف الاول من الالف الثالث) بمبقبض من الذهب والصدف واللازورد .
صفحة ٥٤٩ قطعة عاجية منحوتة ومزينة بالذهب والاحجار الكريمة من مدينة النمرود (القرن الثامن ق م)

شكر

يشكر المؤلف التالية اسماؤهم على تفضلهم بتزويده بالصور المثبتة ارقامها تجاه اسم كل منهم :

ادارة المتحف البريطاني : اللوحات على الصفحة ٤٣٢ والصفحة ٥٤٩ ، واللوحات ٢ب ، ٥ ، ٨ ، ٧ ، ١٩ ، ٩ب ، ١٠ ، ١١ب ، ١٢ ، ١٨ب ، ٢٠ ، ٢١أ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦أ ، ٢٦ب ، ٢٦جـ ، ٢٧أ ، ٢٧ب ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣أ ، ٣٣ب ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣أ ، ٤٣ب ، ٤٤أ ، ٤٤ب ، ٤٥ ، ٤٦أ ، ٤٦ب ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠أ ، ٥٠ب ، ٥١أ ، ٥١جـ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤أ ، ٥٤ب ، ٥٥ ، ٥٦أ ، ٥٦ب ، ٥٨أ ، ٦٠أ ، ٦٠ب ، ٦٢ ، ٦٣ .

مؤسسة كتاب بنكوين ، اللوحات ١ ، ٢أ ، ٦ ، ٨أ ، ١٦ب ، ١٧ ، ١٩ ، ٥١ب .

السيدة جين ساكز : اللوحة ٤ب .

امين متحف اللوفر : اللوحات ١١أ ، ١٨ب ، ٥٨ب ، ٦١أ ، ٦١ب

المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ، اللوحات ١٣أ ، ١٣ب ، ١٥أ .

مديرية الاثار العراقية العامة والبرفسور د . ج . وايزمان : اللوحة ١٤

متحف الجامعة في جامعة بنسلفانيا ، اللوحة ١٥ ب

مجموعة مانسل ، اللوحات ١٦ب ، ٢١ب ، ٦٤

متحف برلين والبروفسور د . ج . وايزمان ، اللوحة ٣٧

الدكتور و.ر. كورني والبروفسور د. س. رايس : اللوحة ٥٧أ

امين متحف باكس الفني في ديون ، اللوحة ٥٧ ب .

مطبعة جامعة هارفرد ، اللوحة ٥٩

صور فوتوغرافية من المؤلف : ٣أ ، ٣ب ، ٤أ ، ١٦أ .

قائمة بالمخططات التوضيحية

المقدمة

ليس هناك ثمة كتاب في اللغة الانكليزية ، حسب علمي ، يتناول تاريخ حضارة بلاد بابل واشور برمته . وقد حاولت في هذا الكتاب ان اسد النقص موجها حديثي الى القارىء الاعتيادي وطلبة السنة النهائية في المدارس الثانوية وطلبة السنة الاولى في الجامعة بالدرجة الاولى . ولم افترض ان للقارىء معرفة مسبقة بالموضوع اكثر من معرفته بما ورد في الكتاب المقدس[*] وما لديه من معلومات عامة كقارىء مهتم بالخطوط العامة لتاريخ الانسان .

واجد من غير الضروري في مقدمة لمثل هذا البحث ، الذي تناول الكثير من نشاطات الانسان ، الاشارة الى ان هناك العديد من الامور المهمة وذات الفائدة قد حذفت او نوقشت بشكل سطحي . لقد حاولت في انتخاب المواضيع ان اؤكد على الجوانب التي لم تعالج الا عرضا او باختصار في الابحاث السابقة ، كالحياة الاقتصادية ونظام الادارة ، في حين حذفت ، او اوجزت فقط ، الجوانب التي سبق وان نوقشت بشيء من التفصيل . لذا ، اقتصر البحث في فن بلاد ما بين النهرين على بضع صفحات طالما هناك وصف كامل له في كتاب فرانكفورت عن الفن والعمارة في الشرق القديم (Frankfort, The Art and Architecture of the Ancient Orient, 1954) الذي كان الاساس في العديد من الابحاث التالية ، وحذفت تماما تاريخ التنقيبات الشيق في بلاد ما بين النهرين نظرا لوجود العديد من الابحاث الممتازة والمشهورة عن الموضوع ابتداء من كتاب ليرد (A. Layard, Nineveh and its Remains 1849) وحتى كتاب ملوان (A.H. Mallawan, Twenty Five Years of Mesopotamian Discovery 1956) .

ولست معتذرا لحقيقة ان فصلين طويلين من مجموع اربعة عشر فصلا قد خصصا للحياة الدينية ، وان كان ذلك يبدو غريبا للقارىء المعاصر ، الا انه لا يمثل الا جزءا صغيرا جدا من حياة العالم القديم .

(*) يضم الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) الذي يقرأه اليهود والمسيحيون بصورة عامة ، لمحات من تاريخ بلاد بابل واشور لاسيما في الالف الاول قبل الميلاد . ومن المعروف ان كتّاب العهد القديم (التوراة) كتبوا عن تاريخ بلاد بابل واشور من وجهة نظرهم فكانت كتاباتهم مجانبة للحقيقة ومتحيزة ضد البابليين والاشوريين وقد اشار المؤلف في اكثر من مكان الى هذه الحقيقة (المترجم) .

ولضيق المجال كان لابد من حذف بعض المواضيع التي كان بودي ان اضمنها البحث منها بعض المعتقدات الدينية (كشعائر الدفن وافكار ما بعد الموت ومشكلة الشرك الاولى والميل نحو الحياة الدنيوية (التي تناولها فون زودن W. Von Sonden في مقالة حديثة) ، وبعض الامور المتفرعة كالممارسات الزراعية وصناعة المعادن وفن الحرب لدى الجيش الاشوري .

وعلى القارىء ان لا يخدع بالثقة الظاهرة التي تبدو في اعطاء التواريخ الدقيقة في مواضع عدة من منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وما بعد ذلك . فتسلسل الاحداث في بلاد ما بين النهرين وتاريخها مازال موضع خلاف بين الباحثين وهناك ثلاث مدارس رئيسة فيما يخص تاريخ الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد . وان التواريخ المقدمة في هذا الكتاب تمثل محاولة استفادت من النظام الذي وضعه اصلا البروفسور سدني سميث وتبناه الى حد ما روتن على ضوء الابحاث التالية . ولابد من التأكيد الى ان التواريخ المثبتة في هذا البحث هي صحيحة (كما نأمل) نسبيا ، اي انها متفقة مع بعضها البعض غير ان هناك احتمالا للخطأ يقدر بقرن ينقص او يزيد بالنسبة لبداية الالف الثالث ، وبعشر سنوات تزيد او تنقص بالنسبة لاواخر الالف الثاني قبل الميلاد في حين ان معظم تآريخ الالف الاول قبل الميلاد يمكن تثبيتها (كما في هذا الكتاب) الى حدود السنة الواحدة .

ومن المفيد هنا ان نذكر شيئا عن اسلوب تعريب اسماء الاعلام . فاذا كان الاسم توراتيا او كلاسيكيا شائعا ، فقد استخدم بالشكل الشائع نفسه . وفي الحالات الاخرى ، وبغية تجنيب القارىء غير المختص متابعة العلامات المميزة ، اتبع اسلوب النقل الصوتي الوارد في العهد القديم في نسخته الانكليزية وذلك بالتعبير عن الاصوات h, t, s, s بالحروف t, sh, s (وفي معظم الحالات) h على التوالي ، وحذف الهمزة الا اذا كان حذفها (كما في اسم نبونائيد) يعطي لفظا خاطئا . وهناك بعض الاختلافات البسيطة المقبولة وذلك بكتابة صوت الخاء h بالحرفين hk (وليس h) في اسماء مثل اسم ارّابخا Arrapha ، حيث يمكن ان تلفظ Arrapha بانها Arrafa . واذا اثار اي اسم الشك (بعد هذا التوضيح) فيمكن الرجوع الى فهرس الاعلام حيث دون الاسم باللفظ الدقيق بين قوسين مربعين بعد الاسم المستخدم في الكتاب[1] .

---

(١) : اما بالنسبة الى الترجمة العربية ، فان المشاكل التي يواجهها الكاتب الاوربي في نقل اسماء الاعلام الاكدية وغيرها تكاد تتلاشى نظرا لاحتواء الخط العربي على جميع الاصوات التي كانت (ـــ)

اما ترجمة النصوص ، فهي ترجمتي الخاصة للنصوص الاصلية باستثناء ما ذكر خلاف ذلك وقد حاولت ان تكون منسجمة مع الاسلوب الانكليزي الحديث . اما الكلمات او الفقرات التي اضيفت لاكمال النص والمؤكدة فم يشر اليها بعلامة خاصة . وتدل الاقواس المنحنية في الترجمة ان الكلمات المحصورة بينها غير مذكورة فعلا في النص في حين تحصر الاقواس المربعة الملاحظات التوضيحية . اما علامة الاستفهام المحصورة بين قوسين فتشير الى وجود شك في ترجمة الكلمات المعنية .

ومقتبسات الكتاب المقدس هي من النسخة المنقحة بصورة عامة ولو ان الترجمة القديمة قد فضلت في بعض الحالات عندما حاول المراجعون الفكتوريون وبدون تروٍّ ان يضروا بالنسخة الانكليزية اليعقوبية للنسخة المعتمدة دون ان يقدموا ترجمة اكثر دقة[1] .

هـ . و . ف . ساكز

مستخدمة في اللغات العربية القديمة ، ومنها اللغة الاكدية . لذا جاء التعريب لاسماء الاعلام الاكدية ، وكذلك المفردات اللغوية الاكدية ، اقرب ما يكون الى واقع لفظها . اما بخصوص الاسماء التوراتية ، فقد استخدمت الصيغ الواردة في نسخة الكتاب المقدس العربية . (المترجم) .

(١) : اعتمدنا في ترجمة مقتبسات الكتاب المقدس على نسخة الكتاب المقدس العربية التي قامت بنشرها جمعيات الكتاب المقدس المتحدة عام ١٩٦٠ والمطبوعة في مطبعة الجامعة في كمبردج ، بريطانيا . (المترجم) .

القسم الاول
التاريخ العام والسياسي

الفصل الأول

بلاد ما بين النهرين قبل عام ٢٠٠٠ ق . م .

من صعوبات البحث في حضارة «بلاد ما بين النهرين» القديمة معرفة اصول المصطلحات الجغرافية ومدلولاتها . فمصطلح «بلاد ما بين النهرين Mesopotamia» بحد ذاته مصطلح غامض[١] . فهو يعني للبعض ، ولا سيما

(١) : استخدم مصطلح (ميزوبوتاميا) (بلاد ما بين النهرين) منذ القرن الرابع قبل الميلاد على ما يظن حيث استخدمه الكتاب اليونان للدلالة على المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات حتى حدود بغداد جنوبا . وشاع استخدام المصطلح بعد ذلك واستخدم للادلة على جميع المنطقة الواقعة بين النهرين من الشمال وحتى الجنوب . وساعد على شيوع استخدام المصطلح في الكتب والمؤلفات الاوربية ترجمة كتاب العهد القديم الى اليونانية واللغات الاوربية الاخرى حيث ترجم فيها مصطلح (ارام نهرايم) (سفر التكوين ، اصحاح ٢٤ : ١٠) الذي يعني (ارام نهرين) على هيئة ميزوبوتاميا) . غير ان المرجح ان المقصود من هذا المصطلح في العهد القديم هو للدلالة على الاقليم المحصور بين نهري الفرات والخابور او نهر الخابور والباليخ او كلا هذين النهرين مع الفرات .

ويرى العالم فلنكشتاين (J. Finkelshtein, Mesopotamia JMES, 21, 1962, p. 73ff.) ان مصطلح (ميزوبوتاميا) قد يعود باصوله الى تسميات قديمة وردت في بعض النصوص المسمارية الاكدية على هيئة بيريت نارم birit narim او مات بيرتم mat birtim او بيريتوم biritum التي تعني (بين النهرين) .

وعلى الرغم من استخدام المؤلف مصطلح ميزوبوتاميا Mesopotamia الذي ترجم هنا على هيئة (بلاد ما بين النهرين) بغية الدقة والمحافظة على معنى النص الانكليزي ، الا اننا نرى عدم دقة هذا المصطلح لما فيه من محاولة لفصل الماضي عن الحاضر وتجريد العراق الحديث من تاريخه وتراثه العريق .

من له المام بالتحركات البريطانية في الشرق الادنى خلال الحرب العالمية الاولى ، جميع المنطقة العراقية ما بين وعلى جانبي نهري دجلة والفرات من الخليج العربي الى الموصل . بينما يعني للبعض الاخر ، وخاصة الاوربيين المتخصصين بالدراسات الكلاسيكية ، الجزء الشمالي الغربي من هذه المنطقة فقط . وفي هذا البحث ، فقد استخدم مصطلح «بلاد ما بين النهرين» للدلالة على المعنى الاول . ومصطلح العراق ، هو الاخر غامض ، فقد يستخدم ، كما في هذا الكتاب ، عند الاشارة الى العهود القديمة ليعني جميع المنطقة الواقعة ضمن حدود الدولة الحديثة التي تحمل هذا الاسم ، غير ان بعض المتخصصين بالعلوم العربية يستخدمون المصطلح بمعنى اضيق جدا[1] . اما «بلاد بابل» ، و«بلاد اشور» فتدل على المملكتين الرئيستين الشمالية والجنوبية في المنطقة موضوع البحث منذ الألف الثاني قبل الميلاد فما بعد ، غير انهما غالبا ما يستخدمان بتصرف للدلالة على الاجزاء الجنوبية والشمالية من المنطقة دون التقيد بالأوضاع السياسية وللاشارة الى عهود سبقت وجود مدينة بابل . اما «بلاد سومر» فتعني الجزء الجنوبي من بلاد بابل بينما تعني «بلاد اكد» الجزء الشمالي منها . وفي بعض الفصول ، ولا سيما تلك الخاصة بالقسم الاول من التاريخ الحضاري ، ليس هناك مبررات تاريخية لدراسة الحوادث في العراق بمعزل عن الاقاليم المجاورة ، غير ان ضيق المجال في هذا البحث قد املى

---

(١) : اختلفت الاراء بشأن اصل كلمة (عراق) فمن الباحثين من يرى انها ذات اصل عربي بمعنى (الشاطىء) او (جرف الجبل) ومنهم يرى ان الكلمة ذات اصل فارسي بمعنى (الساحل) وان كلا من (عراق) و(ايران) مشتقتان من اصل واحد (ايراك) . كما يرى البعض الاخر ان كلمة (عراق) قد تعود باصولها الى بعض الاصول العراقية القديمة حيث قد تكون مشتقة من الجذر الذي اشتقت منه كلمة «اوروك» او «اونوك» ، وهو الاسم الذي اطلق على مدينة الوركاء والذي يدخل في تركيب اسماء عدد من المدن العراقية القديمة الاخرى . اضافة الى ذلك ، ورد في نصوص العهد البابلي الوسيط (الكاشي) ذكر اقليم على هيئة «اريقا» وشاع استخدام مصطلح «العراق» منذ القرن الخامس والسادس الميلاديين للدلالة في بداية الامر على الجزء الشمالي من العراق الحديث ثم اطلق بعد ذلك للدلالة على القسم الشمالي والوسطي والجنوبي . وامتد مدلول المصطلح في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ليشمل ما جاور العراق من المناطق الجبلية في ايران وحتى همدان وبذا فان تسمية «العراق» هي ادق التسميات للدلالة على المنطقة التي نشأت فيها وازدهرت الحضارات العراقية القديمة السومرية والاكدية والبابلية والآشورية .

علينا التقيد بصورة عامة بحدود المنطقة مع القاء نظرة سريعة على الحوادث والتطورات التي حدثت في المناطق الاخرى .

ففي العراق ، كما هي الحال في كثير من المناطق الاخرى في اوربا واسيا ، من الممكن الان تتبع اثار حياة الانسان الى العصر الباليوليثي او العصر الحجري القديم ، وهي الفترة التي عاش فيها الانسان معتمدا في حياته على الصيد وجمع القوت قبل ان يبدأ العيش في مجتمعات مستقرة ويسيطر على مصدر قوته عن طريق تربية وتدجين الحيوانات وزراعة الحبوب . والادلة المتوفرة حاليا على هذه المرحلة في العراق ليست بالشاملة حيث تقتصر على بعض المواقع في المناطق الجبلية المرتفعة ، وتبين الخارطة المواقع الرئيسة التي تقدم الادلة على ذلك في العراق مع بعض المواقع في البلدان المجاورة لاعطاء تصور جغرافي كامل . وعلى الرغم من ان الادلة قليلة ، الا انها كافية لاثبات وجود الانسان في العراق ، وكذلك في المناطق المجاورة ، منذ فترة يمكن تاريخها بشكل تقريبي بمائة الف ومائة وخمسين الف سنة مضت .

وكانت البيئة الطبيعية والحيوانات في شمال العراق في تلك الفترة تختلف تماما عما هي عليه اليوم في نفس المنطقة . ففي العصور التاريخية كانت معظم انحاء الشرق الادنى والاوسط شحيحة الامطار الى درجة ان كثيرا من المناطق البعيدة عن وديان الانهار لم تكن صالحة للسكنى . غير ان مناخ المنطقة لم يكن كذلك دائما . فقبل حوالي مائة الف سنة وعندما كان الجليد يغطي قسما كبيرا من شمال اوربا ، كانت جميع المنطقة من شواطيء المحيط الاطلسي في شمال افريقيا وعبر الشرق الادنى وحتى ايران تتمتع بامطار اكثر غزارة . لذا كانت المنطقة برمتها اشبه بواحة واسعة مملوءة بنباتات كافية لمعيشة انواع كثيرة ومختلفة من الحيوانات وكان من بين هذه الحيوانات الكثيرة المخلوق النادر الذي يجمع القوت ويمشي على قدمين الذي نعرفه بانسان العصر الحجري القديم (الباليوليثي) . والادلة على سكنى الانسان في العراق في هذه الفترة السحيقة مستقاة من عدد من الكهوف وتتألف بصورة رئيسة من بعض الادوات الحجرية وبعض عظام الحيوانات التي كان الانسان قد اصطادها واكلها . واقدم هذه الكهوف هو كهف في منطقة تدعى بردة بلكة حيث وجدت الادوات الحجرية الخاصة بالانسان القديم والى جانبه بعض الحيوانات كالفيلة والوعول الضخمة التي لابد انها كانت منتشرة في المنطقة حينئذ اكثر من انتشار الانسان نفسه .

اما آثار معيشة الانسان في العراق في اواخر عهد جمع القوت ، فتتمثل ببقايا مكتشفة في كهوف زرزي وهزارمرد في الجبال الكردية في محافظة السليمانية(١) وتتعلق بصناعة الصوان المصنعة بالتتابع الى العهد الاورغنبشي ، والكهف الثالث في المنطقة ، وهو كهف بالي كورا قد يكون من فترة احدث قليلا .

وقد ابانت دراسة بقايا عظام الحيوانات في هذه المواقع انه في هذه الفترة وقبل حدوث التغير الاجتماعي والاقتصادي مباشرة والذي يعرف غالبا في الوقت الحاضر بثورة العصر الحجري الحديث ، كان الانسان يعيش الى درجة كبيرة على صيد اللبائن الكبيرة وكان صيده يضم الخيول البرية والخنازير والاغنام والماعز والوعول والغزلان . وكان الانسان آنذاك قد اهتدى الى استخدام النار ولم يعد يأكل اللحوم وهي طازجة ويمكن تاريخ مجتمعات الانسان المختلفة بهذه المواقع وبشكل تقريبي الى حوالي ١٠٠٠٠ ق م .

اما التحول الاقتصادي المعتمد على زراعة المحاصيل ولا سيما الحبوب ، وتدجين الحيوان ، فلعله قد بدأ في الشرق الادنى ، كما يستدل على ذلك من الادلة المتوفرة في الالف الثامن قبل الميلاد ، في المنطقة الواقعة بين فلسطين واناضوليا وسلسلة جبال زاكروس . وبانسحاب النهر الجليدي القطبي في نهاية العصر الجليدي الاخير ، تغير اتجاه رياح امطار المحيط الاطلسي نحو الشمال وبدأ الجفاف يعم انحاء الشرق الادنى فنمت اصناف برية مختلفة من الحنطة والشعير في هذه المنطقة كما وجدت الاصول المتوحشة للكلاب والماعز والاغنام والماشية والخنازير . وكان لزاما على الانسان آنذاك في سبيل البقاء ان يحصل على انتاج قوته فبدأ بالنزوح تدريجيا من المناطق المرتفعة واستقر في واحات ذات مياه وفيرة حيث يتمكن من انبات المحاصيل والحبوب ويرعى قطعانه طالما ان استمرار تناقص النباتات البرية والطرائد التي كان يصطادها لم يعد يسمح له بأن يظل يعيش على مجرد جمع القوت . ومما لا شك فيه ان هذا التغيير لابد وانه كان كغيره من الثورات التالية ، مؤلما بالنسبة لاولئك المعنيين به مباشرة ، ولعله انعكس في بعض قصص فقدان العصر الذهبي الموجودة في كثير من الاساطير واكثرها وضوحا : قصة العهد القديم الخاصة بطرد ادم من جنة عدن حيث اصبح الانسان بعد ذلك لا يأكل الخبز الا بعرق جبينه بعد ان

(١) : في النص الانكليزي — لواء السليمانية (المترجم) .

كانت جميع المخلوقات وثمار الاشجار متوفرة وموجودة امامه للاكل دون مقابل .

وقد استغرقت الفترة التي شهدت ما يدعى بثورة العصر الحجري الحديث بضعة الاف من السنين ، وبالنسبة للشرق الادنى ، حيث بدأنا نستمد معلوماتنا عنها من عدد كبير من المواقع المنتشرة من فلسطين الى ايران ومن اناضوليا الى جنوب شبه الجزيرة العربية . ومن طبيعة تغير اسلوب حياة الانسان ، لم يعد مثل هذه المواقع مستوطنات كهفية نموذجية (على الرغم من ان انسان العصر الحجري الحديث قد استمر احيانا باستخدام الكهوف كما يفعل بعض الاكراد حاليا في نفس المنطقة) بل مستوطنات مفتوحة . ونظرا لملائمة مواقع تلك المستوطنات ولطبيعة الانسان في المحافظة على القديم ، فان هناك العديد من هذه المواقع التي ظل الانسان يستخدمها مئات والاف عديدة من السنين واحيانا حتى العهود التاريخية بل والى الوقت الحاضر في اكثر من حالة واحدة . لذا فان آثار العصر الحجري الحديث تؤلف الطبقة السفلى من آثار استيطان الانسان في المواقع ذات الطبقات الكثيرة . ومثل هذا الموقع المؤلف من بقايا ادوار سكنية مختلفة على هيئة طبقات متعاقبة يعرف عادة بالتل او «تبّة» او «هيوك» حسب اللغة المحلية المستعملة في المنطقة . وبسبب صعوبة وكثرة تكاليف التنقيب في تل رئيس الى العمق اللازم للوصول الى ادلة العصر الحجري الحديث وتقويمها ، فان معظم المعلومات المتوفرة هي من مواقع لم تكن مستوطنة في العصور التاريخية . ومن الاستثناءات المهمة على ذلك موقع جرش (تل السلطان) الذي يتميز بانه ربما يمثل اقدم مدينة من العصر الحجري الحديث منذ بدأ الاستيطان فيه حوالي ٧٥٠٠ ق م . وفي حدود ٦٨٠٠ ق م . كان قد اتسع الى حجم مدينة تبلغ مساحتها حوالي عشرة اكرات[1] ويقدر عدد سكانها بحوالي الفي نسمة . اما البيوت فكانت تشيد من الطين الطري في حين كانت الارضيات من الطين المضروب وربما كانت السقوف من اغصان الاشجار المغطاة بالطين ايضا . وكانت طريقة الدفن ان يدفن الموتى تحت الارضية وفق طقوس دينية غريبة ، حيث تعاد الجماجم الى اشكالها بواسطة الجص ثم تدفن في مكان مستقل عن الجثة (وهى طريقة لا زالت تتبع حتى الوقت الحاضر

---

(١) : الاكرا يساوي ٤٨٤٠ ياردة مربعة ويساوي ما يقرب من اربعة الاف متر مربع (المترجم)

في بعض اجزاء ميلانيزيا Melanesia غير ان هذا لا يعني وجود اي علاقة بين الحضارتين) .

ان زراعة المحاصيل الغذائية وتدجين الحيوان وسعة الاراضي (حتى يومنا هذا) كل ذلك ادى الى ازدياد عدد السكان زيادة كبيرة . فنمت المجتمعات القروية واتحدت فيها العوائل في سبيل انتاج القوت والدفاع . وكان لضمان توفر المواد الغذائية النسبي ان كان هناك فراغ سمح لظهور بعض مظاهر التخصص . وكان هناك مظهران معينان من مظاهر التخصص اعطيا نتائج ذات اهمية قصوى في حياة الانسان التالية احدهما مرتبط بتطور الفنون والاخر يتضمن نمو طبقة اجتماعية تخصصت باجابة رغبات الانسان الدينية في اسلوب الحياة الذي املته عليه الدورة الزراعية .

وهناك بعض الادلة على بدء الانسان عملية حصاد الحبوب في منطقة الكرمل مشتقاة من مواقع كهفية من اواخر العصر الحجري القديم ، فقد عثر هنا على بعض المناجل او سكاكين الجني المكونة من اسنان من الصوان مثبتة على مقبض من العظم كانت قد استخدمت من قبل الاقوام المعروفة بالنطوفيين . وان فحص حافات حدود السكاكين يشير الى انها كانت تستخدم لقطع سيقان نباتات الحبوب .

ومن فترة مقاربة لفترة مدينة جرش من بداية العصر الحجري الحديث ، هناك ادلة قاطعة على بداية التغير من اقتصاد جمع القوت الى اقتصاد انتاج القوت مستمدة من موقع تبلغ مساحته حوالي الاكرين هو موقع كريم شاهر (شرق كركوك) حيث ان نصف عظام الحيوانات المكتشفة هنا كانت من اصناف كالماعز والاغنام والخنازير وبعض انواع الخيل التي ان لم تكن قد دجنت انذاك فان الانسان دجنها بعد ذلك بفترة قصيرة . بالاضافة الى ذلك ، فقد عثر على بعض سكاكين المناجل الحجرية والمجارش والفؤوس التي تشير الى وجود بعض العمليات الزراعية على الرغم من انه لم يعثر بعد على آثار للحبوب في الموقع . كذلك فقد كشف عن ارضيات من الحجر ومواقد حجرية وحفر يبدو انها كانت تستخدم للخزن . اما المخطط التفصيلي لطرز البيوت التي تعود اليها هذه المكتشفات فما زال غير مؤكد . وليس هناك ما يثبت حتى الان وجود اي علاقة بين هذا الموقع وبين الحضارة النطوفية في جبل الكرمل والتي استخدم فيها الانسان ولاول مرة المناجل لقطع الحبوب .

ويمثل موقع كريم شاهر مرحلة اولى من التغير ومن الصعب اعتباره الان قرية من العصر الحجري الحديث . بل ليس هناك في الواقع ما يثبت ان الموقع كان اكثر من مستوطن موسمي . اما موقع جرمو (شرقي كركوك ايضا) والذي يمكن تاريخه الى ما قبل عام ٦٠٠٠ ق م فانه يزودنا بأدلة لقرية دائمية . فقد عثر في هذا الموقع على ما يقرب من خمس وعشرين من البيوت ذات الاضلاع المستقيمة والحاوية على عدة غرف صغيرة . وقد شيدت الجدران والارضيات بالطين المضروب وعلى اسس حجرية كما كان فيها مواقد ومدافىء من الطين مبنية فيها واحواض من الطين على الارضية كما عثر على بعض دمى الطين (غالبا غير مفخورة) تمثل بعض الحيوانات وكذلك الالهة الام . وتمثل الالهة الام ، كما هي مجسدة بهذه الدمى ، المحور الرئيس في المعتقدات الدينية في العصر الحجري الحديث حيث كانت الخصوبة والتكاثر ذات اهمية قصوى بالنسبة للمجتمع آنذاك . اضافة الى ذلك فقد عثر على بعض الاواني الحجرية الملساء الجميلة وعلى انواع من الحلي (اساور وخرز بالدرجة الرئيسة) وبعض الادوات الصوانية القسم الاكبر منها من نوع الميكروليت microliths والتي تعتبر نموذجا للعصر الحجري الحديث . اما الفخار فقد عثر عليه في طبقات الادوار المتأخرة من جرمو فقط وان عدم العثور على آثار المراحل الاولى من صناعة الفخار ينفي الرأي القائل بان هذا التطور المهم كان قد حدث اصلا في الموقع . ومع هذا فان هذه الادلة السلبية ليست حاسمة حيث يجب ان لا يغرب عن البال بأن من المحتمل ان المراحل الاولى من صناعة الفخار لم تكن سوى عملية تغليف السلال المنسوجة والتي لا يتوقع العثور على بقاياها .

وفي جرمو ، لم يدجن الا الماعز والكلاب ، رغم ان عظام حيوانات اخرى من الاصناف القابلة للتدجين كالخنازير والخيل والماشية كانت موجودة نتيجة للصيد . كما كان هناك صنفان على الاقل من الحنطة مستعملان في جرمو (ممثلة ببعض الحبات المتفحمة من نوع Einkorn ومن نوع إمّر emmer) بالاضافة الى نوع من بزاليا الفول . ويمكن الاستدلال على استخدام الحبوب ايضا من وجود المجارش والمطاحن واواني التذرية كما عثر على نوع من الشعير شبيه بالشعير البري . وكانت الحبوب في جرمو تشوى بالفرن ثم تطحن وتؤكل كعصيدة او تعجن وتخبز على هيئة خبز غير مخمر وقد تتكون الجعة من

نتيجة تخمير العصيدة كما وجدت طبعات القماش على كراش من الطين في جرمو مما يشير الى ان الكتان المهم بالنسبة لدهنه وخيطه ، كان يزرع آنذاك .

ان البقايا المكتشفة في جرمو هي دون شك بقايا قرية دائمية حيث ان هناك ثمان طبقات متعاقبات تدل على استيطان لمدة ثمانية اجيال على اقل تقدير . والموقع الاخر من العصر الحجري الحديث في العراق هو موقع ملفعات الواقع بين الموصل واربيل غير ان بقايا المواد الحضارية فيه اكثر سذاجة من بقايا جرمو ولتعلها اقدم منها قليلا ، ومع هذا فان المكان يمثل موقع قرية ثابتة . اما موقع كرد علي اغا ، شمالي اربيل ، فهو احدث من جرمو ولكنه مع ذلك لا يوضح اي علاقة واضحة مع اولى المراحل الحضارية المعروفة جيدا ، وهي حضارة **حسونة*** وهو موقع غربي نهر دجلة ليس بعيدا عن جنوبي الموصل .

واضافة الى الموقع الذي اطلق اسمه على الحضارة ، هناك مستوطنات اخرى تشكل جزءا من هذه الفترة المبكرة نفسها وجدت في مطّارة (جنوب كركوك) ونينوى والاربجية واماكن اخرى .

يمكن تمييز عدد من الاطوار في حضارة حسونة ، فالمستوطنة الاولى في موقع حسونة نفسها تشير الى تطور واضح عن المراحل الاولى من عهد انتاج القوت كما يستدل على ذلك من وجود المجارش وبعض الآلات الحجرية التي ربما كانت بمثابة الفؤوس وآنية الفخار ، بضمنها الجرار التي كانت تستخدم لخزن الحبوب . غير ان المستوطنة كانت مع ذلك مستوطنة نموذجية من العصر الحجري الحديث حيث انها مستوطنة مغلقة وتكوّن وحدة اقتصادية مكتفية ذاتيا باستثناء استيراد حجر الاوبسيدين . اضافة الى ذلك ، فان المستوطنة لم تكن من العصر الحجري الحديث فحسب بل من بداية العصر الحجري الحديث حيث ان وجود كرات الطين يشير الى ان الصيد كان ما يزال يكوّن جزءا مهما من وسائل توفير القوات اما الادوات التي عثر عليها فتشير الى ان الزراعة التي كانت معروفة هي الزراعة بواسطة الفأس ، وحيث ان هذا النوع من الزراعة يستنزف خصوبة الارض بسرعة ويتطلب من المجتمعات البدائية التي كانت

---

* : عندما يكتب اسم موقع بالحروف الغامقة فان ذلك يعني ان الاسم مستخدم لا للدلالة على موقع معين بالذات (او مستوطن) بل على الحضارة التي تسمى باسم ذلك الموقع والتي غالبا ما نجدها في عدد من المواقع الاخرى .

تمارسه الانتقال الى موقع جديد بين وقت واخر لذا فمن المحتمل ان مجتمعات حسونة من العصر الحجري الحديث المبكر كانت ما تزال مجتمعات متنقلة الى حد ما .

وبعد الطور الاول من استيطان العصر الحجري الحديث في مواقع حسونة تأتي فترة طويلة من الاستيطان المستمر تشير الى اتباع اساليب زراعية اكثر كفاءة ولا سيما اسلوب ترك الارض بورا . فقد امكن منع سرعة تلف خصوبة الارض . وضمّت التطورات التالية الاخرى اصل البيوت الشرقية النموذجية المؤلفة من عدد من الغرف حول فناء وسطي والتي ما زال بالامكان مشاهدة بيوت مماثلة لها ، من حيث المخطط ، في العراق حتى الوقت الحاضر . وفي دور حسونة استخدمت محاجر الابواب لتسمح بحركة الابواب . كما وجدت افران طينية لعمل الخبز ، ولحصاد الحبوب كان هناك مناجل تتألف من شظايا حجر الصوان مثبتة بواسطة القير على قاعدة خشبية . اما المعادن فلم يكن استعمالها قد بدأ .

كما ان الفخار المزخرف الذي لا تقتصر اهميته على الناحية الجمالية بل انه يساعد على تتبع الحضارة التي يعود لها ، ظهر لاول مرة في دور حسونة . وقد عثر على فخار مشابه للاواني الفخارية الملونة الاولى في حسونة في اماكن وصلت الى موقع العمق في سوريا ومرسين على ساحل صقلية مما يشير الى ان اصل مستوطنات حسونة كان في مركز المثلث المؤلف من حلب ــ موصل ــ دياربكر .

ويستدل على العلاقات التجارية منّ وجود حجر الاوبسيدن وبعض الاحجار شبه الثمينة الاخرى كالفيروز والملكيت malachite التي استخدمت لصنع الخرز والتمائم . ومما لا شك فيه ان هذه المواد كانت قد جلبت مع بعض المواد الاخرى القابلة للتلف التي لا يمكن لعالم الآثار التعرف على وجودها .

وتنعكس الافكار الدينية لفترة حسونة في وجود دمى الطين التي تمثل الآلهة الام وكذلك في اسلوب دفن الاطفال في جرار ، ربما كنذور للابنية المشيدة ، كما ان وجود بعض الاواني في القبور التي ربما احتوت على بعض المواد الغذائية والماء قد يشير الى نوع من الاعتقاد بحياة ما بعد الموت .

ويعاصر الجزء الاخير من حضارة حسونة الذي يمكن تاريخه من حوالي

٥٤٠٠ ق . م ، نوع متميز من الفخار مزخرف بزخارف هندسية وحيوانية . ويعرف هذا بفخار **سامراء** ، نسبة الى مدينة سامراء المشهورة والواقعة على اواسط نهر دجلة ، حيث عثر عليه لاول مرة عام ١٩١١ م . وقد تم التعرف على هذا الفخار في عدد قليل من المواقع الاخرى واقعة على اواسط نهر الفرات وفي الشمال بما في ذلك نينوى (الطبقة ٢ ب) ، وما يعرف عن هذه الحضارة قليل جدا ، باستثناء فخارها ولا ترتبط بخصائص مميزة في اوجه النشاطات الاخرى كالفن المعماري وصناعة التعدين او (بشيء من الثقة) تقاليد الدفن ، وبالنسبة لبريدوود Braidwood ، فان فخار **سامراء** لا يتعدى كونه طراز من الفخار الملون فحسب . ومع هذا التحفظ ، لابد ن الاشارة الى ان بعض الاثاريين يرون ان هناك علاقة بين الحضارة المرتبطة بفخار **سامراء** والحضارة المعاصرة لها في ايران ، ولو ان علماء اخرون يعتبرون الادلة المقدمة لذلك ليست بذات وزن فهناك تشابه عام بين اشكال فخار **سامراء** وفخار بعض المواقع الايرانية . اضافة اى ذلك ، فان اساليب الدفن ، وان كانت الادلة عنها قليلة الا انها تبدو بانها تؤيد النظرية القائلة بوجود علاقة بين ايران وسكان عصر فخار **سامراء** . ويبدو ان سكان عصر فخار **سامراء** قد دفنوا موتاهم وهم محددين على ظهورهم ، وكانت هذه الوضعية هي المتبعة في عصر حضارة **العبيد** (انظر ادناه) التي تعتبر بصورة عامة من اصل ايراني . ويناقض هذا التفسير ، مع ذلك ان هناك ادلة قوية (انظر ادناه ص ١٨) تفصل بين حضارة **سامراء** (حيث كان البناؤون يستخدمون قطع الآجر غير المفخور الكبيرة) بهيئة تسمح باجراء مقارنة بينها وبين بنايات حضارات عصور ما قبل التاريخ الاخرى . اما بالنسبة للمعتقدات الدينية ، الخاصة بسكان عصر حضارة **سامراء** ، فما يمكن قوله ، كما هي الحال بالنسبة لجميع حضارات عصور ما قبل التاريخ الاخرى ، ان الادلة المتوفرة قليلة غير انها تشير الى ان الديانة كانت ذات علاقة بطقوس الخصوبة المرتبطة بالآلهة الام والمغلفة بالسحر .

ويمثل الفخار الجميل ذو اللون البرتقالي المزخرف بالاحمر والابيض والاسود ظهور حضارة **حلف** المنسوبة الى تل حلف على نهر الخابور حيث عثر عليه اول مرة . ومن الواضح ان الاقوام التي صنعت هذا الفخار الجميل قد ساهمت في تقدم بعض الاوجه التقنية الاخرى . فقد استخدمت انواع اكثر من الحبوب والحيوانات الداجنة في حين يثبت وجود المغازل الدائرة وجود صناعة المنسوجات. وبينما ظلت الحجارة هي المادة الاعتيادية لصناعة الآلات ، فقد عثر على بعض الخرز والدبابيس وحتى بعض الآلات المصنوعة من النحاس .

كما ان دقة صناعة الفخار تؤكد وجود افران مناسبه يمكن رفع درجة حرارتها الى درجة عالية وقد تم العثور فعلا على بقايا مثل هذه الافران في كل من الاربجية وكرمكيش . وعلى ضوء المهارة الفنية التي تحتاجها الايدي العاملة على ادارة مثل هذه الافران ، فمن المحتمل ان الفخاري كان قد اصبح آنذاك حرفيا متخصصا .

كما يحتمل ان تاريخ اكتشاف العربة ذات العجلة يعود الى دور **حلف** ويستدل على ذلك من ان ما يبدو بأنه صورة عربة قد صور على اناء من دور **حلف** .

اما بالنسبة الى المعتقدات الدينية ، فمن المؤكد انه كان هناك نوع من الاعتقاد بحياة ما بعد الموت حيث دفن الموتى ومعهم بعض الاواني والحلي والآلات التي لابد ان الغاية من دفنها مع الموتى هي استخدامها من قبل المتوفي في العالم الثاني .

وتشير دمى الطين الخاصة بالآلهة الام الى وجود الطقوس الخاصة بالخصوبة . وهناك ادلة واضحة على وجود علاقات تجارية بين المجتماعات في تلك الفترة . فهناك جماعة قيل انها تعود الى حضارة **حلف** كانت تقوم باستخراج حجر الاوبسيدين في موقع قريب من بحيرة وان ، وكان الاوبسيدين واسع الانتشار في جميع القرى التي تعود الى دور **حلف** . اضافة الى ذلك ، فقد عثر في شهربازار على الخابور (شمال غربي العراق) في الطبقة التي تعود الى دور **حلف** على قوقعة لمحار لابد وان كان اصلها من الخليج العربي .

وفي قرى دور **حلف** التي يمكن ان يطلق عليها في هذه الفترة مصطلح مدن صغيرة عثر على شوارع مرصوفة غير ان ما هو معروف عن تطور طرز البناء قليل . وكانت الابنية النموذجية مدورة مع صقف مقبب وغرفة طويلة ملحقة بها يشار اليها في الوقت الحاضر باسم ثولي Tholoi ولهذه الابنية اهمية معمارية خاصة حيث انها تشير الى ان سكان دور **حلف** كانوا قد اتقنوا اسلوب بناء العقود . وقد ظهرت آراء مختلفة حول الغرض من هذه الابنية «ثولي» التي يعتبرها بعض العلماء بأنها ذات مغزى ديني غير ان التنقيبات التي اجريت فيما بعد في مواقع اخرى من دور **حلف** قد اوضحت بأن هذه الابنية ما هي في الواقع الا عبارة عن طرز نموذجية لدور السكن آنذاك .

ومن المحتمل ان اول ظهور حضارة **حلف** كان في بلاد آشور حيث يمكن تتبع تطورها لعدد من المراحل . ومع هذا فقد وصل تأثيرها في مراحل انتشارها الواسع الى ساحل فلسطين وسوريا وصقلية والى ارمينيا وفي الجنوب حتى سامراء . وان حقيقة ظهور هذه الحضارة في هذه المواقع بشكلها المتطور

الناضج او ممتزجة مع مميزات بعض الحضارات الاخرى يشير الى ان هذه المواقع لم تكن الموطن الاصلي لهذه الحضارة .

وحيث انه لم يعثر على اي اثر لحضارة **حلف** في ايران ، فان ذلك يشير الى ان ايران لم تكن الموطن الاصلي لحضارة **حلف** ويبقى موضوع الموطن الاول لحضارة **حلف** موضع نقاش وتخمين خصبين . ويظن ان سكان **حلف** لم يكونوا غزاة سيطروا على حضارة سابقة لهم ، فانتشار حضارتهم كما هو معروف اليوم هو شبيه جدا بانتشار حضارة **حسونة** وهذا يدل على ان العلاقات العامة بين المستوطنات في المنطقة آنذاك لم تكن قد تغيرت كثيرا بوصول سكان **حلف** .

وفي نحو هذه الفترة بدأ استيطان الانسان لارض جنوبي العراق وتتوفر الادلة على ذلك من عصور ما قبل التاريخ في عدد من الادوار السكنية المتميزة ببعض البقايا المادية كالفخار واسلوب دفن الموتى وطرز البناء . وبعد ان ندخل في العصور التاريخية بعد بداية الالف الثالث قبل الميلاد مباشرة يمكن تميز ثلاثة عناصر عرقية وحضارية على الاقل في بلاد بابل . واكثر هذه العناصر اهمية من حيث التطورات التي اعقبت ذلك في المنطقة هم السومريون الذين تنسب اليهم اصول حضارة بلاد ما بين النهرين . اضافة الى ذلك فقد كان هناك الساميون[(١)] الذين كان تأثيرهم العرقي والحضاري في المنطقة يزداد بالتدريج كنتيجة لتوافد جماعتهم من الغرب سواء عن طريق التسلل السلمي او الاقتحام العسكري اضافة الى هذين العنصرين لابد انه كان هناك عنصر ثالث بدليل وجود اسماء مدن سومرية عديدة تعود الى لغة هي ليست سومرية او سامية في حين هناك عدد كبير من الكلمات السامية المستعملة في اللغة السومرية التي لا ترجع في اصولها الى اللغة السومرية او السامية . لذا فان الموضوع يبقى مفتوحا للعلماء لمحاولة

---

(١) : كان اول من استخدم مصطلح «الساميين» **Semites** و«اللغات السامية» **Semitic Languages** المستشرق الالماني شلوتزر عام ١٧٨١ م للدلالة على الاقوام التي استقرت في بلاد سوريا وفلسطين والعراق منذ اقدم الازمنة وتكلمت بلغات متشابهة تعود باصولها الى اصل مشترك واحد . وشاع استخدام المصطلح للدلالة على الاقوام الاكدية والبابلية والاشورية والكنعانية والعبرانية والارامية والامورية . وقد اقتبس شلوتزر هذه التسمية مما جاء في العهد القديم ، سفر التكوين ، الاصحاح العاشر : ٢١ ــ ٣١ عن انساب سام ابن نوح . واستخدم المصطلح من قبل الكتاب والمؤلفين العرب والاجانب على حد سواء . وفي اوربا ، غدا مصطلح (الساميين) يطلق في كثير من المجالات للدلالة على اليهود فحسب حتى اصبحت صفة «ضد الساميين» من الصفات البغيضة التي اتصف بها النازيون لانهم حاربوا اليهود .

وفي الاونة الاخيرة بدأ الباحثون العرب يترددون في استخدام مصطلح (الساميين) حيث رأوا فيه مجانبة للواقع التاريخي والعرقي للاقوام التي سميت بهذا الاسم فنحن لو امعنا النظر فيما جاء في العهد
(=)

تمييز هذه العناصر المختلفة وربطها بعناصر ما قبل التاريخ التي يمكن تتبع فخارها في جنوبي العراق منذ الالف الرابع قبل الميلاد . وفي الوقت الحاضر ليس هناك استنتاج مقبول حول هذا الموضوع بصورة عامة .

وحتى فترة متأخرة جدا كان الاعتقاد السائد ان ارض جنوبي العراق بأكملها من شمالي بغداد فجنوبا تكونت منذ العصور الحجرية القديمة فصاعدا نتيجة ترسبات نهري دجلة والفرات السنوية . وان الجزء الواقع في اقصى الجنوب من اور الى اريدو فجنوبا ، لم يصبح صالحا للسكنى الا في العصور الحجرية الحديثة غير ان هذا الرأي قد رده الجيولوجيون مؤخرا ، الذين يرون بأن حوض

القديم عن انساب سام بن نوح لوجدنا بأن العهد القديم (التوراة) قدذكرت من بين نسل سام اقواما لا علاقة لها عرقيا ببقية الاقوام المذكورة في السفر نفسه ، كالأقوام الليدية والأقوام العيلامية التي ثبت بأنها لا تنتمي الى الاصل الذي تنتمي اليه الاقوام البابلية والاشورية والارامية وبقية الاقوام المذكورة ، بينما أقصت اقواما اخرى من الثابت بأنها تؤلف جزءا من المجموعة العرقية المذكورة نفسها ، كالاقوام الكنعانيه (الفينيقية) ، وهي اول الاقوام التي استقرت في ارض كنعان (فلسطين) قبل اكثر من خمسة الاف سنة على ادنى احتمال . ولا يمكن تفسير هذا الخلط الذي جاء في التوراة الا انه ناتج عن تحيز واضح من قبل كتاب التوراة وتعصب بغيض ضد الاقوام الكنعانية التي سبقت غيرها في استيطان الارض التي سميت باسمهم اولا وعدم معرفة اولئك الكتاب بتاريخ الاقوام الليدية والعيلامية ثانيا . اضافة الى ذلك ، فليس هناك ادلة تاريخية مقنعة بأن الاقوام التي اطلق عليها اسم (الساميين) تنتسب اصلا الى سام بن نوح بل ان التحريات الاثارية والدراسات التاريخية الحديثة تشير الى ان جميع هذه الاقوام التي انتشرت في سوريا وفلسطين والعراق وبعض اجزاء افريقيا منذ اقدم الازمنة التاريخية المعروفة وحتى الان تشترك في كثير من الخصائص الحضارية والفكرية واللغوية وحتى الجسمانية مما يشير ويؤكد اصلها المشترك . وتدل البحوث العلمية الكثيرة التي قام بها المختصون ان الموطن الاول لهذه الاقوام كان شبه الجزيرة العربية وانها هاجرت منذ الازمنة القديمة الى بوادي الشام والعراق واجزاء من افريقيا بسبب حلول الجفاف في شبه الجزيرة العربية وضيق الحالة الاقتصادية فيها . وتتابعت هجرة الاقوام هذه على مر العصور التاريخية وكانت اخر هجرة كبرى هي هجرة العرب المسلمين في القرن السابع الميلادي .

وعلى هذا الاساس فان اطلاق تسمية «الاقوام السامية» على هذه الاقوام التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية لا يستند على حقائق تاريخية وبراهين مؤكدة بل انها تسمية غير دقيقة ولا تخلو من اهداف غير علمية .

وحيث ان الموطن الاول لهذه الاقوام ، كما هو ثابت الان ، هو شبه الجزيرة العربية ، وان العرب كانوا ولا زالوا يقطنون هذا الجزء من العالم ويؤلفون العنصر الرئيس فيه منذ اقدم العصور المعروفة لدينا ، وان اللغة العربية هي اقرب اللغات التي سميت باللغات السامية قربا من اللغة الام التي يفترض بانها كانت تستخدم في شبه الجزيرة العربية قبل تفرق اقوامها وهجرتها ، لذا ، فان التسمية التي نعتقد بانها تتفق والحقائق والمعلومات التاريخية واللغوية والاثارية المتوفرة هي «الاقوام العربية القديمة» (او «اقوام الجزيرة العربية») ، وتسمية اللغات التي تكلمت بها هذه الاقوام بعائلة اللغات العربية القديمة ، وبذلك فان الحديث عن الاقوام الاكدية والامورية (البابلية) والاشورية والكلدانية والارامية في العراق وعن حضارتهم هو حديث عن الحضارة العربية القديمة التي هي اصول حضارتنا العربية التي نمت وازدهرت ثانية خلال العصور التالية . (المترجم)

دجلة والفرات بأكمله هو في هبوط بنفس نسبة زيادة الترسبات الغرينية وانه في خلال فترة البلاسيتوسين Plistoceen كان الخليج العربي في امتداد ، وليس انسحاب، باتجاه الشمال الغربي. فغطى ما كان سابقا ارضا يابسة . ومهما يكن من امر ، فان تاريخ الاستيطان في جنوبي العراق كان متأخرا نسبيا ، اذ ما قورن مع بعض المناطق الاخرى في الشرق الادنى . وليس هناك اي دليل للاستيطان في العصور الحجرية القديمة او العصور الحجرية الحديثة (الا اذا نسبنا المواقع التي سنذكرها بعد قليل الى العصر الحجري الحديث) اما القطعة الوحيدة من العصر الحجري القديم التي عثر عليها في حوض بحيرة قديمة قرب كربلاء فلابد ان مياه الفرات كانت قد جرفتها في العصور القديمة الى هناك . فانسان العصر الحجري القديم فضل المناطق الجبلية حيث توفر الكهوف الطبيعية ملجأ قريبا من المراعي حيث يمكن ان يجد حيوانات الصيد في حين لم يتوغل انسان العصر الحجري الحديث في ارض المستنقعات عندما تكون مياه الامطار كافية للزراعة . ولا يعرف بالضبط هل ان زيادة سكان المناطق الشمالية قد دفعت البعض اخيرا لاستغلال بلاد بابل واضطرت بعض الفلاحين من الشمال للتوجه اليها ام لا ؟ فان ذلك ما زال موضع نقاش . وبعض المختصين يرجح بأن اصل الهجرات جاءت من ايران حيث كانت الظروف المناخية حتى الالف الرابع قبل الميلاد اكثر تشابها مع الظروف المناخية في جنوبي بلاد ما بين النهرين مما هي عليه الان . فايران لم تكن آنذاك ارضا صحراوية قاحلة وان وجود انهار بدون شبكة من الجداول لابد انه خلق منطقة مستنقعات لا تختلف كثيرا عن تلك التي كانت موجودة في جنوبي العراق .

ان اقدم مستوطن في جنوبي بلاد بابل هو الموقع الذي اطلق عليه السومريون بعد الف سنة اسم اريدو ، ويقابل زمنيا فترة **حلف وسامراء** في الشمال وقد تمكن المنقبون في اريدو من الكشف على تسع عشرة طبقة سكنية قديمة ووجدوا ان اقدم الطبقات السكنية (الطبقة ١٩) تقع على الارض البكر واستنادا الى الفخار والطرز المعمارية فقد اعتبروا الطبقات ١٩ ــ ١٥ بأنها تمثل طورا حضاريا واحدا اطلقوا عليه اسم **اريدو** .

اما الموطن الاصلي لمستوطني اريدو الاوائل فيبقى مفتوحا للنقاش فاذا كانوا كما يرى البعض هم السومريون الاوائل Proto--Sumerians فمن الممكن ان تؤخذ الآداب السومرية على انها تشير الى انهم جاؤوا من الجنوب الشرقي وليس هناك (على الاقل في الوقت الحاضر) اي دليل آثاري يسند هذا الرأي ، على الرغم من الادعاء القائل بأنه يمكن مشاهدة آثار زراعة قديمة في الصور

الجوية تحت النهاية الشمالية من الخليج العربي . وقد يمثل ذلك الحلقة المفقودة .وبعض الباحثين يربط ، كما ذكرنا سابقا بين سكان **اريدو** وبين مرتفعات عيلام على حين يعتبرهم البعض الآخر استنادا الى التشابه الذي يظهره فخارهم مع اواني **حلف سامراء** بأنهم يمثلون هجرة من فلاحي طوز **حلف وسامراء** نحو الجنوب . اما البروفسور كوردن جايلد ، فيتعبر ثقافة **اريدو** مجرد الطور الاول من حضارة **العبيد** التالية . وبعد مناقشة مستفيضة فانه يرى ان الفخار واساليب البناء والتقاليد الدينية تظهر استمرارا من دور **اريدو** الى دور **العبيد** الى درجة انه ليس هناك ما يستوجب افتراض وجود فاصلة ثقافية بين الاثنين .

ولابد ان مستوطني اريدو كانوا يؤلفون منذ البداية مجتمعا زراعيا على الرغم من ان صيد الاسماك كان يكون عنصرا اساسا في اقتصادهم . ومنذ البدء لابد ان الظروف المناخية قد اجبرت هؤلاء الوافدين على العمل على تصريف المياه وفتح القنوات والعمل في وسائل الري وكان لذلك آثار اجتماعية واسعة طالما ان ذلك جعل من الضروري ان يتعاون الافراد على شكل وحدات اوسع من نطاق العصر الحجري النموذجية وبذا فقد مهدت الطريق لنشوء دويلات مدن الالف الثالث قبل الميلاد المتميزة .

وكان مستوطنو **اريدو** الاوائل قد شيدوا هيكلا صغيرا من الطين الطري في مدينة اريدو نفسها ويظهر ان البقعة التي شيد فيها هذا الهيكل قد اكتسبت قدسية خاصة حيث كشف عن سلسلة من اثني عشر معبدا على الاقل شيدت او اعيد تشييدها خلال عصور ما قبل التاريخ على تلك البقعة نفسها . كما شيدت المعابد على الموقع نفسه خلال العصور التاريخية .

وهناك طور اخر من عصور ما قبل التاريخ (او كما يفضل البعض ان يطلق عليه «مستوطن») في جنوبي العراق فسّر باشكال مختلفة ويعرف هذا الطور بطور «**حاج محمد**» نسبة الى موقع قريب من مدينة الوركاء حيث امكن تمييز فخاره لاول مرة ، وقدامكن الان التعرف عليه في عدد من المواقع الجنوبية الاخرى وعله يمثل المرحلة الاولى من طور **العبيد** المعروف الذي اعقبه .

ويمثل طور **العبيد** طورا جديدا وهاما في تاريخ ما قبل التاريخ في بلاد ما بين النهرين وعلى الرغم من انه قد امتد اخيرا شمالا حتى وصل الى اعالي نهر دجلة والخابور حيث طغى على ثقافة **حلف** ، غير ان الظاهر بأنه وصل الى قمة تطوره في جنوب بلاد بابل . وكان لهذه الثقافة اقتصادا زراعيا كفوءا جدا معتمدا على الري . وكان اكثر المواد الاولية شيوعا الطين ، يستخدم عادة لصنع الآلات

كسكاكين المناجل والمسامير والأجر ،غير ان الحجر ظل يستخدم لصناعة الآلات وبعض الاواني : ويمكن الافتراض بأن مثل هذه الاواني كانت تستخدم للاغراض الدينية نظرا لرغبة الانسان في المحافظة على كل ما له علاقة بالمعتقدات الدينية . والسؤال هو هل استخدم المعدن ؟ وللاجابة عليه هناك اراء متضاربة ولكن على الرغم من الرأي القائل بأن فؤوس الطين المفخورة كانت تستخدم كنماذج لصب ادوات حقيقية من النحاس تلاشت اثارها بفعل رطوبة التربة ، الا ان الاعداد الكبيرة التي كشف عنها تشير بالتأكيد الى ان الادوات الطينية لم تكن نماذج وانما ادوات حقيقية . وان سكان ثقافة **العبيد** اما انهم لم يكونوا يعرفوا المعادن في موطنهم الاول (الذي يعتبر بصورة عامة ايران) او انهم لم يتمكنوا من تنظيم التجارة الضرورية للحصول عليه من موطنهم الاول بعد ان هاجروا الى مواطنهم الجديدة . وعلى كل حال لعل الادوات الفخارية كانت تبدو كافية لاغراض سكان **العبيد** حيث يمكن للطين البابلي النقي ان يزجج بسهولة نسبية وينتج اشكالا بدرجة من القوة يصعب فيها كسرها حتى بالمطرقة .

اما الفترة الزمنية التي استغرقتها ثقافة **العبيد** فيمكن الاستدلال عليها من وجود ستة او سبعة معابد متعاقبة من دور العبيد في مدينة اريدو . غير ان تحديد ذلك بفترة زمنية قد يقود الى افتراضات عرضة للمناقشة . فأبنية الطين سريعة التهدم والانهيار لذا فان افتراض البروفسور كوردن جايلد بأن معدل عمر المعبد الواحد يقدر بحوالي مئة سنة يبدو فيه مغالاة حيث هناك اشارات لمعابد في الالف الاول قبل الميلاد انهارت خلال اربعين سنة . لذا فان فترة الستمائة سنة التي توصل اليها كوردن جايلد على انها فترة ثقافة العبيد يمكن قسمتها على اثنين .

وفي مدينة اريدو ، كان بناء المعبد في دور **العبيد** ، وقد شيد على نفس البقعة التي اختارها مستوطنو اريدو الاوائل لبناء هيكلهم ، ذي دعامات ومشيد على مصطبة . وكان المخطط المؤلف من فناء وسطي طويل وعلى جانبيه عدد من الغرف ، مطابقا للمخطط العام للمعابد السومرية في الفترات اللاحقة . ويستنتج من وجود بقايا عظام الاسماك في هيكل اريدو بأن قرابين من الاسماك كانت تقدم للاله وان تقديم قرابين من الاسماك الى الاله هو دليل على اهمية صيد الاسماك في اقتصاد المجتمع اما في تلك الفترة او ، اذا اخذنا بنظر الاعتبار رغبة الانسان في المحافظة على ماله بالمعتقدات الدينية في الفترات السابقة لذلك . كما تشير قرابين الاسماك ايضا الى ان اله اريدو في دور **العبيد** كان اله

مياه كما كان بالتأكيد في العصور التاريخية وان في ذلك اشارة الى ان بعض اوجه الحضارة السومرية التالية كانت موجودة آنذاك . وفي الواقع فان التطور العام للمعابد في دور **العبيد** يشير الى ان شكل المجتمع المتميز في الفترة السومرية التالية ، حيث كان الاله مالك الارض وكان معبده مركز ثقل المجتمع ، كان موجودا منذ ذلك الحين .

وهناك بعض المعلومات عن شكل سكان دور **العبيد** الجسماني من بقايا الهياكل العظمية التي عثر عليها في الاربجية قرب الموصل وفي اريدو ويبدو انهم كانوا بصورة عامة ذوي رؤوس طويلة وكانت لهم ، على الاقل اولئك من الموقع الجنوبي ، جباه مائلة وفك بارز واسنان كبيرة . وتشير البقايا من الاربجية الى تغذية جيدة .

وما ان بدأ انتشار حضارة **العبيد** نحو الشمال حتى كان سريعا وواسعا ، طالما اختفت نهائيا طرز **حلف** الفنية في كثير من المواقع كما اختفت فجأة ، وبدون ان يسبق ذلك فترة اضمحلال بعض الرموز الدينية المميزة من الفن . ومع ذلك فان سكان **حلف** لم يتلاشوا نهائيا حيث عثر في موقع تبه كورة (القريب من الموصل) ، وهو احد المواقع التي شهدت انتشار ثقافة **العبيد** في الشمال ، على بقايات الثولي Tholoi الخاصة بسكان دور **حلف** . اضافة الى ذلك ، فعلى الرغم من ان فن **العبيد** يخلو بصورة عامة من تمثيل الاشكال الادمية والحيوانية ، فهناك زخارف ادمية وحيوانية في زخرفة فخار تبة كورة من اواخر فترة **العبيد** .

وباستثناء المثل المذكور آنفا فقد خلت زخارف دور **العبيد** من الاشكال الادمية والحيوانية طوال فترة ثقافة **العبيد** وفي جميع مواقع انتشارها . وهناك من العلماء من يرى ان ذلك يشير الى نوع من التحريم على تمثيل الاشكال الادمية والحيوانية مشابه للتحريم الذي يتمسك به بقوة اليهود الاوائل والمسلمون من بعد ذلك . غير انه من الممكن تفسير ذلك بطريقة اخرى . فهناك بعض الادلة تشير الى انه سبق الفترة التي كان الانسان يفكر فيها بأن الالهة ذات اشكال ادمية ، مرحلة كان ينظر بها الى القوة المقدسة بأنها ذات اشكال طبيعية غير الاشخاص وان الطرز الفنية موضوعة البحث قد تعود الى هذه المرحلة وكان سكان دور **حلف والعبيد** مختلفين تماما في طرق استخدامهم التمائم والدمى : فدمى الالهة الام الشائعة جدا في مواقع **حلف وسامراء** غير موجودة في طبقات **العبيد** في اريدو وان كانت موجودة في بعض مواقع حضارة **العبيد**

وهذه الحقائق ، التي تشير الى اختلاف كبير في الافكار الدينية ، تفند اي رأي يقول ان سكان **العبيد** هم اصلا مهاجرين من حضارة **حلف — سامراء** .

وعلى الرغم من ان انتشار ثقافة **العبيد** يمثل اول وحدة حضارية في بلاد ما بين النهرين بكاملها وفي الاراضي المجاورة مع علاقات ثقافية يمكن اقتفاء اثرها من وادي الهند الى مصر مع مجتمعات اخرى من نفس الطراز ، الا انها ظلت بشكل رئيس مجتمعا زراعيا يعيش في قرى مشيدة بالاجر غير المفخور وكان الحجر نادرا ولم يستعمل الا لبناء المداخل والارضيات والمواقد كما استخدم ايضا لتغليف وتغطية مجاري المياه .

ويمكن التعرف على معتقدات سكان **العبيد** الدينية من قبورهم ، حيث تشير التجهيزات التي كانت توضع مع الموتى الى نوع من الاعتقاد بما بعد الموت ، ومن الدمى . اما الدمى (وجميعها تمثل الاناث) فهي على نوعين الاول برأس انسان والثاني برأس مشوه ولعل النوع الثاني يشير الى الاعتقاد بالارواح الشريرة .

ومن الممكن اعتبار حضارة **العبيد** المرحلة الوحيدة من تطورات عصور ما قبل التاريخ التي كانت بها الثقافة موجودة في جميع بلاد ما بين النهرين . وتشير الاطوار التالية الى بعض الاختلافات الجوهرية بين التطورات في الشمال والجنوب . وهناك بعض العلماء من يرى بأن ثقافة سكان دور **العبيد** تمثل اولى الادلة على سومري الالف التالي غير ان الصعوبة في قبول مثل هذا الرأي هي ان السومريين كما نعرفهم لم يسيطروا على منطقة مماثلة للمنطقة التي انتشرت فيها ثقافة **العبيد** .

وفي الجزء الجنوبي من العراق ، المنطقة التي عرفت فيما بعد ببلاد سومر ، قدم الطور الثقافي التالي تغييرا ثوريا وهو نشأة المدن . ولشرح هذا التغيير لابد من تجاوز التطورات التي حدثت في الشمال في الوقت الحاضر . فقد كان بالتأكيد تجمع السكان في الجنوب في المدن ضرورة املاها وجود الانهار حيث ان السيطرة على الانهار والافادة منها بشكل فاعل يستوجب التعاون على نطاق اوسع من مجرد تعاون سكان القرى البدائية المنهزلة وقد حدث تطور مشابه لذلك في حضارة حوض النهرين الاخرين القديمة وهي حضارة وادي نهر النيل وحضارة وادي نهر الهند . غير ان الادلة الاثارية المتوفرة تشير الى ان التغيير في بلاد ما بين النهرين كان الاسبق وان مظاهر التقدم المادي التي تلت ذلك قد انتشرت من هناك شرقا وغربا اما الطور الحضاري المقصود الذي يعرف بطور **اوروك** فقد تم التعرف عليه اول مرة في مدينة الوركاء (التي كان

اسمها قديما اوروك وفي التوراة ارك) ، ومدينة تلو (لكش قديما) ومن ثم عثر على اثاره في كل من اريدو واور وتل العقير (على بعد حوالي اربعين ميلا جنوبي بغداد) .

وتعتبر الوركاء ، وهو الموقع الذي امدنا باوفى المعلومات على هذا الطور ، مدينة ذات اهمية خاصة كموقع تنقيب لسببين مختلفين تماما . السبب الاول ان لها اهمية كبيرة لانها تمثل مركز الحضارة السومرية الاولى . والسبب الثاني فلان التنقيبات التي اجريت فيها كانت نموذجا علميا عاليا للتنقيب العلمي في العراق (عندما لم يكن دعاة علم الاثار من العاملين في العراق اكثر من جامعي القطع المتحفية المعتمدين على المتاحف) ، ويعود الفضل في ذلك الى عدد من العلماء الالمان المتعاقبين وبصورة خاصة الى الدكتور لنزن .

وفي التنقيبات الاثرية فان ترقيم الطبقات السكنية يكون عادة (وليس دائما) من الاعلى الى الاسفل لذا فان اصغر الارقام يمثل احدث الطبقات واكبر الارقام اقدمها . وفي مدينة الوركاء تمثل الاطوار الاولى (الطبقة ١٨ — ١٥) دور استيطان **العبيد** (وبصورة ادق طور **العبيد** الاول) وفي اواخر هذه الفترة عرف استخدام الآجر المفخور في البناء وان لم يكن استعماله على نطاق واسع ، وبشكل فخار الطبقات من ١٤ — ٤ (او كما يرى بعضهم الى ٥ او٦) مجموعة متجانسة بحيث يمكن ان تعتبر هذه الطبقات بانها تمثل فترة متميزة في عصور ما قبل التاريخ في بلاد ما بين النهرين يطلق عليها دور **اوروك** . ويظهر ان فترة **اوروك** لا تمثل ظهور طبقة سكانية جديدة تماما فوق سابقتها **العبيد** ، طالما ظلت مثلا معابد **اوروك** الاولى في اريدو على الطراز المعماري نفسه الخاص بفترة **العبيد** السابقة . اضافة الى ذلك فان الادلة المستقاة من مدينة الوركاء نفسها تشير الى تداخل حضاري ، فقد عثر مثلا على فخار **العبيد** المعروف في الطبقة ١٢ — ٧ ولو انه لم يكن الفخار الرئيس . ويطلق عادة على هذا الفخار الاخير فخار **العبيد** الثاني .

وكما تشير الادلة من اريدو فان طرز معابد دور **اوروك** الاولى كانت استمرارا لطرز دور **العبيد** السابق حيث استخدم اللبن المجفف بالشمس للبناء . ومع هذا فقد تطورت معابد **اوروك** بالتدريج من حيث الحجم والفخامة . وفي نهاية دور **اوروك** اصبحت من المميزات الواضحة الملفتة للنظر في بلاد ما بين النهرين حيث يمكن مشاهدتها من مسافات بعيدة وسط سهول بلاد سومر المنبسطة وهي تعلن عن ثراء وعظمة اله المدينة ، وقد اضافت الالوان الى تأثيرها الخلاب . ففي الطبقة السادسة كانت جدران ودعائم المعابد مزينة

بمسامير فخارية ذات رؤوس ملونة بالاحمر او الابيض او الاسود ومثبتة على طراز الفسيفساء (انظر اللوحة ٢أ) .

ويشير معبد الطبقة الخامسة الى ابتكار مهم فقد شيد على اسس من قطع من الحجر مشيدة على مصطبة (من الطين المضغوط pisé) وقد اعتبر هذا اشارة الى وجود اقوام جبلية لها خبرة بفن استخدام الحجر وهناك اشارة اخرى يستدل منها على تغلغل اقوام اجنبية حيث ان دور **اوروك** (وليس الطبقة الخامسة فحسب) قد قدم بدون شك عددا من الابتكارات بما فيها اشكال جديدة من الاواني الفخارية ودولاب الفخار واستخدام القوس . وعلى الرغم من ان استخدام المعادن كان معروفا لدى سكان ثقافة **حلف** ومواقع انتشار ثقافة **العبيد** شمالا (ولكن ليس في المواقع الاصلية في الجنوب) فانه لم يستعمل على نطاق واسع الا في دور **اوروك** ، حيث عثر على بعض الالات النحاسية في الطبقة الحادية عشرة وما يليها . واذا كانت هذه التغييرات نتيجة لتغلغل اقوام اجنبية فان الادلة تشير الى وجود عنصرين من الاقوام الجديدة على الاقل اعطى العنصر الرئيس الطابع العام لحضارة دور **اوروك** بصورة عامة وعنصر ثانوي من الاقوام الجبلية تشير الى وصوله معابد الحجر في الطبقة الخامسة واكتشاف الكتابة في الطبقة الرابعة أ (IV a) او ب (IV b) حيث ان هناك اراء مختلفة حول ذلك . ويرى بعضهم ان العنصر الرئيس الجديد كان عنصرا ساميا مستندين بذلك وبشكل اساس على العلاقة بين فخار **اوروك** الجديد والفخار المكتشف في فلسطين وسوريا غير ان هذا الاستنتاج رغم انه ليس بالضرورة استنتاج خاطىء يذهب ابعد مما تشير اليه الادلة المتوفرة حاليا . وقد يكون العنصر الجبلي اصل السكان الذين عرفوا فيما بعد بالسومريين ولكن هذا ايضا رأي غير ثابت نهائيا .

وتعتبر الطبقة الرابعة في الوركاء (والمقسمة بدورها الى ثلاثة اقسام أ وب وجـ حسب تسلسلها الزمني) ذات اهمية خاصة حيث تظهر فيها (وعلى وجه التحديد في القسم أ او ب) اهم ابتكار ينسب الى سكان **اوروك** وهو الكتابة . فابتكار الكتابة يمثل تقدما حضاريا حقيقيا وكبيرا في حين لا يمثل ذلك بالضرورة تغير طرز الفخار الذي استخدم كاساس لتسمية حضارات ما قبل التاريخ وحضارات العهد الشبيه بالكتابي ، ولهذا السبب يستخدم عادة مصطلح العهد الشبية بالكتابي Proto-Literate للدلالة على الفترة التي يقع فيها ظهور الكتابة وقد استخدم في هذا البحث بحيث لا يثير الغموض . غاير ان ملائمته الاكيدة قد افسدت نتيجة اعطاء العلماء المختلفين معاني مختلفة لهذا المصطلح . ورغم ان الجميع يتفقون على ان نهاية هذه الفترة هي الطبقة الثالثة

من اوروك (ويطلق كذلك على الطبقة الثالثة والثانية دور جمدة نصر) الا انهم يختلفون في تحديد بداية هذه الفترة . فيضعونها في احدى الطبقات من الطبقة الثامنة وحتى الخامسة .

وهناك من يرى بأنه سبقت كتابة اوروك كما هي معروفة لدينا من الطبقة الرابعة أ (او ب) كتابة اخرى غير معروفة لدينا بعد ورغم ان ذلك ممكن الا انه ليس هناك ادلة مقنعة قدمت لتأييد هذه النظرية وسوف لن تؤخذ بنظر الاعتبار . وكان اصل الكتابة متواضعا ولم تظهر لخدمة الدين (الا بشكل غير مباشر) ولا لنقل الاحداث التاريخية او كتابة الادب او الافكار الانسانية بل لمجرد تدوين حسابات المعابد المملة . فكانت تعلم صور المواد المعنية التقريبية مع اشارات تدل على الاعداد بواسطة قطعة من القصب على اكثر المواد الاولية توفرا في بلاد ما بين النهرين وهي قطعة من الطين الطري . وان التعرف على الاشياء المصورة واضح في كثير من الاحيان . غير ان حقيقة ان بعض الاشياء المرسومة احيانا قد بسطت واختزلت هي السبب الرئيس في افتراض ان الكتابة المعروفة لدينا من هذه الفترة كانت قد مرت بمرحلة من مراحلها الصورية الاصلية . اضافة الى ذلك فان هناك عددا كبيرا من العلامات الصورية التي تمثل اشياء كالحيوانات البرية قلما كانت هناك ضرورة للاشارة اليها في سجلات المعبد وهذا يدل على ان بعض العلامات كانت تمثل معاني غير معاني الاشياء المادية التي تمثلها اصلا وفي الصفحة المقابلة بعض الامثلة للعلامات الصورية للكتابة الاولى .

وظل الطين في حضارة بلاد ما بين النهرين من بعد ذلك اكثر المواد شيوعا للكتابة عليه ، كما كان البردي ، الذي يرتبط بالالة المعني بفن الكتابة ، النبات الذي استخدم عادة لعمل الاقلام . وحيث ان الطين بعد جفافه وبصورة خاصة بعد فخره يصبح مادة قوية غير قابلة للتلف بسهولة ، لذا فان تربة العراق تضم اعدادا هائلة من هذه القطع الطينية المكتوبة التي تغطي بتاريخها الفترة من قبيل الالف الثالث قبل الميلاد وحتى نهاية استخدام هذا النوع من الكتابة في حوالي عهد المسيح . اما شكل وحجم هذه القطع الطينية المكتوبة (المعروفة بالرقم المسمارية ، رغم ان اسم «المسمارية» لا يلائم الاشكال الاولى للكتابة، فيختلف كثيرا،ففي حين كانت القطع الاولى على شكل بيضوي ودائري تقريبا اشبه بكعكة منبسطة ، فقد كانت الرقم المتأخرة مستطيلة الشكل تقريبا بصورة عامة . اما الحجم فيتراوح من حجم علبة الثقاب الى حجم دفتر كبير بالرغم من ان اكثر الرقم ذات حجم صغير يمكن معه مسكها باليد .



اقدم العلامات الصورية

وحيث ان شكل الكتابة الاولى كان صوريا بحتا ، ولان اللغة المكتوبة لا يمكن تحليلها الا اذا كانت الكتابة تمثل ادوات النحو او الصرف اضافة الى الصور ، فانه من المستحيل ان يعرف بالتأكيد اي من اللغات استخدمت من قبل مبتدعي كتابة اوروك . وعندما تطورت الكتابة الى المرحلة التي يمكن التعرف فيها على الادوات النحوية فان اللغة المدونة كانت بالتأكيد اللغة السومرية .

وتشير عمارة فترة اوروك المتأخرة الى تطورات مهمة تثير العديد من المشاكل وقد ذكر سابقا المعبد الحجري في الطبقة الخامسة في الوركاء . وتمثل فترة الطبقات ٦ ــ ٤ في اوروك تطورات هامة ، كظهور الزقورة ، وهي صرح كبير مدرج سيطر على مدن بلاد ما بين النهرين التالية وكمثل على ما اوردته الاخبار اليهودية والمسيحية واشارت اليه ببرج بابل ، واقدم الامثلة لها في الوركاء وتتألف من مصطبة مرتفعة مساحتها ما يقرب من الايكر مشيدة بالطين المضغوط والاجر غير المفخور وتتجه زواياها الى الجهات الاربعة الشمال والشرق والجنوب والغرب وترتفع اربعين قدما عن مستوى السهل . وكان يرقى اليها بواسطة درج او منحدر وعلى جزء من سطح المصطبة يقوم المعبد مكسوا من الخارج بالجص الابيض ولذلك اطلق عليه «المعبد الابيض» (انظر اللوحة ١) . وكان المخطط الاساسي للمعبد الابيض يتألف من قاعة مستطيلة طويلة تمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي مع غرف تطل على الجانبين الطويلين . وقد جزأت وحدة الجدران من الخارج بعدد من الدخلات العمودية ، وهي نوع من الزخرفة اصبحت فيما بعد طرازا تقليديا في معابد بلاد ما بين النهرين . وهناك معبد ذي مخطط مشابه وعلى مصطبة مرتفعة (في هذه الحالة من درجتين) من نفس الفترة في تل العقير . ويبدو ان زقورة اور الشهيرة (انظر اللوحة ٣أ) تعود باصولها الى فترة اوروك . ويمكن الاستفادة كثيرا في الاستدلال على اول ظهور مثل هذه الابنية ليس من بقايا الاسس فحسب بل من كسر من نماذج حجرية للابنية وجدت في الوركاء ايضا .

وهناك عدد من المعابد الاخرى في مدينة الوركاء من دور اوروك الطبقة الرابعة والطبقة الثالثة والثانية (دور جمدة نصر) غير ان ما هو معروف عن العبادة الحقيقة في هذه الفترة قليل جدا . وكان مخطط احد المعابد المهمة عبارة عن بناية ذي مخطط صليبي من الداخل مع ثلاث غرف مقدسة عند رأس الصليب قد تشير الى نوع من العبادة الثلاثية من الالهة ولم يكشف هنا عن نوع مذبح او مصطبة للقرابين او قاعدة الكاهن وقد اشار الدكتور هـ . لنزن ان المعابد وجدت خلال فترة اوروك المتأخرة مزدوجة وهذا يشير الى عبادة زوج مقدس

(من الالهة) . وخلال جميع العصور التاريخية كانت الالهة الرئيسة والمهمة في مدينة الوركاء هي انِّن Innin التي ورد اسمها ايضا على هيئة انّنا Inanna (ولعله من اشتقاق مخطوء) الذي يعني في اللغة السومرية «سيدة السماء» ولا يعرف هل استعملت احدى هاتين التسميتين في عهد اوروك ام لا . وفي العهود التاريخية تظهر هذه الالهة مع ابيها آن او آنو ، ولكن غالبا مع دموزي (تموز المذكور في سفر حزقيال اصحاح ٨:١٤ ، انظر ادناه صفحة ٤٠٦ وما بعدها) من آلهة العالم السفلي والمشهور بانه اله الخضرة منذ ازمنة سحيقة . وعلى الرغم من ان الاسم بشكله دموزي لم يرد بالتأكيد الا في الالف الثالث قبل الميلاد الا ان هناك الها للخصوبة يحمل صفاته نفسها كان مركز عبادة منذ ازمنة سابقة جدا . لذا فانه من الممكن جدا ان الزوج المقدس الذي عبد في الوركاء في اواخر طور اوروك كان يتألف من الهي الخصوبة اللذين عرفا فيما بعد باسم دموزي وانن على الأقل .

ومهما يكن ، فعلى الرغم من انه يمكن معرفة بعض الشيء عن الديانة المعاصرة في فترة اوروك من طرز المعابد المعمارية وكذلك من تقاليد الدفن غير ان هذه لم تعد منذ اواخر هذه الفترة المصدر الرئيس فقط . حيث يمكننا ايضا معرفة بعض الشيء من ابتكار اخر يعود الى سكان اوروك ونعني بذلك الاختام الاسطوانية . وهذا الابتكار ، الذي عم استعماله في بلاد ما بين النهرين فيما بعد ، سبق ابتكار الكتابة . وبالمصطلح الاثاري الدقيق فان اصوله ترقى الى فترة الطبقة الخامسة من اوروك . وقد بدأت انئذ الاستعاضة عن الختم المنبسط المعروف منذ طور حلف بالابتكار الجديد وكان الختم الاسطواني ، وهو على شكل اسطوانة صغيرة من حجر ثمين لا يتجاوز حجمه غالبا حجم ابهام اليد ينقش بالحفر باشكال يمكن ان تطبع على الطين الطري عند دحرجته عليه . وكمثال على ذلك من العهود المتأخرة انظر لوحة ٢٧أ و٥٠أ وب . وكان الغرض الاصلي منه هو للمحافظة على الممتلكات ، فكانت المواد الثمينة توضع في اناء وتغطى فوهته بقطعة من القماش او الجلد وتشد بالحبل . وكان الحبل يغطى بقطعة من الطين ثم تدحرج عليه نقوش الختم . وبهذه الطريقة فان التأثير السحري للمناظر الدينية والطقوسية والاسطورية المنقوشة على الختم كانت ، كما كان الاعتقاد ، توضع على الاناء : كما ان ذلك جعل من المستحيل العبث بالاناء بدون معرفة المالك ، وربما كان الاعتبار الاخير اعتبارا ثانويا . ويبدو ان ابتكار الختم الاسطواني كان في مدينة الوركاء نفسها . طالما لم يعثر في اي موقع اخر من طور اوروك على مثل هذه الاختام قبل فترة جمدة نصر .

وعلى الرغم من ان المناظر على الاختام الاسطوانية من طبقة **اوروك** الخامسة والرابعة تعطي مؤشرات خاصة بالديانة المعاصرة ، الا انه ليس من السهل ان تقرر ما هي المعاني الحقيقية لتلك المناظر . فقد مثلت الحيوانات غالبا ، وفي بعض الحالات لابد انها كانت رموزا دينية . لذا ، فهناك مثلا ختم نقش عليه وعلان كبيران وافاع مجدولة ونسر باجنحة مفتوحة والكل يظهر بمنظر اعلامي ، وان ذلك لا يمكن ان يمثل منظرا حقيقيا . ولعل اكثر المشاهد شيوعا هو مشهد نبات وعلى جانبيه حيوانان متقابلان كل واحد منهما على جانب ويؤخذ هذا المشهد بصورة عامة على انه يرمز الى فعالية الاله دموزي الخاصة بالخصوبة ، الذي تعود اليه بقية الرموز المذكورة . ويظهر ايضا رمز الالهة الام . وعلى اختام اخرى من الفترة نفسها هناك تمثيل لمشاهد طقوسية تشمل قرابين من الفواكه والمخضرات او اللحوم الى الالهة او فعاليات خاصة بالاشخاص والقطعان المقدسة لدى الالهة .

ويأتي طور **جمدة نصر** الذي يقابل الطبقة الثالثة والثانية في الوركاء كما يسمى غالبا ، بعد طور **اوروك** الذي وجدت فيه الكتابة لاول مرة مباشرة ، ومعظم العلماء يعتبر هذا الطور استمرارا مباشرا للطور السابق . وكان هذا العهد عهد انتشار حضاري . ففي جنوبي ما بين النهرين (بلاد بابل) كان النمو من القرى الى المدن قد بدأ في اقصى جنوب البلاد (بلاد سومر) منذ طور **العبيد** فصاعدا ، كما يمكن ملاحظة ذلك من اريدو ، اور والوركاء . وفي فترة **اوروك** كان هذا التطور واضحا في بلاد سومر . ومع هذا يبدو ان مدينة الوركاء نفسها كانت تمثل حتى عهد **اوروك** الطبقة الرابعة ، الحدود الشمالية لهذا التطور : اما في وسط وشمالي بلاد بابل فقد استمرت المجتمعات (مع بعض الاستثناءات القليلة) تعيش في قرى صغيرة . وفي فترة **جمدة نصر** تغير هذا الوضع ، وربما كان نتيجة بعض التحسينات في اساليب الري ، وبدأت المدن تنمو كذلك وسط وشمال بلاد بابل . ومن الامثلة البارزة على ذلك نيبور وكيش واشنونا (على نهر ديالى) كما كشف عن معبد من طراز طور **جمدة نصر** شمالا في تل براك على الخابور . وحيث ان المواقع المعاصرة في شمال بلاد ما بين النهرين لا تشير الى اثار فخار **جمدة نصر** فانه يبدو ان اثار تل براك ربما تعود الى مستعمرة انتقلت من الجنوب اكثر من كونها نتيجة انتشار حضاري بمعناه العام .

وفي هذه الفترة هناك بعض الادلة على تأثير بلاد ما بين النهرين الثقافي على مصر . فمن الامور ذات الاهمية هي حقيقة وجود الاختام الاسطوانية (وهي

ابتكار خاص ببلاد ما بين النهرين) الى جانب بعض اساليب البناء بالآجر الغريبة على مصر ولكنها من مميزات ثقافة **جمدة نصر** .وفي هذه الفترة ايضا يلاحظ تمثيل بعض طرز وقطع بلاد ما بين النهرين في الفن في مصر . ومن الأمثلة الواضحة قارب على طراز صناعة بلاد ما بين النهرين وجد منحوتا على مقبض سكين (انظر لوحة ٤أ وقارن التقارب في لوحة ٢ب و٣٣ب) . وهناك بعض الابنية المصرية الغريبة التي قد تشير الى تأثير بلاد ما بين النهرين على حين اخذ لمصريون بالتأكيد مبادىء الكتابة (وليس الاسلوب) من بلاد ما بين النهرين ويحتمل ان نقطة الاحتكاك التي التقى بها السومريون (على افتراض ان السومريين كانوا اصحاب ثقافة **جمدة نصر**) والمصريون في هذه الفترة كانت سوريا غير ان هناك اعتراضات اثارية على هذا التفسير ولعل الاعتراض الرئيس هو انه لم يعثر على اي تأثير مصري او عراقي في سوريا في هذه الفترة والذي يتوقع وجوده استنادا الى هذه النظرية . لذا فمن المحتمل ان تجار مصر والعراق قد التقوا في ذلك الوقت اما على سواحل الجزيرة العربية الجنوبية او ساحل بلاد لصومال. ولعل ذلك كان لطلب البخور الضرورية للطقوس الدينية .

وقد اثر الانتشار الحضاري في فترة **جمدة نصر** ايضا على الاقاليم في شرقي وشمالي العراق . فقد عثر على رقم طينية توضح تأثيرات العراق في هذه الفترة في سوسا وسيالك في ايران على حين عثر على اختام اسطوانية بعيدا حتى مدينة طروادة وفي موقع (تبة حصار) قرب الزاوية الجنوبية الشرقية من بحر قزوين .

اما في جنوبي العراق نفسه فان الاختام الاسطوانية ، التي اصبحت اكثر وفرة ، تزود بمعلومات مصورة اكمل عن الطقوس مما هو متيسر عن الفترة السابقة ، رغم ان تفسير هذه المعلومات ما يزال موضع نقاش . وان النقطة الرئيسية في هذا الصدد هو مدى كون الاله دّموزي ، او بالاحرى الشكل السابق لاله الخصوبة والرعي ، محورا اساساً . اما الالهة انّن الهة الخصوبة المؤنثة وبصورة خاصة الهة مدينة الوركاء ، فقد مثلت الان بالتأكيد على الاختام ، ليس بشكلها المجسم (كما كانت دمى الالهة ــ الام من الفترات السابقة) ولكن بواسطة الرموز التي عرفت في العصور التاريخية بارتباطها بها .

واضافة الى الاعداد الكبيرة من الاختام الاسطوانية من فترة **جمدة نصر** ، فهناك عدد من اللقى الاثرية الاكبر حجما ، التي تحمل مشاهد نحتت عليها يمكن بواسطتها التعرف على الدين في هذه الأزمنة القديمة والنفوذ اليها من خلالها . ومن الاثار ذات الاهمية الكبيرة بهذا الخصوص اناء من الرخام طوله اكثر من ثلاثة اقدام من مدينة الوركاء ، وقد نحت عليه نحتا بارزا باربعة افاريز

افقية تتناقص بالحجم من الاعلى الى الاسفل (انظر لوحة ٨أ) يصور الصفين السفليين سنابل شعير واشجار نخيل واغنام ووعول ، اي النباتات والحيوانات التي اعتمد عليها الانسان المتحضر التي تظهر خلالها الهة الخصب افضالها ، ويمثل الصف الثالث رجالا عراة بما يتلائم والمتعبد امام الاله يجلبون القرابين الى الالهة ، والصف الاعلى والاعرض من النحت يمثل الالهة ، او كاهنة تمثل الالهة ،واقفة مرتدية رداء وغطاء رأس غريب امام الرموز المعروفة في الفترات التالية بانها كانت تمثل آلهة الخصوبة أنّن . والالهة او ممثلتها (اذا ما اخذ الشكل على هذا النحو) تستلم سلة من الفاكهة ، وخلفها هدايا اخرى وقد فسرت جميع هذه الافاريز على انها ذات علاقة بالزواج المقدس في عيد رأس السنة (انظر ادناه ، صفحة ٤١١ وما بعد) الذي اعتمدت عليه خصوبة البلاد وفي حين يثير هذا التفسير الخاص للمناظر بعض التساؤلات فمما لا شك فيه ان الموضوع العام ذو علاقة بطقوس الخصوبة .

ويصدق نفس الشيء على نوع المنظر المنحوت نحتا بارزا على حوض من الحجر من فترة **جمدة نصر** (انظر لوحة ٩أ) : فهنا يمثل الكوخ مكانا للطقوس المقدسة للالهة أنّن او هيئتها السابقة حيث ان المواد التي تظهر على جانبي الكوخ وتلك في اقصى يمين النحت البارز هي رموز الهة الخصوبة . وربما كان المنظر بأكمله ذا علاقة بطقوس غايتها منح الخصوبة الى الناس .

اما بالنسبة للحضارة المادية لهذه الفترة ، فاننا لا نعرف منها الكثير وذلك لان التنقيبات الخاصة بهذه الفترة قد جرت في مناطق المعابد . في حين يكون احتمال العثور على الالات والادوات المنزلية بكميات اكثر في الاحياء الخاصة بالحرف والسكن من المدن . وكانت انواع المعادن المستخدمة انئذ اكثر تنوعا وشملت الذهب والفضة والرصاص والنحاس . كما يقال انه عثر على كسرة لآلة من الحديد ولكن ليس هناك اي معلومات اخرى عنها . وضمت الاسلحة القوس والقضيب والرمح : وقد عثر على رأس رمح من النحاس من هذه الفترة في اور . وعلى سكين خنجر من النحاس في فارة .

ومن المواد المعدنية الاخرى المكتشفة من هذه الفترة ما يصفه A.L. Perkins (The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia, -Chicago- 1940-. p. 48) بانه ملعقتان صغيرتان من النحاس بمقابض طويلة (لعلها للتزيين) وقد لوى مقبض احداها على شكل سلسلة ، وكذلك آلتين ثقيلتين على شكل شوكة مثبتة الى مقبض خشبي . كما عثر على صنارات ومسامير وازاميل وبعض الالات المختلفة التي لا يمكن تشخيصها ، وكلها مصنوع من النحاس كما استخدم النحاس ايضا لصناعة الاواني ، وغالبا المفلطحة منها .

وكان القماش المنسوج مستعملا في هذه الفترة ، حيث وجدت اثاره على تميمة من النحاس تمثل حيوانا .

ان هذا الموجز لفترة **اوروك وجمدة نصر** (التي تعرف عادة بالعهد الشبيه بالكتابي) تخص التطورات التي كان اصلها في جنوبي البلاد ، اي بما عرف فيما بعد بسومر وجزء من اكد . ومن الواضح انه لم يكن للشمال دور اساس في هذا التقدم الكبير الذي وصل الى هناك اما عن طريق الاستعمار (كما هي الحال كما يبدو في تل براك ، الموقع الشمالي الوحيد الذي يشير الى علاقة وثقى مع الجنوب في هذه الفترة) او باسلوب ابطأ عن طريق انتشار الثقافة . ولم تظهر الكتابة خلال هذه الفترة في اي موقع شمالي ديالى ، في حين لم يعثر على الفخار من النوع المعروف **بجمدة نصر** .

ويبدو غريبا ان حضارة **جمدة نصر** بينما وصلت الى مصر وايران ، تكاد لا تصل الى شمالي العراق . ولعل تفسير ذلك انه كان هناك ثقافة منافسة (رغم انها اقل تقدما) في الشمال ، حيث وجد في هذه الفترة فخار متميز انتشر في الشمال ولكن لم يعثر عليه في الجنوب اطلاقا (ربما باستثناء حالتين فقط) . اضافة الى ذلك ، فانه يبدو ان نموذج الدين في الشمال كان يختلف عنه في الجنوب حيث ان وجود عدد من المذابح في المواقع في الشمال يشير الى وجود مجموعة من الالهة وليس كما هو مفترض في الوركاء الى زوج مقدس .

ومن الحقائق المهمة ان احد المعابد («المعبد الغربي» ، من الطبقة VIII C) في تبة كورا ، احد المواقع الشمالية الرئيسة ، قد استخدم فيما بعد لاغراض دنيوية كمخزن . ويبدو ان تلك هي حادثة وحيدة في تاريخ ديانة بلاد ما بين النهرين . وقد تشير الى ان ملكية تبة كورا قد انتقلت من ايدي مجموعة من السكان الى مجموعة اخرى وقد كانت تقاليدها الدينية مختلفة على الرغم من ان ثقافتها المادية كانت مشابهة لسابقتها ، لذا فقد انتهكت ودنست وعن قصد البناية التي ترتبط بالطقوس المحتقرة .

اعقب العهد الشبيه بالكتابي Proto-Literate فترة تعرف عادة بعصور فجر السلالات مقسمة الى ثلاثة عصور الاول والثاني والثالث (العصر الاول وفق هذا الترقيم هو اقدم العصور) ويستخدم هذا المصطلح للدلالة على الفترة التي ترعرعت فيها دويلات المدن في بلاد بابل . وتبدأ مع نهاية عصر **جمدة نصر** ، عندما بدأت الكتابة تصبح مفهومة لدينا ، وتغطي فترة اختلف في تقديرها من ثلاثة الى ستة قرون (وفي هذا الكتاب فقد اعتبرت الفترة اربعة قرون من حدود ٢٨٠٠ ق م ولغاية ٢٤٠٠ ق م) وتنتهي بظهور اول امبراطورية وهي

امبراطورية سرجون الاكدي . وفي عصور فجر السلالات تبرز اقوام تدعى بالاقوام السومرية . واليها ينسب نظام دويلات المدن .

اما بالنسبة الى اصل هذه الاقوام فهناك اراء متباينة جدا بين العلماء حول اي من الثقافات السابقة لعصور فجر السلالات تمثل اول ظهورها . وتمثل عصور فجر السلالات ازدهار ثقافة **اوروك** و**جمدة نصر** ، وحيث انه من الممكن ان نشاهد في فترة **جمدة نصر** بعض الخصائص الاقتصادية والدينية الرئيسة في الحضارة السومرية التالية ، لذا فان عددا من العلماء يرى ان ثقافة **جمدة نصر** كانت بصورة عامة سومرية . ولوجود استمرارية قوية بين ثقافتي **جمدة نصر** و**اوروك** ، تعتبر ثقافة الاخيرة ايضا سومرية بصورة عامة (مع بعض الاستثناءات) ، غير ان المنافسة الرئيسة تدور حول الفترة السابقة لذلك ، عندما تغلبت ثقافة **اوروك** على ثقافة **العبيد** . ففترة **اوروك** ، كما رأينا سابقا ، تمثل تقدما كبيرا على دور **العبيد** . ومع هذا فهناك بعض الاستمرارية في بعض الامور كطرز المعابد المعمارية وربما الطقوس . لذا فالعلماء يختلفون ، استنادا الى مدى تقويمهم للاستمرار او الانقطاع الحضاري ، فيعتبرون طور **اوروك** بانه اما يمثل مجيء السومريين وتوغلهم في بلاد متمتعة بحضارة العبيد الزاهرة او انه تطور ضمن ثقافة العبيد ، التي ينظر اليها حينذاك بأنها نفسها تمثل عملية خلق اجداد السومريين المعروفين في التاريخ . ومن النقاط التي تؤيد النظرية الاولى ان عددا من اقدم المدن السومرية التي كانت قد اسست اصلا في فترة **العبيد** تحمل اسماء غير سومرية : وكمثل على ذلك لجش او شربرلا (تل هبة حاليا) .

وهناك نظريات عديدة ، وليس هناك شيء مؤكد ، عن الموطن الاول للسومزيين . فصعوبة لغتهم الملصقة وغموضها قد دفعت بعضهم لمقارنتها ، وفي غالب الاحيان باسلوب غير علمي ، بعدد كبير من اللغات الاخرى ، من اللغة الصينية والتبتية والدرافيدية والهنغارية (كما يحلو لبعض الهواة حاليا) الى بعض اللغات البعيدة في القارة الافريقية ، ولغات الهنود الحمر في امريكا ولغات جزر الباسفيك ولم تترك لغة الباسك في هذه المقارنة ايضا . في حين ذهب احد العلماء اليهود ممن لهم اطلاع واسع ، ولكن غير مستثنى من الضعف الانساني في التعصب القومي ، فاعتبر اللغة السومرية بمستوى لغة الفولابك Volapuk[1]

---

(١) : وهي لغة ابتدعها احد الالمان عام ١٨٧٩ م في محاولة منه لجعلها لغة عالمية ، كما يشير الى ذلك اصل الكلمة الالماني Vola بمعنى «عالم» «puk» ، بمعنى «كلام» غير انها لم تلق القبول ولم تستعمل قط لهذا الغرض (المترجم) .

وقال بان اللغة السومرية لم تكن اصلا لغة طبيعية حية بل انها من صنع الكهنة البابليين الساميين . ان من المؤكد ان اللغة لا علاقة لها باللغات السامية او الهندو ــ اوربية ، وانها لغة ملصقة بتركيبها ولعلها ذات نغم . ومهما يكن من امر ، فان المعترف به حاليا انه ليس هناك ارتباط اساسي بين اللغة وبين الأجناس البشرية ، وليس هناك من بين العلماء من ذوي السمعة من يحاول ان يحل مشكلة اصل السومريين على اسس لغوية فقط . وان علم الاجناس البشرية يقدم الادلة المستندة الى بقايا الجماجم البشرية الا ان تفسير تلك الادلة ما زال موضع خلاف كبير .

ان مناقشة الموطن الاول للسومريين لابد ان يبدأ ، حتى الان ، بافتراض انه مهما كان المكان الاول الذي جاؤوا منه ، فانه لم يكن بلاد سومر . وان هناك من تحدى هذا الافتراض غير انه لم تقدم اية ادلة مقنعة لاسناده . فلم يكن في بلاد سومر في الواقع ، سكان محليون : على الرغم من ان النظرة القديمة التي تقول ان الارض لم تظهر من الخليج العربي حتى الالف الخامس تعتبر الان نظرية خاطئة ، غير ان الحقائق الاثارية ثابتة بان ليس هناك وجود لاثار ثقافة الانسان في جنوبي بلاد بابل قبل فترة اريدو ، التي يمكن تاريخها الى حوالي ٤٥٠٠ ق م ، او بعد ذلك بقليل .

اما الاتجاه الذي جاء منه السومريون ، فقد تباينت بشأنه الاراء كثيرا . فالاخبار القديمة ، التي جاءت عن طريق الاغريق ، تتحدث عن الرجل السمكة اوانس Oannes الذي خرج من الخليج وجلب معه مقومات الحضارة . وهذا يتفق مع الافكار السومرية كما نعرفها من النصوص المسمارية طالما ان اله الحكمة انكي (وسنعطيه الاسم الذي حمله في النصوص السومرية ، في حين استخدم الاسم آيا من قبل الساميين) برتبط بالمياه . اضافة الى ذلك ، فقد كان الاله انكي الاله المحلي لمدينة اريدو ، وهي مدينة قديمة تقع على ضفاف خور متفرع عن الخليج ، وقد ذكرت بانها كانت احد مواقع اول استيطان في جنوبي بلاد بابل . واستنادا الى الوثائق السومرية او المدن الخمسة التي وجدت قبل الطوفان . كل هذه الاخبار قد اخذت لتشير الى استيطان سومر من البحر من الجنوب الشرقي فصاعدا حتى الخليج العربي . اضافة الى ذلك ، فقد كانت دلمون التي يتفق الباحثون حاليا على انها البحرين ، ذات اهمية بالغة في مقومات الديانة السومرية الاولى وان هناك من يرى بانها تمثل مركزا حضاريا سومريا اقدم من اريدو . وقد يدل هذا ايضا على ان السومريين دخلوا الى بلاد ما بين النهرين عن طريق الخليج العربي . غير انه ، مع هذا ، ليس هناك اي دليل اثاري

يؤيد مثل هذا الرأي على الرغم من التنقيبات التي تجري حاليا في البحرين ولابد انها ستسفر عن نتائج حاسمة مهما كانت وجهتها .

ان الرأي السائد المعتمد على التيار العام في المآثر السومرية الادبية القديمة (وبصورة خاصة الملاحم) على العلاقات الثقافية الواسعة بين سومر وايران (وبصورة خاصة عيلام) في اواخر عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية ، هو ان السومريين جاؤا الى جنوبي بلاد بابل من الشرق او من الشمال الشرقي . وقد اعتبرت اهمية الزقورة في الديانة السومرية دليلا على ان الموطن الاول للسومريين كان في المنطقة الجبلية ، غير ان هذا الاسلوب في المناقشة مشكوك في صحته حيث ان الزقورة التي تمثل الجبل الكوني لم تكن مرتبطة بمنطقة معينة بل بعلم الكونيات الذي كان موجودا في العالم القديم ، مع اختلافات متباينة ، من مصر الى الصين .

وهناك من يحاول ان يربط بين اصل السومريين وبين حضارة وادي الهند او جنوب بلوخستان الاولى،او كلاهما. ومن المحتمل ان تكون هناك علاقة بين حضارة اقوام وادي الهند خرابا Harappa الذين لم تحل رموز كتابتهم بعد ، وبين الاقوام السابقة للاقوام الدرافيدية الهندو—آرية،الموجودة حاليا في جنوبي الهند . والنظرية التي تقول بوجود علاقة عرقية حقيقية بين السومريين وبين اقوام خرابا Harappa ذات جاذبية خاصة لاولئك الذين يحاولون ان يجدوا صلة لغوية بين اللغة السومرية واللغة الدرافيدية . وهناك دلائل قوية ، على شكل طرز فنية واشياء مادية خاصة بحضارة وجدت في المواقع الاخرى ، ولعلاقات تجارية في الالف الثالث بين السومريين واقوام وادي الهند او بلوخستان . اضافة الى ذلك ، فقد وجد تمثيل مناظر طقوسية تتضمن الثور الهندي ذا الحدبة في كل من اور وسوسا . وهذا يشير الى وجود مستعمرة تجارية هندية في جنوبي بلاد ما بين النهرين وايران كانت بحاجة الى مواساة دينها الخاص . ومن ادلة الالف الثالث هذه فقد استنتج نظرية تقول بوجود علاقة بين السومريين والدرافيدين ترجع الى فترة اوروك وتتجاوز العلاقات التجارية والثقافية الى ارتباط عرقي ولغوي ، وان هذا الرأي لهو رأي جذاب غير ان ما ينقصه في الوقت الحاضر هو الاثبات .

وهناك محاولة للجمع بين الاخبار المتواترة والادلة الاثارية لتقديم نظرية واحدة تفترض وجود موجتين من السومريين جاءتا من الشرق ، الاولى سلكت طريق البحر الى الخليج العربي والاخرى سلكت الطريق البري عبر ايران ، مع مجموعة اخرى من نفس الاقوام هاجرت بعد ذلك الى وادي الهند . ومن

المستحيل القول بشكل قاطع بانه لا يمكن ان تكون هناك حركات عرقية في هذه الاتجاهات اذ ليس هناك دليل في الوقت الحاضر لاثبات حدوثها ، حيث يمكن تفسير العلاقات الاولى مع الهند كتلك مع مصر ، على انها نتيجة علاقات تجارية ولا تدل بالضرورة على تحركات عرقية واسعة في حين ان الاصل العام للدرافيدين والسومريين او حتى العلاقات الوثيقة بينهم لا يمكن ان يقال عنها بانها جاءت من لا شيء . واكثر ما يمكن ان يستنتج باطمئنان في الوقت الحاضر هو ان السومريين جاؤوا من مكان ما شرقي بلاد بابل .(١)

اما في عصور فجر السلالات فانه من الممكن ان نعتبر انفسنا قد اجتزنا فيها فترة عصور ما قبل التاريخ الى العصور التاريخية حتى وان كانت الوثائق المكتشفة قليلة نسبيا وغالبا مبهمة التفسير . وخلال هذه الفترة تظهر دويلات المدن السومرية ذات الخصائص المتميزة وتصل الى قمة تطورها واخيرا تبدأ بالاضمحلال وتصبح الاخبار مرتبطة ليس بدويلات مدن معينة فحسب بل بشخصيات تاريخية . وقد تباينت الاراء كثيرا حول القيمة النسبية للادلة المختلفة حول هذه الفترة . ومن المؤكد ان اكثر الادلة ثقة هي الادلة الاثارية ، غير ان تفسير هذه الادلة صعب في بعض الأحيان ومفقود غالبا في النقاط الحرجة . ان الاخبار السومرية التي جاءتنا على هيئة نصوص تعرف بجداول الملوك السومرية ترقى بتاريخها في شكلها الحاضر الى بداية الالف الثاني قبل الميلاد غير انها تحوي على معلومات اقدم ، واوضح بالنسبة للسلالات التي حكمت في بلاد سومر في الالف الثالث قبل الميلاد ، على الرغم من ان المؤلف قد اخذ فكرة خاطئة وهي ان كل سلالة حكمت جميع بلاد سومر واكد بدأت وانتهت بانتصار او اندحار عسكري . وبعض التآليف الادبية السومرية الأخرى فيها اشارات الى تاريخ الالف الثالث قبل الميلاد وشخصياته اختلف في قيمتها التاريخية . اما ما جاء عن الكاهن البابلي بيروسس من القرن الثالث قبل الميلاد من خلال الاخبار الاغريقية ، فتكاد تنعدم قيمته اذا ما اخذ بشكل مستقل .

كان للسومريين ، كما كان للعبرانيين (الذين اقتبسوا القصة من بابل) ، قصة للطوفان . فتذكر جداول الملوك السومرية وجود خمسة مدن قبل الطوفان هي : اريدو ، بادتبيرا ، لاراك ، سبار ، وشروباك . وكانت اريدو بالتأكيد ، كما

---

(١) : من الاراء التي قيلت بشأن الموطن الاول للسومريين ان السومريين كانوا يعيشون اصلا في جهة ما من وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ ثم استقروا في السهل الرسوبي في حدود الالف الخامس قبل الميلاد او بعد ذلك بزمن قليل . (طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ١٩٧٣ ، صفحة ٦٢ — ٦٣) (المترجم) .

رآينا سابقا ، ذات اهمية تاريخية كبيرة في حين يحتمل ان يعود تاريخ شروباك الى دور **العبيد** . اما سبار فكان البحث فيها عن الرقم الطينية اكثر من اجراء تنقيبات اثرية علمية ، لذا فليس هناك معلومات اكيدة عن طبقاتها السفلى . اما لاراك ، فلم تشخص بعد كما لم ينقب بعد في مدينة بادتبيرا . ومن المحتمل انها تل مدينة حاليا ، ويبدأ نص جداول الملوك السومرية الخاص بهذه المدن : «عندما هبطت الملكية من السماء كانت الملكية في اريدو . وفي اريدو اصبح الولم ملكا وحكم ٢٨٨٠٠ سنة . وحكم الالكار ٣٦٠٠٠ سنة . ملكان حكما ٦٨٨٠٠ سنة . اترك موضوع اريدو ، حيث انتقلت ملوكيتها الى بادتبيرا » ...

ويستمر الحديث على هذا النحو . وكان احد ملوك بادتبيرا «دموزي الراعي» الذي حكم ٣٦٠٠٠ سنة . غير ان العلاقة بين هذا الحاكم الغامض وبين اله الخصب والرعي الذي يحمل الاسم نفسه غامضة . والواضح ان اله الخصب والرعي كان قد عبد قبل ان يطلق اسم دموزي كاسم رئيس له بفترة طويلة . وفي نهاية الحديث عن المدن الخمسة التي سبقت الطوفان ، توجز جداول الملوك القول :

«كانت خمسة مدن . ثمانية ملوك حكموا ٢٤١٠٠٠ سنة ثم حدث الطوفان» .

ومن الجدير بالاشارة هنا ان الجزء الاول من هذه الاخبار الخاص بمدينة اريدو لعله يعود الى فترة تسبق عصور فجر السلالات كثيرا كما ثبتناها آنفا . ويبدو هذا الاستنتاج ضروريا من الادلة الاثارية التي تشير الى انه لم يكن هناك استيطان مهم في اريدو بعد دور **اوروك** بينما كان الاستيطان بسيطا جدا بعد دور **العبيد** .

وكانت اول سلالتين بعد الطوفان ، عندما هبطت الملكية من السماء هي ، استنادا الى جداول الملوك السومريين ، سلالتي كيش في شمال بلاد بابل والوركاء في الجنوب . وتوضح الادلة الاثارية هذا التغيير المزعوم من اريدو ، اقدم مدينة ، الى الوركاء كاحد مراكز الحضارة الاساسية في الجنوب حيث ان اريدو كانت قد هجرت فعلا قبل عصور فجر السلالات بفترة طويلة. ولعل ذلك بسبب زيادة ملوحة الارض كنتيجة لفساد نظام الري . وينعكس هذا التغيير من اريدو الى الوركاء كمركز للحضارة في الجنوب في اسطورة قديمة . فاستنادا الى هذه الاسطورة ذهبت انَّن ، آلهة مدينة الوركاء ، الى ابسو **Apsu** مقام ابيها انكي في اريدو ، حيث اقام لها انكي وليمة مناسبة . وبعد ان شرب انكي من

نبيذه الجيد الخاص بحرية وعلى الاسلوب السومري ، اصبح مملوءا بالكرم فانعم على انّن باكثر من مائة هدية تضم جميع المقومات الرئيسة للحضارة السومرية وتشمل امورا كالملكية والعدالة والحقيقة والزور والبغاء المقدس والموسيقى وعددا من الحرف والحكمة والمعرفة . وقد وضعتهم انّن في قارب وتمكنت من ايصال الهدايا الثمينة الى الوركاء بسلام على الرغم من محاولات انكي النادم لاسترجاع هداياه بعد ان فاق من سكره .

وكانت الوركاء كما يستدل من الاثار ، مدينة ذات اهمية كبيرة في العهد الشبية بالكتابي ، غير ان الادلة المتوفرة تعطينا الخطوط العامة فقط . وان من الممكن لحسن الحظ ، رسم صورة تقريبية على الاقل للحوادث الحقيقية في الوركاء في عصور فجر السلالات ، والى درجة ما في المناطق الاخرى من بلاد ما بين النهرين . ويعود الفضل في ذلك الى حقيقة ظهور مدرسة من كتاب الملاحم في الوركاء جسدت ملاحمهم ، المعروفة لدينا من نسخ كتبت في بداية الالف الثاني قبل الميلاد ، وبشكل اقل تجريدا من جداول الملوك السومرية ، اخبار المدينة وحكامها . وتعود اخبار هذه الملاحم الى عصر فجر السلالات الثاني او بداية عصر فجر السلالات الثالث .

ومن المصادر الادبية الاخرى ، على الرغم من الغموض الذي يكتنفها ، والتي تعود الى فترة سابقة لذلك ، هي الاساطير ، وهي قصص نسجت حول تصرفات ومآثر الالهة ، التي يظن انها تعكس الحياة الاجتماعية لتلك الفترة ، عندما تبلور المجتمع السومري في دويلة المدن ، اي حسب المصطلحات الاثارية ، الى عصر فجر السلالات الاول او حتى في دور **جمدة نصر** (اواخر العهد الشبيه بالكتابي) .

وقد استعان جاكوبسون من جامعة شيكاغو بهذه الملاحم والاساطير مع الادلة الاثارية المتوفرة لتقديم دراستين قيمتين لاعطاء صورة للنظام السياسي والاجتماعي والتطورات في بلاد سومر في عصور فجر السلالات . وهناك للاسف تقليعات في دراسة المجتمعات القديمة كما في غيرها ، لذا فان رأي جاكوبسون حول المجتمع السومري في عصر فجر السلالات الذي ظل سائدا لعقدين من السنين تقريبا دون اي تحدي ، باستثناء الانتقادات الذكية التي اثارها فلكنشتاين والتي يتطلب معها تعديل جاكوبسون لرأيه الاول الى درجة ما ، يفترض انه اصبح باطلا الان على الرغم من انه لم يقم احد بتفنيد رأيه بشكل كامل ولم تظهر اية ادلة جديدة ذات قيمة . لذا فقد اخذ هنا بالخطوط العامة لرأي جاكوبسون .

فاستنادا الى رأي جاكوبسون Jacobsen كانت السلطة العليا في اقدم مجتمع سومري بيد مجلس عام يضم جميع المواطنين ـ ولعله ضم النساء والرجال ـ يجتمع ليقرر ما يجب عمله في الحالات الطارئة والتي تنذر بالخطر . وكان لكل مواطن حق الكلام . غير ان رأي بعضهم ، لاسيما الرجال المسنين ، كان طبيعيا اكثر وزنا من رأي الاخرين . وكان النقاش يستمر حتى يتم الوصول الى قرار نهائي وبالاجماع ، حيث لم يكن هناك اسلوب اخذ رأي الاغلبية . وكان القرار النهائي يعلن عادة من قبل مجموعة صغيرة تدعى ، مشرعي القانون ، (وقد قام العالم الانثروبولوجي K.C. Rosser بدراسة التكوين الاجتماعي في قرية في جبال هملايا ووجد هناك اسلوبا مماثلا للوصول الى اتخاذ القرارات يطابق تقريبا الاسلوب الذي اقترحه جاكوبسون للمجتمعات السومرية القديمة) .

ومن بين القرارات التي كان على المجلس اتخاذها باستمرار هو اختيار موظف يدعى بالسومرية إن En وهي كلمة اصبحت تعني فيما بعد «السيد» وكان هذا الشخص في بداية عصور فجر السلالات موظفا دينيا بالدرجة الاولى باعتباره زوجا لاله المدينة (ذكرا كان ام انثى استنادا الى ما اذا كان اله المدينة ذكرا ام انثى) ويعيش في مكان مقدس يدعى **راكيبار Egipar** (في الاكدية **كبار Giparu**) ملحقا بالمعبد .

وكان الـ «إن» في بداية الامر يلعب دورا اساسا في الزواج المقدس الذي اعتمدت عليه خصوبة دويلة المدينة . وفي المدن التي كان فيها الـ «إن» ذكرا (كمدينة الوركاء) اعطى عمل الـ «إن» . الاداري الثاني ، الذي يرتبط باراضي المعبد ، اهمية سياسية كبيرة حتى اصبح الحاكم الحقيقي في بعض الاحيان . ولعل الـ «إن» جلجامش احسن مثل على ذلك (انظر ادناه ص ٥٧ و ٤١٩) .

ومنذ وقت مبكر ، حدث انقسام بين اعمال الـ «إن» الكهنوتية والدنيوية . ومنذ منتصف عصر فجر السلالات اقام الـ «إن» في قصر خاص به . وما لبث ان اصبح له حاشية كبيرة شملت الكتبة والطباخين والسقاة والحرفيين والموسيقيين وغيرهم من اصناف حاشية البلاط المعتادة . وفي بداية عصور فجر السلالات لم يعد الـ «إن» الحاكم الحقيقي في المدينة ، كما توضح ذلك نصوص مدينة لجش ، بل اصبح موظفا يحمل لقب **انس Ensi** (انظر ادناه صفحة ٤٤) الذي كان اصلا يعني بالعمليات الزراعية وانيطت الواجبات الدينية بكاهن او كاهنة خاصة .

اما في حالات الهجوم من الخارج ، فكان على المجلس ان يجتمع ليختار له قائدا حربيا او ملكا (بالسومرية **لوكال Lugal** وتعني حرفيا ، «الرجل الكبير» او «رب البيت») ولم يكن مقامه في المعبد ، ويمكن اعتباره موظفا دنيويا في الاصل . ولم تكن وظيفة الـ «**ان**» او الـ «لوكال» في الاصل وراثية او دائمية ، او على اقل تقدير كانت وظيفة «**لوكال**» تعهد لفترة الطوارىء فقط .

ويرى جاكوبسون ان هذا الاسلوب الذي اطلق عليه «الديمقراطية البدائية» قد انتشر اخيرا من دويلة المدينة الى بلاد سومر حيث اعتبر نظاما سياسيا قائما ، وترتكز مناقشة جاكوبسون بشكل رئيس على وضع مدينة نيبور ، مقر الاله انليل الغريب في العصور التالية لذلك . حيث كان لابد لهذه المدينة في العهود المبكرة من تطور الحضارة السومرية اهمية خاصة طالما ان ملوك دويلات المدن المختلفة خلال العصور السومرية كانوا يستمدون سلطتهم بالدرجة الاولى لا من اعتراف اله مدينتهم الخاص بل من اعتراف الاله انليل اله مدينة نيبور . كذلك فمن المحتمل ان الكلمة السومرية لبلاد «سومر» كانت تعني اصلا «نيبور» . وكان بالامكان تفسير هذه الحقائق بسهولة لو كان لمدينة نيبور في العهود الاولى سيطرة على بلاد سومر باكملها . غير انه ليس هناك اي دليل على هذا الوضع لا في الاخبار ولا بين الادلة الاثارية . لذا فان الاعتقاد هو ان مدينة نيبور قد اكتسبت هذا الموكز الخاص باعتبارها كانت في عهود مبكوة جدا مكانا مقدسا تلوذ اليه الشخصيات السومرية من جميع المدن لانتخاب قائد عسكري في حالات الطوارىء ومثل هذه المرحلة من تطور التنظيمات السياسية معروف في بعض الحضارات الاخرى . اما التاريخ الذي يحتمل ان حدث فيه ذلك في بلاذ سومر فلابد انه كان بعد ارتفاع شأن نيبور كمدينة كبيرة . وكان ذلك في دور **جمدة نصر** وليس بعد عصر فجر السلالات الثاني عندما انتشر استخدام اسوار المدن الذي يمكن ان يشير الى ان المدن السومرية كانت في حالة عداء مع بعضها البعض ، او على الاقل كانت تقوم كل على انفراد باتخاذ الاحتياطات الدفاعية اللازمة ضعد اي اعتداء خارجي . ويعزى جاكوبسون تشكيل عصبة نيبور المفترضة الى ضغط الاقوام السامية الغازية التي اتجهت ، بسبب عملية الاتفاق هذه ، نحو الشمال الذي كان اقل تحصينا . ولتأييد هذه النظرية ، فهناك ادلة كثيرة على استيطان الاكديين (الساميين) في منطقة ديالى منذ عصر فجر السلالات الثاني فما بعد ولعل هذه الموجة من الساميين قد ظهرت لاول مرة في بلاد بابل في عصر فجر السلالات الاول .

ويشير جاكوبسون الى ان الـ «**ان**» او الـ «**لوكال**» بعد تعينه لابد انه حاول

الاستمرار بمركزه الذي عهد اليه بشكل مؤقت حتى بعد زوال حالة الطوارىء وان الاتجاه اصبح ان يعهد باعمال الـ «ان» والـ «لوكال» الى الشخص نفسه . وتصور هذا الميل لنمو الملكية الدائمة اسطورة خاصة بالاله المحارب ننورتا حيث تصوره الاسطورة محتفظا بقوات عسكرية دائمية يستخدمها للاغارة على المناطق الخارجة عن حدود الدولة ، في حين كان يقبل ان يشغل منصب مقوم الاخطاء داخل الدولة . كما انه لا يسامح اي منازع له عندما تجتمع النباتات ، كما تصور الاسطورة ، في مجلس لانتخاب ملك لها ، فيدمر الآله ننورتا منافسة المحتمل في المعركة ويقضي على المعارضة .

ومع ذلك ، لم يكن الـ «ان» او الـ «لوكال» حاكما مطلقا حتى بعد ان جعل وظيفته دائمية . فجلجامش مثلا ، «ان» مدينة الوركاء القوي الاسطوري ، عندما اراد ان يخوض الحرب مع اجا حاكم مدينة كيش استشار المسنين اول الامر ، الذين وصفوا بأنهم المستشارين ولعلهم كانوا رؤساء الاسر . وعندما عارضه هؤلاء لم يقم جلجامش بتنفيذ الخطوات المرسومة الا بعد ان دعى للانعقاد مجلسا عاما ضم جميع الذكور من المواطنين (حيث لم تعد النساء لتشارك في المجلس انذاك) وحصل على موافقتهم .

وهذه المرحلة التي كان فيها الـ «ان» حاكما دائميا ليس مطلقا يمكن نسبتها الى عصر فجر السلالات الثاني او بداية عصر فجر السلالات الثالث التي تعود اليها معظم الملاحم السومرية . فالاساطير تدور حول الالهة اما الملاحم فتختص بالابطال من البشر او ممن كان جزءا منهم من البشر كانمركار Enmerkar وجلجامش . وتتحدث احدى هذه القصص ، مع الاعتراف بغموضها المؤسف ، عن تجارة في هذه الفترة المبكرة بين الوركاء ومدينة في جبال لورستان (غربي ايران) . فقد اراد انمركار «ان» مدينة الوركاء ، ان يبني ويزين بالازورد مقاما لالهته الخامية انّن : وكانت هي ايضا عمته الكبرى . وان وجود علاقة قربى قوية بين البطل والالهة العظيمة يشير الى ان القصة تعود الى الفترة الاولى من عهد الملاحم . ولتأكيد قصدة الديني ، فقد ارسل انمركار الى حاكم مدينة اراتا Arrata التي تقع الى الشرق وراء سبع سلاسل جبلية ، طالبا ارسال اللازورد والخشب ومرسلا له قافلة من الحمير محملة بالشعير الذي تنتجه بوفرة ارض بلاد سومر : وكان منظر خط القافلة المتعرج خلال الجبال اشبه بخط من النمل وهي خارجة من بيوتها . وقد ادعى ان مدينة اراتا ايضا انه كان تحت حماية الالهة انّن . لذا فان القصيدة تعكس اخبار ثقافة دينية واقتصادية عامة كانت تسود جميع ارجاء المنطقة من الفرات الى جبال ايران .

وهذا رأي تثبته الادلة الاثارية للاثار الحضارية لهذه المنطقة في تلك الفترة . ولعل من المهم ان الحرب المنظمة لم ينظر اليها بانها الحل الأخير في النزاع الذي نشأ بين انمركار«وإن» اراتا وهذا ايضا يتفق والادلة الاثارية ، طالما ان تحسين المدن وما يعقبه من وجود منازعات عسكرية بين المدن المختلفة لم يصبح تقليدا عاما حتى عصر فجر السلالات الثاني . وقد نسب هذا التطور بالذات في ملحمة اخرى الى جلجامش خليفة انمركار الثالث ، الذي بني سور الوركاء الخارجي الكبير . وعلى الرغم من ان حدود الوركاء كانت استنادا الى الملاحم قد هاجمها الساميون الرحل منذ عهد انمركار الا ان حروب الحصار بين المدن حدث لاول مرة في عهد جلجامش : ان الظروف الحقيقية لذلك ، كما تذكر ملحمة اخرى ان مدينة جلجامش المسوّرة كانت قد هاجمها اجا ملك كيش .

وكانت مدينة كيش ، استنادا الى جداول الملوك السومرية ، مقرا لاول سلالة في شمال بلاد بابل بعد الطوفان . وقد اجريت التنقيبات في هذه المدينة حتى الأرض البكر،وباستثناء بعض بقايا العصر الحجري الحديث التي يمكن نسبتها الى اي من ثقافات بلاد ما بين النهرين المبكرة ، فان اول دور للسكنى فيها كان في دور **جمدة نصر** وكان موقع العصر الحجري الحديث قد سكن ثانية في تلك الفترة ، ربما خلال فترة انتشار السومريين الذي اعقب التقدم التقني في دور **اوروك** بالرغم من ان الملاحظ ان خلفيات الثقافة في كيش لم تكن سومرية بحتة . كما ان اسماء بعض حكام كيش الاوائل كانت اسماء سامية ، في حين تشير بعض الخصائص الفنية والمعمارية في المدينة الى تقاليد تختلف عما هو موجود في المدن الجنوبية . ويمكن تفسير هذه الحقائق اذا افترضنا وجود موجة سامية في اواخر عصر **جمدة نصر**تسللت من شبه الجزيرة العربية او سوريا واتخذت كيش وماري (على الفرات الاوسط حيث يوجد ادلة مماثلة) كمراكز رئيسة لها . وقد ورد فعلا ذكر مثل هؤلاء الغزاة الساميين في ادب الملاحم ، حيث يلاحظ ان انمركار «إن» الوركاء قد واجه ضغطا شديدا من مارتو Martu (وهو تعبير سومري للدلالة على جماعة من الساميين الأوائل القادمين من الغرب) الذين غزوا البلاد . ومهما يكن من امر ، فان هؤلاء الغزاة الساميين انطبعوا بسرعة بالطابع السومري نتيجة اتصالهم بسكان البلاد الاكثر تحضرا ، حتى ان اسماء معظم حكام كيش المتأخرين كانت سومرية . وتعكس لنا اسطورة سومرية فترة التمازج العرقي هذه ، وربما كذلك احتقار سكان

المدن السومرية ذات الحياة المعقدة للاقوام البربرية المتنقلة التي كانت تتغلغل في البلاد والتي قدر لها ان ترث حضارتهم . ففي هذه الاسطورة يطلب اله مارتو الذي يحمل الاسم الذي عرف به الساميون الرحل ، يد بنت من كازاللو Kazallu (وهي مدينة سومرية في الشمال) للزواج . وقد دفع كذلك احد اقرباء الفتاة ان يبين لها بأن مارتو «يأكل اللحم نيئا وليس له بيت طوال حياته ، وبعد موته ، يترك بدون دفن» غير ان ذلك لم يمنع الفتاة من اتمام الزواج الذي يمثل تمازج الاجناس .

وكانت مدينة كيش بالتأكيد اهم مركز في شمال بلاد بابل في عصور فجر السلالات وما بعد ذلك وقد ظل اسمها حيا عندما لم تعد عاصمة لسلالة مستقلة بين القاب اي حاكم يدعي السيطرة على جميع بلاد بابل .

ويرى جاكوبسون ان اجا ، ملك كيش ، كان انذاك في موقع مكّنه من بسط نوع من السيطرة على بعض دويلات المدن في الجنوب ، وان في الحرب بين اجا وجلجامش كان الثاني عبارة عن تابع ثائر ومن الممكن توقع حدوث محاولات وحدة سياسية اكبر من دويلة المدينة كنتيجة لنمو السلطات الملكية . فقد يقوم الملك بتعيين تابعين له في المدن المختلفة يقدمون له ، وليس للمدينة التي يعملون بها ، الطاعة والولاء . وهناك بعض الادلة التي تؤيد هذا الرأي في تسلسل الاحداث مستمدة من الوثائق الاقتصادية المعاصرة ، التي اصبحت مفهومة لدينا الى درجة ما اعتبارا من بداية عصر فجر السلالات الثالث (الذي ينسب اليه جلجامش واجا او الى الفترة السابقة له مباشرة وهي عصر فجر السلالات الثاني) وواضحة الى درجة تكفي لان تزودنا ببعض المعلومات التفصيلية عن الحياة المعاصرة بها .

وقد عثر على الرقم القديمة الاولى في عدد من المواقع ويمكن تصنيفها فيما يلي حسب تسلسلها التاريخي التقريبي مبتدئين من الاقدم فالاحدث :

أ ــ الطبقة IV a في الوركاء (دور **اوروك IV**) ، (والظاهر ان هذه المجموعة تعاصر رقيما من الحجر الجيري عثر عليه في كيش ويحمل علامات صورية) .

ب ــ الطبقة II و III في الوركاء ورقم من موقع جمدة نصر وتل العقير (دور **جمدة نصر**) .

جـ ــ رقم من اور (من عصر فجر السلالات الاول) .

د ــ طبقة I في الوركاء ، رقم من فارة وتل الصلابيخ (من عصر فجر

السلالات الثالث) .

وينصب الشك حول ماهية لغة هذه النصوص فقط على رقم اوروك **IV** ، وحتى بالنسبة لهذه فان الكتابة الصورية تجعل من الممكن تخمين المحتوى في بعض الحالات . اما اقدم كتابة يمكن اثباتها بانها كتابة سومرية فتأتي من دور **جمدة نصر** وتتألف من ثلاث علامات (كتبت عدة مرات) يمكن ان نرمز لها بالحروف X-Y-Z . ويمكن تمييز العلامتين X-Y من تشابههما الكامل مع اشكال وجدت في الكتابة السومرية في اواخر الالف الثالث كاسم لاله هو «سيد الهواء» الذي يقرأ بالسومرية إن ــ لِل EN.LIL غير ان هذا التشابه لا يثبت مع هذا؟ ان العلامتين X-Y كانتا تقرآن بالسومرية ، طالما من الممكن ان تكون **إن ــ لِل En-Lil** نفسها ترجمة حرفية لمصطلح كتب بنفس العلامات في لغة سابقة . اما العلامة Z فتمثل صورة «سهم» دون شك . وحيث ان هناك قلة من النصوص التي تعطي الكلمات «سيد ــ هواء سهم» فيها اي معنى ، لذا يتوجب البحث عن لغة حيث تستعمل كلمة «سهم» في معنى ثان يلائم المضمون هنا . ومثل هذه اللغة هي السومرية ، التي تعني فيها TI (التي كان تمثيلها في الكتابة في الفترات التالية مشتق من العلامة الصورية التي اطلقنا عليها الحرف Z) «سهم» او «حياة» او «يعيش» . فاذا قرأت العلامة Z بانها TI بمعناها الثاني فان معنى المصطلح يكون واضحا طالما «انليل» يعطي الحياة ! . يمثل اسم علم من طراز كان شائعا جدا في الحضارة السومرية والبابلية . لذا يمكن قراءة المجموعة X-Y-Z بالسومرية بهيئة EN.Lil. TI وتثبت هذه اللغة لغة لنصوص دور **جمدة نصر** .

ان النصوص القديمة المفهومة من هذه الفترة وما بعدها على نوعين رئيسيين ، يمكن ، فيما اذا اريد ذلك ، تسميتها بالنصوص «الاقتصادية» و«الادبية» . وان مصطلح «ادبية» الذي اطلق على النصوص من هذه الفترة هو مصطلح رنان اذ ان هذه المجموعة من الرقم هي عبارة عن جداول لمواد مختلفة . مثال ذلك ،انواع الاسماك والطيور والحيوانات والنباتات والالهة تؤلف نوعا من المعاجم البدائية . ان المصدر الرئيس لمثل هذه النصوص الادبية حتى الان هو مدينة قارة (موقع شروباك القديم وموطن نوح البابلي) ولكن عثر ايضا على بعض النصوص المشابهة في مواقع اخرى . ومع ذلك ، فلم تكن هذه النصوص الادبية هي التي كشفت عن ادلة معاصرة لعصر فجر السلالات الثالث

بل كانت النصوص «الاقتصادية» . وبعض هذه النصوص عبارة عن سجلات القصر في مدينة فارة وتذكر اعدادا كبيرة من الموظفين من جميع الاصناف . وكما يشير جاكوبسون فان الاعداد في بعض الاصناف كبيرة الى درجة لا يمكن معها بأي حال من الاحوال ان تمثل موظفي القصر المقصود وحيث هناك مثلا ذكر لمائة واربعة واربعين من حاملي الاكواب وخمسة وستين طباخا وهذا يجعلها تبدو وكأنها خاصة بموظفي القوات المسلحة غير انها نظمت بهذا الاسلوب . يؤيد هذا التفسير ان النصوص من هذا القصر نضم ايضا اشارات الى تصليح عربات عسكرية وقوائم بقوات ذاهبة الى المعركة وهذا يؤيد الافتراض ان الملوك كانوا منذ القسم الاول من عصر فجر السلالات الثالث قد تطوروا الى درجة انهم احتفظوا بوحدات عسكرية في المدن المهمة .

ومن الواضح ايضا ، كما يستدل من ملحمة جلجامش واجا في كيش ان ميزان القوى لم يكن دائما الى جانب الملك صاحب السلطة والنفوذ بل كان بامكان اية مدينة منفردة ان تتحدى سلطته وقد تنجح في ذلك . ومنذ ان بدأت النصوص التاريخية (في اواسط عصر فجر السلالات) فشلت بالتاكيد محاولة كيش في بسط نفوذها على مناطق اوسع وكانت بلاد سومر تضم عددا كبيرا من الممالك ودويلات المدن الصغيرة المستقلة .

وفي دويلات المدن السومرية ، كما نجدها في النصوص التاريخية ، كان لكل دويلة حاكمها الخاص يسمى «Ensi» **انسي** ، وهو لقب يبدو انه استعمل اصلا للدلالة على القائد الذي كان يشرف على تنظيم السكان للاعمال الزراعية العضلية ، اما لقب **لوكال** (الملك) فكان يطلق فقط على الحاكم الذي تجاوزت سلطته على مدينته الى نوع من السلطة والنفوذ على دويلات مدن اخرى . وان اسماء عدد من الحكام الاوائل معروفة لدينا بعضها من جداول الملوك السومرية والبعض الاخر من نصوص الحكام انفسهم (وغالبا نصوص نذرية في المعابد) ، غير ان المدينة التي نعرف عنها اكثر من غيرها هي مدينة لجش . فمن خلال معرفتنا بشؤون دويلة لجش يمكن معرفة الكثير عن حياة وتاريخ بلاد سومر في الفترة من اواسط الالف الثالث قبل الميلاد فما بعد .

ولا يزال موقع لجش ، المعروف حاليا «بتل الهبة» يتوسط اقليم خصب جدا تتخلله قنوات الري التي تأخذ مياهها من شط الحي ، وهو قنال يربط بين نهري دجلة والفرات . وقد ضمن هذا القنال بالذات وقنال اخر كان يدعى قنال لما ـــ كرنم Lumma-Girnum محاصيل وافرة وتجارة نهرية مزدهرة

وبالنتيجة رفاهية مادية كبيرة . وقد هيأ مثل هذا الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي الظروف لنشوء سلالة اسسها شخص يدعى اورنانشة Ur-Nanve حكمت المدينة بدون انقطاع لستة اجيال متعاقبة ولمدة زادت عن القرن .

ومن المدن المجاورة الواقعة على شط الحي ايضا مدينة اوما ، شمالي مدينة لجش على الجانب الثاني من قنال لما ــ كرنم Lumma-Girnum ، وان اتجاه جريان مياه شط الحي من الشمال الى الجنوب قد جعل مدينة اوما في موقع مكنها من التدخل في تجهيز مدينة لجش بالمياه وكان ذلك سببا لنشوء النزاع بين المدينتين في عدة مناسبات . وقد زودتنا النصوص التي سجلت ظروف تلك الاحداث باول المدونات التاريخية المهمة ، مبتدئة بعد منتصف الالف الثالث بفترة قصيرة . واقدم هذه النصوص هي بعض نصوص اي اناتم Eannatum (الحاكم الثالث لسلالة لجش) وبالذات منحوتة حجرية وضعت تخليدا لذكرى دحره لمدينة اوما : وتعرف المنحوتة بمسلة النسور ، نسبة الى المناظر الدموية التي تظهر فيها بعض الطيور المفترسة يقاتل بعضها البعض الاخر فوق اشلاء القتلى بعد المعركة التي قاد فيها اي اناتم مدينته الى النصر . وهناك نص احدث قليلا دون على مخروط يعود الى عهد انتمينا Entemena ، ابن اخ اي اناتم ، يذكر تاريخ النزاع بين مدينة لجش ومدينة اوما لعدة اجيال حتى عهد انتمينا وطبيعي انه يعكس وجهة نظر واحدة .

وتزود مثل هذه النصوص ببعض الاشارات العامة عن النظام السياسي في بلاد سومر مضيفة بذلك الى معلوماتنا المستمدة من جداول الملوك السومرية وما يستنتج من النصوص الادبية والاقتصادية . فتذكر نصوص اي اناتم وانتمينا عن حالة نزاع سابق بين المدينتين قام خلالها ميسيلم ، ملك كيش ، بدور الوسيط ووضع شروطا للسلام واقام مسلة وضعت بين حدود المدينتين : ومن الواضح انه كان يتمتع بنوع من النفوذ على كلتا المدينتين . اما تاريخ ميسيلم ، فغير معروف على وجه الدقة ، ولكن من المؤكد انه كان شخصية تاريخية حكمت قبل اي اناتم ربما بحوالي مائة سنة او اكثر ، حيث هناك نصان اثريان يعودان له عثر عليهما في لجش وادب . وليس من المحتمل ان ميسيلم كان ملكا على كيش نفسها عندما حاولت ان تسيطر على بلاد سومر بسبب التسلسل التاريخي اولا ولان اسمه لم يرد في جداول الملوك ثانيا . وان الاحتمال الاكثر انه كان ملكا لدويلة اخرى تمكنت من بسط نفوذها على بعض اجزاء اكد وبالتالي فقد منحها الاله انليل اله مدينة نيبور اللقب المقدس القديم «ملك كيش» وهذا

يشير ايضا الى محاولات اخرى ناجحة ، غير انها موقتة ، للسيطرة على بلاد سومر بأكملها بعد عهد اجا Agga ملك كيش .

وهناك مدينة اخرى قامت ، ولو لفترة قصيرة ببسط نفوذها على بعض المدن الاخرى هي مدينة اور . وقد ذكرت سلالة اور في جداول الملوك السومرية في الفترة التي تقابل عصر فجر السلالات وفق المصطلحات الاثارية ، وان اسماء بعض حكام هذه السلالة (التي يشار اليها عادة بسلالة اور الاولى) معروفة من بعض النصوص المعاصرة . وتعود الى بداية هذه الفترة «مقابر اور الملكية» (انظر ادناه صفحة ٤٠١ فما بعد) الرائعة في محتوياتها والمهمة بالنسبة لتاريخ المعتقدات الدينية على الرغم من ان اهميتها قليلة بالنسبة لمعرفتنا بالتاريخ السياسي والاجتماعي .

وقد كان المعتقد سابقا ان حكومات دويلات المدن السومرية في هذه الفترة كانت حكومات دينية وان اراضي المدينة كانت بأُكملها تقريبا تابعة للمعبد وتدار من قبل الـ **«انسي» Ensi** باعتباره وكيل اله المدينة يعاونه طبقة من الموظفين . غير ان المعروف حاليا ان ذلك لا يمثل الوضع الحقيقي حيث ان هذه الاستنتاجات الخاطئة قد اعتمدت على بحوث اقتصرت على سجلات المعابد التي تخص بطبيعة الحال الاراضي التي كانت مملوكة من المعبد . اما البحوث الحديثة التي اخذت بنظر الاعتبار بقية النصوص والحقائق ، فانها تعطي صورة مغايرة تماما ، وقد اوضحت هذه البحوث انه كانت هناك في الالف الثالث قبل الميلاد ، كما كانت الحال في اي فترة لدينا معلومات عنها ، ملكية خاصة للاراضي جنبا الى جنب مع ملكية الدولة وملكية المعبد . وان الملكية الخاصة لا تعني بالضرورة ملكية الافراد بل ربما تعني سيطرة العائلة اكثر من سيطرة الافراد .

وتصبح معلوماتنا عن اراضي المعبد في اواسط الالف الثالث قبل الميلاد اكثر تفصيلا من معلوماتنا عن اراضي الدولة والافراد .

وكانت اراضي المعبد مصنفة الى ثلاثة اصناف ، وقد ذكر بعض الشيء عنها ادناه (انظر صفحة ١٨٥) ويشمل احد هذه الاصناف الاراضي التي كانت تؤجر مقابل حصة من المحصول ، وهي اجرة تقابل ثلث المحصول . وكان سدسها يدفع فضة والباقي عينا . وعلى الرغم من ان ملكية الاراضي الخاصة كانت نادرة حتى نهاية الالف الثالث تقريبا الا ان هذا النظام الاقتصادي في لجش قد فسح المجال لتراكم الثروة في ايادي الافراد . وفي الوقت نفسه ، فان

العمليات العسكرية المثمرة لمدينة لجش في عهد اي   زادت من قوة الـ «انسي» كفرد كثيرا ، حتى ان اهمية اي اناتم قد وصلت الى درجة اصبح معها من ضمن مجموعة الالهة السومرية . وقد اخلّت هذه الاتجاهات بالتوازن الاقتصادي الاول واحدثت تغييرات بدت سيئة لقسم من السكان على الاقل . وطالما ان النظام الاقتصادي تضمن كلا من مبادىء اشتراكية الدولة ورأسماليتها ، لذا فمن الممكن ان تفسر هذه المساوىء كنتيجة طبيعية لاحد هذين المبدأين وحسب التفضيل السياسي . وكانت الشكاوي الرئيسة اثنين : ان **الانسي** كان يعامل اراضي المعبد واملاك الاله وكأنها املاكه الخاصة ، وان المواطنين كانوا معرضين لضرائب باهضة كانت تجبى من قبل **الانسي** وموظفي المعبد وتفرض على جميع مناحي الحياة وحتى على الموت .

فكانت الضرائب تفرض مثلا على الماشية وصيد الاسماك وتربية الاغنام والطلاق والدفن . كما ان التطورات الاقتصادية تسببت في ظهور طبقة من الاغنياء تمكنوا من خلال القروض النظامية ان يضغطوا على الفقراء ، فكان الرجل الغني يقرض الرجل الفقير ثم يطالب به في وقت غير ملائم ويأخذ من المدين ، لسداد دينه ، حيوان المدين ، او اي بضاعة له تزيد قيمتها كثيرا عن مبلغ القرض .

وربما كانت احدى نتائج تمزق الاقتصاد في لجش نهاية سلالة اور ــ نانشة ويمكن ان يلاحظ في اواخرها انه رافق التغييرات الاقتصادية تغييرات اجتماعية تبدو واضحة بظهور السلطة الدنيوية المستقلة عن السلطة الدينية . وقد انعكس ذلك في التطورات السياسية التي اعقبت ذلك . ونشأ ، استنادا الى العالم الروسي دياكانوف (Revue d'Assyriologie, 52, 1958, p. 12) ، صراع بين الكهنة والارستقراطية (الذين ارادوا استغلال املاك المعبد الذاتي) من جهة وبين الـ «انسي» الذي اراد ان يزيد من سيطرته باضافة املاك المعبد الى املاكه ، من جهة اخرى . غير انه من غير المنطق بل من السذاجة التحدث ، كما يفعل بعض العلماء ، عن حزب «الكهنة» ، والحزب المناوىء للكهنة ، في التغييرات السلالية التي اعقبت ذلك .

وقد حاول اور كاجينا احد رجال الدين الذين استلموا السلطة في هذه الفترة بعد ثلاث عشرة سنة من نهاية سلالة اور ــ نانشة ، ان يتخذ بعض الخطوات لمعالجة المفاسد التي ظهرت وان يعيد الاوضاع الى سابق عهدها . وفي احد النصوص يذكر المفاسد ويذكر اصلاحاته التي نظمت لتحمي الضعيف اقتصاديا

من ان يكون الضحية .

«ليس للكاهن المعين ان يذهب بعد الان الى حديقة الفقير ويقطع شجرة او يأخذ فاكهة . اذا كان لفقير حمار جيد يحمل جنينا ، وقال له سيده :«ساشتريه ، (ففي حالة ما) اذا رغب الرجل بالبيع ، فعليه [الفقير] ان يخبره [السيد] «ويزن كمية مرضية من الفضة» ، او انه [الفقير] غير راغب في البيع ، فان السيد الساخط سوف لن يضربه .

اذا عمل فقير بحيرة للسمك فليس لاي من طبقة الذوات ان يأخذ سمكه» .

وفي فقرة اخرى ، منع نظار الرعاة وصيادي الاسماك من اخذ المال مباشرة من انتاج مرؤوسيهم بدلا من تحصيلها من ادارة المعبد . كما وردت ايضا ارقام خاصة بتخفيض الضرائب المتعلقة بالزواج والطلاق والدفن مثلا . كما اجرى اصلاح مالي اخر بالنسبة لتربية الاغنام . ومع هذا فان هذه الاصلاحات لم تعط مدينة لجش القوة والثبات الاقتصادي المطلوب ، ووقع اوركاجينا ضحية الصراع المستمر بين مدينة لجش ومدينة اوما المجاورة حيث تمكن ملكها **لوكال زاكيزي** اخيرا من ان يقضي على مدينة لجش بعد عام ٢٤٠٠ ق م بفترة قصيرة .

واتبع **لوكال زاكيزي** سياسة الفتح العسكري التي كان من نتائجها ان اصبحت جميع بلاد سومر تحت سيطرته وجعل مدينة الوركاء عاصمة له . ولم يكن المتنفذ على بلاد سومر باكملها فحسب بل انه ادعى ان نفوذه قد امتد بعيدا الى خارج حدود البلاد من «الخليج العربي وعلى طول نهري دجلة والفرات وحتى البحر المتوسط» لذا فان «جميع حكام سومر التابعين له وحكام البلدان المستقلة انحنوا لتحكيمه في الوركاء» . ولا يعرف بالضبط الى اي مدى كانت هذه الادعاءات صحيحة والارجح انها صورة مثالية وليس من الضروري انها تطابق الحقائق السياسية ، غير انها ، مع ذلك ، تشير الى انه كان هناك هدف لايجاد سلام داخلي تحت نفوذ ملك له من القوة ما تمكنه ان يقضي على جميع المنافسين ، وسلام خارجي من خلال وجود حاكم له من النفوذ ما يمكنه ان يكون حكما دوليا . وبديهي ان اتساع نفوذ **لوكال زاكيزي** السياسي لا يمثل ظاهرة جديدة . فمنذ عهد اجا ملك كيش كانت هناك محاولات فاشلة لبسط النفوذ على مناطق واسعة . كما ان احد حكام اور الذي كان معاصرا لاور ــ نانشة قد تمكن من بسط نفوذه على عدد من المدن شملت على اقل تقدير حتى مدينة نيبور شمالا في حين هناك اشارات واضحة الى ان قوات معينة

من مدينة ماري على اواسط الفرات تمكنت في عهد اي اناتم من التغلغل جنوبا حتى مدينة لجش تقريبا . وقد حاول لوكال زاكيزي اخيرا ان يسيطر سيطرة مباشرة على جميع بلاد بابل . ولعله نجح في ذلك لفترة قصيرة ، حيث تشير جداول الملوك السومرية الى تغير السلالة الحاكمة ، ولكن ما لبث ان قضي على **لوكال زاكيزي** بعد ذلك بفترة قصيرة من قبل شرُّم ــ كين (سرجون) وزير ملك كيش السابق .

واسم شرُّم ــ كين اسم سامي وكذلك كانت السلالة التي اسسها سلالة سامية . وهناك مثل عربي يقول «الصحراء مهد العربي والعراق مقبرته» وهذا يعترف بحقيقة ان هجرات سامية متعاقبة من الصحراء اخرجت او جاءت الى الوادي الخصيب في الشمال الشرقي ، لتندمج هناك بحضارة السكان المستقرين . وقد سبقت الاشارة الى الادلة حول عملية التفاعل هذه منذ بداية الالف الثالث وكانت لا تزال مستمرة في عهد شرُّم ــ كين (٢٣٧١ ــ ٢٣١٦ ق م) وقد فسر بعض الكتاب السابقين التطورات التي اعقبت ذلك من خلال الصراع القومي بين الساميين والسومريين غير ان ذلك لا يطابق الحقائق . فهناك نصوص من عهد سابق لشرّم ــ كين تحمل قائمة باسماء اشخاص نصفها تقريبا سومرية ونصفها الاخر سامية ، مما يدل على ان كلا العنصرين كانا يعيشان بسلام جنبا الى جنب . وليس هناك اي دليل في الوقت الحاضر لغزو سامي ، ومن المحتمل ان الساميين الذين جاؤا من الصحراء جاؤوا على الاغلب كعوائل منفردة استقرت في المدن السومرية وسرعان ما اقتبست الحضارة السومرية ودانت بالولاء لدويلة المدينة التي نزلت فيها ولاسباب جغرافية فلابد ان كان تأثير الساميين الذين وصلوا بهذا الاسلوب اقوى في الاجزاء الشمالية من البلاد منه في الاجزاء الجنوبية وان تأثير الساميين هناك يظهر بسرعة اكثر في الحياة الاجتماعية واستخدام اللغة . لذا فان البعض، والبعض فقط،من حكام كيش من هذه الفترة يحملون اسماء سامية في حين كان اسم اخر حكام كيش الذي كان شرّم‌ــ‌كين وزيرا له يحمل اسما سومريا . ومن الادلة القوية على عدم وجود تعصب قومي لابد ان نذكر ان تمثال الملك السومري **لوكال زاكيزي** في معبد الاله السومري انليل في نيبور اقدس مدينة سومرية ، لم يكتب بالسومرية بل باللغة السامية السائدة انذاك وهي الاكدية . وكانت مدينة شرّم‌ــ‌كين الخاصة هي اكد (التي لم تكتشف بعد) وكان قد

اسسها شخصيا وربما عندما كان موظفا اداريا في عهد ملك كيش . وعندما تذكر جداول الملوك السومرية هذه المدينة عند الحديث عن دحر شرم ـ كين للملك **لوكال زاكيزي** تقول ببساطة : ان «الوركاء ضربت بالسلاح ونقلت ملكيتها الى اكد» دون اي اشارة الى تغيير اخر باستثناء انتقال السلطة من دويلة مدينة الى اخرى . ويدعي شرّم ـ كين نفسه ان الاله انليل الاله السومري الكبير هو الذي حكم بينه وبين **لوكال زاكيزي** ، كما ان القاب شرم ـ كين تبين ان الالهة الرئيسة التي كان له علاقة معها كانت الهة سومرية .

وقد تركت السلالة التي اسسها شرم ـ كين (المعروفة عادة بسلالة سرجون الاكدي) طابعا مميزا ودائميا على تاريخ بلاد ما بين النهرين على الرغم من انها لم تستمر سوى نيف ومائة عام (٢٣٧١ ـ ٢٢٣٠ ق م) وكانت سياسية سرجون هي تحطيم اسوار المدن داخل بلاد بابل ، وبذا تجريد المتمردين المحتلين من الحصون ، وتعيين مواطني مدينة اكد فقط في المناصب الادارية العليا مدعمين بوحدات عسكرية كفوءة ، واخذ اعضاء من الاسر الحاكمة المحلية رهائن الى عاصمته اكد . وبذلك تمكن من اضعاف الاستقلال المحلي الذاتي ومهد الطريق للسيطرة المركزية على البلاد .

ولم يسيطر سرجون على جميع بلاد سومر واكد فحسب بل انه سيطر على معظم انحاء الشرق الادنى القديم . وقد ازدهرت في عهده التجارة الخارجية على الاقل بين ساحل البحر المتوسط والخليج العربي (انظر ادناه صفحة ٣٠٨) وتنسب النصوص المتأخرة ، مع ذلك ، الى سرجون امبراطورية اكثر اتساعا تشمل آسيا الصغرى ايضا . وهناك نص بهذا المعنى امكن التعرف عليه منذ مدة يشير الى ان سرجون قام بحملة عسكرية ليحمي مستعمرة تجارية اكدية في بوروش خاندا Burush Khanda في آسيا الصغرى من الملك المحلي ، وهناك نص شعري اخر امكن التعرف عليه مؤخرا يرقى تاريخه الى حوالي ١٨٠٠ ق م يعطي معلومات مستقلة وسابقة من حيث التاريخ عن الموضوع نفسه .

ولا يقتصر حديث النصوص الادبية الكثير على سرجون فقط بل انها تتحدث ايضا عن حفيده وخليفته الثالث نرام ـ سن (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ ق م) الذي لم يذكر في النصوص الادبية فقط بل في بعض الاحجيات والامثال ايضا . غير ان المؤسف ان يكتنف معظم هذه النصوص الغموض وكمثل على ذلك ان احدها يتضمن الفقرة التالية : ـ

«الريح الشرقية هي ريح الرفاهية ، صديق المقدس ، نرام سن ......» وربما

يجسد ذلك تقليدا ، غير مفهوم لدينا ، له علاقة بحادثة في احدى الحملات العسكرية . وبالنسبة لهذا الحاكم فان الادلة الاثارية وكذلك نصوص نرام ــ سن نفسه تؤيد ما ورد في النص الادبي الاخير . فاستنادا الى نصوصه ، تمكن نرام ــ سن من دحر ماني في **ماكان** عسكريا ، وهذا الادعاء يشير الى انه كان يسيطر على الساحل الغربي من الخليج العربي بأكمله او على اقل تقدير الى عمان . وقد مجدت احدى القصائد الشعرية التي يرقى تاريخها الى بضعة قرون تالية بعظمة عهد نرام ــ سن حيث تقول : ــ

«فيلة وقردة عظيمة ، حيوانات من بلدان بعيدة
ازدحمت في الساحة الكبرى (في العاصمة)»

وهذا يشير الى وجود علاقات تجارية مع الهند . وفي الشمال الشرقي ، تغلغل نرام ــ سن في المنطقة المعروفة حاليا بالجبال الكردية واخضع ، لفترة قصيرة على الاقل ، القبائل الجبلية التي عرفت فيما بعد باللولوLullu واقام منحوتة كبيرة نحتت على الصخر في اعالي الجبال ما تزال موجودة على الرغم من التلف الذي اصابها (انظر لوحة ١٦أ) . ولحماية الطريق المؤدية الى آسيا الصغرى ، فقد شيد قلعة كبيرة في تل براك . ومن المحتمل انه كان هناك حامية عسكرية مماثلة في نينوى . كما عثر له على مسلة في اقصى الشمال في منطقة ديار بكر على حدود ارمينيا وتدل الاشارات الى ان هذا الحاكم القدير كان قد حاول تطبيق نوع من الادارة المركزية لامبراطورية تجاوزت حدودها مجموعة من دويلات المدن . وتذكر النصوص الادبية المؤيدة بنصوص من عهد نرام ــ سن نفسه ان الانية الثمينة كانت تنهال على مدينة اكد من جميع الجهات ، في حين كان ولاة المدن يرسلون ضرائبهم الشهرية والسنوية .

وربما كانت سياسة نرام ــ سن الاستعمارية كما رآها السومريون ، وكما هي في الحقيقة ، سببا في سقوط سلالته . وتتناقض الاخبار عن نرام ــ سن حيث انها لا تعتبره كبطل عظيم فقط ولكن كحاكم ذي حظ سيء ايضا (لابد من الاشارة هنا الى ان الدكتورO.R. Gurney من جامعة اكسفورد قد استنتج بعض الادلة التي تثير التساؤل حول الجملة الاخيرة) . فنصوص نرام ــ سن نفسه تشير الى حدوث تمرد عام في المدن الرئيسة لبلاد سومر واكد بما في ذلك كيش والوركاء وسبار في حين تذكر النصوص الادبية ان الالهة انن قررت ان تهجر العاصمة اكد . وقد اصبح السبب المباشر الذي ادى الى سحب الالهة

تأييدها لنرام ــ سن معروف الان . فهناك نص سومري امكن تجميعه مؤخرا من عدد من الكسر في متاحف متعددة تصف اسطره الاولى عظمة وثراء مدينة اكد في بداية امرها حيث قدم اليها الناس من جميع الانحاء يحملون الضرائب ، غير ان اعمال نرام ــ سن العاقة وضعت خاتمة لذلك . حيث انه سمح لقواته ان تنتهك وتنهب وتسلب معبد اكورEkur ، المعبد الكبير للاله العظيم انليل في نيبور ، اقدس مدينة سومرية .

وكان ذلك نهاية لعهد نرام ــ سن ولمدينة اكد . فقد جلب الاله الغاضب انليل اقواما بربرية من المنطقة الجبلية ، وهم الكوتيون ، الى البلاد الخصبة . ودمر هؤلاء المتوحشون المواصلات والتجارة وافسدوا وخربوا نظام الري الذي كان يحتاج دوما الى سيطرة مركزية ودائمة . وجلبوا المجاعة والموت الى ارجاء البلاد . وليحيدوا عن غضب الاله انليل على بلاد سومر واكد بصورة عامة ، اخذ ثمانية من الالهة الكبار على عاتقهم تدمير مدينة اكد نفسها انتقاما لانتهاك مدينة نيبور . وافلحوا في هجر مدينة اكد هجرا نهائيا بلعنة تعيد الى الاذهان لعنة اشعيا على بابل في وقت لاحق (سفر اشعيا الاصحاح ١٣ : ١٩ ــ ٢٢)

غير ان نتائج سياسة نرام ــ سن المركزية من مدينة اكد لم تكن فجائية وقاصمة كما تشير القصائد السومرية ، فعلى الرغم من احتمال ان الكوتيين بدأوا هجومهم على بلاد ما بين النهرين في عهد نرام ــ سن ، الا ان السلطة المركزية لم تنته نهاية حقيقية الا في عهد ابن نرام ــ سن وخليفته المدعو شالكالي شاري .

وفي الواقع ، هناك من يرى بحق ان الكوتيين لم يكونوا السبب المباشر او الوحيد لسقوط السلالة الاكدية . فخلال فترة حكم الملوك من سرجون وحتى نرام ــ سن كانت انجازات اكد الحضارية والعسكرية ظاهرة التأثير من ساحل المحيط الاطلسي واسيا الصغرى عبر الشرق الادنى القديم باكمله الى سوسا وعمان ، بينما امتدت العلاقات الاقتصادية اكثر من ذلك ، من قبرص غربا والى الهند شرقا . وليس هناك في النصوص المعاصرة ما يشير الى ان الكوتيين كانوا يشكلون تهديدا كبيرا كافيا لافساد مثل هذا الوضع ولا يمكن افتراض ان ذلك كان تغييرا مقصودا للحقيقة طالما ذكر النزاع بين الدويلات الثائرة واللولو بحرية تامة . فقد كان انوبا نينيAnubaninni ملك اللولو الذي تحدثت عنه اسطورة متأخرة بأنه سوط البلاد وكان من القوة بحيث تمكن من ان يقيم مسلة

نصر باسمه ، وان حقيقة كتابة تلك المسلة باللغة الاكدية يؤكد انتشار تأثير حضارة الامبراطورية الاكدية حتى بين اعدائها .

وكان هناك في هذه الفترة اقوام اخرون غير سومريين ولا ساميين ، ومنهم خاصة الحوريون الذين كانت لهم اهمية قصوى فيما بعد في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . فقد كان هناك عمال حوريون في مدينة نيبور يعملون في صناعة الاقمشة وربما كان هؤلاء من اسرى الحروب الذين اخذوا من جبال زاجروس . وتعرف مجموعة اخرى من الحوريين في الفترة نفسها تقريبا من نصوصهم الخاصة التي تشير الى انهم استقروا في شمال بلاد ما بين النهرين وربما كانوا يؤلفون ضغطا على الجنوب . كذلك تمكن تحالف الاقوام في الغرب من دحر نرام ــ سن عسكريا . وقد كانت هذه الضغوط مجتمعة هي التي ادت اخيرا الى انهيار سياسة اكد المركزية وتركت البلاد بدون قوة تمكنها من مواجهة الغزاة في الجبال . وقد اعقب ذلك فترة من الفوضى ذكرت في جداول الملوك السومرية بأختصار بأنه لم يكن يعرف من هو الملك ؟ ومن هو غير الملك ؟ وبانهيار السلطة المركزية عادت السلطة بالتأكيد الى حكام المدن الذين تمكنوا احيانا من بسط نفوذهم على مساحات اوسع من حدود مدنهم . وكانت مدينة الوركاء مثل على ذلك حيث تنسب اليها جداول الملوك السومرية سلالة قصيرة العمر بين سلالة اكد والكوتيين .

وتذكر جداول الملوك السومرية مدد حكم واسماء واحد وعشرين ما اطلق عليه ملكا في فترة الكوتيين . ونظرا لقصر مدد حكمهم (حيث ان حكم احدهم فقط زاد عن سبع سنوات في حين كان حكم نصفهم ثلاث سنوات فاقل) لذا فمن المحتمل انهم كانوا عبارة عن رؤساء يعينون لمدد معينة . وقد اكدت النصوص المتأخرة على بربرية الكوتين ، فاذا كان نظامهم الاجتماعي نظاما بدائيا ، فمن المحتمل ان النظام الملكي ، وهو نظام متطور ودائم ، لم يكن معروفا لديهم . وبعض اسماء الحكام الكوتيين المتأخرين اسماء سامية مما يشير الى ان عملية اندماج الاقوام البربرية كانت قائمة بينما تشير بعض النصوص النذرية الى انهم تبنوا طموس ديانة البلاد . وقد انتهت بالتأكيد فترة حكم الكوتيين والتي بدأت بعد حكم نرام ــ سن مباشرة في حدود ٢٢٥٠ ق م ، عام ٢١٢٠ ق م .

وتذكر الاقوام المتحضرة التي جاءت الى بلاد بابل فيما بعد فترة سيطرة الكوتيين باحتقار بانها فترة بربرية لم تكن تخدم فيها الالهة وانتهكت فيها المعابد ولم تترك امرأة او طفل لشأنه . وقد كان الشعور بتأثير الكوتيين في

اكد ، القسم الشمالي ، اكثر منه في سومر ، حيث كان فيها عدة دويلات مدن قديمة ظلت مستقلة اساسا على الرغم من انها عانت ماديا من موجة الغزو البربري الاول . ويظهر ان اقل المدن التي عانت من ذلك هي مدينة لجش وكانت هذه المدينة قد اعيد بناؤها في عهد الدولة الاكدية الزاهر ، بعد ان كان لوكال زاكيزي حاكم مدينة اوما قد دمرها في بداية ارتفاع شأنه ونفوذه على بلاد سومر ، فاستعادت دون شك سالف اهميتها كميناء نهري . وكان لها ان تستعيد سالف عهدها الزاهر خاصة بعد تدمير مدينة اكد منافستها الرئيسة ونهايتها كمحطة للتجارة البحرية الى الخليج العربي . ونظرا لعدم وجود حكومة مركزية قوية ، فقد تمكن حكام لجش من توسيع حدود سلطانهم الى ما بعد حدود دويلتهم واسسوا سلالة جديدة عرفت بشيء من التفصيل من خلال نصوص حكام المدينة انفسهم بالرغم من ان جداول الملوك السومرية لم تذكر شيئا عنها . واكثر حكام هذه السلالة شهرة هو الحاكم الرابع جوديا الذي يعرف عن نشاطاته بالتفصيل من نصوصه التفصيلية الكثيرة . وقد امتدت سلطة جوديا الى خارج حدود مدينة لجش حيث ادعى انه بسط نفوذه على نيبور والوركاء وانه جهز حملة لسلب المدينة العيلامية انشان . وعلى الرغم من ان نصوصه تتعلق بالدرجة الاولى باظهار تقواه ببناء المعابد واعادة بنائها وتعميرها والقيام بواجباتها الدينية اتجاه الالهة ، فان فيها اشارات عديدة للحملات التجارية . فهو يدعي ان «**ماكان** وميلوخا وكوبي ودلمون جلبت الجزية ووصلت سفنهم المحملة بالخشب الى مدينة لجش ، وجلب الحجر والقار والجص بالسفن لبناء معبد ننجرش بينما شملت البضائع الاخرى التي جلبها جوديا من الخارج حجر الديوريت من **ماكان** وخشب الارز من لبنان والنحاس من كيماش والذهب من خاخو .

وربما كان موقع الاخيرة في آسيا الصغرى وموقع كيماش في جبال ايران الغربية . اعقب جوديا في الحكم ابنه وحفيده غير ان لجش وقعت في اواخر هذه الفترة تحت نفوذ دويلات مدن اخرى كانت قد عادت وظهرت كقوى مستقلة .

وتمكن اوتوحيكال حاكم مدينة الوركاء (٢١٢٠ ــ ٢١١٤ ق م) من دحر اخر حكام الكوتيين واعترف به بحق في مدينة نيبور كملك الجهات الاربعة ، (وهو لقب كان قد استعمله نرام ــ سن لاول مرة) كما ذكرته جداول الملوك السومرية . وهذا يحدد عودة ظهور نظام مركزية الحكومة التي اتبعها نرام ــ سن . فقد كانت دويلات المدن الثانوية تحكم من قبل حكام اعترفوا

باوتو حيكال كسيد لهم . وكان اور ــ نمو ، حاكم مدينة اور ، احد هؤلاء الحكام الذي اصبح فيما بعد حاكما مستقلا (٢١١٣ ــ ٢٠٩٦ ق م) . وقد اسس هذا الحاكم سلالة شهيرة طورت نظاما راقيا اكثر احكاما من امبراطورية سرجون وذلك من خلال التوسع في السلطة المركزية وحكمت اكثر من مائة سنة (٢١١٣ ــ ٢٠٠٦ ق م) .

وتظهر فترة سلالة اور الثالثة ، كما يطلق عليها عادة ، الحضارة السومرية بأجلى تطورها . وعلى الرغم من الاعداد الهائلة من الرقم الطينية المكتشفة من عهد سلالة اور الثالثة ، حيث هناك حوالي خمسة عشر الف من الرقم القانونية والادارية والاقتصادية التي تم نشرها وربما مائة الف رقيم اخر او اكثر من الرقم المكتشفة غير المنشورة ، فان معلوماتنا عن هذه الفترة ليست مفصلة ولا تتناسب واعداد هذه الرقم ، ولعل ذلك بسبب كتابة تلك الرقم بمصطلحات موجزة جدا ومملوءة بالمفردات الفنية التي لا تعرف معانيها الدقيقة وان العلماء في الوقت الحاضر لا يمكنهم فهمها الا بشكل تقريبي . وتشير الادلة الاثارية الى رخاء اقتصادي في هذه الفترة حيث يمكن ملاحظة النشاطات المعمارية في كل مكان تقريبا . فقد قام اور ــ نمو نفسه مؤسس هذه السلالة ببناء واعادة بناء عدد من المعابد في العديد من المدن القديمة منها الوركاء ولجش ونيبور واريدو ، غير ان معظم اعماله كانت في عاصمته اور . فقد اعاد هنا بناء الزقورة تمجيدا للاله القمر ننّا ، والزقورة عبارة عن صرح كبير مربع القاعدة بثلاث مدرجات (والبعض يقول باثنين) تبلغ مساحة القاعدة ٢٠٠ × ١٥٠ قدما وترتفع الى حوالي سبعين قدما . وفي اعلى الزقورة هيكل الاله . ولا تزال هذه الزقورة التي اعاد بنائها عدد من الملوك المتاخرين وكشف عنها العالم الانكليزي وولي عام ١٩٢٣ قائمة تشهد بتقوى اور ــ نمو (انظر اللوحة ٣أ) . وقد اهتم خلفاء اور ــ نمو ايضا باعمال التقوى . ومن بعض الاشارات الواردة في الرقم المكتشفة يمكن اعطاء صورة حسابية اقتصادية طريفة عن بناء المعابد . فمعبد الالهة شارا في مدينة اوما الذي شيد في عهد خليفة اور ــ نمو الثالث شو ــ سن ، رغم انه لم يكن اكبر المعابد في سومر الا ان بناءه استغرق سبع سنوات على الاقل . وقد استخدم في بنائه ما يقرب من تسع ملايين اجرة كبيرة وسبع ملايين اجرة صغيرة . ويذكر احد الرقم الطينية ان انتاج عامل الاجر كان ثمانين اجرة في اليوم لذا فان عمل الاجر وحده يحتاج الى الف عامل يعملون لمدة سنة كاملة .

ولم تقتصر نشاطات اور ــ نمو وخلفائه الانشائية على بناء المعابد . فمن

اجل ازدهار الزراعة والتجارة قام اور ـــ نمو بحفر العديد من القنوات كما اعاد ربط مدينة اور بالتجارة البحرية مع ماكان . وكانجاز اخر فانه ادعى بانه اعاد الامن والنظام الى البلاد بعد ان غاب ذلك حينما قام الغزاة الكوتيون بتدمير النظام القديم . ويؤيد ادعاء اور ـــ نمو هذا اكتشاف كسر من مجموعة القوانين التي كان اور ـــ نمو قد شرعها .

ان النظام الاداري الذي اتبع في عهد هذه السلالة قد قلل من احتمال حدوث ثورات داخلية من خلال السيطرة الدقيقة على الحكام الذين اصبحوا حكاما اكثر من كونهم سلالات محلية حاكمة . وانتزعت من ايديهم السيطرة على وحدات عسكرية في حين امكن تقليص خطر ازدياد قوة وسلطان الحاكم المحلي من خلال ارتباطاته المحلية القوية باتباع اسلوب نقل مثل هؤلاء الحكام من مدينة الى اخرى . وكانت المعلومات تصل الملك باستمرار حول شؤون مدنه من خلال نظام مراسلي الملك الخاصين في حين تمت المحافظة على العلاقات مع الامراء خارج حدود الامبراطورية من خلال الممثلين الدبلوماسيين .

وكانت نهاية اور ـــ نمو غير المؤقتة في المعركة ، حيث تذكر احدى القصائد السومرية الموجهة الى الالهة ظلمهم على شخص قدم الخدمات الجيدة لهم . واعقبه في الحكم ابنه شولكي (٢٠٩٥ ـــ ٢٠٤٨ ق م) الذي تمكن خلال حكمه الطويل من زيادة وتوسيع غظمة امبراطورية اور الثالثة ، فقام بحملات عسكرية الى خارج حدود بلاد بابل كان من نتائجها ان اصبحت بلاد عيلام وآشور تحت نفوذه الاقتصادي كما تمت السيطرة على الاقوام القاطنة على الحدود الشرقية من خلال الحملات التأديبية وعن طريق المصاهرة بين الاميرات السومريات والحكام المحليين .

واهتم شولكي ايضا كما فعل اباه وخليفته ، ببناء المعابد . واعقبه في الحكم اثنين من اولاده : امار ـــ سن (٢٠٤٧ ـــ ٢٠٣٩ ق م) وشو ـــ سن (٢٠٣٨ ـــ ٢٠٣٠ ق م) بعد ان تدربا على الحكم كحكام مدن في عهد ابيهما . وفي خلال هذه الفترة هناك اشارات حول مجيء موجة سامية جديدة من الغرب . لم تكن هذه المرة على شكل عوائل منفردة مسالمة بل على شكل غارات مسلحة من قبائل برمتها مما اضطر شو ـــ سن الى بناء اسوار دفاعية . وقد جلب هذا الغزو الجديد الكارثة على امبراطورية سلالة اور الثالثة على الرغم من ان وقوع هذه الكارثة لم يكن في عهد شو ـــ سن بل في عهد خليفته ابي ـــ سن (٢٠٢٩ ـــ ٢٠٠٦ ق.م) .

وكان ابي ـــ سن شابا صغيرا عندما اعتلى العرش وان استمرار معظم كبار

الموظفين في مناصبهم يشير الى انه لم يحدث تغييرا واضح في السياسة . وكانت الضرائب (على شكل ماشية) تتقاطر من كافة انحاء الامبراطورية . وهناك نصان ادبيان سومريان يعودان باصلهما الى بداية حكم ابي ــ سن يشيران الى ان الكارثة لم تكن قد اصابت البلاد بعد (اذا كان الادب ورفاهية البلاد حقا متلازمين في العصور القديمة) . وتبدأ المدن تدريجيا بعد السنة الثانية من حكم نرام ــ سن تسحب اعترافها بسلطة ابي ــ سن ويستدل على ذلك من الوثائق الادارية والاقتصادية من هذه المناطق حيث لم يعد يستخدم فيها تاريخ السنوات الرسمي الخاص بالملك ابي ــ سن .* ودليل اخر على تدهور الامبراطورية اننا نجد ان حكام المدن المختلفة في الامبراطورية توقفوا عن تقديم الحيوانات المعتادة نذورا للاله ننار ، الاله المحلي لمدينة اور ، بعد السنة السادسة من حكم ابي ــ سن . ويستدل على الشعور بوجود خطر عسكري من حقيقة ان تاريخ السنة السادسة من حكم ابي ــ سن تذكر تعمير تحصينات المدن المهمة ــ نيبور واور .

وهناك رسالة تالفة مرسلة الى ابي ــ سن من قبل شخص يدعى اشبي ــ ارا ، وهو احد الغرباء من مدينة ماري كان يعمل عند ابي ــ سن ثم استقل بعد سقوط الامبراطورية ليصبح ملكا على مدينة ايسن ، تزودنا بمعلومات عن سير الحوادث في هذه الفترة . يذكر اشبي ــ ارا في رسالته انه قد عهد اليه شراء حنطة من منطقة ايسن وكازا اللو (وهما مدينتان في بلاد اكد) وانه اشترى كمية كبيرة من الحنطة (٢٤٤٠٠ كور اي حوالي عشرة اطنان) بسعر جيد هو نصف شاقل من الفضة لكل كور . غير ان الاسعار قد تضاعفت انذاك ويذكر ايضا بعض الاخبار السيئة وهي ان الامورو (الاموريون هم الاقوام القادمة من الصحراء الغربية) كانوا يتوغلون في البلاد ويأخذون الحصن بعد الاخر وانه لا يتمكن من جلب الحنطة التي اشتراها الى مدينة اور ويقترح ان يعهد اليه بتولي مدينة ايسن ونيبور ، وهو اقتراح وافق عليه ابي ــ سن .

ان انخفاض سعر الحنطة التي اشتراها اشبي ــ ارا يشير الى ان الاموريين قد توغلوا في البلاد بعد موسم الحصاد مباشرة . وكانت اور تعتمد بالدرجة الاولى على الحنطة المستوردة التي لم يتمكن اشبي ــ ارا من جلبها . لذا فقد كانت

* : تاريخ السنوات date formulae هي وسيلة تاريخ الوثائق القانونية والادارية . فكان الملك (وفيا الاله) يصدر في مطلع كل سنة جملة صغيرة تتعلق بحادثة مهمة حدثت في تلك السنة لتعرف بها السنة . ومن امثلة ذلك : «(مدينة) سيمر دمرت» ، «قام بصنع الفيل المقدس (الذي يدعى) لن ــ اكيزي ــ بانات للالهة اننا» ، «قام بعمل العرش السماوي للاله ننا» .

العاصمة في وضع محرج جدا ، كما يستدل على ذلك من اجابة ابي ـــ سن الى اشبي ـــ ارا حيث انه عرض ان يدفع ضعف سعر الحنطة اذا تمكن موظفوه من جلبها الى اور . وقد كان من نتيجة هذا الوضع ان ارتفعت الاسعار ارتفاعا فاحشا حتى ان سعر الشعير والسمك اصبح في السنة السابعة والثامنة من حكم ابي ـــ سن ، استنادا الى بعض السجلات ، خمسين الى ستين ضعفا عن السعر الاعتيادي وكان من نتيجة خسران الاراضي الزراعية الى الاموريين ان الغلاء والمجاعة عمت بقية انحاء بلاد سومر . وتشير بعض النصوص الادبية المتأخرة الى التمرد والثورات التي حدثت ضد ابي ـــ سن . ويبدو انه لم يعد بعد السنة الرابعة من حكم ابي ـــ سن يعترف به في مدينة نيبور ، مقر الاله انليل التي تمنح الملكية كما يستدل على ذلك من توقف استخدام تاريخ سنوات ابي ـــ سن .

واخيرا انهارت امبراطورية ابي ـــ سن حتى لم تعد تسيطر الا على مدينة اور وما جاورها وان كان بعض حكام المدن قد ظلوا موالين الى ابي ـــ سن شخصيا الا انهم لم يتمكنوا من تقديم اية مساعدة ذات قيمة . والظاهر ان اشبي ـــ ارا كان من بين هؤلاء الحكام حيث بقي مواليا الى ابي ـــ سن الى اقصى ما يتمكن .

ولم يبدأ بتسمية السنوات باسمه كحاكم لمدينة ايسن حتى السنة الثانية عشرة من حكم ابي ـــ سن .

وبانهيار السلطة المركزية في بلاد سومر واكد واجهت البلاد خطرا اخر هو تهديدات سكان الجبال الشرقية المتكررة . حيث تعرضت البلاد لهجمات اقوام من بلاد عيلام قبل نهاية حكم ابي ـــ سن ببضع سنوات : وتذكر اسماء سنتين من سنوات اشبي ـــ ارا حاكم مدينة ايسن انتصاره على تلك الاقوام وتشير الى ان وسط البلاد وجنوبها قد تعرضا لتلك الهجمات وهناك من يرى ان العيلاميين كانوا حلفاء لابي ـــ سن وانهم هاجموا المدن الثائرة غير ان نهاية اور لا تؤيد هذا الرأي . وفي السنة الرابعة والعشرين من حكم ابي ـــ سن تمكنت جماعة من بلاد عيلام من الهجوم على البلاد دمرت خلالها مدينة اور وارسل ابي ـــ سن نفسه الى بلاد عيلام . وهكذا انتهت اخر بقايا سلالة اور الثالثة . وترك في مدينة اور نفسها وحدة عسكرية عيلامية على بقايا العاصمة المدمرة ولم يتمكن اشبي ـــ ارا من طردها نهائيا حتى كان في وضع اراد فيه تقوية مملكته .

الفصل الثاني

بلاد بابل وآشور حوالي عام ٢٠٠٠ ـ ١٣٥٠ ق . م .

على الرغم من ان اختفاء سلالة اور الثالثة يحدد نهاية الكيان السومري كوحدة سياسية متميزة مستقلة ، فمن الخطأ التحدث عن اندحار السومريين . فليس هناك ما يشير الى وجود شعور بالصراع القومي بين السومريين والساميين في العالم القديم وان الاحداث السياسية التي وقعت في تلك الفترة كانت من نتائج وليس من اسباب التغيرات الاجتماعية والثقافية التي ظهرت جليا انذاك بالرغم من انها كانت قد بدأت قبل ذلك بعشرات بل مئات من السنين .

ففي نهاية الالف الثالث وبداية الالف الثاني قبل الميلاد كانت هناك تحركات للاقوام السامية الغربية باتجاه الشرق الى اواسط بلاد ما بين النهرين وبلاد بابل . وقد بدأ تغلغل هذه الاقوام سلميا في بلاد بابل وبشكل واسع منذ عهد سلالة اور الثالثة كما يستدل على ذلك من وجود اسماء سامية غربية في قوائم اسماء العاملين في المعابد . واستمرت هذه التحركات لمدة تقرب من مائتي سنة وتركت اثارا واضحة في مختلف مظاهر المنطقة الحضارية السياسية منها والدينية والاجتماعية . وقد استقر المهاجرون الجدد ، او كما يدعوهم العلماء المحدثون الكنعانيون الشرقيون او الساميون الغربيون او الاموريون ، في عدد من المراكز الحضارية القديمة حيث اسسوا ممالك تختلف في عدد من الاوجه المهمة عن دويلات مدن المعابد السومرية السابقة وكذلك عن وحدة السومريين السياسية المستقلة الاخيرة المتمثلة بامبراطورية سلالة اور الثالثة ، ولعل من اوجه الخلاف الرئيسية هي فكرة نظام ملكية الاراضي . ففي نظام المجتمع السومري الاول كانت معظم اراضي المدينة (وليس جميعها) تابعة للاله المحلي على حين كانت معظم الاراضي ، حسب الفكر السامي ، مملوكة من قبل العشائر .

وقبل سقوط مدينة اور بفترة ليست بالقصيرة ، تمكن عدد من حكام دويلات المدن من الحصول على الاستقلال وكان من بينهم حاكم (انسي Ensi) مدينة اشنونا على نهر ديالى وكذلك حاكم مدينة الدير الواقعة قرب الحدود العيلامية . غير ان الحاكم الذي تمكن اخيرا من السيطرة على البلاد ، ولو لفترة مؤقتة ، والذي اعتبرت سلالته من بعض الاوجه الوارثة الشرعية لسلالة اور الثالثة هو اشبي ارا حاكم مدينة ايسن الذي تحدد فترة حكمه بالفترة من ٢٠١٧ الى ١٩٨٥ ق . م . غير ان تفاصيل ارتفاع شأن اشبي ارا وسيطرته على البلاد لا زالت غامضة حيث انه استمر بالاعتراف بسلطة ملك مدينة اور لفترة اطول من عدد من امراء المدن الاخرى كما انه لم يقم بما يشير الى انه كان حاكما مستقلا لمدينة ايسن حتى السنة الثانية عشرة من حكم ابي ـــ سن . وفي السنتين ، او السنوات الثلاث التالية ، تمكن من بسط نفوذه حتى شمل مدينة نيبور التي كانت السيطرة عليها تعتبر اساس السيطرة على بلاد سومر . وان ما هو معروف عن الحوادث التي وقعت في السنوات التالية قليل بالرغم من ان تقاويم السنوات تشير الى القيام بالتحصينات مما يدل على وجود صراع مع الغزاة العيلاميين ، كما تشير الى اقامة علاقات دبلوماسية مع عدد من القبائل الرحل التي كانت تتوغل في بلاد ما بين النهرين . وبعد تدمير مدينة اور نهائيا يبدو ان الصورة العامة للوضع كانت تتضمن الاعتراف بشرعية سلطان ونفوذ اشبي ـــ ارا من مدينة ارّابخا (كركوك حاليا) شمالاً الى دلمون (البحرين حاليـا)



بلاد بابل في الالف الثاني ق . م .

جنوبا ، ولعل من اسباب هذا النفوذ هو حمايته لمدينة اور ، وهذا يؤيد الرأي الذي يعتبر اشبي ــ ارا الوارث الشرعي لامبراطورية سلالة اور الثالثة .

وبعد ثمانية سنوات من تدمير مدينة اور ، تمكن اشبي ــ ارّا من طرد الحامية العسكرية التي تركها العيلاميون على انقاض المدينة كما قام باعادة بناء المدينة واعادة نصب تمثال الاله القمر ننّا ، الاله المحلي لمدينة اور الذي سبق للغزاة ان اخذوه الى مدينة انشان . وهذا مما زاد في قوة ادعاء اشبي ــ ارّا لان يعتبر الوارث الشرعي لملوك سلالة اور الثالثة .

اعقب اشبي ــ ارّا في الحكم اربعة اجيال من نفس السلالة غير ان ما هو معروف عنهم قليل في اغلب الاحيان . وهناك ما يشير الى انه خلال الجزء الاول من هذه الفترة كانت سلالة ايسن قد قويت واتسعت وضمت اليها بعض الدويلات المجاورة كالدير التي كانت مستقلة سابقا كما اعيد الامن والنظام في المناطق الواقعة تحت نفوذ ايسن وغدت الظروف ملائمة لاعادة التجارة الداخلية والخارجية التي كانت مزدهرة في عهد سلالة اور الثالثة . واول الدلائل على ضعف سلالة ايسن تعود الى عهد اشمي ــ داكان (١٩٥٣ ــ ١٩٣٥ ق . م) الخليفة الثالث لاشبي ــ ارّا الذي كان عليه ان يقضي على تمرد داخلي ــ استوجب ، كما تذكر احدى التراتيل ، تدميرا جزئيا لمدينة نيبور ، غير انه كان ، بالرغم من ذلك ، مسيطرا على هذه المدينة وعلى مدينة اور والوركاء واريدو والدير ومعظم اجزاء شمال بلاد بابل . وان تفاصيل هذه الاضطرابات ما تزال غامضة . كانت موجات الاقوام البدوية مستمرة في التوغل في البلاد وقد ذكرت بصورة خاصة في الترتيلة الدينية الخاصة بتدمير مدينة نيبور . وكان قد بدأ انذاك نشاط اشور بشكل واضح حيث قام بعد ذلك مباشرة (حوالي عام ١٩٠٠ ق م) اميرها الذي عاصر حكمه جزءاً من عهد سوموابوم في بابل بهجوم على بلاد بابل ربما سالكا الطريق المؤدي الى الجنوب شرقي نهر دجلة وتمكن خلاله من السيطرة على مدينة الدير كما انه ادعى انه «حرر» مدينة اور ونيبور . ولعل «تحرير» اور ونيبور يشير الى اخراج البدو الغزاة الذين لم تتمكن مدينة ايسن منهم . وكانت مدينة الدير ذات اهمية خاصة بالنسبة للاشوريين باعتبارها المدينة الرئيسة الواقعة على الطريق التجاري من عيلام وعلى طول شرقي نهر دجلة على حين كانت مدينة اور الميناء البحري الوحيد في بلاد ما بين النهرين . لذا كان من الطبيعي ان يضمن الاشوريون القاطنون في اعالي البلاد والمعتمدون في تجارتهم على هذه المدن ان تكون في ايدي يمكن الاعتماد عليها . وكان من المستفيدين من ضعف مدينة ايسن دويلة لارسا

الواقعة على الفرات بين اوروك واور التي تمكن حكامها بعد ذلك من ان يؤسسوا سلالة مستقلة في الجنوب وكان ذلك قد بدأ في هذه الفترة كما يستدل على ذلك من احد العقود المكتشفة في لجش حيث يشير الى ان القسم قد تم باسم احد الاشخاص الذي يعرف بانه حاكم مدينة لارسا وليس باسم اشمي ــ داكان حاكم سلالة ايسن (وصاحب السلطة الرسمي) .

وقد اشير في احد النصوص الادبية الى الملك اشمي ــ داكان بانه الملك الذي «ثبت القانون في البلاد» وهو مصطلح لعله يشير الى تشريع القوانين على الرغم من ان القوانين الوحيدة المعروفة الآن من هذه السلالة تعود الى عهد خليفته لبِّت ــ عشتار الذي عثر على اجزاء من قانونه في كل من مدينة نيبور وكيش . ويتحدث لبِّت ــ عشتار نفسه عن «تحرير» ، المواطنين في مدن معينة ولعل ذلك يشير الى بعض الاصلاحات الاجتماعية ذات العلاقة بالعتق من العبودية .

اما من الناحية السياسية ، فقد وضح تماما تدهور مملكة ايسن الذي بدأ منذ عهد اشمي ــ داكان وذلك في عهد لبِّت ــ عشتار وان تفاصيل الاحداث غامضة غير ان لارسا كانت قد برزت كمنافس رئيس وان تقاويم السنين تذكر عددا من العمليات العسكرية التي قام بها كنكنمّ ملك لارسا (١٩٣٢ ــ ١٩٠٦ ق.م) وكان من بين العمليات المهمة السيطرة على مدينة اور التي مكنت لارسا من السيطرة على التجارة الخارجية مع البحرين التي كانت تمر بهذه المدينة . كما كان هناك نشاط كبير في الحركة العمرانية . ومن الجدير بالملاحظة ان وحدة بلاد بابل الدينية قد تجاوزت التجزئة السياسية ، فلم تكن ابنتي اشمي ــ داكان ولبت ــ عشتار تشغلان وظيفة الكاهنة العليا في معبد الاله القمر ننّا في مدينة اور عندما كانت اور تحت سيطرة كنكنّم فحسب بل ان خليفة لبِّت ــ عشتار في ايسن قدم النذور الى مدينة اور بغض النظر عن كونها تحت نفوذ مدينة لارسا السياسي .

وقام خلفاء كنكنّم بتوسيع نفوذهم عسكريا باتجاه شمال بلاد بابل وسيطروا في النهاية على عدد من المدن وبصورة خاصة على مدينة نيبور ــ واوروك التي كانت تعود سابقا الى مدينة ايسن . ويفوق انتصارات حكام لارسا العسكرية اهمية الاهتمام الذي اولاه حكام سلالة لارسا لنظام الري . ويبدو من نشاطهم في هذا المجال انهم كانوا يعون حقيقة المثل القائل «من سيطر على قنوات الري سيطر على البلاد» الذي يرى فيه Gertrude Bell بانه ينطبق على بلاد ما بين النهرين . ومن المحتمل ايضا ان عدم الاهتمام بهذا المبدأ كان من العوامل التي ساعدت على انهيار سلالة اور الثالثة حيث اننا لانسمع منذ اواخر عهد

هذه السلالة عن الاعمال العامة في القنوات بقدر ما كان يتم من مشاريع ضخمة لبناء المعابد .

عاصر الخليفة الثاني لكنّكم المدعو سومو ـــ ايلوم بداية السلالة الشهيرة المعروفة بسلالة بابل الاولى (١٨٩٤ ـــ ١٥٩٥ ق م) . وكانت مدينة بابل خلال حكم سلالة اور الثالثة عبارة عن مدينة صغيرة تحكم من قبل حاكم محلي «انسي» Ensi ولا يعرف فيما اذا كان جزءا من المنطقة التي سيطر عليها حكام ايسن بعد ذلك ام لا . كما ليست لدينا معلومات وافية عن مؤسس السلالة الاولى المدعو سومو ـــ ابوم غير ان اسمه وكذلك بعض الخصائص الاجتماعية التي امتازت بها المملكة التي اسسها تشير الى انه كان من اصل سامي غربي . ولا يعرف في الوقت الحاضر فيما اذا كان سومو ـــ ابوم في بداية امره في خدمة احدى دويلات المدن في بلاد ما بين النهرين ، كما كان اشبي ـــ ارا من قبله ، ام انه هجم على بابل مباشرة من الصحراء على الرغم من ان احد الطقوس الدينية التي اتبعها يشير الى وجود نوع من العلاقة مع ايسن . وقد امضى سومو ـــ ابوم معظم سني حكمه البالغ اربع عشرة سنة في تقوية مدينة بابل بالتحصينات واخضاع عدد من المدن المجاورة ، عسكريا او بوسائل دبلوماسية ، لا سيما مدينة كيش وسبار .

وقد ادى توسع لارسا في الشمال وبابل في الجنوب في نهاية الامر الى نشوء صراع بين هاتين القوتين غير انه من الخطأ اعتبار هذا الصراع مفتاحا لمعرفة تاريخ بلاد ما بين النهرين خلال القرن التالي . فقد كان هناك عدد لا بأس به من دويلات المدن الاخرى ، من مدينة ماري على الفرات والى منطقة ديالى والحدود العيلامية ، التي ظلت تتمتع بدرجات متفاوتة من الاستقلال وامكانية للتوسع على الرغم من انها ضمت في النهاية الى بابل او لارسا واتحدث في نهاية الامر تحت حكم حمورابي . وكان من نتائج ضغط القبائل السامية المتغلغلة في اواخر عهد سلالة اور الثالثة ان تولى الحكم في كثير من هذه الدويلات حكام من الاموريين ونظرا لتنقل السيطرة على المعبد المركزي المقدس في تيبور بين ايسن ولارسا ، فلم يكن هناك دويلة يمكن اعتبارها بحق الوارثة الشرعية في حكم بلاد بابل .

وتدهورت الحالة في لارسا نفسها عندما هاجمتها جيوش كازلّو Kazallu وموتيابال Mutiabal ونحي اخر حكام سلالة كنكنّم عن العرش . غير ان كودور مبوك ، الذي يحمل اسما عيلاميا وله صلة قوية بالعيلاميين بالرغم من احتمال نسبه الى الاموريين ، تمكن من دحر الجيوش المهاجمة واعادة قوة

لارسا وتنصيب ابنه ورد ــ سن على العرش . بينما تناقصت اهمية ايسن باستمرار ــ وقضي على سلالتها نهائيا بعد هجوم ريم ــ سن (١٨٢٢ ــ ١٧٦٣ ق م) حاكم مدينة لارسا ، وهو اخو وخليفة ورد ــ سن . وقد اولى ريم ــ سن اهمية بالغة لهذه الحادثة التي جعلت منه الحاكم الوحيد في وسط وجنوبي بلاد بابل والوارث الشعري لألقاب ملوك سلالة اور الثالثة لذا فقد ارخت السنوات الثلاثين التالية من حكمه الذي دام ستين عاما بهذه الحادثة .

ويصادف دحر لارسا لمدينة ايسن في نهاية حكم سن ــ مبلط (١٨١٢ ــ ١٧٩٣ ق م) والد حمورابي . وعلى الرغم من بقاء عدد من الدويلات المستقلة ، لا سيما ماري واشنونا، فقد كان التغير حاسما حيث انه يمثل القضاء على الحاجز المتبقي بين القوتين المتعاظمتين بابل ولارسا . لذا ، عندما تولى حمورابي العرش (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق م) كانت دولته قوية وواسعة تمتد من حدود بابل الى الخليج العربي وعيلام . ولعل الفضل في نجاحه في السيطرة اخيرا على جميع بلاد بابل يعود لحسن ادارته ودبلوماسيته اضافة الى انتصاراته العسكرية .

ويمكننا رسم صورة واضحة للنشاط الدبلوماسي في هذه الفترة من الوثائق المكتشفة في مدينة ماري المتمثلة بموقع تل الحريري حاليا في شرقي سوريا . ويعود تاريخ الاستيطان في هذه المدينة المهمة ، باعتبارها محطة على الطريق التجاري على نهر الفرات الموصل بين الخليج العربي والبحر المتوسط ، الى عهد جمدة نصر على اقل تقدير . ويبدو ان الموقع ، الذي تم التنقيب فيه من قبل علماء الآثار الفرنسيين بين عامي ١٩٣٣ و١٩٥٨ ، قد وصل الى قمة اهميته في بداية الالف الثاني قبل الميلاد . وقد اثمرت التنقيبات مكتشفات كثيرة هامة من هذه الفترة فالى جانب المنحوتات المهمة واللوحات الجدارية والبرونزية ، زودنا الموقع بمعلومات وافية عن طرز عمارة القصور والمعابد وتشير جميع المكتشفات الى رخاء اقتصادي واضح . غير ان اهم جميع المكتشفات الاثرية في مدينة ماري هي مجموعة من الرقم الطينية جاوز عددها عشرين الف رقيم تمثل بالدرجة الرئيسة رسائل ووثائق ادارية واقتصادية . وقد القت هذه الرقم التي لا تزال في دور النشر ، ضوءا ساطعا على الاحداث في الشرق الادنى في بداية الالف الثاني قبل الميلاد . وكانت مدينة ماري ذات اهمية خاصة في هذه الفترة لانها كانت تمثل احدى الدويلات السومرية القديمة الواقعة في اقصى الغرب . فكانت لذلك اول من واجه تأثير اي موجة امورية وكذلك اول من اثر

حضاريا في مثل هؤلاء الغزاة . لذا نجد الاشارة الى اشبي ــ ارا مؤسس سلالة ايسن الذي كان اموريا بقوميته بأنه رجل ماري مما يدل على انه كان في بداية امره يعمل في تلك الدويلة .

وكان تأسيس سلالة ماري التي ورد ذكرها في مجموعة الرقم المكتشفة والمذكورة آنفا من قبل المدعو اشطب ــ ايل Ishtup-Il في نفس الفترة وكجزء من التحركات القومية نفسها التي اسست خلالها سلالة ايسن ولارسا واشور وبابل . وباختصار ، كان تاريخ الملكية في ماري ملكيا وراثيا تخللته فترة من السيطرة الاجنبية عندما عين شمشي ــ ادد ملك اشور احد ابنائه نائبا للملك فيها . ثم تمكنت السلالة المحلية من استعادة سلطتها على ماري غير انه قضي عليها عند هجوم حمورابي ملك بابل اخيرا على المدينة وذلك في سنته الخامسة والثلاثين . وتزودنا الرقم المكتشفة بتفاصيل غاية في الدقة لملء هذا الاطار المجرد من الاحداث التاريخية سواء بالمعلومات عن الادارة العامة او المكائد السياسية ام اعمال الموظفين في هذه الفترة . وغالبا ما نقرأ عن ارسال السفراء على حين تشير المراسلات بين مختلف الحكام الاموريين والتي نجدها بين رسائل ماري الى حركة القطعات العسكرية التي احتسبت اعداد وحداتها بالالاف وليس بالمئات.ويمكن ، استنادا الى قوائم الارزاق الخاصة بالضباط والجنود ، تقدير اعداد القوات المسلحة التي كانت موجودة في دويلة ماري والتي وصلت الى مالا يقل عن عشرة الاف جندي منها اربعة الآف في حامية العاصمة . وكانت واجبات مثل هذه القوات بالدرجة الاولى حماية السكان المستوطنين من الاقوام الرحل الغازية ويشرح يسمخ ــ ادد في ماري في رسالة بعث بها الى اخيه الاكبر اشمي ــ داكان بأن خمسمائة جندي من مجموع الالف جندي قد وضعت لحماية المدينة في حين وضع النصف الباقي لحراسة الماشية . وكان اهتمام الحكام الاموريين بالناحية الاقتصادية الى جانب الناحية السياسية والعسكرية . لذا ، عندما كانت المراعي قليلة في المنطقة ، طلب نائب الملك في ماري من نائب الملك في قطنا السماح لقطعانه بالرعي مع قطعان قطنا وقد اجاب نائب الملك في قطنا الطلب .

وتشير وثيقة اخرى من مدينة ماري الى الاحلاف والاحلاف المضادة حيث تذكر انه :«لا يوجد هناك ملك هو الاقوى وحده ، فهناك عشرة او خمسة عشر ملكا يتبعون حمورابي (ملك) بابل ، ونفس العدد يتبع ريم ــ سن (ملك) لارسا ونفس العدد يتبع ابال ــ بيل (ملك) اشنونا ونفس العدد يتبع اموت ــ بي ــ ايل (ملك) قطنا ، وعشرون ملكا يتبعون يارم ــ لـم (مـلـك)

يمخد» . وواضح ان تاريخ هذه الرسالة سابق للسنة الثلاثين من حكم حمورابي التي تمكن فيها حمورابي من دحر ريم ــ سن دحرا حاسما كما لابد انها تعود الى ما بعد سنته العاشرة حيث ان اسماء الملوك المهمين في الفترة السابقة لذلك كان لابد وان يضم شمشي ــ ادد ملك اشور. وقد تمكن شمشي ــ ادد ، وهو من اعظم الملوك الذين يعودون بأصلهم الى الاموريين ،من ان يجعل من بلاد اشور اعظم دولة في بلاد ما بين النهرين لفترة قصيرة . ومن المؤكد انه عاش حتى السنة العاشرة من حكم جمورابي حيث ان احدى الوثائق المؤرخة في هذه السنة تذكر ان القسم قد تم باسم الملك شمشي ــ ادد والملك حمورابي سوية .

ويعود تاريخ منطقة آشور الجغرافية (وليس الدولة السياسية) والتي كانت تعرف في الفترة الاولى ببلاد سوبارتو Subartu الى دور حضارة **حلف** على اقل تقدير حيث كانت مركزا لها ومن المحتمل مهدها . ثم طغى على هذه الحضارة ما عرف فيما بعد بحضارة **العبيد** ذات الاصل الجنوبي التي اصبحت بالتالي الحضارة الرئيسة المنتشرة في جميع انحاء بلاد ما بين النهرين ، واخيرا وصلت الحضارة السومرية الى بلاد آشور ولعل ذلك بعد ظهورها في جنوبي بلاد بابل ببضعة قرون . وقد عثر في مدينة اشور على معبد يعود الى فترة عصور فجر السلالات . وتشير جداول الملوك الاشورية من خرصباد الى اخبار حكام بلاد اشور ، واستنادا الى ذلك فان الحكام السبعة عشر الاوائل في الفترة السابقة لحكم سرجون الاكدي (اي قبل عام ٢٣٧٠ ق م) كانوا عبارة عن شيوخ رحل طالما انهم وصفوا بسكان الخيم .

واصبحت بلاد آشور بعد ذلك جزءا من امبراطورية سرجون الاكدي ثم جزءا من امبراطورية سلالة اور الثالثة وفسح سقوط امبراطورية سلالة اور الثالثة المجال لبلاد آشور ، وكذلك لبعض دويلات المدن التابعة الاخرى للاستقلال . ولدينا معلومات وافية عن قسم من الفترة التالية لذلك تتعلق بتجارة آشور مع آسيا الصغرى . ويعود الفضل في ذلك الى مجموعة من الرقم الطينية تجاوز عددها ثلاثة الاف رقيم امكن الحصول عليها خلال الخمسين سنة الماضية عن طريق التنقيبات المشروعة وغير المشروعة التي تمت في كول تبة في قلب شرقي آسيا الصغرى . ويمثل موقع كول تبة الحالي موقع قانش القديم حيث عاش فيه في الفترة المعروفة لدينا من ١٩٥٠ ــ ١٨٠٠ ق م جالية من التجار الاشوريين . ومن الباحثين في السنوات الاخيرة من يرى بأن المنطقة كانت فعلا تحت النفوذ العسكري الاشوري غير ان الادلة المؤيدة لذلك قليلة

ومن الصعب ان نفترض ان الامبراطورية الاشورية قد امتدت في هذه الفترة شمالاً الى منطقة لم تصلها في اي فترة اخرى في التاريخ الذي اعقب ذلك . ولعل الارجح ان المستوطنة التجارية ، التي كان لها تنظيما محليا ونظاما قانونيا خاصا ، كانت خاضعة لنفوذ وحماية احد الملوك المحليين ، حيث ان نظام المستوطنات التجارية التي كانت تتمتع بالحماية وببعض الامتيازات كان شائعا في العالم القديم في الالف الثاني والاول قبل الميلاد وقد اشير له اكثر من مرة في العهد القديم .

وكانت التجارة بين قانش وآشور (والتي كان يشار اليها عادة بامدينة) تتم بواسطة قوافل من الحمير يصل عددها الى مائتي حيوان . ويمكن الاطلاع على تفاصيل هذه التجارة وتنظيمها في الصفحة ٢٣٦ الآتية . ومن المحتمل ان التجارة بين اناضوليا وبلاد ما بين النهرين تعود الى فترة سابقة لتاريخ هذه الوثائق وفي الواقع ان ما يؤيد ذلك الاخبار المتنقلة (انظر صفحة ٦٧ التي تذكر كيف ان سرجون الاكدي قام بحملة عسكرية لمساعدة مستوطنة تجارية كانت تواجه معاملة سيئة في آسيا الصغرى .

ان تدفق الثروة على بلاد آشور عن طريق مثل هذه التجارة جعلها في موقع قوي جدا في خلال فترة التجزئة التي اعقبت سقوط امبراطورية سلالة اور الثالثة . فكان ايلوشوما ، وهو اول حاكم اشوري معروف من هذه الفترة ، من القوة بمكان انه قام بغزوة ناجحة على بلاد بابل شرقي دجلة تمكن خلالها من الاستيلاء على الدير ، وهي مدينة على الحدود العيلامية تقع على النهاية الغربية لاحد الطرق التجارية عبر ايران . كما اقتحم ايلوشوما المنطقة الواقعة في الجانب الثاني من نهر دجلة وتدخل بشكل يصعب فهمه غير انه وصف حرفيا بأنه «اعاد الحرية» ، لاور ونيبور ولعل ذلك يعني ، كما سبق ان بينا ، محاولة لحماية ميناء اور الجنوبي المهم ضد اية موجة جديدة من البدو والغزاة . اعقب ايلوشويا ابنه اريشوم الاول Irishum في اواخر القرن العشرين واوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد ثم حفيد ابنه سرجون الاول الآشوري (بعد عام ١٨٦٠ مباشرة) وكلاهما تمتع بمركز مرموق . غير ان رفاهية بلاد اشور وقوتها لم تستمر بعد هذين الحاكمين طويلا حيث ان الظروف التي هيأت لمجيئهما قد انتهت بعد ذلك بقليل ، فالقبائل الهندية ــ الاوربية كانت تتحرك في ما وراء القوقاس في اوربا الشرقية كما بدأ الحثيون في هذه الفترة بالتدفق الى بلاد الاناضول من الشمال الشرقي . وكان من نتيجة هذه التحركات أن انقلبت النظم السياسية السابقة في آسيا الصغرى الى حالة اضطراب ولابد ان اعقب ذلك نهاية

العلاقات التجارية الاشورية مع قانش . ودخلت بلاد اشور في فترة اضمحلال . وتذكر جداول الملوك الاشورية ملكا باسم نرام ـ سن الذي يمكن ان يكون نرام ـ سن المعروف حاكم دويلة اشنونا عل نهر ديالى . وذلك يفترض قيام مملكة اشنونا بغزو بلاد اشور غير انه لا يوجد في وثائق منطقة اشنونا المتوفرة حاليا ما يشير الى مثل هذا الحادث على الرغم من انها تشير الى ان اشنونا كانت في اوائل الألف الثاني قبل الميلاد دولة قوية وواسعة النفوذ.وعلى كل حال ، فاذا كانت بلاد اشور قد وقعت فعلا تحت نفوذ اشنونا ، فان ذلك لم يكن لفترة طويلة ، حيث وقعت الدويلة اخيرا بيد زعيم اموري اخر هو الحاكم القدير شمشي ـ ادد (حوالـي ١٨١٤ ـ ١٨٧٢ ق م).وكبقية معظم مؤسسي السلالات الامورية ، فان ما هو معروف عن سلفه قليل جدا . فقد كان ابوه المدعو ايلا ـ كبكبو Ila-Kabkabu حاكما لدويلة صغيرة في بلاد ما بين النهرين وكان في بداية الامر متحالفا مع يكد ـ لم Yaggid-Lim احد الملوك الاموريين الاوائل في ماري ثم انقلبت العلاقة بينهما الى علاقة عدائية . وبعد ان ثبت شمشي ـ ادد نفسه على عرش اشور ، حدثت ثورة في بلاط ماري قتل فيهّا يخدن ـ لم Yahdun-Lim ابن يكد ـ لم Yaggid-Lim وليس هناك ما يدل على ان الثورة كانت من تخطيط شمشي ـ ادد غير انه طالما كان المستفيد من ذلك في النهاية فانه موضع شك قوي . وهرب ولي العهد زمري ـ لم ولجأ الى مملكة يمخد Yamhad في منطقة حلب . وتمكن شمشي ـ ادد من السيطرة على دولة ماري القوية والغنية ونصب ابنه الاصغر يسمخ ـ ادد نائبا للملك فيها بينما كان ابنه الاكبر وخليفته على عرش آشور نائبا للملك في دولة تدعى اكلاتم Ekallatum وكان يسمخ ـ ادد شابا صغيرا ذو صفات مرضية كثيرة اكثرها وضوحا طاعته لابيه واخيه الاكبر ، غير انه لم يتصف بالقابلية الادارية وفق المعايير الكبيرة .

وقراءة بعض مراسلات يسمح ـ ادد طريفة للغاية حيث غالبا ما كان على اخيه الاكبر والاكثر قدرة ان يساعده في الخروج من بعض المآزق . وفي احدى الرسائل نجد والده يؤنبه بشدة لمعاملته الجافة لبعض الاشخاص ممن ينتسبون للاسر الملكية . وفي رسائل اخرى يكتب يسمخ ـ ادد الى والده مكررا كلمات الازدراء والاحتقار التي كان قد ارسلها له ابوه قائلا :«انت لست برجل ، ليس لك لحية على ذقنك الى متى ستبقى غير قادر على ادارة مقاطعتك ؟» وفي مناسبات اخرى نجد شمشي ـ ادد ينتقد يسمخ ـ ادد لطلبه المستمر للمشورة حول ادارة الشؤون التي عهد بها اليه ويضرب

اشمي ـــ داكان مثلا للاسلوب الذي يجب ان يتبعه نائب الملك . وفي مناسبة اخرى كان ليسمخ ـــ ادد الجرأة ان طلب من ابيه ان يضيف مدينة شوبات ـــ شمش الى حدوده . وقد ازعجت هذه الوقاحة شمشي ـــ ادد الذي قال بغضب ، حسبما يذكر اشمي ـــ داكان في رسالته الى يسمخ ـــ ادد محاولا تخفيف الامور ، انه لم يتمكن بعد من ان يضع اسسا ثابتة لادارة ماري وطوطول ويطلب الان شبات ـــ شمش .

غير ان ملكية يسمخ ـــ ادد على ماري لم تستمر طويلا بعد وفاة والده في السنة العاشرة او الحادية عشرة من حكم حمورابي ، فقد ظهر ثانية زمري لم ـــ ولي عهد سلالة ماري السابق من ملجئه في الغرب وتمكن بمساعدة الدول القوية الثلاث يمخد وبابل واشنونا من القضاء على يسمخ ـــ ادد بعد حكم دام سبعة عشر عاما .

اما الاسباب التي دفعت حمورابي ملك بابل وملك اشنونا الى تغيير سياستهما المؤيدة لآشور وتأييدهم لسلالة ماري السابقة فغير واضحة . وكما هي الحال في كثير من الفترات التاريخية الاخرى فعندما يكون الوضع السياسي العام متأزما في منطقة تضم عددا كبيرا من الدول ليس بينها دولة قوية تفوق قوة الاخرين ، تظهر التحالفات الجديدة بين الدول الامورية ولابد وان علاقات الصداقة والعداء الشخصية والمكاسب السياسية المباشرة كانت تلعب دورا في ذلك . لذا فقد تركت اشنونا حلف يمخد ـــ ماري ـــ بابل ودخلت الحرب ضدهم بالتحالف مع جاراتها الشرقية عيلام ودولة اندارق Andariq في شمال بلاد ما بين النهرين . وفي السنة التاسعة والعشرين من حكم حمورابي انضم زمري ـــ لـم الى حلف مضاد لحليفه السابق حمورابي بزعامة عيلام واشنونا ولعل ذلك بسبب معرفته بأن بابل القوية آنذاك تمثل اكبر خطر على استقلاله . وتمكن حمورابي من القضاء على هذا الحلف وثبت نفسه بحزم باعتباره القوة الرئيسة في المنطقة . وحيث ان ريم ـــ سن ملك لارسا كان مسيطرا لمدة طويلة على معظم جنوبي بلاد بابل لذا فقد اصبحت هناك القوتان الرئيستان بابل ولارسا وجها لوجه وفي السنة التالية تمكن حمورابي من القضاء على ريم ـــ سن وبذا اصبح الحاكم الوحيد في بلاد بابل (عام ١٧٦٣ ق م) ومع ذلك فقد كان هناك بعض الدويلات النائية المستقلة التي تمكن حمورابي من دحرها في السنوات الثلاث التالية . وكان آخر هدف رئيسي له هو الاستيلاء على ماري .

واصبح زمري ـــ لـم بذلك تابعا له غير ان الثورة اندلعت بعد سنة فاضطر

حمورابي الى تدمير اسوار ماري والقضاء على زمري — لم .

وهكذا قلب نشاط حمورابي السياسي والعسكري دويلة المدينة الى مركز امبراطورية وكانت نجاحات حمورابي الادارية التي اعقبت ذلك موازية لنجاحاته العسكرية . واحسن ما يمكن التعرف من خلاله على هذه النجاحات هو مجموعة القوانين التي قام بتشريعها ومراسلاته الكثيرة مع موظفيه في المناطق المختلفة .

وتشير مقدمة القوانين (انظر صفحة ٢٢٤) وما بعدها الى بعض ملامح سياسة حمورابي وكيف ان الالهة دعت : «حمورابي ، الامير المبجل الذي يخاف الالهة ، لنشر العدل في البلاد وللقضاء على الشر والخبيث حتى لا يظلم القوي الضعيف ، ليعلو كالشمس فوق ذوي الرؤوس السود (اي الناس) ولينير البلاد ؟» وكيف انه قام تلبية لامر الاله مردوخ :

«بنشر الحق والعدل في البلاد وجعل الناس في رفاهية»

ويفصل لنا حمورابي تقواه ويصف احترامه لمعابد الالهة العظام في المدن المهمة في المملكة وهي مدينة نيبور واريدو وبابل واور وسبار ولارسا واوروك وايسن وكوثا وبورسيا ودلبات ولجش وماري واكد واشور ونينوى وغيرها . وتوضح مراسلاته المفصلة صحة هذا التفاخر فلم يكن هناك شيء لا يستحق اهتمامه مهما صغر ولا حاكم من الاهمية بحيث يعيق حمورابي من اعطاء قرار حاسم واوامر قطعية في صالح تثبيت ادارة جيدة . وهكذا نجد ان احد كبار الموظفين الذي سبق له وان امر بتنظيف قنال قرب مدينة اوروك فتقاعس عن الامر ، قد امر بأن يتم العمل خلال ثلاثة ايام ويقدم تقريرا بذلك . وكان يحقق بالاتهامات الخاصة باغتصاب الاراضي ويقضي فيها بالعدل واذا ما علم الملك باتهام احد بالرشوة ، كان يبعث للتحقيق في الامر ويأمر بمصادرة الرشوة وارسال المتهمين والشهود اليه بعد الانتهاء من التحقيق . كما كان الملك يصدر ايضا امرا ملكيا باضافة شهر الى السنة التقويمية ليجعل التقويم المستند على مشاهدة القمر منسجما والاعتدال الربيعي او الخريفي . كما اتبع حمورابي سياسية متابعة تنظيم القنوات ليعم الرخاء الزراعي في بلاده . وسنتطرق الى تفاصيل ادارة وتنظيم مملكة حمورابي في موضع اخر .

وصهر حمورابي دويلات المدن الكثيرة في بلاد سومر واكد في مملكة واحدة واستخدم في البلاد جميعها لغة واحدة للادارة والعمل (بالرغم من ان اللغة السومرية ظلت تستخدم كلغة كهنوتية طوال حياة بابل) ونظاما قانونيا واحدا . كما يمكن القول بأنه جعل لبلاد بابل مجموعة موحدة من الالهة على رأسها

الاله مردوخ ، اله مدينة بابل . غير ان هناك من يرى بأن الاله مردوخ لم يصبح الها قوميا لبلاد بابل الا بعد فترة ليست بالقصيرة من بعد عهد حمورابي.وظل التنظيم الاجتماعي الذي فرضه حمورابي على البلاد واضحا حتى نهاية تاريخ بلاد بابل في حين لم تبق انتصاراته العسكرية بعد وفاته فترة طويلة . فقد سبق واشرنا الى التحركات العرقية الناتجة عن تحرك القبائل الهندية ـــ الاوربية فيما وراء القوقاز وبدأ تأثير احدى الموجات المتجهة نحو الجنوب يظهر بعيدا . ففي بداية عهد سمسو ـــ ايلونا ابن حمورابي (١٧٤٩ ـــ ١٧١٢ ق م) قام جيش كاشي بهجوم من الحدود العيلامية على الرغم من ان البابليين تمكنوا من صد هذا الهجوم الا انه نجح في فتح اور والوركاء . وكان الكاشيون ، الذين تمكنوا بعد ذلك من تأسيس سلالة في بلاد بابل حكمت بضعة قرون ، من الاقوام التي جاءت من جبال زاجروس . وعلى الرغم من انه لا يعرف بالضبط الى اي العائلات اللغوية تنتسب لغتهم ، الا ان بعض خصائص آلهتهم تشير الى انهم كانوا على علاقة حضارية بالاقوام الهندية ـــ الاوربية ، وهذه الحقيقة تشير الى ان ظهورهم في هذه الفترة كان نتيجة ضغط تحركات الاقوام الهندية ـــ الاوربية في الشمال . وتشير اسماء الاشخاص في الوثائق التجارية التي تعود بتاريخها الى القرن التالي او اكثر الى استمرار تغلغل الكاشيين السلمي في بلاد بابل .

وفي السنة الثامنة والعشرين من حكم سمسو ـــ ايلونا ، حدثت ثورة في جنوب بلاد بابل (في منطقة الاهوار المعروفة «ببلاد البحر») التي لم يتمكن من اخضاعها . وهكذا ظهرت سلالة «بلاد البحر» ، التي استمرت في السيطرة على منطقة تمثل بلاد سومر القديمة تقريبا ، لمدة تزيد عن مائتي عام ، وبذا فقد ظلت حتى بعد نهاية سلالة بابل الاولى نفسها . اما تاريخ خلفاء سمسو ـــ ايلونا السياسي وهم كل من ابي ـــ ايشوخ (١٧١١ ـــ ١٦٨٤) وامّي ـــ ديتانا (١٦٨٣ ـــ ١٦٤٧) وامّي ـــ صادوقا (١٦٤٦ ـــ ١٦٢٦) فقد اقتصر على بعض الحملات الصغيرة وبعض الاعمال الدفاعية وربما يشير ذلك الى توقع حدوث هجوم مفاجيء .

ويمثل سقوط سلالة بابل الاولى احدى العلامات الدالة في التاريخ القديم وممهد باسلوب مرير لظهور اقوام قامت بدور قيادي في تاريخ القرون التالية . ففي عام ١٥٩٥ ق م ، وهي السنة الثلاثون من حكم سمسو ـــ ديتانا (١٦٢٥ ـــ ١٥٩٥ ق م) اخر ملوك سلالة بابل الاولى ، قام مرسيلس الاول ، رابع حكام الامبراطورية الحثية ، فجأة بهجوم كاسح من آسيا الصغرى الى

سوريا (حيث استولى على مدينة حلب) واتجه بمحاذاة الفرات واستولى في طريقه على ماري ثم وصل الفاتح الى بابل التي دمرها واحرقها وعاد ادراجه الى عاصمته بنفس الاسلوب المفاجيء الذي جاء به ، غير ان عودته كانت متأخرة فلم يتمكن من القضاء على المؤامرة التي حدثت في بلاطه والتي انتهت بمصرعه . ومع ذلك فقد كانت الاقامة القصيرة في بابل كافية لتمزيق الحكومة والادارة فيها . فوقعت بلاد بابل بعد ذلك فريسة سهلة لجماعة من الاقوام الكاشية التي اكتسحت المنطقة قادمة من الجبال الشمالية الشرقية وذلك بعد انسحاب الحثيين .

لقد سبق وان اشير الى وصول الحثيين الى آسيا الصغرى ، وكان سكان آسيا الصغرى الاوائل ، الذين يعرفون حاليا عادة «بالخاتيين» Ḫattians نسبة الى ختّي Ḫatti ، وهو الاسم الذي اطلقوه على بلادهم ، يتكلمون لهجات ليست هندية ــ اوربية ويبدو ان المتكلمين باللغات الهندية ــ الاوربية بدأوا بالوصول الى المنطقة في القرن الاول من الالف الثاني قبل الميلاد . ويستدل على ذلك من حقيقة انه يمكن تفسير اسماء بعض الاشخاص غير الآشورية الموجودة في وثائق المستوطنة الآشورية التجارية في قانش على اساس انها هندية ــ اوربية . وقبل وصول الحثيين الهندو ــ اوربيين ، كانت البلاد تضم ما يقرب من عشرة ممالك صغيرة كان في مقدمتها بورروش ــ خاندا Burush-Khanda . ولكن ليس لدينا وثائق معاصرة من فترة الخاتيين بالرغم من وجود بعض الوثائق المتأخرة التي قد تمثل بعض التقاليد الخاتية الاصلية .

وبعد فترة الاضطراب الناتجة عن غزو الاقوام الهندو ــ اوربية لمنطقة خالي Halys تمكن احد امراءهم المدعو لابارانس Labarans بعد عام ١٧٠٠ ق م من ان يقتطع لنفسه مملكة تمكن بعد ذلك ، كما تذكر الاخبار الحثية ، من توسيعها بفتوحاته العسكرية الناجحة حتى جعل البحر حدودها . وكان الامراء من العائلة المالكة يعينون حكاما للمدن المهمة . وكانت عاصمة لابارانس مدينه تدعى كسارا Kusara (لا تزال غير معروفة) غير ان ابنه نقل العاصمة الى خاتوشاش Hattusas وهي قلعة تقع في منحنى خالي ، كما غير اسمه الى خاتو ــ شيليش Hattusilis ولدينا بعض المعلومات عن التنظيم الاجتماعي في البلاد في عهد خاتو شيليش الاول (حوالي ١٦٥٠ ق م) مستمدة من وثيقة تسجل خطاب هذا الملك بمناسبة تبنيه وريثا له هو مرسيليس الاول . ويشير ذلك الى ان ادارة الحكومة في المملكة الحثية كانت آنذاك مقصورة اساسا على طبقة مغلقة من النبلاء تحكم السكان المحليين ، وكانت هذه وحدها المسؤولة

عن النشاطات العسكرية والادارة المركزية في البلاد . وكان الشخص الاعتيادي حرا الا انه خاضعا لاعمال السخرة لمصلحة الدولة .

واتسعت المملكة الحثية في عهد خاتو شيليش الاول جنوبا وشرقا وشملت طوروس والسهول الخصبة في شمال سورية واخضع خاتو شيليش دولة يمخد Yamhad وهي دولة قوية كان مركزها في مدينة حلب وكانت ملجأ لزمري ــ لم حاكم مدينة ماري عندما هرب من شمشي ــ ادد (ثم اصبحت بعد ذلك حليفة لحمورابي) وجعلها دولة تابعة ولو لفترة قصيرة تمكنت بعدها من استعادة استقلالها . واتبع مرسيليس الاول ، الوريث الذي تبناه خاتو شيليش ، نفس السياسة التي بدأ بها سلفه وقام باستغلال سوريا وتمكن اخيرا من تدمير مدينة حلب وبعد ذلك قام بزحفه المشهور بمحاذاة نهر الفرات الذي انتهى بتدمير مدينة بابل وسقوط سلالتها الاولى . ومع ذلك وعلى الرغم من الانتصارات العسكرية الباهرة التي حققتها الطائفة الحاكمة في المملكة الحثية ، الا ان تنظيمها الاجتماعي كان ينقصه الاستقرار . فان مرسيليس المنتصر الذي كان نفسه قد تبناه خاتو شيليش بعد عصيان ولي العهد السابق الفاشل قد اغتيل بعد عودته من تدمير بابل من قبل زوج اخته خانتيليش Hantilis .

وقد ترك تدمير الحثيين لمدينة بابل البلاد مفتوحة امام جحافل الكاشيين ، وهم من جنس اقوام جبال زاجروس ؛ وقد كان بعض الافراد من الاقوام الكاشية موجودون في بلاد بابل منذ اوائل عهد سلالة بابل الاولى وقد سبق ان ذكرنا (انظر صفحة ٨٨) كيف ان خليفة حمورابي قد اصطدم مع قوات كاشية شرقي دجلة . ومنذ ذلك الحين بدأ الكاشيون يستقرون في شمال شرقي بلاد بابل تحت حكم ملوكهم وقد نصب احد هؤلاء الحكام وهو اكوم الثاني (او اكوم ــ ككريمة Agukakrima) ملكا على بلاد بابل بعد ان دمرها مرسيليس الاول . ويبدو انه تمكن من توسيع سيطرته الى اعالي وسط الفرات حتى مملكة خانا Hana كما ادعى الملكية على الكوتيين في المنطقة الجبلية شرقي بلاد آشور ولعل ذلك كان ممكنا بسبب وجود سلالة كاشية سابقة في خانا .

وبتدمير الحثيين لمدينة بابل وهجوم الكاشيين على البلاد انتهت اخيرا منجزات حمورابي السياسية ، غير ان تأثير الحضارة البابلية ظل كبيرا في كافة انحاء الشرق الادنى والاوسط . ولم يقتصر استخدام اللغة الاكدية والخط المسماري على الملوك الكاشيين بل ان بعض اللهجات الاكدية استخدمت على نطاق واسع للاغراض الرسمية خارج بلاد بابل وآشور . ومن المكتشفات المهمة في نهاية القرن الماضي تلك التي تمت من قبل احدى النساء الفلاحات

في العمارنة* في مصر التي تضمنت الكشف عن بعض المراسلات الدبلوماسية التي تعود الى حوالي ١٤٠٠ ق م بين ملوك مصر من جهة وملوك الحثيين والميتانيين والاشوريين والبابليين وامراء مدن مختلفة في سوريا وفلسطين من جهة ثانية . وقد دونت هذه المراسلات بصورة عامة باللغة الاكدية بالرغم من ان اللغة المستخدمة كانت في بعض الاحيان متأثرة تأثيرا واضحا باللهجة المحلية للكاتب . وبذا ، فقد كانت اللغة الاكدية هي اللغة المعترف بها في المراسلات بين الشعوب المتحضرة آنذاك . ونجد انه حتى في مدينة اوغاريت في سوريا التي كان لها لغة سامية خاصة وخطا مسماريا ابجديا خاصا (استخدم بالدرجة الاولى لكتابة الادب الكنعاني المحلي) استخدمت اللغة الاكدية الى درجة كبيرة في النصوص القانونية .

وفي نفس الفترة التي وقعت فيها بلاد بابل تحت سيطرة الكاشيين ، كانت بلاد آشور واجزاء كبيرة من الشرق الادنى في المنطقة الواقعة جنوب منطقة نفوذ الحثيين واقعة تحت التأثير المتصاعد لمجموعة عرقية وحضارية اخرى هم الحوريون Hurrians وكانت الاقوام الحورية هذه ، المعروفة في العهد القديم باسم Harites او Horims**(انظر سفر التكوين ، الاصحاح : ١٤ : ٦ ؛ سفر التثنية ، الاصحاح : ٢ : ١٢) ، تتكلم لغة لا يعرف لها شبيه باستثناء اللغة الاورارتية فيما بعد . ولابد وانها وصلت المنطقة الجبلية شمالي بلاد آشور ، وربما من منطقة القوقاز ، في النصف الثاني من الالف الثالث قبل العهد الاكدي . وهناك نصان من العهد الاكدي احدهما باللغة الاكدية والاخر باللغة الحورية يشيران الى وجود مملكة حورية كانت تتركز في مدينة اركيش Urkish في منطقة الخابور غربي بلاد آشور . وربما كانت هذه المملكة الحورية في هذه الفترة المبكرة حالة منفردة وخاصة طالما ان وثائق المدن الاخرى التي كانت فيما بعد مراكز رئيسة للتأثير الحوري كمدينة نوزي واررابخا وتل براك ، لا تشير الا لوجود تأثيرات بسيطة جداللعناصر الحورية في اسماء الاشخاص وكانت الهجرة في عصر سلالة اور الثالثة لا تزال مستمرة نحو الجنوب حيث تشير اسماء الاشخاص في وثائق مدينة دلبات القريبة من بابل الى تأثيرات حورية قوية مما يدل على وجود مستعمرة حورية هناك . وفي بداية الالف الثاني قبل الميلاد ، تشير اسماء الاشخاص الى ان الحوريين كانوا

* : غالبا ما يطلق عليها خطأ تل العمارنة ؟ انظر حول الخطأ الشائع Sir Alan Gardiner, Egypt of the Pharaohs (1961), P. 220.

** : خطأ في A.V. لسفر التثنية ، الاصحاح الثاني ، ١٢ .

منتشرين في منطقة واسعة ، حيث يمكن تتبع اثارها في وثائق المستعمرة الاشورية في كبدوكيا وبشكل واضح في نوزي وارابخا في منطقة كركوك شرقي بلاد آشور وفي المدن السورية قطنة والالاخ واوغاريت . وفي مدينة ماري عثر على عدد من النصوص الدينية المكتوبة باللغة الحورية .

وقد واجه مرسيليس الاول عند توغله في بلاد بابل عددا من الأمراء الحوريين الاعداء في اعالي الفرات . وكان هؤلاء الأمراء في المنطقة المحيطة بمركز قوة الحوريين التي كانت تتمثل بمنطقة الخابور في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . وبعد اغتيال مرسيليس الاول ، اضعفت الخلافات الداخلية دولة الحثيين كثيرا ولعدة اجيال ، وكان في هذا الوقت ان ظهرت دولة الميتانيين المهمة والتي يمثل هؤلاء الحوريون نواتها . وقد امتدت هذه الدولة في اوسع حدودها من بحيرة وان الى اواسط نهر الفرات ومن جبال زاجروس الى الساحل السوري .

وهناك بعض الادلة التي تشير الى وجود عناصر هندو ــ اوربية في الميتانيين ، غير ان الرأي القديم القائل بأن مملكة الميتانيين كانت عبارة عن طائفة آرية محاربة تحكم شعبا غير آري بصورة عامة لم يعد قائما .

وان معلوماتنا عن دولة الميتانيين مستمدة من الرسائل الدبلوماسية المصرية (وهي رقم مسمارية) المكتشفة في العمارنة (انظر صفحة ٩١ ، وعلى الرغم من ان هذه الرقم تعود الى ما بعد ١٤٥٠ ق م فمن الواضح ان الحكام الميتانيين كانوا يمثلون آنذاك سلالة حاكمة قائمة . وفي الواقع فقد ذكر عدد من الأمراء الحوريين الاوائل الذين كانوا يحملون اسماء ارية في بعض النصوص الاسطورية وقد يمثل هؤلاء بعض ملوك السلالة الميتانية الاوائل . وان اول الملوك الميتانيين الذين نعرف عنهم بعض المعلومات التاريخية الثابتة هو بارتاتا Parattana الذي يظهر بعد عام ١٥٠٠ ق م مباشرة كحاكم لمملكة قوية تسيطر على عدد من الدول السورية وبموقف جعله على قدم المساواة مع مصر وخاتي . اما الحاكم البارز الاخر فهو سوساتار Soussatar، المعاصر لتحتومس الثالث Tuthmosis III في مصر (١٤٩٠ ــ ١٤٣٦ ق م) والذي كان له علاقات دبلوماسية بالرغم من ان تحتومس الثالث اصطدم في حملاته المتعددة على بلاد سوريا مع عدد من الحكام الحوريين المحليين وبذلك تجاوز على منطقة نفوذ الميتانيين في الجنوب الغربي . اما ارتاتاما ، خليفةسوساتار ، فقد زوج ابنته الى تحتومس الرابع (١٤١٣ ــ ١٤٠٥ ق م) وبذا اقام علاقة تضمنت اقامة حلف بين الاثنين واقيمت علاقة مماثلة في عهد خليفتي هذين الملكين امنوفس الثالث

(١٤٠٥ ــ ١٣٦٧ ق م) وشتارتا الثاني Shuttarta II (نهاية حكمه عام ١٣٩٠ ق م) وفي عهد هؤلاء الملوك ، كان الميتانيون لا يزالون يسيطرون على بلاد آشور حتى إن ارتاتاما قد استغل الآلهة الاشورية عشتار ــ نينوى ليقوي مركزه في البلاط المصري ، حيث تشير رسالة ارسلها تشراتا حفيد ارتاتاما الى امنوفس الثالث الى ان الالهة عشتار ــ نينوى قد اعربت عن رغبتها لزيارة البلاط المصري ثانية مما يدل على ان تمثال الآلهة عشتار كان قد زار البلاط المصري في عهد اسلاف تشراتا . وواضح انه كان للآلهة عشتار ــ نينوى سمعة دولية عالية ولابد ان ذلك يعكس مركز حماتها .

وفي هذه الاثناء تمكنت السلالة الكاشية في بلاد بابل من تقوية مركزها ونجحت في اعادة توحيد البلاد وحمايتها من ضغط بلاد آشور (التي كانت آنذاك خاضعة للتبعية الميتانية) وعيلام . اما السياسة الداخلية ، فيبدو من الوثائق الاقتصادية المتوفرة ان الحكم الكاشي كان معتدلا وغير جائر . وكان من اهم العوامل التي تؤثر في ردود فعل دويلات ــ المدن القديمة نحو الملك نظرته الى حقوق المواطنين المكتسبة والتي تضمنت في اكثر الحالات الاعفاء من الضرائب او اعمال السخرة . وان المواثيق المتوفرة التي منحها الملوك الكاشيون تدل على انهم كانوا حكاما متحررين في هذا الخصوص . وان الغياب الظاهري للتمردات المحلية قد يرتبط بهذه السياسة المتحررة . وقد ساعد ذلك ايضا على تفسير السهولة النسبية التي تمكن بها الكاشيون اخيرا من القضاء على سلالة بلاد البحر . فمنذ بداية عهد سلالة بابل الاولى وحتى نهاية التاريخ البابلي كانت ادارة النصف الجنوبي من بلاد بابل تعتمد الى درجة كبيرة على تعاون بعض المدن الرئيسية وبصورة خاصة مدينتي الوركاء واور . ولعل سياسة الكاشيين الاقتصادية والادارية قد اثرت بصورة جيدة على هذه المدن قبل ان تحدث اية محاولة للتمرد العسكري فيها . وبالتأكيد فقد عوملت هذه المدن في الفترات التالية من قبل الملوك الكاشيين بكل احترام وقام بعض ملوكهم بمشاريع عمرانية ومشاريع دينية اخرى فيها . وقد تم الهجوم العسكري على بلاد البحر من قبل اولا مبرياش Ulamburiash في عهد اخيه الاكبر كاشتلياش الثالث Kashtiliash III ثم اعتلى اولا مبرياش العرش الكاشي ، بعد ان عمل كممثل او نائب للملك في بلاد البحر ، وذلك عام ١٤٥٠ ق م وبذلك تمكن من اعادة توحيد بلاد بابل ثانية بعد انقسامها لمدة زادت على مائتي عام . ومع ذلك ، فقد حدث صدام ثان فيما بعد تطلب من اكوم الثالث ، ابن وخليفة اولا مبرياش ان يقوم بحملة اخرى على بلاد البحر .

وكانت بلاد بابل في عهد كارا ـــ انداش Kara-indash خليفة اكوم الثالث من الاهمية بدرجة انها قامت بتبادل السفراء مع البلاط المصري على حين يمكن الاستدلال على الحلف بينهما من ارسال اميرة كاشية للانضمام الى حريم بلاط امنوفس الثالث .

وقد ذكرت اسماء خلفاء كارا ـــ انداش الثلاثة كما ذكر اسمه هو في رسائل العمارنة . ويعتبر الخليفة الثاني منهم ، وهو كوريكالزو الاول ، اهم الملوك الكاشيين فقد اقام علاقة طيبة مع امنوفس الثالث وكان في مركز مكنه من القيام بحملة ناجحة على بلاد عيلام . وكانت هذه القوة (عيلام) على علاقة قديمة ببلاد سومر وكانت دائما ميالة للتدخل في شؤون جنوب بلاد بابل في اوقات ضعف بلاد بابل . غير ان كوريكالزو اخذ المبادرة وظل مسيطرا تماما على هذه المنطقة حيث قام بتعمير المعابد وبعض الاعمال المشابهة في مدينة الوركاء واور واريدو . غير ان اهم عمل ظل يعرف به في الاجيال التالية هو العاصمة الجديدة المحصنة التي شيدها ، ويمكن مشاهدة بقاياها في عقرقوف قرب بغداد حيث تمثل الزقورة (انظر اللوحة ٤أ) اهم المناظر البارزة في المنطقة ومن المناظر الرئيسة التي يشاهدها اي سائح يزور العراق .

ولعل قوة مركز كوريكالزو تعود ببعض اسبابها الى ضعف الميتانيين في هذه الفترة بسبب عدة احداث مجتمعة . فبعد اغتيال مرسيليس الاول والاضطرابات الداخلية والضعف السياسي والعسكري الذي انتاب الحثيين سمح في بداية الامر للامراء الحوريين بأن يسيطروا على اجزاء كبيرة من شمال سوريا ، حيث كانوا يقومون بغارات على الحدود الحثية ، يبدو ان مملكة الميتانيين الاصلية المتحالفة مع مصر كانت قد سيطرت على بعض مناطق الحدود من الاراضي الحثية . وقد انتهى هذا الوضع باعتلاء الملك القوي شوبيلولوما Shuppiluluma العرش حوالي عام ١٣٧٥ ق م والذي صادف بداية حكمه خلافات داخلية في السلالة الميتانية حول اعتلاء العرش . فبعد موت شوتانا الثاني Shuttana II ابن وخليفة ارتاتاما ، عام ١٣٩٠ ق م ، والذي كان كأبيه على علاقة وثيقة بمصر ، انقسمت المملكة نتيجة حرب اهلية واغتيل وريث العرش من قبل الحزب المناوىء للمصريين. وتمكن الابن الاخر وهو تشراتا Tushratta من ان ينصب نفسه ملكا على الميتانيين غير ان الموطن الاول للحوريين الواقع في جنوبي بحيرة وان انفصل واسس مملكة مستقلة تحت حكم الاخ الاصغر . وقد ساعد ارتاتاما في هجومه الفاشل على بلاد الميتانيين الاصلية شوبيلولوما في حين اعاد تشراتا الحلف القديم مع مصر . ومن سوء

حظ الميتانيين ، فان الخصومات الدينية التي احتلت المركز الاول في مصر في عهد اخناتون (١٣٦٧ ــ ١٣٥٠ ق م) كانت تعمل على ابعاد اهتمام الملك المصري عن الشؤون الخارجية ، ويبدو ان تشراتا لم يحصل الا على قليل من التأييد المصري في الاحداث التي اعقبت ذلك .

ثم وقعت الحرب بين تشراتا وشوبيلولوما الذي غزا شمال سوريا وسيطر على عدد من الدويلات الحورية في سوريا ، التي كانت سابقا من الدويلات التابعة للميتانيين او المصريين . ومن الغريب ان بلاد الميتانيين لم تهاجم مباشرة من قبل شوبيلولوما وهناك من يرى ان ذلك كان سياسة مقصودة املتها الرغبة بتجنب اي حركة قد توحد الامراء الحوريين الى جانب الميتانيين . وبعد عهد مضطرب تمكن في اواخره من اعادة السيطرة على اجزاء كبيرة من الاراضي الواقعة غرب الفرات والتي كان قد فقدها في اوائل حكمه . اغتيل تشراتا (حوالي عام ١٣٥٠ ق م) من قبل ابنه الذي كان يعمل الى جانب الحزب المؤيد لارتاتاما وادعى بعد ذلك الملكية لنفسه على بلاد الميتانيين . وقد تمكن الابن الاصغر لتشراتا ، مع ذلك ، من الهرب . وبعد محاولة فاشلة للحصول على ملجأ في بلاد بابل ، هرب ووضع نفسه تحت رحمة شوبيلولوما الذي كان حينئذ في موقف قوي غير انه حرج حيث اعتمد عليه كل من الوريث الشرعي والمدعي الغاصب للعرش الميتاني .

وكانت بلاد اشور من المستفيدين من الاضطرابات التي وقعت للميتانيين حيث كانت اشور لفترة من الزمن مستعبدة من قبل الميتانيين غير ان الخلافات حول العرش بعد موت شوتارتا الثاني عندما كان ارتاتاما يشجع الهجوم على تشراتا ، فسح المجال امامها لتستعيد بعض استقلالها وكان برنابورياش الثاني Burnaburiash II ، الخليفة الثاني لكوريكالزو الاول على عرش بابل ، الذي اعاد علاقته مع مصر بعد فترة من الجمود ، يتذمر من ارسال سفير مستقل لاشور ــ اوبالط الاول ملك اشور الى البلاط المصري . وان ذلك يشير الى امرين ، الاول ان اشور كانت تستعيد مركزها كدولة ذات اهمية دولية والثاني ان بلاد بابل كانت تحاول دون جدوى ان تأخذ مكان الميتانيين في بسط نفوذها على بلاد اشور . وعلى كل حال ، فان استعادة آشور لمركزها كان حقيقة لابد ان يعترف بها ، لذا تم التحالف بين اشور وبلاد بابل وذلك من خلال زاج ابنة آشور ــ او بالط من كارا ــ انداش الثاني . ابن ووريث بورابورياش الثاني . وبذا اصبحت بلاد آشور قوة يحسب حسابها . ولعل اعتراف شوبيلولوما بضرورة وجود قوة حاجزة ضد هذه الدولة الناهضة هو

الذي دفعه اخيرا الى مساعدة كورديوازا **Kurdiwazza** الوريث الشرعي لتشراتا والذي كان مقيما في بلاطه لمدة عشر سنوات ، ولان يستعيد بقوة السلاح عرش الدولة الميتانية الذي كان قد تقلص من حيث النفوذ والاهمية بفقدان كركمبش الى نائب الملك الحثي .

ونعرف ثلاثة من الامراء الحوريين الاخرين في دولة الميتانيين (التي تعرف عادة بعد انكماشها بخاني كلبات **Hamigalbat**) غير ان عهد الدولة الميتانية قد انتهى . فقد اندحر شتورا الاول **Shuttuara I** من قبل ادد ــ نراري الاول (١٣٠٧ ــ ١٢٧٥ ق م) واصبح تابعا له وحينما ثار ابنه هوجم من جديد . وانتهت مملكة خاني ــ كلبات نهائيا واصبحت احدى مقاطعات بلاد آشور عندما قام شيلمنصر الاول (١٢٧٤ ــ ١٢٤٥ ق م) بهجوم على اخر ملوكها شتورا الثاني . وكان لهذا الهجوم اهمية اجتماعية حيث ان اكثر من اربعة عشر اسير ابعدوا من المنطقة ويعتبر ذلك من الامثلة الاولى لسياسة ابعاد الاسرى التي استخدمت على نطاق واسع في الامبراطورية الاشورية فيما بعد .

الفصل الثالث

ظهور امبراطورية آشور

كانت بلاد آشور قد برزت بعض الوقت في عهد شمشي ــ ادد ، ثم تدهورت كثيرا في عهد الميتانيين . وبتدهور ــ الميتانيين ، عادت آشور ثانية لتصبع قوة فعالة في السياسة الدولية، ويمكن اعتبار حكم آشور اوبالط الاول (١٣٦٥ ــ ١٣٣٠ ق م) بأنه يمثل بداية عهد طويل من التطور ارتفع فيه شأن اشور اخيرا الي موقع السيادة في الشرق الادنى،وكنتيجة لزواج ابنته من كارا ــ انداش* ، ابن بورنا ــ بورياش الثاني ١٣٧٥ ــ ١٣٤٧ ق م) ملك بابل ، تمكن اشور ــ اوبالط من اقامة تحالف بين بلاد اشور وبابل . وقد استمر هذا التحالف الي ما بعد وفاة بورنا ــ بورياش وتمكنت بابل من خلاله ان تحصل على دعم آشور لتقضي على السوتو (وهم من القبائل الرحل التي اقلقت منطقة وسط الفرات وضايقت كلا الدولتين بغاراتها على الحدود) .

---

* : ويظهر الاسم ايضا على هيئة كارا ــ خرداش . وهناك اختلاف بين ما ورد في نصين مسماريين حول هذه الاحداث وانه ليس من الواضح فيما اذا كان هذا الشخص ملكا على بلاد بابل ام لا .

وعلى الرغم من ان السلالة البابلية كانت انذاك على علاقة بالسلالة الاشورية ، الا انه لم يكن هناك اجماع بابلي على دعم السياسة الاشورية ، وما لبثت ان حدثت ثورة في بلاد بابل قتل خلالها الوارث الشرعي للعرش ونصب بدله غاصب يدعى نازي ــ بوكاش : ومع ذلك فقد كان آشور ــ اوبالط في موقع مكنه من التدخل بصورة جدية وفعالة وتصفية الحزب المناوىء للآشوريين في البلاط البابلي وتنصيب كوريكالزو الثاني (١٣٤٥ ــ ١٣٢٤ ق م) ملكا على بلاد بابل .

غير ان العلاقات الطيبة بين بلاد بابل واشور لم تستمر بعد حياة اشور ــ اوبالط ، وما ان اعتلى العرش الاشوري انليل ــ نراري (١٣٢٩ ــ ١٣٢٠ ق م) حتى اندلعت الحرب ، ولعل ذلك بسبب ادعاء كوريكالزو الثاني ، وهو حفيد آشور ــ اوبالط ، بالعرش الاشوري لنفسه . ولم تكن الحرب حاسمة غير انها اضعفت بلاد بابل الى درجة لم تتمكن معها من ان تصد غارة عيلامية من المحتمل انها وصلت الى مدينة بابل نفسها ومدينة بورسبا المجاورة ، في حين كانت اشور في موقع اقوى حيث تمكن اريك ــ دين ــ ايلو (١٣١٩ ــ ١٣٠٨ ق م) من الانتصار على الاقوام القاطنة شرقي وشمالي بلاد اشور . وتعود الى هذه الفترة اول اشارة الى موجة جديدة من الغزاة القادمين من الغرب الذين عرفوا بالاخلامو ، وهم من الاراميين المرتبطين بالسوتو الذين سبق ذكرهم . وقد تمكن اريك ــ دين ــ ايلو من دحر الاخلامو واخذ غنائم كثيرة منهم . وتمكن ابنه ادد ــ نراري الاول (١٣٠٧ ــ ١٢٧٥ ق م) من توسيع نفوذ بلاد اور وحقق انتصارات على الملك الكاشي نازي ــ ماروتاش وعلى الاقاليم الواقعة شمالاً . وقامت هانيكالبات التي كانت تابعة لاشور ، تحت تأثير الحثيين ، بتمرد كان من نتائجه تجهيز حملة تأديبية عليها . وقد وجد شيلمنصر الاول (١٢٧٤ ــ ١٢٤٥ ق م) ان من الضروري لحل مشكلة الحدود الغربية وذلك بضم هانيكالبات الى بلاد اشور كمقاطعة وبنفي الالاف من سكانها . كما انه ضمن الحدود الشمالية ، ولو لفترة محدودة ، بدحر قوة اروتاري (اورارتو) التي كانت قد ظهرت حديثا وقد ذكرت لاول مرة في هذه الفترة . واصبحت هذه القوة ، التي ربما كانت في هذا الموقف عبارة عن اتحاد بين شيوخ القبائل والامارات اكثر من كونها دولة واحدة ، المنافس الرئيس لبلاد آشور في القرن

الثامن قبل الميلاد . وفي عهد شيلمنصر الاول تم تأسيس مدينة كلخو (كالح في العهد القديم) عاصمة بلاد اشور فيما بعد .

واعقب هذه الفترة تدهور سريع . فقد بدأ توكلتي ننورتا الاول (١٢٤٤ ــ ١٢٠٨ ق م) عهده على نفس منوال شيلمنصر وذلك بفتوحات مصحوبة بسياسة نفي السكان في الغرب والشمال على نطاق واسع بما في ذلك بلاد نائيري Nairi جنوب غربي بحيرة وان . ولعل من الاحداث المثيرة هو اخضاعه لكاشتلياش الرابع (١٢٤٢ ــ ١٢٣٥ ق م) الذي كان من نتيجته ان خضعت بابل لاول مرة للحكم الاشوري المباشر وهناك مقطوعة ادبية دعائية تعرف بملحمة توكلتي ننورتا (انظر صفحة ٤٥٨) تسرد لنا احداث هذا العمل الجريء من وجهة النظر الاشورية .

وكانت سياسة توكلتي ننورتا في الجنوب هي ان يثبت عسكريا الاداريين الاشوريين في بلاد بابل ومن ثم يعالج الحدود المجاورة من ماري وخانا الى الحدود العيلامية . وحمل توكلتي ننورتا تمثال الاله مردوخ من بابل الى اشور ، وهناك من يرى ان فتح توكلتي ننورتا لبابل كان في النهاية انتصار للحضارة البابلية على الحضارة الاشورية من خلال تمزيق وحدة الهدف الاشورية وخلق خلاف في اشور بين اولئك الذين يريدون ان يعتنقوا الديانة البابلية واولئك الذين ارادوا ان يسلكوا طريقا ايسر ويتبعوا ديانة ابائهم واجدادهم . لذا نجد ان ترتيلة اكيتو التي عثر عليها في مدينة اشور لا تخص الاله القومي اشور بل تخص مردوخ اله بابل . ومع ذلك ، فقد بينت الدراسات الحديثة ان تزايد استخدام اسم الاله مردوخ كعنصر في الاسماء الاشورية في هذه الفترة كان جزءا من الاتجاه العام للتحرر من الاقليمية الذي كان من نتائجه ان حظي عدد من الالهة الاخرى ، اضافة الى الاله مردوخ ، بقبول شعبي متزايد .

وفي اواخر حكم توكلتي ننورتا ، طرأ تغير سريع وغير واضح في سياسة هذا الملك الذي توقفت نشاطاته العسكرية نهائيا ، ومن الممكن ترجيح اسباب مختلفة لهذا التغيير ولكن من المحتمل ان التوسع العسكري الذي دام ما يقرب من مائة سنة قد انتج ضغطا اقتصاديا قاسيا ، ومن الممكن ايضا ان التحركات العرقية في هذه الفترة ومن بينها دخول الفلسطينيين الى فلسطين كانت السبب المباشر في انهيار الدولة الحثية ، قد ساهمت في تعطيل توكلني ننورتا وذلك بقطع المصادر الاشورية للمعادن . ومهما كانت الاسباب الفعالة لذلك ، فقد

كان من نتائجه ان زاد الضغط الداخلي وانتهى بحدوث ثورة مات خلالها توكلتي نتورتا على ايدي ابنه اشور ــ نادن ــ ايلي (١٢٠٧ ــ ١٢٠٤ ق م) ثم دخلت بلاد اشور في فترة ضعف الى درجة ان خليفتي اشور ــ نادن ــ ايلي كانا في الواقع عبارة عن تابعين لبابل . غير ان تبعية اشور لبابل لم تستمر طويلا فقد قامت ثورة مضادة للبابليين انتهت بتنصيب ابن اخر لتوكلتي ــ ننورتا على العرش هو انليل ــ كودور ــ اوصر (١١٩٧ ــ ١١٩٣ ق م) الذي قاد هجوما على بلاد بابل . وكنتيجة لخطأ في الترجمة ، فقد كان الاعتقاد سابقا ان كلا من الملك الاشوري والحاكم الكاشي قد سقطا في المعركة . وقد تبين ان ذلك هو خطأ في تفسير النص المعني . غير ان ما حدث فعلا ليس واضحا تماما . وتنص الفقرة المهمة من النص ، كما ترجمها : H. Tadmor (JNES, XVII (1958), P. 131) على ما يأتي : ــ

انليل ــ كودور ــ اوصر ، ملك اشور وادد ــ شوم ــ اوصر ، ملك بابل دخلا المعركة . وبينما كان انليل ــ كودور ــ اوصر (و)ادد ــ شوم ــ اوصر ... في المعركة ، عاد ننورتا ــ ابال ــ ايكور ابن ايلي ــ ايخدّا ، من نسل اريبا ــ ادد الى بلاده (اشور) وجمع جيشه الكبير وجاء الى اشور بغية فتحها وشب حريق في معسكر ادد ــ شوم ــ اوصر ، فعاد ادراجه ورجع الى بلاده .

وقد ذكر جزء من هذه الاحداث في جداول الملوك الاشورية التي تذكر : ــ

ننورتا ــ ابل ــ ايكور ... نسل اريبا ــ ادد ، ذهب الى كاردونياش (اي بابل) ، ثم جاء من كاردونياش واستولى على عرش (اشور) وحكم ثلاثة سنوات (او ثلاثة عشر استنادا الى قراءة اخرى للنص) .

ويفسر الدكتور تدمر Tadmor هذين النصين كما يلي : كان ننورتا ــ ابل ــ ايكور من النبلاء الاشوريين ، ومن نسل اريبا ــ ادد الاول البعيدين ، يعيش في بلاد بابل ويلقي دعم الملك الكاشي وقد تقدم مع الجيش

البابلي وخلال الحملة تمكن من ان يجند جيشا خاصا به ويستولي على العرش الاشوري . وكان لحدوث حريق في المعسكر البابلي ان توقف البابليون عن الهجوم على اشور وعادوا ادراجهم .

حكم ننورتا ـــ ابل ـــ ايكور ـــ بلاد اشور من ١١٩٢ الى ١١٨٠ ق م . وكانت بلاد اشور نفسها في هذه الفترة قد اقتصرت جغرافيا الى ادنى حدودها رغم انها كانت في مأمن من التبعية الاسمية لبلاد بابل ، حيث لم تكن تضم سوى موطن الاشوريين الاصلي ، كما ان اشور ـــ دان الاول ابن وخليفة ننورتا ـــ ابل ـــ ايكور لم يلقب نفسه بلقب الملك بل اكتفى بلقب امير اشاكّو وهو الصيغة الاكدية للمصطلح السومري القديم Ensi **انسي** . اما الاراضي الواقعة شرقي بلاد آشور فقد كانت دائما ، حتى الوقت الحاضر ، معرضة للسلب والنهب على ايدي القبائل الجبلية وذلك في حالة غياب ادارة مركزية قوية . وكانت بعض اجزاء الاقليم الجبلي موضوع البحث والواقع شرق وجنوب الزاب الاسفل تحت سيطرة بابل سابقا وبذلك كانت بابل في موقع يمكنها من حماية الطرق التجارية غير ان هجوم توكلتي ـــ ننورتا قد اضعف مملكة الجنوب وسبب في خلق ازمات داخلية ادت في النهاية الى تغيير السلالة الكاشية واحلال سلالة بابلية محلية في ايسن بدلا عنها وذلك بعد فترة من الاضطراب . ولم تكن بابل في هذا الوضع قادرة على حماية الاراضي الواقعة في اقليم الزاب الاسفل . وبتعرض الطرق التجارية التي اعتمدت عليها التجارة الاشورية للتغيير بسبب القبائل الجبلية المتجولة من قطاع الطرق ، فلابد ان وضعت التجارة الاشورية في موضع متأزم . ولعل ذلك كان السبب في قيام اشور ـــ دان الاول وكذلك والده من قبله بعمليات عسكرية في الاراضي الواقعة الى ما وراء الزاب الاسفل .

اما السلالة الجديدة في بابل ، والمعروفة عادة بسلالة ايسن الثانية ، فقد قوت من مركزها خلال حكم الملك الاشوري اشور ـــ دان ـــ الاول الطويل ، (١١٧٩ ـــ ١١٣٤ ق م) وعند وفاة الاخير يبدو انها كانت في مضع سمح لها

بالتدخل في ولاية العرش الاشوري . وبذا فقد ضمنت حكما قصيرا للنورتا ــ توكلني ــ اشور الواقع تحت حمايتها وهو الذي اعاد الى بابل تمثال الاله مردوخ الذي كان في حوزة الاشوريين منذ عهد توكلتي ــ ننورتا .

ان معلوماتنا قليلة عن ملوك سلالة ايسن الثانية الاولين الذين سبقوا نبوخذنصر الاول وهو اهمهم جميعا ، وقد حكم من ١١٢٤ الى ١١٠٣ ق م . ففي عهده كانت الادارة المركزية في بابل مسيطرة تماما على الحوادث في البلاد وكان في موقع مكنه من الاهتمام بالشؤون الخارجية . وكما هي الحال دوما في حالة عدم وجود حكومة مركزية قوية ، فقد كانت بلاد بابل معرضة لامد طويل لهجمات عيلام ، وكان تمثال الاله مردوخ قد سلب من بابل في احدى تلك الهجمات . وتمكن نبوخذ نصر من دحر قوات عيلام واستعادة تمثال الاله مردوخ واخذ تمثال احد الالهة العيلامية . وفي الشمال الشرقي تمكن من اللولوبي * في منطقة قرة داغ الذين كانوا كالسوط على بلاد بابل منذ عهد سرجون الاكدي على الاقل ، كما انه هاجم بعض الكاشيين في المنطقة الجبلية ولعلهم كانوا من الكاشيين الاولين الذين لم ينحدروا للاستقرار في بلاد بابل . كما استمرت سيطرة بلاد بابل على اشور خلال جزء من حكمه الى ان تمكن الحاكم القوى اشور ــ ريش ــ اشي (١١٣٣ ــ ١١١٦ ق م) من ضمان استقلال المملكة الشمالية . .

وفي هذه الفترة كانت كل من بلاد اشور وبابل تشعر بضغط الاراميين المتغلغلين من الغرب . غير ان التأثير المباشر كان اكثر على بلاد اشور منه على بلاد بابل طالما ان تجاوز الاراميين على منطقة الخابور كان يهدد امن الطرق التجارية الاشورية المؤدية الى الساحل السوري والاناضول . وقد قام اشور ــ ريش ــ اشي القوي بحملة ناجحة على الاخلامو ، وهم فرع من الاراميين في هذه المنطقة ، ووصف نفسه في احد النصوص بأنه الذي سحق قوات الاخلامو المنتشرة ، كما كانت الطرق التجارية على طول الحدود الشرقية مهددة من القبائل الجبلية ايضا . فقام اشور ــ ريش ــ اشي بحملات ضد قبائل القوتي Quti واللولوبي ، ولعل المصالح الاشورية قد اصطدمت بالمصالح البابلية في هذه المنطقة حول تثبيت حدود النفوذ . وقد نتج عن ذلك ان قام الملك البابلي بمحاولة لغزو بلاد اشور من الجنوب ، غير ان المحاولة انتهت

---

* : ان الاسماء والمنطقة الجغرافية تشير بأن هذه الاقوام وكذلك القوتي Quti كانوا من نسل اللولو والكوتيين في الالف الثالث والمشار اليهم في صفحة ٥٠ .

بانتصار اشوري ساحق .

اعقب اشور ـ ريش ـ اشي ابنه تجلاتبليزر الاول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق م) الذي لم يكن اقل من ابيه مقدرة . وقد عرفت منجزاته بشيء من التفصيل من منشور طيني كبير . وقد ثبت هذا الملك الخطوط العريضة لسياسة الرعب التي سار عليها الملوك الاشوريين اللاحقين . ومع ذلك فان النظرة الى الاشوريين بأنهم كانوا قوما جزارين يعتدون على القرويين الامنين القائمين باعمالهم الخاصة بسلام هي نظرة من زاوية واحدة[1] ففي الواقع كان في هذه الفترة تحركات عرقية على نطاق واسع ان لم توقف عند حدها كان من الممكن ان تدمر ، او تغير جذريا ، مسيرة حضارة بلاد ما بين النهرين . وكان الحديد قد بدأ استعماله انذاك على نطاق واسع وكان المصدر الرئيس لهذا المعدن المهم لجميع العالم المتمدن انذاك هو منطقة معينة في المملكة الحثية . وفي المنطقة الواقعة الى الشرق من ذلك كانت قد غزت المنطقة اقوام تدعى المشكو المعروفة في العهد القديم بالميشيخ . وبعد اعتلاء تجلاتبليزر العرش بفترة قصيرة تدفقت مجموعة كبيرة من هذه الاقوام تقدر بحوالي عشرين الف ، نحو الجنوب لغزو الاقليم الاشوري كموخ Kummuh وكان رد فعل تجلاتبليزر حازما حيث توجه نحو الشمال الغربي الى طورعابدين وهاجم الغزاة هناك محرزا انتصارا حاسما . ثم توجه شرقا عبر كمّوخ لاتخاذ ما يلزم تجاه بعض العناصر من السكان المحليين من الذين ساعدوا الغزاة القادمين من الشمال . وفي حملات السنوات التالية تمكن تجلاتبليزر من توسيع وتقوية سيطرته على المنطقة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من بلاد اشور وتوغل في النهاية في اسيا الصغرى الى منطقة لم يسبق ان وصلها اي من اسلافه . وبعد ان انتهى من هذه المناطق كان في موقع مكنه من التوجه نحو الغرب الى الساحل السوري للحصول على الاخشاب وفوائد اخرى من تجارة الفنيقيين . وسرعان ما قدمت كل من كلبا Gulba وصيدا Sidon وارواد الجزية ، ويذكر تجلاتيليزر كيف انه اخذ في رحلة بحرية امكن خلالها اصطياد نِاخيرو (وهو

---

(١) : يشير المؤلف هنا الى الرأي الخاطيء الذي تبناه العديد من الباحثين الاوربيين المحدثين عند كتابتهم تاريخ الاشوريين السياسي والعسكري واعتبارهم من الاقوام الهمجية المتعطشة لسفك الدماء وقتل الابرياء بغية تحقيق اهداف عسكرية استعمارية . غير ان نظرة سريعة الى تاريخ الاشوريين الطويل بما فيه من منجزات حضارية رائعة والتعرف على الاسباب التي دفعت الكتاب المحدثين الى تكوين هذا الانطباع الخاطيء عن الاشوريين توضح خطل هذا الرأي ومجانبته للواقع . ويشير المؤلف الى الظروف السياسية والعسكرية التي تبرر وقوف الاشوريين موقفا حازما تجاه الاعداء المتربصين للانقضاض على الدولة الاشورية والقضاء عليها . اما الاسباب التي دفعت الكتاب المحدثين (=)

نوع من الحيتان ؟) وتقديمه له . وبالاسلوب نفسه ، ارسل له الملك المصري تمساحا حيا .

وعلى الرغم من ان تجلاتبليزر تمكن من وقف التهديدات في الشمال الا ان مشاكله مع القبائل الارامية التي كانت تضغط على البلاد من الغرب ظلت مستمرة كما هي الحال في عهد خلفائه لعدة اجيال . وقد سبقت الاشارة اكثر من مرة الى ضغط الاقوام القادمة من الصحراء وقد كان من المشاكل المتكررة التي اثرت في جميع بلاد الهلال الخصيب . وكانت هجرة ابراهيم وغزو فلسطين بقيادة ايشوع Jushu جزءا من هذه الظاهرة . ومع ذلك فقد كان الضغط على الحدود الغربية لبلاد اشور قوي بصفة خاصة وذلك في نهاية الالف الثاني قبل الميلاد ولابد من شرح الاسباب الخاصة التي دعت لذلك . فقبل عام ١٢٠٠ ق م مباشرة انهارت قوة الحثيين امام غزو بري وبحري لجماعة من الاقوام القادمة من اوربا الشرقية وكان الفلسطينيون جزءا منها . وقد تمكن رمسيس الثالث ملك مصر من ان يهزمهم بحرا ويبعدهم عن مصر غير انهم تمكنوا من السيطرة على سوريا وفلسطين وقد شرح سفر القضاة نتائج ذلك ولعله قد ادى الى تحركات قبلية الى خارج فلسطين تفسر الضغط باتجاه الشرق . وهناك بعض الدلائل ايضا ان مملكة سبأ قد ظهرت في هذا الوقت ولعل ذلك ايضا قد سبب توجه بعض قبائل الجنوب نحو الشرق .

اما العلاقة بين بلاد اشور وبلاد بابل في عهد تجلاتبليزر ــ الاول فغير واضحة تماما . فقد كانت هناك غارات من كلا الطرفين ولعل الأشوريين قد حصلوا على بعض المساحات عند الحدود غير انه ليس هناك ما يشير الى ان تجلاتبليزر ــ قد حاول غزو بابل . وفي الواقع لم يكن هناك فوائد لبلاد اشور في ذلك فقد كانت جميع الطرق التجارية الرئيسة في آسيا الغربية في ايدي الأشوريين وكانت التجارة مستمرة دون اي عرقلة لتجلب الى بلاد اشور فوائد

لتكوين هذا الانطباع ففي مقدمتها تأتي التوراة (العهد القديم) التي دونها اليهود اثناء السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد وهم في بلاد بابل ، اي بعد وفاة موسى بأكثر من ستة قرون ، فزوروا وحرفوا فيها الشيء الكثير وملأوها من حقدهم وكراهيتهم للاشوريين والبابليين فلا غرابة ان نجد في التوراة المتداولة تحيزا واضحا ضد الاشوريين وضد سياستهم . وكانت اسفار العهد القديم من اهم المصادر التي اعتمد عليها الكتاب المحدثون ، ولاسيما في القرن الماضي ، عندما كتبوا عن تاريخ الاشوريين . كما يمكن ان نذكر النصوص التي يطلق عليها عادة بالحوليات الملكية والمنحوتات التي زينت قصور الاشوريين كسبب اخر دفع الباحثين الى تكوين هذا الانطباع حيث بالغت هذه النصوص والمنحوتات في بيان قوة وعظمة الدولة الاشورية وقسوتها في قمع التمردات كوسيلة من وسائل الاعلام والدعاية العسكرية آنذاك وقد اخذ ذلك على انه يشير الى ظلم وطغيان الاشوريين (المترجم) .

جمة باعتبارها الدولة الوسيط من الساحل البحري الفنيقي وموانىء شمالي سوريا الى بلاد بابل .

وقد ساعدت الرفاهية الاقتصادية التي نتجت عن هذه التجارة النشطة تجلاتبليزر الاول ان يقوم باعمال عمرانية كثيرة منها بناء المعابد وتعميرها مما ضمن له تراثا ضخما كان ينظر اليه باجلال من قبل خلفائه .

وزاد ضغط الاراميين الذي كان واضحا بعد حكم تجلاتبليزر الاول فورث خلفاؤه تدهورا قوميا وتقهقرا . وكان خليفة تجلاتبليزر المباشر هو ابنه اشارد ــ ابل ــ ايكور الثاني الذي لم يحكم سوى سنة واحدة ، اعقبه اشور ــ بيل ــ كالا (١٠٧٤ ــ ١٠٥٧ ق م) الذي قام بحملات عسكرية على كل من اورارتو والاراميين : ومما تجدر ملاحظته انه على الرغم من الصراع القومي ، فقد ادخلت الالهة الارامية الى مجموعة الالهة الاشورية وان هذا الملك ناشد آلهة بلادة الامورو ضد اي من يحاول تدمير نصب معين خاص به . وكما يحدث عادة بين الذين يواجهون خطرا عاما واحدا ، فقد كانت العلاقات بين اشور ــ بيل ــ كالا وبين مردوخ ــ شابك ــ زير ــ ماتي (١٠٨٠ ــ ١٠٦٨ ق م) ملك بابل المعاصر له طيبة . ونتيجة هجوم اتحاد من رؤساء الاراميين ، ذهب الاخير الى عاصمة بلاد اشور طالبا المساعدة العسكرية (التي لم يتمكن اشور ــ بيل ــ كالا من تقديمها) ، وعند رجوعه وجد ان بابل قد احتلت من قبل الغزاة ولم يكن اشور ــ بيل ــ كالا في موقف يمكّنه من تغيير الوضع فاعترف بالملك الارامي الغاصب ادد ــ ابال ــ ادينام (١٠٦٧ ــ ١٠٤٦ ق م) واقام معه حلفا عن طريق المصاهرة . ولعل ازدياد ضغط الاراميين وتدخلهم في الطرق التجارية قد ادى الى ضائقة اقتصادية واضطراب اجتماعي ، فانتهى عهد آشور ــ بيل ــ كالا بتمرد داخلي وعند وفاته انتقلت ولاية العرش الى غير وارثها الشرعي .

وكان الوضع غامضا جدا لمدة تزيد عن القرن في بلاد اشور وبلاد بابل بالرغم من معرفة تسلسل حكم الملوك . وكانت هذه الفترة فترة متأزمة جدا . وكان الاضطراب شديدا الى درجة ان الحوليات التي تعود الى حوالي عام ٩٩٠ ق م تذكر بأنه : «لفترة تسعة سنوات متتالية لم يخرج الاله مردوخ ولم يأت الاله نابو» ، وهذا يعني ان مراسيم عيد رأس السنة ، التي كان يخرج فيها مردوخ اله بابل من المدينة الى معبد يدعى بيت ــ اكيتو (انظر صفحة ٤١٣) حيث يزوره نابو اله بورسيا عند عودته الى المدينة ، لم تتم . وحيث ان هذه

المناسبة هي اهم مناسبة في السنة البابلية ، فان النص المذكور يشير الى ان الادارة كانت مضطربة تماما في هذه الفترة . وكذلك قاست بلاد اشور وخلال حكم اشور ــ رابي الثاني (١٠١٠ ــ ٩٧٠ ق م) تمكن الاراميون من الاستيلاء على المستوطنات الاشورية على اواسط الفرات ولو ان الملك نفسه قام بحملة الى الامانوس الى الشمال من ذلك .

وفقدت تحركات الاقوام الارامية ، التي سببت اضطرابات في بلاد اشور وبابل ، قوتها بعد حوالي عام ١٠٠٠ ق م وبدأت القبائل بالتكتل في عدد من الدويلات الصغيرة . وتبلورت القبائل العبرية في فلسطين بالرغم من انها ليست ارامية غير انها ضمت عناصر ارامية ، وذلك في الوقت نفسه وكجزء من التطور نفسه في مملكتي اسرائيل ويهوذا . كما نجد في العهد القديم ذكر لدويلات اخرى اكثر ارامية مثل دمشق وبيت ــ اديني («بيت عدن» والقراءة الدقيقة «بيت ــ ادن» كما وردت في العهد القديم سفر عاموس : ١ : ٥) .

ولابد ان وجود هذه المجموعات الصغيرة والكثيرة ذات العلاقات العدائية في وادي الفرات قد خلق صعوبة كبيرة للاشوريين منذ البداية ، حيث لم يكن هناك قوة تتمكن من المحافظة على الطرق التجارية التي اعتمدت عليها حياة الاشوريين كما ان وجود اعداد كبيرة من الحدود المستقلة التي كان على القوافل عبورها قد سبب في زيادة الضرائب المفروضة على البضائع التي كانت تحملها . وفي بلاد بابل تمكن افراد القبائل ان يعبروا من خلال الاراضي الواقعة بين المدن الكبيرة ويستقروا على الضفة الشرقية من نهر دجلة ، بينما كانت منطقة الاهوار في الجنوب (بلاد البحر) قد احتلت من قبل الكلدو ، وهم اقوام ذوي علاقة بالاراميين . وكان بامكان هؤلاء التدخل بالتجارة البحرية عن طريق الخليج العربي . وباستقرار القبائل الارامية التدريجي وتكتلهم في دويلات مستقرة واعترافهم بالعلاقة بين رفاهيتهم وبين المواصلات الدولية غير المعوقة ، بدأت التجارة تمر ثانية عبر سوريا . ومن الممكن تصور الوضع المتغير بمقارنة الوضع المضطرب المتمثل في سفر القضاة في عهد الملك سليمان بعد قرنين من ذلك التاريخ .

لذا فقد واجهت السلالة الاشورية الجديدة التي اسسها اشور ــ رابي الثاني في بداية القرن العاشر تحسنا بطيئا في الاوضاع . ويذكر اشور ــ دان الثاني (٩٣٣ ــ ٩١٢ ق م) من ملوك هذه السلالة ، وهو ابن تجلاتبليزر الثاني (٩٦٦ ــ ٩٣٥ ق م) الذي لا يعرف عنه شيئا كثيرا في احد النصوص كيف انه اعاد بناء «بوابة الحرفين» في اشور التي كان تجلاتبليزر الاول المشهور قد

انشأها ثم تهدمت من بعده . وحيث ان هذه البوابة هي البوابة الرئيسة في اشور للمواصلات مع الغرب ، لذا فان ذلك يدل على تحسن العلاقات التجارية في ذلك الاتجاه .

ومهما يكن الحال ففي عهد ادد ــ نراري الثاني (٩١١ ــ ٨٩١ ق م) ابن اشور ــ دان دخلت بلاد اشور ثانية في فترة ازدهار اقتصادي وتوسع عسكري . وتمشيا مع الاستراتيجية الاشورية التقليدية فقد وجه ادد ــ نراري اول حملاته الى الاراضي الواقعة جنوبي الزاب الاسفل . وكما حدث من قبل عندما قام اشور ــ ريش ــ ايلي بحملات في نفس الاتجاه ، فقد تسبب ذلك في قيام صدام بين بلاد اشور وبابل التي كان ملكها يحاول ان يبسط نفوذه الى ما وراء حدود بلاد بابل الشمالية في منطقة جبل حمرين جنوبي الزاب الاسفل . وقد تمكن الملك الاشوري من تطهير المنطقة من الجيش البابلي ويضم مدينة ارابخا المهمة ، مع بعض المدن الاخرى الواقعة الى الجنوب التي كانت دائما مفتاحا للسيطرة الاشورية على الاقليم الجبلي الى ما وراء حدودها الشرقية ، باعتبارها مدينة عسكرية مهمة .

وبعد ان ضمن الحدود الشرقية والجنوبية ، كان ادد نراري قادرا على التوجه الى الاقاليم الواقعة غربي دجلة حيث كانت معظم المنطقة لا تزال في ايدي القبائل الارامية واحلافها . وقد كان قادرا على اجبار هؤلاء الرحل على الاعتراف بسلطانه رسميا وذلك بدفع الجزية . كما استولى في الوقت نفسه على عدد من المدن الواقعة على طول الفرات الاوسط التي كانت سابقا تحت سيطرة الاشوريين واعاد تحصينها واستخدمها لحماية الطرق التجارية .

والى الشمال من ذلك قليلا ، حول نصيبين ، في المنطقة التي كانت تعرف لدى الاشوريين بهانيكلبات ، كانت قد تبلورت احدى الممالك الصغيرة العديدة نتيجة لفقدان زخم الاقوام الارامية . وقد اثبتت هذه الاقوام المعروفة بالتيمانيين Temanites (ولعلها لا تتعلق بتيمان Timan الواردة في العهد القديم والتي كانت جزءا من ادوم Edom) بأنها عدو عنيد . وفي عدد من الحملات القوية التي استخدمت فيها جميع وسائل الحصار الاشورية اكتسح ادد ــ نراري هذه المملكة المستقلة مدينة بعد مدينة واقتاد اخيرا ملكها اسيرا الى اشور بعد ان لقي عدد من الامراء المحليين حتفهم في المنطقة . ثم وسع ادد ــ نراري النفوذ الاشوري الى شواطىء الخابور ، مستوليا على كوزانا (كوزان في العهد القديم : سفر الملوك الثاني اصحاح ١٧ : ٦ وغيره ، التي اصبحت فيما بعد عاصمة لاقليم اشوري وتتمثل حاليا : بتل حلف) وجعل

اميرها تابعا له . وقد اجبر امراء المدن المحليين الاخرين على طول نهر الخابور على الاعتراف بالسيادة الاشورية وذلك من خلال دفعهم الجزية . وبهذه الوسائل تمكن ادد ـــ نراري من ان يضمن السيطرة على طول نهر الخابور ، ويحصل على امن حدوده الغربية . كما ضمن حدوده الجنوبية بمعاهدة مع الملك البابلي ابرمت بعد الصدام المسلح الذي وقع بين القوتين في بداية حكم ادد ـــ نراري ، وتعرف وثيقة المعاهدة هذه بالتاريخ التعاصري Synchronous History . وقد اشتق هذا الاسم من حقيقة ان الوثيقة تذكر كاساس لاقرار السلام موجزا لتاريخ المنازعات على الحدود بين القوتين في الماضي . لذا كانت هذه الوثيقة مهمة بالنسبة لتاريخ الفترة السابقة لحكم ادد ـــ نراري الثاني .

وهناك مجموعة اخرى من الوثائق ذات الاهمية في تثبيت تسلسل التاريخ الاشوري تبدأ من هذا العهد ، وهذه المجموعة هي قوائم الليمّو Limmu . ففي بداية عهد كل ملك ، كان الملك يرعى احتفال عيد رأس السنة في العاصمة . اما في السنوات التالية ، فكان الاحتفال برعاية كبار الموظفين الملكيين بالتعاقب . وفي فترة الوظيفة ، كان الموظف المعني يدعى ليمو Limmu . وكانت السنة الاشورية تؤرخ استنادا الى ذلك .فكان التاريخ على الوثائق القانونية يظهر على النحو التالي : «في سنة ليمو فلان بن فلان» . وقد عثر على قوائم الليمو هذه فامكن تثبيت تسلسلها منذ بداية القرن التاسع وحتى اواخر القرن السابع قبل الميلاد . ويرافق كثير من هذه القوائم اشارات مختصرة عن الحملات العسكرية او بعض الاحداث الاخرى . ومن حسن الحظ ان المدخل لسنة معينة هو ذكر كسوف للشمس في شهر معين . وحيث امكن حساب تاريخ وقوع هذه الظاهرة بدقة من قبل علماء الفلك في الوقت الحاضر ، فقد امكن تثبيت احدى السنوات بدقة . ومن خلال هذه السنة المثبتة بالذات امكن تثبيت سلسلة من التقاويم شملت فترة اكثر من قرنين ونصف القرن . لذا يمكن تأريخ الاحداث التي وقعت خلال معظم النصف الاول من الالف الاول قبل الميلاد ابتداء من عهد ادد ـــ نراري بصورة دقيقة وبحدود السنة الواحدة .

وفي عهد ادد ـــ نراري ، كانت الضرائب تنهال على البلاد من التابعين ومنها العربات والحبوب والخيل والانية الذهبية والخمور والمأكولات بصورة عامة والماشية والاغنام . ولم تبدد هذه الزيادة في الثروة بل استخدمت كلها ، او جزءا منها على الاقل ، لتطوير اقتصاد اشور . ويذكر ادد ـــ نراري على وجه الخصوص قائلا :

«شيدت بنايات ادارية في بلادي . واقمت وسائل الري فيها وزدت عدد مخازن الحبوب عما كانت عليه في الأيام السابقة . وزدت عدد الخيل المعدة للنير .....» .

وربما كان ادد ــ نراري هو الذي ادعى ، كما ورد في احد النصوص الذي لا يشير الى اسم الكاتب ، بأنه جلب الجمال ذات السنامين الى آشور ورباها على شكل قطعان .

ويبدو ان التحالف مع بابل قد سهل التجارة مع الجنوب حيث يذكر نص، اخر اعادة بناء مسناة اشور ، ومن الواضح ان ذلك لفائدة التنقل النهري : وقد كشف في مدينة النمرود عن مسناة مشابهة من فترة متأخرة شيدت بقطع ضخمة من الصخر (انظر صفحة ٢٠٠) . ومما لا شك فيه انه كان هناك في فترات معينة مواصلات نهرية مزدهرة في العاصمة الاشورية .

وخلال السنوات الستين التالية ، اتبع الملوك الاشوريون سياسية ثابتة في تدعيم اعمال ادد ــ نراري . فان امن بلاد اشور تطلب السيطرة ، بالحاميات العسكرية والفتوحات ، على الاقوام الجبلية الى الشمال والى الشرق وكذلك السيطرة على الطرق التجارية الى كبدوكيا والبحر المتوسط . وان تحقيق هذه الامنيات قد تضمن آجلا او عاجلا احداث تغيير في وضع مناطق الحدود ، الواقعة على الاطراف ، من مناطق تدين بالتبعية وتدفع الضرائب الى اقاليم مندمجة اندماجا كليا في الامبراطورية . وقد شغل توكلتي ــ ننورتا الثاني (٨٩٠ ــ ٨٨٤ ق م) ابن ادد ــ نراري وخليفته ، سنواته الاربعة الاولى في حملات ضد بلاد نائيري الواقعة الى الجنوب الغربي من بحيرة وان ونجح اخيرا في اخضاع ملك نائيري وجعله تابعا لبلاد اشور وربطه بالقسم وحمّله مسؤولية تزويد الخيل لقوة المشاة الخفيفة التي كانت قد استخدمت لاول مرة في الجيش الاشوري . وفي اواخر السنة نفسها كان بامكان توكلتي ننورتا ان يهتم بالاقليم الجبلي شرقي بلاد اشور ، فضمن امن المنطقة الواقعة بين الزاب الاعلى والزاب الاسفل . وقد مهد ذلك الطريق بحملة نحوالجنوب الى المنطقة الواقعة شرقي دجلة وقد قام بها في الربيع التالي . وكانت السلالة البابلية انذاك ضعيفة الى درجة ان توكلتي ننورتا تمكن من الوصول الى دور كوريكالزو (عقرقوف حاليا قرب بغداد) وسبّار دون ظهور اية معارضة بابلية كما يبدو . وتقدم الجيش الاشوري من سبّار بدون اية معارضة ايضا ، عبر نهر الفرات ضاربا حدود الاراضي الاشورية الى الاعلى حتى نهر الخابور ثم اتجه بعد ذلك شمالاً بمحاذاة ذلك النهر حتى نصيبين واخذ في طريقه الجزية من الحكام المحليين وانحرف

قليلا وقام بهجوم اخير على مشكو Mushku في آسيا الصغرى . اما في الشؤون الداخلية فقد استمر توكلتي ــ ننورتا على اتباع سياسة ادد ــ نراري فعمل على تطوير الزراعة وانتاج الحبوب بواسطة الري واقامة مستوطنات اجبارية للسكان .

وينتقد المعلقون المحدثون بصورة عامة آشور ناصربال الثاني (٨٨٣ ــ ٨٥٩ ق م) ابن توكلتي ــ ننورتا (انظر لوحة ٢٨ و٢٩) لصراحته وتلذذه الظاهري في الحديث عن القسوة التي انزلها بالبلدان المفتوحة وقد اهملت غالبا انجازاته الادارية في غمرة السخط الخلقي عليه . وكانت نشاطات اشورناصربال الاولى خاصة بالمناطق الجبلية الى الشرق حيث وسع النفوذ الاشوري على الاقاليم الجبلية وضمن الاعتراف بسيادة بلاد اشور من قبل الاقوام التي كانت حتى آنذاك خارج فلك النفوذ الاشوري وكان لابد من القيام بحملتين لاخضاع زاموا Zamua (وهو وادي السليمانية المنيع الذي يمكن اغلاق ممراته بسهولة) . والى الشمال الغربي من بلاد اشور نفسها في جبال كاشياري Kashiari تقع منطقة كانت تابعة فيما مضى لبلاد اشور ولكنها توقفت منذ زمن عن الاعتراف بالحكومة المركزية . فقام اشورناصربال بالاستيلاء على هذا الاقليم وانشأ فيه اقليما اداريا جديدا مركزه تشخان Tush Khan (حاليا كرخ) وحيث كان الاشوريين المستعمرون يستقرون ، فانهم كانوا ينتقمون وبقسوة من كل تمرد يحدث في المنطقة .

وفي الغرب ظهرت دولة ارامية قوية اخرى هي بيت ــ اديني (انظر اعلاه صفحة ١٠٥)وعاصمتها تل ــ بارسب Tilbarsip (تل احمر حاليا) جنوبي كركميش. ففي بداية حكم اشورناصربال قامت هذه الدولة باثارة الاضطرابات في المناطق الخاضعة للاشوريين على طول نهر الخابور واعالي الفرات ، وكانت مدينة سورو Suru في بيت ــ خالوبي Bit Khalupe مركز ذلك حيث نصب عليها ملك صوري من بيت ــ اديني . وقد ضمن اجراء اشورناصربال الحازم والقوي اخضاع العصاة واسر الداعية ، وتعطينا قائمة الغنائم التي اخذت من قصر ومعابد المدينة المهزومة فكرة عن ثراء الدولة الارامية الواقعة على ضفاف الانهار ، فبالاضافة الى الفقرات الاعتيادية من الغنائم كالماشية والاغنام والفضة والذهب ، هناك ذكر لانية من البرونز والحديد والرصاص والاحجار الكريمة والمراهم والاقمشة الصوفية والكتان وخشب الارز وغيره من الاخشاب ذات الروائح الطيبة . وقد لاقى قادة التمرد حتفهم اما بالخازوق او بسلخ جلودهم وهم احياء او ببنائهم في الجدران وقد ضمنت هذه الاجراءات القاسية السلام

في المنطقة لمدة خمس سنوات . ثم ظهرت الاضطرابات من الاتجاه المعاكس حيث قام نابو ــ ابّال ــ ادن ملك بابل بارسال قوة قوامها ثلاثة الاف جندي لمساعدة قبيلة السوهو المتمردة على اواسط الفرات وقد اتجهت الى الاعلى بمحاذاة النهر لتستولي على حصن سوهو وتتخذه قاعدة لها . فقام الجيش الاشوري الرئيس الذي كان آنذاك في مقاطعة كموخ Kummukh بزحف سريع نحو الخابور والحق هزيمة شنيعة بالعصاة في معركة استمرت يومين ، وقد وصلت تأثيرات هذه الهزيمة السياسية ، كما تدعي حوليات اشور ناصربال بعيدا :

«وثبت القوة والعزم على بلاد سوهو ، وامتد الخوف من سلطاني الى بلاد كاردونياش (شمال بلاد بابل) وسيطر للخوف من اسلحتي الذي يبعث على القشعريرة بلاد كلدو (جنوب بلاد بابل)» .

ومع ذلك فقد حدث تمرد اخر في المنطقة في السنة التالية على الرغم من القضاء عليه بسهولة ، وربما كانت بيت ــ اديني وراء هذا التمرد الأخير ، حيث قام اشور ناصربال في السنة التالية لذلك بهجوم على احدى مدنها واجبرها على الاعتراف بالسيادة الاشورية . وقد مهد ذلك الهجوم الطريق الى الساحل السوري وفي السنة التالية زحف الجيش الاشوري من غير مقاومة تذكر الى ساحل البحر المتوسط عن طريق كركميش واورنتس Orontes واخذ الجزية من الدويلات الصغيرة في الطريق ومن المدن الساحلية جنوبا الى مدينة صور .

وفي السنوات الخمس عشرة الباقية من حكم اشور ناصربال تمتعت الامبراطورية بسلام واستقرار كبيرين . ولم يذكر سوى حملة واحدة عام ٨٦٦ ق م عندما كان من الضروري اتخاذ اجراءات حاسمة ضد المتمردين في كاشياري ، وهو اقليم سريع التأثر بضغط دولة اورارتو ذات القوة الكامنة (في العهد القديم ارارات ثم عرفت بعد ذلك بارمينيا) .

اما الشؤون الداخلية ، فان اهم انجازات اشور ناصربال هي تأسيس عاصمته الجديدة في كلخو (في العهد القديم كالح ، نمرود الحالية) التي افتتحت باحتفال كبير عام ٨٧٩ ق م . وقد وصفت مسلة اكتشفت في النمرود عام ١٩٥١ هذا الحدث وبعض اوجه سياسته الداخلية الاخرى بالتفصيل . وقد اسكن في المدينة بصورة عامة الأقوام المندحرة التي اخذت اثناء حملاته المختلفة واقيمت مشاريع ارواء لزيادة خصوبة المنطقة وزرعت الحدائق بأنواع كثيرة من النباتات والاشجار التي جمعها الملك اثناء حملاته ، وشيدت المعابد

وزخرفت وانشأت حديقة للحيوانات جمع فيها الملك وربي قطعان من الثيران والاسود والنعام والقرود كما قدم له الحكام الهدايا من الفيلة المتوحشة وكان مصير جميع هذه الحيوانات، باستثناء القردة، القتل من قبل الملك في احتفالات الصيد. وتضمن الاحتفال بتدشين كلخو وليمة ضخمة حضرها ما يقرب من سبعين الف شخص من العمال ذكوراً واناثاً، والموظفين الحكوميين وممثلي الحكام والاقوام التابعة جاءوا سوية ليحتفلوا لمدة عشرة ايام.

وقد استمر شيلمنصر الثالث (٨٥٨ ــ ٨٢٤ ق م) ابن آشور ناصربال وخليفته في اعمال ابيه وعنوزها وكرس السنوات الاولى من حكمه لتقوية مركز بلاد آشور في الغرب فقام في سنته الاولى بحملة الى ساحل البحر المتوسط لم تلق كما يبدو اية مقاومة . وفي هذه المرحلة هوجمت بيت ــ اديني التي كان قد اخضعها اشور ناصربال وجعلها تدين بالتبعية ، ووضعت تحت سيطرة مباشرة . ولا يعرف بالضبط هل نظرة شيلمنصر هذه كانت نتيجة لاعمال عدائية واضحة من قبل بيت ــ اديني ام انها مجرد نتيجة اعتقاده بخطرها الكامن . ومن المؤكد انه كان بامكان بيت ــ اديني السيطرة على مصادر عسكرية هامة حيث استلزمت السيطرة عليها قيام شيلمنصر بثلاث حملات قبل ان يتم اسر الملك والعائلة المالكة . وفي اثناء تلك الحملات ، قام شيلمنصر باعادة تثبيت السيطرة الاشورية على الاقاليم الواقعة الى الشمال مباشرة حيث كان توسع النفوذ الاورارتي .

وقد اعيد استيطان بيت ــ اديني وتنظيمها كمقاطعة اشورية وبذلك تمكنت اشور من السيطرة الكاملة على الطرق التجارية المهمة على طول اعالي الفرات الى كيليكيا Cilicia وآسيا الصغرى . وكان ذلك تهديد خطر لدول سوريا التجارية القوية التي سارعت لتشكيل حلف مضاد للاشوريين بزعامة ادد ــ ادري* (في العهد القديم : بن هداد) حاكم دمشق شمل فرقا من اسرائيل وامون ، وقد الحق الهجوم الكبير على الجيش الاشوري قرب قرقر الكوارث بالسوريين ووصلت خسائرهم (استنادا الى اقل ادعاء اشوري) اربعة عشر الف من مجموع سبعين الف مسلح .

وانتاب السياسة الاشورية بعد ذلك تحول مؤقت ، حيث اصبح من الضروري اتخاذ الخطوات اللازمة في بلاد بابل حيث اشتعلت نيران الثورة ضد

---

* : هناك قراءة اخرى للاسم تجعله اقرب الى الاسم كما ورد في العهد القديم .

الملك المحلي الذي يؤيده الاشوريون . ومن الواضح ان جميع اجزاء جنوب بلاد بابل كانت انئذ تحت سيطرة الشيوخ الكلدانيين المحليين ، فوجد شيلمنصر ضرورة لان يظهر القوة ضد هذه القبائل لاجبارهم على الاعتراف بالسيادة الاشورية من خلال دفع الجزية .

ثم التفت بعد ذلك الى الغرب ففي عام ٨٤٩ ق م جعلت كركميش ، وهي اخر الدول المستقلة اسميا الواقعة على اعالي الفرات والتي كانت تدفع الجزية ، تحت الحكم الاشوري المباشر . ومع ذلك فقد ظل الحلف السوري في الغرب يكون تهديدا كبيرا للوضع الاشوري في المنطقة . وعلى الرغم من عدد من الانتصارات الاشورية البسيطة في السنوات الاربعة التالية التي كانت الحملة الاخيرة منها تضم جيشا اشوريا ضخما يتألف من مائة وعشرين الف جندي ، فلم يكن بالامكان تحقيق انتصار حاسم على الحلف في تلك الفترة .

وبعد اربع سنوات عندما وجه شليمنصر القوة الاشورية الرئيسة ضد الغرب ، كان الوضع قد تغير . ففي ذلك الوقت كان قد توفي اثنان من الشخصيات البارزة في الحلف السوري هما اهاب ملك اسرائيل وادد ــ ادري ملك دمشق ، وكان الأخير قد اغتيل استنادا الى ما ورد في العهد القديم (سفر الملوك الثاني اصحاح ٨ : ١٥) من قبل خادمه حزائيل Hazael الذي اغتصب العرش بعد ذلك . وبموت ادد ــ ادري انحل الحلف . ويزودنا سفر الملوك الثاني بصورة عن السلالات والمكائد الدولية والصراعات التي تبعت ذلك . فقد خسر حزائيل الذي لم يكن له حليف انذاك ، ستة عشر الف من رجاله وكثيرا من حدوده بالرغم من ان دمشق نفسها لم تؤخذ . في حين دفع ياهو Jehu في اسرائيل (انظر لوحة ٣٥) وملوك صور وصيدا الجزية الى شيلمنصر . اما مصر فقد اظهرت الصداقة بارسال هدايا تتضمن جمال عربية ذات سنام واحد وفرس النهر وغيرها من الحيوانات الغريبة . وفي السنوات الثمانية التالية كان شيلمنصر منشغلا بتثبيت موقفه في الغرب فوسع سلطانه باتجاه الشمال الغربي ليشمل تابال Tabal (وفي العهد القديم : توبال) وقو Qu (كيليكيا Cilicia) وجعلهم من التابعين . وفي وسط سوريا الحق المزيد من الهزائم وخسران الاراضي لحزائيل .

وهكذا اصبحت آشور مسيطرة تماما على سوريا وعلى جميع الطرق التجارية الى آسيا الصغرى . وبذا اصبح انتاج الحديد الذي كان لايزال الى درجة كبيرة حكرا على آسيا الصغرى تحت سيطرة الاشوريين تماما كما كان انتاج الخشب في لبنان ومناجم الفضة في الامانوس . كما كان اصحاب

الحرف والفنيين السوريين تحت امرة شيلمنصر وقد ارسل الكثير منهم الى المدن الاشورية ، وهذا يذكرنا بالطريقة التي استخدم بها الملك سليمان في القرن السابق اصحاب الحرف من صور وجبيل (بيبلوس القديمة شمالي بيروت) كالنجارين والنقارين والحدادين لبناء قصره ومعبده (سفر الملوك الاول ٥ : ١٨ ، ٧ : ١٣ ، ١٤) وقد عثر خلال تنقيبات النمرود (كالح) على كميات كبيرة من العاج المنحوت لا سيما في المعبد الذي كان قد بناه شيلمنصر في الجهة السفلى من المدينة وقد تأكد الان بأنها كانت من صنع الحرفيين السوريين ، كما امكن التعرف على تحصينات كان قد بناها في مدن اشور تكشف عن استخدام طرق اتبعت لاول مرة في بلاد ما بين النهرين في هذه الفترة ثم استخدمت دائما بعد ذلك ، ولعلها كانت بتأثير الاساليب السورية حيث من المؤكد ان علم التحصين في المدن السورية كان متطورا جدا بحيث تمكنت بعض المدن من مقاومة الحصار لمرات عديدة . ولعل باب بلوات البرونزي الشهير ، وهو عبارة عن احزمة معدنية مثبتة على ابواب خشبية ومزخرفة بواسطة الطرق بمشاهد من حملات شيلمنصر الرئيسة (انظر لوحة ٣٣ و٣٤) ، يدين كذلك بعض الشيء الى عمال المعادن من طراز حيرام في صور في القرن السابق وكان : «مملوءا بالحكمة والفهم والحيلة ليعمل جميع الاعمال بالنحاس» (أي البرونز) ، (سفر الملوك الاول : ٧ : ١٤) .

وباستثناء بعض الاضطرابات البسيطة في الغرب التي كان رد فعل بلاد اشور فيها للانتقام لمقتل احد التابعين الموالين في عصيان قويا ، فقد كانت بقية نشاطات شيلمنصر العسكرية موجهة للشمال والشرق .وكانت اورارتو ، ولعلها كانت نفسها في ذلك الوقت تحت ضغوط الاقوام البربرية من الشمال ، تؤلف تهديدا متزايدا لاشور ، ليس شديدا في المنطقة التي تقدمت فيها كلا المملكتين كما في اقصى الشمال الغربي واقصى الشرق حيث كانت كلا الامبراطوريتين في تنافس للسيطرة على الطريق التجارية الرئيسة في الحالة الاولى الطريق من سوريا الى آسيا الصغرى وفي الجالة الثانية الطريق القادمة من الهند والصين عبر ايران . لذا تضمنت حملات شيلمنصر الباقية صدامات غير حاسمة مع قوات اورارتو وبعض الحملات التأديبية ضد الاقوام التابعة والمتمردة في الجبال الكردية وايران .

وفي السنوات الاخيرة من حكم شيلمنصر الطويل حدث تمرد واسع في البلاد . فحسب تصور بلاد ما بين النهرين كما هي ايضا في اجزاء كثيرة اخرى من العالم (كما اثبت ذلك السير جيمس فريزر) كانت الملكية تعتبر وظيفة ، غالبا شبه مقدسة ، تمنحها الالهة لفترة محدودة ومن الممكن سحبها بناء على

رغبة الالهة . وفي اجزاء كثيرة من العالم كان الملك يقتل متى توقف عن اظهار قوته الجنسية . وفي بلاد بابل كان الملك يقوم سنويا بتسليم رمزي لملوكيته الى الاله . ولم يكن هناك مثل هذا التقليد السنوي في بلاد اشور ولكن هناك من يرى بأن مدة الملكية كانت محددة بثلاثين سنة . ويستدل على ذلك من الحالات التي كان الملك يعمل فيها كموظف اللمّو (انظر اعلاه صفحة ١٠٧) فقد كان الملك دائما يعمل كليمو في العيد السنوي للسنة الاولى من حكمه في حين كان يمثل في السنوات الاخرى بسلسلة من كبار الموظفين .ولم يقم شيلمنصر الثالث بذلك في السنة الاولى من حكمه فقط بل في سنته الحادية والثلاثين ايضا مما يشير الى انه كان قد بدأ فترة جديدة من ملكه . وبعد ذلك بفترة قصيرة ، قام اشور ــ دانن ــ ايلي ابن شيلمنصر بقيادة تمرد ضمن فيه تأييدا واسعا بما في ذلك تأييد المدن القديمة المهمة كمدينة نينوى واشور واربائيلو (اربيل الحالية) غير انه لا يمكن اثبات ذلك وربما كان هناك علاقة مباشرة بين تجديد شيلمنصر الملكية وبين العصيان* .

وكان الابن الذي انتخبه شيلمنصر خليفة له هو شمشي ــ ادد الخامس (٨٢٣ ــ ٨١١ ق م) الذي كان مشغولا في سنوات حكمه الاولى وكذلك قبل وفاة والده باخماد العصيان الواسع الذي قاده اشور ــ دانن ــ ايلي . واخيرا تمكن من تثبيت موقفه بمساعدة ملك بابل ، الذي اضطر ان يعترف بسيادته بموجب معاهدة رسمية . وما ان تمكن شمشي ــ ادد بمساعدة بابل ضد المدن المتمردة ، من السيطرة على بلاده حتى وجه حملاته الثلاثة الاولى ضد المناطق الشمالية والشمالية الشرقية . وظلت اورارتو تشكل تهديدا متزايدا وكانت معظم نشاطات شمشي ــ ادد العسكرية في هذه السنوات موجهة لضمان تأييد زعماء بلاد نائيري لبلاد اشور التي كانت تؤلف حاجزا جنوبي غربي بحيرة وان . والى الشرق من ذلك كانت هناك تحركات عرقية جديدة تزيد في تعقيد الموقف . فكان الميديون ، وهم فرع من الاقوام الايرانية ذكرت لاول مرة في عهد شيلمنصر الثالث ، قد هاجروا حديثا الى المنطقة جنوبي شرقي بحيرة اورميا . وكان اظهار القوة ضد المدن الميدية قد ضمن احترام النفوذ الاشوري اضافة الى غنائم كثيرة واستعداد الدول الصغيرة الاخرى في المنطقة الشرقية لدفع الجزية .

* : لعل من الطريف المقارنة ، وان لم تكن ذات اهمية ، انه عندما اكمل امبراطور اليوبيا سنته الثلاثين في الحكم حدثت ثورة جهيضة عام ١٩٦٠ كانت تهدف الى احلال ابنه بدلا عنه .

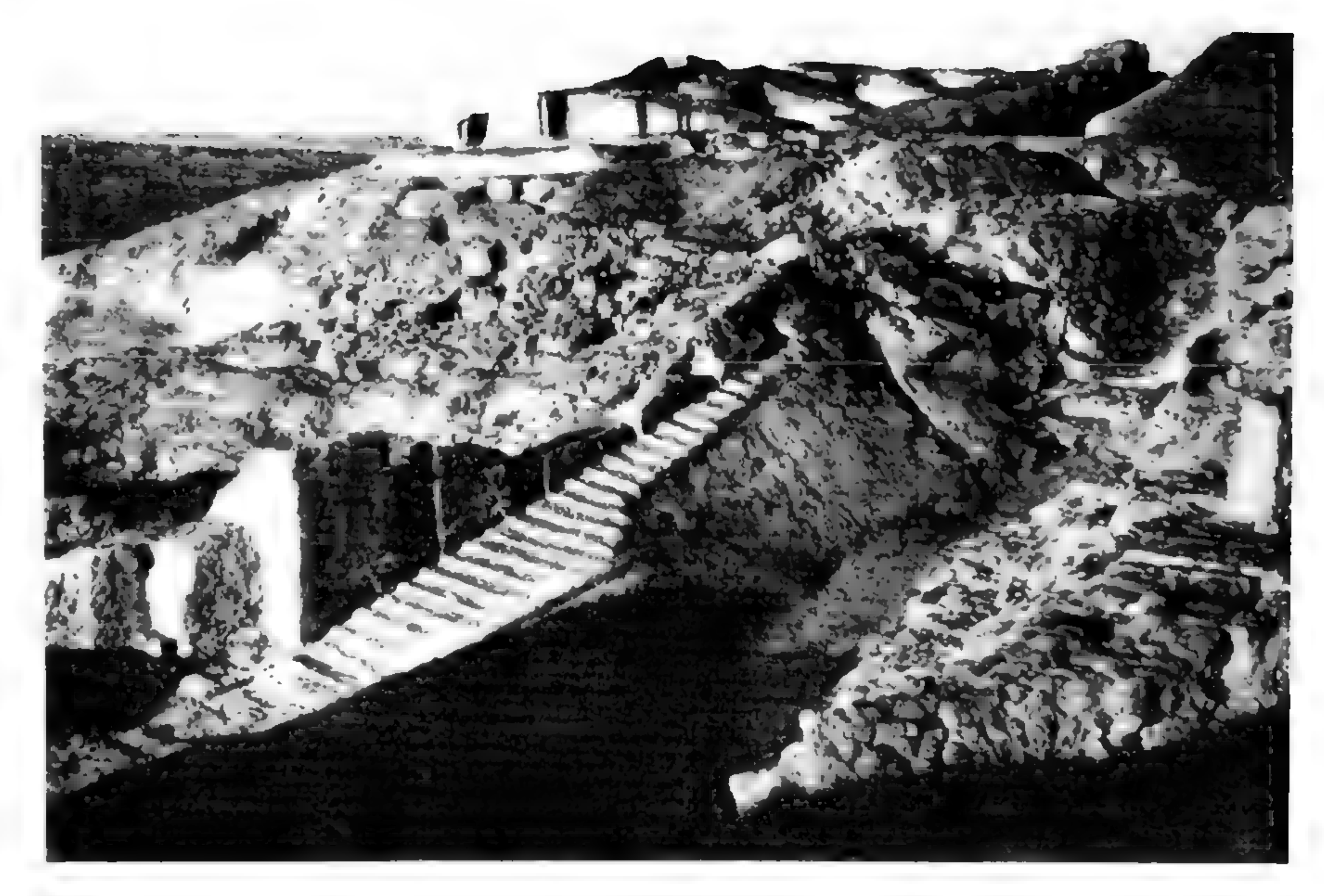
وكان شمشي ــ ادد الان في موقف مغاير تماما عما كان عليه عندما احتاج لمساعدة بابل لاخماد تمرد مدنه . فقد كان من القوة الى درجة انه وجه اهتمامه الى الجنوب من نائيزي زاحفا بمحاذاة دجلة الى المناطق التي انحدر منها الكاشيون سابقا الى بلاد بابل وكانت عادة ضمن اطار النفوذ البابلي . وبعد فتح هذه المنطقة وتهجير سكانها ، عبر شمشي ــ ادد نهر ديالى الى القسم الشرقي من بلاد بابل نفسها حيث انه تقدم ، كما يشير الى ذلك نفسه ، لتدمير منطقة الحدود بأكملها وسلب واحرق المدن وخرب البساتين وكان ملك بابل مردوخ ـ بلاطو ــ اقبي Marduk-balatu-iqbi خليفة من ساعد شمشي ــ ادد للحصول على عرشه ، حذرا فنظم حلفا من عيلام ونامري Namri ، (وهي دولة شمال عيلام وليست نائيري) وقبائل الكلدانيين المستقلة في جنوب بلاد بابل وبعض القبائل الارامية الباقية شرقي دجلة . ومع ذلك ، فقد دحر الحلف البابلي في معركة ضارية ويبدو ان السنوات التالية قد شهدت نشاطا اشوريا عسكريا في وسط وجنوب بلاد بابل وقدم شمشي ــ ادد القرابين في مدينة بابل نفسها عام ٨١١ ق م .

ان دوافع هجوم شمشي ــ ادد المفاجىء على بابل وكذلك الاهداف التي كان يرمي لتحقيقها ما زالت غير واضحة ، فليس هناك سبب لان نفترض ان بلاد بابل كانت تؤلف تهديدا عسكريا لاشور بأي حال من الاحوال سواء لوحدها او بالاتفاق مع حليفتها الممكنة اورارتو . وربما كانت الاجراءات الاشورية تتعلق بالطرق التجارية فقد كانت قبائل الكلدو (الكلدانيين) مسيطرة غالبا على جنوب بلاد بابل في تلك الفترة واستنادا الى قوائم الليمو فقد وجه شمشي ــ ادد حملته ضد تلك المنطقة بالذات وكانت مدن جنوب بلاد بابل في العهد الاول . كما اصبحت بعد ذلك ثانية ، ذات اهمية بالغة كمراكز للتجارة من الهند والجزيرة العربية المارة شمالا عن طريق عمان والبحرين (دلمون) وفي فترة لاحقة ، كانت التحركات العرقية في شمال ايران قد غيرت بالتأكيد الطرق التجارية في تلك المنطقة وادت الى استخدام طريق يمر من جنوب ايران (عيلام) وبابل . ولذا من المحتمل ان الغزو الميدي كان قد اتبع هذه التأثيرات وان شمشي ــ ادد كان يحاول السيطرة على الطريق التجاري بين الموانىء الجنوبية عبر بلاد بابل على طول نهر دجلة . غير انه ليس هناك في الوقت الحاضر دليل على ذلك بالرغم من انه يجدر الملاحظة ان خليفة شمشي ــ ادد ، ادد ــ نراري الثالث ، ادعى على وجه الخصوص بأنه جعل ملوك (اي شيوخ) الكلدو تابعين له وفرض عليهم الجزية والضرائب .

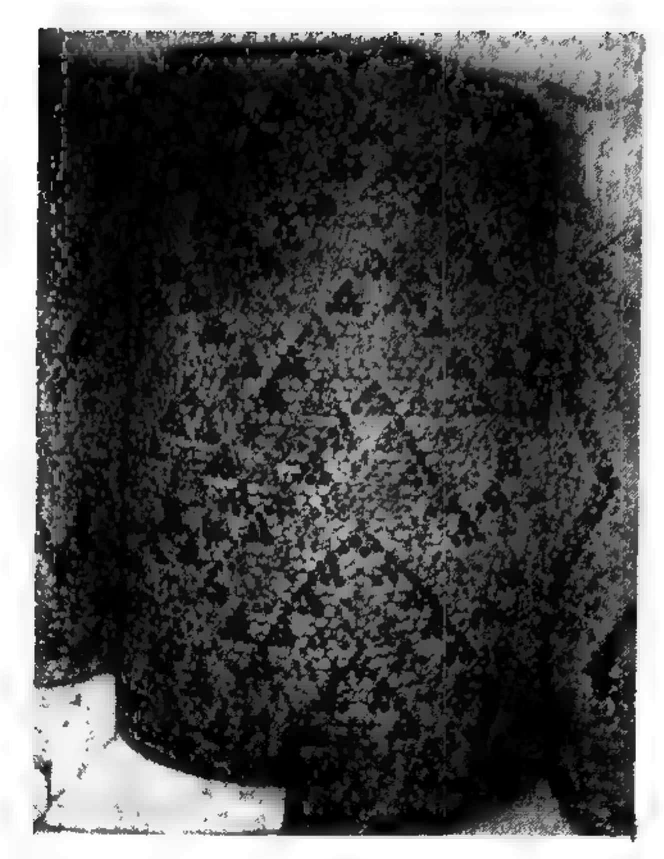
ويكشف لنا احد النصوص ان ادد ـــ نراري الثالث لم يحتل العرش حتى السنة الخامسة من حكمه الاسمي . مما يؤيد الافتراض ان والدته شمو ـــ رامات كانت وصية عليه بعد وفاة شمشي ـــ ادد . وهذه السيدة التي درج اسمها وقصتها عند الاغريق بشكل محرف على هيئة سميراميس ، كانت بلا شك شخصية مهمة حيث كان لها مسلة تذكارية في اشور الى جانب المسلات الخاصة بالملوك وكبار موظفي بلاد اشورفي حين ذكرت(وبشكل استثنائي بالنسبة لامرأة) الى جانب الملك في احد النصوص النذرية .

وقد شهد حكم ادد ـــ نراري الثالث (٨١٠ ـــ ٧٨٣ ق م) وحكم ابنه شيلمنصر الرابع (٧٨٢ ـــ ٧٧٢ ق م) تزايدا كبيرا في قوة اورارتو وكان هناك صدامات عدة بين القوتين لا سيما في المنطقة الميدية . وفي الشمال الغربي ايضا تجاوزت اورارتو كثيرا على الحدود التي كانت خاضعة سابقا للسيطرة الاشورية وبصورة خاصة ميليد Melid وقد شجع ذلك ارتداد بعض الدول السورية الشمالية الاخرى . فقام الحلف الذي اعيد تنظيمه ليشمل دمشق وقو وكوركم Gurgum بهجوم على دولة حماة المؤيدة للاشوريين (المشهورة في العهد القديم) . وقد سارع ادد ـــ نراري بتقديم المساعدة الى تابعه الموالي وفي سلسلة من الحملات قطعت الاولى بين الحلف في الشمال وبين دمشق ومن ثم القيام بهجوم مباشر على الاخيرة التي استسلمت ودفعت جزية كبيرة . وقد تبعت الدول السورية الاخرى ذلك وقبلت بسيادة ادد ـــ نراري . وقد كان من نتائج ضغط اورارتو في الغرب ان انتقل مركز سيطرة بلاد اشور الرئيس في سوريا الى الجنوب وكنتيجة عرضية اشير اليها في العهد القديم (سفر الملوك الثاني ١٣ : ٢٤ : ٢٥) كان من نتيجة ضعف دمشق ان تمكن يهواش في اسرائيل من استعادة بعض الاراضي التي اخذت من اسرائيل خلال فترة سيادة دمشق . وقد استمر تقدم الاورارتيين على طول جميع الحدود الاشورية الشمالية تقريبا خلال السنوات التي اعقبت حكم ادد ـــ نراري الثالث ولعدم وجود حاكم من مستواه يتمكن من تقليص نتائج هذا التقدم فقد قاست بلاد اشور كثيرا . وتمكنت اورارتو من السيطرة التامة على المناطق الواقعة جنوبي بحيرة اورميا مباشرة وبذا سيطرت على الطرق التجارية القادمة من شمال ايران . وكان الوضع في الغرب اكثر تأزما حيث اكتسح الاورارتيون المنطقة واخذوا من الآشوريين جميع المنطقة شمال وغرب كركميش تقريبا وبذا سلبوا اشور السيطرة على تجارة المعادن في آسيا الصغرى . والى جانب النتائج الاقتصادية التي لابد وان كان لها تأثير مباشر على

قابلية بلاد اشور العسكرية طالما اصبحت جميع المنطقة التي اعتمدت عليها اشور في تجهيز الخيل في ايدي الاورارتيين . وكان التأثير الاقتصادي لقطع الطرق التجارية الى اسيا الصغرى قد ادى الى اضطراب في سوريا فجهزت عدة حملات عسكرية ضد حتاريكا Hatarikka (في العهد القديم Hadarach) وارباد ودمشق . وفي خلال فترة ضعف الاشوريين هذه يقع حكم يربعام الثاني ملك اسرائيل ، وان عدم وجود اي سلطة مركزية قوية قد مكنت من توسيع حدوده على حساب حماة ودمشق (سفر الملوك الثاني ١٤ : ٢٥ : ٢٨) كما كانت هناك اضطرابات في المناطق الواقعة على طول نهر دجلة جنوبي بلاد اشور في حين سببت الضائقة الاقتصادية الناشئة عن قطع الطرق التجارية الى قيام ثورات في عدد من المدن . وفي عام ٧٤٦ ق م قامت ثورة في العاصمة كالح نفسها واغتيل اشور ـــ نراري الخامس ، وهو اخر الملوك الثلاثة الذين اعقبوا ادد ـــ نراري الثالث ، مع جميع افراد العائلة المالكة . وقد نصبت الثورة التي قضت على العائلة المالكة القديمة على العرش الاشوري اقدر حاكم في بلاد اشور لمدة تزيد عن القرن . وان ما هو معروف عن تاريخ تجلاتبليزر الثالث السابق ، بول Pul في العهد القديم ، قليل جدا . ففي احد النصوص يدعى بأنه سليل ادد نراري الثالث وليس هناك سبب للتشكيك في ذلك . ولم يستعمل اسمه بول في العهد القديم فقط بل في بلاد بابل ايضا . وهناك من يرى بأن ذلك يمثل اسمه الشخصي وان اسم تجلاتبليزر هو اسم ملكي اطلقه على نفسه عند اعتلائه العرش كدليل على رغبته لاتباع خطوات الملوك الفاتحين الذين حملوا هذا الاسم من قبل .



المعبد الابيض في الوركاء



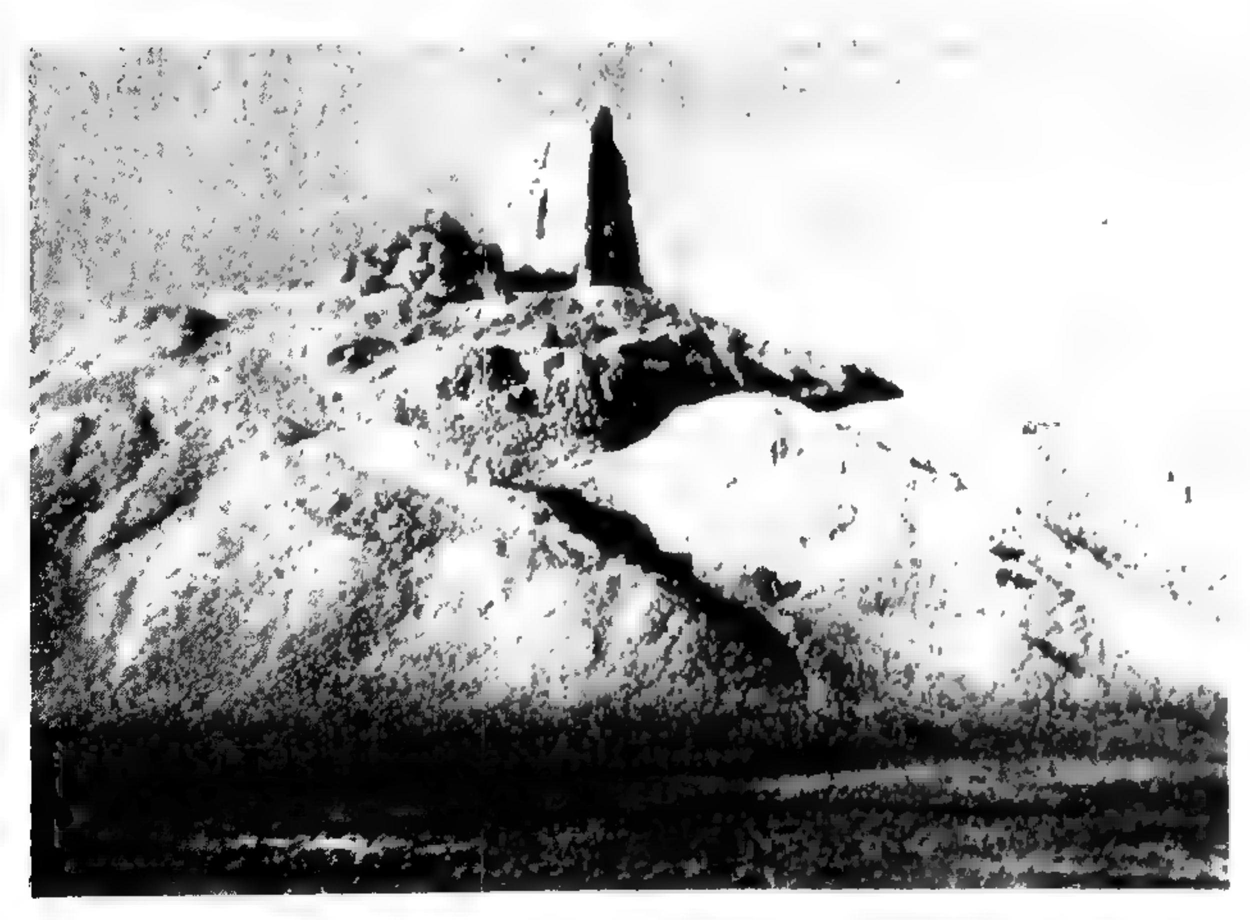
٢ آ   مسامير فخارية من الوركاء



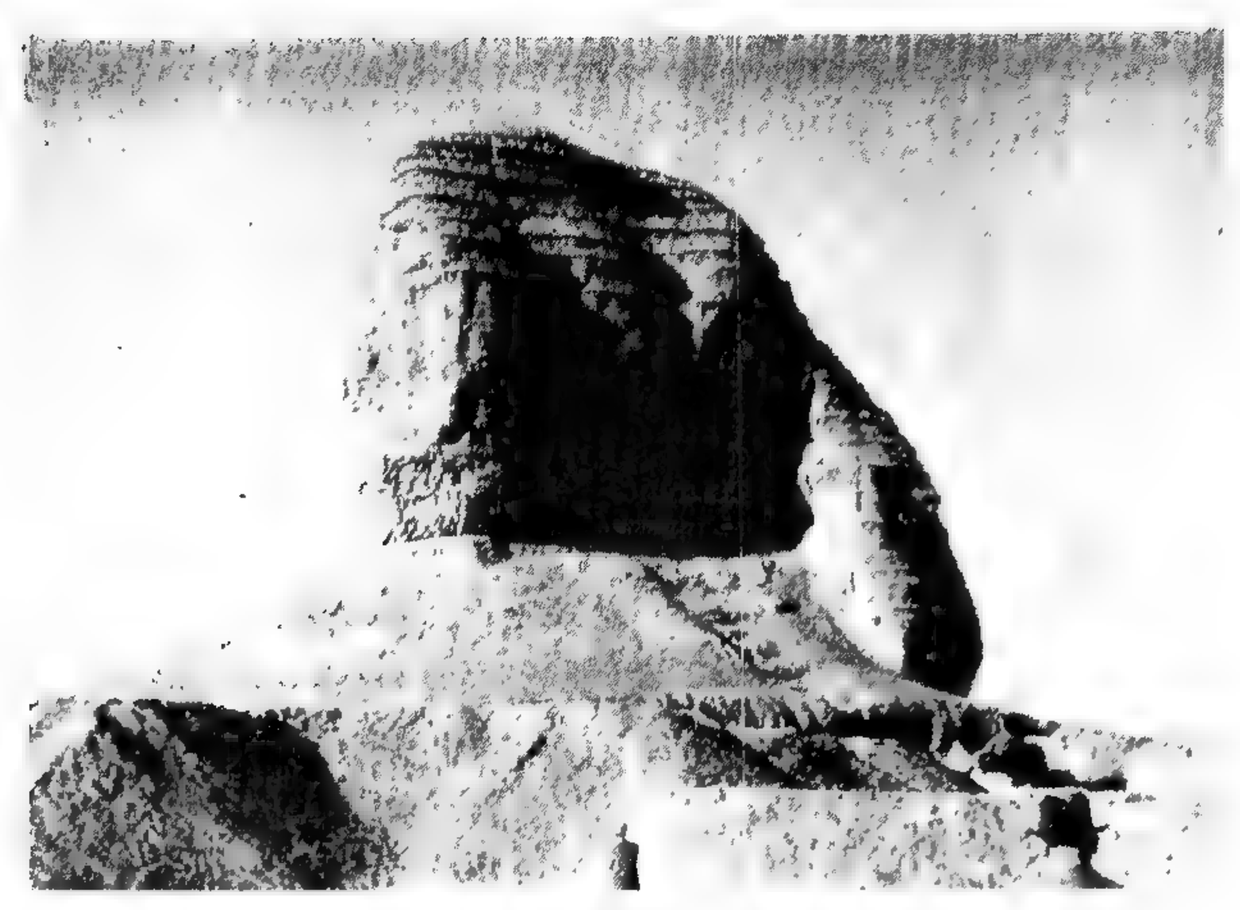
٢ ب   نموذج فضي لقارب من المقبرة الملكية في اور



٣ آ زقورة اور



٣ ب بقايا زقزرة بورسيا (بيرس نمرود الحالية) ربما اصل صرح بابل.



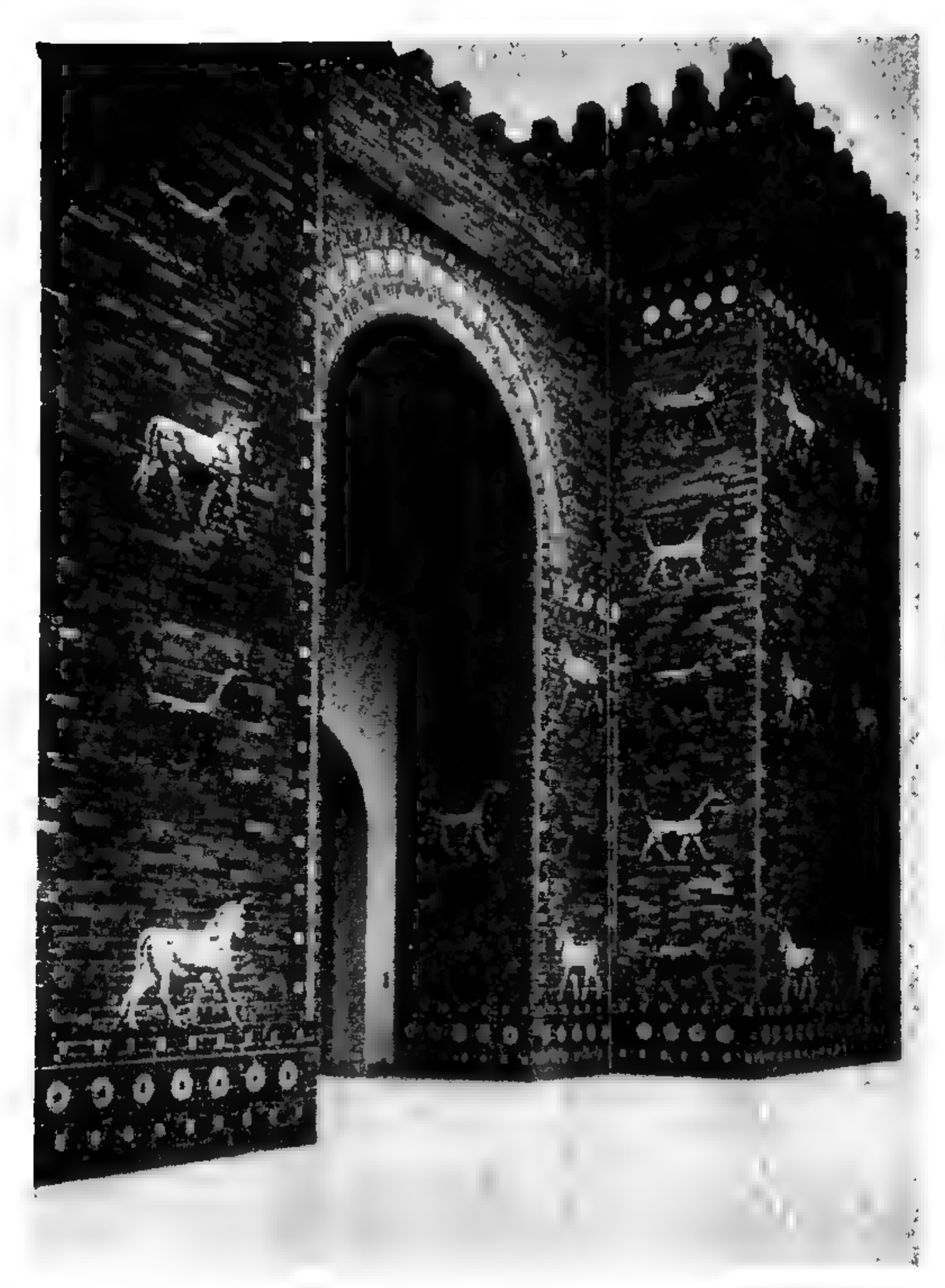
٤ آ بقايا زقزرة دور - كوريكالزو (عقرقوف الحالية)



٤ ب بقايا شارع الموكب في بابل



٥ رأس اسد من النحاس وباطنه من القير (من العبيد)



٦ باب عشتار (بعد اعادة بناءه)



٧ قيثارة (مصانة) من المقبرة الملكية في اور



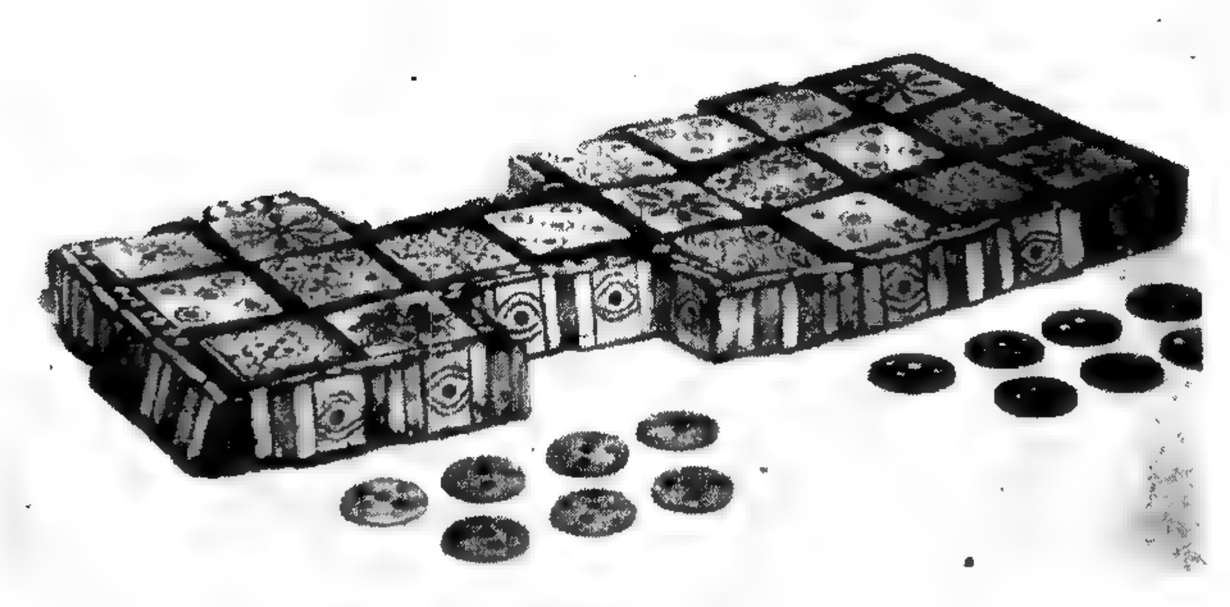
٨ آ   اناء من الرخام من الوركاء



٨ ب   رداء سومري قديم
(منحوت على رأس دبوس من الحجر)



٩أ زريبة ماشية من جمدة نصر (بداية الالف الثالث)



٩ب لوحة العاب من اور (النصف الاول من الالف الثالث)



١٠ الاله امدكو (الريح القاسية) مع ايلين، نصب سومري مبكر لعله يتعلق بالخصوبة

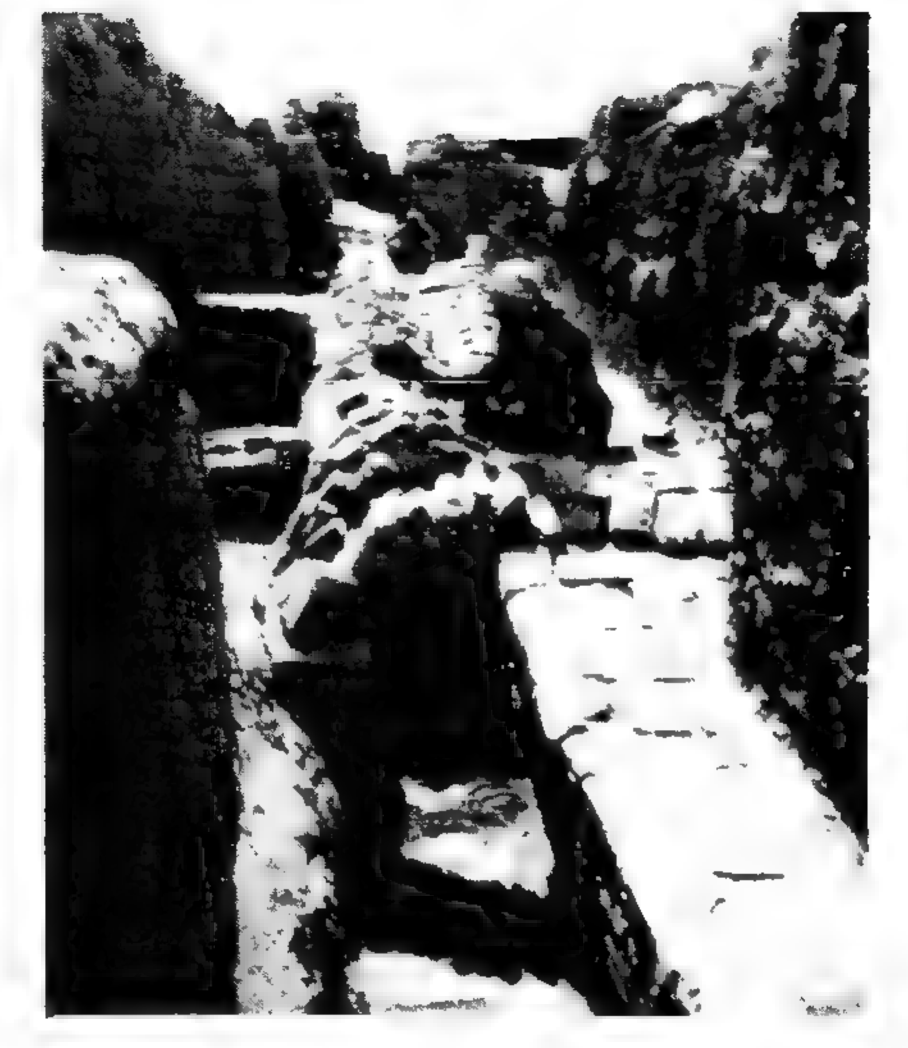


١١آ اواني طقوسية ـ توصف عادة كغطاء شمعة على شكل ثعبانين ملفوفين (آواخر الالف الثالث)



١١ب افريز مطعم من اور
(النصف الاول من الالف الثالث) يظهر مشاهد تتعلق بطقوس الخصوبة

١٢ مشهد حرب من (راية اور) (النصف الاول من الالف الثالث)



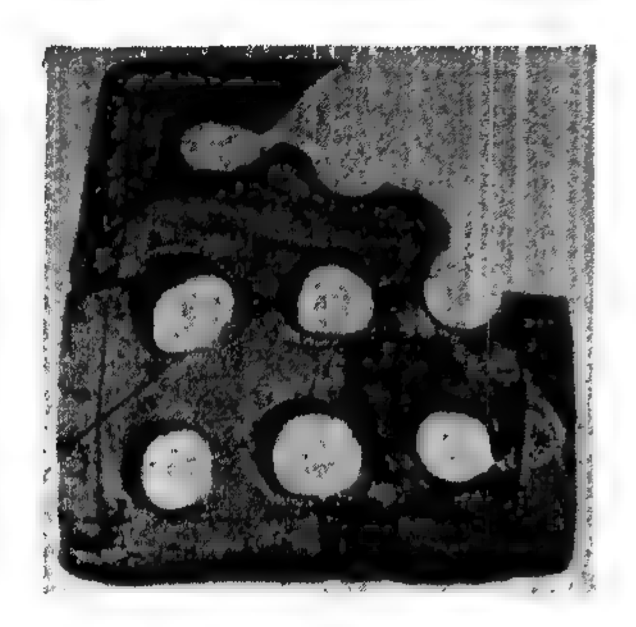
١٢ مجرى المياه القذرة الرئيسي في قصر (الالف الثالث)



١١٣ مرحاض بقايا المقعد من القير (الالف الثالث)



١٤ رأس سرجون الاكدي



١٥ا شباك نافذة (الالف الثالث)



١٥ب مقلاة من البرونز



١٦أ منحوتة نرام ـ سن الحجرية في سلسلة قرة داغ، العراق (حولي ٢٢٨٠ ق‌م)



١٦ب مسلة نرام ـ سن (حوالي ٢٢٨٠ ق٠م)

الفصل الرابع

السيادة الآشورية

عندما تولى تجلاتبليزر الثالث العرش ، كانت بلاد آشور في وضع عسكري واقتصادي صعب ، بل متأزم جدا . فكانت قد فقدت سيطرتها على كثير من حدودها الغربية وكانت بلاد بابل في فوضى واضطراب في حين كانت الاقاليم الجبلية الى شرقي وشمالي بلاد اشور تحت سيطرة اورارتو بصورة عامة . وشهدت السنوات الاربعين التالية استفاقة بلاد اشور وعودة سيطرتها على جميع حدودها القديمة وتثبيت نفسها قوة عسكرية واقتصادية بارزة في الشرق الادنى . ولم تكن هذه التغييرات الكبيرة نتيجة تغييرات جذرية في الموقف الخارجي ، ففي الواقع كان الضغط في الشمال قد زاد في هذه الفترة . بل يعزى الى درجة كبيرة الى الاصلاحات الادارية التي قام بها تجلاتبليزر في اعادة تنظيم نظام ادارة حكومته ومقاطعاته . فقد قلص حجم المقاطعات في بعض الاحيان في سبيل التوصل الى ادارة حازمة وكذلك لمنع حصول حكام المقاطعات على قوة كبيرة قد تكون خطرة . وقسمت المقاطعات التي اعيد تنظيمها بدورها الى وحدات اصغر تحت سيطرة موظفين اقل درجة كانوا بصورة عامة مسؤولين امام الحاكم ولكن كان لهم الحق في ان يشتكوا الى الملك مباشرة ويمثلوا امامه .

وكان ذلك ضمانا جيدا ومراقبة دائمة على كفاءة وموالاة حكام المقاطعات كما نظم اسلوب محطات البريد (الذي ينسب استخدامه لاول مرة الى الايرانيين بصورة عامة) على طول الامبراطورية فساعد ذلك على سرعة المراسلات بين الملك وحكامه ، كما طلب الى الحكام ايضا ان يقدموا تقارير منتظمة عن شؤون مقاطعاتهم . واتبع تجلاتبليزر وخلفاؤه بالنسبة للدول الحاجزة الواقعة ما وراء المقاطعات الاشورية اسلوب تعيين ممثل اشوري في بلاط تلك الدول للاشراف على مصالح الاشوريين بينما امكن السيطرة عليها بصورة غير مباشرة من خلال العائلة المالكة المحلية ، وتمتعت مثل هذه الأسر المحلية الحاكمة بضمان اسناد الامبراطورية في حالة الثورات الداخلية او هجوم الاعداء شريطة دفعهم الجزية للمسؤولين عن دفعها وقبول توجيه المقيم الاشوري في شؤون السياسة الخارجية والتجارية ، ويمكن ملاحظة امثلة ذلك في العهد القديم عندما استنجد آهاز ملك يهوذا مثلا تجلاتبليزر حينما هدده حلف سوريا واسرائيل وقد حصل على النجدة المطلوبة (سفر الملوك اصحاح ١٦ : ٧ ـــ ٩) .

وكان اهتمام تجلاتبليزر العسكري الثاني هو تثبيت حدوده الجنوبية حيث كانت القبائل الارامية على طول نهر دجلة تثير الاضطراب منذ السنوات الاولى من عهد اشور ـــ دان الثالث (٧٧١ ـــ ٧٥٤ ق م) ، فهوجمت اراضي قبيلة بوقودو Puqudu (في العهد القديم Pekod) شرقي وشمالي بغداد الحالية واعيد الاستيطان فيها وجعلت جزءا من مقاطعة أرابخا ، التي اصبحت حدودها الحالية آنذاك على شكل بيضوي طويل على طول الجانب الشرقي من دجلة ومفتاحا لسيطرة الاشوريين على بلاد بابل . وقد جعلت مناطق القبائل الواقعة الى الجنوب الشرقي من ذلك بين بلاد بابل نفسها وعيلام مقاطعة مستقلة تحت الادارة الاشورية . وقوّت مثل هذه الاجراءات موقف الملك المحلي داخل بلاد بابل نفسها ، وهو نابو ـــ ناصر الذي لم يتدخل تجلاتبليزر في سلطته غربي نهر دجلة . وحافظ نابو ـــ ناصر على الأمن الداخلي والسياسة المؤيدة للاشوريين داخل بلاد بابل حتى موته عام ٧٣٤ ق م فارتاح تجلاتبليزر من قلق الاضطرابات في الجنوب وكان بمقدوره ان يلتفت الى اورارتو ، عدو بلاد اشور الرئيس . ويمكن اعادة تثبيت الخطوط العامة للحوادث التي وقعت في السنوات التالية من حوليات تجلاتبليزر المهشمة قليلا ، على حين تزودنا

الرسائل التي ارسلت الى الملك من قادته وحكامه او ضباط استخباراته على الحدود الاورارتية ببعض التفاصيل الواضحة هنا وهناك ، وان تسلسل الاحداث في بعض الاحيان غير مؤكد بسبب صعوبة تجميع كسر الحوليات بشكل دقيق . وبدأ الضغط المضاد على اورارتو بحملة الى اراضي نامري نفسها ، وهو اقليم يقع شمالي زاموا (محافظة السليمانية حاليا) شمالي عيلام القديمة . ولم يقابل الجيش الاشوري قوات اورارتية (مما يشير الى ان كفاءة نظام استخبارات ومواصلات الاورارتيين كانت اقل بكثير من نظيرتها الاشورية) وكان بامكان الجيش ان يستوعب بسهولة التصدي الذي ابداه بعض القادة المحليين . وقد ترك الحكام المحليون الذين اتفقوا مع تجلاتبليزر في اماكنهم تابعين وخاضعين لدفع الجزية ، في حين وضعت حدود اخرى تحت ادارة الموظفين الاشوريين المباشرة واعيد اسكانها بقبائل من شرقي بلاد بابل . وعلى كل حال فان الغزوة انذرت ساردر Sardur في اورارتو الذي استمر بتنظيم حلف قوي ضد آشور في الغرب . وقد اثبتت كفاءة نظام استخبارات ومواصلات الاشوريين جدارة اكثر من الاورارتيين عما في السنة السابقة وزحف تجلاتبليزر بجيشه ، الذي كان مجهزا انذاك بالعدد والتجهيزات نتيجة الاعداد الكثيرة من الخيل والبغال والجمال والماشية التي غنمها في حملته الى بلاد نامري والتي حصل خلالها ايضا على ما لايقل عن خمسة عشر طنا من النحاس ، ضد القوات في الغرب . ويبدو ان الجيش الاشوري قد عمل الكمائن لقوات الحلف التي واجهت هزيمة شنيعة ووقع كثير من الاسرى ، استنادا الى الحوليات ما يقرب من ثلاثة وسبعين الف جندي ، على الرغم من ان ساردر نفسه تمكن من الهرب ليلا من خيمته تاركا وراءه جميع ممتلكاته حتى مجوهراته وختمه الشخصي وهرب عبر الفرات الى بلاده .

وسارعت تلك الدول التي لم تتورط بالحلف لدفع الجزية الى تجلاتبليزر ، وقضى تجلاتبليزر السنوات التالية في تقوية موقف الاشوريين في الغرب حيث اجريت تغييرات ادارية كبيرة وقلب عدد من الممالك التي كانت سابقا تدين بالتبعية وثبت عدم امكانية الاعتماد عليها الى مقاطعات اشورية تحت الحكم المباشر . وظلت هناك بعض الجيوب المضطربة المنعزلة وقد اشير في الحوليات وفي المراسلات الملكية الى ان السنوات الثلاث التالية شهدت عددا من النشاطات العدائية ضد الاشوريين في سوريا . وكانت هذه النشاطات تتراوح

بين العمليات العسكرية الصريحة وبين الشغب المحلي ضد بعض الاجراءات الاقتصادية غير الشعبية . وتمدنا رسالة ارسلت الى تجلاتبليزر من قبل الموظف الاشوري الذي اعاد النظام في الموانىء البحرية في صور وصيدا يمثل على النوع الثاني . فقد كانت السلطات الاشورية قد فرضت ضريبة على الاخشاب التي تجلب الى الميناء من لبنان فقام المواطنون الغاضبون ببعض الاضطرابات وقتلوا جابي الضرائب الاشوري وكان رد فعل الحاكم العسكري الاشوري فعالا حيث جلب الى المدن المعنية فرقا من قوات الايتو Itu ، وهي قوات شرسة استخدمت لاداء واجبات الشرطة بين السكان المدنيين المثيرين للاضطرابات وكان وجود هذه القوات كما يذكر الكاتب الى جانب الملك قد وضعت الناس في حالة رعب . وبعد ان افزع تجار الخشب مافيه الكفاية وجههم الموظف الاشوري للاستمرار بقطع الخشب كالسابق غير انه حظر عليهم تصديره الى المدن المصرية والفلسطينية* ولعل هذه الحادثة اشير لها في سفر اشعيا الاصحاح ٢٣ : ٥ وكان كلا من ملك يهوذا عزرا وملك اسرائيل مناحيم المعاصرين متورطين في الاضطرابات في هذا الوقت . ويصف سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٥ : ١٩ : ٢٢ كيف ان مناحيم فرض ضريبة على رؤوس الاموال ليدفع الغرامة ، وهي الف طالن من الفضة فرضت من قبل تجلاتبليزر الثالث (بول Pul)

---

* : والاشارة هي الى مدينة اشدود وغزة وبعض المدن الاخرى على السهل الساحلي في جنوب فلسطين التي كانت سابقا مركز قوة فلسطين كما كانت حتى اواخر القرن الثامن مسكونة من قبل سكان عرفوا بالفلسطينيين استنادا الى ما جاء بسفر الملوك الثاني الاصحاح ١٨ : ٨ و ٢ اخبار الايام التالي : الاصحاح : ٢٨ : ١٨

ويبدو ان تجلاتبليزر الثالث قد بقي نفسه في سوريا في السنوات التالية واتخذها قاعدة له في حين كانت فرق من جيشه مشغولة في الشمال والشمال الشرقي في اعقاب النصر الاشوري على ساردر . كما هوجمت ثانية اراضي نائيري جنوب غربي بحيرة وان وشمال المقاطعة القديمة تشخان Tushkhan ومنطقة القبائل في اعالي الزاب الاعلى ، وخضعت هذه المرة للسياسة التي اتبعها تجلاتبليزر الثالث على نطاق واسع وهي ترحيل السكان المحليين واعادة اسكان البلاد بالاسرى من مناطق اخرى من الامبراطورية وقد وضع الاقليم بكامله تحت سلطة حكام اشوريين .

ويبدو ان انسحاب قسم من الجيش الاشوري قد اعطى حكام سوريا وفلسطين الثانويين فكرة خاطئة عن قوة الاشوريين . في حين خلفت الاجراءات الاقتصادية من النوع الذي يعكسه حظر تصدير الخشب الى الجنوب من لبنان بعض الصعوبات .

وفي عام ٧٣٤ ق م كانت هناك بعض الاضطرابات في جنوب فلسطين ، واستنادا الى ما جاء في سفر الايام الثاني الاصحاح ٢٨ : ١٦ : ٢١ ، هاجم حلف من ادوم Adom والمدن الفلسطينية يهوذا تحت حكم اهاز Ahaz بينما اقيم في شمال ذلك حلف معاد للاشوريين ضم سوريا واسرائيل . واستنادا الى القصة الثانية في العهد القديم (سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٦ : ٥ ــ ٩ وكذلك الفقرة التي اشير اليها في سفر الايام الثاني) ، حافظ اهاز على سياسة موالية للاشوريين طوال الوقت وطلب العون من تجلاتبليزر وبتقديم ذلك تمكن الملك الاشوري بسهولة من التخلص من المعارضة في المدن الفلسطينية والسورية والتدخل في شؤون اسرائيل وتنصيب هوشع بدلا من الملك بيكا Pekah . ويتذمر سفر الايام انه كان على اهاز ان يدفع ضريبة الى تجلاتبليزر على الرغم من موالاته ، وهي اشارة تؤيد الحوليات جزءا منها ، ويبدو انه اذا كانت الاحداث في سفر الايام موثوقة فان الضريبة المفروضة هي التي كانت تعرف عادة كيتو Kittu ، وهي الضريبة التي تفرض مقابل تقديم المساعدة العسكرية الى تابع في حالة الاضطرابات .

وفي عام ٧٣٤ ق م ، حدثت اضطرابات في منطقة جديدة وذلك عند وفاة نابو ــ ناصر ملك بلاد بابل الموالي للاشوريين . فقد كانت القبائل الكلدانية قد سيطرت تماما على جميع بلاد البحر (وهي الجزء الجنوبي من بلاد بابل) لما يقرب من قرن كامل وكانت تعمل على توسيع سيطرتها تدريجيا الى الشمال

باتجاه الفرات ودجلة . وفي اثناء الارتباك الذي حدث عند وفاة نابو ـــ ناصر ثار اوكـــن ـــ زيـــر Ukin-Zer رئـيس قبيلـة بيت اموكانـــي الكلدانيةBit-Amukkaniضد الخليفة الشرعي الموالي للاشوريين والمدعو نابو ـــ نادن ـــ زير Nabu-Nadin-Zer (٧٣٤ ـــ ٧٣٢ ق م) وتمكن اخيرا من السيطرة على العرش . وظلت القبائل غير الكلدانية القاطنة شرقي دجلة في شمال بلاد بابل موالية لاشور ، كما كان كذلك المواطنون البابليون (بصورة عامة) على الرغم من ان الغاصب قد استولى على العاصمة نفسها . وهناك رسالة تحدثنا عن المفاوضات التي تمت بين الموظفين الاشوريين والسكان المحصنين في الداخل ، وتذكرنا بالمقابلة التي تمت بين موظفي الرابشاقة ووزراء حزقيا عند حصار القدس عام ٧٠١ ق م (سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٨ : ١٧ : ٣٦) . وهناك بعض الدلائل تشير الى ان الدبلوماسية الاشورية قد نجحت في بذر الخلاف بين شيوخ القبائل الكلدانية ـــ وبذلك امكن جعل جزء من قوتهم محايدة بما في ذلك قوات مردوخ ـــ ابلا ـــ ادينا ، وهو قائد طموح وقدير قاد بنفسه بعد ذلك ثورة وجاء ذكره في العهد القديم تحت اسم مردوخ ـــ بلادن (اشعيا ـــ الاصحاح ٤٣ : ١) وقد كشفت مخططات تجلاتبليزر الستراتيجية قيمتها عند التصرف مع اوكن ـــ زير . فقد وجه الهجوم من مقاطعة ارابخا وتجنب الجيش الاشوري كثافة المدن على الرقبة المشكلة بالتقاء نهر دجلة والفرات ودخل بلاد بابل عبر دجلة من نقطة تقع الى الجنوب من ذلك . ووضعت القبائل الموالية لحماية الطرق في حين تحرك الجيش نحو الغرب الى المدن البابلية . واخذت بابل من العصاة الذين هربوا الى سابيا Sapia ، وهي المدينة الرئيسة لقبيلة بيت ـــ اموكاني في وسط منطقة الاهوار اسفل الفرات . وتابع الجيش الاشوري ملاحقة اوكن ـــ زير وحاصره في مدينته ودمر منطقة بيت ـــ اموكاني والقبائل الكلدانية المتمردة الاخرى وهي بيت ـــ شيلاني Bit-Shilani وبيت ـــ سآلي Bit-Sa'alli على حين تركت منطقة مردوخ ـــ ابلا ـــ ادينا والشيوخ الآخرين الذين اتفقوا مع اشور ، وقد استغرقت العملية جميعها ثلاثة سنوات ، ووضعت بلاد بابل عندئذ تحت ادارة اداريين اشوريين ، وفي عام ٧٢٩ ق م قام تجلاتبليزر نفسه بأخذ يدي الاله ، في احتفال عيد رأس السنة الجديدة في بابل وبذلك قلد رسميا ملكا على بلاد بابل من قبل الاله القومي مردوخ ، ولم يسبق لاي من الملوك الاشوريين مدة تزيد على اربعة قرون ونصف ان تولى ملك بابل . توفي تجلاتبليزر عام ٧٢٦ ق م تاركا بلاد اشور مسيطرة على امبراطورية واسعة تمتد من الخليج العربي

الى حدود مصر وتضم اجزاء كبيرة من اناضوليا وكيليكيا .
وقد شكلت العمليات العسكرية الاشورية الممتدة جنوبا حتى غزة واضطراب التجارة المصرية نتيجة حظر الاشوريين لتصدير الخشب الى مصر من لبنان ، تهديدا لمصر . وفي عهد شيلمنصر الخامس القصير خليفة تجلاتيليزر ، الذي لم تصلنا عنه وثائق كثيرة ، بدأ المصريون باتصالات دبلوماسية هجومية مضادة محاولين افساد الممالك الصغيرة في فلسطين وجنوب سوريا . وقد تورط هوشع ملك اسرائيل في ذلك وجلب على نفسه هجوم شيلمنصر (سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٧ : ٣ ــ ٥) . وقد اعقب الاستيلاء على العاصمة الاسرائيلية السامرة بعد حصار دام ثلاث سنوات ، السياسة التقليدية بترحيل السكان (سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٠٧ : ٦) التي نقلت خلالها قبائل اسرائيل العشرة المفقودة «والتي ظهرت حول مصيرها قصص خيالية عقيمة وذلك الى مقاطعة كوزانو Guzanu (كوزان) ومنطقة اخرى جنوب شرقي بحيرة اورميا .
وادعى سرجون خليفة شليمنصر بأنه قام بالاستيلاء الفعلي على السامرة الذي ينسب في العهد القديم الى شيلمنصر . ومن المحتمل ان سرجون كان القائد الذي وجه العملية نيابة عن شيلمنصر .
وفي بداية حكم سرجون (٧٢١ ــ ٧٠٥ ق م) حدثت اضطرابات جديدة في بلاد بابل . فقد عمل مردوخ ــ أبلا ــ ادينا ، شيخ قبيلة بيت ــ ياكيني ، وهو دبلوماسي قدير كما يشير الى ذلك سفر الملوك الثاني ، الاصحاح العشرون فقرة ١٢ وما بعدها (الخاص بفترة لاحقة) على تقوية مركزه وجعله قويا جدا . فنصب نفسه شيخا اعلى للكلدانيين وضمن تأييد القبائل الارامية في بلاد بابل ونظم حلفا مع عيلام ، المنافسة القديمة لبلاد بابل في جنوبي ايران ، وبعد اعتلاء سرجون العرش مباشرة ، دخل مردوخ ــ ابلا ــ ادينا بابل وادعى ملوكية البلاد وذلك بأخذ يدي بعل ، في عيد رأس السنة الجديدة عام ٧٢١ ق م . ويبدو ان الجيش الاشوري قد حاول ان يعيد المناورة شرقي نهر دجلة التي امكن بواسطتها هزم اوكن ــ زير ولكن جابهه هذه المرة الجيش العيلامي في الدير . وتلى ذلك اشتباك لم يتمكن بسببه الجيش الاشوري من ان يغير الى مركز بلاد بابل على الرغم من عدم اندحاره ، وكان عليه ان يعود الى بلاد اشور . واضطر سرجون بالنظر لانشغاله في مناطق اخرى ان يترك مردوخ ــ ابلا ــ ادينا كملك لمدة عشر سنوات دون اي تفكير . وفي هذا الوقت قاسى اقتصاد المدن البابلية الكبيرة اضرارا بالغة وتدخلت الاقوام القبلية

بالتجارة ومارست ابتزاز الاموال من المدن بمختلف الاشكال وكانت سيطرة الكلدانيين غير شعبية في المدن البابلية الكبيرة التي ظلت حتى السنوات الأخيرة من نهاية الحكم الاشوري نفسه تستنجد دائما بالملك الأشوري لتقديم المساعدة ضد اعمال التخريب التي تمارسها القبائل الكلدانية .

وكان السبب المباشر الذي اضطر سرجون ان يترك مشاكل بلاد بابل دون حل هو الثورة التي اندلعت في سوريا . وكان ذلك ملائما جدا لمردوخ ــ ابلا ــ ادينا ، غير انه لا يمكن في الوقت الحاضر اثبات انه كان وراء ذلك . كما كان في مسألة مشابهة ورد ذكرها في سفر الملوك الثاني (الاصحاح ٢٠ : ١٢ : ١٧) . وقد تزعمت الثورة - حماه وهي الامار المستقلة الوحيدة التي ظلت في سوريا . وواجه سرجون المتمردين وهزمهم في قرقر وذلك عام ٧٢١ ق م . وكنتيجة لذلك جعل حماة مقاطعة اشورية . وفي دولة تابعة صغيرة تقع الى الجنوب ، اشار النبي ورجل السياسة اشعيا الى الدرس الذي يمكن ان يؤخذ من هذه الاحداث معتبرا اشور الأداة السابقة للاله :

ويل لاشور ــ قضيب غضبي . وبالعصا في يدهم هي
سخطي . على امة منافقة ارسله وعلى شعب سخطي اوصيه
ليغتنم غنيمة وينهب نهبا ويجعلهم مدوسين كطين الازقة
(اشعيا ــ الاصحاح العاشر : ٥ ــ ٦)

وتورطت غزة ايضا باسناد جبان من الجنرال المصري الذي سمي في العهد القديم باسم «سو» So (سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٧ : ٤) ، ولكن عند الاشتباك في رفح Raphih هرب الجنرال المصري (استنادا الى الاخبار الاشورية) بشكل مخز تاركا ملك غزة لاسر محتوم وربما للتعذيب والموت . ولعل وجود هذه السابقة في الذهن جعل الرابشاقة يعلق سافرا على قيمة التحالف المصري :

فالآن هوذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة على
مصر التي اذا توكأ احد عليها دخلت في كفه وثقبتها . هكذا
هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلين عليه .
(سفر الملوك الثاني الأصحاح الثامن عشر : ٢١)

ولم يكن لسرجون اضطرابات اخرى في فلسطين باستثناء محاولة فاشلة من مدينة اشدد Ashdod على الساحل الجنوبي من فلسطين لتنظيم حلف مضاد للاشوريين باسناد مصري غامض وذلك عام ٧١٢ ق م . وبالاتفاق مع يهوذا وادوم Edom وموآب . ويشير سفر اشعيا (اصحاح ٢٠ : ١ ــ ٦) الى

استيلاء الحاكم الاشوري على مدينة اشدد ويذكّر سكان القدس بعبث توقع دعم مصر العسكري ضد اشور .

وكما كانت الحال مع تجلاتيليزر فقد كانت مشكلة سرجون الرئيسة هي الضغط من الشمال . فاورارتو ، التي بدأ تاريخها وحضارتها يعرف بالتدريج نتيجة التنقيبات التركية والروسية التي اثبتت انها كانت من احدى القوى الكبرى في الشرق القديم ، كانت نفسها واقعة تحت ضغط قوي من القبائل الايرانية المهاجرة التي كانت تتحرك نحو الجنوب والغرب من سهول روسيا . وكانت جماعة من هؤلاء المهاجرين قد استقرت في عهد سرجون وشكلت مملكة ذات اهمية تعرف باسم زيكرتو Zikirtu شرقي بحيرة اورميا . وكان الميديون ، الذين كانوا حتى ذلك الوقت غير منظمين وعلى النظام القبلي ، تحت سلطة عدد من الشيوخ شبه المستقلين يؤلفون الجزء الرئيس منهم . وقد حاول روساس الاول Rusas I (٧٣٣ ـ ٧١٤ ق م) الابن النشط وخليفة ساردر الذي دحره تجلاتبيلزر الثالث ، ان يحقق بعض النجاح في الاتفاق مع ثلاثة من الشيوخ الميديين ويضمن اسنادهم العسكري له ضد آشور ، كما يجب ان يفترض ، تعاونهم في المحافظة على بقاء الطرق التجارية من اقصى الشرق مفتوحة (مقابل الاعانات المعتادة في مثل هذه الحالات) التي كانت اساسية لرفاهية اورارتو . وفي حدود هذا الوقت كان الطريق الرئيس من ايران يأتي من الضفة الغربية لبحيرة اورميا شرقي بحيرة وان الى ارضروم (حيث عثر على ادوات برونزية اورارتية من القرن الثامن) والى تربيزوند Trebizond على البحر الاسود ، والتي كانت حسب الاخبار المتوارثة ، قد اسست عام ٧٥٧ ق م ومن المؤكد ان اورارتو كانت تستفيد من التجارة مع ايران وربما مع الهند . ويستدل على ذلك من رأي المتخصصين بالتكنولوجيا ومن المواد التي ذكرت عندما نهب الاشوريون بعض المدن الاورارتية عام ٧١٤ ق م . ويحتمل ان اورارتو كان لها علاقات تجارية مع اراضي ما وراء اليونان من خلال الوسطاء ، طالما ادعى بأن هناك برونزيات اورارتية عثر عليها في القبور الاتروسكية Etruxan ، ويذهب احد العلماء ابعد من ذلك ويقترح معتمدا على الطراز الفنية بأن قوافل محملة بالحرير كانت تصل اورارتو سالكة الطريق الطويل من الصين ولعل بعض التجارة التي سلكت الطريق الشمالي عبر ارضروم وتربيزوند كانت تمر في الفترات السابقة عبر بلاد اشور الى موانىء البحر المتوسط ، ولعل الرغبة في قطع الطرق التجارية الاورارتية وتحويل هذه التجارة ، وما رافق ذلك من رخاء اقتصادي الى الطرق القديمة هو سبب من

الاسباب التي دفعت سرجون للقيام بحملاته التالية الى المنطقة .
والى الجنوب من بحيرة اورميا ، بين بلاد اشور ومقاطعات ميديا العظيمة ، تقع اراضي المانيين Mannaeans (المني في العهد القديم سفر ارميا ، الاصحاح : ٥١ : ٢٧) ، وهم من التابعين الى الاشوريين وبعد اعتلاء سرجون العرش بفترة قصيرة حدثت اضطرابات في القسم الشرقي من هذه المنطقة اثيرت من قبل ملك زيكرتو Zikirtu الذي كان وراءه ايضا ظل روساس وقد تمكن سرجون من قمع العصاة ولكن الاضطرابات تكررت بعد سنتين عندما قام روساس باعمال عسكرية علنية ، وكان رد فعل سرجون ثانية حازما ، وبعد ان تخلص من العصاة عين اولوسونو Ullusunu ملكا على المانيين . وبعد سنتين هوجم اولوسونو ، بسبب مؤامرة داخلية وعمليات عسكرية خارجية من قبل اورارتو ومرة اخرى كان سرجون في مستوى المسؤولية فقدم الى اولوسونو كل المساعدات الممكنة وقام بحملة تأديبية على الحدود الجنوبية لاورارتو . بالاضافة الى هذه التدخلات المتكررة من جانب اورارتو في شؤون التابعين الاشوريين من الموالين لها حدثت مناوشات صغيرة على شكل مصادمات حدود ، وللقضاء على المشكلة فقد وضعت الخطط للقيام بهجوم واسع على اورارتو . وبدأت تقارير الاستخبارات تنهال على الملك الاشوري من الموظفين الاشوريين والجواسيس الاجانب . وقد اقترح احد الكتاب ان يقوم الملك بهجوم مباشر على اورارتو وبدا انه واثق من ان العاصمة توروشبا Turushpa ستقع بيد الاشوريين . وذكرت رسالة اخرى عن عصيان داخل اورارتو وتفصح الرأي بأن القبائل المعنية ستقف الى جانب الاشوريين في حالة الهجوم . وكان الهجوم متوقعا لا محالة ، حيث يقول احد الرواة غير الموالين من اورارتو ، «عندما تأتي قوات الملك الاشوري للمرة الثالثة» .
وقامت قوات سرجون بالتظاهرة الرئيسة المرسومة ضد اورارتو صيف عام ٧١٤ ق م وان خطة الحملة والحوادث معروفة لدينا بشيء من التفصيل من تقرير مشهور حول الموضوع كتب على شكل رسالة الى الاله اشور (انظر ادناه صفحة ٣٩٩) فقد اخذ سرجون جيوشه الى مقاطعة زاموا Zamua (انظر اعلاه صفحة ١٠٩ و١١٩) ومن هناك ،حف سرجون شمالا الى منطقة تابعة الى الوسونو الماني ، التابع الموالي للاشوريين ، واعتزم ان يستخدمها قاعدة ضد زكرتوZikirtuواورارتو . ثم قاد سرجون قواته شرقا الى حدود زكرتو حيث فتح ودمر المدن الرئيسة المحصنة . وقد فعل ذلك دون مقاومة حيث ذهب ميتاتي Mettati حاكم زكرتو ليلحق بالجيش الاورارتي ويدافع عن

الممرات . واتجه سرجون بعد ذلك غربا ثانية وعلم ان الجيش الاورارتي الرئيس كان يدافع مع حلفائه عن ممر منخفض في الجبال . ويبدو ان قوات سرجون كانت في هذه المرحلة ، كما كانت الحال في عهد الاسكندر الكبير في الهند ، متعبة من مشاق الحملة في بلاد قاسية وكانت قد اوشكت على التمرد والعصيان . ونظرا لعدم تمكنه من الاعتماد على انضباط جيشه الرئيس ، فقد قاد سرجون هجوما مع حرسه الخاص وقواته الخاصة على احد اجنحة القوة المعادية وشتتها . وبهذا العمل المشجع هجم الجيش الاشوري على الحلف الاورارتي وشتت خطوطهم ونشر الرعب بينهم . وقاد الجنرال الاورارتي قواته مسرعا ولكن بانتظام متراجعا غير ان بقية الفرق كانت حينئذ بدون قائد ومرتعبة كالغوغاء فانهزمت بدون نظام الى الجبال حيث لقي الكثير منهم حتفهم بسبب ظروف المناخ القاسية وكان اندحار وهزيمة الجيش الاورارتي الرئيس صدمة كبيرة لمعنويات الاورارتيين فتمكن سرجون من ان يتغلغل في عمق الحدود الاورارتية مع مقاومة لا تكاد تذكر . وترك روساس عاصمته تروشبا Turushpa (التي لم يخاطر سرجون بمهاجمتها كما يبدو) واخذ طريقه الى الجبال حيث مات اخيرا من الحزن استنادا الى ما جاء في اخبار سرجون .

ولازم الفراش كامرأة في المخاض ، ورفض ان يمس فمه طعام او شراب وجلب على نفسه مرضا لا علاج له .

وبعد ان انهارت ، كما يبدو ، الادارة المركزية في اورارتو ، كان بامكان سرجون ان يزحف شمال بحيرة وان سالبا وناهبا في طريقه دون اي مقاومة . وفي العودة من الشمال نحو بلاد اشور ، لم يقدم اورزانو Urzanu ، وهو حاكم موساسير Musasir احدى دويلات المدن الاورارتية المنعزلة ، اعترافه الرسمي بسيادة سرجون . وعلى الرغم من موقع المدينة البعيد وصعوبة التقدم اليها من خلال الغابات والجبال ، فقد وجد سرجون من الضروري ان يجعل من مدينة موساسير مثلا رغم القدسية التي كانت تتمتع بها هذه المدينة . فسمح لقواته الرئيسة ان تستمر في طريقها الى بلاد اشور وقاد سرجون فرقة قوامها الفا من المشاة ضد المدينة واصدر امرا عاما الى موظفيه في المنطقة الشمالية لمنع هروب امير موساسير ويظهر سبب هذه التعليمات وضرورة انجاز هذه الخطوة ضد موساسير واضحا من الحوادث التالية . فقد كانت المدينة مركزا مهما لعبادة الاله خالدي Haldi اله اورارتو القومي . وعندما وصل سرجون ، وجد احتفالا للتتويج حيث كان خالدي يقوم بتنصيب خليفة لمملكة اورارتو الشاغرة (ولعله امير موساسير) وقد اخذ سرجون الاله نفسه وزوجته اسرى ورحّل

المواطنين واخذ كنوزا كثيرة من الاحجار الكريمة والمعادن والاواني البرونزية الى بلاد اشور .

ومع ان العاصمة الاورارتية لم تفتح ورغم قيام روساس ، استنادا الى احد النصوص الاورارتية الذي يعطي الجانب الثاني من الصورة ، بهجوم مضاد ناجح لاستعادة موساسير (وذلك قبل استسلامه للمرض العضال الذي نسبه اليه سرجون) فقد كانت حملة سرجون فعالة حيث لم يحدث اضطرابات اخرى مثارة من قبل اورارتو خلال السنوات العشرين التالية او يزيد باستثناء مؤامرة في اقليم تابال Tabal (في سفر حزقيال تبل Tubal الاصحاح ٣٨ : ٢ ، ٣ .... الخ) .

وكان سرجون آنئذ حرا ليتصرف مع بلاد بابل . فقد جعل الحكم القبلي واضطراب التجارة لمدة عشر سنوات على جعل سكان المدن الكبيرة مستعدين للتدخل الاشوري . على حين كانت الشؤون الداخلية في عيلام قد شلت قوة الملك العيلامي عن القيام بأي رد فعل . واتبع سرجون الاستراتيجية المضادة بمهاجمة شرقي دجلة . فاضطر ذلك الجيش الكلداني الى الانسحاب الى الجنوب حيث استغلت المدن البابلية الفرصة وفتحت ابوابها للترحيب بسرجون . واخذ سرجون يدي الاله في عيد رأس السنة الجديدة في بابل غير انه تبنى اللقب القديم «نائب الاله» ، وليس «ملك» بلاد بابل . فاكتسحت منطقة مردوخ ـــ ابلا ـــ ادينا وفتحت حصنه الرئيسة اما هو نفسه فاعيد تنصيبه رئيسا لقبيلة بيت ـــ ياكيني بعد ان قدم الخضوع لسرجون .

وفي هذه الاثناء اشارت تقارير الاستخبارات التي وصلت سرجون ان اركيستيس Argistis خليفة روساس كان يخطط هجوما على بلاد اشور على الرغم من ان الجيش الذي كان يعده قد يكون لغرض اخر . وعلى كل حال فان الحوادث اضطرته لاستخدامه لغرض اخر . ففي عام ٧٠٧ ق م دخل اورارتو من الشمال حشد كبير من القبائل البربرية تدعى كيمرايا Gimmirraya (في العهد القديم سفر حزقيال الاصحاح ٣٨ : ٦ ... الخ كومر Gomer وفي المصادر الكلاسيكية الكمّرين) ودحرت اركيستيس في محاولة لوقفهم وعبرت غربا الى كيليكيا وعندئذ دخلت حدودا تسيطر عليها بلاد اشور . ومن المناسب ان نلخص هنا بايجاز مجرى الحوادث في هذه المنطقة خلال عهد سرجون .

ففي السنوات الاولى من حكم سرجون بدأت مصالح مشكو Mushku (في العهد القديم ميشيخ Meshech وفي المصادر الكلاسيكية Phrygia) وهي دولة قوية في جنوب شرقي اسيا الصغرى تصطدم مع مصالح بلاد اشور . وفي عام

٧١٨ ق م يبدو ان مشكو كانت وراء تمرد كركميش (وكان من نتائج ذلك ان جعلت الأخيرة مقاطعة اشورية) . وفي عام ٧١٦ ق م قام سرجون بعمليات عسكرية ضد مشكو بدعوى تجاوزها على حدود مقاطعة قو Qu وبعد نجاح سرجون ضد اورارتو وخذلانها في الشرق اتجهت اورارتو لتشكيل شبكة من الاحلاف في الغرب ونجحت بخلق اهداف مشتركة مع مشكو وافساد تحالف التابع الرئيس لسرجون من بين امراء تابال Tabal وقد تمكن سرجون من هذا التمرد غير ان استعداد مشكو لتقديم التأييد المعنوي على الاقل الى تابعي اشور من غير الموالين مضافا اليه ضغط اورارتو قد اثبت بأنه مازال يؤلف قوة مقلقة بالنسبة لبعض الذين يدينون بالتبعية لاشور . وفي عام ٧١٢ ق م كان هناك تمرد اخر ، فوضعت المناطق المعارضة تحت الادارة الاشورية المباشرة وحصنت تابال لتكون سكينا طويلة تفصل بين مشكو واورارتو . وفي عام ٧٠٩ ق م هوجمت مشكو من قبل قو Qu ولعل ذلك بسبب السياسة الواقعية او لان اشور قد اظهرت ان جميع الطرق التجارية من سوريا الى آسيا الصغرى كانت بيدها ، او لعل ذلك بسبب تذمر الاولى من غزو الكمريين Gimmerian فتغيرت سياسة مشكو الخارجية فجأة الى جانب بلاد اشور وارسل ملكها ميتا Mita (ميداس في كتابات الكلاسيكيين) هدية وطلب عقد معاهدة صداقة مع اشور . وسر سرجون لذلك وهناك رسالة مرسلة منه الى مبعوثه المسؤول عن المحادثات ، وكان على الاغلب ابنه سنحاريب ، يطلب فيها منه ان يخبر ميتا بسروره لذلك .

وهكذا كان الوضع عندما ظهرت حشود الكمريين في الشمال الغربي بعد محاولات اركيستيس الفاشلة لايقافها . وتشير الرسائل الأثارية ان كالح (التي كانت ما تزال مركزا اداريا مهما رغم ان سرجون كان قد انشأ في العهد الاخير من حكمه عاصمة جديدة الى الشمال من ذلك في دور ــ شروكين) قد شهدت تدميرا قويا خلال العقد الاخير من القرن الثامن قبل الميلاد . ويمكن ان يعتبر ذلك دليلا على هجوم الكمريين المفاجيء على واحدة او اكثر من المدن الاشورية الكبرى على الرغم من عدم وجود اي شيء اخر يؤيد هذه النظرية . وزحف سرجون الى تابال عام ٧٠٦ ق م . والتقى بالحشود الكمرية في المعركة وقد اخذت بعض الدلائل الغامضة في احدى الرسائل على انها تشير الى ان سرجون كان قد وقع في المعركة ، غير ان هذا الاستنتاج قابل للمناقشة ومهما كانت اسباب وفاة سرجون فانه ولا شك توفي في عام ٧٠٥ ق م . وتحركت في نفس الوقت الحشود البربرية بعيدا الى داخل اسيا الصغرى .

وكان لخليفة سرجون ابنه سنحاريب (٧٠٤ ــ ٦٨١ ق م) ممارسة سابقة

كاداري وجندي على الحدود الشمالية ، وهناك عدد من التقارير المرسلة منه الى ابيه تشرح بالتفصيل التطورات في تلك المنطقة . لذا فان حقيقة عدم قيام سنحاريب باتخاذ اجراءات اخرى على الحدود الشمالية بعد توليه العرش يمكن تفسيرها بأنها لا تدل على فشل الابن في تفهم المشكلة بل انها نتيجة لنجاح الاب في معالجتها .

واستفاد سنحاريب من الوضع الجيد الذي خلفه له سرجون فكان عمله الاول ، وهو اكثر انجازاته الخالدة ، اعادته بناء المدينة القديمة نينوى واتخاذها عاصمة له والتي ظلت كذلك حتى سقوط الدولة الاشورية . واتخذت دور شروكين (خرصباد الحالية) التي كان سرجون قد خططها وبناها عاصمة له وانتقل اليها في السنوات الاخيرة من حكمه كحصن فقط بعد وفاته .

واضطرب سلام الامبراطورية بعد سنتين وذلك نتيجة حدوث عصيان في بلاد بابل . ولاسباب غير معروفة تماما فان سنحاريب لم يأخذ يدي بعل في بابل للدلالة على توليه الملوكية او كنائب للاله واعتبر مردوخ ـــ ابلا ـــ ادينا الذي ظل مخلصا لسيده سرجون بعد ان اعيد تنصيبه عام ٧١٠ ق م ان الفرصة مؤاتية لمحاولة ثانية لاخذ ملوكية بلاد بابل . وكانت وراءه القبائل الكلدانية والارامية كما اعطى الضمانات ثانية على تأييد عيلام له . وكان متحمسا لاقامة حلف واسع ضد اشور ولابد من وضع تاريخ ارسال مبعوثي مردوخ ـــ ابلا ـــ ادينا الى حزقيا (اشعيا ، الاصحاح ٣٩) في السنوات التي سبقت ثورة عام ٧٠٣ ق م .

وفي عيد رأس السنة الجديدة لعام ٧٠٣ ق م عين احد البابليين المحليين ، وربما نصب كالعوبة اشورية ، ملكا على بابل . وقد تحرك مردوخ ابلا ـــ ادينا فورا بقواته الى العاصمة وخلع الملك الرسمي واستمر في اعداد منطقة المدن الشمالية ضد الهجوم الاشوري الذي لابد سيتبع ذلك . وكانت قوات مردوخ ـــ ابلا ـــ ادينا العسكرية الرئيسة قوات عيلامية انتخب منها مجموعة وضعها في كوثا كخط امامي لايقاف تقدم سنحاريب . اما القسم الرئيس فقد عسكر في كيش . وقد تفوق سنحاريب على العيلاميين وذلك بارسال مجموعة امامية لتقطع كيش عن كوثا في حين اخذ جيشه الرئيس كوثا عنوة ثم التقى الجيش الاشوري الرئيس وقضى على القوات المتحالفة في كيش واصبحت مدن شمال بلاد بابل في ايدي الاشوريين ثانية . وقد استقبلت بابل سنحاريب ، كما استقبلت والده من قبل ، بحفاوة وكانت علاقات الصداقة متبادلة حيث اقتصر السلب على قصر مردوخ ـــ ابلا ـــ ادينا .

ثم تقدم الجيش الاشوري لاخضاع وازالة تحصينات جميع منطقة الكلدانيين التي كانت انذاك تؤلف جميع جنوب بلاد بابل وتركت المنطقة الكلدانية تحت

ادارة موظفين اشوريين في حين وضعت منطقة شمال بلاد بابل تحت حكم ملك بابل المحلي ، هو بيل ابني Bel ibni ، احد الامراء الاجانب الكثيرين الذين عاشوا في البلاط الاشوري رهائن وكان قد ثقف واعد لهذا الغرض .

وفي عام ٧٠١ ق م حدث تمرد في فلسطين وربما كان مردوخ ـ ابلا ـ ادينا ينوي ان يتفق ذلك وعصيانه في بابل . وقد تورط في هذا التمرد حزقيا ملك يهوذا (سفر الملوك الثاني ١٨ : ١٣ وما بعده) على الرغم من نصيحة اكبر مستشاريه النبي اشعيا . وكان حزقيا في هذا الوقت اقوى الملوك الثانويين في فلسطين وكان قد بسط نفوذه على بعض المدن الفلسطينية استنادا الى ما جاء في سفر الملوك الثاني الإصحاح ١٨ : ٨ كما كان يسعى للتحاف مع مصر (سفر اشعيا الاصحاح ٣٠ : ١ ـ ٥) وازيح الحكام الموالون في المدن الفلسطينية وكان من بينهم بادي حاكم اكرون Ekron الذي سجن في القدس ، فاجتاحت قوة اشورية قوية فلسطين ودحرت القوات المصرية في التيغة Eltekeh واستولت على المدن المتمردة (باستثناء مدينة القدس) وكافأت التابعين الموالين في المدن الفلسطينية باقطاعهم مناطق كانت تابعة ليهوذا سابقا . ولعله بسبب بعض التطورات في بلاد بابل التي جعلت من الضروري عودة القوات الاشورية الى الوطن ، ان سنحاريب لم يلح في حصار القدس وسلمت مدينة حزقيا بعد ان اعلن خضوعه ودفع تعويضا باهضا .

اما في بلاد بابل ، فما لبث ان انسحب الجيش الاشوري الرئيس حتى عاد مردوخ ـ ابلا ـ ادينا الى قبيلته وبدأ تآمره بالاشتراك مع عيلام والقبائل الكلدانية والارامية . ونظرا لعدم وجود قوات عسكرية كافية تحت سيطرة بيل ـ ابني ، فلم يكن بمقدوره ان يحافظ على حكم البلاد بصورة فعالة وفي عام ٧٠٠ ق م كان لزاما على الجيش الاشوري ان يقوم بغزوة الى منطقة الكلدانيين وبحملة تأديبية على الحدود العيلامية . وقد ازيح بيل ـ ابني وعين اشور ـ نادن ـ شم Ashur-Nadin-Shum الابن الاصغر لسنحاريب بدلا منه .

حكم اشور ـ نادن ـ شم في بلاد بابل لمدة ست سنوات مات مردوخ ـ ابلا ـ ادينا بعد اعتلائه العرش بفترة قصيرة ، غير ان عيلام ظلت تهديدا مستمرا لهدوء بلاد البحر . وقامت باحتضان الفروع غير الموالية من قبيلة بيت ـ ياكيني . وللقضاء على هذا الخطر المزعج ، قررت السلطات الاشورية اخيرا ان تقوم بهجوم بحري مباشر على المنطقة العيلامية المعنية . وحيث ان سنحاريب كان قد اسكن اصحاب الحرف السوريين في نينوى ، فقد

امرهم ببناء اسطول من السفن ابحرت جنوبا في دجلة باشراف ملاحين من صيدا وقبرص ، ثم تحولت بواسطة قنال الى نهر الفرات وجيء بها على طول نهر الفرات الى رأس الخليج العربي . ونقلت بواسطتها القوات واخذت الى الساحل العيلامي وامكن ضمان رأس جسر على الرغم من كثافة الكلدانيين والعيلاميين المنتظرين . ومن هناك قامت القوات بهجومها ودمرت ونهبت المدن العيلامية في الاطراف واسرت ما تبقى من قبيلة بيت ــ ياكيني المشاكسة .

غير ان ادعاء سنحاريب في حولياته بأنه «قد صب الرعب على بلاد عيلام الواسعة» في غزوته لا تؤيده الاحداث حيث كان رد فعل عيلام قويا . فبينما كانت قوات سنحاريب في الجنوب ، قامت عيلام بهجوم على وسط بلاد بابل عبر دجلة حيث اسر الملك البابلي اشور ــ نادن ــ شم في مدينة سبار ونصب بدلا عنه احد البابليين المدعو نركال ــ اوشيزب Nergal-Ushezib على بلاد بابل . وفي منتصف عام ٦٩٣ ق م عادت القوات الاشورية بحذر من الجنوب واصطدمت بنركال ــ اوشيزب في مدينة تيبور ودحرته . غير انه ليس هناك ذكر في الحوليات لاية محاولة ضد مدينة بابل حيث قام مشيزوب ــ مردوخ Mushezib-Marduk من رؤساء الكلدانيين الاخرين بتنصيب نفسه ملكا على بلاد بابل بمساعدة الاراميين . وكانت القوات الاشورية دون شك بحاجة الى العودة الى القاعدة لاعادة التجهيز وذلك بعد اكثر من فصلين من السنة عسكرت فيهما في «بلاد البحر» ، ولم يشن أي هجوم مباشر على مدينة بابل . وبدلا من ذلك واعترافا بأن عيلام كانت تؤلف العامل الفعال في السياسة البابلية ، فقد اتخذ سنحاريب الخطوات اللازمة لتحديد هذا الخطر . وفي عام ٦٩٢ ق م قام هجوم اشوري ضد عيلام من منطقة الدير ، التي الحق بها حينئذ بعض الحدود العيلامية المفتوحة . وقد حالت الظروف المناخية دون محاولة التغلغل الى بلاد عيلام نفسها . وفي بابل اعلن مشيزب ــ مردوخ مقاومته ورفض الاعتراف بسلطة الحاكم الاشوري واثار تمردا تمكنت السلطات الاشورية المحلية من القضاء عليه . وهرب الى عيلام ثم عاد بجيش واعلن نفسه ملكا على بابل واتبع سياسة مردوخ ــ ابلا ــ ادينا ، فارسل رشوة كبيرة الى عيلام من كنوز المعابد طالبا المساعدة العسكرية . وكانت المساعدات آتية . فقد حشد الملك العيلامي جيشا كبيرا في بلاده ومن التابعين غير الموالين الذين كانوا موالين لاشور سابقا . واجتمعت القوات مع الجيش الكلداني . وزحفت نحو الشمال الى مقاطعة ارابخا حيث التقت بالجيش الاشوري في خالولي Halule على نهر ديالى . وتزودنا حوليات سنحاريب بصورة مجسمة للمذبحة التي تلت ذلك .

فكانت الخيل الاشورية تخوض بالدماء وتكدست في السهل اشلاء الجثث المذبوحة التي قطعت الى قطع رغبة في الحصول على المحابس والأساور او لمجرد التعطش لسفك الدماء . والخيل الخائفة تسحل عربات الموتى ، بهذا الاسلوب تصف الحوليات المذبحة .

ومع ان الجيش الاشوري قد ادعى الانتصار ، فقد تكبد خسائر كبيرة الى درجة لم يتمكن معها الاستفادة من ذلك الانتصار خلال السنة التالية . وفي عام ٦٨٩ ق م حدثت تغيرات داخلية في عيلام شغلت العائلة المالكة تماما . فكان بامكان الاشوريين بعد ان عوضوا خسائرهم في معركة خالولي ان يتوجهوا الى مشيزب ـ مردوخ . فانسحبت القوات الكلدانية الى بابل حيث قاومت الحصار لمدة تسعة اشهر واخيرا استسلمت للمجاعة والوباء . ودخل الجيش الاشوري المدينة وخلافا للسياسة القديمة ، نهبت وسلبت المدينة واخذ الاله مردوخ ، أي تمثاله ، اسيرا الى اشورواعلن سنحاريب نفسه ملكا على بلاد سومر واكد (اي على جنوب وشمال بلاد بابل) . ولم تحدث اضطرابات اخرى في بلاد بابل لمدة ثمانية سنوات .

ولم يكن لسنحاريب مشاكل مع اورارتو على طول الحدود الشمالية نتيجة لنشاطات والده ولممارسته الشخصية الفعلية في المنطقة وللضربة التي تلقتها اورارتو من الكمريين . وربماكانت الاضطرابات التي حدثت في اقليم قو Qu في الشمال الغربي عام ٦٩٦ ق م نتيجة وجود بعض الجيوب الكمرية الباقية بعد ان دحر سرجون حشودهم الرئيسة . اما بالنسبة للحدود الشرقية فقد قام سنحاريب بعد ان جهز حملة ضد مردوخ ـ ابلا ـ ادينا عام ٧٠٣ ق م ، بالحاق عدد من المناطق التي كانت مستقلة او انها كانت تدين بالتبعية بالبلاد وقام بتحصين بعض المدن في المنطقة ضد الهجوم العيلامي .

وقد اشتهر سنحاريب في الشؤون الداخلية بنشاطاته العمرانية واهتمامه ببعض المشاكل الفنية . فهو الذي اعاد بناء نينوى وفتح فيها شوارع جديدة ووسع الساحات وحول مجاري المياه وشيد سدادا حجرية ضخمة لحماية قصره من الفيضان . واقام حول القصر حديقة واسعة شبيهة «بجبل الامانوس» حيث زرع فيها جميع انواع النباتات واشجار الفواكه كالتي تنمو في الجبال وفي بلاد الكلدانيين . وخلف هذه الحدائق النباتية تقع البساتين . ولارواء هذه الارض الخضراء حفر قنالا طوله ستة اميال ثم وسع سنحاريب بعد ذلك حدائق النباتات وضم اليها جميع نباتات بلاد سوريا ونباتات المر التي كانت اضخم مما في بيئتها المحلية وجميع انواع الكروم الجبلية ، ثم وسع مشروع تجهيز المياه فاقام

مستنقعا اصطناعيا واسعا بواسطة السداد وملأه بالطيور المائية والخنازير البرية والايل لتكون حيواناته مشابهة للحيوانات والنباتات الطبيعية في جنوب بلاد بابل . وما تزال هناك اجزاء كبيرة من بقايا احد اعمال سنحاريب الهندسية وهي قناة لحمل المياه من حوض واد . وكان طول هذه القناة اكثر من ثلاثمائة ياردة وعرضها اربع وعشرون ياردة وتحتوي على نصف مليون طن من الصخر (انظر ادناه صفحة ١٨١) حول وصف القناة بالتفصيل ويصف سنحاريب اعماله في نصوص القناة قائلا (لقد حفرت قنالا الى مروج نينوى واقمت جسرا من الصخر عبر الوادي العميق وتركت تلك المياه تعبر فوقه). وهناك مشروع اخر معروف لتجهيز مدينة اربائيلو (اربيل) بالمياه اقامه سنحاريب . ويظهر اهتمام سنحاريب بالقضايا الفنية بادعائه انه ابتدع اسلوبا فنيا جديدا لصب البرونز «انا سنحاريب ، بالذكاء الحاد الذي منحني اياه الاله ايا وبتجاربي الخاصة تمكنت من صب الاسود البرونزية الضخمة ذات الارجل المفتوحة عند الركب والتي لم يسبق لملك قبلي ان قام بها ...... وبنيت قالبا ضخما من الطين لاثني عشر اسدا ضخما مع اثني عشر ثورا ضخما فوق دعامات ضخمة . وجذوع النخيل ... وصببت البرونز فيها كما تصب قطع نصف الشاقل» والاشارة هنا الى عملية .... للاشياء الضخمة جدا . وكانت العملية نفسها مستخدمة منذ بداية الالف الثالث قبل الميلاد .

وفي عام ٦٨١ ق م لقي سنحاريب حتفه باسلوب كان شائعا بين الملوك الشرقيين ، حيث اغتيل في بابل من قبل اولاده واستنادا الى ما جاء في العهد القديم (سفر الملوك الثاني ، الاصحاح ١٩ : ٣٦ ـــ ٣٧) فقد حدث ذلك بعد عودته من حملة اخرى الى فلسطين بفترة قصيرة غير انه ليس هناك اي تثبيت لمثل هذه الحملة في المصادر الاشورية . وكان اسرحدون الوريث الشرعي الذي كان سنحاريب قد رشحه ووافقت عليه الالهة رسميا وقبله نبلاء اشور . وكان لهذا الامير خبرة طويلة عند وفاة ابيه حيث كان سنحاريب قد عهد اليه السلطة العليا في بلاد بابل بعد فتح بابل عام ٦٨٩ ق م وقد اهلته هذه الخبرة لان يكون بديلا جيدا ولم يتأخر اسرحدون سوى الفترة اللازمة للتأكد من تأييد الالهة له فتحرك بخفة من الاتجاه الغربي ضد قتلة ابيه دون الانتظار للمرور بالاسلوب الاعتيادي في اعداد وتجهيز جيشه لحملة طويلة ويتفق الاتجاه الذي سلكه اسرحدون مع ماجاء في العهد القديم حول الفعاليات العسكرية الاشورية في الغرب قبل وفاة سنحاريب بفترة قصيرة (ولو انه لا يثبتها) . وقد استعد الجيش الاشوري الرئيس لمقاومة اسرحدون في منطقة نصيبين ولكن عند تقدم

اسرحدون حدث شقاق بين قواته واعلن قسم منهم انضمامه لاسرحدون بعد ان علموا بمعجزة للالهة عشتار الى جانب هذا الامير . وقد هرب القتلة الى ارمينيا (اورارتو) وحصل اسرحدون على قبول جميع سكان اشور بعد ان ايدته جميع قوات الجيش . وبعد ان ثبت اسرحدون نفسه قام بتطهير الجيش ولقي المتورطون في التمرد نهايتهم الاعتيادية .

واعطت فترة عدم الاستقرار التي تلت اعتلاء العرش الفرصة الى رئيس قبيلة بيت ــ ياكني في بلاد بابل لان يفرض استقلاله بهجوم على الحاكم الاشوري وحاصره في المدينة التي كان يدير فيها جنوب بلاد بابل . وما ان استقرت الامور في بلاد اشور حتى اصدر اسرحدون اوامره بالهجوم على المتمردين في المقاطعات الاشورية شرقي دجلة . وهرب زعيم المتمردين الى عيلام حليفة بيت ــ ياكيني القديمة غير انه وجد بأن تغيرا في السياسة الخارجية قد رافق تغير الملك الحاكم في تلك البلاد فقتل الزعيم الهارب فورا في عيلام ، وقدم اخو الزعيم السابق الخضوع والولاء لاسرحدون فعين اميرا تابعا عل جميع بلاد البحر . وبعد سنتين ، عين امير اخر تابعا ومواليا للاشوريين بدلاً من الرئيس الكلداني المهم الاخر امير قبيلة بيت ــ دكوري التي كانت تحتل منطقة على الفرات حتى بورسيا وكانت قد تجاوزت على المناطق التابعة لسكان بورسيا وبابل .

وفي هذه الاثناء واجه اسرحدون مشاكل في الغرب والشمال الغربي . فقد كانت تجابه معظم مناطق اورارتو اقوام من اجناس جديدة . وكانت هذه الاقوام الجديدة هم السكيثيون المعروفون في المصادر المسمارية باسم اشكوزايا Ashguzaya وفي العهد القديم (سفر ارميا الاصحاح ٥١ : ٢٧) باسم اشكيناز Ashkenaz (والاخير يمثل الحروف العبرية Sknz وهو خطأ مطبعي قديم للحروف SKNZ التي يجب ان تلفظ Ashkuz) وهناك بعض الادلة تشير الى ان اسرحدون قد اقام زواجا سياسيا مع احد الامراء السكيثيين . وربما عادت بالظهور بعض الجماعات الكمرية في منطقة تابال Tabal ومقاطعة هلاكو Hillakku بتأثير ضغط هؤلاء السكيثيين . وفي عام ٦٧٩ ق م قام الحكام الاشوريون بعمليات ناجحة ضدهم غير ان ضغوطهم زادت وفي عام ٦٧٣ ق م كانوا يهددون مقاطعة شبريا Shupria وفي نهاية حكم اسرحدون فقدت مقاطعتي هيلاكو وتابال بالتأكيد .

وكانت الاضطرابات في الغرب مركزة في مدينة صيدا التي ثار ملكها بالتحالف مع ساندواري Sanduarri حاكم عدد من المدن على خليج انطاكية..

وقد اسر اسرحدون كلا الملكين وقتلهما وسلب صيدا وانشأ في مكان جديد بالقرب من الموقع حصنا اشوريا . ولكي يكون ذلك درسا ماديا لمن يتوقع تمردهم فقد افتتح الحصن رسميا بحضور اثنين وعشرين ملكا من ملوك البلدان الغربية . ولكي يضمن السلام من جهة الصحراء في المقاطعات الغربية حيث كان ملك العرب قد توفي انذاك وربما يهدف اقامة علاقات صداقة مع القبائل في صحراء سيناء على الطريق الى مصر فقد قام اسرحدون في السنة التالية بارسال قوة لتثبيت تنصيب المرشح الاشوري على العرش مقابل تقديم ضريبة كبيرة . اما في بلاد بابل ، فقد كان من نتائج معرفة اسرحدون الشخصية بالوضع وسياسة الترضية التي اتبعها ان اصبح الوضع مناسبا لاشور . وربما كان قد بوشر باعادة بناء بابل بعد ان دمرت من قبل سنحاريب وذلك منذ نهاية عهد سنحاريب وقام اسرحدون باعمال ترميم كبيرة اخرى . ويوضح احد النصوص الذي يصف الترميم كيف يمكن الالتفاف على الاوامر المقدسة فعندما دمر سنحاريب بابل كتب عليها الاله مردوخ ، وطبعا كان ذلك من خلال احد الكهنة بعد طقوس دينية معينة ، بانها ستبقى «سبعين سنة» كقياس لفترة هجر المدن ويزعم النص ان الاله ، بعد ان تغلب على غضبه، قلب الرقيم رأسا على عقب وامر بترميم المدينة في السنة الحادية عشرة . والمعنى واضح جدا بالنسبة للنظام الستيني البابلي حيث كانت العلامة I (بالمسمارية   ) تمثل الرقم واحد او ستين . لذا كان ما يقابل الرقم IX يعني (سبعون) واذا ما قلبت الكتابة واصبحت XI قرأت احد عشر .

وقد ساهمت الادارة الكفوءة في بلاد بابل في رفاهية المواطنين واعيدت املاك المبعدين بعد الاضطراب الذي حل في عهد الكلدانيين فيما اذا تمكنوا من اثبات ادعاءاتهم . وكان الموقف الاشوري في بابل مضمونا الى درجة انه كان بالامكان استخدامها قاعدة عسكرية لحملة بعيدة الى نهاية صحراء الملح في ايران عام ٦٧٦ ق م . حيث امكن جعل عدد من الملوك المحليين تابعين لاشور ولم تلق الغزوة العيلامية على مركز بلاد بابل في السنة التالية اي صدى للقيام بالتمرد وكانت اهميتها مؤقتة .

وفي الشمال الشرقي يبدو ان النفوذ الاشوري على المانيين Mannaeans جنوب بحيرة اورميا كان قد ضعف نتيجة تغلغل السكيثين والعناصر الكمرية* في

---

* : حول الاصول المسمارية والعبرية المنسوبة الى مصطلح الكمرين (كميريو) في كتابات الاغريق انظر اعلاه صفحة ١٤٤ .

المنطقة ومن المؤكد ان عددا معينا من القلاع الاشورية كانت قد فقدت . وان فقدان مصدر تجهيز الخيل من هذه المنطقة التي اعتمد عليها الجيش الاشوري بشكل كبير قد يفسر اسباب توغل الاشوريين في منطقة لم يسبق لهم التوغل فيها في ايران كما يفسر تزايد الاهتمام بميديا حيث قدم اسرحدون المساعدات لعدد من الشيوخ هناك ضد حركات التمرد . وقد تم العثور مؤخرا على كسر لاكبر رقيم طيني مكتشف حتى الان (قياسه ١٢ انج × ١٨ انج) نشر مؤخرا يذكر سلسلة من المعاهدات (الخاصة بالأمراء الميديين فقط في النص المعروف في الوقت الحاضر ولكن من المحتمل انها عقدت مع جميع امراء الامبراطورية التابعين) هو لتنظيم ولاية العهد بعد اسرحدون . ولعل ذكرى احداث اعتلاء العرش قد دفعت اسرحدون لاتخاذ هذا الاجراء .

كان لاسرحدون ستة ابناء ، توفي الابن البكر منهم في سن مبكرة ، ويبدو ان اثنين من بين الابناء الباقين كان لهما الحق بولاية العهد وهما شمش ـــ شم ـــ اوكن واشور ـــ بان ـــ ابلي (آشور بانيبال) وليس واضحا من منهما كان الاكبر كما لا يمكن الجزم بأنهما لم يكونا توامين . وفي عام ٦٧٢ ق م اعلن اسرحدون في اجتماع كبير في نينوى بعد ان كان قد حصل على موافقة الآلهة وموافقة مجلس العائلة ، عن تعيينه اشور بانيبال وليا للعهد على بلاد اشور وشمش ـــ شم ـــ اوكن وليا للعهد على بلاد بابل . وطلب الى حكام المقاطعات والحكام التابعين ان يقسموا اليمين بالاعتراف بهذا الترتيب . وصدق الاعتراف بالنسبة للتابعيين على الاقل ، بمعاهدة تذكرهم بأنه :

> « عندما يموت اسرحدون ، ملك بلاد اشور ، تجلسون اشور بانيبال ولي العهد على العرش الملكي . وسيمارس الملكية والسيادة عليكم . وستقدمون له الحماية في الريف والمدينة وتقاتلون من اجله حتى الموت .. ولا تكونوا اعداء له ولا تنصبون ايا من اخوته الاكبر او الاصغر مكانه .... واذا مات اسرحدون ، ملك بلاد اشور ، واولاده قاصرون ، فساعدوا اشور بانيبال ، ولي العهد ، على اخذ العرش وساعدوا في تنصيب اخاه المساو له شمش ـــ شم ـــ اوكن ، ولي العهد على بلاد بابل ، على عرش بابل . »

وقد اعلنت تفاصيل ولاية العهد في فترة هدوء قصيرة في الامبراطورية قبل ان

يباشر اسرحدون بسياسة جديدة ذات تطورات بعيدة المدى في سياسة الامبراطورية . ففي عام ٦٧٥ ق م دفع تارقو Tarqu من السلالة الاثيوبية الذي كان يحكم في مصر (ترهاقة ، ملك اثيوبيا في سفر الملوك الثاني الاصحاح : ١٩ : ٩) ملك صور الى مؤامرة ضد بلاد اشور وعبر اسرحدون الحدود المصرية بعد ان قرر ضرب الاضطرابات على الرغم من ان تقدمه قد اوقف بسبب العواصف الرملية . وفي عام ٦٧١ ق م بدأ الغزو المنظم لمصر وهزم جيش تارقو في المعركة وحوصرت مدينة منفيس وفتحت وهرب تارقو نفسه الى طيبة او مكان اخر الى الجنوب من ذلك . فسارع امراء مصر السفلى بما فيهم ابرزهم نيخو في سايس للاعتراف بسلطان اسرحدون . وعين الموظفون الاشوريون الممثلون لمصالح اسرحدون في مناطق حكم الحكام المحليين واعلن اسرحدون نفسه ملكا على مصر العليا والسفلى واثيوبيا ، وهو ادعاء تجاوز الحقيقة . وقد تكررت هذه الاكذوبة في منحوتة وضعت في سنجرلي اثناء عودة اسرحدون الى بلاد اشور ، وتمثل هذه المنحوتة الفاتح الاشوري ماسكا بيده حبلا اخترق شفاه شخصين راكعين احدهما يمثل ملك صور في حين يظهر الاخر بوضوح بانه زنجي ويمثل تارقو (انظر لوحة ٣٧) وفي الواقع ان تارقو كان لا يزال حرا وفي موقف مكنه من ممارسة تأثير كبير . فما ان ابتعد الجيش الاشوري الرئيس الا وعاد تارقو واقنع بعض امراء مصر السفلى لرفض السيادة الجديدة واستعاد منفس . فقام اسرحدون عام ٦٦٩ ق م بالزحف نحو مصر لمعالجة الموقف غير انه توفي في الطريق .

وعند وفاة اسرحدون ، طبقت الخطط الدقيقة التي رسمت لولاية العهد بهدوء واعتلى كل من الاخوين عرشهما . ولم تكن هناك ثمة دلائل تشير بأن نهاية حكم اشوربانيبال سيشهد دخول الامبراطورية في كارثة . حيث كانت الامبراطورية آنذاك في اوسع حدودها الجغرافية ، ومع ذلك فهناك بعض العوامل المعينة في هذه الفترة يمكن ان تفسر الانهيار الفجائي . ويأتي في المقدمة من حيث الاهمية ، الموقف على طول الحدود الشرقية . فقد انهار هنا الأمن والنظام الذي ثبته تجلاتبليزر الثالث وسرجون الثاني وحافظ عليه سنحاريب الى درجة كبيرة . وبسبب حشود الكمريين والسكيثين البربرية التي كانت تطوف في اسيا الصغرى ومناطق اورارتو ، فلابد ان التجارة مع الاقاليم الشمالية قد وصلت الى حد التوقف ، وانقطع احد مصادر الحديد الرئيسة . كما ان القبائل الميدية القوية عدديا التي وصفت بصورة عامة في حوليات تجلاتبليزر الثالث وسرجون الثاني بـ : « الميديين الاقوياء » او « الميديين المنتشرين » اعترافا بانتشارهم

في مناطق جغرافية واسعة . كانت قد استقرت آنئذ واتحدت في وحدات قوية الى ان اصبحت في النهاية مملكة قادرة على مواجهة قوة الاشوريين العسكرية مواجهة الند للند . وان اتحادها لابد وان انتزع من آشور احد المصادر المهمة الاخرى للمعادن والخيل وقطع الطرق التجارية التي كانت تجلب التوابل والاحجار الكريمة من الهند . اما بلاد بابل فمع انها كانت قد هدأت آنذاك تحت ادارة اعتمدت نظام دويلات المدن القديم في الشمال ، فقد حوت على عناصر جديدة قوية هي القبائل الكلدانية . وقد سيطرت هذه القبائل سواء بصورة مستقلة او تحت النفوذ الاشوري ، على معظم جنوبي بلاد بابل اضافة الى اجزاء مهمة في الشمال وكانت قد تعلمت خلال احداث التمردات المتكررة منذ عهد اوكن ــ زير معظم فنون الحرب من الاشوريين وفنون السلم من البابليين المحليين .

وكان على اشوربانيبال في بداية حكمه ان ينفذ الترتيبات التي وضعت للهجوم المخطط على تارقو غير انه كان من نتيجة انشغال اشوربانيبال بامور اخرى ، كاقرار المعاهدة التي خضع بموجبها ملك صور له وتنصيب شمش ــ شم ــ اوكن ملكا على بلاد بابل وكذلك قيامه بحملة سريعة على منطقة الكاشيين ، ان بقي تارقو يحكم في مصر لمدة ثلاث سنوات بأمان . وفي عام ٦٦٧ ق م ، زحف جيش اشوري قوي يشمل فرقا من سوريا وفنيقيا وفلسطين وقبرص الى مصر . وهزم تارقو وانسحب الى طيبة ووقعت منفس ثانية بأيدي الاشوريين . وحدثت محاولة تمرد موالية لتارقو من قبل الأمراء المحليين بقيادة نيخو غير ان القوات الاشورية اوقفت قادة التمرد وقضت على المؤامرة . ونظرا لضرورة الاعتماد علي بعض الأمراء المحليين المقبولين لادارة قطر كمصر بنظام بيروقراطي مهيب وقدير ، فقد استغل الامراء المأسورون بحكمة فبعد ان اخذوا الى نينوى وحمّلوا بالهدايا والاحسان ، ولابد انهم ربطوا بعلاقات تحالف ايضا ، اعيدوا الى مناصبهم .

وقامت السلالة الجنوبية بمحاولة اخرى لاستعادة مصر السفلى وذلك عند وفاة تارقو عام ٦٦٤ ق م . فقد زحف ابن اخيه تانواتاموم **Tanuatamum** باتجاه النيل حتى منفيس حيث صد هجوم امراء الدلتا الموالين لاشورالذين جاءوا لمقاومته . وكانت استجابة اشوربانيبال لذلك فورية ، فدخل الجيش الاشوري مصر ثانية وذلك عام ٦٦٣ ق م وقدم امراء الدلتا الموالون الخضوع على حين سارع تانواتاموم ، كما فعل عمه من قبل ، الى الهرب وتقدم الجيش الامبراطوري نحو الجنوب حتى وصل هذه المرة الى العاصمة القديمة طيبة التي

اخذت ونهبت . وقد تركت هذه الحادثة اثرا قويا في اقاليم البحر المتوسط واشار النبي ناحوم بعد نصف قرن الى مصير المدينة تحت الاسم العبري للمدينة نو امون Nu-Amon :

« هل انت افضل من نو آمون الجالسة بين الانهار حولها المياه التي هي حصن البحر ومن البحر سورها . كوش قوتها مع مصر وليست نهاية . فوطء ولوبيم كانوا معونتك هي ايضا قد مضت الى المنفى بالسبي واطفالها حطمت في رأس جميع الازقة وعلى اشرافها القوا قرعة وجميع عظمائها تقييدوا بالقيود .

(سفر ناحوم ، الاصحاح الثالث : ٨ ــ ١٠)

واثناء فترة فتح مصر هذه يبدو ان اشور كانت تقوم بعمليات عسكرية صغيرة في الشمال الغربي . فالكمريون الذين صرفهم سرجون عن سوريا كانوا انفسهم تحت ضغوط كلا من السكيثين من الشرق والغزاة الهندو ــ اوربيين من ثريس Thrace وكانوا قد غزوا منطقة مشكو (اي Phrygia) وبدأوا يضغطون على مملكة ليديا . وربما سارع حكام تابال Tabal وهيلاكو Hillakku الذين لم تعد مناطقهم مقاطعات اشورية في عهد اسرحدون لوضع انفسهم تحت حماية اشوربانيبال نتيجة للضغوط المتجددة نفسها . وارسل كاجس Gyges ملك ليديا السفراء الى اشوربانيبال ، تنفيذا لنصيحة الهه الذي جاءه في الحلم طالبا الصداقة والمساعدة العسكرية ضد الكمريين . ويبدو ان ذلك كان وشيكا ، حيث تمكن كاجس من انزال الهزيمة بالكمريين وارسل بعد الحملة بعض الغنائم الى نينوى (حوالي عام ٦٦٣ ق م) . ومع ذلك فان مصالح كل من ليديا ومصر التجارية المتشابهة ، وكلاهما من القوى البحرية على البحر المتوسط ، قد دفعت كاجس الى اسناد بسماتيك Psammetichus ابن نيخو طرده للحاميات الاشورية في الخمسينات من القرن السابع قبل الميلاد . ونتيجة لذلك ، لم يعد الدعم الاشوري لكاجس قادما الى اسيا الصغرى . وفي عام ٦٥٢ ق م (او قبل ذلك بقليل كما يرى البعض) وقع كاجس تحت هجوم كمري جديد غير ان محاولتهم غزو شمال سوريا صدت من قبل القوات الاشورية في منطقة كيليكيا .

وقد شهد عام سلب مدينة طيبة (٦٦٣ ق م) وفاة نيخو ، فعين الاشوريون بدلا عنه كأمير على سايس ابنه بسماتيك وتمكن بسماتيك بالتدريج من ان يحصل ، وبدون شك نتيجة لمعاونة اشور ، على مركز ارتفع الى حد السيادة

على امراء الدلتا الاخرين خلافا ، كما يذكر هيرودوتس ، للاتفاقية القديمة . واستنادا الى هيرودوتس فقد ظهرت معجزة تنبىء بوقوع الانتقام على بسماتيك على شكل رجال من البرونز يخرجون من البحر . ويفسر هيرودوتس ذلك بانه اشارة الى قراصنة من بلاد الاغريق واسيا الصغرى ينزلون على شواطىء مصر ويصف كيف ان بسماتيك اقام علاقة صداقة مع الغزاة من اجل غاياته الخاصة . وفي الحقيقة فان رجال البرونز كانوا من المرتزقة من الاراضي الساحلية على طول ساحل البحر المتوسط الشمالي ولا سيما من ليديا . وتمكن بسماتيك بمساعدتهم من طرد الحاميات العسكرية الاشورية في مصر بين عامي ٦٥٨ و٦٥١ ق م) .

ونظرا للنفور الاشوري من تسجيل الهزائم التي لم ينتقم لها ، فليس غريبا ان لا تذكر حوليات اشوربانيبال تفاصيل الانسحاب الاضطراري من مصر . ومن المؤكد ان اشور لم تتمكن من القيام برد فعل فوري كان متوقعا في العادة بسبب الاحداث في بلاد بابل .

وظهر التوتر ثانية في بلاد بابل وكان قد هدأ في عهد اسرحدون وذلك تحت حكم شمش ــ شم اوكن . وبالعكس فقد زاد التوتر نتيجة الاجراءات التي اتخذها اسرحدون للتقليل منه . فقد كانت بلاد بابل تحت ملكية شمش ــ شم ــ اوكن غير ان معظم الحكام الآشوريين كانوا مسؤولين امام اخيه آشوربانيبال ، ملك بلاد اشور وتزودنا المراسلات الملكية بكثير من الامثلة على حقيقة ان الحكام الاشوريين وغيرهم من الموظفين كانوا يرفضون الاوامر الا ما جاء منها من خلال التسلسل الصحيح وانها كانت في النهاية صادرة عن ملك بلاد آشور . لذا فهناك تقرير من عهد اسرحدون ان هناك شخصا معينا في بابل قد قبض على عدد من الهاربين ويرفض تسليمهم بدون حضور ممثل الملك الشخصي او رسالة تحمل الختم الملكي . وقد اعطت وجهة النظر هذه فرصا كثيرة للخلاف في الحالات التي لا يعترف فيها الموظف الاشوري ، الذي لم يستلم التعليمات من اشوربانيبال ، او انه يعمل على عدم اطاعة الاوامر التي يصدرها شمش ــ شم ــ اوكن . وهناك رسالة يذكر فيها شمش ــ شم ــ اوكن الى اخيه انه اضطر الى ابطال اوامره الخاصة . ومع ذلك ، فقد عملت الازدواجية لمدة اثني عشر سنة على الاقل تمكن خلالها اشوربانيبال من ان يقضي على العدو المتوقع الرئيس والحقيقي لبلاد بابل وهو عيلام . وكانت مملكة عيلام القديمة آنذاك تنهار بسرعة تحت ضغط الاقوام الايرانية الوافدة حديثا فالاقوام التي عرفت فيما بعد بالفرس كانت قد استقرت

في الشمال الشرقي من المملكة وكانت مستقلة فعليا ، بينما اعتبر بعض حكام المقاطعات الشرقية انفسهم مستقلين استقلالا ذاتيا . وكانت الملكية مضطربة وخاضعة للتغير الفجائي كما كانت عليه بلاد بابل منذ عام ٧٣٤ ق م . ولكن ليس واضحا اكان ذلك من الاعراض ام من الاسباب التي عملت على الانهيار .

وبعد مناوشات طفيفة ، اندلعت الحرب بين عيلام وآشور . واجتاح الاشوريون البلاد عام ٦٥٥ ق م واخذوا العاصمتين التوأمين مداكتو Madaktu وسوسا Susa ونصبوا احد الموالين للاشوريين من العائلة المالكة ملكا . وبدأ حكام آشوربانيبال وجواسيسه يبعثون اليه بالتقارير الخطرة بأن شمش — شم — اوكن كان يتآمر ضد بلاد آشور . وكان هذا التغيير في وجهة النظر ذا علاقة بالتغيير في عيلام ، فطالما كان ذلك البلد تهديدا للامن البابلي ، فقد كان هناك وحدة طاغية في المصالح بين ادارة آشوربانيبال وشمش — شم — اوكن . ويبدو ان هذا العامل قد اختفى انذاك . اضافة الى ذلك ، يبدو ان اشوربانيبال قد ارتكب خطأ في اختياره الأمير للتعيين على العرش العيلامي . وقد كتب شمش — شم — اوكن الى اخيه حول هذا الامير قائلا :« اتحدث عن نفسي فاني اخاف من امانيكاش Ummanigash ولي العهد ... انه خطر » . وقد ثبت ان تقويم شمش — شم — اوكن للرجل كان صحيحا ، فقد اتبع سياسة التحالف القديمة مع القبائل الكلدانية ، وحيث ان الاقوام القبلية كان لها في هذا الوقت تأييد كبير في بورسبا وبابل ، فقد انجر شمش — شم — اوكن نفسه الى المؤامرة . ورحب بالتحالف بسماتيك في مصر الذي كان مشغولا بطرد الحاميات الآشورية من بلاده . كما انضم العرب في الصحراء للحلف . وقد بدأ الصدام الفعلي عام ٦٥٢ ق م عندما قام الجيش العيلامي بالتحرك ضد شمالي بلاد بابل في حين هاجم شمش — شم — اوكن المدن الاشورية الكبيرة التي تحميها الحاميات الاشورية وهزم الجيش العيلامي وحدثت ثورة داخلية جاءت بتغيير اخر للملك وشلت القوة العيلامية لمدة سنة خلال فترة اعادة النظام . واخذ الاشوريون المبادرة وطهروا جنوب بلاد بابل من القوات الكلدانية المنظمة ووضعوا بورسبا وبابل ، اللتين كانتا بيد شمش — شم — اوكن ، تحت الحصار وبذلك قطعوا الاتصال بين الطرفين الرئيسيين في الحلف . وفي عام ٦٥٠ ق م فشلت محاولة قوة عربية لفك الحصار عن بابل كما فشل هجوم مضلل على الحدود الشرقية لفلسطين . وفي هذه الاثناء استمر الوضع في عيلام في التدهور وفي عام ٦٤٨ ق م اندلعت الحرب الاهلية . وكان هناك ثلاثة اشخاص يطالبون بالعرش ويعملون للحصول

على الدعم الاشوري غير ان الحزب المناوىء للاشوريين تمكن من السيطرة على الوضع وتعيين مرشحه . وكنتيجة للشقاق الداخلي في عيلام ، لم يقدم الى شمش ــ شم ــ اوكن الذي كان محاصرافي بابل ومدافعا عن تلك المدينة اية مساعدة عسكرية ذات قيمة فاضطرته المجاعة الى الاستسلام عام ٦٤٨ ق م وكانت الاوضاع قد تردت الى درجة الرعب بين المدافعين حتى اكلوا لحوم البشر ، للتخلص من الاهانات التي ستوقع على جثته ، فقد رمى شمش ــ شم ــ اوكن نفسه في لهيب نيران الحرائق . ونهب قصر الملك الميت وقبض وقتل كل متمرد باق وقطعت جثثهم « واطعمت بها الكلاب والخنازير والذئاب والنسور وطيور السماء واسماك الاعماق » وشغل اشوربانيبال نفسه عرش بابل لمدة سنة واحدة ولكنه حكم بابل في الفترة الباقية من حكمه من خلال ملك عرف باسم كاندا لانو Kandalanu . وقد ثبت عدم صحة الرأي السابق القائل بأن اسم كاندا لانو ما هو الا الاسم الذي عرف به اشوربانيبال في بلاد بابل كما كان تجلاتبليزر ــ الثالث قد عرف باسم بول Pul هناك .

وبدأت اشور تتدخل ثانية في مسألة اعتلاء العرش في عيلام والزحف الى سوسا عام ٦٤٨ ق م ولكن لم يكن بالامكان التوصل الى حل دائم للبلاد . وتمكن نابو ــ بيل ــ شماتي Nabu-bel-shumati حفيد مردوخ ــ ابلا ــ ادينا ، من ان يستخدم عيلام قاعدة لنشاطات القبائل الكلدانية ضد بلاد بابل . وزحف الجيش الاشوري الى بلاد عيلام وجابها جميعا بين عامي ٦٤٢ و٦٣٩ ق م ودمر جميع مدنها وفتح ونهب سوسا وحمل آلهتها وجميع اثاث معابدها الى بلاد اشور ، وانتهكت حرمة هياكلها وبعثرت قبور الملوك العيلاميين حتى تلحقهم العقوبة بعد الموت ولكي تقاسي ارواحهم رعب عدم الراحة والعطش من عدم وجود قرابين من الاطعمة والاشربة المعتادة . واخذ عدد كبير من كبار موظفي الادارة مع جميع افراد العائلة المالكة بجميع فروعها اسرى الى آشور ، على حين ادمجت الوحدات المقاتلة المتخصصة بالجيش الاشوري كما اخذ عدد كبير من عامة المواطنين الى اشور مع اعداد كبيرة من قطعان الماشية والخيل . واعيد ثانية تمثال الالهة ننا آلهة الوركاء (يجب عدم الخلط بين ننا ونَنّا اله القمر في اور) الذي كان قد اخذ من قبل عيلام قبل اكثر من الف وخمسمائة سنة ، الى مكانه الاصلي . ولابد ان ذلك كان ضمانا لاشوربانيبال لنيل تأييد ادارة معبد الوركاء القوية والتي اصبحت منذ ذلك الحين العاصمة الفعلية لادارة جنوبي بلاد بابل .

وقد خلّص ملك عيلام الحاكم اومانا لداش Ummanaldash نفسه من الاسر بالهرب الى الجبال ، وبانسحاب الاشوريين عاد الى ماداكتو حيث كانت سوسا انئذ مخربة ومهجورة وعبارة عن اكوام من الانقاض ولم يعد في موقف يمكنه من حماية نابو ــ بيل ــ شماتي ، الزعيم الكلداني . وعندما طلب اشوربانيبال استسلام ذلك الامير ، اي نابو ــ بيل ــ شماتي ، امر حامل درعه ان يقتله كما فعل الملك شاؤول (سفر صموئيل ، الاصحاح ٣١ : ٤ ــ ٥) . وارسل اومانالداش الجثة محفوظة بالملح الى اشوربانيبال الذي لم يتمكن من ان ينزل العقوبة على الرجل حيا فانتقم لنفسه من شبح الضحية وذلك بعدم دفن الجثة . ووقع اومانالداش نفسه اخيرا بأيدي الاشوريين وتبين القطع النحاسية المحفوظة في المتحف البريطاني الحاكم المأسور مرسلا بعربة الى الملك اشوربانيبال .

ولم يؤلف العنصر الاخر في العصيان البابلي ، وهم العرب ، مشكلة كبيرة حيث تمكن الجيش الاشوري في سلسلة من العمليات وقعت بين عامي ٦٤١ و٦٣٨ ق م من دحر القبائل واسر القادة الرؤساء ومن بينهم اثنين ربطا ليكونا مثلا في احد مداخل نينوى الكبيرة .

ولا تستمر حوليات الملك اشوربانيبال الذي حكم الى عام ٦٢٦ ق م الى ما بعد عام ٦٣٩ ق م . اما بالنسبة للاحداث التي وقعت في السنوات الثلاث عشرة الباقية فلابد من الاعتماد على الإشارات الواردة في مراسلات الدولة والوثائق الاقتصادية وعلى نصوص الصلوات وغيرها من النصوص ذات العلاقة الموجهة الى الالهة . واحدى ترانيم التوبة من هذه الفترة تندب :

« في البلاد خلاف ، وفي القصر نزاع ، لا تترك جانبي ،
التمرد والتآمر الشرير يخطط ضدّي دائما »

ومن المحتمل ان الاشارة هنا الى الخلاف حول اعتلاء العرش اضافة الى امور اخرى . ومن المؤكد انه كان هناك عند وفاة اشور بانيبال عام ٦٢٦ ق م محاولة لاغتصاب العرش وكان على الخليفة المختار ان يقاتل ليعتلي العرش . وان تسلسل الاحداث في الفترة بين وفاة اشوربانيبال وسقوط نينوى عام ٦١٢ ق م تثير كثيرا من المشاكل الصعبة . وان الموجز التالي يمكن ان يدعي فقط بأنه محاولة للوصول لاقل ما يمكن من التفسيرات غير المحتملة للادلة المتناقضة .

ولقد زادت الادلة وضوحا ، وفي الوقت نفسه زادت تعقيدا ، بالعثور على نص يعود الى والدة اخر ملوك السلالة الكلدانية التي اسست في حرّان . فان

هذه السيدة الطيبة التي كانت كاهنة عليا في مدينة حرّان ، وعاشت مائة واربع سنوات ، تذكر على وجه التخصيص بانها عاشت :

« من السنة العشرين من حكم اشوربانيبال ، ملك اشور — عندما ولدت — الى السنة الثانية والاربعين من (حكم) اشوربانيبال ، والسنة الثالثة من (حكم) ابنه اشور — اطلي — ايلي ، والسنة الحادية والعشرين من (حكم) نبوبولاصر ، والسنة الثالثة والاربعين من (حكم) نبوخذ نصر ، والسنة الثانية من (حكم) اميل — مردوخ ، والسنة الرابعة من (حكم) نرجال شاراوصر خلال خمس وتسعون عاما » .

وحتى بداية حكم ابنها . وحيث ان ذلك يعطي تاريخ نهاية حكم اشوربانيبال في عام ٦٢٦ و٦٢٧ ق م ، وكما هو معروف من مصادر اخرى ان نبوبولاصر تسلم ملوكية بلاد بابل في كانون اول من عام ٦٢٦ ق م فيبدو ان السنوات الثلاث التي اعطيت لملكية اشور — اطلي — ايلي في بلاد بابل تثير المشكلة . واذا لم نعتبر هذا التناقض بأنه نتيجة هفوة بسيطة في الذاكرة من جهة شخص معمر فلابد وانها تمثل فترة تداخل ادعى فيها كل من اشور — اطلي — ايلي ونبوبولاصر ملكية بلاد بابل . ومن المؤكد ان اشور — اطلي — ايلي مارس سيطرة كبيرة على بلاد بابل في بعض من حكمه القصير حيث يذكر احد النصوص انه كان بمقدوره ان يقدم الحماية الى شيخ قبيلة بيت — داكوري الكلدانية . على حين قام بترميم معبد في دلبات على بعد خمسة عشر ميلا جنوبي بابل . ومن المؤكد ايضا ان القائد الكلداني نبوبولاصر تولى ملكية بلاد بابل في اواخر عام ٦٢٦ ق م وان حقيقة سيطرته يستدل عليها من حقيقة تاريخ الوثائق الاقتصادية في بابل واوروك واور في عهده في هذا الوقت . ومن المحتمل ان تفسير المشكلة هو ان سيطرة الاشوريين على بعض اجزاء بلاد بابل لم تكن قد فقدت تماما عندما تولى نبوبولاصر الملوكية اول الامر وان حديث بيروسس (وهو كاهن بابلي من القرن الثالث قبل الميلاد كتب بالاغريقية التاريخ البابلي) يؤكد هذا بالتحدث عن نبوبولاصر باعتباره ثائرا ضد سن — شار —اوشكن وهذا يشير الى ان اشور كانت ما تزال لديها بعض النفوذ على بلاد بابل عند اعتلاء الاخير على العرش . وحكم سن — شار — اوشكن ، الذي يعتبر عادة خليفة اشور — اطلي — ايلي ، سبع سنوات على الاقل كما يستدل على ذلك من تاريخ العقود . وتشير جداول

الملوك المكتشفة حديثا الى ان تداخل حكم اشور ـــ اطلي ـــ ايلي وسن ـــ شار ـــ اوشكن في بعض اجزائه يدل على ان كلا منهما قد حكم جزءا من الامبراطورية التي كان يحكمها سابقا اشور بانيبال كوحدة واحدة . وهذا يدل ايضا على وجود توتر كان يقترب من الحرب الاهلية في داخل بلاد اشور نفسها وكان تحالف نبوبولاصر الذي قضى اخيرا على بلاد اشور في حكم سن ـــ شار ـــ اوشكن .

وكانت الاقوام التي عقد نبوبولاصر التحالف معها هي الاقوام الميدية . وقد ذكر الميديون في الحوليات الاشورية اخر مرة في حكم اسرجدون عندما كانوا مؤلفين من عدد من القبائل المتنقلة الا انها متعاونة . وربما بدأت هذه القبائل بالاتحاد مع بعضها مؤلفة مملكة واحدة بقيادة هناكشاترا Hunakshatra المعروف في النصوص البابلية باسم اوماكيشتا Ummakishta وعند هيرودوتس باسم كي ـــ اخسار Cyaxares وذلك في بداية حكم اشور بانيبال . ولا يعرف بالضبط التاريخ الذي جعل فيه جميع الشعب الميدي مستقلا تماما عن اشور غير ان القصة التي يرويها ديودورس سيكولونس (وهو صقلي معاصر ليوليوس قيصر كتب تاريخ العالم) ان نبوبولاصر Belesys شجع كي اخسار على العدوان ضد اشور ووعده بالنجاح تشير الى انه لم يكن قبل وفاة اشوربانيبال . وعلى كل حال ، فان كلا من المصادر المسمارية والاغريقية تتفق بأن نبو بولاصر وكي اخسار قد قاما بعمليات عسكرية مشتركة بعد عام ٦٢١ ق م بفترة قصيرة .

ولم تكن بلاد اشور بدون حلفاء نهائيا . فكان المصريون ، مع عدم اهتمامهم بالتوسع ، مهتمين كثيرا لاي تطور قد يؤثر على تجارة البحر المتوسط او امن مصر وانهم لم يكونوا بالتأكيد راغبين في ان يشاهدوا سوريا وشمال بلاد ما بين النهرين تحت ادارة جديدة تماما والتي ستمثلها السيطرة الميدية . اضافة الى ذلك ، فهناك خطر الحشود التي كانت تطوف في الشمال وهي الحشود الكمرية والسكيثية وقبائل رحل مختلفة اخرى من اصل هندو ـــ اوربي ، وكانت اشور بسمعتها العسكرية التي اكتسبتها خلال القرون تبدو بانها الحصن الوحيد ضد هذا التيار من البربرية . وان اشارة ارميا في عام ٦٢٦ ق م بأنه رأى :

مرجل يغلي ، وان الوجه هناك من الشمال (ارميا ، الاصحاح الاول ـــ ١٣)

تؤخذ عادة للدلالة على توقع حدوث غزو من الرحل المرعبين في الشمال . وقد استخدم مصطلح كيثين غالبا للدلالة على هؤلاء الاقوام غير ان الواقع ان العنصر السكيثي يؤلف جزءا منها فقط (انظر صفحة ١٥١ حول المصطلحات

المستخدمة) ويمكن الحكم من العلاقات الاشورية معهم انهم كانوا الجزء الاكثر مسؤولية .

وبين المقاطعات الاشورية والدول التابعة ، من ابدت الغداء للاشوريين ، كمملكة يهوذا ، وبعضها الاخر ، لا سيما بعض الميديين قدم مساعدات ايجابية الى اسيادهم . وحتى في بلاد بابل ، فكما يمكن الحكم على ذلك من التقاويم التي استخدمت سني حكم سن ـــ شار ـــ اوشكن ، كانت هناك بعض المدن التي ظلت موالية الى بلاد اشور حتى سقوط نينوى الاخير كما يبدو ذلك واضحا بصورة خاصة في مدينة الوركاء حيث يعتقد انه حدث هناك عصيان مؤيد للاشوريين في وقت متأخر حوالي عام ٦١٤ ق م .

وليس هناك تفاصيل في المصادر المسمارية عن نشاطات نبوبولاصر في مراحلها الاولى ولكن من الواضح انه اخرج الحاميات الاشورية من بلاد بابل جميعها جنوبي الرقبة المشكلة عند اقرب نقطة بين الفرات ودجلة وذلك عام ٦١٧ ق م ثم تقدم نبوبولاصر الى اعلى الفرات الى المناطق الارامية سوهو Suhu وهندانو Hindanu بين هيت ومصب الخابور والتي كانت جزءا من الامبراطورية الاشورية لاكثر من قرنين ونصف . وقد لاقى نبوبولاصر بعض النجاح المبدئي في هذه المنطقة حيث خضع الآراميون بسرعة وضربت الهجمات الاشورية المضادة وربما تضمنت الاستراتيجية الاصلية المرسومة اثارة عصيان عام في المقاطعات الغربية ليتفق ذلك مع الهجوم على نينوى من الشرق والغرب من قبل الميديين والكلدانيين . ومع هذا ، فان تقدم الجيش الاشوري والمصري الموحد اضطر نبوبولاصر الى الانسحاب الى بابل . وتقدمت القوات المصرية الاشورية الموحدة شرقا الى مقاطعة ارابخا ، ويجدر ان نتذكر (انظر اعلاه صفحة ١٠٦ و١١٩) ان هذه المقاطعة التي وضع اسسها ادد نراري الثاني ووسعها تجلاتبليزر الثالث واستخدمها هو وخلفاؤه باعتبارها احسن الوسائل الناجحة للهجوم على مركز بلاد بابل دون الحاجة الى المجازفة في عبور منطقة سهلة الدفاع كالتي عند الرقبة التي يشكلها اقتراب نهر الفرات من دجلة . وفي احدى النقاط جنوبي الزاب الاسفل اعترضت القوات الاشورية واجبرت على الانسحاب من قبل الجيش الذي جلبه نبوبولاصر هناك .

واوشك الهجوم المقترح على اشور ، العاصمة القديمة ، في بداية السنة الثانية (٦١٥ ق م) ان يجلب الكارثة على نبو بولاصر الذي اضطر للهرب واللجوء الى قلعة المدينة التي كانت ، وما زالت ، تعرف بتكريت . ولم يرغب الاشوريون ان يضغطوا على خصومهم فانسحبوا ومن المحتمل ان جهاز

استخباراتهم كانت لديه معلومات عن هجوم ميدي ابتدائي خطط في الواقع على مدينة غير محددة في مقاطعة ارابخا في نهاية السنة لغرض تأسيس قاعدة امامية يمكن الهجوم منها على نينوى نفسها . وحدث الهجوم الميدي على مركز بلاد اشور عام ٦١٤ ق م ومع ان نينوى كانت اقوى من ان ترضخ للاعتداء ، الا ان تربيص (شريخان الحالية شمال غربي نينوى) واشور اخذتا ودمرتا نهائيا . ووصل نبوبولاصر على رأس جيشه الى المدينة المقترحة واختتم عمل الميديين والكلدانيين المشترك بمعاهدة رسمية بين نبو بولاصر وكي اخسار وصدق عليها ، استنادا الى اخبار متأخرة ، بزواج سياسي .

وبذهاب مقاطعة اربخا كموقع استراتيجي للاشوريين ، حاولت القوة الامبراطورية ان تقوم بهجوم مضاد على بلاد بابل باتجاه الفرات . فقد اعلنت حينئذ قبائل السوهو التي كانت قد خضعت الى نبوبولاصر عام ٦١٥ ق م العصيان وبينما كان نبوبولاصر يقوم بعمليات لمحاصرة عانة ، ظهر جيش آشوري واجبره على الانسحاب ومن الغريب ان الميديين لم يكونو فعالين عام ٦١٣ ق م بعد نجاحهم الباهر ضد اشور في السنة السابقة الى درجة ان اشور تمكنت من ارسال جيش الى مكان بعيد من الوطن . وهناك من يرى انه من المحتمل ان اشور كانت تتفاوض مع السكيثيين للقيام بهجوم على الميديين من الشمال . وكان السكيثيون ، الذين لم تصطدم مصالحهم مباشرة مع مصالح الاشوريين ، على علاقة صداقة تقليدية مع تلك القوة تعود الى اول ظهورهم في الشمال في عهد اسرحدون . وكانوا يشكلون حليفا احتياطيا ذا قوة كبيرة .

وتشير الروايات الاغريقية المتأخرة ان الميدين كانوا في وقت من الاوقات مهددين بالخطر من قبل السكيثيين ولكنهم تمكنوا اخيرا من اقناع القادة باهدافهم المشتركة . اما في المصادر البابلية ، فلم يشر الى القبائل الرحل في الشمال بالسكيثيين ولكن بالامانماندا Ummanmanda ، وهو مصطلح اثيرت حوله مناقشات عديدة ويبدو انه كان يعني تقريبا ما يعنيه مصطلح (الحشود) Hordes . ومن المؤكد ان الاومانماندا ضموا بعض العناصر السكيثية وبعض العناصر العرقية الاخرى . ومن المحتمل ايضا انه كان هناك بعض الشك حول الجانب الذي سيأخذه هذا الحلف من القبائل الى ما بعد ان تمكن كي ــ اخسار من ان يلتقي ويتفوق على اكثر قادة هذا التحالف من القبائل تأثيرا . وفي عام ٦١٢ ق م كون نبوبولاصر والاومانماندا وكي اخسار قوة مشتركة وزحفوا على نينوى . وسقطت المدينة بعد حصار دام ثلاثة اشهر ومات اخر ملوكها سن ــ شار ــ اوشكن ، استنادا الى المآثر الاغريقية ، في

لهيب تدميرها . ونهبت المدينة وسلبت واستعبد الباقون من سكانها . وتؤكد اخبار الكتاب الاغريق وكذلك سفر ناحوم (الاصحاح الأول ٨) ان فتح هذه المدينة المحصنة تحصينا قويا كان ممكنا بسبب فيضان نهر دجلة الذي اكتسح اجزاء من تحصيناتها .

ودمرت العاصمة ، ولكن ظلت مملكة اشور قائمة اسميا حيث قام جزء من الجيش الاشوري الذي تمكن من الهرب من نينوى الى حران ، حوالي مائة ميل الى الغرب ، من تنصيب اشور ـــ اوبالط احد افراد العائلة المالكة الصغار ملكا وطلب مساعدة حلفائه المصريين .

الفصل الخامس

الامبراطورية البابلية الحديثة

انسحبت القوات الميدية والامانماندية محملة بغنائم مدينة الامبراطورية وكانت مساعي نبو بولاصر حينئذ متجهة للسيطرة على اكبر جزء ممكن من الامبراطورية الاشورية وقد استخدم لهذا الغرض قواته لتحتل اقليم نصيبين غربي بلاد اشور وكذلك مركز بلاد اشور نفسها والاقاليم الواقعة على طول الفرات الاوسط وقام بمساع نشطة ليحصل على ما يتمكنه من الشمال في منطقة اورارتو . ومع ذلك ، فقد كان للسكيثيين مصالح في الاقليم الاخير منذ مدة طويلة ففشل نبوبولاصر في الحصول على سيطرة دائمة على اي جزء منها باستثناء كيليكيا وظلت بقايا الجيش الاشوري في حرّان دون ان تهاجم وربما كان ذلك بسبب رغبة نبوبولاصر العاجلة والملحة هي السيطرة الفعلية على اكبر جزء ممكن من بلاد اشور قبل عودة الامانماندا . وحصل ذلك في عام ٦١٠ ق م عندما قاموا بهجوم على حران ما لبث نبوبولاصر ان التحق به ليحافظ على مصالحه الخاصة . اما اشور ــ اوبالط فلم يحاول الدّفاع عن المدينة بل هرب باتجاه الجنوب الغربي لينتظر حلفاءه المصريين وترك حران للإحتلال والنهب من قبل الاومانمانديين . وكانت بقايا الجيش الاشوري ، بعد ان تقوّت بالقوات المصرية التي التحقت بها ، في موقف مكنها من القيام بهجوم مضاد على حران وحصلت فيها على بعض التقدم . وقد اجبر تقدم جيش نبوبولاصر رفع الحصار وانسحبت القوات الاشورية والمصرية الى كركميش .

وهنا اعتلى العرش المصري نيخو الثاني (٦١٠ ــ ٥٩٥ ق م) الذي قرر اتخاذ اجراءات على نطاق اوسع لتأييد اشور ــ اوبالط وسارع في قيادة الجيش المصري الرئيس الى سوريا (اخبار الايام الثاني . الاصحاح : ٣٥ : ٢١) ويبدو ان الدبلوماسية الكلدانية قد لاقت نجاحا كبيرا في فلسطين ، حيث كان على نيخو ان يقضي على عصيان في غزة (سفر ارميا ، الاصحاح : ٤٧ : ١) ، في حين حاول يوشيا ملك يهوذا ، وهو الحاكم المحلي الرئيس المتبقي في فلسطين ، ان يغير على القوات المصرية في طريقها باتجاه الشمال فدحر وقتل عند مجيدو (٦٠٨ ق م) (سفر الملوك الثاني ، الاصحاح : ٢٣ : ٢٩) ، واصبحت مملكته نتيجة لذلك تابعة بصورة مؤقتة الى مصر . ولم يكن من الصعب على نيخو ان يخضع سوريا ، والتحم بقوات اشور ــ اوبالط في كركميش . وقام البابليون بهجوم مباشر على الجيش المصري القوي (عام ٦٠٥ ق م) تحت قيادة نبوخذ نصر ابن نبوبولاصر . وكانت مذبحة كبرى بالنسبة لكلا الطرفين لان « بطلا يصدم بطلا فيسقطان كلاهما معا » (سفر ارميا ، اصحاح : ٤٦ : ١٢) . واستنادا الى ارميا ، الاصحاح : ٤٦ : ٥ وفيما بعد فقد حل الرعب في الجيش المصري وهرب مخذولا ومن غير نظام الى مصر . وقد انتشرت دعاية هزيمة الجيش المصري الى اماكن بعيدة وشعر الرعايا المواطنون بأن الوقت قد فات للقيام بعمليات اخرى ضد الكلدانيين «قد نادوا هناك فرعون ملك مصر هالك وقالوا بأن الفرعون ، ملك مصر هو مجرد ضوضاء» وانه « قد فات الميعاد » (ارميا الاصحاح : ٤٦ : ١٧) . وقد تمكن نبوخذ نصر من ملاحقة المصريين المنسحبين الى حدودهم وكان بامكانه الاستمرار والتوغل في مصر لولا وفاة والده نبوبولاصر في تلك اللحظة والذي تطلب حضوره في بابل .

لعل من غير الضروري التأكيد على قابلية نبوخذ نصر كسياسي وقائد عسكري فان نشاطاته في هذه المجالات قد جعلت منه واحدا من اشهر شخصيات العالم القديم . وقد شعر ارميا ، الذي عاصره ، في بداية حكمه بأنه سيكون القوة الجديدة في السياسة الدولية وقدر فترة حكم امبراطوريته بثلاثة اجيال (ارميا ، الاصحاح : ٢٧ : ٧) وقدم يهوياقيم Jehoiakim ملك يهوذا المعين من قبل نيخو ملك مصر الخضوع الى نبوخذ نصر عندما دحر الجيش المصري غير انه عاد للتحالف مع مصر عندما وجد الفرصة سانحة . ومع

ذلك ، فقد اثبتت الأحداث ان تقدير ارميا للموقف كان احكم من السياسيين حيث ارسل نبوخذ نصر عام ٥٩٧ ق م قوات لمحاصرة اورشليم . وكان من حظ يهوياقيم ان مات اثناء الحصار واخذ ابنه يهوياقين اسيرا الى بابل مع النبلاء والحرفيين والقوات .

وبوقوع جميع فلسطين وسوريا ثانية بأيدي قوى معادية ، فقد كان لابد وان تتأثر تجارة مصر كثيرا والتي اعتمدت على الموانىء الفينيقية . وربما يفسر ذلك قرار حوفرا (ابريز) ملك مصر (٥٨٩ ــ ٥٧٠ ق م) المذكور في سفر ارميا اصحاح : ٤٤ : ٣٠) ان يقوم بغزو فلسطين . وقد حققت القوات المصرية نجاحا في اول الامر واخذت صيدا واضطرت الحاميات البابلية في اورشليم ، وبدون شك في غيرها من المدن ، على الانسحاب تاركة القادة المناوئين للبابليين مسيطرين على الوضع . وكما تنبأ ارميا ، فقد كان رد فعل نبوخذ نصر قويا حيث ارسل جيشا قويا الى الغرب . وسارع المصريون في الانسحاب تاركين تابعيهم السابقين يقضي عليهم فرادا من قبل القوات البابلية . وحوصرت اورشليم لمدة ثمانية عشر شهرا واستسلمت من المجاعة اخيرا (عام ٥٨٦ ق م) . وفقئت عينا صدقيا اخر ملوك يهوذا واخذ اسيرا الى بابل (سفر الملوك الثاني : الاصحاح : ٢٥ : ٧) ، وسلبت اورشليم ونهبت وازيلت تحصيناتها وقتل زعماء الحزب المناوىء للبابليين وعين احد النبلاء الموالين للبابليين حاكما وسبي قسم كبير من السكان الباقين الى بلاد بابل . واخضعت المدن المتمردة الاخرى بالتعاقب وحوصر ميناء صور العظيم ولم ترد الاشارة الى العملية الاخيرة من قبل مناندر Menander (٣٤٢ ــ ٢٩٢ ق م) الذي ذكر بأنها استمرت لمدة ثلاثة عشر سنة فحسب بل كذلك ذكرت عدة مرات من قبل النبي حزقيال الذي عاصر الاحداث (سفر حزقيال : الاصحاح : ٢٦ ــ ٢٩) وصور حزقيال صور اول الامر بأنها تحدق على سقوط اورشليم : « سأكون شبعانا ، الان لانها ستخرب » (الاصحاح : ٢٦ : ٢) ــ قد تحولت الى «امتلىء اذ خربت» ــ وهي اشارة الى حقيقة ان التجارة من مصر وما وراءها كانت تمر شمالا اما بطريق بري خلال فلسطين او بحري الى الموانىء الفينيقية . وقد وصف المغامرات التجارية والثراء الاقتصادي لمدينة صور بشكل مجسم :

ترشيش — [طرسوس في اسيا الصغرى] — تاجرتك بكثرة كل غني بالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقاموا اسواقك . ياوان — [اليونان] — وتوبال — [تابال في المصادر الاشورية] — وماشك — [مشكو] — هم تجارك . بنفوس الناس وبآنية النحاس اقاموا تجارتك ومن بيت توجرمة [تل — كاريحو في المصادر الاشورية] بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك . بنو ددان تجارك جزائر كثيرة تجار يدك : ادوا هديتك قررنا من العاج والابنوس . ارام تاجرتك بكثرة صنائعك ....
حران وكنّة وعدن ، تجار سبأ واشور وكلمد تجارك ...
هؤلاء تجارك بنفائس باردية اسما نجونية ومطرزة واصونة مبرم معكومة بالجبال مصنوعة من الارز بين بضائعك »

(حزقيال ، الاصحاح : ٢٧ : ١٢ — ١٦ ، ٢٣ — ٢٤)

واخذت اخيرا مدينة صور عام ٥٧١ ق م وثبت فيها ادارة بابلية اقليمية .

وفي هذه الاثناء تمكن كي — اخسار بمساعدة حلفائه من بين الاومانماندا ان يقضي على مملكة اورارتو وبتوغل الى داخل اسيا الصغرى حيث احتك بمملكة ليديا ، وهي مركز تجاري مزدهر . وقد امكن وضع حل لبعض الصدامات الاولية عام ٥٨٥ ق م بمعاهدة توسط فيها نابونائيد (نبو نيدس) احد ضباطه وبالتالي من خلفاء نبوخذ نصر ، ثبتت حدود النفوذ بين ليديا والميديين بنهر خاليس Halys .

وحافظ نبوخذ نصر على علاقات صداقة مع الميديين وكانت مشكلته الرئيسة في مجال السياسة الخارجية هي مصر . ولم تكن دوافع اهتمام نبوخذ نصر بالغرب عسكرية فقط بل اقتصادية ايضا . فقد كان اتحاد الميديين قد جرد بلاد بابل بشكل كبير من سيطرتها على الطرق التجارية الشرقية (على الرغم من ان الصعوبة لم تظهر في فترة شهر العسل التي اعقبت نهب نينوى مباشرة) في حين اصبحت الموانيء البابلية التي كانت مزدهرة مغمورة . ولهذا السبب ، فقد اتجه الملوك البابليون الجدد نحو الغرب في محاولة للسيطرة على الطرق القادمة شمالا من الجزيرة العربية . وكانت مصر ، مع ذلك ، بعد ان ضربت تجارتها بسيطرة البابليين على الساحل الفينيقي وساحل كيليكيا تحاول دائما ان تضعف

سيطرة البابليين في الغرب . ويتحدث سفر الملوك الثاني : الاصحاح : ٢٥ : ٢٢ ــ ٢٦ عن اغتيال الحاكم المحلي الذي عينه نبوخذ نصر على اورشليم ، وربما بموافقة المصريين ان لم يكن ذلك بتحريضهم . واخيرا قام نبوخذ نصر ، كما تشير كسرة من رقيم طيني ، بغزو مصر الذي اشير اليه في سفر حزقيال الاصحاح : ٢٩ : ١٩ ــ ٢١ . وليس هناك تفصيلات معروفة غير ان اخبار ارميا (الاصحاح : ٤٩ : ٢٨)وهيرودوتس تشير الى هجوم ناجح على القبائل العربية في الصحراء .

وكان عهد نبوخذنصر عهد نشاطات معمارية عظيم في بلاد بابل ، وان الاثار الباقية في بابل هي بالدرجة الرئيسة من عهده (انظر اللوحات ٥٤ و٦) . فقد زيدت تحصينات بابل قوة وحوفظ على خط دفاع اول وثان . وكان النهر على الجانبين مع سلسلة من القلاع في الشمال والجنوب من بابل يؤلف خطا دفاعيا رباعيا حول المدينة .

وعند وفاة نبوخذ نصر عام ٥٦٢ ق م ، خلفه ابنه اميل ــ مردوخ (اويل مردوخ في سفر الملوك الثاني : الاصحاح : ٢٥ : ٢٧ وارميا : الاصحاح : ٥٢ : ٣١) الذي قتل في ثورة بعد حكم قصير دام سنتين . ولا يعرف عنه الا الشيء القليل الى جانب ما ذكره سفر الملوك الثاني : الاصحاح : ٢٥ : ٢٧ ــ ٣٠ من انه اظهر حسن معاملته الى يهوياكين ، وهو احد ملكين من ملوك يهوذا كانا مسجونين في بابل . ومن الغريب ان هناك اشارة مباشرة الى يهوياقين في بعض الرقم المسمارية المكتشفة في بابل التي تعود الى عهد نبوخذ نصر . وتمثل هذه الرقم قوائم جرايات وان الجزء الخامس من احدها يذكر :

> «الى يهو ــ كينا ملك بلاد يهودو ، لابناء ملك بلاد يهودو الخمسة (و) لثمانية يهود ، كل منهم ١ /٢ سيلا (من الحبوب)» .

ومن الناحية اللغوية ، فان يهو ــ كينا ملك يهود وهو بدون اي لبس الاسم الذي ذكره مترجم العهد القديم على هيئة يهوياكين (يهوياقين) ملك يهوذا

وقد استفاد من موت اميل ـــ مردوخ نرجال ـــ شاراوصر (في الاخبار الاغريقية Neriglissar وفي سفر ارميا Nergalsharzer الاصحاح : ٣٩ : ٣ نركال ـــ شار ـــ اصر) . وهو صهر نبوخذنصر . والمعروف الآن من الحوليات البابلية بانه قام بحملة كبيرة عبر طوروس وربما ليسبق توغل الميديين المتوقع عبر خالي Halys ودحر اندحارا كبيرا بعد نجاح ابتدائي وعاد الى بابل عام ٥٥٦ ق م وتوفي بعد عودته مباشرة مما يدفع للتخمين بأن منافسيه الشخصيين في الوطن قد استغلوا فقدانه اعتباره فعجلوا في نهايته . ومن المؤكد ان ابنه لباشي ـــ مردوخ الذي حاول اعتلاء العرش بالوراثة قد ازيح بعد ذلك بفترة قصيرة بمؤامرة قادها قائد قوات الدولة ونصب على العرش بدلاً منه نبونئيد (نبونيدس) الدبلوماسي الذي بعثه نبوخذ نصر للقيام بالمفاوضات بين الميديين والليديين عام ٥٨٥ ق م .

ولم يكن نبونئيد من عائلة نبو بولاصر الملكية بل كان ابن احد النبلاء وابن كاهنة الاله سن العليا في حران . وربما كانت هذه السيدة نفسها من العائلة الملكية الاشورية حيث انها ولدت في منتصف عهد اشوربانيبال ، ومن المعروف انه في الفترة قبل وبعد هذا الوقت كانت كهانة الهياكل العظمى العليا تمنح عادة لامراء واميرات العائلة المالكة .

وكانت العادة ان يصرف النظر عن نبونئيد باعتباره مثقف اثاري ، اكثر ما يكون سرورا عندما يتمكن من الكشف عن بعض احجار الاسس القديمة ، غير ان نشر بعض النصوص الجديدة خلال السنوات الثلاثين الماضية قد اوضحت بأنه كان رجل سياسة ذو قابلية فائقة . فقد شعر بالمشكلتين الرئيستين الواجب مواجهتهما ، المشكلة الاقتصادية في الامبراطورية والوضع بالنسبة للديانة البابلية القديمة . اما بالنسبة للمشكلة الاقتصادية ، فسنذكر اكثر عنها في مكان اخر . اما الآن فما يهمنا هو المشكلة الدينية . فقد كان عند الميديين واليهود ، وكانت لكلاهما علاقات وثقى بالبابليين في هذا الوقت ، افكار دينية خلقية جديدة ، تنم عن السخرية من الوثنية المشركة القديمة . وهناك من اقترح

اقتراحا معقولا بأن نبونئيد حاول ان يجعل من الاله القمر ، سن اوننا ، الاله الحامي لمدينة اور ومدينة والدته حران ، الاله الاعلى لجميع الامبراطورية استجابة لهذا الوضع لمعرفته بعدم دقة دين الشرك القديم . غير انه يجب عدم تضخيم ذلك وجعله حركة الى جانب التوحيد ، حيث لا يوجد هناك أي اثر لذلك ، بل انها كانت محاولة لايجاد قوة دينية موحدة لجميع رعايا الامبراطورية . فلم يكن للاله مردوخ ، الاله البابلي الاعلى ، وهو اله الشمس السومري القديم بمظاهره الارضية وذو علاقة بمدينة بابل ، اي مكان في مجمع آلهة العرب والاراميين في حين كان الاله ـــ القمر ، تحت اسماء مختلفة ، مقدسا تقديسا كبيرا عند هؤلاء الاقوام . وان الاتجاه نحو الاصلاح الديني ربما كان قد بدأ منذ عهد نبوخذ نصر حيث كشفت التنقيبات في مدينة اور بأن هيكل زوجة الاله القمر قد اصابه تغير في الطراز المعماري في عهد هذا الملك مما يشير الى تغيير في الطقوس . غير ان نبوئيد كان هو المسؤول بالدرجة الرئيسة عن هذه البدعة استنادا الى اخباره وكذلك استنادا الى اتهامات اعدائه عند سقوطه .

وكانت مدينة حران النقطة التي التقت بها المشاكل الدينية والاقتصادية . وان اسم «حران» نفسه يعني «الطريق» وقد اطلق على المكان لانه كان محل التقاء كبير للطرق الشمالية من بلاد بابل من جهة ومن مصر والجزيرة العربية وفلسطين من الجهة الثانية . كما كان المكان محل احد هياكل سن الكبرى . ومن سوء الحظ فقد بقيت المدينة بأيدي الامانماندا منذ استيلائهم عليها عام ٦١٠ ق م عندما دنسوا ودمروا معبد الاله القمر . ويتحدث نبونئيد في النصوص ان الاله سن العظيم (وفي نسخة اخرى صدرت في بلاد بابل اشرك بحصافة اسم الاله مردوخ ، اله مدينة بابل) ظهر له في الحلم في السنة الاولى من حكمه قائلا :« اسرع وشيد ايخولخول Eḫulḫul [بيت فرح كبير] » معبد الاله سن الذي في حران نظرا لان جميع الاراضي قد سلمت بيدك . وفي النسخة الصادرة في بابل يشير نبونئيد الى مردوخ «اما بالنسبة للمعبد الذي امرت بأن يعاد بناؤه ، فقد احاطه الامانماندا وان قوتهم مرعبة » . ويجيب مردوخ الجواب المدهش « لم يعد هناك وجود للامانماندا الذين تذكرهم ولا لبلادهم والملوك حلفائهم . في السنة الثالثة القادمة سأجعل كورش ملك انشان (اي فارس) خادمه الصغير ، يطردهم . وسيكتسح بقواته القليلة الامانماندا المنتشرين » .

وكان الفرس اصلا احدى القبائل الهندوآرية المهاجرة التي استقرت اخيرا

في عيلام . وقد اسس عائلتهم المالكة في منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، بعد ان قضى اشوربانيبال على السلالة العيلامية القديمة ، اخمينس (حاخمانيش Hahmanish) الذي لقب ابنه نفسه بلقب «ملك انشان» . وكانت انشان احدى امارات مملكة عيلام وان اللقب الجديد تضمن الملكية على البلاد القديمة . وقد دفع ارتفاع شأن قوة مملكة فارس الملك الميدي استياجز Astyages ان يزوج ابنته من قمبيز الاول ، ملك انشان الثالث ، ومن هذا الزواج ولد كورش Cyrus .

ويبدو واضحا انه مهما كان مدلول مصطلح امانماندا من عناصر عرقية ، فان ما ورد في حلم نبونئيد يشير الى حامية تابعة للميديين . كما يوضح الحلم ان التقليد القديم بخصوص العلاقات الدبلوماسية بين الأسر الحاكمة في بلاد بابل وعيلام كانت لا تزال قائمة طالما كان نبونئيد وكورش يدبرون سوية مساع مشتركة ضد الميديين في سنة نبوئيد الثالثة اي عام ٥٥٣ ق م .

وقد اصدر نبوئيد امرا بتجنيد عام للقوات من الاقاليم الغربية وانسحب الميديون ، الذين كانوا مشغولون بعصيان كورش (الذي تمكنوا من القضاء عليه تقريبا (استنادا الى الاخبار الاغريقية) ، من حران وتمكن نبونئيد من استخدام مجنديه للبدء بمشروع الترميم . وكان لذلك تأثير على تشجيع العصيان بين سكان مدن بلاد بابل الكبيرة حتى : «نسي ابناء بابل وبورسبا ونيبور واور واوروك ولارسا وسكان المدن الدينية في اكد [شمال بلاد بابل] ... واجباتهم وتحدثوا عن الخيانة وليس عن الطاعة» . وهناك بعض الادلة التي تشير الى ان نبونئيد كان يعد لمثل ذلك . فقد كان الملك يمتلك مقاطعات واسعة في جنوب بلاد بابل وان عقود ارشيف المعبد تثبت بأنه كان يعطي السيطرة على هذه المقاطعات الى سلطات ادارة معبد أي ــ انا Eanna ، وهي مؤسسة المعبد الكبيرة والغنية في الوركاء ، مقابل اجرة سنوية مقطوعة ، كما ظهرت اصلاحات ادارة المعابد في هذا الوقت وعين في الوركاء تعيينات جديدة لجميع الوظائف المهمة في السنوات الاولى من حكم نبونئيد .

وظهرت انذاك المجاعة في بلاد بابل ونسبها نبونئيد الى عدم تقوى الناس على الرغم من ان ارجاعها الى الوضع الاقتصادي العام هو اكثر منطقية . فقد كان من نتائج الحروب والنشاطات العمرانية التي قام بها نبوخذنصر ونرجال ــ شار ــ اوصر ان ظهر التضخم وارتفع مستوى الاسعار بنسبة ٥٠٪ بين عامي ٥٦٠ و٥٥٠ ق م (ولم يوقف هذا الاتجاه بتطورات تالية بل ارتفعت الاسعار بين عامي ٥٦٠ و٤٨٥ ق م الى ٢٠٠٪) . ويمكن ملاحظة النتائج في

الوثائق التجارية .وتعود احدى هذه الوثائق الى السنة الاولى من حكم نبونئيد وتتعلق بقرض من الحبوب الى راع كانت ماشيته تموت جوعا في حين تتعلق نصوص اخرى بتسليم الاطفال الى المعابد كعبيد وهي نتيجة جلية للفقر المدقع . وساهم انسحاب القوى العاملة لمدة سنتين في بعض الاحيان من الاعمال المنتجة على القنوات الى الاعمال غير المنتجة في بناء المعابد او الحروب في تدهور انتاج البلاد ايضا ، كما زادت الاوضاع الاقتصادية سوءا بسيطرة الميديين على الطرق التجارية الى الشرق والشمال . ولا ريب ان حلف نبونئيد مع كورش كان بهدف الحصول على نتائج مثمرة فيما يتعلق بالناحية الاخيرة .

وقد اشير الى ان نبونئيد قلما يذكر الناحية الاقتصادية في مشاريعه ، ولذا فهناك شك فيما اذا كانت الناحية الاقتصادية تؤلف اي دافع رئيس في الاعمال التي قام بها فيما بعد . ومع هذا ، فان الوثائق الاقتصادية والادارية من النوع الذي اشير اليه سابقا يبرهن بما لا يقبل الشك ولو بشكل عرضي بأن نبونئيد كان على موعد مع المشاكل الاقتصادية . وفي نصوص الاهداء المخصصة للالهة فان من المنطق ان يدعي الملك بأن التقوى وليس الفوائد الاقتصادية هي الدافع الرئيسي لمشاريعه .

وكانت استجابة نبونائيذ للوضع في بلاد بابل محاولة رائعة لنقل مركز ثقل الامبراطورية الى الغرب وضمان الطرق التجارية من جنوب الجزيرة العربية . فنصب ابنه بيل ــ شار ــ اصر (في سفر دانيال : بيلشاصر : الاصحاح : ٥ : ٢٢ ، ٧ : ١ ، ٨ : ١) وصيا على بلاد بابل وقاد جيشا الى واحة تيماء في شمال غرب الجزيرة العربية من خلال سوريا ، حيث اعدم هناك الملك المحلي واتخذ المدينة قاعدة له في السنوات العشر التالية . واندفع نحو الجنوب في خلال فترة اقامته في الغرب مسافة مائتين وخمسين ميلا ومر باماكن يمكن معرفتها حتى وصل اخيرا الى يثرب (المدينة في الاسلام ، مدينة محمد (ص)) على البحر الاحمر . ويذكر نبونئيد على وجه التخصيص انه ترك حاميات واقام مستعمرات حول واحات ست ذكر اسماءها ويصف القوات التي استخدمها بأنها : «سكان اكد وبلاد ــ حاتي» ، اي المواطنين البابليين وسكان المقاطعات الغربية . ومن النتائج العرضية الغريبة ان خمسا من الواحات الست المذكورة اسماؤها كانت آهلة بالسكان اليهود في عهد محمد (ص) بعد الف سنة . ومن الاقتراحات التي لا يمكن التغاضي عنها انه كان بين القوات والمهاجرين الذين رافقوا نبونئيد فرقا من اليهود رغم انه لا يمكن اثبات ما اذا كانوا من اولئك اليهود الذين تركوا في فلسطين بعد فتح اورشليم او انهم من

اولئك الذين اسروا الى بلاد بابل .

ولعل انسحاب نبونئيد في هذه السنوات العشر عن عاصمته كان الاساس في قصة سني الجنون السبع التي نسبت الى نبوخذنصر في سفر دانيال (الاصحاح : ٤ :٢٨ — ٣٣) . ومن الامور الشائعة ان تنسب اخبار بعض الاحداث الخاصة بأحد الاشخاص الى شخص اخر اكثر شهرة ولكنه على علاقة تاريخيه به . ويخطر الى الذهن كمثال على ذلك قتل جليات Galiath من قبل الحنان Elhanan التي تنسب عادة الى داؤد (سفر صموئيل الاول : الاصحاح : ١٧ ، ٥٠ ، صموئيل الثاني : الاصحاح : ٢١ : ١٩) ومن الاشكال الاخرى التي تبدو انها من اخبار اليهود نفسها عن غضب الالهة على احد الملوك البابليين ، ولو انه مرتبط هذه المرة بنبونئيد بدلاً من نبوخذنصر ، ما ظهر في النصوص التي عثر عليها في قرمان التي اطلق عليها «لفائف البحر الميت» .

والوثيقة المعنية ، وهي اجزاء من مخطوط عثر على الجزء الاكبر منه في عام ١٩٥٥ ويعود بتاريخه الى النصف الثاني من القرن الاول قبل الميلاد وهي جزء من تآليف كتب بالآرامية (وهي لغة قريبة من العبرية استخدمت في اجزاء من سفر دانيال وعزرا وبعض الجمل الاخرى في العهد القديم) . وبعد كثير من الاضافات (ولعلها ليست صحيحة دائما) يمكن ترجمة الجزء المعروف (مستندين الى درجة كبيرة على ترجمة : J.T. Milik, Revue Biblique, 63 (1936). page 408) كما يأتي :

> كلمات الصلوات التي قدمها نبونئيد ، ملك بلاد اشور وبابل ، الملك العظيم ، قالها عندما ضرب بمرض جلدي لعين بأمر الاله الاعلى في مدينة تيما : «لقد ضربت بمرض جلدي لعين لمدة سبع سنوات ... ولكن عندما اعترفت بذنوبي وخطاياي ، متمنيا حكما (جيدا) . وكان هناك يهودي من ... وقد كتب واخبرني ان اقدس ... لاسم الاله الاعلى ... »

وفي نهاية السنوات العشر كانت الاوضاع قد تغيرت الى درجة كان بامكان نبونئيد ، الذي كان عمره انذاك لا يقل عن خمس وستين ولعله اكثر من سبعين سنة ، ان يعود الى بلاد بابل دون ان يجابه اية معارضة لمشاريعه في اعادة بناء واصلاح المعبد الكبير في حران .

وكان التحسن الوقتي في موقف نبونئيد يرتبط بنجاح حليفه السابق كورش . فبعد اعتلاء كورش على عرش امبراطورية الميديين والفرس ، اندلعت الحرب

ثانية في آسيا الصغرى مع كروسس ملك ليديا . وبحملة شتوية غير متوقعة ، نجح كورش عام ٥٤٧ ق م في الاستيلاء على سارديس Sardes عاصمة كروسس Crosus . وبجعله ليديا مقاطعة فارسية ، حصل على تأييد المستعمرات الاغريقية في غرب اسيا الصغرى . وبعد ان انتهى كورش من ذلك ، كان قادرا لان يباشر بعمليات اولية ضد الامبراطورية البابلية التي بدأها عام ٥٤٧ ق م وسيطر على اجزاء من شرقي بلاد اشور . ولعله اراد بذلك ان يستبق هجوما بابليا على ميديا حيث ان الاقليم الذي اخذ كان الاقليم الذي يتخذ قاعدة لمثل هذا الهجوم في العهود الآشورية . ويذكر هيرودتس ان كروسس كان متحالفا مع كل من نبونئيد والمصريين وانه طلب المساعدة العسكرية قبل الهجوم المفاجيء الذي ادى الى سقوطه . وان توافق تاريخ الاحداث يجعل من المنطق ان نفترض ان التهديد العسكري من الشرق قد ادى الى وحدة مؤقتة في بلاد بابل ودعى الى عودة الملك وقيادته الفعالة .

وكان جنوب بلاد بابل معرضا دائما لغارات مفاجئة من عيلام وقد قاست من ذلك عام ٥٤٦ ق م . وتبدو الاحداث عندئذ مرتبكة وربما عاد نبونئيد فعلا الى بابل بعد هذه الحادثة ليشرف على الدفاع عن بلاده . ولم يكن الوضع متأزما ، فقد ظلت الوركاء ، وهي المدينة الرئيسة في الجنوب ، بأيدي نبونئيد على الرغم من الغارة العيلامية ، كما لم تبد سوريا والغرب اي دليل عن الاستياء ، ويمكن الاستدلال مما ذكره هيردوتس ان مصر كانت ايضا حليفا احتياطيا . ومع هذا ، فبينما كان الملك المسن يكمل مشاريعه الطويلة الامد في تعمير معبد اخولخول Ehulhul في حران ، كان كورش مشغولا بحرب الدعاية في الامبراطورية البابلية . وكان عمله نحو كروسس الذي احسن اليه واحترمه ونحو حكماء الاغريق في آسيا الصغرى الذين تحملهم ليسلبهم ، قد اضفى عليه صفة الاعتدال والتسامح الديني الذي ينعكس في سفر اشعيا . وان النبي المجهول المعروف حاليا باسم Deutro-Isaiah (سفر اشعيا ، الاصحاح : ٤٠ — ٥٥) ادعى انه يتكلم عن الرب : «هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي امسكت بيمينه لادوس امامه امما... ، قائلا «لاجل عبدي يعقوب ، واسرائيل مختاري ، دعوتك باسمك ولقبتك وانت لست تعرفني» (سفر اشعيا : ٤٥ : ١ ، ٤) . ولابد انه كان هناك دعايات مشابهة تختمر في بابل وتنعكس في الاخبار الحاقدة التي كتبت عند سقوط نبونئد . وما يأتي هو ترجمة (معتمدة على سدني سميث في Babylonian Historical Texts (1924). p. 87 لاحد النصوص من هذا النوع ومما يؤسف له انه في حالة رديئة جدا . ويشير الى

نبونئيد بأنه :

.... لم يجعل العدالة تنبثق عنه ،
.... قتل الضعيف بالسلاح ،
.... (بالنسبة) للتاجر ، اغلق الطريق ...
....
....
[وفي الوقت المناسب في عيد رأس السنة الجديدة] اوصى
بأن لا يكون هناك افراح
.... عفريت ـــ الشيدو غيّره
....
.... قام بالاعمال غير المقدسة
.... واقام [تمثالا هرطقيا] على قاعدة ،
.... ودعا اسمه «الاله سن»
....
.... وكان شكل القمر هو الخسوف
....
واعتاد ان يخلط بين الطقوس ، ويفسد الاوامر ،
ويتحدث بكلمات ضد الاوامر المقدسة ،

وتوغل كورش بالتدريج الى الامام الى جبال كردستان ولورستان الى ان سيطر تماما على جميع الاقليم شرقي دجلة ومن هناك كان بامكانه ان يقوم بهجوم على بلاد بابل نفسها . وعبر كورش نهر دجلة بالقوة عند اوبس Opis وزحف الى سبار التي استسلمت ثم هوجمت بابل نفسها واستسلمت دون مقاومة تذكر . وينسب هيرودتس ذلك الى خدعة الفرس بكسر نهر الفرات الذي يكون احد جوانب الدفاعات عن المدينة وخفض المياه فيه وبذلك جعل من الممكن عبور المجرى الرئيس مؤقتا . وليس هناك ما يدعو لرفض القصة ، ولكن لم تكن الاسباب الحقيقية التي ادت الى انهيار المدينة هي ضعف دفاعاتها بل وجود «رتل خامس» في داخل المدينة . فان تشكك نبونئيد لسيادة الاله مردوخ قد اثار ضده السخط على الرغم من ادعاءاته بأنه اعاد العلاقات الودية مؤقتا في احد نصوصه بعد عشر سنوات من اقامته في الخارج . وقد وجدت دعايات كورش ارضا خصبة بين المواطنين البابليين وغيروا ولاءهم الى الملك الفارسي ذي العقلية المتحررة ودخل المدينة التي لم يسمح بنهبها او سلبها او ان

يفسد مؤسساتها الدينية او ادارتها المدنية وعين ممثلا فارسيا حاكما عليها . وقدم قمبيز ابن كورش الاصغر الخضوع للالهة في عيد رأس السنة الجديدة في بابل حيث استلمت السلالة المنصب من الاله مردوخ وبذلك مارست الملكية على بلاد بابل ليس بحق الفتح فحسب بل بدعوة مقدسة ايضا .

وبذا انتهت اخرسلالةوطنية في بلاد بابل واشور فقد استمر الحكم الاخميني [الفارسي] حتى عام ٣٣١ ق م حيث وقعت بعد ذلك بلاد ما بين النهرين فيما تبقى من الالف الاول قبل الميلاد في ايدي السلوقيين [الاغريق] والارشاقيين [الفرثيين] وكانت اجزاء كثيرة من بلاد ما بين النهرين قد وقعت تحت الحكم الاجنبي المؤقت من قبل غير ان الفتح الاخميني جاء في وقت كانت هناك قوى جديدة يرتفع شأنها في الشرق الادنى القديم وكانت حضارة الالفين سنة القديمة في بلاد بابل تموت بغض النظر عن الاعتبارات السياسية . وقد سبقت الاشارة للشعور الذي كان يزداد حول عدم ملائمة مجمع الالهة البابلي ومحاولة نبونئيد الاصلاحية ، وهناك ادلة كثيرة من فترة العهد الاشوري الحديث لما يسميه فون زودن «الميل الى النزعة الدنيوية» . اضافة الى ذلك ، فابتداءمن مطلع الالف الثاني قبل الميلاد كان تأثير الاراميين يتغلغل في بلاد بابل اكثر واكثر سواء فيما يخص النظام الاجتماعي او اللغة . وفي الاول بالتأكيد على النظام القبلي والميل الى اضعاف اسس نظام دويلات المدن القديم ، وفي الثاني ، فقد كان من مزايا اللغة الارامية انها كانت اللغة الام لمجموعة من الاجناس البشرية اكثر انتشارا من مجموعة المتكلمين باللغة الاكدية . اما بالنسبة للكتابة فقد كانت الابجدية الارامية بحروفها الاثنين والعشرين اسهل بكثير كوسيلة للاتصال من المسمارية الاكدية بعلاماتها الستمائة ... وكانت الكتابة الارامية تستخدم احيانا حتى عندما كانت الاكدية المسمارية لا تزال تستخدم على الرقم الطينية كوسيلة اعتيادية لكتابة الوثائق القانونية نظرا لسهولتها وذلك لتعليم مثل تلك الرقم لاغراض حفظها . وكان بمقدور المتعلمين فقط وبعد دراسة سنوات طويلة من ان يسيطروا على المسمارية الاكدية . وظلت الكتابة مستخدمة بين هؤلاء المتعلمين للاغراض العلمية المحدودة لبضعة قرون اخرى . وفي عام ١٤٠ ق م اختفت نهائيا باستثناء استخدامها من قبل بعض الكهنة للاغراض الدينية لمدة نصف قرن اخر ، وبين الفلكيين . وبالنسبة للفلكيين فقد ظلت المسمارية مستخدمة حتى وقت المسيح .

القسم الثاني

التاريخ الاجتماعي والحضاري

الفصل السادس

اسس المجتمع البابلي واسلوب الحياة البابلية

طراز المجتمع السومري :

سبق وان حاولنا ان نبين ان الحضارة السومرية اكتسبت شكلها المميز في النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد في الفترة المعروفة بصورة عامة بعصور فجر السلالات . وقدمت الادلة التي تدفع للاعتقاد بأن هذا المجتمع كان قد تطور من خلال دور **جمدة نصر** عن الحضارة الزراعية المعروفة باسم **اوروك** التي ازدهرت في نهاية الالف الرابع قبل الميلاد . ولم تكن حضارة مستوردة من الخارج في جميع مظاهرها المهمة بل انها حضارة نشأت في بلاد ما بين النهرين . وعلى الرغم من التطور والتقهقر والتغير الذي حصل في كثير من التفصيلات وبصورة خاصة نتيجة الموجات المتعاقبة من الساميين المهاجرين ، غير ان النظم السومرية كانت قد تكيفت للمحيط الى درجة انها ظلت في كثير من اوجه الحضارة طالما ظلت الحضارة البابلية موجودة .

واحتفظت الحضارة البابلية باطار سومري وكثير من النقاط التفصيلية المميزة للفترات الاولى وذلك حتى نهاية الفترة التي ستكون مدار حديثنا .

ومن الواضح ان سكان ثقافة **اوروك** لم يكونوا اول من استوطن جنوبي بلاد بابل ، حيث من المؤكد انه سبقهم السكان الممثلين بحضارة **العبيد واريدو** . ويعتبر سكان الدور الاخير من قبل بعض العلماء ، كما سبق وان اشرنا ، اوائل السومريين Proto-Sumerians ، اي انهم كانوا الاصول الاولى للعنصر العرقي الذي انتسبت اليه بعد ذلك حضارة **اوروك** وانهم كانوا اول من استوطن على الارض البكر في البلاد التي اصبحت تعرف فيما بعد ببلاد سومر .

ولابد وان كانت هذه الاقوام قد استخدمت بعض الاساليب البدائية في تصريف المياه والري حيث لا يمكن زراعة الشعير ، وهو غلتهم الرئيسة ، بدون ذلك في جنوبي بلاد بابل . غير ان تنظيم القنوات واعمال الري على نطاق واسع لم يبدأ الا في حضارة **اوروك** بنتائجها التي لا تحصى بالنسبة لتقدم الانسان . وكانت مثل هذه الاعمال التي فرضتها الظروف المناخية على سكان بلاد سومر الاوائل من العناصر الاساسية التي اثرت في صياغة التكوين الاجتماعي حيث لا يمكن انجازها بصورة كفوءة الا من قبل وحدات بشرية كبيرة يقوم اعضاؤها بجهود مشتركة منسقة ، ولا يمكن الحصول على نتائج مفيدة بالجهود غير المنسقة للعوائل المنفردة في قرى الاهوار الصغيرة . وما ان تمت الخطوات الاولى الا واعقب ذلك زيادة سريعة في عدد السكان نتيجة الفائض في المواد الغذائية التي اصبحت متوفرة آنذاك . ولذا فقد كان من مثل هذا التعاون ، اي بتفوق الوحدات الكبيرة على العائلة او العشيرة وبالعمل على مساحات من الاراضي واسعة نسبيا ، ان نشأت دويلة المدينة . ومن النتائج الطبيعية ان التكوين الاجتماعي قد اعتمد على ذلك وليس على العائلة او العشيرة (كما هي الحال في المجتمعات السامية بصورة عامة) .

وقد ادى نشوء دويلة المدينة ، المعتمدة في النهاية على الري الى تطورات في اتجاهات مختلفة اخرى لا يمكن الحديث الا عن البعض منها في هذا المجال . ففي جنوبي العراق لا قيمة للارض بدون حق استخدام مياه الري وان

اقطاع اي قطعة من الارض يفترض معدما الحق في الري . ولكن الاهمال في استخدام قنوات الري قد يجلب الدمار على اراضي اعضاء اخرين في المجتمع . لذا كان من الضروري وضع قواعد لاسلوب استخدام قنوات الري وضمان حسن اتباعها . وهكذا كان ذلك احد الاسباب التي ادت الى ظهور التشريعات المعروفة والنظم الادارية وايجاد نظام الشرطة البدائي على هيئة مفتشي قنوات والذي عرف فيما بعد كوكالو Gugallu . وان تفجر شواطىء الانهار وقت فيضانات الربيع الذي يؤلف تهديدا دائما للبلاد حتى منتصف القرن العشرين بعد الميلاد ، قد يزيل علامات الحدود الدالة القديمة الخاصة بالحقول . وكان ذلك حافزا بديهيا لتطور علم الهندسة والمساحة . كما كان للحاجة المستمرة للكفاح ضد المياه اثرها في الميثيولوجيا حيث كان الكائن البدائي تيامة الذي تغلبت عليه اخيرا : الالهة العظام اولاد تيامة هو البحر . ويمكن للانهار ان تكون مفيدة غير ان تصرفاتها كانت تبدو تعسفية . فلم يكن بالامكان التنبؤ (بالنسبة للسومريين) بموعد ارتفاعها الذي يعتمد على ذوبان الثلوج على جبال ارمينيا وعلى سقوط امطار الربيع في احواض الزابين . اضافة الى ذلك ، فان الموسم الذي تحدث فيه الفيضانات لم يكن ملائما ، كما كان في مصر ، تماما للفلة . وقد انعكس عنصر عدم التأكد هذا والقلق الدائم حول نتاج الارض في الديانة السومرية ، وبصورة عامة في نظرة البابليين بعد ذلك للحياة . وكنتيجة اخيرة لظهور دويلة ــ المدينة يمكن ان نذكر ان المركزية قد جعلت من الممكن القيام بمشاريع معمارية على نطاق واسع واصبحت الزقورة او الصرح المدرج ، وفي بعض الحالات ظلت ، من اهم العلامات الدالة في المدينة السومرية (انظر لوحة ٣أ و٣ب) .

ان من نتائج استخدام وسائل الري المتطور هي ، كما اشار الى ذلك احد مهندسي الري ، انتقال المناطق الزراعية من اقليم الدلتا الى سهول النهر . وهذا ما حدث بالضبط . فقد كانت اقدم المستوطنات في سومر ، كما تشير الى ذلك الاخبار السومرية وتدل عليه الادلة الاثارية ، مدينة اريدو على ضفاف هور متصل بالخليج العربي . وكان هذا الموقع قد اجتاز قمة اهميته في الفترة المعروفة بعصر فجر السلالات الاول (حوالي ٢٨٠٠ ق م) بينما كانت مدينة الوركاء مركزا حضاريا مهما في التاريخ السومري الاول . وربما انعكس التغيير

الناتج عن تطور فنون الري في الاسطورة السومرية الخاصة بزيارة الالهة انّن Innin الى ابيها انكي Enki (انظر صفحة ٥٣).

وهناك قليل من الحواجز الطبيعية التي تعرقل المواصلات في بلاد سومر . وقد كان هناك بدون شك وحدة ثقافية تلفت النظر منذ فجر التاريخ في ارجاء البلاد* ولا يبدو ذلك في وحدة الطرز المعمارية وتشابه النظم السياسية والدينية فقط ولكن ايضا بحقيقة ان الكتابة ما ان اخترعت حتى انتشرت بسرعة في جميع مدن بلاد سومر ليس بمبادئها العامة فقط بل بتفاصيلها ايضا . وليس من قبيل الصدف ان نجد قوائم العلامات في المدن المختلفة واحدة اساسا في كل مكان .

سبقت الاشارة (انظر صفحة ٥٤) الى نظرية جاكوبسون المقبولة على نطاق واسع ان اولى الانظمة السياسية في بلاد ما بين النهرين كانت الديمقراطية البدائية . ويعني جاكوبسون بهذا المصطلح شكلا من المجتمع تكون فيه السلطة النهائية بيد مجلس عام يضم جميع الاحرار البالغين . ولا يمكن اثبات هذه النظرية بشكل مباشر طالما ان الفترة التي يعتقد انها تعود لها انتهت قبل ان تستخدم الكتابة لامور اكثر من الاشكال البسيطة من تسجيل الواردات . غير انه يمكن استنتاج هذا النظام من الاساطير والملاحم في الاداب السومرية والبابلية المتأخرة شريطة قبول الافتراض ان نظام الالهة لابد وانه انعكاس لنظام مجتمع البشر كما كان في الذاكرة عن الوقت الذي تبلور فيه ذلك المجتمع . ومن المؤكد ان الملاحم ، رغم انها لم تكتب في شكلها الحالي المعروف قبل بداية الالف الثاني قبل الميلاد ، تعكس فترة اقدم بكثير ، فترة لم تكن فيها المدن قد زودت بالاسوار الدفاعية واعدت لحروب الحصار،واستنادا الى الادلة الاثارية فقد تكون هذه الفترة خلال مئة سنة من ٢٨٠٠ ق م . ففي الاساطير ، عندما كانت تتخذ القرارات كانت تمر بمراسيم خاصة حيث يجتمع الالهة ذكورا واناثا في مجلس عام وبعد ان يكونوا قد شربوا بحرية بحيث اصبحت قلوبهم مفتوحة ،

* : ان المقصود هنا هو الوحدة الثقافية وليس الوحدة السياسية حيث عرقل الاخيرة حقيقة ان معظم المدن كانت في هذه الفترة المبكرة محصورة بين اراضي قاحلة .

يطرح الموضوع احد الالهين الرئيسيين ثم يطرح الموضوع للنقاش العام . ولكل اله حاضر ان يبين وجهة نظره على الرغم من ان الواضح انه كان هناك مجموعة من الالهة كانت كلمتهم ذات وزن اكبر . وبعد ان تظهر وجهة نظر عامة نتيجة المداولة ، يقوم الالهين الرئيسيين بصياغة القرار ويعرضانه على المجلس الذي يوافق اعضاؤه عليه اذا كان الالهين الرئيسين قد بلورا فعلا شعور المجتمعين ، بالاجماع : كذا يكون . وان هذا المجلس هو الذي يفترض انه يعكس في النظرية المجلس السومري المحلي في نيبور الذي يفترضه جاكوبسون .

وتعكس الملاحم ظروف فترة اعقبت ذلك قليلا عندما كانت تحصينات المدن قد نشأت لاول مرة والتي كانت ، استنادا الى الادلة الاثارية ، حوالي ٢٧٠٠ ق م . وان زيادة حجم السكان والمدن ونمو العلاقات التجارية على نطاق واسع مع اماكن بعيدة ادت في النهاية الى ظهور المنافسة السياسية والاقتصادية وفتح الطريق للمنازعات حول الاراضي الاروائية والسيطرة على الطرق التجارية بينما ساهم استعمار الاراضي البعيدة في انهيار نظام الشورى القومي القديم . وكانت الهجرة السامية تؤلف عاملا فعالا اخر في خلق الاوضاع ادى الى ظهور العلاقات الحربية بين المدن والى بناء تحصينات المدن ذات العلاقة فكان المهاجرون الساميون يدخلون سومر عن طريق حافة الصحراء الى الغرب منذ اقدم العصور ، ولكن يجب ان نتصورهم وهم يفدون الى البلاد في مجموعات عائلية صغيرة منفردة تكيف اعضاءها سريعا على الثقافات الاكثر تقدما التي تمتعوا بها حينئذ وليس كموجة كبيرة كاسحة . وقد اندمج هؤلاء الساميون المهاجرون الاوائل اندماجا كليا تقريبا . ويمكن ان يلاحظ تأثيرهم الدائم في التغييرات التدريجية في المجتمع بصورة عامة فقط وليس بظهور طبقة جديدة . فليس هناك اثر مثلا للتمايز الطبقي في المجتمع بين مجموعة الفلاحين المحليين وبين مجموعة الرعاة الوافدين ، ومع ان احد امثلة ادب الحكم السومري المقرون بمقدمة اسطورية يشير حقا الى صراع فعلي بين الراعي والفلاح (انظر صفحة ٤٦.١) غير ان النقاش يتعلق بفائدة منتجاتهم فقط وليس بطبقتهم الاجتماعية او اصلهم ، فكلاهما يتضرع الى الالهة انن ، ورغم ان احدهما قد فضل على الاخر الا ان القصة تنتهي بالمصالحة بين المتنافسين .

وبينما يتفق معظم العلماء الان على انه من الخطأ محاولة النظر الى تاريخ

الالف الثالث قبل الميلاد بمنظار الصراع القومي بين السومريين والساميين ، الا انه يبدو صحيحا ان تغلغل الساميين قد قدم افكارا تعارض مبادىء المجتمع السومري الاساسية ، ولعل ذلك قد سبب في الاختلاف بين المدن التي تضم عناصر سامية كبيرة وتلك المحمية من جميع ضغوط المهاجرين الساميين . واول الامثلة على الحروب بين المدن هو حصار الوركاء في عهد حاكمها جلجامش (وعهده قديم الى درجة انه كان يعتبر في العصور التالية بان ثلثية مقدس) وكان خصم جلجامش هو اجا ملك كيش ، وهي مدينة شمالية كانت معرضة اكثر من الوركاء لضغوط المستوطنين الساميين القادمين من الغرب .

والحرب تخلق اوضاعا تحتاج الى تفويض قائد او ملك وفي الملاحم كان قد تم تفويض الحاكم . وتشير الاساطير ان المجلس كان قد عين اصلا ملكا لفترة الطوارىء فقط وانه كان بالامكان سحب تلك الهبة بعد ذلك ، وهناك اشارة الى اختيار الملك من قبل مجلس بشرى حقيقي في حدود ٢٣٠٠ ق.م. ومع ان بعض العلماء قد انكروا ان هذه الأخبار المفترضة تتعلق بحادثة تاريخية ، فان الادلة الحديثة تشير الى ان شكوكهم تلك لم تكن في محلها .

وكان الحكم الشخصي يحتاج الى موافقة الاله ، التي قد تسحب في اي وقت . لذا فعلى الرغم من ان السلالات كانت معروفة منذ عصر فجر السلالات (ومن ذلك اشتق الاسم) الا انه لم يكن هناك مبدأ الوراثة . ومع انه كان لابن الحاكم افضلية كبيرة وواضحة عندما تثار قضية اختيار الوريث ، فان ذلك كان بسبب ان اعضاء اسرة الحاكم كانت لهم عادة خبرة في ادارة المعابد الثانوية التي كانت علاقة الهتها بالاله الرئيس في المدينة مشابهة لعلاقتهم بالحاكم . ومع ذلك ، فقد كان على كل حاكم ان يحال الى الاله للموافقة وهناك امثلة كثيرة للاستثناءات التي اصبحت فيما بعد العادة الغالبة للخلافة الوراثية . ونظريا ، ربما كانت الطبيعة المؤقتة للملوكية معروفة حتى النهاية في بلاد بابل (ولو انها لم تكن كذلك في بلاد اشور) ويستند هذا الاستنتاج (الذي لا يوافق عليه جميع العلماء) بشكل رئيس على حقيقة انه في عيد راس السنة الجديدة في كل ربيع كان على الملك البابلي ان يسلم شارات ملكه ويقدم الاعتراف ومن ثم يعاد تنصيبه من قبل الاله . وقد سبق ذكر ومناقشة تحديد فترة سلطة الان En او الملك ــ الكاهن في عهد الملاحم (انظر صفحة ٥٣) .

وكانت المدينة واراضيها بجميع سكانها تمثل مقاطعة اله المدينة ، وكان الحاكم او الملك ــ الكاهن . (الذي يمثل جلجامش شكله الاول) وكيله .

وقد خلقت الالهة الانسان ليخدمها ، لذلك فقد كان المواطنون الاحرار ــ اصطلاحا «خدام الاله» . وهناك كثير من الفقرات التي تويد هذا القول ولكنها موضحة بشكل يلفت النظر باسطورة سومرية اشرف على نشرها جاكوبسون في (Journal of Near Eastern Studies, V (1946), 136-7) ففي هذه الاسطورة ، فصل انليل السماء عن الارض وضمد جرح الارض في نقطة الاتصال السابقة ، التي كانت في مدينة نيبور حيث كان اسم مكان المعبد دور انكي Dur anki اي رباط السماء والارض ، ثم بعد ان تم ذلك :

السيد ... حفر بمعوله في ، 'نتيجة البشر' [الارض] ، وفي
الحفرة (التي حفرها) كانت طليعة الانسان ، (و) بينما كان
(سكان) بلاده يخترقون الارض نحو انليل ، راى وادي
الرؤوس السود [البشر] بزى ثابت ، وخطت اليه الانونانكي
[احدى مجموعتي الالهة الرئيسة] ...
ورجت منه [من انليل] ذوي الرؤوس السود .

فكان الواجب الرئيس لمواطني دويلة المدينة السومرية اذن هو ان يخدموا مقاطعات المعبد ، او ، الانسي ، [حاكم او امير المدينة] الذي كان يعني نفس الشيء من وجهة نظر القدماء ، وهو الانسان الذي كان وكيلا للاله . ومقابل ذلك ، اقطع كل مواطن قطعة من مقاطعات الاله ، اي من اراضي المعبد . وتختلف حجم قطعة الارض المقطعة استنادا الى مركز المستاجر . وكانت مساحة اصغرها لا تقل عن اكر واحد ومساحة اكبرها تزيد على مائة اكر ولو ان حقوق الاقطاعات الكبيرة كانت تمثل انحرافا عن النظام القديم . وكان من الصعب القيام بجميع الاعمال المطلوبة في مثل هذه الاقطاعات الكبيرة من قبل المالك وافراد اسرته ، ولابد وانهم استخدموا في بعض الحالات الرجال الاحرار الفقراء او في الفترات التالية الرقيق . ولم يكن الاختلاف في حجم الاراضي المقطعة بين اعضاء الحرف المختلفة فحسب بل وكذلك بين اعضاء الحرفة الواحدة ولا تعرف اسباب اختلاف المعاملة بالنسبة للاشخاص المتساوين ظاهريا . ومن المحتمل انه كان هناك نظام لتخصيص الاقطاعات للعوائل اضافة الى اعتبارات اخرى . ويستدل عل هذا الاحتمال (وفي الوقت الحاضر لا يمكن اعتباره اكثر من ذلك) من نص خاص بالمراسيم المتخذة عند زواج مارتو ، اله الاقوام السامية الاصل من فتاة من مدينة كازالو Kazallu الذي يذكر انه :

ضاعف الهدايا للرجل المتزوج ،
وضاعف ثلاث مرات الهدايا للرجل ذي الاطفال ،

واعطي للعازب نصيبا واحدا .

وكان من الممكن ان يمتلك الرجل الحر بيته ، ومن المحتمل انه كان بيتا بسيطا ، عبارة عن كوخ من الطين شبيه بالصريفة التي لا زالت تستخدم من قبل افقر الطبقات في العراق ، مع حديقة صغيرة ملحقة به وان النص الخاص باصلاحات اوروكا جينا قبيل السلالة الاكدية يفترض ذلك حيث يذكر انه باستثناء سلب الشرير والقوي ، حتى الفقير كان له بيتا .

ومن الواضح ان في اواخر عصور فجر السلالات ، عندما تزداد معلوماتنا نسبيا ، كان الجزء الاعظم من الاراضي مملوك من قبل المعابد . وربما كانت المعابد في الفترات السابقة لذلك المالك الوحيد للاراضي (ولو ان بعض العلماء السوفيت لا يقبلون هذا الاستنتاج) . ويلمح اوروكا جينا الى ذلك عندما يحاول في حديثه عن الاصلاحات التي اراد تطبيقها (انظر صفحة ٦٤) ان ملكية الأرض من قبل الملك والملكة والامراء كانت غير عادلة وضد رغبة الالهة وكان لابد من معالجتها فبعد ان كان سابقا :

'بيت الانسي متصل بحقول الانسي ، وبيت زوجة (الانسي) (متصل) بحقول زوجة (الانسي) ، (و) بيت اولاد (الانسي) متصل بحقول اولاد (الانسي) '

فقام اوروكا جينا باتخاذ الخطوات :

فجعل الاله ننجرسُ (اله مدينة لجش) سيدا في بيت الانسي (و) حقول الانسي ، وجعل (الالهة) باوا ، سيدة في بيت زوجة (الانسي) (و)حقول زوجة (الانسي) . وجعل الاله شلشاكانا سيدا في بيت اولاد (الانسي)(و) حقول اولاد (الانسي) '

وتمشيا مع نفس المبدأ ، فقد وصفت اراضي السقي الواقعة بين لجش واوما والتي سببت نشوب صراع وصدام حربي بين المدينتين بانها 'حقول ننجرسو المحبوب ' .

وكانت فكرة نشوء ونمو ملكية الاراضي الخاصة من احدى النقاط التي يمكن ان يلاحظ فيها تاثير الاقوام السامية المهاجرة . فحتى في الفترة السابقة للسلالة الاكدية وجدت العقود الخاصة ببيع الاراضي في المدن الشمالية حيث كان هناك عنصر اكدي (سامي) قوي وما عدا بعض الاستثناءات من هذا النوع كانت ملكية الاراضي الزراعية نادرة في بلاد سومر وغير شائعة حتى فترة سلالة اور الثالثة . وقد بين كِلب I.J. Gelb ان النص الذي كان يوخذ على انه نصب مانشتوسو ، ثالث حكام سلالة اكد ، ويبدو بانه يشير الى وجود ملاك

لمساحات واسعة من الاراضي انذاك ما هو الا نص مزور من العهد البابلي القديم .

وكانت اراضي المعبد الزراعية مقسمة الى ثلاثة اقسام ، كان الغرض من احدها الذي يعرف 'بحقول السيد' . هو توفير حاجات الطقوس واقتصاد المعبد الزراعية . اما البقية فكانت توزع على شاغلي ممتلكات المعبد اما على هيئة الاقطاعات التي سبق ذكرها ومقابل خدمات تقدم الى الاله (حقول الادامة) او 'حقول العمل' ، اي الاراضي المؤجرة مقابل نصيب من الحصاد . وفي فترة عصور فجر السلالات كانت هذه الاجرة منخفضة الى سبع او ثمن الغلة بينما ارتفعت في فترة اور الثالثة الى ثلث الغلة واضافة الى الاراضي الزراعية والحدائق الخاصة كانت هناك مساحات واسعة من اراضي المستنقعات على طول الانهار والاهوار حيث يمكن للماشية ان ترعى وللخنازير ان تعيش واراضي الريف حيث كانت الحمير والاغنام تجد بعض ما تقتات به بعد امطار الشتاء .

ان تبادل المصطلحات اعلاه قد يشير الى ان دولة المدينة والمعبد كانا مترادفين ، وربما كان ذلك هو الحال في بداية عهد المجتمع السومري المتمدن (ولو ان علماء السومريات السوفييت لا يقبلون بهذا الاستنتاج) ولكن في الفترة التي جاءت الينا منها معلوماتنا الرئيسة ، كانت المدينة تضم عادة اكثر من مقاطعة معبد واحد فمدينة لجش مثلا التي لدينا معلومات وافية عنها كانت تتالف من اربع مدن او مقاطعات كل واحدة منها متمركزة حول معبد او مجموعة معابد ، ويبلغ مجموع المعابد المعروفة (بالاسم) في عهد الحاكم جوديا عشرون معبدا . (اي ما يقرب من ضعف العدد الذي كان موجودا في عهد سلالة اور الثالثة بعد ذلك بفترة قصيرة) . ولكن كانت معظم هذه المعابد عبارة عن مصليات صغيرة في احد المعابد الرئيسة ، وكان ننجرسو هو رئيس الالهة والاله الحامي في المدينة وترتبط به بعلاقات عائلية الالهة الاخرى .

وكانت باوا Bawa زوجة الاله ننجرسو المقدسة . وقد ضم معبدها في لجش ما مجموعه احد عشر الف اكر من الاراضي الزراعية . وكان هناك ثلاث مقاطعات رئيسة خاصة بالمعابد في مدينة لجش . وقد تم احتساب الورادات وتبين بان المعابد كانت تستلم حبوبا من اراضيها اكثر بكثير مما كانت تحتاج اليه للجرايات والبذور ، وكان معظم الفائض يصدر ، غير ان عنابر المعابد كانت تولف احتياطيا ذو قيمة بالغة للمجتمع ضد النقص في الاشهر التي تسبق موسم الحصاد الجديد ، او ضد النقص في الغلال في اي وقت كان . ويمثل هذا مثالا مشابها الى قيام الفرعون بادخار الحبوب مخافة المجاعة المتوقعة في

قصة يوسف (سفر التكوين : الاصحاح : ٤١ : ٣٣ ــ ٣٦) وكانت مخازن المعابد التي يمكن التعرف على بقاياها في عدد من المواقع التي اجريت فيها التنقيبات ، تضم مختلف انواع التجهيزات ولابد وان نتصور منطقة المعابد بانها كانت كالخلية في نشاطها التجاري . فقد كان يجلب اليها جميع ما تنتجه اراضي المعبد من حبوب ومخضرات واسماك مجففة وجبن وتمر وسمسم لاستخراج الزيت وصوف وجلود للدباغة وقصب للبناء . وكانت بعض هذه المواد (وخاصة الحبوب والزيت والصوف) توزع كجرايات على الاشخاص العاملين في مقاطعات الاله ، بينما استخدمت الاخرى اما لخدمة المعبد كما هي او صنعت الى منتجات صناعية وكان مصير البعض منها التصدير . وكان ينقص بلاد سومر ثلاث مواد خام رئيسة هي الاخشاب (باستثناء اشجار النخيل) والاحجار والمعادن . ومنذ عهود مبكرة كان لا بد من الحصول على هذه المواد من الخارج . ففتحت الطرق التجارية الرئيسة منذ العهود السومرية ومنذ الفترة التي تعود اليها ملحمة انمركار Enmerkar (ربما حوالي ٢٧٠٠ ق.م) كانت القوافل التجارية تذهب من بلاد سومر الى الجبال الايرانية محملة بالشعير من فائض السهول الخصبة وتعود باللازورد وغيره من الاحجار شبه الكريمة لتزيين المعابد . وقد شرح هذا الموضوع بشكل مفصل في مكان اخر . ويكفي هنا ان نلاحظ ان الحصول على مثل هذه الواردات كان بواسطة البعثات التجارية . وكان يعطى مقابلها فائض ما تنتجه مقاطعات المعبد ولا سيما الحنطة والصوف (اما كمادة اولية او مصنعة الى اقمشة) والاطعمة كالبصل والتمر والمصنوعات السومرية كالالات والاسلحة والحلي . وكان التاجر او قائد القافلة من الاعضاء المهمين في المجتمع وكان كغيره من المواطنين في خدمة اله المدينة حيث كان له ايضا حصة في الاراضي المقطعة من ممتلكات الاله .

وقد مكنت شبكة القنوات التي فتحت في الفترة السومرية واتسعت بعد ذلك من نقل كميات كبيرة من البضائع من دولة مدينة الى دويلة مدينة اخرى وبذا اعطت طابعا لاسلوب التجارة البابلية الداخلية . وكان الاتصال بين الاجزاء المختلفة في دويلة المدينة او بين دويلات المدن المختلفة سهلا بواسطة النهر وفي الواقع ان الوسائل البرية ايضا لم تكن لتخلق صعوبة كبيرة في معظم الاحيان . ويتفاخر الانسي شولكي في ترنيمة بانه اولى اهتماما للمواصلات في بلاده قائلا :

ذهبت خلال الطرق التجارية في البلاد
(وصنعت) حماية للطرق وانشأت قلاعا هناك .

ووضعت حدائق على الجوانب ، وانشأت دورا ستراحة
وسمحت للاشخاص المحترمين بالبقاء هناك .

وكان يمكن للسفر ان يكون سريعا بشكل مدهش ويدعي شولكي انه احتفل بعيد الايش ـــ ايش في مدينة اورونيبور في اليوم نفسه . ويتضمن ذلك سفرة طولها اكثر من تسعين ميلا . وبدون شك فان ذلك كان استثناء وربما كان ممكنا بواسطة سفينة شراعية مع ريح قوية واعصاب قوية طالما ان شولكي يشير الى عاصفة قوية . :

في ذلك اليوم هبت عاصفة مدوية ، وضربت ريح قوية ...
وقد لفح البرق والرياح السبعة جميع السماوات ...
وصرخ اشكر Ishkur [اله الجو] في السماوات ،
واحاطت احشاء السماء مياه الأرض ،
وضرب على ظهري برد كبير وبرد صغير .

وتظهر اشارة شولكي لبناء القلاع نتائج اخرى للتجارة بين المدن في سومر ، فلم تكن اي دويلة ـــ مدينة في موقف يمكنها من حماية الطرق التجارية التي اعتمدت عليها رفاهية الجميع ، وكان ذلك حافزا للتوسع السياسي من قبل الدويلات الاكثر ثراء وقوة . لذا ، فقد كانت التجارة عاملا في خلق الادارات الموحدة والانظمة السياسية التي عملت على نمو ما يوسم حاليا بالاستعمار الذي وصل الى اقصى درجات الوضوح في الالف الثالث قبل الميلاد في عهد سلالة اور الثالثة . كما ساعدت التجارة منذ اقدم العصور على انتشار ـــ الثقافة السومرية الى خارج حدود بلاد سومر نفسها بكثير . لذا فقد عثر في تل براك في شمال سوريا على معبد من العهد الشبيه بالكتابي (حوالي ٣٠٠٠ ق م) شيد على مخطط المعابد السومرية نفسها وضم موادا وتزيينات مشابهة بينما عثر على معابد من عصور فجر السلالات في كل من اشور وماري تضم تماثيل على الطراز السومري .

وقد سبقت الاشارة اعلاه (صفحة ٥٥) ان الملك الكاهن الذي كان يعرف في الفترات الاولى إن En كان يعيش اصلا في معبد الاله في مكان يسمى اكيبار Egipar وكان الممثل المباشر للاله . وطالما كان هناك ملك بابلي (او اشوري) فقد ظل ممثلا عن الاله في بعض النواحي ويمارس بعض الاعمال الكهنوتية ، ومع ذلك فان نظام الملكية لم يتطور من وظيفة الإن En مباشرة . ففي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد ، حيث تزودنا الوثائق بمعلومات مفصلة عن الظروف والاحداث في بلاد سومر وبصورة خاصة في مدينة لجش ، كان

الموظف الذي يطلق عليه انسي Ensi (انظر صفحة ٦١) هو المسؤول امام الاله عن ادارة المعابد ومقاطعات المعابد والمدينة بصورة عامة . وبينما كان لكل معبد ملاكه الخاص من العاملين الذين كانوا يعرفون عادة باسم ، اشخاص الاله فلان ، وادارته الخاصة فقد كان جميعهم في النهاية تحت سيطرة **الانسي** . وكانت الغلال الوفيرة التي تنتجها تربة جنوبي بلاد بابل الخصبة بتاثير مشاريع الري قد فسحت المجال للتخصص الى درجة كبيرة ولتقييم العمل . وقد ذكرت اعداد كثيرة متنوعة من اصناف العمال واصحاب الحرف والمهن في النصوص . وبدون اعطاء قائمة شاملة لذلك ، لابد من ذكر بعض العمال كبنائي الاجر والنجارين والحدادين والنقارين والغزالين والنساجين والقصابين والطباخين وصانعي البيرة والخبازين والفخارين والجواهرية والحلاقين اضافة الى اولئك العاملين في الاعمال الزراعية البحتة في اراضي المعبد . والصنف الاخير مقسم بدوره الى مجموعات متخصصة فالى جانب العمال الاعتياديين هناك القائمين بالحراثة والرعاة ورعاة البقر ورعاة الخنازير والبستانيين في بساتين النخيل والمخضرات . وحيث ان الاسماك كانت من المواد الغذائية المهمة في الفترات الاولى ، فقد وجدت اعداد كبيرة من صيادي الاسماك بين ملاكات المعابد وكانوا مصنفين الى سماكي المياه العذبة وسماكي البحر ، وسماكي المياه المالحة ، اي اولئك الذين يعملون في اهوار المد والجزر في دلتا دجلة والفرات . وكان لمعبد الالهة فقط اكثر من مائة سماك . وتشير نفس النصوص الى ان عدد جميع القوى العاملة في مقاطعات هذه الالهة في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد كان قد وصل الى حوالي الف ومائتين بما في ذلك العمال . فاذا اضيف عدد الزوجات والاولاد وافترضنا ان ملاكات بقية المعابد كانت على نفس المقياس نصل الى مجموع لا يقل كثيرا من مجموع عدد سكان مدينة لجش باجمعهم . وقد ذكر نص من عهد جوديا بان عدد سكان لجش كان ٣٦٠٠٠ الذي يجب ان لا يعتبر الا بانه صحيح رغم انه رقم مثالي (٣٦٠×١٠) ، لذا كانت القوى العاملة في الواقع تولف المواطنين انفسهم ، ولم يكن هناك طبقة كبيرة مترفة بعيدة عن الاهتمام بواجبات الحياة اليومية . ولا اعتماد رئيس على الرقيق باستثناء ما يقصد من ان كل فرد بما في ذلك الحاكم نفسه كان يعتبر عبدا في مقاطعات الاله . وحيث ان جميع اقتصاد دويلة المدينة كان يعتمد على الري وان جميع المواطنين كانوا يعتبرون عبيدا للاله على حد سواء ومسؤولون عن حسن ادارة ممتلكاته فقد كان جميع الرعايا معرضين للتجنيد والمشاركة في اعمال السخرة الخاصة بالسدود والقنوات وكذلك بناء

المعابد . وقد ظل ذلك متبعا نظريا حتى نهاية الفترة موضوع بحثنا حيث قام الملوك الاشوريون واولادهم حتى اواسط الالف الاول قبل الميلاد بالمراسيم الخاصة بحمل السلال على الرأس ذات العلاقة يمثل هذه الاعمال (انظر لوحة ١٨ أ للتمثيل السومري لهذه الاعمال) .

«الرقيق»

مع انه كان هناك رقيق (بالمعنى الاعتيادي) الا انهم لم يؤلفوا الاغلبية بين السكان ولم تعتمد عليهم اعمال كل المجتمع اطلاقا . ففي عصور فجر السلالات لم يولفوا عنصرا اجتماعيا ذو اهمية وكانوا يتالفون بالدرجة الاولى من اسرى الحرب . وكان يتم الحصول على مثل هؤلاء الرقيق في العهود الاولى من خلال الاغارة على المناطق الجبلية . لذا كانت العلامة الرمزية التي تمثل «الامة» في الكتابة تعني اصلا 'امرأة من الجبل ' .

ولا يعرف بالضبط متى بدأ احتمال صيرورة المواطن الحر عبدا . ولكن هناك حالات معروفة منذ عهد سلالة اور الثالثة (اي حوالي ٢١٠٠ ق.م) عن مواطنين احراراكوالى العبودية اما بسبب بيع انفسهم نتيجة الديون او الجوع او بسبب القبض عليهم من قبل الدائنين او انهم بيعوا اطفالا من قبل الوالدين الذين ضربهم الفقر المدقع . وقد اصبح ذلك شائعا جدا منذ عهد لارسا (حوالي ١٩٠٠ ق.م) وربما نتيجة للازمات الاقتصادية الناتجة عن توغل الامورّو (الاموريين) الذي كان مستمرا انذاك . اما في عهد سلالة بابل الاولى ، فما يفهم من قانون حمورابي ان المصدر الرئيس للرقيق كان الاستيراد من الخارج عن طريق التجارة وليس من اسرى الحروب .

ويبدو ان عدد الاناث من الرقيق في العهود السومرية كان اكبر من عدد الذكور وما عدا الاستعمال البديهي للشابات والجميلات منهن فقد كان عملهن الرئيس في مطاحن المعبد وفي المحلات التي كانت تتم فيها عمليات الغزل والنسيج . وكان جميع الرقيق تقريبا مملوكين في عصور فجر السلالات من قبل المعبد او القصر وكانوا يسكنون بمجموعات عمل في احياء سكنية خاصة اقرب شبها بمخيمات عمل سيء الحظ عند النازيين والسوفييت . غير ان ملكية الرقيق الخاصة تطورت تدريجيا . وقد قدر ان معدل ما كان يملكه بيت حر في الالف الاول قبل الميلاد في بلاد بابل بين اثنين الى ثلاثة ارقاء بينما كان ما يملكه البيت الاشوري يتراوح من ثلاثة الى اربعة .اما الاماء ، فكن يستخدمن كجوارى من قبل الذكور من افراد العائلة غير ان الفتاة التي كانت تباع امة

كانت تصان احيانا من العهر بشرط يدون في عقد البيع نص على تزويجها من رجل ، وعادة يكون رقيقا اخر على الرغم من انه كان يحدث احيانا ان تتزوج من رجل حر . كما كان بالامكان اشتراط الزواج لعدة مرات فيما اذا توفي الزوج الاول والازواج التالين .

ولم تكن العبودية في بلاد بابل نظاما طبقيا مقفلا بل كان من المحتمل ان يقع الاحرار في العبودية كما كان بامكان الرقيق ان يحصل على حريته . ولم يكن زواج العبد من امرأة حرة غريبا . وكان للرقيق ان يحصل على ممتلكات يمكن بواسطتها (ان وافق سيده على ذلك) ان يشتري حريته الخاصة ومع ذلك فاذا ما توفي رقيق آلت ممتلكاته الى سيده .

ويبدو انه ليس هناك اي دليل يثبت ان الارقاء كانوا يحملون علامات مميزة في الفترة السومرية الاولى ولكنهم كانوا يميزون (كما يرى البعض) منذ العهد البابلي القديم وربما قبل ذلك بفترة ليست بالقصيرة باسلوب قص الشعر او بارتداء سلسلة خاصة (كما يفترض البعض في ترجمة معنى الكلمة ذات العلاقة) كما ان هناك في الغالب ايضا نوع من العلامة توسم اوتكوى بالنار على وجه او ظهر اليد وكان احتمال وضع مثل هذه العلامات على الرقيق المعروف بمحاولاته في الهرب او مثل هذا الرقيق يمكن ان يقيد ويوشم على جبينه عبارة «رقيق آبق ، اقبض عليه» ، وقد ورد ذكر رقيق كتب اسم صاحبه بلغتين على ظهر يده . ومع ذلك فاننا نصادف تعليم الرقيق غالبا بين طبقة من الناس اصبحوا ذي اهمية كبيره في بلاد بابل في الالف الاول قبل الميلاد . وكان هؤلاء يضمون الاشخاص المكرسين للمعابد ومنهم اسرى الدولة في الحروب والرقيق المنذرين او المورثين للمعبد وكذلك اشخاص من مولد حر كاللقطاء المنتشلين واطفال الوالدين الفقراء الذين كانوا يعطون للمعبد وقت المجاعات لانقاذ حياتهم .

التبني والرضاعة .

ومع ذلك لم تكن العبودية هي النهايةالمحتوية للايتام واطفال الفقراء المعوزين . فقد يتبنى مثل هؤلاء الاطفال من ليس لهم اطفال كوريث لهم . وهناك قواعد قانونية لمثل هذه الحالات في القوانين القديمة . كما عثر على العديد من الوثائق الخاصة بالتبني من هذا النوع . واحدى هذه الوثائق تذكر :

يا ختي — ايل هوابن خيلّلالم والسيدة اليتم
سيفيد من فوائدهم ويقاسي من الامهم . واذا قال خيلّلالم ابوه

او اَليتم امه الى ابنهم
ياختي ــ ايل :
انت لست ابننا ، يخسرون البيت والاثاث . واذا قال
ياختي ــ ايل الى خيلّلالم اباه
والسيدة اليتم امه :
انت لست ابي ، انت لست امي ، فلهم ان يحلقوا راسه
ويبيعوه بالفضة .

(بالنسبة) الى خيلّلالم والسيدة اَليتم ، فمهما كان عدد الاولاد الذين سيحصلون عليهم فان ياختي ــ ايل هو الوريث . وسياخذ من بيت خيللالم اباه خصة مضاعفة (عند قسمة التركة)

ويقتسم اخوته الصغار (البقية) بالتساوي .

ولا يجد المرء في العالم القديم ضمانا اجتماعيا كما نعرفه اليوم . ولكن هناك دلائل (ماعدا ما ذكر قبل قليل) انه كان بامكان الفقير والضعيف ان يجد المساعدة والحماية . فمنذ وقت مبكر ، منذ عهد اوروكاجينا قام هذا الحاكم بوضع احكام لحماية الفقير والضعيف ضد الغني والقوي بحكم مهنته . كما ان قوانين الفترات التالية نسبت اما بشكل صريح او غير صريح نفس الادعاء النبيل للحاكم . ونجد امثلة لهذا المبدأ ليس فقط في التشريعات القانونية فحسب بل وكذلك في الاعمال الخيرية تجاه اشخاص معينين . لذا فهناك رسالة من ماري تبين ان يتيما صغيرا لخادم قصر مسن وضع تحت حماية نائب الملك يسمخ ــ ادد :

قل الى سيدي يسمخ ــ ادد : هكذا يقول خادمك
خاسيدانم : «ان ابن موظف البريد في القصر قد نقل من
ماري والآن مات ذلك الرجل
وعنده ابن لازال طفلا .
ليرى سيدى الطفل و (يتاكد) بانه طفل وليس له من يحميه .
لعل سيدي سييسر الوضع له» ،

العطـــل :

لم تكن حياة سكان بلاد ما بين النهرين ــ حتى العبيد منهم ــ حياة كفاح دائم غير منقطع . وفي الواقع ، كانت الايام المقدسة ، كما هي الحال في عالم العصور الوسطى ، عطلا رسمية . وكانت جميع الاعمال والنشاطات تتوقف

غالبا خلال الاعياد الدينية والتي قد تستغرق بضعة ايام من كل شهر وليس على اساس الاسبوع كما هومتبع لدى اليهود والمسيحيين في الايام المقدسة . واكبر عطله في السنة كانت عطلة الايام الاحدى عشر (او في فترة اخرى خمسة عشر) في عيد راس السنة التي لابد وان كانت للجماهير ، حتى وان لم تكن للكهنة ، وقتا رائعا للانس والمهرجان والصخب والفسوق . وكان هناك حدود للعمل المتوقع انجازه من العمال حتى في ايام العمل . وكان بامكان العمال ان يشتكوا وينظر في شكواهم اذا ما شعروا انهم قد ارهقوا بالعمل . ويشير احد الموظفين في رسالة من اواخر القرن السابع قبل الميلاد الى بعض الاعمال التي تمت على سد من قبل بعض الرجال الذين كان مسؤولا عنهم ويعلق :

ان العمل هنا صعب وان مهمة الاجر التي نحن مسؤولون عنها كبيرة جدا ، ١١٠ اجرة في اليوم لكل رجل .

وهناك رسالة اخرى تشير في الحقيقة الى التهديد بالاضراب بمناسبة تعين غير شعبي حيث يكتب الموظف رسالة ليخبر الملك انه :

لقد عين الملك نابور — اشار — اوصر ... على شعبه العاملين والشعب غير موافق على (هذا) وسوف لن يقوموا بانجاز اعمال الملك .

الطعام والشراب :

كان غذاء الناس في بلاد بابل ، الرقيق والاحرار على حد سواء ، يعتمد بالدرجة الاولى على الشعير ، الذي وفر الجعة والشراب الرئيس وكذلك الطعام الرئيس من الحبوب . وكان يؤكل على شكل خبز غير مخمر ولعل ذلك على شكل اقراص صغيرة تفرش وتخبز على مسطح حار ويعطى طعاما لذيذا جدا (يعرف حاليا بالخبز) لازال يوكل من قبل الفلاحين في العراق على الرغم من انه محتقر ، مع الاسف ، من قبل الافراد الاكثر تعقيدا . ومن الحبوب الاخرى التي كانت توكل على شكل خبز او نوع من العصيدة هي الدخن والحنطة والجودارو (في الالف الاول قبل الميلاد) الرز . ومن الطرق الاخرى لاعداد الحبوب هو عملها على شكل فطائر او كعك . او بسكويت وذلك بطبخ الطحين المخلوط بالعسل وزيت السمسم والحليب والفواكه المختلفة .

وربما كان البصل اكثر المخضرات انتشارا بينما كان العدس والباقلاء والبزاليا (وهي من مصادر البروتين الغنية) تستعمل على نطاق واسع وغالبا في عمل الحساء . وكان الخيار ومختلف انواع القرع والكرنب من الماكولات ايضا . اما الخس فكان يزرع كما يزرع الان ولعله كان سببا كما هو الان في نقل كثير من الامراض التي تحملها المياه . وكانت التمور الغنية بالسكريات

تولف جزءا مهما من الغذاء الاعتيادي بينما افاد النخيل ايضا في تجهيز نبيذ التمر وكذلك في اعطاء ما يشبه الكرفس اللذيذ يقطع من لب ذكر النخلة ويطلق عليه احيانا من قبل الاوربيين اسما قليل الشان هو كرنب التمور . اما الفواكه الاخرى فكانت تضم التفاح والرمان والتين والسفرجل والمشمش والخوخ (انظر ايضا صفحة ٥٥٤) . وكان من المشروبات اضافة الى الجعة ونبيذ التمر ، نبيذ العنب الذي كان معروفا منذ العهد الشبيه بالكتابي (جمدة نصر) ولعله كان يستورد من المناطق المرتفعة . ولم يكن في الفترات الاولى شرابا يوميا . وكانت مثل هذه المشروبات التي ربما احتوت على كمية كبيرة من الرواسب تشرب في الفترة السومرية بواسطة انابيب خاصة للشراب مثقبة من نهايتها بثقوب صغيرة لتشكل ما يشبه المصفي .

انبوب شراب

وكان هناك عدة انواع من الجعة معروفة ويتضمن احد النصوص البابلية اللغوية قائمة مسهبة بالمصطلحات الفنية الدالة على كيفية صناعة الجعة والمواد المستخدمة في الانواع المختلفة . وكان اعداد الجعة حتى عهد حمورابي مقصورا كما يبدو على النساء حيث ان هذه الصناعة كانت الوحيدة تحت حماية الالهات . كما ذكرت بائعة الخمر بشكل صريح في قانون حمورابي . وكانت صناعة الجعة تمثل احيانا في الفن .

وكان الحليب متوفر من الاغنام والماعز والبقر ولكن نظرا لسرعة تلفه في جنوبي العراق ، فقد كان يستخدم بالدرجة الرئيسة ، كما هي الان ، على شكل لبن او زبدة او جبن . ويوضح احد افاريز الزخرفة المطعمة من منتصف الالف الثالث قبل الميلاد (كما هو ادناه) كيفية انتاج الحليب والاغذية المشتقة منه .



التخمير

وكان العجل يوضع عند راس امه وان ذلك معروف بتاثيره في جعل البقرة تعطي حليبها بسرعة اكثر . لذا فقد اثبت السومريون بانهم اكثر ذكاء في دقة

ملاحظتهم لتصرفات الحيوانات من السكيثيين بعد الفي سنة حيث كان عبيدهم المسملة عيونهم ، استنادا الى هيرودتس :

يستخدمون انابيب من العظم شبيهة من حيث الشكل بالناي ويضغطونها على فرج الفرس بينما يقوم الاخرون بالنفخ . ويزعمون ان هذا الاسلوب يهدف الى نفخ اوردة الفرس بالهواء وبذا يجبرون الضرع على النزول .

اما في الافريز السومري ، فيجلس الحلاب على مقعد خلف البقرة في وضع غير مالوف غير ان الكاتب قد رآه يستخدم في انكلترا . والى جانب ذلك يجلس رجل اخر على مقعد يهز الحليب في اناء كبير مسدود ليجعل سمن الزبد يتخثر . ويبين المنظر الى اقصى اليسار رجلين اخرين يصفيان ، كما يبدو ، الناتج الحاصل لفصل حليب الزبدة عن الزبدة .

وكان السمك يولف الغذاء الحيواني البروتيني الرئيس عدا الحليب لاسيما في الفترات الاولى على الرغم من ان هناك تناقص ملحوظ في استخدامه في الفترات التالية . وقد ذكرت انواع كثيرة من الاسماك في الوثائق الادارية من الالف الثالث قبل الميلاد وحتى عهد سلالة بابل الاولى . وهناك نص سومري من حوالي ٢٠٠٠ ق.م. يصف عادات ومظهر انواع كثيرة من الاسماك بشيء من التفصيل على شكل دعوة الى الاله ليدخل البيت الذي اعد لهم . وليس واضحا هل ان هذا النص يمثل معرفة الكاتب فقط ام انه يخص السمك المسحور في شباك الصيادين . وبعد فترة الكاشيين اصبح اكل السمك اقل شيوعا . كما يمكن الحكم على ذلك من النصوص . وهناك من يرى انه كان هناك نوع من التحريم الشعبي (غير مقبول في الديانة الرسمية) على اكل السمك ، وان ذلك ممكن طالما عرف هذا النوع من التحريم في سوريا في الالف الاول قبل الميلاد. كما ان هناك اسماك مقدسة لازالت محفوظة في عدد من الاماكن في العراق . وضد هذا الاستنتاج لابد من الاشارة الى ان منحوتات الالف الاول قبل الميلاد تصور صيد السمك في بركة الاسماك . بينما من المؤكد ان صيد الاسماك ظل مستمرا في العهد البابلي الحديث .

وكان لحم الضأن ، ولحم البقر بنسبة اقل ، يوكل في الاحتفالات وكانت القرابين من الماعز من الخصائص العامة لعبادة الفلاحين في الفترات الاولى ويفترض ان الماعز كان من غذاء الفلاحين الاعتيادي . وبزيادة التحضر في بلاد سومر ، يبدو ان قرابين الماعز التي كانت تقدم الى الاله استبدلت (كما يستدل على ذلك من الاختام الاسطوانية التي تمثل المنظر) بنماذج للماعز وربما يعكس ذلك تناقص توفر لحم الماعز في غذاء سكان المدن الاعتياديين . ومع ذلك فقد

ظلت الالهة والملوك يستلمون جرايات وفيرة من اللحوم ولا بد وان بعض الماشية المخصصة للطعام او الاضحية كانت تسمن الى حجم كبير حيث تذكر احدى الرسائل التي عثر عليها في ماري (بداية الالف الثالث قبل الميلاد) ان ثورا كان قد خصص كقربان للقصر سمن الى درجة لم يتمكن معها من الوقوف . ولم يكن هناك تحريم للحم الخنزير الذي لا زال موجودا باعداد كبيرة في مستنقعات جنوبي العراق (كما في بعض المناطق الاخرى لدينا). وكانت الخنازير في العهود السومرية تربى بقطعان كبيرة وكانت تطعم الشعير اضافة الى العلف الذي تلتقطه من بحثها عن الطعام . ويبدو انه كان هناك نقص في كثير من المجتمعات الاولى والبدائية في مادة السمن في الغذاء لذا كان اللحم السمين يعتبر اكثر ترفا مما هو عندنا . ولذلك كان سمن الخنزير يقيم اكثر في بلاد بابل القديمة . وهناك مثل سومري بهذا المغزى يشير الى انه كان جيدا الى درجة لا يمكن اعطاءه للاماء اللائي كان عليهن ان ياكلن اللحم الهزيل . وكانت الماشية قليلة العدد نسبيا بسبب النقص في المراعي الملائمة كما كان يوكل لحم الخيل من قبل الناس بدون وجود اي تحريم ديني على الاقل في منطقة نوزي شرقي بلاد اشور في القرن الرابع عشر قبل الميلاد حث هناك قضية معروفة تشير الى ان المتهم كان قد سرق حصانا واكله، وكانت الحمير الميتة تعطى لاطعام الكلاب فقط . ومن الدواجن كان الوز والبط يربى في الفترات الاولى ولم يدخل الدجاج البلاد حتى الالف الاول قبل الميلاد .

وكانت كثير من الاطعمة التي ذكرت تحفظ لاوقات الشح ولا تشكل الحبوب اية مشكلة في ذلك بينما كان بالامكان تجفيف البقوليات في الشمس . وكانت تحفظ انواع مختلفة من الفواكه بشكل صالح للاكل وذلك بضغطها على شكل كتل وكان السمك يحفظ بالملح وهو اسلوب كان يستخدم ايضا الى جانب تجفيف اللحم .

السكن ومعدات السكن :

قد لا تبدو مساكن السومريين والبابليين مثيرة لاعجاب اولئك الذين اعتادوا على مستوى بنايات ما بعد الحرب . ولا يمكن اعتبار سكن المواطن الاعتيادي من الالف الثالث قبل الميلاد اكثر من كوخ طين ذو جدران سميكة وبدون شبابيك تقريبا . وكانت الغرف تشيد مع بعضها لتتناسب وموقع البناء المتوفر وبصورة عامة دون تخطيط عام . وكانت الابواب بين الغرف منخفضة الى درجة كان على الشخص ان ينحني ليمر من غرفة الى اخرى . وغالبا ما كانت

البيوت المتجاورة تشترك بجدار واحد وهناك بعض العقود لمثل هذه الحالات كانت تبرم لتثبيت حق كلا الطرفين في اقامة الدعامات على الجدار . كما عثر ايضا على انواع افضل من البيوت مشيدة بالاجر المفخور . وكانت مثل تلك البيوت تشيد حول فناء وسطي كبيوت الطبقة المترفة القديمة في بغداد التي لازالت موجودة وكانت هذه البيوت ، في المدن على الاقل ، مولفة من اكثر من طابق واحد .

وليست الغاية هنا المقارنة بين المساكن السومرية والبابلية (او المساكن الشرقية الحديثة) وبين بنايات اوربا الغربية . فالغرض الاساس من البيت في انكلترا هو للحماية من الرطوبة وتيار الهواء البارد بينما الغرض من البناية في جنوبي العراق هوالحماية من حرارة الشمس المحرقة والضاربة بدون رحمة لمدة اثني عشر ساعة في اليوم من شهر مايس وحتى شهر ايلول . فالشبابيك في مثل هذا المناخ ليست برحمة وان الناس المخدوعين الذين يحاولون ان ينقلوا الى بغداد البيوت الاوربية الحديثة بجدرانها الرقيقة نسبيا والمشيدة بالاجر والكونكريت وبمساحاتها الكبيرة من الزجاج يجدون انه لا يمكن تحمل السكنى فيها الا بتغيير الغرض من وجود الزجاج وذلك بوضع ستائر ثقيلة ومبردات للهواء . وكانت البيوت في بلاد ما بين النهرين القديمة تضم غالبا بدلا من الشبابيك نافذة طينية او خشبية تبنى في الدار . وقد عثر على امثلة منها من الالف الثالث قبل الميلاد (انظر اللو حة ١٥ أ) وهي تطابق تقريبا الطراز الذي لازال يشاهد احيانا في العراق اليوم .

ومن الطبيعي ان التجهيزات المنزلية كانت تختلف الى درجة كبيرة من فترة الى اخرى ومن مكان الى اخر ومن طبقة الى اخرى . وبديهي ان اثاث القصور لا تمثل نموذجا لذلك وان الطريقة المثلى لاعطاء وصف كامل للموضوع هي وصف المحتويات الكاملة لاحد الدور الخاصة . ومن سوء الحظ ان طبيعة التربة في العراق لا تساعد على المحافظة على المواد الخشبية والمنسوجات بينما يلاحظ ان الادوات المعدنية او الحجرية التي يمكن ان تبقى فترة اطول كانت تسلب منذ القدم من اي بيت مهجور . لذا فانه ليس من الغريب انه لم يعثر حتى الان على دار كاملة بمحتوياتها وان ما يلي لابد وان يكون تصور لذلك :

فقد كانت الاسرة الخشبية معروفة وصورت على المتحوتات الاشورية كما ذكرت غالبا في النصوص الطبية حيث يفترض ان المريض كان يمدد دائما على سرير . ويفترض ان العراقيين القدماء كانوا ينامون بين السجاد والبطانيات غير انه ليس هناك دليل ثابت على ذلك على الرغم من ان احدى الكلمات الشائعة

الاستخدام نسبيا في قوائم الممتلكات الشخصية قد فسرت منطقيا بانها تعني (بطانية) اما بالنسبة للمناضد ، فمن الموكد ان الالهة استخدمتها لتناول وجبات طعامها مما يشير ، نظرا لرغبة البشر في المحافظة على الاشياء الدينية ، الى ان استخدام المناضد لتناول وجبات الطعام في بلاد بابل كان قديما جدا . وكان المواطنون المترفون على الاقل يتمتعون بنفس وسائل الراحة في هذا المجال كالالهة حيث غالبا ما صورت المناضد على المنحوتات الاشورية . وكانت الكراسي ذات الارجل والظهر وحتى المساند شائعة في القصور بينما استخدمت المقاعد حتى في الاعمال الحقيرة منذ وقت مبكر يعود الى بداية الالف الثالث قبل الميلاد (انظر التوضيح في الصفحة ١٩٣ كما وجدت مقاعد من الطين داخل البناء وقد يكون من قطع الاثاث الرئيسة الاخرى في البيت بعض الدواليب الخشبية للحفظ .

اما بالنسبة لادوات الطعام ، فمما لا شك فيه ان الاصابع كانت غالبا تعتبر مناسبة للماكولات الصلبة على الرغم من انه وجد شوكات من العظم ذات اصبع واحد باعداد كبيرة . وكانت السكاكين بالطبع شائعة . اما بالنسبة للسوائل ، فقد عثر على ملاعق مصنوعة من القير او العظم . كما كانت المغارف المصنوعة من الطين المفخور مستخدمة ايضا وكان طراز اشكال اواني الطعام والشراب يتغير كثيرا من وقت لاخر ولكن كان هناك اطباق وطاسات واكواب مصنوعة من الفخار او الخشب او الحجر او المعدن نموذجية .

وكان الطعام يجهز على الموقد وغالبا ما يكون في فناء الدار مع انه عثر ايضا على مواقد في الداخل . وقد تستخدم المواقد المتنقلة في الداخل (من النوع الموضح في اللوحة ٥٩) حيث كانت مريحة للغاية في فصل البرد على الرغم من ان النموذج الخاص الموضح والذي كان مصنوعا من النحاس ومزخرف باشكال على هيئة الاسود ، ربما استخدم في الواقع في الطقوس . ومن بين ادوات الطبخ ، عثر على اناء نحاسي مشابه تماما لطاوة القلي المستخدمة حاليا ويعود بتاريخه الى بداية الالف الثالث قبل الميلاد (انظر لوحة ١٥ ب)

وكانت بعض الاطعمة من الحبوب والبقوليات تجهز بواسطة الطحن لذا لابد وان كانت الهاون ومدقها من ضروريات اية ربة بيت شغولة . وبالتاكيد فانه من الممكن لاي شخص ان يلتقط دون كثير عناء عددا ليس بالقليل من المدقات والهاونات المكسورة المصنوعة من الطين او الحجر في بعض المستوطنات والمدن القديمة كمدينة كوثا مثلا . وكانت الطاحونة من الضروريات الاخرى لطحن الحبوب وعمل الخبز . وقد عثر في البيوت الخاصة على بعض المطاحن

اليدوية المصنوعة من الحجر البركاني المستورد منذ عهود مبكرة تعود الى العهد الشبيه بالكتابي .

وقد يوجد في البيت الاعتيادي بعض الحلي كالأقراط والخرز والقلائد والاساور والخلاخل (انظر لوحة ٦٢ حول بعض الامثله) مع ملحقات الزينة كاواني المراهم لتزيين الجسم والشعر والمرايا والملاقط المصنوعة من النحاس او الفضة او حتى الذهب . وقد عثر في قصر يعود الى حوالي ٢٣٠٠ ق.م. على بعض الخوافق تحتوى على الكحل (ظل العيون) والحمرة مما دفع المنقب الى الاستنتاج انه كان ينقب في الجناح الخاص بالسيدات . كما كشف عن حمامات خاصة (من نوع الحمامات التركية) في القصور ومن المحتمل انهالم تكن موجودة في البيوت الاعتيادية حيث يفترض ان شاغليها كانوا يستحمون في النهر . كما كشف عن مراحيض مولفة من دكة منبسطة فوق حفرة او بالوعة (انظر ادناه) تعود الى فترة مبكرة . منذ الالف الثالث قبل الميلاد وكان في احداها مقعد من القير زيادة في الراحة (انظر لوحة ١٣آ)

وان المعلومات المتوفرة لا تشير الى انه كان هناك مجاري عامة للمياه القذرة للبيوت الخاصة غير انه كان للبنايات الحكومية اسلوبا لتصريف المياه القذرة غاية في التفصيل منذ الالف الثالث قبل الميلاد وقد وجد في بناية كبيرة تعود الى حوالي ٢٣٠٠ ق.م. ويعتقد انها قصر في اشنونا (تل اسمر الحالية) على نهر ديالي ، ست مراحيض لها مقاعد مرتفعة من الاجر المفخور وخمس حمامات . وماعدا جناح البناية المنخفض كثيرا الى درجة كان له بالوعة خاصة ، فقد كانت كل المراحيض والحمامات متصلة بخزان للمياه القذرة يودي الى مجاري ارتفاعها يارد واحد وعليها عقادة من الاجر المفخور . (انظر اللوحة ١٣ ب) وكان كل مرحاض مزود باناء كبير للماء وقد عثر على بعضها وهي لا تزال تحتوي على مغارف فخارية لابد وانها كانت تستخدم لتنظيف المرحاض بعد الاستعمال . وكان للقصور الاشورية من الالف الاول قبل الميلاد نظام متكامل لتصريف المياه . وكان عرض خزان المياه القذرة الرئيس خمسة اقدام وقد غطت نهايته بحاجز مشبك لمنع دخول اللصوص وكانت مثل هذه الخزانات تصب محتوياتها في النهر .

وكانت الانارة الاصطناعية تتم اما بواسطة المشاعل المكونة من حزمة من القصب مغطسة بالزيت او القير او القناديل وتتالف مثل هذه القناديل (المسارح) من اناء صغير على شكل الحذاء للزيت مع فتيلة تبرز من خلال ثقب في الاعلى . وكان الزيت المستخدم لهذا الغرض اما زيت النباتات المستخرج من

حب السمسم (وكان زيت الزيتون اقل انتشارا) او من الممكن (حيث لازال الامر غير متفق عليه) من الزيت الخام من الترسبات والذي يعتمد عليه غرب اوربا الى درجة كبيرة في الوقت الحاضر .

وكانت هناك مخاطر متنوعة تتعلق بالسكن القديم فلم يكن انهيار البيت ، لاسيما من النوع المشيد بالاجر المجفف بالشمس ، غير شائع وهناك اشارات عديدة الى هذه المشكلة . وقد خصص قانون حمورابي خمسة مواد لذلك . ومن جملة مانص عليه انه اذا قام بناء ببناء بيت وانهار وقتل ساكن الدار فيجب ان يقتل البناء نفسه . واذا قتل ابن صاحب البيت . فيجب ان يقتل ابن البناء . وقد لاقى سن — ادينّام ملك لارسا حتفه من انهيار درج المعبد كما يفهم ذلك من تلميح ورد في احد نصوص الفال . وهناك بعض الطقوس خصصت لمنع انهيار الجدران كما هناك نصوص فال تتنبيء بالموت نتيجة حوادث من هذا النوع

> اذا (راى رجل في حلمه) انه ينزل الى العالم السفلي وان شخصا ميتا باركه ، فسيموت من انهيار الجدار .
>
> اذا (راى رجل في حلمه) انه ينزل الى العالم السفلي وانه ياكل شخصا ميتا ، فسيموت نتيجة وقوع اعمدة السقف .

ومن المزعجات الاخرى في البيوت القديمة المخلوقات الدبيبة . فقد تجد العقارب التي لا تزال موجودة في بعض اجزاء العراق ، طريقها الى البيوت الحديثة في مركز بغداد من وقت لاخر . ولابد وانها كانت في الابنية القديمة منتشرة كثيرا في بيوت الاشخاص الاعتياديين المسقفة بالطين والمشيدة باللبن وهناك مجموعة كاملة من نصوص الفال تشير الى العقارب التي تسقط من السقف على الرجل او على منامه . كما كان هناك انواع مختلفة من العلاجات السحرية او العملية للسع العقرب . كما ان الافاعي في الازمنة الحديثة كما في الازمنة القديمة ، تزحف احيانا بين الاغصان والطين الذي يكون سقوف وسطح البيوت المشيدة باللبن بحثاً عن القوارض وهناك كثير من نصوص الفال البابلية التي تشير الى سقوط الافاعي من السقوف على رجل او على منامه وكان يعتبر ذلك في بعض الحالات حظاً حسنا . (انظر صفحة ٥٠٤)

تخطيط المدن وتجهيز المياه :

لم يكن تخطيط المدن غير معروف في بلاد ما بين النهرين لا سيما في العهد الاشوري الحديث ففي العصور الاولى نمت المدن تدريجيا حول منطقة المعبد ولكن في العهد الاشوري قام الملوك في حالات عديدة ببناء مدن جديدة وفق

مخططات معينة . ومن الأمثلة البارزة على ذلك هي مدينة كالح (نمرود الحالية) التي اعاد بناءها اشورناصر بال عام ٨٧٩ ق م . واسكن فيها ما يقرب من سبعين الف شخص . وكانت مثل هذه المدن الملكية تخطط طبعا : بعد ان تؤخذ المستلزمات العسكرية بنظر الاعتبار . ومثال اخر هو مدينة دور — شروكين (خرصباد) التي خططت وشيدت من قبل سرجون الثاني كعاصمة جديدة على موضع قرية صغيرة . وكانت مثل هذه المدن تزود بطرق رئيسة للدخول مغطاة بالحصى من اجل تقدم الجيوش الملكية في حملاتها . وقد كشف عن طريق من هذا النوع في مدينة النمرود وبينما يذكر سنحاريب طريقا اخر في حديثه عن اعادة تخطيط نينوى بأن أي شخص يتجاوز على الطريق الملكي سيكون مصيره التوتيد[1] . كما كان الاهتمام كبيرا بالمواصلات النهرية في المدن الاشورية . ففي النمرود شيدت المدينة وجهزت بمسناة للميناء عرضها ما يقرب من ثلاثين قدما مؤلفة من صخور منحوتة قياس كل واحدة منها ما يقرب من ياردة مكعبة .

وكان تجهيز المدن القديمة بالمياه من الامور التي اهتم بها كثيرا الحكام وقد اعتبر الاهتمام بذلك من المنجزات البارزة لحزقيا (الملوك الثاني الاصحاح : ٢٠ : ٢٠) ولم تكن هناك مشكلة كبيرة في بلاد بابل بينما كان الامر يحتاج الى إهتمام اكبر في بلاد اشور نظرا لتغير مستوى مياه نهر دجلة اكثر من مياه نهر الفرات ولان دجلة منخفض نسبيا عن الاراضي المجاورة ، لذا كان استخدامه لاغراض الري اصعب في معظم اوقات السنة . وقد قام سنحاريب بجهود كبيرة لجلب المياه الى نينوى لارواء البساتين والحدائق التي انشأها (انظر صفحة ١٤٩) اعلاه. وحفر قناة طولها ستة اميال وجلب فيها المياه في احدى النقاط عبر قنطرة طولها ثلاثمائة ياردة . وكان التيار باكمله يتكون من حوالي مليوني قطعة حجر وزن كل منها ما يقرب من ربع طن . وقد وضع في حوض التيار الذي كان عليه عبوره طبقة من الحجر الجلمود الصلب وجعل مصطبة مستوية من هذه الاحجار . ومن هذه المصطبة الواقعة في التيار تبرز ستة دعامات تسند الاقواس حيث اقيمت القنطرة فوق التيار وطبيعي ان الجزء الاكبر من طول القنطرة البالغ ثلاثمائة ياردة كان مشيدا على الارض اليابسة . ويتكون

---

(١) من الجدير بالاشارة ان هيئة تنقيبات جامعة الموصل علمت اثناء عملها في اسوار نينوى (بوابة ادد) ان العاملين في احد الطرق الفرعية داخل الحرم الجامعي عثروا على بعض الاثار القديمة اثناء قيامهم بالحفريات ، وقد سارعت الهيئة الى الموقع وكشفت عن طريق يقابل بوابة نركال في سور نينوى الشمالي ، وهو مبلط بقطع كبيرة من الرخام الازرق ويظن بانه بقايا الطريق الملكي الذي كان يربط مدينة نينوى ومدينة تريض الواقعة شمال غربي نينوى ببضعة اميال (المترجم) .

اعلى القناة نفسها من مصطبة مستوية عرضها اربعة وعشرون باردة سويت بدقة وبانحدار متساو وقويت جدرانها بدعامات . وقد اشير ايضا الى مشروع من نفس النوع لتجهيز اربائيلو بالمياه .

وفي كالح هناك عدد من الابار حفرت الى عمق تسعين قدما لضمان تجهيز المدينة بالمياه في حالة الحصار . وقد ثبت ان احد الابار (التي نظفت عام ١٩٥٢) كان لا يزال ينتج خمسة الاف غالون من الماء يوميا . وقد عثر في نفس البئر على بكرة خشبية لا زالت عليها اثار احتكاك الحبل واضحة بينما كان هناك عدة عشرات من الاواني لا زال على رقبة البعض منها قطع الحبال . ولا بد وانها كانت تؤلف سلسلة مستمرة من الاواني تعمل بدولاب لسحب المياه من البئر . ويشير سنحاريب الى بعض الاساليب من نفس النوع عندما يقول في الحديث عن اعادة بناء العاصمة نينوى :

ولأجل سحب الماء يوميا . امرت بعمل الحبال والاسلاك
البرونزية والسلاسل البرونزية وثبتت الاعمدة والقضبان
العرضية على الابار بدلا من الاعمدة الخشبية .

الألبسة :

اما بالنسبة للالبسة ، فقد تغيرت طرزها كثيرا خلال الالفين وخمسمائة سنة من ٣٠٠٠ الى ٥٠٠ ق م . وبالتأكيد فقد كانت الجلود والأصواف تستخدم قبل ان ينتشر استخدام المنسوجات في الالف الثالث قبل الميلاد . ويظهر ان الالبسة التي كان يرتديها السومريون ، كما هي مصورة على النصب ، كانت مصنوعة من جلود الاغنام والماعز غير انه يجب ان نتذكر ان الفن القديم كان لخدمة الالهة وليس للمعارض الفنية . لذا فان المناظر الموضحة هي ذات علاقة بالعبادات بالدرجة الاولى وليس بالحياة اليومية انذاك . وهناك بعض الادلة التي تشير الى ان سكان جنوبي العراق كانوا يذهبون عراة الى اعمالهم اليومية في الحقول في فترة العهد الشبيه بالكتابي . ويتفق ذلك مع حقيقة تمثيل الانسي احيانا (في عصور فجر السلالات وما بعدها) راكعا امام الاله عاريا . ولعل هذا العرى يمثل عادة السومريين في القرون السابقة وان المحافظة على الامور القديمة في الديانة كانت تصل الى درجة ان رداء العبادة المقدسة للكاهن نادرا ما كان او قلما كان من الطراز الشائع ولعل ذلك ينطبق على كهنة العبادة في بلاد سومر كما ينطبق على رجال الدين لدينا .

وعندما تمثل المنسوجات يبدو واضحا ان الرداء الذي كان شائعا في الفترات

السومرية كان نوعا من التنورة كما ممثل بوضوح في اللوحة ٥٨ . وتظهر لوحة مسطحة من اور (انظر اللوحة ١٢) جنودا يرتدون مثل هذه التنورات مع رداء فضفاض طويل يتدلى على الكتفين ويثبت بكلاب باسلوب تثبيت المعطف الصوفي وقد مثل الانسي جوديا كبعض الحكام الاخرين مرتديا نوعا من اللباس السائب من الشال الطويل الى الكعبين ويتدلى على الكتف الايسر . وفي خلال الالف الثاني قبل الميلاد كان الرداء النموذجي يتألف من رداء داخلي من القماش الطويل يتدلى حوله وغالبا ما يربط بحزام عند الخصر . وقد ادخلت الالبسة المخيطة الى بلاد ما بين النهرين في هذه الفترة . وفي الالف الاول قبل الميلاد ، كان الرداء النموذجي هو القباء او عدة قباءات مثنية اكثر مما هي متدلية .

وتذكر النصوص انواعا عديدة من المنسوجات تتراوح بين المواد الرخيصة التي تناسب الخدم والى المنسوجات المناسبة للملوك . وكانت اردية الملك والنبلاء كما تشير الى ذلك المنحوتات الاشورية تزين بكثرة بالتطريز .

وكان يتم الحصول على الصوف الذي صنعت منه معظم المنسوجات طبعا من الاغنام . ولكن ليس بالضرورة بطريقة الجز كما هي معروفة لدينا . ومن المؤكد ان هذه الطريقة كانت متبعة بعد ان يغسل الحيوان قبل الجز غير انه كان هناك اسلوبين قديمين اخرين . وكان احد هذين الاسلوبين هو النتف والاخر بغسل الحيوان بتيار ماء سريع لفصل الصوف السائب من الجزة . وليس من المؤكد ان الطريقة الاخيرة كانت متبعة في بلاد ما بين النهرين . ومن المحتمل ان شعر الماعز كان يستخدم ايضا في بعض الاغراض كما هو الحال في العراق اليوم . وهناك سجلات سومرية كثيرة خاصة بصناعة الصوف وقد قدر ان سدس عدد الرقم الطينية السومرية المكتشفة في نيبور تتعلق بهذا الموضوع ، هذه الرقم تمكن اولئك القادرين على تقييم الخطوات الخاصة بصناعة الصوف من استنتاج معلومات كثيرة عن قصر وصبغ وغزل ونسج الصوف في الالف الثالث قبل الميلاد . وكان الكتان والقطن يستعمل للملابس ايضا ، ولكن كان اقل انتشارا من الصوف .

تسريح الشعر :

قام الباحث Angés Spycket بدراسة طريفة عن تسريحات شعر النساء في بلاد ما بين النهرين في الالف الثالث قبل الميلاد وبداية الالف الثاني . وقد اعتمد الموجز التالي بالدرجة الاولى على بحثه . وقد اعتمدت الادلة بالطبع كليا على التمثيل في الفن وغالبا على الاختام الاسطوانية . ففي عصر جمدة نصر

(حوالي ٢٩٠٠ ق م) كان لكلا الجنسين شعر طويل يتدلى بحزمة خلف الرقبة ولعله كان يربط بشكل معين من الوجه ولو انه يبدو وكأنه يغطي الاذان .
وفي عصور فجر السلالات التي تلت ذلك (حوالي ٢٨٠٠ ــ ٢٤٠٠ ق.م) كانت التسريحة الرئيسة هي الشعر الطويل المدفوع الى الوراء من الوجه والمعمول على شكل جذيلة ملفوفة حول الرأس على شكل العمامة . وهناك عدة اشكال محورة عن هذا النوع يترك بعضها خصلة جانبية امام الاذنين . وقد تطور هذا الطراز باستعمال اطار يساعد على جعل الشعر اكثر ارتفاعا . ومن التسريحات السهلة ارسال الشعر في حزمة واحدة متدلية ومربوطة او جعله في جدلتين او اكثر .

وفي العهد الاكدي (حوالي ٢٣٧٠ ــ ٢٢٣٠ ق.م) كان الشعر يجعد بطريقة اصطناعية ، الا اذا كان للساميين الذين كانوا الغالبية شعر طبيعي مجعد ، حيث كان الشعر المموج او المجعد هو الطراز الشائع وكان الشعر يقسم من الوسط وتترك حافة منه في الامام وعلى الصدغ . وكان معظم شعر المرأة يعمل غالبا على هيئة كعكة الى الوراء تمتد من مؤخرة الرقبة وحتى اعلى الرأس وقد وجد نفس الطراز تقريبا في الفترة التالية (حوالي ٢٢٠٠ ــ ٢٠٠٠ ق.م) حيث كان لكعكة الشعر ، التي كانت انذاك كبيرة جدا . شبكة فوقها مثبتة بواسطة رباط شعر .

ولم تكن اربطة الشعر والشباك هي الملفات الوحيدة التي كانت تستخدم في تزيين شعر النساء في هذه الازمنة القديمة . فمن المؤكد انهم استخدموا دبابيس الشعر حيث عثر على نماذج من ذلك مصنوعة من العظم والنحاس والفضة والذهب .

اما الذكر السومري في النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد فكان اما يحلق شعره تماما او ان يكون له شعر وذقن مجعد بدقة وتظهر كثيرا من التماثيل (كما في اللوحة ١٨ ب و ٢٠ مثلا) بدون شعر وذقن . وعلى الرغم مما قد يقترح بان مثل هذه التماثيل كانت تزود اصلا بشعر مستعار ، فان ذلك غير محتمل طالما ان التماثيل ضمت في بعض الحالات غطاء للرأس وضع بشكل لا يسمح بوضع شعر مستعار . ويظهر الملوك الساميون منذ الالف الثاني قبل الميلاد وحتى نهاية الامبراطورية الاشورية دائما تقريبا بلحي مموجة كثيفة وغالبا بشعر مموج طويل تاركا الاذان ، يتدلى بانسياب ولكن بترتيب على الكتفين .
وغالبا ما يمثل في المناظر الدينية الاشورية الى جانب الملك . والمحاربين بشعرهم الطويل ولحاهم الكاملة ، مجموعة اخرى من الرجال بشعر طويل

وبدون لحي وبوجوه ممتلئة . وهناك من يرى ان هؤلاء الرجال كانوا يمثلون الخصيان غير ان ذلك غير مؤكد . وربما كان هناك تقليد لتمثيل اي شاب في الخدمة الملكية بدون لحية . ومن المؤكد ان عبارة (ليس لديك لحية على ذقنك كانت تستخدم للدلالة على الرجال غير الناضجين) (انظر اعلاه ص ٨٥) .

وكان للرقيق اسلوب خاص في قص الشعر كما كان للكهنة والاطباء ايضا . وان الاستنتاج الاخير مستند على حقيقة ان البطل في قصة (رجل نيبور الفقير) التي نشرها في اكسفورد ,O.R. Gurney, Anatolian Studies VI (1956) p. 145-164 . ذهب اولا لحلاقة شعره ليقوم بتمثيل شخصية الطبيب .

الزواج والعلاقة الجنسية :

كان الزواج (خلال تاريخ المجتمع السومري والبابلي) احادي ، أي كان للرجل الحق في ان يكون له امرأة واحدة تعتبر بمنزلة الزوجة وتتمتع بمركز اجتماعي مماثل لمركزه . ومن جهة ثانية لم يكن هناك عيب في الذهاب الى بغايا المعابد او في الاحتفاظ بالجواري . وما ان اصبح الرقيق مملوكين على نطاق واسع من قبل الافراد حتى كان من بين استعمالات الاماء الرئيسة ، ان لم يكن الاستعمال الرئيسي ، هو لهذه الغاية . ولم يغير التسري من مركز الامة التي لم تحصل على حريتها تلقائيا . وكان ابناؤها ايضا من العبيد الا اذا قبلهم سيدهم كأولاده الشرعيين . وكان بامكان الرجل الحر ــ ويفترض العازب (ان كان هناك اي عازب في المجتمع البابلي) والارمل او ربما حتى الرجل المتزوج من امرأة لطيفة ــ ان يجعل الامة على رأس بيته وقد انتقد مثل هذا الوضع بشدة في احد الامثال . ولم تتفق دائما السيدات الرئيسات والثانويات في البيت وقد يجعلن البيت غير مريح للزوج المتهور او السيء الحظ . وقد اشير الى ذلك في احد نصوص الفأل :

اذا ... زوجة وزوجة اتفقتا ، فسيظل ذلك البيت حسنا .

مما يشير الى ان الوضع المعاكس لم يكن غير معروف . ومن امثلة العهد القديم لمثل هذا الخلاف الذي يرد للذهن هو ما حدث بين سارا وهاجر (سفر التكوين ، الاصحاح : ٢١ : ٤ ــ ٦) .

وهناك بعض الامثلة الاخرى من الامثال ونصوص الفأل حول تفاصيل العلاقات الجنسية نفسها . ومما يؤسف له ان نصوص الفأل في حالة رديئة وان الامثال صعبة الفهم نظرا لدقة اسلوبها . ومع ذلك فانها تشير الى ان كلا

من السلوك الاعتيادي والانحرافات الجنسية المعروفة (كاللواط والسحاق والتبظير) كانت مشابهة تقريبا في بلاد ما بين النهرين لما هي عليه في اوربا الحديثة . وكانت المساوىء المألوفة في المجتمع الحديث كالعجز وسرعة لقذف ، معروفة تماما في بلاد بابل . ومع ذلك ، وعلى الرغم من كل ذلك ومن وجود البغاء واللواط والتسري فلم تكن السعادة الزوجية نادرة . ويذكر احد الامثال السومرية زوجا فخورا يتفاخر بأن زوجته ولدت له ثمانية ابناء ومع ذلك فكانت لا تزال ترغب في ان تضطجع معه وتقبل معانقته الزوجية . ويبدو ان اكثر اوضاع المضاجعة شيوعا كان الوجه للوجه بحيث تكون المرأة على ظهرها غير انه كانت هناك اوضاع اخرى معروفة (انظر لوحة ٥١ التي يظهر انها تمثل المضاجعة كعملية دينية) وهناك نص يشير الى ان الكاهنة العليا كانت تسمح لنفسها بالمضاجعة مرة كل سنة .

وليس هناك اي دليل على ان الختان لعب اي دور في ديانة السومريين والبابليين او الاشوريين ويبدو ان هذا التقليد كان خاصا بالاقوام السامية الغربية والاقوام الحامية (المصريون واجناسهم) ومن الطريف ، مع ذلك انه عثر على حد نماذج عضو الذكر المصنوع من الحجر ، ربما كان يستخدم في بعض لطقوس . في موقع تبة كورا ، في طبقة يعود تاريخها الى فترة معاصرة للعهد الشبيه بالكتابي وهو مختون . وقد يكون ذلك نتيجة تأثير الاقوام السامية الغربية على تبة كورا ويثبت هذا بالتأكيد ان الختان كتقليد ديني في الشرق الادنى القديم قد سبق عصر موسى وحتى ابراهيم .

وكان مركز المراة في دويلات المدن السومرية الاولى اعلى بالتأكيد مما اصبح عليه بعد ذلك . فقد كان لهن ان يدخلن في خدمة المعبد في مختلف الوظائف وليس ككاهنات او بغيات معبد فقط ، كما كن يتسلمن كالرجال جرايات وحصص من المعبد . وكانت زوجات بعض الحكام مثل لوكالاندا ، واور كاجينا ، قد حصلن على مركز ذا اهمية كبيرة ولكن يجب ان لا يضخم ذلك كثيرا ، حيث يمكن قول نفس الشيء بالنسبة لنساء بعض الملوك الاشوريين في وقت لم يكن فيه وضع المرأة مرتفع على اية حال .

وهناك اشارات على انه كان للمرأة في المجتمعات السومرية الاولى مركزا اعلى بكثير من مركزها في عهد عنفوان الحضارة السومرية . وربما كان ذلك بالدرجة الرئيسة بسبب حقيقة ان الالهات في الديانة السومرية كن يشغلن مراكز مهمة اختفت بعد ذلك ، باستثناء مثال واحد هو الالهة عشتار ، ما عدا كونهن زوجات لالهة معينة . وكان العالم السفلي تحت حكم الهة لوحدها حيث هناك

اسطورة توضح كيف انها اخذت لها زوجا (انظر صفحة ٣٦٨) كما لعبت الامهات دورا في مجلس تقدير الاقدار المقدس في الاساطير . كما ان هناك اقتراح قوي بان تقليد تعدد الأزواج كان معروفا في وقت من الاوقات حيث تشير اصلاحات اوركاجينا الى النساء اللائي كن يتزوجن بأكثر من زوج واحد . وقد انسحب بعض العلماء من هذا الاستنتاج واقترحوا ان الاشارة هذه قد تكون الى زواج الارملة فقط غير ان النص السومري لا يؤيد ذلك .

التعليم :

من البديهي ان التعليم الاصولي لا بد وان كان متيسرا في بلاد سومر منذ عهد اختراع الكتابة . فكتابة الخط المسماري باليد هي ليست مهارة يمكن الحصول عليها دون سنوات جدية من طلبها . كما اكتشف ذلك وبحزن اكثر من طالب حديث واحد . وكان للتجار والاداريين بعض المعرفة في الكتابة . بينما كان للكتبة والكهنة معرفة على درجة كبيرة من المقدرة ومهما كان . فلسنا بحاجة الى مناقشة مسبقة لكي نستنتج وجود نظام تعليمي منذ اقدم الفترات . فقد اثبتت ذلك الرقم نفسها طالما كشف على رقم تمارين مدونة في مواقع كمدينة الوركاء وشروباك ونيبور واور . اما انها تمارين مدرسية ، فهذا مما لا شك فيه حيث انها قد تحمل نفس النص وقد استنسخ عدة مرات بايدي مختلفة ، او انها قد تحمل ، مثلا ، نصا ادبيا على احد اوجه الرقيم وتمارين رياضية على الوجه الاخر . وقد كتبت معظم الامثلة الاولى من مثل هذه الادلة باللغة السومرية ، غير ان الرقم المدرسية المدونة باللغة الاكدية معروفة منذ وقت مبكر يعود الى الالف الثالث قبل الميلاد ، وقد شطب على احداها وهو يحمل اسطورة مملوءة بالمسح . من قبل المعلم الغاضب .

وان أكثر ادلتنا غزارة عن النظام التعليمي تعود ، على الرغم من انها مدونة باللغة السومرية وانها تثني على اهلية تلك اللغة ، الى بداية الالف الثاني قبل الميلاد عندما كانت اللغة السومرية على فراش الموت كلغة تخاطب على الأقل او انها كانت قد اختفت تماما . وتضم الادلة سلسلة من التآليف لا زالت في دور الاعادة والتفسير وهي تخص في الواقع تعليم الكاتب ، وكانت على ما يظهر قد الفت في مدارس الكتبة نفسها طالما ان الخط العام السائد فيها هو اعتبار فن الكتابة في قمة منجزات البشر . وتعطينا هذه النصوص صورة عن الحياة المدرسية وتكون انطباعا اشبه بالكاريكاتير . وقد دفعت احد العلماء المحدثين وهو C.J. Gadd الذي قام بدراسة خاصة لهذه النصوص ان يعلق

عليها قائلا : اننا لا نتمكن ان ننكر انه كان لهؤلاء الرجال (الكتبة) رغبة في تقدير الكوميديا البشرية ومن الممكن اعتبارهم مخترعي التمثيل الهزلي . وقد قدمنا حديثا مفصلا عن هذه النصوص في مكان اخر . (انظر صفحة ٤٦٣ وما بعدها) .

ولا تعرف شروط القبول في مدارس الكتبة هذه . غير ان طالبي العلم ربما كانوا ابناء الاغنياء والمتنفذين ، اي انه كان هناك ، كما في نظام المدارس الخاصة في انكلترا ، طبقة عليا تديمها ذاتيا مع فوائدها ومساوئها الناتجة . وتأتي الادلة على ذلك من الوثائق الوفيرة التي تعود بتاريخها الى عهد سلالة آور الثالثة (حوالي ٢١٠٠ ق.م) والتي تثبت ان الكتبة كانوا بصورة عامة ابناء اداري المدينة او المعبد ، او الضباط او العسكريين او الكهنة او ابناء الكتبة انفسهم . وفي احد النصوص الادبية من المجموعة موضوع البحث هناك والد يرغب في ان يجد معلما يأخذ نظرة افضل عن ابنه ويبدو انه كان في موقف عرض فيه وليمة باهضة الكلفة . وليس هناك ذكر في هذه النصوص يشير الى ان النظام كان مختلطا ، مع اننا نعرف انه كان هناك كتبة اناث وربما في جميع الفترات .

وكانت فترة التعليم طويلة وشاقة ، (من الطفولة الى النضوج) كما يصفها احد النصوص . ولم يكن هناك اقتصاد في استخدام العصا وكان العقاب البدني يستخدم بحرية بسبب تمارين غير جيدة ، او بسبب قلة الاجتهاد ، او ارتداء رداء غير مناسب او لسلوك غير محترم خارج ساعات المدرسة او كما يظهر من حقد واضح من جانب اي عضو في ادارة المدرسة من الفراش فما فوق . وفي حالة تمرد الطالب فقد يوضع في الحجز او حتى يقيد .

ويبدو ان الافتراض الذي قيل احيانا بان المدارس كانت تقع دائما في مجمع المعبد ليس مبني على اساس صحيح ، بالنسبة الى بداية الالف الثاني على الاقل ، على الرغم من ان التعليم ، كبقية النشاطات ، ربما كان مركزا في المعبد في فترة عصور فجر السلالات وقد يكون ذلك فيما بعد ايضا . ومهما كانت الحال ، فان المكتشفات الرئيسة للنصوص الادبية في المدن القديمة لم تكن في اجنحة المعابد ولكن في البيوت الخاصة . كما فسر المنقبون تفسيرا منطقيا مثلا البناية المكتشفة في ماري والتي ضمت مصاطب بانها مدرسة ، ولم تكن هذه البناية جزءا من معبد .

الالعاب واللهو :

من الصعب معرفة ايا من اللعبات والالعاب الرياضية ومجالات اللهو التي

اتبعها سكان بلاد ما بين النهرين القدماء كانت ذا مغزى ديني او سحري وأيها كان لمجرد اللهو وتبدو الصعوبة في التمييز اقل غرابة اذا ما تذكرنا ان بعض الالعاب المعينة في مجتمعنا الحالي لها اصول دينية او سحرية لا زال المشاركون في بعض امثلتها (كالالعاب التقليدية في الاعياد الدينية في بعض الاماكن) يشعرون بها .

وكان لأكثر الالعاب الاشورية شهرة ، وهو الصيد كما مارسه الملك ، بالتأكيد علاقة دينية قوية ومعروفة تماما . فقد كان من واجبات الملك المقدسة ان يصطاد الاسود ويقتل الحيوانات الوحشية الاخرى . ويدعي تجلاتبليزر الاول مثلا بأنه قتل اربعة ثيران وحشية في اقليم غربي بلاد اشور تنفيذا لامر نورتا الذي يحبني ، وعشرة فيلة ذكور والف اسد تقريبا . وفي فترة متأخرة كان يقبض على الاسود بصورة خاصة ويجلبون الى بلاد اشور حيث يطلق سراحهم من الاقفاص عند الطلب (انظر اللوحة ٤٠) لتمكين الملك من اظهار جرأته باصطيادهم في حديقة خاصة . ويبدو افتراضا معقولا ان الصيد الملكي للاسود كان احد المشاهد العامة في السنة على الرغم من انه ليس هناك ادلة مباشرة تؤيد هذا الاقتراح . وبعض امثلة الصيد الاخرى مثلت في اللوحات ٣٨ — ٣٩ و٤١ — ٤٤ .

كما مارس القوم اشكالا مختلفة من المقاتلة اليدوية كالعاب ، وربما كان لها اصول دينية . لذا فان هناك اشارة في ملحمة جلجامش الى مشهد مصارعة بين جلجامش وانكيدو ويظهر ان الفائز فيها كان المقاتل الذي رفع مكانه من الارض (انظر صفحة ٣٩٣) وان اكتشاف دكة نحاسية خاصة بالقرابين في تل عقرب على شكل اثنين فوق رؤوس من المصارعين تظهر بوضوح نوع المسكات المستعملة (انظر لوحة ٥١ ب) . وقد مثلت الملاكمة ايضا في الفن (انظر اللوحة ١٥١ آ) على الرغم من ان المشهد الحقيقي الممثل ربما يشير الى نشاط ذا علاقة بالطقوس .

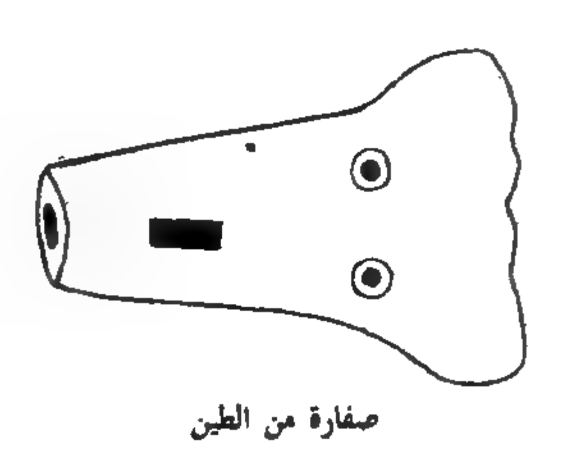
وقد ذكر الرقص في النصوص غير انه ، كما في العهد القديم (سفر صموئيل الثاني ، الاصحاح ٦ : ١٤ : — ٢١ وغيره) ، ذو علاقة وثيقة بالطقوس الى درجة لا يمكن وضعه باعتباره من مجالات اللهو حيث من المحتمل انه لم يأخذ طبيعة نشاط مستقل في اي معنى .

كما وجدت الالعاب ذات القطع او المتضادين على لوحة معلمة بالمربعات حيث عثر على عدة لوحات من هذا النوع (انظر اللوحة ٩ آ) مع ان تفاصيل اللعبة الخاصة لا زالت غير معروفة . كما عثر على زهر يشبه تماما الزهر

المستعمل حتى الان .

وكانت الموسيقى ترافق الاعياد الشعبية والملكية منذ عهد عصور فجر السلالات على الاقل بينما كان لها في الطقوس ، كما في العهد القديم (سفر صموئيل الأول الاصحاح ١٠ : ٥ وأماكن كثيرة اخرى) ، دور مهم وكان هناك الات طرق ونفخ وآلات وترية ذكرت في النصوص ومثلت في الفن (انظر اللوحة ٥٢) ، وقد عثر على بعض امثلة الالات الموسيقية في التنقيبات وتبين اللوحة ٧ احد القيثارين المكتشفين في اور . كما عثر على قطعة اخرى ربما انها تمثل قيثارة او آلة وترية اخرى في مدينة النمرود عام ١٩٥٢ غير انها تحطمت اثناء التنقيبات . كما عثر على صفاوة بابلية من الطين المفخور (انظر التوضيح) من نوع الات النفخ الموسيقية البسيطة في القرن الاخير . غير انها فقدت منذ ذلك الحين .

وربما كان البالاك balag وهو طبل على شكل ساعة رملية ، هو اكثر الالات الموسيقية البابلية بدائية وكان يستخدم في طقوس المعبد من قبل الكاهن **كالو** Kalu لتطييب قلب الاله .



صفارة من الطين

وكان هناك نقارة (طبلة) مقدسة تسمى **ليلسّو** lilissu توضع في بناء المعبد وتضرب في وقت خسوف القمر .

الصحة وعلم النفس :

ان تدقيق النصوص الطينية وغيرها من النصوص تحطم التمثيل الشائع للعالم القديم بانه عهد ذهبي مأهول باقوام سعداء واصحاء احرار من الممنوعات احرار من القلق واحرار من الرغبة . ومع انه لا يوجد احصائيات ، الا ان

الامراض العقلية كانت بالتاكيد معروفة وقد اشير الى انواع مختلفة من الامراض العصبية والنفسية وكمثال للامراض النفسية يمكن ان يشار فقط الى اخبار العهد القديم خاصة بنبو خذنصر الذي عانى من مرض الذابة (سفر دانيال ، سفر ٤ : ٢٨ — ٣٣) وفيما اذا كان ذلك حقيقة متعلق باحد الملوك الحقيقين او انه تصور ديني ، فانه يعكس معرفة العالم القديم بنوع من الامراض العقلية . ويبدو ان العائلة المالكة في عيلام كانت تعاني بصورة خاصة من امراض عقلية وهناك عدة اشارات الى حكام مختلفين من هذه السلالة تقول بان «عقله تغير» ولا يعني ذلك ، كما يظهر ، ان الرجل المعني قد غير سياسته بل انه قد فقد ادراكه . وكان العجز الجنسي احد اشكال المساوىء النفسية التي عانى منها البعض في العالم القديم كما في الوقت الحاضر . وهناك اشارات واضحة لذلك في النصوص وقد كان هناك لدى الحثيين طقوس كاملة لمعالجة هذه العلة . وان الاحتلام الليلي هو بالتأكيد ليس من نتائج التوترات والممنوعات الحديثة فقط فقد كان معروفا للقدماء كما تثبت نصوص الفأل من النوع التالي :

اذا اثير رجل جنسيا اثناء الليل واحتلم في حلمه ، فسيعاني ذلك الرجل من خسائر مادية .

اذا اثير رجل جنسيا اثناء احلامه واستيقظ اثناء الليل واحتلم ، فان لذلك الرجل ... يحصل على الغنى .

ومن بين الدلائل والاعراض والامراض ، كان الصداع والحمى عامة جدا . كما ذكر التهاب الجيوب والتهاب اللوزتين والتهاب الغشاء المخاطي والروماتيزم وانواع مختلفة من الشلل وربما التدرن . وكان التهاب العين والاذن يحدث كثيرا . وان الاعراض التي اشير اليها لا بد وان بعضها يشير الى امراض داخلية كما كان اليرقان والزحار شائع جدا ، كما هي حتى الان في العراق . وبالنسبة للنساء فلم يكن الارتباك والاجهاض نادرا . فقد ذكر يكثرة مرض السيلان وربما امراض تناسلية اخرى (انظر-صفحة ٥٠٥) كما اشير الى تورم الاوردة . وكان البابليون عارفون تماما بالولادات غير الطبيعية والشاذة قبل ان يلام الانشطار النووي على مثل هذه الحوادث بفترة طويلة وقد سجلت مثل هذه الاحداث بسبب اهميتها في قراءة الطالع .

كما افادتنا رغبة القدماء بقراءة الفأل وزودتنا بمعرفة مفصلة عن الاشياء التي قد يحلم بها سكان بلاد ما بين النهرين ويمكن الاطلاع على هذه الادلة في البحث العلمي ، ومع هذا فهو سهل القراءة ، الذي وضعه A.L. Oppenheim The Interpretation of Dreams in the ancient Near East (1956).

حيث نشرت قراءات الطالع المشتقة من الاحلام وتأخذ هذه القراءات الشكل التالي :

اذا طار رجل عدة مرات ، فسيذهب كل ما يملك .

ومن الطبيعي انه كان للقدماء كما لنا احلام فيها طيران وان تفسير فرويد المختلف تماما لمثل هذه الاحلام معروف لدى معظم القراء . كما كان لهم احلام مرعبة من مختلف الانواع . ويشير احد نصوص الفأل البابلية القديمة الى رجل رأى المدينة في حلمه ، ولا بد وانها كانت فوق تل ، تسقط عليه مرارا دون ان يجد احدا يجيب على صراخه للنجدة . كما كانت الاحلام المخجلة الخاصة بالسير عاريا معروفة للبابليين كما هي (استنادا الى فرويد) معروفة للاوربيين وكانت تعتبر وفي العالم القديم طالع حسن :

اذا سار رجل في حلمه عاريا ... فسوف لن تحل مشاكل ذلك الرجل .

وان كثيرا من الاحلام التي ذكرت في نصوص الفأل تلقي الضوء على جوانب من فكر الانسان القديم ، لذا :

اذا دخل رجل (في حلمه) جنسيا بحيوان وحشي ، فسيرفه اهل بيته .

اذا دخل رجل (في منامه) جنسيا بابنته (الشطر الثاني مفقود)

اذا دخل رجل (في منامه) جنسيا بحماته (الشطر الثاني مفقود)

اذا كان ذكر الرجل (في منامه) طويلا فسوف لن يكون له منافس .

اذا خرج ادراره (في حلم رجل) من ذكره وملأ الشوارع فستصادر املاكه وتعطى للمدينة

اذا (في حلم رجل) اتجه ادراره الى اعلى ، الى السماء ، فسيكون الابن الذي انجبه ذلك الرجل مهما ، غير ان ايامه ستكون قصيرة .

وهناك عدد من الاحلام التي تشير الى الاكل بما في ذلك اشارات الى اكل لحوم البشر (انظر اعلاه صفحة ١٩٩) والى اكل اجزاء من جسم المحتلم نفسه . وان اصل تفسير الاحلام يمكن ان يخمن في كثير من الاحيان ولو ان الرمزية واضحة في بعض الحالات لذا :

اذا اعطى شخص (في حلم) المحتلم عجلته ، فسيكون له توأم (العلاقة هي ان العجلة تكون عادة مزدوجة) .
اذا في (حلم رجل) اعطاه كوبا فارغا فسيفتقر الفقير اكثر .
اذا في (حلم الرجل) اعطاه كوبا مملوءا فسيكون له شهرة ونسل .

وبعض التفسيرات تعتمد فقط على التورية . لذا :

اذا (في حلم رجل) اعطى الرجل خشب ـــ الميخرو mihru فسوف لن يكون له منافس (بالاكدية ماخيرو mahiru)

الدوافع الاجتماعية :

كانت الجريمة معروفة في العالم القديم باشكالها المتعددة كما هي اليوم . فكان هناك شباب حاولوا التخلص من سلطة الابوين (انظر صفحة ٢٢٠) وكان هناك قتلة (انظر صفحة ٢٣٥) ومغتصبين وسراق اعتياديين اضافة الى المختلسين والمزورين . وكمثال على الاختلاس ، تكشف احدى الرسائل المرسلة من احد الموظفين الى اخر يعلن فيها الكاتب انه قد وجد من قبل سلطات المعبد محتالا لتغطية استغلاله لقسم من الشعير الذي كان مسؤولا عن توزيعه . وقد امرت سلطات المعبد الرجل المذنب ان يعيد الكمية المختلسة مع فائدتها وبالاضافة الى ذلك ان يدفع كمية يبدو انها ربح غير مشروع نتج عن عقد مبادلة مع المتاخر من ضرائب المعبد وضرائب تلك السنة . ومن بين الجرائم الاخرى ، فقد دفع التقليد الديني المتضمن وضع مواد ثمينة في القبور في مصر كما في بلاد ما بين النهرين الى سرقة القبور . وان ذلك واضح من وضعية بعض القبور عند اكتشافها بينما ذكر . احتمال سلب الغير في احد النصوص البابلية : « لقد فتح القبر واخذت كنوزي » .

وكانت عقوبة الجرائم اما الموت او الغرامة ولو ان التمثيل قد استخدم احيانا ، ولا سيما في بلاد اشور . ولم يكن هناك نظام عام للسجن ولو ان الشخص المتهم قد يؤخذ للتوقيف ريثما ينتظر المحاكمة او ان يحبس الدائن (او احد افراد اسرته غالبا) مؤقتا في بيت دائنه او يؤول الى العبودية ، وان هذا النوع من الاحتجاز لم يكن استنادا الى بروفسور كونزة The Laws of Eshnunna, (1956), p. 71 ليقصد به ان يكون لفترة طويلة حيث كانت فترة الاشهر الخمسة من الاحتجاز التي ذكرت احدى المرات معتبرة ، كما يشير

الى ذلك البروفسور كونزة ، بانها فترة فاحشة الطول .

معاملة الحيوانات :

ليس هناك سبب لأن نفترض بان النظرة الى الحيوانات في بلاد ما بين النهرين كانت اكثر رقة مما هي عليه في كثير من اجزاء العالم اليوم . وفي الحقيقة ان احد النصوص يكشف عن الكلمات التالية : لقد ضربت جسدك حتى الاحمرار — بسوط كحمار هارب. ، ومهما يكن ، فقد اظهر الملوك ميلا للحيوانات الوحشية وكانوا يرتاحون لاستلام هدايا من هذا النوع (انظر مثلا صفحة ٨٩) ولدينا رسالة عبر فيها موظف حريص للملك حول الخطوات التي اتخذها بشأن الاسد الذي قبض عليه في العنبار . وكان يقصد ان ينتظر تعليمات اخرى غير ان تلك التعليمات لم تصل ، وخلال ذلك فقد كان الاسد محفوظا في العنابر لمدة خمسة ايام وقد رمى له كلب وخنزير ليأكلهما ، ثم كما يقول الموظف : « قلت (لنفسي) ربما يهرب ذلك الاسد ، وكنت اخشى(ان يحدث ذلك)لذا وضعت ذلك الاسد في قفص خشبي ووضعته في سفينة وارسلته الى سيدي » .

وقد مثل اسد اليف وهو يمشي في بستان مع صناجين في افريز من قصر اشوربانبال في نينوى (محفوظ الآن في المتحف البريطاني) .

ويبدو انه كان للحصان الذي كان يعامل بصورة عامة بالتقدير مركز جيد بصورة عامة في بلاد ما بين النهرين . وهناك استثناء لذلك في ماري ، حين كتب احد الموظفين الى ملكه مشيرا الى ان ركوب الحصان كان يعتبر على الاقل من قبل جماعة من رعاياه ، عملا غير محترم* .

دع سيدي يقدر مركزه الملكي . انت ملك الخانيين
ولكنك ملك الاكديين ايضا . يجب ان لا يركب سيدي
حصانا . دع سيدي يركب عربة او بغلا .
ودعه يقدر مركزه الملكي .

ودخل الحصان في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد مع الكاشيين . ولم يكن له بينهم سمعة مقدرة فحسب بل وكذلك نسبا كما يستفاد ذلك من بعض النصوص من نيبور التي تعطي قائمة بالخيل مع اسماءها واسماء نسبها .

---

* حول تفسير هذا النص انظر

I.J. Gelb Journal of Cuniefom Studis, XV (1961) p. 37 note 31.

الفصل السابع

القانون وادارة الدولة

ان اهم ما يميز حضارة بلاد ما بين النهرين القديمة هو احترامها لحكم القانون ، وان القسم الاعظم من الوثائق المسمارية المكتشفة حتى الان ــ ما يقرب من ٩٥٪ من النصوص باللغة السومرية وربما ليس اقل من ذلك بكثير من النصوص المدونة باللغة الاكدية ــ تتضمن نصوصا يشار اليها غالبا باسم « العقود » مجازا على الرغم من انها في الواقع تشمل بالدرجة الرئيسة ايصالات وحسابات اضافة الى عقود من مختلف الانواع ذات العلاقة بالممتلكات . وكان المتعارف عليه ان اي تعاقد خاص بالممتلكات لا يعتبر نافذا ما لم يكن موثقا بعقد مدون وكان اي تزوير في مثل هذه العقود يعتبر من الجرائم المشينة .

وقد ادعى العديد من ملوك الالف الثالث قبل الميلاد بانهم اقاموا العدل والقانون وليس هناك ما يدعو للشك في نشاطهم في هذا المجال . غير ان نشاطهم في الفترات الاولى في تشريع القوانين المدونة لا زال غير مؤكد ،

فليس هناك مثلا ما يشير الى انه قد رافق اصلاحات (اوركا جينا) اعلانها للجمهور على نصب عام على الرغم من ان مثل هذا الاحتمال ليس ببعيد ، حيث يشير الكاتب هوبس Hobes ان : « باستثناء قانون الطبيعة ، فان من جوهر جميع القوانين الاخرى ان تعلن الى كل رجل يطلب اليه ان يطيعها اما بالكلام او الكتابة او بعمل اخر معروف من السلطة الحاكمة » (Leviatham, chapter 26) .

ولفترة طويلة كانت اقدم مجموعة قانونية معروفة هي قوانين حمورابي التي امكن التعرف على معظم اجزائها مدونة على مسلة من حجر الديوريت يبلغ ارتفاعها سبعة اقدام وست عقد اكتشفت عام ١٩٠١ ـــ ١٩٠٢ اثناء تنقيبات البعثة الفرنسية في مدينة (سوسا) عاصمة بلاد عيلام القديمة . وكان واضحا منذ البداية الشبه الكبير بين هذه القوانين وقوانين العهد القديم التي تنسب عادة الى موسى وظل النقاش يدور عشرات السنين حول ماهية هذا التشابه لمعرفة المدى الذي تدين به قوانين العهد القديم الى قوانين حمورابي التي سبقتها بعدة قرون كما هو معروف . حتى ان احدى المدارس تطرقت في رأيها الى درجة القول : ان قوانين العهد القديم مقتبسة من القوانين البابلية السابقة لها . وان قانون حمورابي كان السلف المباشر او البعيد للنظام القانوني العبري . غير ان المكتشفات التي اتت بعد ذلك قد غيرت من هذا الانطباع ووضعت المشكلة برمتها في منظور اكثر وضوحا . فهناك في الوقت الحاضر اجزاء مهمة من ثلاث مجموعات قانونية على الاقل تسبق قانون حمورابي بمائة سنة او اكثر . بينما تم العثور على مجموعات اخرى من فترات تالية في منطقة الحثيين وبلاد اشور اضافة الى مجموعات صغيرة من القوانين من اماكن مختلفة .

وجميع هذه المجموعات القانونية (لا يستسيغ رجال القانون استخدام مصطلح قانون ، تقنين ، بالنسبة لهذه المجموعات حيث ان الادلة على وجود تقنين حقيقي لمحتواها قليلة باستثناء قانون حمورابي) تظهر مبادىء عامة ومميزات خاصة بكل منها ، مما يشير بوضوح الى انه كان يوجد في الشرق الادنى القديم مجموعة كبيرة من القوانين العامة او المتعارف عليها وقد ادخلت بعض هذه القوانين الى مختلف المجموعات القانونية المحلية بعد اجراء التعديلات عليها

لتلائم والظروف المحلية وان هذه الحقيقة تفسر بدقة التشابه بين القوانين العبرية والقوانين البابلية .(١)

ان الادلة المتوفرة حاليا تشير الى ان مجموعات القوانين المعروفة لم تكن غير معروفة في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد وبداية الالف الثاني . بل هناك من يرى احتمال وجودها في كل دويلة معروفة اما باللغة السومرية او اللغة الاكدية حسب الظروف المحلية .

اما العدالة التي كان يعبر عنها باللغة الاكدية بالكلمة التي تعني (الشيء المستقيم) فكانت من اولى الامور التي اهتم بها الملوك . فالملك حمورابي مثلا اعتبر تثبيت العدالة من اولى الامور التي اهتم بها عند اعتلائه العرش فأرخ السنة الثانية من حكمه بالسنة التي نشر فيها العدالة في البلاد . وهي صيغة استخدمها غيره من الحكام . غير ان ذلك لا يشير الى نشر القوانين المعروفة باسمه والتي يمكن نسبة تاريخ اصدارها الى فترة متأخرة جدا عن ذلك بل الى بعض الخطوات التي اتخذها لتحسين حالة المواطنين . فـ« العدالة » المشار اليها هنا كانت تعني بالدرجة الاولى العدالة الاقتصادية وهناك ادلة تشير الى ان

---

(١) : مما لا ريب فيه ان التشابه الكبير بين القوانين البابلية والاشورية والعبرية وغيرها من القوانين القديمة في الشرق الادنى يشير ويؤكد حقيقة اصل جميع الاقوام العربية القديمة (السامية) المشترك . فالمعروف ان تلك الاقوام كانت تقطن اصلا في شبه الجزيرة العربية ثم انتشرت في انحاء الشرق الادنى القديم واقامت لها حضارات زاهرة كالحضارة البابلية والاشورية ونشرت فيها جميع القيم والمبادىء والنظم التي كانت تدين بها وهي في موطنها الاول . غير ان تلك المبادىء والقيم والنظم اصابها ما اصاب غيرها من المقومات الحضارية الاخرى ، بعض التحوير والتعديل والتغير تبعا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمنطقة التي استقرت فيها تلك الاقوام في حين ظلت الخطوط العامة التي تكون خليفتها واحدة . ولعل ابرز مثل يوضح التشابه العام اضافة الى القوانين هي اللغات العربية القديمة (الاكدية والارامية والعبرية والعربية .. الخ) التي تشترك في الخصائص العامة وتختلف في التفاصيل وقد امتد تأثير النظم والمبادىء العربية القديمة على الاقوام الاخرى التي كانت تقطن المنطقة كالاقوام الحورية والحيثية فدخلت كثير من تلك النظم والمبادىء في قوانينهم الخاصة بينما اتبعت اقوام اخرى النظم والقوانين العربية القديمة نفسها في حياتها الخاصة والعامة كالاقوام الكاشية في بلاد بابل . (المترجم) .

قيام الملك بنشر العدالة في البلاد كان يتضمن اتخاذ بعض الخطوات الخاصة بتأجيل او اطفاء عام للديون المستحقة . فمنذ ان بدأ النظام السومري القديم المعتمد على اشتراكية الدولة بالزوال (هناك ادلة تشير الى ضعف هذا النظام من الناحية الاقتصادية منذ عهد اصلاحات أوركاجينا) اصبح للفلاح ملكية خاصة وبات مالكا او مستأجرا للارض بدلا من اخذها وفق نظام اقطاعيات المعبد ومعرضاً لمواجهة الأزمات الحادة كالفيضان والجفاف والافات الزراعية والمرض . بينما كان المعبد وفق النظام القديم ، باعتباره المالك وسيد كل شيء بما في ذلك الناس والارض يتخذ الخطوات اللازمة لتوزيع الارزاق من مخازن المعبد ليمكن المجتمع من التغلب علىَ مثل هذه الازمات ، اصبح على الفلاح المالك المستقل للارض ان يقترض من المعبد بفائدة . وبمرور السنين كان من نتائج ذلك ان وقع معظم الفلاحين ضحية للديون المتراكمة ولم يكن بالامكان تصفية مثل تلك الاوضاع الا باتخاذ خطوات جذرية ، اي باطفاء عام للديون المستحقة وبدء حياة جديدة . وهناك اثار لمثل هذا الوضع في العهد القديم حيث ينصح الاصحاح الخامس والعشرين من سفر اللاويين الخاص بسنة اليوبيل year of Jubile انه في السنة الخمسين يجب ان يعاد للرجل الفقير الذي سبق له واضطر ان يرهن ممتلكاته او ارضه او اعطى نفسه للعبودية جميع حقوقه السابقة .

وعلى الرغم من ان السنة الثانية من حكم حمورابي مؤرخة بالسنة التي نشر فيها العدالة في البلاد فان ذلك لا يشير الى تشريع القوانين ولكن من الممكن ان الخطوات الاقتصادية كانت من النوع المذكور آنفا قد ادت في النهاية الى ظهور مجموعة القوانين الخاصة به . وكان من بين الامور التي اهتم بها الملك ايضا اصدار تعليمات لتثبيت الاسعار والاجور لمنع استغلال الناس من قبل المعبد وكبار الملاك وما ينتج عن ذلك من ضيق اقتصادي وبلبلة سياسية . ولعل مسلة حمورابي التي اقيمت في مدينة بابل او في مكان اخر لتعلن عن نص القوانين الملكية تعود باصولها الى نصب مشابه لكنه اكثر بساطة يحمل قائمة بالاسعار الرسمية . فقانون حمورابي يتضمن مواد تعالج تحديد معدل الاجور والخدمات في نهاية المواد القانونية وقبل الخاتمة مباشرة على حين يلاحظ ان قوانين مملكة اشنونا التي تسبق قوانين حمورابي بما لا يقل عن مائة سنة تبدأ بتثبيت اسعار معظم المواد الرئيسة في الحياة الاقتصادية (الشعير والدهن على

اختلاف انواعه والشحم والصوف والملح والتوابل والنحاس) يتبعها مواد خاصة بتحديد اجور العربات والقوارب واجور العمال الزراعيين على مختلف انواعهم .

والمعروف ان حمورابي وخلفاءه كانوا قد اصدروا « اوامر ملكية »(١) الى موظفيهم كارشادات في بعض الامور كاسلوب التقاضي ومعالجة قضايا تخص العقود وغيرها . ويبدو واضحا من احدى الفقرات في رسالة ملكية ان هذه الاوامر كانت توجيهات مدونة لا تدل على قوانين مجردة ففي هذه الرسالة يكتب الملك الى احد موظفيه موجها اياه بان يحكم في القضية « استنادا الى الاوامر الملكية التي امامك » . وقد تكون هذه الأوامر الملكية المعدلة للاعراف السائدة والموفقة بين النظم القانونية السائدة في المدن المختلفة او الباعثة للقوانين التي بطل اتباعها الخلفية لوثيقة قانون حمورابي المهمة . حتى ان بعض العلماء يذهب الى ابعد من هذا ويعتبر القانون بانه يتضمن مجموعة من القرارات التي اتخذت في قضايا معينة اكثر من كونه اوامر ملكية .

ان اقدم المجموعات القانونية المكتشفة حتى الان ــ ولعل المكتشفات الاثرية المقبلة ستكشف لنا عما هو اقدم منها ، هي مجموعة القوانين التي تعود الى اور ــ نمو مؤسس سلالة اور الثالثة واول ملك فيها . ولم يتم نشرها حتى عام ١٩٥٢ ويبدأ النص (المدون باللغة السومرية) بموجز عن تاريخ العالم وارتفاع شأن مدينة اور وملكها اور ــ نمو كممثل لاله المدينة ننّا . ويذكر اور ــ نمو انه بعد ان عزز الناحية السياسية والعسكرية في المدينة اتجه الى اتخاذ الاجراءات لاصلاح الاوضاع الاقتصادية وتصحيح عدد من المساويء فقد عزز :

(العدالة في البلاد .. والغى الواجبات ، الملاحين الكبار

---

(١) : لعل من الافضل ان يطلق على هذه الاجراءات مصطلح (المراسيم الملكية) حيث انها لم تكن اوامر ناهية فحسب كما لم تكن قوانين او اصلاحات بل كانت عبارة عن اجراءات فورية استثنائية لمعالجة اوضاع اقتصادية واجتماعية معينة قائمة ومكتسبة لجميع النواحي القانونية . فهي الغاء لبعض القواعد والاحكام القانونية او استثناء منها لفترة محدودة . وكان الملوك يصدرون مثل هذه المراسيم في السنة الاولى او الثانية من حكمهم . وقد يصدرون ، كالملك حمورابي ، مراسيم اخرى في سنة اخرى من سني حكمهم .

ويستدل من المراسيم المكتشفة حتى الآن (وهي مراسيم الملك امي صدوقا والملك سمو ايلونا من ملوك سلالة بابل الاولى) ان العمل بها كان يشمل مدينة واحدة او اكثر وان مضمونها كان خاص بالدرجة الاولى باطفاء انواع معينة من الديون والغاء فوائدها والغاء انواع معينة من الضرائب او تخفيضها وابطال انواع معينة من عقود بيع الاملاك غير المنقولة . اضافة الى ذلك ، قد تتضمن تلك المراسيم بعض القواعد القانونية العامة ذات المفعول الدائم . (المترجم) .

(مهما كان معنى ذلك) اولئك الذين اخذوا بالقوة الثيران والماشية والحمير) . وضمن ان :

(اليتيم لم يعد يسلم الى الغني ، والارملة لم تعد تسلم الى القوي ، والرجل صاحب الشاقل لم يعد يسلم الى الرجل صاحب المنا ...) [١] .

وان بقية المقدمة وبداية المواد القانونية مفقودة ثم يبدأ النص بالوضوح بعد بداية المواد القانونية .

ومما يوسف له ان النص في حالة رديئة جدا غير انه من الممكن قراءة خمس مواد بشيء من الثقة[٢]

وتتضمن هذه المواد ، حسب التسلسل ، المحاكمة بواسطة الامتحان النهري واعادة الرقيق الابق (؟) الى سيده وتعويض عن ايذاء (ويشمل ذلك ثلاث مواد من مجموع المواد الخمس) ويمكن ترجمة احدى المواد الخاصة بايذاء الاشخاص كما يأتي :

« اذا كسر رجل عظم رجل اخر فعليه ان يدفع منا من الفضة » والمادتان الاخريان مماثلتان لهذه المادة من حيث المبدأ . واهم ما يذكر عن هذه المواد انها تشير الى ان بلاد سومر انذاك كانت قد تركت مبدأ القصاص ، او مبدأ العين

(١) : من الطريف ذكره ان المصطلحات التي كانت مستخدمة في العهود البابلية والاشورية للدلالة على وحدات الوزن تشابه ، من حيث الاشتقاق احيانا ومن حيث الصيغة والمعنى احيانا اخرى ، المصطلحات المرادفة في اللغة العربية . ففي اللغة العربية يعني مصطلح « منا » و« مثقال » (المشتقة من الجذر الثلاثي) « ثقل » الذي يقابل الجذر الثلاثي الاكدي (شقالُ) ، وحبّة ، التي تقابل مصطلح حطة (اي حنطة) في اللغة الاكدية . اما ما يقابل هذه الاوزان في اوزاننا الحديثة فهو كما يلي :

١ منا	يساوي	٥٠٥ غم
١ شاقل	يساوي	٨/٤ غم
١ شيء (حطّة)	يساوي	٤٦/٧٥ غم

(المترجم)

(٢) : تم مؤخرا التعرف على نسخة ثانية من قانون اورنمو مدونة على كسرتين من الطين عثر عليهما في مدينة اور فامكن قراءة ما يقرب من اثنين وعشرين مادة قانونية اضافة الى اجزاء كبيرة من المقدمة . ويعتقد ان القانون كان يتضمن في هيئته الكاملة اكثر من ثلاثين مادة . وقد شملت المواد المتبقية مواضيع مختلفة فجاءت المواد ٤ ــ ١٢ ذات علاقة بالاحوال الشخصية بينما تعالج المادتان ١٣ و ١٤ هروب الرقيق اما المواد ١٥ ــ ٢٣ فقد خصصت لبيان العقوبات الخاصة بالاعتداء على الاشخاص ، سواء الرقيق ام الاحرار بينما تناولت المادتان ٢٥ و ٢٦ شهادة الزور وحكمها واخيرا المواد ٢٧ ــ ٢٩ التجاوز على اراضي الغير (المترجم) .

بالعين ، ان كان موجودا ، قبيل ذلك على الاطلاق . ويلاحظ الشيء نفسه ينطبق على قانون اشنونا ولعل ذلك بتأثير سومري . اما مبدأ القصاص الاكثر قساوة والذي نجده في قانون حمورابي والقوانين الاشورية والعبرية فانه يعكس الأساليب غير المتطورة الخاصة بالاقوام السامية الاقل حضارة .

وهناك قوانين اخرى معروفة مكتوبة باللغة السومرية . واول هذه القوانين هي قوانين ليت ــ عشتار ملك ايسن الذي حكم في منتصف الفترة بين اور ــ نمو وحمورابي . وقد امكن التعرف عليها مكتوبة على سبع كسر طينية تتضمن جزءا من المقدمة والخاتمة وسبعة وثلاثين مادة قانونية تولف جميعها ، كما يعتقد ، ما يقرب من ثلث النص الاصلي . وابرعة من هذه الكسر ، مليئة بالاخطاء ومشوشة التنظيم هي عبارة عن مقتطفات من قوانين لبت ــ عشتار استخدمت تمارين لتدريب الكتبة . اما الكسر الثلاث الاخرى فتعود الى لوح كبير تشير احدى فقارت خاتمته الى انه نسخة عن اصل كان مكتوبا على نصب عام : « عندما عززت رفاهية بلاد سومر واكد اقمت هذه المسلة » . ويمكن تحليل مواضيع قوانين ليت ــ عشتار كما يلي :

١ ــ ٦ (مهشمة)
٧ ــ ١١ خاصة بالاراضي والحدائق والبساتين .
١٢ ــ ١٤ الرقيق .
١٥ ــ ١٦ الفلاحون .
١٧ (غامضة) .
١٨ انتقال الاقطاعية في حالة عدم امكان الملتزم تأدية خدماته .
١٩ ــ ٢٠ (مهشمة) .
٢١ ــ ٢٧ الارث .
٢٨ تعدد الزوجات .
٢٩ عدم جواز زواج الفتاة من صديق خطيبها المرفوض .
٣٠ زواج المومس (الحالة غامضة) .
٣١ ــ ٣٣ قسمة تركة الاب بين الورثة .
٣٤ ــ ٣٧ الغرامات المفروضة في حالة الاضرار بالثور المؤجز .

وفيما يلي ترجمة لبعض هذه المواد كاملة :

٨ ــ اذا اعطى رجل ارضا بورا الى رجل لزراعتها بستانا ولم يكمل (الاخير) زراعة تلك الارض البور بستانا ، فسيضع (الرجل الاول) الارض البور التي اهملها ضمن حصة الرجل الذي زرع البستان .

١١ ــ اذا كانت الى جوار بيت رجل ارض بور مهجورة تعود لاخر وقال صاحب البيت الى صاحب الارض البور : « قد يتسلل احد الى بيتي من ارضك المهملة » فاذا ايد الاتفاق بينهما على ذلك (اي صاحب الارض البور) فعلى صاحب الارض البور ان يعوض صاحب البيت عن اي شيء قد يفقد من ممتلكاته .

١٨ ــ اذا تأخر صاحب او صاحبة مقاطعة عن دفع ضريبة اقطاع المقاطعة وتحملها شخص غريب فلا يطرد (صاحبها) لمدة ثلاث سنوات بعدها يحق للرجل الذي يتجمل ضريبة اقطاع المقاطعة ان يأخذ المقاطعة لنفسه . اما صاحبها (السابق) فليس له ان يقيم اي ادعاء .

٢٤ ــ اذا تزوج رجل امرأة ثانية وولدت له اطفالا فان البائنة التي جلبتها من بيت ابيها تعود لاطفالها وسيقتسم اطفال الزوجة الاولى واطفال الزوجة الثانية بالتساوي ممتلكات ابيهم .

٢٥ ــ اذا تزوج رجل امرأة وانجبت له اطفالا وعاش هؤلاء الأطفال وانجبت الامة اطفالا ايضا الى سيدها ومنح الاب الحرية لتلك الامة ولاطفالها فلن يقتسم اولاد الامة مع اولاد سيدهم (السابق) الممتلكات .

٢٧ ــ اذا لم تلد زوجة اطفالا وولدت له زانية من الشارع اطفالا ، فعليه ان يجهز تلك الزانية بالحبوب والزيت والملابس وسيكون الاطفال الذين ولدتهم الزانية ورثته ولكن لا تعيش الزانية في البيت مع الزوجة ما بقيت الزوجة على قيد الحياة .

٢٩ ــ اذا دخل الخطيب بيت حميه (المقبل) واتم مراسيم الخطوبة وبعد ذلك اخرجوه (من البيت) و (ارادوا) ان يعطوا زوجته الى صديقه الحميم فعليهم ان يردوا هدية الخطوبة التي جلبها ولن تتزوج تلك الزوجة من صديقه الحميم .

٣٥ ــ اذا اجر رجل ثورا واتلف عينه فعليه ان يدفع نصف ثمنه .

ومن النصوص ذات العلاقة بالناحية القانونية والتي هي بالتأكيد من صنف النصوص المدرسية هي النصوص المعروفة باول كلماتها (حين الطلب ana ittisu) وعلى الرغم من ان النصوص المعروفة

حاليا هي نسخ تعود بتاريخها الى الالف الاول قبل الميلاد ، غير ان الادلة الداخلية فيها تشير الى ان اصولها تعود الى فترة سلالة ايسن (حوالي ١٩٥٠ ق.م) وهي تتضمن مجموعة من المفردات والمصطلحات والجمل السومرية المقتبسة من العقود منسقة بشكل جدول والى جانبها ترجمتها باللغة الاكدية . ويبدو ان اللوح الاخير من هذه المجموعة من النصوص يتضمن نصا خاصا باثني عشرة مادة قانونية تخص الروابط العائلية وفيما يلي ترجمة نماذج منها :

اذا قال ولد لابيه انت لست ابي فله (الاب) ان يحلقه ويضع علامة العبودية عليه ويبيعه . اذا قال ولد لامه انت لست امي يحلق شعره (او نصف شعره حيث ان المعنى الدقيق للمصطلح غير متفق عليه) ويطوفون به حول المدينة ويخرجونه من البيت .

اذا كرهت الزوجة زوجها وقالت : انت لست زوجي يرمونها في النهر (وهذا لا يعني بالضرورة عقوبة الموت فمن الممكن ان يعني ذلك محاكمتها بواسطة الامتحان النهري . اذا كان نكران المرأة لزوجها بسبب اتهامها بالخيانة الزوجية) .

اذا قال الزوج لزوجته انت لست زوجتي فعليه ان يدفع نصف منا من الفضة .

وهناك مادة قانونية مفردة مدونة باللغة الاكدية من العهد البابلي القديم يزعم عنوانها انها من عهد لبت ــ عشتار الذي سبق ان ذكرنا قوانينه السومرية غير ان معظم العلماء متفقون ان هذه المادة القانونية لا تعود ، كما ذكر في النص الى عهد هذا الملك بل ان ما ذكر فيه هو محاولة في القديم لاضفاء صفة القدم عليها زورا حيث كان التزوير معروفا انذاك . واذا استثنينا ذلك فان اقدم القوانين المعروفة باللغة الاكدية هي تلك القوانين المدونة على لوحين من الطين كشف عنهما عام ١٩٤٧ في تل حرمل القريب من بغداد . ويمثل تل حرمل مدينة شادوبّوم القديمة التي كانت ضمن مملكة عاصمتها اشنونا (تل اسمر حاليا على نهر ديالي) ، لذا فقد عرفت هذه القوانين بقوانين اشنونا . ولا تشير الرقم المكتشفة ، كما ظن البعض اول الامر الى ان مشرّع هـذه القوانين هو الملك بلالاما ، وبذا يمكن تاريخ تشريعها الى تاريخ قريب من عهد حمورابي ، ولكن الادلة اللغوية وبعض خصائص النسخ المكتشفة تشير الى انها مشتقة من عهد سبق عهد حمورابي بعدة اجيال ومن المحتمل بفترة تقدر بين مائة الى مائتي سنة .

سبقت الاشارة الى شكل المقدمة التي تضمنت قائمة باسعار المواد الضرورية ، يعقب ذلك عدد من المواد تخص تحديد الاجور والخدمات

والعقوبات المفروضة على بعض الحالات ذات العلاقة بذلك .

ويمكن تحليل المواد الثمانية والاربعين الباقية كما يأتي :

١٢ ــ ١٣ عقوبات خاصة بالتجارة والدخول غير المشروع ــ اثناء النهار الغرامة واثناء الليل الموت .

١٤ ــ ٢١ عقود تجارية مختلفة . اجور نقل الاموال من قبل الوكيل لا يجوز للسماسرة قبول البضائع الرئيسة او الفضة عن طريق المضاربة . لا يجوز اقراض الرقيق او القاصرين المهر المقدم الى والد الفتاة يبقى ملكا للخطيب حتى تدخل الفتاة بيت خطيبها واذا توفيت الفتاة بعد الزواج دون اطفال فللزوج ان يحتفظ بالبائنة وليس له ان يستعيد المهر . سداد الديون .

٢٢ ــ ٢٤ احتجاز الأمة او الزوجة غير المشروع .

٢٥ ــ ٢٨ الخطوبة والزواج . الخطيب الذي يخدم والد الفتاة بدلا من المهر ومن ثم يحرم من الفتاة يتسلم تعويضا مضاعفا . عقوبة اغتصاب الفتاة المخطوبة هي الموت . المعاشرة بدون عقد لا تعطي المرأة صفة الزوجية .

٢٩ ــ ٣٠ خسران الزوج حقه في زوجته ان كانت غيبته بمحض ارادته ولكن ليس ان كانت غيبته نتيجة الاسر .

٣١ الغرامة هي العقوبة المفروضة على من يفتض امة رجل اخر .

٣٢ ــ ٣٥ التعليمات الخاصة باعطاء الاطفال للرضاعة وملكية اطفال الاماء .

٣٦ ــ ٣٧ المسؤولية في حالة فقدان الممتلكات المؤمنة كوديعة .

٣٨ ــ ٤١ تعليمات خاصة بانواع معينة من المبيعات والمشتريات .

٤٢ ــ ٤٨ غرامات الاعتداء والايذاء . يجب محاكمة المتهم في القضايا المهمة وامام الملك في حالة الموت .

٤٩ ــ ٥٢ السرقة وهروب الرقيق .

٥٣ ــ ٥٨ مسؤولية الاضرار ــ الناجمة عن الثور او الكلب او الجدار المتهدم .

٥٩ ــ الزوج الذي يطلق زوجته التي ولدت له اولادا خلافا للقوانين يخسر بيته واملاكه .

٦٠ ــ (النص تالف جدا) محتمل انه يحدد عقوبة الموت على اهمال حارس البيت .

ولاعطاء فكرة عن الطراز والاسلوب ومحتوى القوانين ندرج فيما يلي ترجمة كاملة لبعض المواد القانونية :

٢٥ ــ اذا عرض رجل خدمته الى بيت حميه (المقبل) وقبله حموه في الخدمة ولكنه اعطى ابنته الى رجل اخر ، فعلى والد الفتاة ان يعوض بضعف المهر الذي استلمه (على شكل خدمة) (يمكن مقارنة هذه الحالة مع حالة يعقوب عندما خدم لابان لمدة سبع سنوات لكل من ابنتيه (انظر سفر التكوين ١ صحاح : ٢٩ : ١٨ ــ ٢٨)) .

٢٧ ــ اذا اخذ رجل ابنة رجل اخر بدون موافقة ابويها ولم يبرم عقدا معهما فلا (تعتبر) زوجة حتى ولو عاشت سنة كاملة في بيته .

٣٠ ــ اذا كره رجل مدينته وسيده وهرب واخذ رجل ثان زوجته ثم عاد (اي الرجل الاول) فليس له حق المطالبة بزوجته .

٣١ ــ اذا افتض رجل امة رجل اخر فعليه ان يدفع ثلث منا من الفضة وتبقى الأمة ملكا لسيدها .

٣٣ ــ اذا سلمت امة ابنها الى امرأة حرة بشكل غير قانوني ثم عرفه سيده بعد ذلك فله ان يقبض عليه ويسترجعه (وهنا محاولة من الامة للحصول على حرية ابنها اما المرأة الحرة فلعلها كانت بدون اطفال وارادت تبني الطفل كوريث لها) .

٣٩ ــ اذا افلس رجل وباع بيته فعندما يريد المشتري بيعه فلصاحبه الاصلي الحق ان يستعيده (تذكرنا هذه المادة بما ورد في سفر لاويين اصحاح ٢٥ : ٢٩ « اذا باع رجل بيت سكن في مدينة مسورة فله ان يعاود شراءه خلال سنة كاملة بعد بيعه » وتستمر الفقرة لتقول انه ليس هناك فترة محددة في حالة وقوع البيت خارج المدينة . ويبدو ان حق المالك الاصلي في القانون العبري لا يعتمد على رغبة المشتري في البيع) .

٤٢ ــ اذا عض رجل انف رجل اخر وقطعه فعليه ان يدفع منا من الفضة وللعين منا واحدا ، وللسن نصف منا ، وللاذن نصف منا ، (وبخصوص) الضرب على الذقن فعليه ان يدفع عشرة شاقلات من الفضة .

٥٤ ــ اذا كان ثور نطاحا واخبرت السلطة المحلية صاحبه ولكنه لم يتخذ الاحتياطات (اللازمة) بالنسبة لثوره (ليس واضحا هل ان الفعل يعني قص القرون او تشظيتها) ونطح رجل وسبب موته فعلى

صاحب الثور ان يدفع ثلثي منا من الفضة (تشابه هذه المادة ٢٥١ من قانون حمورابي حيث فرضت فيها ايضا غرامة وكذلك ما جاء في سفر الخروج : الاصحاح : ٢١ : ٢٩ حيث يقتل الثور صاحبه) .

٥٦ — ٥٧ اذا كان كلب مصاب بداء الكلب واخبرت السلطة المحلية صاحبه ولكنه لم يتخذ الاحتياطات بالنسبة لكلبه وعض رجلا وسبب موته فعلى صاحب الكلب ان يدفع ثلثي منا من الفضة فاذا عض رقيقا وسبب موته فعلى (صاحب الكلب) ان يدفع خمسة عشر شاقلا من الفضة .

٥٨ — اذا كان جدار مائلا للانهدام واخبرت السلطات المحلية صاحب الجدار ولكنه لم يقوم جداره وانهدم الجدار وسبب موت رجل حر ، فهي قضية كبرى (وقرارها) بأمر ملكي .

٥٩ — اذا طلق رجل زوجته بعد ان جعلها تلد له اولادا واخذ زوجة ثانية فسيطرد من بيته ومن كل شيء يملكه ويذهب الى من يقبله .

ويمكن ان نرى صدى قانون اشنونا في القانون الذائع الصيت لمدة طويلة وهو قانون حمورابي الذي اعتبر الاساس في دراسة القانون الشرقي القديم لسنوات عديدة ولا زال يعتبر اهم وثيقة مكتشفة . واهم اختلاف بين قانون حمورابي والقوانين الاخرى التي سبق وشرحناها هو ان قانون حمورابي اكثر تنظيما وتنسيقا وبذا فهو احق من غيره بان يوصف بالقانون .

ان التشابه الكبير في المضمون بين قانوني اشنونا وحمورابي قد اثار النقاش حول ما اذا كان هناك اي دليل على الاقتباس المباشر ، ويستنتج العلماء بعد دراسة مفصلة للموضوع بانه ليس هناك دليل واضح على ذلك بعض ان مضمون كلا القانونين مشتق اصلا من اصول قديمة واحدة .

وتقع القوانين نفسها بين المقدمة التي تذكر القاب حمورابي وتشير الى انجازاته السابقة والخاتمة التي تعلن عن غرض قوانينه وشرعيتها وتدعوا الحكام اللاحقين للسير بهداها و : لتدبر الكلمات التي سطرتها على مسلتي ، حتى يجعل الطريق مستقيما لشعبة ذوي الرؤوس السود (الناس) ليقضي لهم ويقرر قراراتهم وعسى ان يستأصل دابر الشر والخبيث من بلاده ويفرح شعبه .

وتنص الخاتمة ايضا على الاسلوب الذي يجب ان يتبعه المظلوم حيث يأمر حمورابي بان : دع الشخص المظلوم الذي له شكوى ان يمتثل امام تمثالي (المدعو) « ملك العدالة » (حيث وضعت المسلة الى جانبه) ومن ثم فليقرأ

مسلتي المكتوبة ويتدبر كلماتي القيمة فعسى ان توضح له مسلتي شكواه وعسى ان يفهم شكواه وعسى ان يرتاح قلبه .

ويبلغ عدد المواد القانونية نفسها في الوقت الحاضر ، حيث هناك بعض النقص فيها اكثر من مائتين وستين مادة قانونية . ويشار الى المواد الموجودة على المسلة الاصلية عادة بالارقام بينما يشار بالحروف الى المواد التي اكتشفت بعد ذلك موزعة على الواح الطين . ويمكن تحليل مواضيع القوانين بايجاز كما يأتي :

ادارة العدالة :

١ ــ ٥ شهادة الزور ــ القضاء المرتشون .

جرائم الاملاك :

٦ ــ ١٤ السرقة بما في ذلك اختطاف القاصر .
١٥ ــ ٢٠ الرقيق الابقون والمسروقون .
٢١ ــ ٢٥ سرقة المنازل واللصوصية والنهب .

الأراضي والبيوت :

٢٦ ــ ٤١ الاراضي المقطعة من الملك .
٤٢ ــ ٤٨ زراعة الاراضي الزراعية من قبل المستأجرين .
٤٩ ــ ٥٢ تعليمات خاصة بتمويل المزارعين المستأجرين .
٥٣ ــ ٥٦ المخالفات الناتجة عن الاهمال في الري .
٥٧ ــ ٥٨ تجاوز الماشية على الحقول الزراعية .
٥٩ قطع الاشجار بدون تخويل .
٦٠ ــ ٦٥ و A زراعة بساتين النخيل .
B,E,G,H تعليمات خاصة بايجار وبناء وتصليح البيوت .
E,J,K (مهشمة) .

التجارة والوكلاء :

R - L قروض التجارة ــ نسبة الفائدة .
T - S (مهشمة) .
U اقتسام الربح والخسارة بين الشركاء .
١٠٠ ــ ١٠٧ تعليمات خاصة بعقود وكلاء التجار .
١٠٨ ــ ١١١ تعليمات خاصة بساقية الخمر (التي يبدو انها كانت سمسارة

في التجارة على نطاق ضيق) .

١١٢ احتيال ناقل البضائع .

١١٣ ــ ١١٧ الاحتجاز مقابل الدين .

١١٨ ــ ١١٩ تسليم الاشخاص للعبودية مقابل الدين .

١٢٠ ــ ١٢٦ ايداع الاموال .

النساء ، الزواج ، املاك العائلة والارث

١٢٧ قذف الكاهنة العليا او المرأة المتزوجة .

١٢٨ الزوجية ، المعاشرة بدون عقد لا تجعل من المرأة زوجة .

١٢٩ ــ ١٣٢ الخيانة الزوجية .

١٣٣ ــ ١٣٦ زواج المرأة ثانية : يسمح بذلك في حالة غيبة الزوج في حالات معينة وبدون شرط ان كانت غيبته بارادته .

١٣٧ ــ ١٤٣ الطلاق .

١٤٤ ــ ١٤٩ التسري ، والحالات التي يسمح بها بتعدد الزوجات .

١٥٠ ارث الاملاك التي يعطيها الزوج لزوجته .

١٥١ ــ ١٥٢ مسؤولية الزوجات بالنسبة للديون .

١٥٣ عقوبة الزوجة التي تقتل زوجها ــ الخازوق .

١٥٤ ــ ١٥٨ السفاح .

١٥٩ ــ ١٦١ نقض العقد بعد الخطوبة .

١٦٢ ــ ١٦٤ التصرف بالبائنة بعد وفاة الزوجة .

١٦٥ ــ ١٦٧ قسمة التركة بين الابناء .

١٧٠ شرعية ابناء المحظية .

١٧١ ــ ١٧٤ حقوق المحظية والابناء غير الشرعيين ، املاك الارملة .

١٧٥ ــ ١٧٦ حقوق المرأة الحرة المتزوجة من رقيق .

١٧٧ التصرف باملاك الزوج الاول عند زواج ارملته .

١٧٨ ــ ١٨٤ حقوق الكاهنات في البائنة او تركة الوالدين .

١٨٥ ــ ١٩٣ التبني .

١٩٤ استبدال الرضيع من قبل المرضعة .

الاعتداء والايذاء :

١٩٥ اعتداء الابن على ابيه .

١٩٦ ــ ٢٠٥ العقوبات المفروضة على الايذاء ــ القصاص اذا كان المجني

عليه من الاحرار والتعويض ان كان من الطبقة الوسطى او الرقيق .

٢٠٦ ـ ٢٠٨ الرجل الذي يوقع ضررا ما عن غير عمد معرض للغرامة او التعويض وليس الي القصاص .

٢٠٩ ـ ٢١٤ الاعتداء على المرأة والتسبب في الاجهاض .

اجور اصحاب المهن ومسؤولياتهم :

٢١٥ ـ ٢٢٥ اجور الجراحين والبياطرة في العمليات الناجحة والعقوبة المفروضة في حالة فشل العملية

٢٢٦ ـ ٢٢٧ عقوبة ازالة او التسبب في ازالة علامة العبودية .

٢٢٨ ـ ٢٣٩ اجور البنائين والملاحين وعقوبة الاهمال .

٢٤٠ اصطدام السفينة الشراعية بالسفينة الامامية .

الزراعة :

٢٤١ ـ ٢٤٩ احتجاز واجرة وموت واصابة الثيران .

٢٥٠ ـ ٢٥٢ مسؤولية الضرر الناتج عن الثور النطاح .

٢٥٣ ـ ٢٥٦ اختلاس الوكيل .

٢٥٧ ـ ٢٥٨ اجرة الزرّاع والراعي (الجوال) .

٢٥٩ ـ ٢٦٠ سرقة الالات الزراعية .

٢٦١ اجرة راعي الغنم والبقر .

معدل الاجور :

٢٦٨ ـ ٢٧٧ معدل اجور الحيوانات ، العربات ، العمال الحرفيين ، السفن .

تملك وبيع الرقيق :

٢٧٨ ـ ٢٧٩ مسؤولية بيع الرقيق المريض او من كان عليه ادعاء قانوني .

٢٨٠ ـ ٢٨٢ المطالبة بالارقاء الذين تم شراؤهم في الخارج وعادوا الى بلاد بابل بعد ذلك .

وهناك ترجمة انكليزية جيدة كاملة للقوانين مع تعليمات مفصلة في كتاب درايفر ومايلز الموسوم (القوانين البابلية القديمة) (في جزئين الاول طبع عام

١٩٥٢ والثاني عام ١٩٥٥) ولعل من المفيد ان نورد ترجمة بعض المواد كنماذج للقانون : G. Driver and Miles, old Babylonian Laws, oxford, 1952, 1955

١ —	اذا اتهم رجل رجلا ورماه بتهمة القتل ولم يثبت ذلك عليه فان متهمه يقتل .
٢٢ — ٢٣	اذا سرق رجل وقبض عليه يقتل واذا لم يقبض على السارق فعلى المسروق ان يعلن امام الاله عن كل شيء سرق منه وعلى المدينة والحاكم الذين وقعت في حدود منطقتهم السرقة ان يعوضوه عن جميع ما فقده .
٥٥	اذا فتح رجل جدوله للسقي وكان متقاعسا فترك الماء يغمر حقل جاره فعليه ان يكيل حبوبا بقدر (غلة الحقل) المجاور له .
١١٧	اذا وقع رجل تحت طائلة عقد (دين) وباع زوجته او ابنه او ابنته مقابل الفضة او اعطاهم للخدمة فعليهم ان يخدموا في بيت من اشتراهم او اخذهم للخدمة لمدة ثلاث سنوات وفي السنة الرابعة تعاد لهم حريتهم .
١٢٨	اذا اخذ الرجل زوجة ولم يبرم عقدها فليس لتلك المرأة صفة الزوجية .
١٥٣	اذا تسببت امرأة موت زوجها بسبب رجل اخر فتوضع تلك المرأة على الأوتاد .
١٧٠	اذا ولدت زوجة الرجل اولادا له وولدت له امته اولادا وقال الاب اثناء حياته الى الاولاد الذين ولدتهم الامة انتم اولادي فعليه ان يعدهم مع اولاد زوجته . فبعد ذهاب الاب الى اجله يقتسم اولاد الزوجة واولاد الامة تركة بيت الاب بالتساوي ويكون الوريث ابن الزوجة ويختار السهم الذي يريده عند القسمة .
١٨٥ — ١٨٦	اذا تبنى رجل طفلا (ليدعي) باسمه ورباه فسوف لن يطالب بذلك الطفل المتبني . واذا تبنى رجل طفلا وعندما اخذه ظل يبحث عن ابيه وامه فلذلك الطفل المتبني (او على ذلك) ان يعود الى بيت ابيه (هناك شك في تفسير المادة حيث لم يثبت بصورة مؤكدة عما اذا كان يريد العودة الى والديه ام ان الرجل المتبنى يرغب في ابطال التبني) .

٢٠٩ ــ ٢١٠ اذا ضرب رجل ابنة رجل حر وسبب اسقاط ما في رحمها فعليه ان يدفع عشرة شاقلات من الفضة لما في رحمها واذا ماتت المرأة نتيجة ذلك فعليهم ان يقتلوا ابنته (واذا كانت المرأة المعتدى عليها ابنة فلاح (مشكينم) او رقيق فان موتها يستوجب دفع غرامة اكبر فقط) .

٢١٥ ــ ٢١٨ اذا اجرى جراح عملية كبرى لرجل حر بآلة برونزية وانقذ حياته او فتح محجر عين بالة برونزية وانقذ عين الرجل فسيأخذ عشرة شاقلات من الفضة . واذا قام الجراح بعملية كبرى لرجل بالة برونزية وسبب موته او فتح محجر عينه بالة برونزية واتلف عين الرجل تقطع يده .

٢٢٩ ــ ٢٣٠ اذا بنى بناء بيتا لرجل ولم يتقن عمله وانهار البيت الذي بناه وسبب قتل صاحب البيت يقتل ذلك البناء .
فاذا تسبب بقتل ابن صاحب البيت يقتلون ابن البناء .

ويبدو واضحا من ملخص القوانين ومن النماذج التي ترجمت ان قانون حمورابي لا يمثل نظاما قانونيا كاملا . ولم يدّع حمورابي اي في المقدمة والخاتمة انه قنن جميع القوانين التي كانت سائدة . فهناك امور كثيرة لا يتضمنها القانون ولا بد انها كانت تحتاج الى احكام قانونية ، فعلى سبيل المثال ليس هناك اشارة الى قتل الاقرباء او سرقة المواشي او اختطاف الاشخاص باستثناء ابن الرجل الحر . ولذا يمكن ان نستنتج ان حمورابي كان يحاول ان يعالج الأمور التي كانت بحاجة الى تعديل او اختيار احد الحلول الموجودة في المدن المختلفة لحالة معينة او جمع القواعد التي كانت في طريقها للزوال .

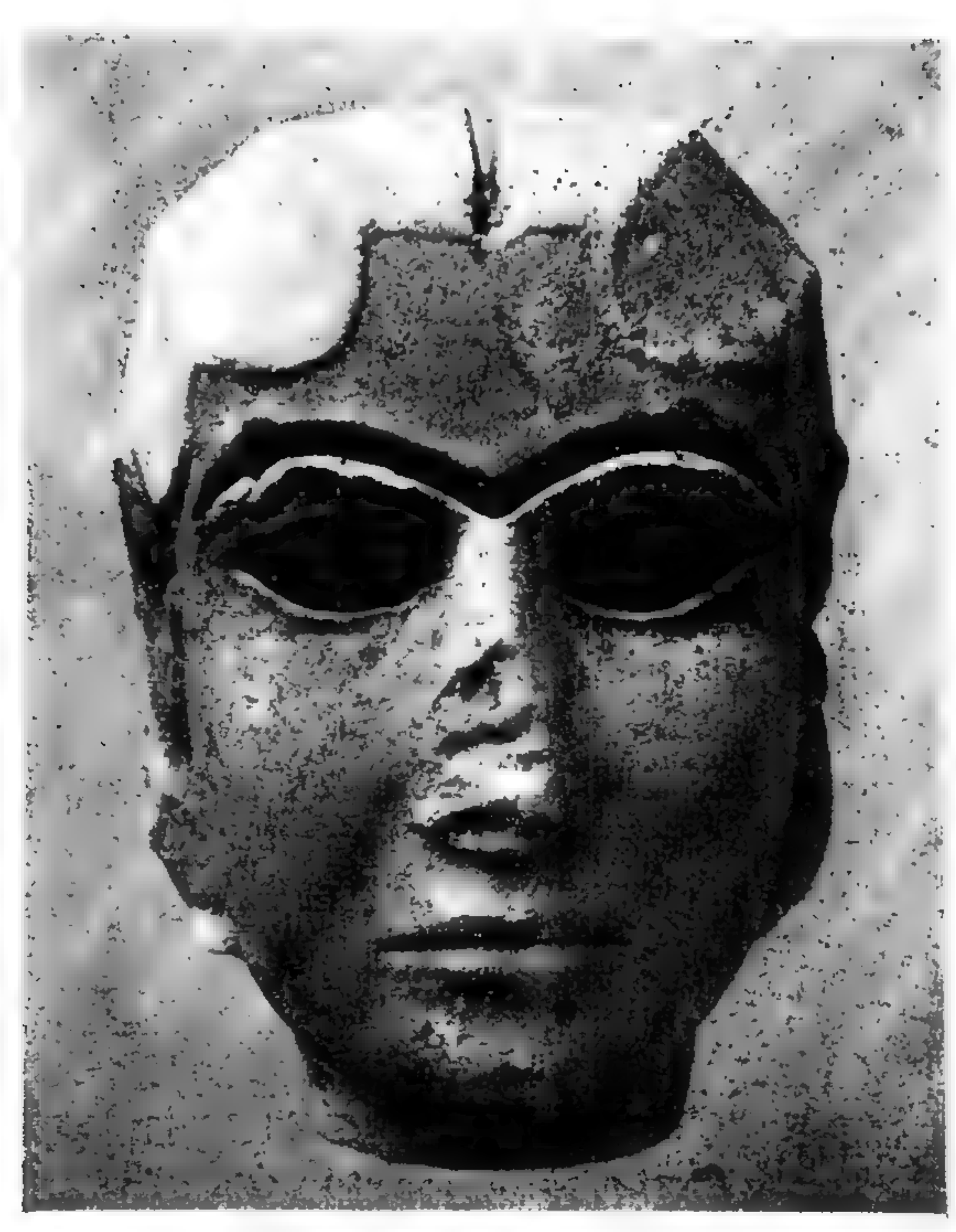
وقد اشار بعضهم انه لا توجد حالة واحدة[١] من بين الاف الوثائق القانونية والتقارير المكتشفة التي تشير الى نص القانون ، وهذا دليل واضح على انه مهما كانت القوانين فانها لم تكن قوانين نافذة لكي تفسر حرفيا بل انها تضمنت

(١) : اشير في محاضرة القاها الاستاذ سويت في الاجتماع السنوي الحادي والاربعين للجمعية الامريكية الشرقية عام ١٩٥٨ الى رسالة ، لم تنشر بعد ، من العهد البابلي القديم بعث بها مالك ارض الى وكيله يطلب فيها من الوكيل ان يدفع اجور عمال الحصاد حسب طلبهم « وبغض النظر عما جاء في المسلة حيث من الضروري اكمال الحصاد في وقته » ، ويظن ان الاشارة هنا الى مسلة حمورابي او غيرها من المسلات التي حددت الاجور والاسعار ، ويذكرنا ذلك بما جاء في المادة ٢٥٧ و ٢٧٣ من قانون حمورابي اللتان تحددان اجور العمال الزراعيين (المترجم) .

مبادىء للاقتداء بها او انها مطبقة فعلا في حالات معينة .

وان تطبيق المبادىء موضوعة البحث في بلاد بابل حتى بعد الف سنة من عهد حمورابي واضح من عدد من الوثائق الخاصة بقرارات المحاكم . ويمكن الاشارة الى احدى هذه الوثائق التي تعود بتاريخها الى عام ٥٢٧ ق.م . فقد استدعي اربعة عمال ليمثلوا امام مجلس الوركاء ويحاكموا بتهمة سرقة بطتين تعودان للمعبد وقد نظرت القضية بحضور ممثلي المعبد الرئيس الاداريين وممثل من العاصمة وان ما جاء في قانون حمورابي يلقي الضوء على سبب تحريك جهاز القضاء بهذا الاسلوب الشاق بسبب سرقة بطتين .فالمادة السادسة من القانون تنص على انه : اذا سرق رجل ممتلكات تعود للاله او القصر فسوف يقتل ذلك الرجل . بينما تذكر المادة الثامنة انه اذا سرق رجل ثورا او شاة او حمارا او خنزيرا او قاربا وكانت تعود الى الاله او الى القصر فعليه ان يدفع ثلاثين ضعفا والفرق بين الحالتين انه في الحالات المشددة كانت السرقة من داخل حدود المعبد او القصر وبذا فهي تدنيس لحرمته على حين ارتكبت السرقة في الحالات البسيطة خارج حدود المعبد . ومن الواضح ان موضوع القضية التي اشرنا اليها هو معرفة ما اذا كانت الجريمة كبرى ام لا . ويستدل على ذلك من طبيعة الادلة التي قدمها المتهمون الذين افادوا قائلين : « في الحادي عشر من شهر تيبت ... كنا نحفر وراء الجدار قرب النهر ودفنّا البطتين ... اللتين ذبحناهما في الطين». وواضح ان الرجال قد ادعوا بانهم كانوا على شاطىء النهر قرب جدار حدود المعبد ولذا كانوا خارج حدوده وقت وقوع الجريمة . وقد قبلت ادلتهم وكانت عقوبتهم العقوبة الخفيفة وهي تعويض ثلاثين ضعفا .

والمجموعة الاخرى من القوانين ذات الاهمية بالنسبة لرجال القانون والباحثين في تاريخ القانون في الشرق القديم هي القوانين المعروفة بالقوانين الاشورية . وقد تم الكشف عن هذه القوانين اثناء تنقيبات البعثة الالمانية في موقع العاصمة الاشورية القديمة اشور ويعود تاريخها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد (وعلى وجه الدقة الى الفترة الواقعة بين ١٤٥٠ — ١٢٥٠ ق.م) . لذا فان هذه القوانين تعود الى العهد الاشوري الوسيط وقد تم التعرف ايضا على اجزاء من قوانين من العهد الاشوري القديم واشير اليها في مكان اخر . اما اجزاء القوانين الاشورية الوسيطة المعروفة فهي ليست كقوانين حمورابي المعروفة من مسلة رسمية بل انها وجدت مدونة على عدد من الرقم الطينية لا تعود جميعها الى الكاتب نفسه كما انها لا تعود الى التاريخ نفسه ، كما يستدل على ذلك من اسلوب كتابة الكلمات واشتقاقها . كما ان النصوص نفسها لا



١٧ رأس من الوركاء (الألف الثالث)



١٨ ب   رأس سومري من الديوريت
(اواخر الالف الثالث)

١٨ آ   تمثال اسس برونزي
يمثل حاكما سومريا يحمل اناء على
رأسه عند بناء معبد ⟵



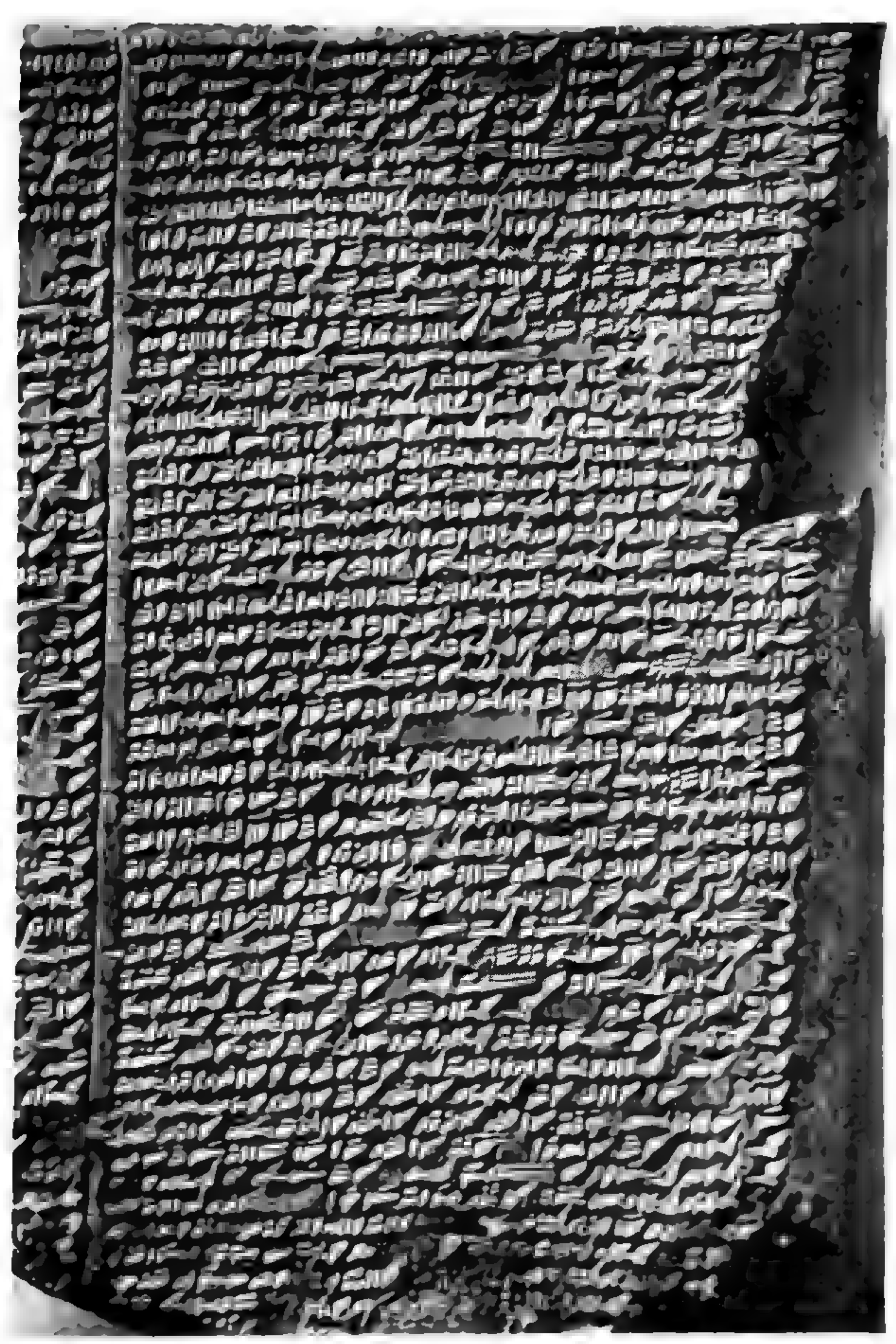
١٩ الهة تحمل اناء كناقورة (من مدينة ماري)



٣٠ موظف سومري



٢١ أ   حجر حدود بابلية (أواخر الالف الثاني ق.م)
٢١ ب   نموذج لمسلة حمورابي (بداية الالف الثاني ق.م)



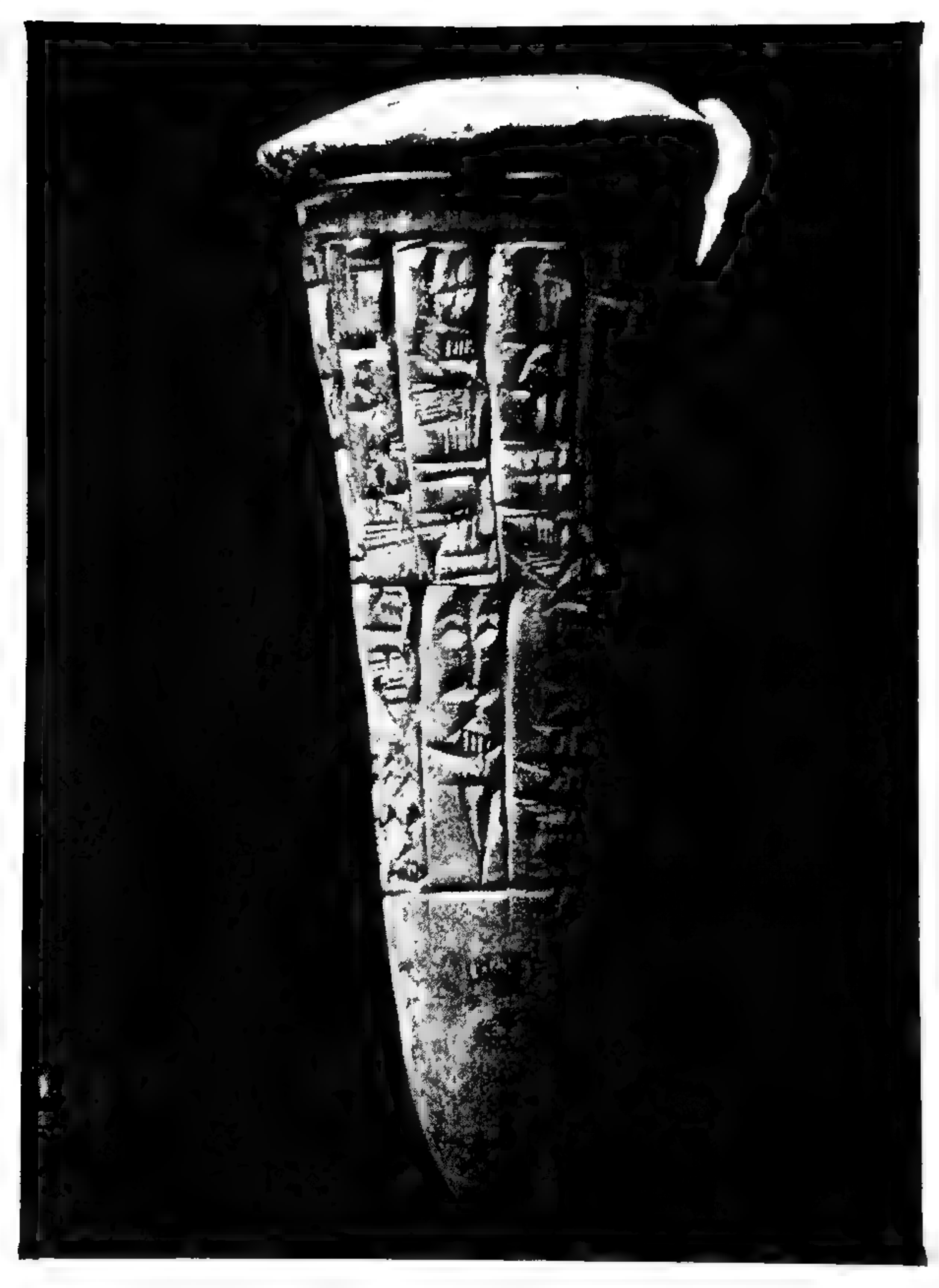
٢٤٠ جزء من رقيم مسماري (من نينوى من الالف الاول قبل الميلاد) يحمل نهاية قصة الطوفان



٥٢٣ وجه رقيم طيني دوّن عليه تمارين هندسية (أوائل الألف الثاني قبل الميلاد)

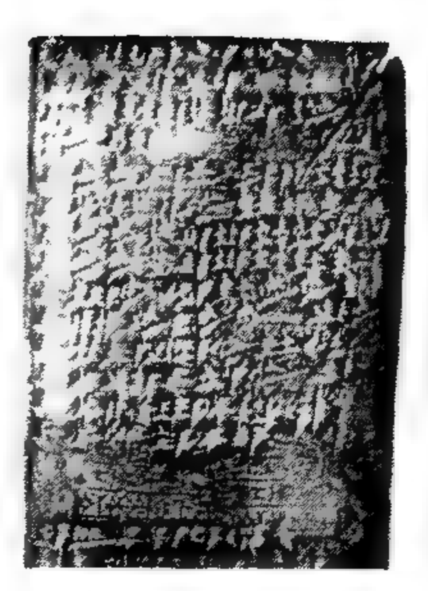


٥٢٤ قفا رقيم مسماري دوّن عليه تمارين هندسية
(أوائل الالف الثاني قبل الميلاد)



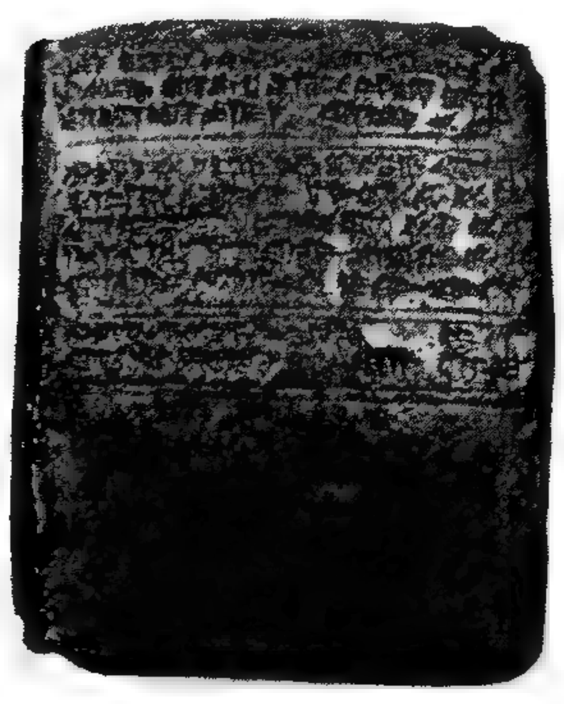
٢٥. مسمار اور ـ باو الفخاري المكتوب (حوالي ٢٢٠٠ ق.م)

٤٦آ رقيم طيني من المعهد البابلي القديم مع الغلاف وهو عقدا بيع ارض



٤٦ب رقيم مسماري (حوالي ٦٠٠ ق٠م٠) يحمل خارطة العالم





٤٦ جـ رقيم مسماري مع ختم مضري



٢٧آ طبعة ختم اسطواني تبين الصلبان المالطية

٢٧ب نموذج من الطين مكتوب يمثل عضو داخلي يستعمل للعرافة





٢٨ - الملك اشور ناصر بال الثاني



٢٨٠ - الملك اشور ناصر بال الثاني



٣٠. اله اشوري

٣١ · مراسيم دينية اشورية من الالف الاول قبل الميلاد
مشترك فيها الملك (الشكل الايسر)



٣٢ · الملك الاشوري في مشهد طقوسي امام شجرة الحياة

تشير الى من قام بجمع هذه القوانين غير ان موضوع القوانين يشير الى انها كانت خاصة بمدينة اشور والمنطقة التي حولها .

وقد قام رجال القانون بدراسة هذه القوانين واشاروا الى اختلافات واضحة بين شكل قانون حمورابي والقوانين الاشورية واستنتجوا ان الاخيرة لا تمثل تشريعا اصليا كما انها ليست خاصة بمدرسة كتاب كانت تنتج نصوصا لاستخدامها كتمارين مدرسية . ومن الممكن ان نلاحظ ان القوانين الاشورية لا تتضمن المواضيع التي وردت في قانون حمورابي (او اشنونا) فحسب بل انها تقدم في حالة وجود موضوع مشترك بين الاثنين بعض التعديلات . فالرأي السائد الان هو ان القوانين الاشورية هي عبارة عن مجموعة من التعديلات على القوانين السائدة وان القوانين الاخيرة هي اساسا القوانين العامة التي تكون خلفية قانون حمورابي الذي لم يكن ليلائم تماما الوضع البدائي في المجتمع الاشوري في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد . ويتطرق اكبر هذه الرقم واحسنها حالا بصورة رئيسة الى النساء المتزوجات وفيما يأتي بعض النماذج من المواد القانونية فيه وقد استخدمت الاقواس المربعة لحصر موجز او توضيح موضوع المادة ، اما ما كان خارج القوسين فيمثل ترجمة المواد .

٢ . اذا تحدثت المرأة بجدف او فتنة سواء أكانت زوجة رجل حر او ابنة رجل حر فستتحمل المرأة جرمها وسوف لن يمسوا زوجها او ابناءها او بناتها .

٤ . اذا استلم عبد او امة اي شيء من يد زوجة رجل سيقطعون انف واذان العبد او الامة (وبذا) يعوضوا عن السرقة وسيصلم الرجل اذني زوجته اما اذا ترك الرجل زوجته حرة ولم يصلم اذنيها ، فسوف لن يقطعوا (اذان) العبد او الامة ولن تعوض السرقة .

٨ . اذا اتلفت امرأة خصية رجل في شجار فسيقطعون اصبعا من اصابعها ، فاذا كانت الخصية الثانية قد تأثرت نتيجة ذلك والتهبت وان كان الطبيب قد ربطها ، او اذا اتلفت الخصية الثانية اثناء الشجار فسوف يقطعون كلا ... [الكلمة ناقصة وهناك من يرى انها حلمتيها ، ولكن يبدو ان شفريها هي مناسبة ايضا] .

١٥ . اذا قبض رجل على رجل مع زوجته واقيمت ضده الدعوى واثبتت قتل كلاهما وليس هناك اي ذنب لذلك . اما اذا قبضه وجلبه امام الملك او القضاء واقيمت عليه الدعوى واثبتت ، فاذا قتل الرجل زوجته فعليه ان يقتل الرجل واذا قطع انف زوجته فانه يخصي الرجل

ويشوه جميع وجهه واذا ترك زوجته حرة فيطلق سراح الرجل .

٢٠ . اذا اضطجع رجل مع صديقه واقيمت الدعوى ضده واثبتت فسيفعلون نفس الشيء معه ثم يخصى .

٢٦ . اذا كانت امرأة لا تزال تعيش في بيت ابيها ومات زوجها فاذا كان لزوجها اولاد فسيأخذون الحلي التي اعطاها اياها زوجها واذا لم يكن هناك اولاد لزوجها فستأخذ الحلي لنفسها .

٢٧ . اذا كانت امرأة لا تزال تعيش في بيت ابيها وكان زوجها يتردد عليها فان منحة الزواج التي كان زوجها قد منحها (اياها) يأخذها لنفسه وسوف لن يمس اي شيء من بيت ابيها [تدل هذه المادة والمادة السابقة لها على نوع من الزواج البدائي حيث لم تكن الزوجة تنتقل الى بيت زوجها بل تبقى في بيت ابيها كان ما زال معروفا في بلاد اشور انذاك . وهناك اشارات الى زواج مماثل في القوانين الاسرائيلية الاولى حيث ترى مثلا انه كان لشمشون زوجة يتردد عليها من وقت لاخر وكانت تعيش مع ابيها في تيماء على الرغم من ان بنيه كانوا من زورا ـــ انظر سفر القضاة : الاصحاح : ١٤ : ١ الاصحاح ١٥ : ٦] .

٣٤ . اذا اخذ رجل ارملة دون ان يبرم عقد زواج لها وعاشت مدة عامين في بيته ، فهي زوجة وسوف لن تذهب [اذا لم تكن هذه المادة خاصة بالارامل فقط فهي ضد ما موجود حول هذا الموضوع في قانون اشنونا وفي قانون حمورابي الذي لا يعترف بالزواج بالمعاشرة . ويتفق القانون العبري مع القانون الاشوري في هذا المجال ضد القانون البابلي حيث هناك فقرة في المشنى (Kiddushim I i) تنص على انه : « يمكن الحصول على المرأة بثلاث طرق ... يمكن الحصول عليها بالمال او بعقد مكتوب او بالمجامعة] .

٣٧ . اذا طلق رجل زوجته ، فاذا كان ذلك حسب رغبته فله ان يعطيها شيئا واذا لم يكن برغبته فسوف لن يعطيها اي شيء . (و) سوف تذهب فارغة [وهذه المادة اقسى من قانون حمورابي حيث تذكر المادة ١٣٨ ـــ ١٣٩ ان الزوجة المطلقة تأخذ بائنتها مضافا اليها منا من الفضة على الاقل] .

٤٠ . [وهذه المادة طويلة تخص لباس المرأة في الخارج فالنساء

المتزوجات يجب ان يتحجبن وكذلك المحظية التي ترافق سيدها . ولكن العاهرة لا تتحجب ويجب تعرية رأسها وعقوبة مخالفة ذلك قاسية . بالعصا ويصب القار فوق رأسها] .

٤١ . اذا اراد رجل ان يحجب محظيته فعليه ان يحضر خمسة او ستة من اصدقائه ويحجبها امامهم ويقول : انها زوجتي وبذا تصبح زوجته [وبقية المادة القانونية تؤكد ان المحظية لا تصبح زوجة الا اذا تم ذلك وبانه اذا لم يكن للزوجة المحجبة اولاد فان اولاد المحظية هم الورثة] .

٤٧ . اذا مارس رجل او امرأة السحر (الاسود) وقبض على (الادوات السحرية) بايديهم واقيمت الدعوى ضدهم واثبتت يقتل صانعوا السحر الاسود [وتتعلق بقية المادة باسلوب اثبات ذلك ويبدو ان ذلك يتضمن طرد الارواح الشريرة وقد ذكرت النتائج في حالة الرجوع عن الشهادة ولعل ذلك بسبب تردد الشهود لانهم كانوا يعتبرون انفسهم في خطر محدق من السحرة والعرافين] .

٥٣ . اذا اسقطت امرأة ما في رحمها برضاها واقيمت ضدها الدعوى وثبتت فسوف يوتدون تلك المرأة ولا يدفنونها فاذا ماتت عند اسقاط ما في رحمها فسوف يوتدوها ولا يدفنونها .

٥٥ . في حالة اغتصاب باكر يأخذ والد الباكر زوجة المغتصب ويسلمها ليهتكوها ولن يعيدها الى زوجها (ولكن) هو (نفسه) يأخذها . وسيعطي الاب ابنته المغتصبة الى مغتصبها زوجة له . فاذا لم يكن المغتصب متزوجا فعليه ان يدفع المهر . [وللأب ان يقيم زواجا قسريا ، غير انه ليس هناك حق للمغتصب ان يأخذ الفتات بمجرد دفع المهر اذا اراد الاب ان يعطيها لرجل اخر . ومن جهة اخرى ، اذا اعطت باكر نفسها لرجل برضاها فسوف يقسم الرجل وسوف لن تمس زوجته ، وسيقدم مغويها ثلث الفضة ثمنا للعذراء ويعامل الأب ابنته حسبما يريد] .

٥٩ . اضافة الى العقوبات التي توقع على زوجة الرجل الواردة باللوحة فللرجل ان يضرب زوجته او يقتلع شعرها او يعرك او يشوه اذنها وليس هناك مسؤولية [وهذه الفقرة التي تمنع الزوجة الاشورية من ان تفترض ان العقوبات المفروضة على سوء تصرفها من الممكن ان تشمل عددا شاملا من العقوبات تنهي اللوح] .

ويلي هذا اللوح من حيث الحجم والاهمية من القوانين الاشورية الوسيطة لوح يتضمن في حاله الحاضرة تسع عشرة مادة تتعلق بالارث وبيع الاراضي والاعتداء على ممتلكات الجيران وحقوقهم في الري وفيما يأتي ترجمة لمادتين انموذجا لذلك :

٨ . اذا تجاوز رجل على اهم جزء من حدود املاك جاره واقيمت وأثبتت الدعوى ضده فسوف يسلم ثلاثة اضعاف الارض التي تجاوز عليها وتقطع احد اصابعه ويضرب مائة جلدة بالعصا ويسخر لخدمة الملك مدة شهر كامل .

١٧ . اذا كان هناك ماء في الابار التي يمكن رفعها لارواء الارض الزراعية لزراعتها فعلى اصحاب الحقول المعنية ان يقفوا الى جانب بعضهم وعلى كل رجل ان يقدم عملا بالنسبة لمساحة حقله ويسمح له ان يروي حقله . فاذا لم يكن هناك اتفاق بينهم فلاحدهم الذي يوافق ان يذهب ويسأل القضاة ويحصل على رقيم من القضاة (تثبت حقوقه) ويقوم بعمله ويأخذ المياه لنفسه ويروي حقله وليس لاحد اخر ان يروي .

وتتعلق المواد القانونية المتبقية بالديون (بما في ذلك رهن الاشخاص) وسرقة الماشية مع بعض الاشارات غير الواضحة الى امور كالاعتداءات والاجور والري .

اما عن اسلوب تطبيق العدالة بالنسبة للمواطنين ، فان التفصيلات تختلف كثيرا خلال الالفين سنة التي نحن بصددها الى درجة لا يمكن معها اعطاء صورة عامة دقيقة عن ذلك . فحسب نظرة القدماء ، كان من بين واجبات الملك المقدسة باعتباره ممثلا للاله ان يعمل على تطبيق العدالة بين افراد شعبه غير ان هناك مبررات قوية تدفع الى الافتراض بان القرارات الخاصة بالقضايا الشخصية ، كالقضايا الاخرى ، كانت تتخذ في مجتمع بلاد ما بين النهرين في اطواره الاولى من قبل المجلس وان المجلس كان قد ظل يقوم بدوره في ادارة وتطبيق العدالة حتى بعد توقف دوره السياسي بفترة طويلة . وعلى الرغم من ان الملك فقطاو احد موظفيه كان ينظر في القضايا في بلاد بابل الا ان ذلك هو الاستثناء اما بصورة عامة فكان المجلس ما زال محتفظا بدوره في النظر في القضايا الخاصة بالافراد حتى نهاية العهد البابلي الحديث . اما في بلاد اشور من جهة اخرى ، فان الشائع في وثائق الالف الاول قبل الميلاد ان تتخذ القرارات من قبل موظف ملكي واحد .

وكان حضور اجتماع المجالس القضائية مفتوحا في العهد البابلي القديم الى جميع الذكور من المواطنين الاحرار على اقل تقدير كما يستدل على ذلك من احدى الوثائق التي تشير الى عدم رغبة المواطنين في ذلك حيث يقول :

« لا تذهب لتقف في المجلس ، لا تتحول حول مكان النزاع فقد يكون اجلك في النزاع وقد تؤخذ للشهادة ... فتعطي الشهادة في غير قضيتك ... » .

ويبين احد الرقم الطينية الذي يسجل محاكمة خاصة بجريمة قتل في عهد ايسن قبل عهد حمورابي بوضوح الدور الذي كان يلعبه الملك من جهة والمجلس من جهة اخرى في تطبيق العدالة .

(أ) ابن (ف) ، (ب) ابن (و) الحلاق . (س) رقيق (م) البستاني قتلوا (د) ابن (ى) **التشاكو** (موظف) وبعد ان قتل (د) اخبروا (أ) زوجة (د) ان زوجها (د) قد قتل . (أ) لم تفتح فمها واخفت القضية .

وقد جلبت قضيتهم الى ايسن امام الملك و ... امر ان تؤخذ قضيتهم الى مجلس مدينة تيبور وهناك خاطب كل من (ف) ... و(ك) .. و(هـ) **المشكينم** و(ج) و(ك) و(ل) و(م) و(ن) و(و) (المجلس) وقالوا : « ان اولئك الذين قتلوا رجلا لا يحق لهم الحياة . يجب ان يقتل اولئك الرجال الثلاثة وتلك المرأة امام كرسي (المجني عليه) (د) ... » .

وخاطب (ب) .. (ق) .. (المجلس) وقالوا هل ان (أ) قد قتلت زوجها حتى تقتل تلك المرأة ؟

ثم خاطبهم مجلس تيبور وقال : (لعل) المرأة لم تكن مطيعة لزوجها فاعطت معلومات الى اعدائه ثم (قاموا) بقتل زوجها ..

(ولكن) قتلت هي زوجها ؟ .. هم الذين قتلوا زوجها . واستنادا الى قرار مجلس تيبور سلم (أ) و(ب) و(س) ليقتلوا .*

وليس في النص ذكر للقضاة على الرغم من ان هناك اشارات لمجموعة من الرجال اطلق عليهم اسم قضاة وذلك منذ العهد السرجوني (حوالي ٢٣٧٠ ق.م) وما قبل ذلك . وهناك من بين مؤرخي القانون من يرى بان القضاة كانوا يؤلفون مجموعة او مجلس كما ان بعضهم يرى ايضا انه كان هناك نوعان من القضاة قضاة دنيويون وقضاة كهنوتيون وان الاقتراح الأخير مرفوض على حين نلاحظ بان القضاة كانوا يذكرون فعلا كمجموعة بالامكان اعتبارهم في مثل

---

* انظر حول ترجمة النص الكاملة **S.N.Kramer, History begins at Sumer (Daubleday Anchor edition, New York, 1959), p.57-58. Th, Jacobsen in Studio Biblica et Orientalia, volumen III, Oriens Antiques (Rome, 1959), p.136-138).**

هذه الحالات كمساعدين يجلسون في المجلس . ويبدو ذلك من احدى مواد قانون حمورابي التي تنص على انه : «اذا قضى قاضي بقضية واتخذ قرارا مفصلا وثبته على رقيم مختوم ثم غير حكمه بعدئذ فعليهم ان يثبتوا ان ذلك القاضي قد غير الحكم الذي حكم به وعليه ان يدفع اثني عشر مثلا للدعوى موضوع البحث وزيادة على ذلك ، يطردونه من كرسي القضاة في المجلس ولن يجلس ثانية مع القضاة في دعوى .

ولم يكن المجلس ليتذكر دائما بعلاقته مع القضاة في العهد البابلي القديم ، بل هناك امثلة كافية تؤيد الرأي القائل بان المجلس كان ما يزال يقوم بدوره باعتباره جزءا من النظام الاداري ولعل القضاة كانوا يمثلون رؤساء المجلس في الحالات التي يذكر فيها القضاة فقط حيث كان دورهم سلبيا بينما لا يشير غياب المجلس فقط في بعض الحالات الى تغير رسمي في اسلوب التقاضي بل الى فقدان رغبة الجمهور في الحضور متبعين حرفيا نصيحة المثل الذي اشرنا اليه سابقا (انظر صفحة ٢٣٥)*.

وقد يأمر المجلس او القضاة اثناء المحاكمة ، وعندما يكون هناك تضارب في الادلة بين الاطراف المعنية او بين الشهود ، ايا من الاطراف المعنية لاداء اليمين في المعبد . وكمثل على ذلك نورد النص التالي :

رقيم يتعلق ببيت في السور الجديد يعود الى (أ) ابنة (س) ، (ب) ابنة (ي) أقامت الدعوى ضد (أ) ...

اصدر القضاة في معبد الاله شمش قرارا بان تؤدي (أ) القسم بحياة الاله أقسمت (أ) بحياة الالهة ايا سيدتها ودفعت ادعائها (ادعاء ب) .

طالما لم تتراجع (أ عن القسم) فسوف لن تطالب (ب) ببيت (أ) او ارث من تركة الاب او ممتلكات او ارث من : وجها مهما كان هناك من القشة الى الذهب .

وقد اقسمت (ب) (ان تقبل ذلك) (بالاله) شمش وايا ومردوخ و(الملك) سمو لايل . قضاة معبد الاله شمش (ت) ابن (د) ، (ق) ابن (ف) (هذه هي اسماء القضاة) بحضور (ج) ابن (هـ) و(ل) ابن (ك) . (هذه هي اسماء الشهود التي تؤلف او تمثل المجلس) بحضور ابنة (م) الكاتبة .

*انظر حول الترجمة النص الكاملة :

S.N. Kramer, History begins at Sumer (Doubleday Anchor edition, New York, 1959), p. 57-58.
Th. Jacobson in Studia Biblica et orientalia rolumen 111 , Oriens Antiques (Rome, 1959), p. 136-138).

وهناك حالات يتراجع فيها احد الاطراف عن القسم والمثال الاتي نموذج لذلك :

اعاد شهود (أ) الرواية امام القضاة ، (ب) ضرب (أ) واخذ الثيران منه . لذا قال القضاة الى (ب) اقسم بالالهة ضد الشهود وهذا اعتراف (ب) : لقد اعترف امام القضاة انني ضربت (أ) . لقد كان (ب) خائفا من الالهة فربح (أ) الدعوى وفرض القضاة على (ب) ان يدفع ٣٠ شاقلاً من الفضة الى (أ) .

واذا كان هناك تباين في الادلة ولم يعترف احد الطرفين بالذنب وذلك برفض القسم بحياة الالهة كان القرار يترك للالهة نفسها وكان ذلك يتم ، كما كانت الحال في كثير من الحضارات الاخرى ، بواسطة الامتحان . وكان الامتحان في بلاد بابل يتم بواسطة النهر وكانت القاعدة ان الطرف المذنب يغرق بينما ينجو الطرف البريء خلافا لما كانت عليه الحال في انكلترا في القرون الوسطى . وقد نص حمورابي عند الحديث عن الاتهام بالسحر على محاكمة المتهم بهذه الطريقة .

اذا اتهم رجلا رجلا (بممارسة) السحر الاسود ولم يثبتها عليه ، فعلى الشخص الذي اتهم بتهمة السحر الاسود ان يذهب الى النهر المقدس ويقفز فيه فاذا غلبه النهر فسيأخذ متهمه املاكه واذا برأ النهر ذلك الرجل وعاد سالما فيقتل الشخص الذي رماه بتهمة السحر الاسود ويأخذ الذي رمى نفسه في النهر املاك متهمة .

وفي المادة التي تسبق المادة الخاصة بممارسة السحر يقتل الشخص الذي يتهم شخصا اخر بجريمة قتل ولم يتمكن من اثباتها عليه دون اي اجراءات ولعل اختلاف الاسلوب في حالة الاتهام بالسحر ناتج عن احتمال ان الشهود قد يحنثوا في اليمين خوفا من انتقام السحر كما يستدل على ذلك من القوانين الاشورية . وكان الامتحان النهري عادة يترك كآخر حل بعد ان يطلب من الاطراف المعنية اداء اليمين وهناك نص ، وهو رسالة من ملك كركميش الى ملك ماري ، يلقي بعض الضوء على الاسلوب الفعلي . فيذكر الجزء الذي يهمنا في الرسالة التي تعاصر في تاريخها تقريبا عهد حمورابي .

اما بخصوص هذين الرجلين الذين ارسلتهما مع (أ) ... فقد اتهموا على النحو التالي : « لقد تناقشا مع (ب) رقيق (س) ولديهما معلومات عن الموضوع [ولا بد ان ذلك اشارة الى جريمة ارتكبت في مدينتهما وادعى بانهما متورطان فيها] لذا فساجلبهما الى النهر المقدس وان متهمهما الآن تحت

الحراسة في الموقف هنا . دع احد رجالك ، وليكن ضابط أمن ، يقود هذين الرجلين بصحبة (أ) الى النهر المقدس . فاذا عاد هذان الرجلان سالمين فسأحرق متهمهما بالنار واذا مات هذان الرجلان فسأعطي املاكهما وعيالهما الى متهمهما . اخبرني النتيجة رجاء .

وكان هدف الاجراءات القانونية البابلية ان تضمن بقدر المستطاع صدور قرار مقبول من جميع الأطراف المعنية كقرار عادل ونافذ . لذا اقسمت السيدة التي خسرت الدعوى في القضية التي ذكرناها سابقا والخاصة بالخصومة بين سيدتين حول ملكية البيت ، بانها قبلت القرار . وبصورة عامة فان الرقم الخاصة بالقضايا تنص بوضوح على ان القضية لن تفتح ثانية . والنص التالي يوضح هذه الناحية كما يلقي الضوء على العلاقة بين القضاة والمجلس :

بخصوص بستان سِن ـــ ماكر التي اشتراها مار ـــ اموديم بالفضة ادعى انوم ـــ باني (بها) استنادا الى الامر الملكي وذهبوا الى القضاة وارسلهم القضاة الى هيكل باب ـــ ننمار واقسم انوم ـــ باني عند هيكل باب ننمار وامام قضاة هيكل باب ـــ ننمار وقار : « انا ابن سِن ـــ ماكر لقد اخذني للبنوه وان وثيقتي الرسمية (الخاصة بالتبني) لم تبطل » هكذا اقسم وقرر (القضاة) (استنادا لمراسيم الملك) ريم ـــ سن ان البستان والبيت يعودان الى انوم ـــ باني .

عاد سن ـــ مبلط [ولعله وريث مار ـــ اوريم] [أي اعادة فتح القضية] . وطالب ببستان انوم باني وذهبوا الى القضاة . ارسلهم القضاة الى المدينة [أي الى مجلس المدينة] مع الشهود ووقعوا في مدخل (معبد) مردوخ (قرب) شعارنا المقدس تشورينو ، وهو طيرننا المقدس ، ومسحاة فردوخ المقدسة والسلاح الحجري . حيث قال شهود مار اموريم السابقين : لقد اعترفوا عند هيكل باب ننمار الى انوم ـــ باني بالقسم : انا هو الابن وقرروا ان البستان والبيت يعودان الى انوم ـــ باني وقد اقسم (الان) سن ـــ مبلط بالآله ننا وشمش ومردوخ والملك حمورابي سوف لن يعود ويطالب (ثانية) .

بحضور (أ) رئيس البلدية ، (ب) و (س) و(د) و(ي) و(ف) و(ج) و(هـ) و(ك) وان (ك) و (ل) و(م) الريدوم (و) (ن) .
ختم الشهود .

وان مراسيم الملك ريم ــ سن المشار اليها غير معروفة ولكن يبدو انها كانت تتضمن حق الابن بالمطالبة بالعقارات التي بيعت من قبل والده . وهناك بعض الادلة التي تشير الى انه في العهود الاولى كان يحق لاصحاب الاراضي الاصليين او لاسرهم في حالات معينة استرداد اراضي اجدادهم ولعل مراسيم ريم ــ سن قد اعادت هذا التقليد الذي كان في طريقه للزوال ، كما يمكن ان كانت البستان والبيت موضوعي البحث قد اقطعتا الى ابي انوم ــ بانوم من قبل الملك وان المادة ٣٧ من قانون حمورابي لا تسمح ببيع مثل هذه العقارات .

واذا انتقلنا الى فترة تعقب ذلك قليلا ، لوجدنا وثائق عديدة حول الاجراءات القانونية من القرن الرابع عشر من مدينة نوزي (وهي مدينة تتمثل في موقع قريب من مدينة كركوك الحالية) . وعلى الرغم من ان هذه الوثائق مدونة باللغة الاكدية غير انه لا يمكن استخدامها بشكل دقيق كأمثلة للقانون السامي ، طالما كانت نوزي واقعة تحت تأثير حوري قوي (والحوريون اقوام غير سامية) . ومع ذلك توضح هذه الوثائق اهمية الوصول الى الاتفاق ومنع اعادة فتح القضايا . ويسجل احد الرقم المكتشفة محاكـمة تمت امام الملك حيث يشتكي فيها المدعي بأن احد الموظفين انتزع منه مائة وثمانين شاة وقد اثبت المدعي عليه ان ذلك يمثل الغرامة التي فرضها القضاة على والد المدعي وقدم الدليل على ذلك وهو رقيم خاص بالقضية السابقة . فحكم على المدعي بان يدفع امه واحدة كغرامة لأنه فتح قضية كان قد نظر فيها سابقا .

وفي بلاد اشور في الالف الاول قبل الميلاد حيث كانت الادارة مركزية الى درجة كبيرة وحيث كان النظام الاداري نظاما كفأ كان تطبيق القانون بيد موظفين ملكيين بصورة عامة ، ويتقدم كثير من الوثائق الخاصة بالقرارات القانونية من هذه الفترة جملة تقول « الحكم الذي اصدره (فلان بن فلان الموظف) ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل وجوب الاذعان الى الحكم القانوني من قبل جميع الاطراف المعنية من المبادىء الاساسية وفيما يلي نموذج لذلك :

> « القضية التي تتنازع فيها (أ) مع (ب) حول الضرر الواقع على البيت . لقد دفع (ب) الضرر باكمله الذي اوقعه على (أ) وحل السلام بينهما وسوف لن يتنازع احدهما مع الاخر حول دفع اي شيء اخر نتيجة ذلك . وكل من يعتدي على

الاخر يدفع عشرة امثاله من الفضة . وان الالهة اشور وشمش وبعل ونابوهم اسياد قضيته » .

ويتبع ذلك التاريخ واسماء الشهود . وهناك شروط مماثلة في وثائق البيع حيث كانت تفرض غرامات ثقيلة في حالة ادعاء احد الاطراف المتعاقدة واقامته الدعوى لغرض ابطال العقد . وقد ذكر هذا النوع من الوثائق في مكان آخر لعلاقته بالاقتصاد والتجارة .

ولم تكن العدالة بين الافراد هي احدى النظم التي انعمت بها الالهة على المجتمعات المتحضرة فحسب بل كان ينظر الى العلاقات الدولية ، من النوع المعروف حاليا بالقانون الدولي او البروتوكول ، من قبل القدماء بانها اسلوب للتعامل امرت به الالهة . فقد كان الملوك والدول خاضعين لارادة الالهة فعقد المعاهدات والاحلاف ومعاملة الشعوب المندحرة وعلاقة التابعين باسيادهم لم تكن لتنظم اعتباطا بل استنادا الى نظام كان يعتقد بانه يعكس ارادة الالهة .

ولدينا الان مجموعة كبيرة من الرقم المسمارية التي تتعلق بالعلاقات الدولية في الالف الثاني قبل الميلاد من فترتين رئيستين تشمل المجموعة الاولى ارشيفا دبلوماسيا من بداية الالف الثاني قبل الميلاد اكتشفه العلماء الفرنسيون في مدينة ماري . وتعود المجموعة الثانية الى فترة خمسين سنة حوالي سنة ١٤٠٠ ق.م. وقد تم العثور عليها في وسط مصر في العمارنة وتمثل قسما من الارشيف الدبلوماسي الخاص بالفرعون المصري اخناتون المنشق عن عقيدته .

وتشير المجموعة الثانية بوضوح الى ان تأثيرالبابليين في تطور القانون الدولي كان كبيرا الى درجة ان اللغة الاكدية استخدمت لغة رئيسة في المراسلات الدبلوماسية حتى بين الحكام الذين لم تكن لغتهم الاصلية هي الاكدية ، كما هي الحال بين حكام مصر والحكام الحثيين . وهناك مجموعات اخرى صغيرة من النصوص المسمارية ذات صلة بالعلاقات الدبلوماسية بين الدول في الالف الثاني قبل الميلاد من مواقع مختلفة نذكر منها بوغازكوي في تركيا وراس الشمرة (اوغاريت القديمة) على الساحل السوري الشمالي . وفي الحالة الاخيرة ايضا ، فعلى الرغم من ان اللغة المحلية التي كانت تكتب بوساطة خط ابجدي كانت تستخدم في معظم الاغراض بما في ذلك الطقوس الدينية ، فان اللغة المستخدمة في القانون والعلاقات الدولية كانت اللغة الاكدية مكتوبة بالخط المسماري المقطعي الذي كان شائعا .

وكان هناك بعض القواعد العامة في العلاقات الدولية مقبولة منذ عصور فجر السلالات كما يستنتج ذلك من بعض الملاحم . لذا نجد في النزاع الذي نشأ

بين انمركار حاكم الوركاء وحاكم ارّاتا (وهي دويلة واقعة في الجبال الشرقية ولعلها في الجبال المعروفة الان بجبال لورستان) انه كانت هناك مباحثات طويلة ومفصلة (رغم غموضها بالنسبة لنا) بين الطرفين بواسطة السفراء . وكذلك في الملحمة الخاصة بحصار مدينة الوركاء من قبل ملك كيش نجد ان جلجامش حاكم الوركاء لم يقتل او يهينه منافسه بعد ان دحره بل رأف بحاله واعاده الى مملكته ولعل ذلك بسبب تمتع ملك كيش بالسلطة الاسمية على جلجامش .

وتعود رسائل ماري التي تعطينا اوضح صورة عن العلاقات الدبلوماسية الدولية في العالم القديم الى الفترة التي اعقبت بداية الالف الثاني قبل الميلاد مباشرة وقبل ان يتمكن حمورابي في النهاية من توحيد بلاد بابل . وكان في هذه الفترة عدد من الممالك الصغيرة التي كانت ضعيفة الى درجة لا تتمكن معها من الوقوف وحدها . لذلك كان هناك باستمرار تجمعات واعادة تجمعات بين هذه الممالك وارتباطات بالدول المجاورة ذات القوة اما كحلفاء او كدولة تابعة . وقد اشير الى هذا الوضع السياسي حيث تغير تجمعات الدول الصغيرة ، بوضوح في احدى الرسائل التي اشرنا اليها في الصفحة ٨٢ احلاف مختلفة وكان كل حلف يضم بين عشرة الى عشرين ملكا .

وكان ملك الدولة الصغيرة الذي لم يكن قد انتمى الى اي حلف يجد نفسه تحت رحمة احدى الدول المجاورة القوية كما تشير الرسالة التالية المرسلة من حاكم صغير الى حاكم اكبر حيث يذكر :

> « الى يخدوليم قل : هكذا يقول ابي ــ سامار : اعقد حلفا ! ... ان مدني التي لم يستولى عليها بعد سيستولي عليها الان . ولم تفقد هذه المدن بسبب الاعمال الاعتدائية التي قام بها حاكم خاشوم (او) اورسم (او) حاكم كركميش (او) يمخد ، (ولكن) فقدت بسبب الاعمال الاعتدائية التي قام بها شمشي ــ ادد (ملك اشور) ... » .
>
> وفي رسالة لاحقة يخبر ابي ــ سامار يخلو ــ ليم :
>
> « اذا تركت ابي ــ سامار ، فقد تركت مدنك . ولعلك تقول : ابي ــ سامار هو ليس ابني وان مقاطعتي لا (علاقة لها) بمقاطعته . (ولكن) في الواقع ان مقاطعتي هي لك وابي ــ سامار هو ابنك » .

وهذا يعني ان ابي ــ سامار كان يعرض ان يكون تابعا : ليخلو ــ ليم مقابل الحماية . وطبيعي ان مثل هذا الوضع قد دفع الى تأليف احلاف اكبر واكبر .

وكانت الدول تدخل مثل هذه الاحلاف عن طريق عقد المعاهدات التي تضمنت اداء القسم مع بعض الطقوس أو الاعمال الرمزية المختلفة . ومن بين هذه الاعمال ما وصف بانه « لمس الحنجرة » والذي ربما يمثل مثلا قديما لعمل رمزي لا زال يتبع حتى الوقت الحاضر من قبل الاطفال عندما يتحدثون عن شيء مقدس . ومن الاعمال الاخرى التي كانت تقام في مثل هذه الظروف هو قتل صغير الحمار وذلك عند عقد معاهدة سلم بين اعداء سابقين . ويوضح الجزء التالي المقتبس من رسالة كتبها احد الموظفين الى ملكه هذا التقليد :

وصلني رقيم ابال ــ أدد من (مدينة) اشلاكو وذهبت الى اشلاكو لقتل الحمار ــ بين رجال خانا ورجال ادا ــ ماراز . وقد جلبوا (اضافة الى ذلك) جروا وغصنا مورقا . وكان (عليّ) ان اقتل صغير الحمار (وبذا) اثبت الصداقة بين رجال خانا ورجال ادا ــ ماراز .. » .

ومن الواضح من مضمون الرسالة انه كان هناك بعض الطقوس الاخرى التي تجري في مثل هذه الحالات حيث كانت تتضمن جلب جرو وغصن مورق (او الخس كما يعتقد البعض بأن الكلمة تعني هنا) . ومن التقاليد الرمزية الاخرى التي كانت تتم في بعض الاحيان عند ابرام المعاهدة هو ان يقوم الطرف الادنى في الحلف او المعاهدة « بمسك حافة الرداء » الخاصة بالطرف الاعلى .

وكان يرأس كل تحالف سبق ذكره زعيم يتوقع من تابعيه ان يتركوا له سياستهم الخارجية ويقطعوا علاقتهم الدبلوماسية مع اعدائه ويقدموا له المساعدات العسكرية في حالة الحرب . وهكذا نجد شمشي ــ ادد ملك اشور يأمر بسمخ ــ ادد نائب الملك على ماري وابن شمشي- ادد ايضا ، ان يضع نفسه وقواته وموظفيه تحت اوامر شمشي ــ ادد :

« قل ليسمخ ــ ادد : هكذا يقول شمشي-ادد والدك : لقد ارسلت لك رسالة مرة او مرتين لتأتي الى طوطول . والان لقد وصلت الى شوبات ــ انليل وبعثت بهذا الرقيم اليك . استجمع نفسك وموظفيك وحجابك وقواتك الذين ذهبوا مع ساميداخم وموظفي قصرك واحضر في شوبات ــ انليل » .

وعندما كان الحليف او التابع يقوم بتنفيذ التزاماته بارسال القوات المجندة ، او ان زعيم التحالف يوافق على تقديم المساعدة العسكرية ، كان المتعارف عليه ان تبقى القوات

تحت الطلب خلال فترة الطوارىء فقط . وفي بعض الاحيان كان هناك خلاف في الرأي بين الطرفين المتحالفين حول وقت انهاء حالة الطواريء . لذا نجد احد السفراء ، وهو ابال ـــ بي ـــ ايل ، يكتب الى ملكه زمري ـــ ليم في ماري حول رجال ماري الذين ارسلوا الى حمورابي :

« قل لسيدي ، هكذا يقول ابال ـــ بي ـــ ايل خادمك : وفقا لتوجيهات سيدي التي ارسل حولها سيدي الرسائل .. لقد تكلمت مع حمورابي بكلمات جيدة .. وقلت هكذا : « طالما ان الالهة قد قضت على الاعداء وان الايام الباردة قد حلت لماذا تبقى خدم اخيك (اي حليفك من نفس المركز) ؟ خولني حتى اتمكن من الرجوع وحتى يتمكن قائد القوات من ان يصل قبل حلول الجو البارد » . هكذا تفاوضت معه وبامور عديدة (مشابهة) اخرى ... » .

غير ان الرسالة تالفة بعد ذلك ويبدو ان جواب حمورابي كان عليه ان ينتظر حتى العاشر من الشهر ريثما يتسلم تقريرا حول نشاطات ملك اشنونا .

وهناك اشارات عديدة الى ارسال السفراء من بلاط الى اخر فكان يعلق على وصولهم اهمية كبيرة . ففي احدى المرات استلم يسمخ ـــ ادد في ماري الذي كان قليل الكفاءة دائما رسالة تأنيب قاسية من والده شمشي ـــ ادد بسبب تأخيره اعضاء سفارة كانوا في طريقهم اليه من قطنا في سوريا . وقد وقع يسمخ ـــ ادد ثانية في مشكلة مع ابيه عندما اخبره والده بان سفيرا اخرا لم يتمكن من الاستمرار برحلته الى ما بغد ماري وذلك بسبب حادث مؤسف والذي يحتمل ان كان (اذا عدّلنا قليلا من النسخة الفرنسية للنص المسماري) كسر محور عجلة عربته . حيث استفسر شمشي ـــ ادد ساخطا : « الا يتمكن من ان يركب حمارا ؟ » وهناك بعض الرسائل التي تشير الى اللجوء الى قراءة الطالع للحصول على توجيهات الـهية حول استقبال الرسل المرتقب وصولهم . وكان بعض الدبلوماسيين ، كما هو في الوقت الحاضر ، يقومون باعمال تجعلهم من غير المرغوب فيهم . ففي احد الأمثلة المعروفة كتب احد نواب الملك الى اخر يخبره بـأن شخصا معينا ، ويبدو انه كان وكيلا لنائب ملك ثان ، كان كاذبا و Person non grata وان الكاتب لا يريد ان يراه ثانية .

وكانت الرهائن تؤخذ قبل بدء المحادثات بين الأطراف الراغبة في التحالف وفي احدى الحالات المعروفة قتل الرهائن الذين اخذوا عندما فشلت المحادثات بين الطرفين . والرسالة التالية توضح ذلك حيث يكتب شمشي ـــ ادد ثانية الى

ابنه يسمخ ــ ادد قائلا :

« بخصوص الناس من ويلانم الذين تحت امرتك ، لقد امرتك بان تحجزهم لعله يقام حلف . والان ليس هناك حلف مع ويلانم .. (اما بخصوص) الناس من ويلانم ، اصدر اوامرك بقتل كل واحد ممن هم عندك هذه الليلة » .

ومن الممكن ان الضحايا كانوا في هذه الحالة هم من السجناء الذين لم يقتلوا في بداية الامر لاحتمال عقد حلف ، وليس هناك اية اشارة في الرسالة الى انهم كانوا من الاشخاص الدبلوماسيين .

واذا ما تم عقد حلف بين الحكام بنجاح فغالبا ما كان ينتهي بزواج بين اعضاء العائلتين الملكيتين . والرسالة التالية توضح مثل هذا الوضع :

« اشمسي ــ داكان (ابن اشمشي ــ ادد الكبير) عقد صلحا مع التوركيين وسيأخذ ابنة زازيا (ملك التوركيين) لابنه موت ــ اسقر . وقد ارسل اشمسي ــ داكان ذهبا وفضة الى زازيا هدية زواج » .

ولم تتضمن المعاهدات بين الدول الاحلاف العسكرية فحسب بل تضمنت امورا اخرى كتبادل المجرمين او المواصلات الدولية . فمعاهدات اواخر الالف الثاني قبل الميلاد ، كما سنرى ، كانت تتضمن غالبا نصا خاصا بتسليم المجرمين ، وليس هناك معاهدة من هذا النوع معروفة من فترة ماري غير ان هناك اشارات في الرسائل الى تسليم المجرمين والرسالة التالية مثل على ذلك :

« قل ليسمخ ــ ادد : هكذا يقول شمشي ــ ادد والدك : ان اشتان ــ شرّي النوروكاني الذي نفي الى بابل هو ... في (مدينة) ساكاراتم . والآن تفحص في سوابق هذا الرجل والمكان الذي هو فيه وزع الجند ! تقوم بتوقيفه وجلبه مخفورا اليّ في (مدينة) شوبات ــ انليل . لقد طلبه مني الرجل البابلي (اي الملك البابلي) » .

وكان على الملوك التزامات معينة بخصوص القوافل والاشخاص المارين في حدودهم وهناك رسالة من يسمخ ــ ادد نائب الملك في ماري الى حمورابي ملك بابل حول قافلة توجهت من ماري عبر حدود حمورابي الى دلمون (البحرين حاليا) في الخليج العربي وفي طريق عودتها اوقفت داخل حدود حمورابي بسبب بعض الاستفسارات عن استخدام الابار . وقد ارسل يسمخ ــ ادد ممثلا ليرافق القافلة الى بابل لعلّ حمورابي نفسه يحل المشكلة .

وفي حالة اخرى كتب شمشي ــ ادد الى ابنه يسمخ ــ ادد نائب الملك في ماري (الذي كان دائما قليل الكفاءة) يتذمر ان بعض الناس من يمخد لم يتمكنوا من عبور نهر الفرات داخل حدود ماري لعدم وجود قوارب . ويذكر شمشي ــ ادد ضرورة تجهيز القوارب حتى :

«يتمكن كل من ياتي الي ان يعبر دون تاخير كما في السابق»

وكان المفروض ان يكون الحكام مسؤولون عن تصرف رعاياهم خارج حدودهم ، فهناك حالات معروفة يشتكي فيها احد الملوك الى ملك اخر حول بعض الجرائم . فقد اشتكى يسمخ ــ ادد في ماري الى ابلاخندا في كركميش ان رعايا الاخير قد اختطفوا سيدة صغيرة في غارة عبر الحدود ، وقد اجاب ابلاخندا مستفسرا : عن التفصيلات بما في ذلك اسم السيدة والشخص الذي اختطفها والشخص المتهم باحتجازها انذاك . وفي رسالة لاحقة يكتب ابلاخندا الذي فشلت تحرياته كما يبدو ويقترح ان يذهب زوج السيدة المختطفة الى كركميش لعله يتمكن من تتبع اثر الشرف المفقود .

واذا انتقلنا الى النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد وجدنا في سوريا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وضعا بين الزعماء والتابعين مشابها الى درجة كبيرة للوضع الذي كان موجودا في بلاد ما بين النهرين قبل ذلك بعدة قرون . وفيما يلي مقتطفات من وثيقة وجدت في رأس شمسرا (او غاريت القديمة) في سوريا . وكان الزعيم الرئيسى في المنطقة في تلك الفترة هو ملك حاتي (بلاد الحثيين) وغالبا ما كان يلقب 'بالشمس' . ففي الوثيقة الاولى يحث ملك الحثيين شوبيلوما الكبير ملك اوغاريت نقمندا* ان يستمر بعلاقة مملكته التقليدية مع الحثيين رغم تاثيرات وتهديدات المعتدين قائلا :

«هكذا يقول الشمس الملك العظيم : قل الى نقمندا : «طالما ان بلاد نخاش وبلاد مكيش هي في حالة حرب معي فهلا تخاف يا نقمندا منهم... وكما في السابق كان اباؤك اصدقاء لبلاد الحثيين وليس اعداء . والان ، هلا كنت يا نقمندا.. عدوا لاعدائي وصديقا لاصدقائي ؟ والان اذا انت يا نقمندا اصغيت الى كلمات الملك العظيم

* حول التهجئات المختلفة لهذا الاسم ، وقد استخدمت هذه التهجئة هنا لورودها في الرسالة المذكورة ، انظر C.F.A. Schaeffer, Le Palais Royal d'Ugarit, IV (1965), 248

سيدك هذه واخذت بهم اذن ، ايها الملك ، سترى الفضل
الذي
سينعم به عليك الملك العظيم .. (اما بخصوص) نخاش
وموكيش
الذين رفضوا حلف وصداقة بلاد الحثيين والذين هم اعداء
للملك العظيم سيدهم فسيقوم الملك العظيم باتخاذ ما يلزم
تجاههم .
وفيما اذا اطلق جميع هولاء الملوك جنودهم للاعتداء على
بلادك فليس عليك يانقمندا ان تخافهم (ولكن) ارسل رسولك
ودعه
ياتيني حالا ،»

وقد وقعت الاحداث كما توقعها شوبيلوما حيث نتعرف على ذلك من احد مراسيم شوبيلوما الخاص بالاجراءات المتخذة عندما هاجم ملوك نخاش ومكَيش حدود نقمندا ملك اوغاريت :

«واخذواالغنائم من نقمندا ملك اوغاريت ودمروا اوغاريت وظل نقمندا مخلصا لزعيمه وطلب منه المساعدة حالا كما سبق وان وجّه» . وهذا ما يفهم من النص موضوع البحث الذي يستمر فيقول :

«جاء نقمندا ملك اوغاريت الى شوبيلوما وارسل رسالة
الى الملك العظيم قائلا : «عسى الشمس ، الملك العظيم ،
سيدي
ينقذني من ايدى اعدائي . انا خادم الشمس ، الملك العظيم ،
سيدي
انا عدو لاعداء سيدي وصديق لاصدقائه . ان (هؤلاء)
الملوك يضغطون علي . اصغى الملك العظيم الى قول
نقمندا وارسل شوبيلوما ، الملك العظيم ، اولاد الملك
وضباطا مع قوات وعربات الى اوغاريت واخرجوا قوات
العدو من اوغاريت بالقوة واعطوا كل الغنائم التي كانوا
قد اخذوها هدية الى نقمندا ..»

ثم تستمر الوثيقة لتثبت حدود اوغاريت .

ولم يكن الزعيم هو المتنقم لكل تابع يتعرض للهجوم فحسب بل قد يقوم ايضا بالتحكيم في حالة وجود خلاف بين اتباعه (وهذا معروف في بلاد سومر

منذ منتصف الالف الثالث قبل الميلاد) . لذا ففي الحالة التالية نجد مرسيلس الثاني (ملك حاتي ١٣٣٤ ـــ ١٣٠٦ ق.م) يحل مشكلة الحدود بين الدول المتجاورة الذين اختلفوا وانضموا الى احلاف سياسية مختلفة بعد فتر ة من العلاقات الطيبة :

«هكذا يقول مرسيليس ؛ الملك العظيم ، ملك بلا د حاتي ، ابن شوبيلوما ، الملك العظيم ، البطل ، : «كان ملك اوغاريتوملك سيانّو متحدين منذ القدم . والآن بعد ان مرت السنون اصبح ابدي ــــ اناتي ملك سيانّو بعيدا عن نقمبيا ملك اوغاريت واتجه نحو ملك كركميش . والآن طلب ابدي ــــ اناتي ملك سيانّو من نقمبيا ملك اوغاريت ان يمثل امام الملك العظيم ، ملك بلاد حاتي ، للحكم حول هذه المدن [وقد ذكرت المدن في نهاية الوثيقة]...»

ثم يستمر الملك العظيم ليقول اي المدن تعود الى نقمبيا وايها يعود الى ابدى ــــ اناتي : ويبدو ان وضع نقمبيا كان احسن بكثير من الثاني . وتذكر وثيقة مماثلة ذات علاقة بنفس اسلوب التحكيم وضع احجار الحدود لتثبيت الحدود بين الدولتين وتختم الوثيقة بالشرط التالي :

«في المستقبل سوف لن يفتح ملك سيانو او ابناؤه او احفاده القضية ثانية [حرفيا : لن يعودوا] مع ملك اوغاريت او ابنائه او احفاده بشأن هذه الحدود» .

وكان الشرط الاخير اجراء احتياطيا حكيما جدا حيث ان حوادث الحدود الصغيرة قد تؤدي الى نشوب منازعات غالبا ما تتضخم الى درجة لا تتناسب والحادث الاصلي كما تبين الشكوى والتهديد التالي :

«قل الى ملك اوغاريت هكذا يقول انور ــــ ليم ملك
..[اسم المكان مفقود] : تجيات لك !.. لقد عبر
(قومك) حدودي.. والآن لماذا دخلت في حدودي ؟
فاذا كان خدمك قد فعلوا ما يريدون عند زراعتهم
الحبوب [اي تصرفوا بدون تخويل منك] ، لماذا لم تقل
لهم لماذا فعلتم (هذا) ؟ انك ستخلق مشاحنات
بيننا .. اذا فعلت شيئا فسنفعل ذلك
ايضا.. ليكن ذلك معلوما ؟» .

والمعاهدات والمراسيم الملكية التي ذكرناها الى الان هي من القرن الرابع

عشر قبل الميلاد وهي بين الزعماء والاتباع بصورة عامة . ومع ذلك فهناك امثلة معاهدات صداقة بين اطراف متكافئة كما في المثال التالي :

«من اليوم جعل نقمندا ملك اوغاريت وازيرو ملك
امورو القسم بينهم .. يلقي في اليوم الذي يتم فيه القسم
ادعاء ازيرو ضد اوغاريت الذي كان موجودا سابقا
[وادعاء اناس مختلفين اخرين]...
و (شرط) اخر : سلمت ٥٠٠٠ (وحدة) من الفضة بيد
ازيرو...
و(شرط) اخر : فاذا قام ملك بعدوان على ملك اوغاريت
فسيقاتل ازيرو امع عرباته (و) قواته مع عدوى (نقمندا)
واذا نهيت قوات عدوة لبلادي سيقاتل ازيرو مع
عرباته ومع قواته (و) قواته مع عدوى (نقمندا)
واذا نهيت قوات عدوة لبلادي ، سيقاتل ازير ومع
عرباته ومع قواته اعدائي...»

وكانت الاتفاقات الدولية لتسليم المجرمين او اللاجئيين السياسيين الذين يهربون من بلد الى اخر تنظم في معاهدات ايضا . لذا ففي معاهدة (كتبت بالاكدية) بين حتوسيليس الثالث ملك حاتي (١٢٧٥ ــ ١٢٥٠ ق.م) ورمسيس الثاني ، ملك مصر ، نقرا :

«اذا هرب رجل او رجلان او ثلاثة رجال من بلاد
حاتي وذهبوا الى رمسيس محبوب الاله آمون ، الملك
العظيم ، ملك مصر ،اخي ، فسيوقفهم رمسيس ،
محبوب الاله امون ، الملك العظيم ، ملك مصر ، ويرسلهم
الى حتوسيليس اخيه . واذا هرب رجل او رجلين
او ثلاثة رجال من بلاد مصر وذهبوا الى حتوسيليس ،
الملك العظيم ، ملك بلاد حاتي ، اخيه ، يرسلهم الى
رمسيس ، محبوب الاله امون ، الملك العظيم ، ملك
مصر .»

كذلك كانت الاتفاقات الدولية تنظم لتحديد المسؤولية في حالة سرقة او مقتل فرد من رعايا احد الحكام في حدود الاخر . وتزودنا الوثيقة التالية ، وهي من القرن الرابع عشر ، بمثال على ذلك :

«اني ــ تشوب ، ملك كركميش ، ابرم معاهدة مع رجال

اوغاريت . اذا قتل رجل من كركميش في اوغاريت ،
فاذا قبض على الذين قتلوه ، فسيدفعون تعويضا
ثلاثة اضعاف وسيعوضون عن الاشياء التي سرقوها
منه ثلاثة اضعاف . ولكن اذا لم يعرف اولئك
الذين قتلوه ، فسيدفع [الاوغارتيون] تعويضا
ثلاثة اضعاف لحياته ، وسيعيدون الاشياء بقدر
ما سرق بقيمتهم الاصلية فقط ، واذا قتل رجل من
اوغاريت في كركميش ، فالتعويض نفسه» .

ويمكن ان نجد ما يقابل كثيرا من النقاط التي ذكرت بخصوص العلاقات الدولية في الالف الاول قبل الميلاد . ويمكن ان نورد عددا من المعاهدات التي ختمت بالقسم وصدقت ببعض الطقوس الرمزية . ففي معاهدة بين ماتي — ايل حاكم ارباد وملك بلاد اشور (في القرن الثامن قبل الميلاد) فانه اشترط انه :

«اذا انتهك ماتي — ايل هذه المعاهدة فانه كهذا الكبش
[الذي ذبح كضحية] جلب من القطيع (و) سوف لن يعود
الى قطيعه وكذا سيكون ماتي — ايل مع ابنائه وبناته
...وشعبه سيجلبون من بلاده وسوف لن يعودوا الى
بلاده .

هذا الرأس هو ليس الكبش بل راس ماتي — ايل
...فاذا انتهك ماتي — ايل هذه المعاهدة فكما تخترق
يدى راس هذا الكبش.. ستخترق يدى راس
ماتي — ايل..)» .

وكمثل اخبر على المحادثات الدولية التي تبين الدبلوماسية الفعلية بين ملوك على قدم المساواة تقريبا (وليس كما بين ماتي — ايل وملك بلاد اشور) هي رسالة يعود تاريخها الى حوالي عام ٧١٠ ق.م. حيث يشير فيها سرجون الاشوري الى اقتراح من ميتا حاكم مشكو (وهو ميداس حاكم ميشيخ وهي البلاد المذكورة في سفر التكوين الاصحاح العاشر : ٢ سفر اخبار الايام الاول : ٥ : ١٧ ، المزامير : الاصحاح : ٧٠ : ٥ حسقيال : الاصحاح : ٢٧ : ١٣ : ٣٢ : ٢٦ ، ٣٨ : ٢ ، ٣ ، ٣٩ : ١) . وكان الملك سرجون يكتب الى شخصية اشورية من مستوى عال ، لعله ابنه وخليفته سنحاريب ، الذي كان قد اخبره بان ميتا حاكم مشكو في اسيا الصغرى ، الذي كان عدوا سابقا لبلاد اشور او على الاقل محايدا ، قد خطى الخطوة الاولى نحو التقارب

وقد رحب الملك الاشورى بحرارة بهذا الوضع الجديد واعطى تعليماته للعمل على تطوير علاقات الصداقة هذه فامر اعتماد سفير اشوري الى ميتا بينما تمت الموافقة على ارسال سفير من مشكو الى البلاط الاشوري . اضافة الى ذلك ، فان الشخصية التي كان يكتب اليها سرجون الرسالة قد وجهت بان تكتب الى ميتا وتخبره بان الملك الاشوري كان ممتنا جدا حول التطورات كذلك تمت الموافقة على اقتراح الشخصية الاشورية بان يعقد اتفاقية تسليم المجرمين . وتزودنا هذه الرسالة بتاييد اخر لموجهة النظر القائلة ان الاستعمار الاشوري يدين بنجاحة غير المشكوك فيه الى الادارة الدقيقة والدبلوماسية الى جانب القوة العسكرية .

الفصل الثامن

الادارة

لقد سبق واشير عرضا الى بعض الامور المتعلقة بالادارة في الالف الثالث والثاني قبل الميلاد . وهذا موضوع لا يحبذ الحديث فيه بشكل عام طالما كان هناك اختلاف كبير في التطبيق بين فترة واخرى وغالبا خلال فترة قصيرة الامد . لذا فان الاسلوب الذي اتبع هنا لمعالجة الموضوع هو اعطاء موجز الخصائص البارزة لكل فترة رئيسية مع شرح اكثر تفصيلا للتطورات الادارية في عهد الامبراطورية الاشورية الجديدة . وقد اختيرت الفترة الاخيرة للشرح بشكل خاص اولا بسبب اهميتها الخاصة بالتطورات السياسية التالية في الشرق الادنى وثانيا لانه اصاب الاستعمار الاشوري عدم صحة التمثيل تمشيا مع الافكار السائدة ضد الامبريالية .

نهاية عصور فجر السلالات (حوالي ٢٤٠٠ ق .م .) :ـــ

كان على رأس دولة المدينة **الانسي** Ensi ، واذا ما امتد نفوذه الى خارج حدود مدينته واعترف به معبد مدينة نيبور كان يحمل لقب اكثر جلالا هو **لوكال** Lugal ، اي الملك (حرفيا : الرجل العظيم) . وفي الحالة الاخيرة كان الشخص الذي يحكم للملك (لوكال) في كل دويلة حديثة خاضعة يسمى **كير ـــ نيتا** gir - nita « حاكم » . وكان لكل مقاطعة معبد له ادارته الخاصة الخاضعة بالدرجة الاولى الى **الانسي** Ensi او **اللوكال** lugal واخيرا الى الاله الذي كان وكيله . وكانت الشخصيات الثلاث الرئيسة في ادارة المعبد تعرف باسم **اكريك** Agrig « الناظر » **ونوباندا** nubanda اي « المفتش » **وسانكا** Sanga « الكاهن » . وكان هؤلاء مسؤولون عن توزيع الواجبات على

ملاك المعبد وعن توزيع الجرايات والالات والاشراف على القطعان ومحلات السمك واراضي المعبد . وكان هناك مفتشون من مختلف الانواع مسؤولون امام الانسي Ensi كما يظهر ، يقومون بجباية الضرائب المفروضة على الماشية والقوارب ومحلات الاسماك وجز الصوف كما كانوا يجبون رسوما على الطلاق والدفن . ولاشارات اخرى عن الادارة في هذه الفترة انظر صفحة ٦٣ وما بعدها .

فترة سلالة اور الثالثة (حوالي ٢١٠٠ ق . م .) : —

كانت الحكومة في عهد سلالة اور الثالثة مركزية الى حد بعيد ، وحيث ان سيطرة اور قد امتدت الى مساحات تقع وراء حدود بلاد سومر ، فانه ليس من غير الملائم ان نتحدث عن امبراطورية سلالة اور الثالثة . وقد وصفت هذه الامبراطورية بانها اكفأ تكوين منظم من نوعه قبل العهد الاشوري .

وكان جميع الاداريين المحليين من الحكام المدنيين الخاضعين للملك . وقد امكن الحد من التمردات الداخلية التي كانت تؤلف مشكلة كبيرة في عهد السلالة الاكدية (انظر اعلاه صفحة ٦٧ ، ٦٩) وذلك بفصل الادارة العسكرية عن الادارة المدنية كما حددت سيطرة الحكام المدنيين المستقلة وذلك بجعلهم معرضين للنقل من مدينة الى اخرى كي لا تزداد روابطهم المحلية وتجعلهم اقوياء جدا . وكانت التقارير من جميع الجهات تتقاطر على الملك بواسطة رسله مما ساعد الملك على الاطلاع التام على آخر التطورات التي تحدث في الامبراطورية .

العهد البابلي القديم (مملكة ايسن ولارسا وماري وبابل : —

كان النظام الاداري في امبراطورية سلالة اور الثالثة قد انهار قبل تدمير العاصمة نفسها . وكانت الادارة في الممالك الصغيرة المنشقة التي اخذت مكان الامبراطورية القديمة محلية اساسا . ولم يكن هناك بالضرورة روابط تفصيلية بين الانظمة الموجودة في المناطق المختلفة . ومع ذلك يبدو انه من الممكن اخذ الانظمة الادارية المعروفة بالتفصيل (منذ نهاية هذه الفترة) من

وثائق مملكة ماري وبابل على انها نماذج لها .

وقد قام العالم البلجيكي **كوبر** J. R. Kupper بدراسة مفصلة عن الادارة المحلية في مدينة **ترقا** Tirqa التي تقع اكثر من اربعين ميلا شمالي ماري ، وعندما كانت ترقا في عهد زمري ــ ليم ملك ماري تابعة له وكانت تحكم من قبل حاكم يدعى كبري ــ داكان .

وكانت المنطقة الواقعة تحت سلطة الحاكم فعلا تضم المدينة نفسها والارياف المجاورة التي كانت تضم (كما هي الحال في المدن الرئيسة في الشرق القديم) عددا كبيرا من القرى الصغيرة . وقد احتسبت المساحة الحقيقية للمنطقة وظهر بانها كانت تمتد مسافة ستين ميلا على طول الشاطيء الايمن لنهر الفرات الاوسط وربما لم تمتد اكثر من خمسة اميال عن النهر (نظرا للحاجة الى الارواء) . وكان في هذه المنطقة اضافة الى السكان المستقرين في القرى ، اقوام رحل من قبائل مختلفة . وكان هؤلاء الرحل ، وربما القرويون ايضا الذين لم يمض على استقرارهم في الغالب مدة طويلة ، يتصلون بالحاكم من خلال شيوخهم **سقاق** (suqau) .

وفي المدن الصغيرة كان هناك **الخزانو** huzanu (المشرف او المحافظ) بينما كان المسنون (**شيبوتم**) shibutum يؤلفون نوعا من المجلس المحلي . وكان الحاكم نفسه مسؤولا عن حفظ الامن وتطبيق العدالة واهم كل شيء عن الاعمال العامة ولا سيما العمل في القنوات ومشاريع الري ، حيث يذكر كيري ــ داكان في رسالة الى الملك انه :

« اذا انقطعت المياه ، فستموت بلاد مولاي من الجوع » ، ومما تجدر ملاحظته على كل حال ، بان المسؤولية النهائية في اتخاذ القرارات كانت بيد الملك في جميع الامور . لذا كان من الضروري ان يقدم الحكام تقارير دائمية الى الملك ليس عن الامور السياسية والعسكرية فحسب بل وكذلك عن اي شيء له علاقة برفاهية المنطقة التي عهد بها اليهم . ومن بين الامور الكثيرة التي ارسلت بشأنها تقارير الى الملك هي الكوارث كالاوبئة والفيضانات وغزو الجراد . وكانت الوسيلة الفعلية التي يتصل بوساطتها الحاكم بالملك وبحكام المدن الاخرى هم الرسل من مختلف الانواع ، من حامل الرقم البسيط الى الوكلاء الموثوق بهم . وكان الملك يراقب موظفيه بدقة وهناك رسائل تبين كيف كان على الموظفين ان يدافعوا عن انفسهم امام الملك ضد اتهامات الاهمال .

وفي حالة الطوارىء العسكرية ، كانت هناك طريقة اخرى للاتصال التي كان بالامكان استخدامها بين الممالك ذات العلاقة في رسائل ماري . ويتضمن ذلك استخدام اشارات النار . فباستخدام سلسلة من المشاعل يمكن تحذير الخطر بسرعة الى جميع البلاد . والصعوبة الموجودة في ذلك هي معرفة معاني الاشارات مسبقا وهناك رسالة حول هذه النقطة بالذات تبين كيف ان يسمخ — ادد « السيء الحظ » ، نائب الملك في ماري ، الذي كان يفشل دائما ، قد وقع نفسه في مشكلة . حيث يبدو انه استخدم جميع اشارات التحذير لمجرد حدوث غارة محلية . ويكتب له اخوه اشمي داكان ، المستعد لتقديم المساعدة والقدير ، ناصحا كيف يخلص نفسه من المأزق قائلا :

« الى يسمخ — ادد قل ، هكذا يقول اشمي —
داكان اخوك :
لانك اشعلت نارين خلال الليل ، فربما ستأتي
جميع البلاد لمساعدتك . اكتب رقما الى جميع
البلاد ... وارسل سعاتك الشباب السريعين
(لتسليمها) وعليك ان تقول :
لقد قامت جماعة كبيرة من الحدود بغارة على
البلاد ولذلك فقد اشعلت نارين وليس هناك
حاجة للمجيء لمساعدتي »

وقد يكون تحت ادارة الحاكم في مملكة ماري فرقة خاصة لحفظ الامن ولتفتيش القنوات ولاعمال الشرطة العامة . وكانت مثل هذه القوات ، او على الاقل ضباطها ، تدام باقطاعيات من الارض . ويعرف نظام الاراضي هذا من بلاد بابل اكثر منه في ماري في الوقت الحاضر .

ويبدو انه لم يكن هناك اختلاف كبير في الاسس يفصل بين النظام الاداري في بابل عنه في ماري . وان النظام الاداري في مملكة حمورابي لا يعرف من قزانينه فحسب بل من عدد من الوثائق التجارية ومجموعة كبيرة من المراسلات التي تبودلت بين موظفيه المحليين . وان الاستنتاج العام الذي يمكن الحصول عليه من آخر المصادر المذكورة ان الادارة كانت في عهد حمورابي مركزية الى حد بعيد وانه لم يكن هناك امر لا يثير اهتمام الملك الشخصي مهما كان صغيرا كما كانت عليه الحال في بلاد اشور في الالف الاول قبل الميلاد .

وقد تمكن الامراء الاموريون الذين جمعوا تدريجيا اجزاء امبراطورية سلالة اور الثالثة ومملكة ايسن ولارسا بايديهم من ان يسيطروا خلال عملهم هذا على اجزاء كبيرة من الاراضي كانت تعتبر في العهود الاخرى من اراضي المعبد. وقد خصص جزء من هذه الاراضي الملكية لبعض الاشخاص الذين التزموها مقابل تقديمهم خدمات معينة الى الملك، وتمنع قوانين حمورابي على وجه الخصوص بيع مثل هذه الاراضي. اما الموظفين الذين ورد ذكرهم في القوانين بانهم ملتزمون للاراضي بهذا الاسلوب فهم: **الريدو** Rédu **والبائيرو** bà'iru **والبابا** PAPA (وهي كلمة سومرية رمزية ترجمت الى اللغة الاكدية مع كثير من الشك **ديكو** dèku) **واللابوتو** labuttu. ويبدو ان جميع هذه المصطلحات كانت تدل على اشخاص عسكريين او في الشرطة ويمكن اذا اضطررنا الى ترجمة القابهم ان تمثلها بشكل تقريبي بالرقيب والعريف والعقيد والملازم ولو ان واجباتهم كانت اوسع بكثير مما تدل عليه هذه الالقاب. اضافة الى هئلاء الاشخاص العسكريين فانه من الواضح من الرسائل بان عددا لا بأس به من اصحاب المهن والعاملين بالتجارة كالتجار والكتبة والرعاة والصاغة والحدادين والندماء، اذا ما اردنا تخصيص البعض منهم فقط، كانوا يلتزمون الاراضي بنفس الطريقة ويبدو ذلك واضحا من الرسائل كالرسالة التالية:

> « الى شمش ـــ خاصر قل! هكذا يقول حمورابي: « عندما ترى هذا الرقيم، سلّم الى سن ـــ موشتال بور واحد من الارض والى ايلي ـــ ادينام بور واحد والى ايلي ـــ اشميني بور واحد، كتاب حسابات تاجر اور الثلاثة الى جانب حقول ادامتهم القديمة ».

« وحقل الادامة » مصطلح من المعروف انه كان يدل على الارض المقطعة. وكانت المحررات التي تسجل الاراضي المقطعة والحقوق ذات العلاقة تحفظ ويرجع اليها في حالات نشوب الخلاف. وكانت هذه المنح، كما تدل على ذلك المادة ٢٨ من قانون حمورابي، تنتقل غالبا بالوراثة من الاب الى الابن وتبين الرسالة التالية نموذجا عن ذلك:

> « الى شمش ـــ خاصر قل! هكذا يقول

حمورابي : « اعطي الى منُورّم الركبو ، كحقل
ادامته ، ثلاثة يور من الارض من ارض مقاطعة
ابيه في دمتي ايلي »

وكان منح الاقطاعيات من قبل الملك يدار من قبل الحاكم الذي كان ، كما في مملكة ماري وغيرها ، مسؤولا عن الواجبات الثلاثة : حفظ الامن والاعمال العامة (بما فيها القنوات والاراضي الملكية) والمواصلات ، ولو ان الحاكم كان في جميع هذه الامور مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتوجيهات الملكية . وكان الحكام احيانا يغفلون اوامر الملك وكان مثل هذا التقصير يؤدي الى التأنيب الحاد . لذا اخبر الحاكم شمش — خاصر في احدى الرسائل من قبل حمورابي :

« ارسلت لك في العام المنصرم بعض الركبو من
حملة الاقواس للاسكان في الارض . وقد مضى
عليهم عندك ثمانية اشهر دون ان ترضي رجلا
واحدا » .

ويتبع ذلك توجيهات مفصلة حول كيفية معالجة الامور ويختتم الملك قائلا :

« اذا لم يرض هؤلاء الركبو بسرعة ... فسوف
لن يعف عنك » .

وكانت منطقة الحاكم الادارية الخاصة مقسمة الى عدة وحدات تحت ادارة موظفين ثانويين وهناك مصطلحان معروفان للدلالة على مناطق من هذا النوع واقعة تحت ادارة موظفين هما مصطلح **باطم** patum **وارصيتم** irsitum (اذا صح اعتبار الرابيانم Rabiànum « المحافظ » من هذا الصنف) غير ان امتداد المناطق موضوع البحث غير معروف ومن المحتمل ان الباطم patum كانت تضم جميع المساحات الزراعية التي تديرها مدينة معينة بينما يعتقد ان الارصيتم irsitum كانت تدل على حي من احياء المدينة .

العهد الاشوري الحديث : —

ان بيت شعر بيرون المشهور :

نزل الاشوريون كالذئب على القطيع
وكانت فرقه تلمع بالارجوان والذهب —

لا ينصف نظام الادارة العسكرية الاشوري . فلم يكن الاشوريون يخرجون للحرب من اجل السلب ببساطة بل انهم لم يحاولوا ادارة البلدان التي وقعت تحت سيطرتهم فحسب وانما نجحوا في ادارتها بالمقاييس القديمة بكفاءة تستحق التقدير . وفي الواقع يمكن مقارنة الادارة الاشورية بتوافق كبير مع الوضع الذي ساد المنطقة نفسها تقريبا قبل قرن من الزمان وفي بعض اجزائها حتى اليوم . وان تصوير بايرون للحشود الاشورية وهي تكتسح سكان الوديان الآمنين وتنسحب تاركة الموت والدمار والنواح هو تصوير مشوه ، حتى ان العهد القديم الذي كتب من وجهة نظر اجناس تشعر وتصرح بالنعرة القومية يبين ذلك . ومما يلاحظ عند تمحيص نبوءات العهد القديم بدقة ان النبوءات التي ادانت بلاد اشور لم تنصب الادانة فيها ، في اية حال من الاحوال ، على البربرية او القسوة الادارية ويصدق ذلك حتى مع تنبوءات ناحوم بسقوط اشور . فبالنسبة الى ناحوم يبدو ان اثم اشور كان قيامها بالسحر اضافة الى نجاحها التجاري ، حيث يعلن ان بلاد اشور قد حكم عليها بالهلاك :

من اجل زنى الذانية الحسنة الجمال صاحبة
السحر البائعة امما بزناها وقبائل بسحرها .
(ناحوم : الاصحاح : ٣ ــ ٤)

ويرمى بلاد اشور بالتقريع : .

اكثرت تجارك اكثر من نجوم السماء (ناحوم : الاصحاح : ٣ : ١٦) .
وبين بقية الانبياء فان اية ادانة لبلاد اشور قد يعبر عنها لم تكن خاصة ببعض اوجه معاملتها رعاياها او للاقوام التي غزتها بل لما يمكن ان يطلق عليه العجرفة ، اي ، بالادعاء بان ما تمارسه من سلطة حقة هي مفوضة من الله . وحقا لم تدن اشور نفسها من قبل هوشع اطلاقا ، بل ان الادانة كانت لاسرائيل لاعتمادها على قوة اشور بدل من الله (الاصحاح : ١٢ : ١) بينما ميز اشعيا اشور التي وصفها بانها « عصا غضب (الله) » (الاصحاح : ١٠ : ٥) بانها اداة يهوى وبالنسبة له فلم يحكم على اشور لاي سبب خاص بسوء استخدامها القوة بل لعدم معرفتها واعترافها بان مصدر القوة التي تستخدمها هي ارادة الله (اشعيا الاصحاح : ١٠ : ٦ ــ ١٦) وتنبأ صفنيا باسلوب مشابه بتدمير اشور ليس لعدم انسانيتها بل لكبريائها : و

ويمد يده الى الشمال ويبيد اشور ويجعله ينوي
خرابا يابسة كالقفر ... هذه هي المدينة المبتهجة

الساكنة مطمئنة القائلة في قلبها انا وليس غيري .

(سفر صفنيا : الاصحاح الثاني : ١٣ ، ١٥)

وان ما انعكس في العهد القديم عن معاقبة اشور الذي اعقب سقوطها لا يشير الى اي شكل معين من اشكال الظلم بل الى غطرستها باغتصاب قوة تعود حقا الى الله ، وبصورة خاصة الى عقوقها في ابتلاع الشعب المختار . ويصور لنا حزقيال صورة اخاذة عن الامبراطورية الاشورية قائلا : —

كان الاشوريون :

« هوذا اعلى الارز في لبنان جميل الاغصان واغبى الظل وقامته طويلة وكان فرعه بين الغيوم . قد عظمته المياه ورفعه القمر انهاره جرت من حول مغرسه وارسلت جداولها الى كل اشجار الحقل . فلذلك ارتفعت قامته على جميع اشجار الحقل وكثرت اغصانه وطالت فروعه لكثرة المياه اذ نبت وعشعشت في اغصانه كل طيور السماء وتحت فروعه ولدت كل حيوان البر وسكن تحت ظله كل الامم العظيمة . فكان جميلا في عظمته وفي طول قضبانه لان اصله كان على مياه كثيرة . الارز في جنة الله لم يفقه السر ولم يشبه اغصانه والدُّلب لم يكن مثل فروعه . كل الاشجار في جنة الله لم تشبهه في حسنه »

(حزقيال ، الاصحاح : ٣١ : ٣ — ٨) .

فالذنب الذي سقطت بسببه شجرة اشور العظيمة كان الكبرياء ، غير ان حزقيال لم يشعر بالحقد في خواطره عن سقوط اشور حيث يضيف :

هكذا قال السيد الرب في يوم نزوله الى الهاوية اقمت نوحا . كسوت عليه الغمر ومنعت انهاره وفنيت المياه الكثيرة واحزنت لبنان عليه وكل اشجار الحقل ذبلت عليه .

(حزقيال ، الاصحاح : ٣١ : ١٥) .

غير ان هذا لا ينكر بان الاساليب الاشورية في الادارة كانت قاسية وفق

المعايير الحديثة ، غير انه يجب ان لا يغفل الجانب الآخر من النظام . فلم يكن الاستعمار الاشوري ببساطة نظاما عسكريا طاغيا يحكم اقواما مفتوحة بقسوة بدائية ، بل انه يدين في كثير من نجاحاته الى نظامه الاداري المتطور الكفء والى اهتمام المنفذين المجدين فيه بامور الدولة اليومية الصغيرة . ومنذ عهد اشور ناصربال الثاني (٨٨٣ — ٨٥٩ ق . م) كانت الاجراءات الادارية في المناطق المفتوحة ليست اعتباطية بل وفق مبادىء كانت معروفة انذاك ، ومنذ عهد تجلاتيليزر الثالث حوالي مائة واربعين سنة بعد هذا التاريخ ، والذي وقعت في عهده وبشكل محتوم الممالك العبرية في فلك الاشوريين ، يمكن ملاحظة اسلوب معين للادارة الامبراطورية لم يتعرض في عهد الملوك الذين خلفوا ذلك ، الا لبعض التطورات والتغييرات البسيطة في التفاصيل .

وقلما تكون الادارة السياسية من الامور المنهجية ، ولا بد ان يكون هناك استثناءات لاي تعميم ، ولكن بصورة عامة ضمت المناطق الخاضعة للاشوريين وحدات سكانية ترتبط بالحكومة الاشورية المركزية بثلاثة اشكال رئيسة : الاول والاقل ارتباطا ، الدول التي جلبت حكامها ، بدافع حذرهم ، الجزية الى الملك الاشوري كدليل على وجهة نظرهم الموالية والتي يمكن اعتبارها تبعا للظروف بانها تقع بين التحالف والتبعية . ويستلم حكام مثل هذه الدول مقابل جزيتهم امتيازا ماديا هو الضمان الاشوري لدولهم ولسلالاتهم الحاكمة ضد اي اعتداء . وكان الضمان الاشوري ، ليس كالضمان المصري كما وصفه قائد القوات الاشوري ساخرا بانه :

« عكاز هذه القصبة المرضوضة ... التي اذا توكأ احد عليها دخلت في كفه وثقبتها » . (اشعيا : الاصحاح ٣٦ : ٦) وكان يقدم عادة وينظر اليه بتقدير عظيم . واحسن مثال معروف على ذلك هو اهاز ملك يهوذا (سفر الملوك الثاني : الاصحاح : ١٦ : ٧ — ٩) . وقد تبادر دولة صغيرة بالطلب لتصبح تابعة للاشوريين . وفي الواقع فان المركز السياسي للدول التي ترتبط باشور بمثل هذه العلاقة يختلف كثيرا استنادا الى عوامل متعددة كالموقع الجغرافي واحلاف الزواج مع دول اخرى وبصورة خاصة المسافة عن اقرب قوة عسكرية اشورية او موظفين اشوريين وفي بعض الاحيان كانت تراقب المصالح الاشورية ويزداد التأثير بالحاق مستشار اشوري او مراقب دائمي في البلاط المحلي .

وما ان تقبل الدول بهذا النوع من العلاقة مع بلاد اشور سواء بطلب منها او تحت الضغط الاشوري الا وكان لابد لهذه العلاقة ان تتجه بمرور الوقت لتصبح

تحت سيطرة من نوع اقوى . وذلك لانه اذا قدمت مثل هذه الدول التابعة الخضوع الرسمي ومن ثم امتنعت في اي وقت عن دفع الضريبة السنوية فان عدم دفع المتراكم من الضرائب كان يعتبر من قبل اشور بانه عملا عدائيا وكان يستدعي القيام باجراء عسكري . وفي بعض الحالات كان الاشوريون مشغولون تماما في مكان آخر اما من حسن حظ او بسبب تدبر الدولة المقصرة ، فكانت الدولة التابعة تخلص من العقاب المباشر ولكن كان رد الفعل الاشوري لمثل هذه الحالات في احيان كثيرة هو القيام بهجوم على المنطقة المتمردة بقوة صغيرة وتقليم اظافرها وذلك بالحاق الاجزاء النائية منها الى دولة او مقاطعة اخرى يمكن الاعتماد عليها . ومن ثم يتدخل الاشوريون في شؤون الدولة الداخلية ويغيروا الحاكم غير الجدير بالثقة بامير آخر موال لاشور او اعادة تنصيب الحاكم الذي كان تحت الحماية الاشورية او احد افراد اسرته ثم ازيح عن الحكم بسبب صراع داخلي . وفي جميع الاحوال فقد كان الحاكم المعترف به من قبل اشور يؤدي اليمين امام الالهة كما كان يترك في منطقته موظف اشوري مع قوة عسكرية صغيرة احيانا لدعمه ولمراقبة الاحداث الداخلية وعلاقات الدول الخارجية ولضمان دفع الضريبة المستحقة . ويمثل ذلك النوع الثاني او الحالة الوسيطة من العلائق مع بلاد اشور .

وكان الحنث في اليمين الخاص بالتحالف يعتبر جريمة ليس ضد الملك الاشوري فحسب بل ضد الالهة التي تم القسم بها ولذلك كانت عقوبته الموت . ولم تكن العقوبة مجرد انتقام من الجاني او تحذير للاخرين بل تكفير عن الجريمة ضد الالهة التي ان لم تتخذ بشأنها الاجراءات اللازمة فقد تنزل عقوبتها المقدسة على جميع البلاد ، كالطاعون والفيضان والمجاعة والهزات الارضية او اي مظهر اخر يبين عدم رضاء الالهة . وليس من الصعوبة ان نجد في العهد القديم ما يقابل هذا التفكير بان سوء الطالع قد يصيب البلاد بنتيجة الحنث في اليمين او الاستخفاف بالالهة . فعندما سرق اثنان من الغنائم الموقوفة لاله القبيلة ، حلت الهزيمة بالاسرائيليين ولم يفسح لهم مجال للنجاح الا بعد ان تم الكشف عن الذنب واعدم المذنب (سفر هوشع ، الاصحاح : ٧) . وواجه يوناثان الاعدام لانه حنث في اليمين الذي اداه ابوه شاؤول نيابة عن جميع الاسرائيليين بالصوم ولم يتخلص من ذلك الا بالشعور العام ان الانتصار الذي حققته قيادة يوناثان توضح رضا الله عن عمله بالرغم من قسم شاؤول (سفر صموئيل الاول : الاصحاح : ١٤) . وبسبب طبيعة ذلك التكفيرية فقد

يتضمن الاعدام في مثل هذه الحالات التعذيب . ولعله كان ذا مغزى ديني او بالاحرى سحري ، كسلخ الجلد او الدفن في البناء او قلع لسان الكاذب او الحرق او التوتيد . وان مثل هذا النوع من البشاعة الذي اخذ غالبا وبدون الاشارة الى مضمون الحوادث كان السبب الرئيس في السخط الذي اعرب عنه المؤرخون المحدثون ضد اشور وكذلك من قبل المعلقين على الاحداث في العهد القديم . اما النقطتان الاخريان اللتان سببتا هذا السخط بين المؤرخين المحدثين فهما تكديس الرؤوس او جثث الموتى وابادة المساجين الذين اشير اليهم غالبا في الحوليات الملكية الاشورية التي اذا ما ترجمت تكون على الشكل التالي :

« وجعلت جثثهم على شكل اعمدة واحرقت
بالنار شبابهم وشاباتهم »

فاما النقطة الاولى ، على الرغم من انها جريمة ضد المشاعر الدينية الا انها لم تكن بحد ذاتها بشاعة ضد الاحياء . اضافة الى ذلك يمكن مقارنتها بشكل مباشر مع ما يحدث في القرن العشرين بعد الميلاد . فيذكر السير فيليب كبس (The Pageant of the years page 300) صورة ضابط تركي جالس على كومة من الجماجم وهو يدخن سيجارته. اما بالنسبة للنقطة الثانية الخاصة بالحرق بالنار وهل ان ذلك يعني حرق الاولاد وهم احياء فهو ما يثير التساؤل ، فان كان كذلك فربما كان ذلك تقليدا دينيا او بالاحرى سحريا يقابل التقليد الذي اتبعه اليهود خلال عهود الممالك العبرية .

ويجب ان نتذكر ان تعذيب الاحياء (انظر لوحة ٤٦ آ) لم يكن الاسلوب التقليدي لمعاملة جميع الاقوام المفتوحة بل كان موجها بصورة عامة الى عدد محدود جدا ، غالبا اقل من اثني عشر شخصا ، من افراد الطبقة الحاكمة . اما جمهور الناس فكانوا اما يغرمون ويتركون لشأنهم ، كما كان الاسلوب يزداد انتشارا بمرور الوقت او يرحلون (انظر لوحة ٣٣ آ و ٣٤) . وكان يعاد اسكان المنطقة المفتوحة باقوام من اماكن اخرى ويعاد تنظيمها على اساس جعلها مقاطعة تحت الادارة الاشورية المباشرة . اضافة الى ذلك فيجب ان لا تقوّم الاساليب الاشورية كالمثل المسيحية العليا والتي كانت تنسى غالبا خلال حروب القرن العشرين بعد الميلاد ، بل تقارن مع القيم والمعايير المعاصرة لها التي يمكن ان نجد لها امثلة واضحة في سفر الملوك الثاني . وقد توضح بعض الامثلة من مدونات حكام الشعب المختار حوالي الفترة نفسها هذه النقطة . فقد

اباد بعشا جميع افراد اسرة يربعام بعد ان اخذ العرش الاسرائيلي من خليفة يربعام بموافقة انبياء يهوى (سفر الملوك الاول : الاصحاح : ١٥ : ٢٥ — ٣٠) وكذلك فعل زمري بموافقة الانبياء بافراد اسرة بعشا عندما اغتصب في دوره العرش (سفر الملوك الاول ، الاصحاح : ١٦ : ٨ — ١٣) وفي هذه الحالة وحيث كان حكم زمري سبعة ايام فقط ، فان السفاح الملكي لم يضيع وقتا في دراسة الموضوع او يحاول ايجاد الاسباب المقنعة لارضاء الرأي العام . وعندما كان احد الملوك يظهر الشهامة تجاه العدو المندحر ، كاهّاب ، فقد كان يهاجم بقسوة من قبل احد الانبياء (الملوك الاول : الاصحاح : ٢٠ : ٣٠ — ٤٢) . وتسجل الاخبار وبارتياح واضح مصير اثنين واربعين من الصبيان الوقحين الذين لعنوا من قبل اليشع واكلوا نتيجة ذلك من قبل الدببة (سفر الملوك الثاني : الاصحاح : ٢ : ٢٣ : و ٢٤) وسواء اوقعت الاحداث كما ذكرت ام لا فان الشعور في محيط الانبياء كان واضحا بان ذلك من الامور التي لا بد من حدوثها وان المغزى الاخلاقي للقصة كان مقبولا لدى مدارس الانبياء ليس في عهد اليشع فحسب بل بعد ذلك بفترة طويلة عندما جمعت « اسفار الملوك » واباد ملك اسرائيلي اخر ، وهو يهو ، ابناء اهاب السبعين وجميع اقربائه الاحياء مع ابناء اهاز الاثنين والاربعين وحشد كبير من المضللين ولكن على العكس من ذلك لقي تابعو بعل غير المذنبين تأييد الاحزاب المتنفذة من عبدة يهوى المطلق (سفر الملوك الثاني : الاصحاح : ١٠ : ١ — ٣٠) . وكمثال اخير للمعايير القديمة فانه عندما فتح منجم منطقة معينة فقد مزق جميع بطون النساء الحوامل (سفر الملوك الثاني : الاصحاح : ١٥ — ١٦) دون ان يجلب ذلك على نفسه ادانة واضحة لهذة الوحشية بالذات على الرغم من ان جامعي اسفار الملوك كانوا مستعدين لادانته لفشله في اتباع بعض الطقوس الدينية . وبالحكم على القيم الاخلاقية التي كانت تتقبل مثل هذه الاحداث بانها شيء طبيعي ومحق فانه لا يمكن بعد ذلك ادانة اشور لوحشيتها الاستثنائية . اما بالنسبة للمقارنة مع الحروب المعاصرة فان هناك القليل جدا من الاجزاء الرهيبة في الحوليات الملكية الاشورية التي لا يمكن ان نجد لها ما يقابلها او يزيد عليها في سجلات الاحداث في اوروبا وافريقيا (السوداء والبيضاء) منذ عام ١٩٣٩ م .

ومع ان حوليات الملوك الاشوريين الملكية ، وهي مصدر معرفتنا الاساس للتاريخ الاشوري في الالف الاول قبل الميلاد ، لا تزورنا الا باشارات متناثرة

وقليلة عن اسلوب الادارة الذي كان متبعا في المقاطعات الامبراطورية الاشورية ، فمن حسن الحظ انه يمكن استنباط معلومات كثيرة حول هذا الموضوع من الاشارات العرضية في مراسلات الملك مع موظفيه في المقاطعات . فقد تم العثور على عدد كبير ، يقرب من الفين من الرسائل من هذا النوع خلال التنقيبات التي اجريت في العواصم الملكية القديمة نينوى وكالح (سفر التكوين : الاصحاح : ١٠ : ١١ : ١٢) وفي كوزانا على الخابور من مدن الاقاليم ، كوزان في العهد القديم (سفر الملوك الثاني : الاصحاح : ١٧ : ٦) . وقد جاءت غالبية هذه الوثائق من ارشيف العاصمتين الملكيتين لذا فان معظم الرسائل فيها موجهة الى الملك وليست مكتوبة من قبله . ويمكن ان نفترض منطقيا ان عددا مماثلا من الاجابات الملكية تنتظر الاكتشاف في اماكن غير منقب فيها وفي كثير من الاحيان في اماكن غير محددة بعد من مدن الاقاليم .

وتشمل هذه الرسائل نطاقا واسعا من المواضيع وتبين بصورة عامة ان الموظفين الذين تقابلهم فيها سواء اكانوا كبارا او صغارا مجدين في ادارة مقاطعاتهم ولم يجمعوا الثروة من رعايا الملك باسلوب فرض الضرائب الزراعية فقط . وكانت تقدم احيانا اعتبارات غير متوقعة الى السكان المحكومين ، وعلى الرغم من ان ذلك كان بالتأكيد من اجل زيادة الكفاءة اكثر من كونها من باب الانسانية فهل يمكن ان يقدم ادعاء احسن من اجل الانسانية الحديثة في الصناعة ؟ ففي احدى المرات تسلم موظف اشوري معين يدعى اشور مانكار كور استفسارا ملكيا حول بعض الاراميين من الذين كان مسؤولا عن اسكانهم ، وفي جوابه يقول : « سيأخذون الطريق قريبا ، لقد اعطيتهم مؤونتهم وملابسهم واحذيتهم وزيتهم » غير ان الطعام والتجهيزات لم تنفذ ترتيبات الملك للمستوطنين حيث يبدو انه كان قد خطط لتزويجهم بالزيجات ايضا . وبالنسبة لذلك ، مع هذا ، يبدو ان مشروع الملك لم يلاق نجاحا مباشرا حيث يذكر اشور مانكاكور في رسالة اخرى ان المشاكل قد نشأت ويبدو ان ذلك يسبب اختلاف تقاليد زواج الاراميين عن تقاليد السيدات حيث يذكر :

> اما بالنسبة للاراميين الذين قال عنهم الملك
> « يجب ان يزوجوا » فان النساء تقلن (اننا نرى

ان الرجال الاراميين غير راغبين في اعطائنا
نقودا) (وليس حتى يعطونا نقودا ؟)) .

ويبدو ان السيدات اصرّين على ذلك استنادا لما هو معروف بان من المتطلبات الاعتيادية في القوانين الاشورية استلام النقود قبل الزواج كنوع من ثمن العروسة والتي لم يكن الاراميون راغبين او لم يكن بمقدورهم الدفع . وكان حل اشور ــ مانكاكور للمشكلة هو الاقتراح باجابة طلب السيدات وذلك بوجوب اعطاء الاراميين المبالغ اللازمة لتمكينهم من ايجاد القبول لدى السيدات . وبدون شك فان مثل هذه التفصيلات لم تكن لتخطط لاعتبارات انسانية مجردة بل لكي يضمن استقرار الاقوام التي كان يعاد اسكانهم . ومع هذا فان الاهتمام بمثل هذه التفاصيل لا بد ان خفف كثيرا من الشدائد . وفي رسالة اخرى يسارع احد ، الموظفين ولعله كان حاكم مدينة او مقاطعة كالزوشرقي اشور ، بالدفاع عن نفسه لانه اتهم باسكان فلاحين على اراضي معرضة للفيضان فكتب يقول : « (الحصاد) هو حقا حصاد جيد جدا» ثم يستمر باعطاء التفاصيل لتبرير ادعائه . ومما لا شك منه ان قلق الحكومة المركزية كان بالدرجة الاولى اهتمامها بالخسارة التي قد تصيب الريع ولكن من وجهة نظر الفلاح الاعتيادي فان نتائج اهتمام الحكومة المركزية بهذه التفاصيل هي التشجيع على الادارة الكفوء وعلى خلق ظروف عمل اكثر تسامحا .

وتلقي بعض الرسائل المرسلة من موظف كان مسؤولا عن مدينتي صور وصيدا الضوء على ذلك ايضا حيث يذكر الموظف الذي يدعى قردي ــ اشور لامور في احدى الرسائل الموجهة الى الملك (او هكذا يبدو ان الوثيقة تقول) بانه قد ارسل تعليمات مستعجلة بان يعامل المدن المفتوحة بالترضية وفي رسالة اخرى يزودنا بتوضيح كيف انه نفذ رغبات الملك . ويذكر ان احد الموظفين الاشوريين ويمكن التخمين بانه الحاكم العسكري الذي كان مسؤولا عن العمليات العسكرية عندما فتحت المدن قد سد القتال الذي يجهز صيدا بالمياه ، وقام هو نفسه ، كما يذكر قردي اشور ــ لامور بالغاء امر سلفه واعادة تجهيز المياه للمدينة .

وفي كثير من هذه الرسائل يمكن تحديد الكاتب بانه حاكم مقاطعة وغالبا من ورود اسم الكاتب في حداول اللمو (انظر صفحة ١٠٧) وفي مثل هذه الحالات يمكن احيانا ان نرى ان المشاكل التي كانت تواجه الاداري سواء من وجهة النظر المحلية وكذلك في المضمون التاريخي الاوسع . ويتطبق ذلك

بصورة خاصة على حكام المناطق على الحدود الشمالية من الامبراطورية الذين تعرضوا لتأثير الضغط البربري المباشر من الشمال الذي هدد جميع العالم المتمدن لمدة قرن ونصف بعد عهد تجلاتيليزر الثالث .

وكان الحاكم الاشوري (باللغة الاكدية بيل ــ بيخاتي bel pihati الذي يعني حرفيا « سيد المقاطعة ») الذي يعين لادارة مقاطعة ادارة مباشرة كممثل شخصي عن الملك مسؤولا عن واجبات قد تضم واجبات مدنية ومالية وعسكرية او دينية . وكان مقره الرسمي في عاصمة المقاطعة يعرف « بالقصر » وكان يلحق بالقصر ملاك كبير من الموظفين يضم الكتبة والرسل والمساحين والمحاسبين وقراء الفال والفلكيين وضباط التجنيد ومراقب الارواء اضافة الى المساعدين العسكريين وضباط لامرة القوات المسلحة التي تحت سلطة الحاكم وغيرهم . ولا بد انه كان هناك ايضا مترجمون في حاشية الحاكم وبالتأكيد كان لدى القائد الاشوري في حصار اورشليم (الملوك الثاني : الاصحاح : ١٨ : ٢٦ وما بعد) بين الموظفين سفير يتكلم العبرية الا اذا كان هو نفسه يتكلم العبرية وادلى باعلانه شخصيا .

وكما في ادارة اية مستعمرات ، كانت اهمية المقاطعات المختلفة واقدمية حكامها تختلف كثيرا ، فبعض المقاطعات القديمة كانت في العادة من مسؤولية عدد من كبار موظفي الدولة الخاصيين الذين لا بد ان كانوا يتركون مقاطعاتهم في فترات متكررة لتحكم من قبل نائب اثناء وجودهم في العاصمة للتشاور مع الملك او لقيادة الحملات على حين كانت المقاطعات الاخرى الاكثر حداثة من حيث التشكيل تدار من قبل موظفين اقل مرتبة . ويبدو انه لم يكن هناك ، مع هذا ، تفريق دائمي بين المقاطعات مستند على الاقدمية . ومع ان المصطلحين المتمايزين ناكو nagu (حرفيا الجزيرة) وبينخاتو (اصلا مسؤولية) كانا يستخدمان في حالات مختلفة للدلالة على الاقليم الذي يعهد به الى حاكم ولكن ليس هناك ما يشير الى اختلاف مقابل في مركز الحكام ، بل يبدو ان المصطلح الاول كان يدل على منطقة ذات وحدة جغرافية طبيعية كوادي نهر او مقاطعة محصورة بين سلاسل جبال على حين يمثل الاخير منطقة مقسمة باسلوب اكثر اعتباطا ولاعتبارات سياسية .

وكانت المقاطعة في بلاد اشور تقسم بدورها الى عدد من الوحدات الصغرى تدعى قنو qannu (ولعلها تعني حرفيا « حلقة ») وكان مركز كل واحدة منها احدى المدن الكبيرة في المقاطعة وتكون تحت سلطة موظف

يعرف راب الآن rab alani (رئيس المدينة) الذي كان له ايضا ، كالحاكم في عاصمة المقاطعة ، قوة عسكرية تحت سلطته . وكما سنشاهد فيما بعد ، فقد احتفظت ادارة بلدية المدن الكبيرة في بعض الحالات ولا سيما داخل بلاد اشور الاصلية وكذلك بلاد بابل ببعض اشكال الحكم الذاتي . وفي حالات معينة منحت لذلك او تثبت بميثاق ملكي مقابل التأييد في حالات الازمات الداخلية وبصورة خاصة العصيان او الخلاف على العرش وفي مثل هذه الحالات فان سلطة **الراب الآن** المحلي لا تصل الى المدينة في مركز المقاطعة (**قانو** qannu) . ومع هذا ، فان وجود ممثل عن الحكومة المركزية مدعم بالقوات العسكرية في المنطقة الواقعة حول المدينة كان بدون شك يذكر ادارة المدينة المشاكسة بحكمة الاعتدال في طلباتها من الملك .

ومن مهام **الراب ــ الآن** الرئيسة هي جباية الضرائب التي كانت تدفع عينا وارسالها الى مستودعات الحكومة المركزية وفي حالة حدوث اي نقص في ذلك يوجه الاستفسار الملكي له . ومن الحالات النموذجية فقد ارسل احد المفتشين المدعو اشيبا Ashipa لتدقيق ظروف يكتنفها الشك في بلاد بابل وارسال تقرير حول النقص . ويبدو انه كان مقتنعا بان **الراب ــ الآن** لم يكن ملوما وكتب يخبر الملك موضحا المشكلة . فكتب قائلا بانه لم يكن بالامكان نقل الحبوب المفقودة الى سبار (حيث كانت المخازن الملكية كما يبدو) قبل ان يتم فتح القناة المحلي ويؤكد لسيده الملك بان العمل في القناة مستمر باسرع ما يمكن .

ومن الطبيعي ان **الراب ــ الآن** كان مسؤولا عن حفظ النظام في المنطقة الواقعة تحت سلطته وقد يعتمد امن الامبراطورية احيانا على اتخاذ الاجراءات العسكرية المناسبة في تحركات قوات العدو على الحدود . وهناك اشارات عديدة في السجل الملكي الى هذا النوع من الاجراءات . واحد النماذج يشير الى صدام على الحدود الاورارتية شمال شرقي بلاد اشور حيث كتب الحاكم المحلي .

« ارسلت قواتا مع **الراب ــ الآن** وجعلتهم يتقدمون بخط قتال . وقد جرح ضابط **الراب ــ الآن** مع تسعة رجال بالسهام وقتل اثنين من العدو وجرح ثلاثة » .

وكان وجود نظام مواصلات كفء اساسا للامن ويسر العمل في الامبراطورية وتبين الرسائل المشار اليها سابقا ان الحكام المحليين كانوا على

اتصال دائم بالمراكز الحكومية كما كان موظفوا **الراب ــ الان** كذلك على اتصال مستمر مع حكام مقاطعاتهم ومع الحكومة عند الضرورة . وكانت الاتصالات تتم بواسطة الرسل الممتهنين ، ويبدو انه كان هناك اربعة او خمسة اصناف مختلفة منهم ولو انه لا يعرف تماما الاختلاف بينهم . وكانت الطريقة الاعتيادية للاتصال بالحكومة المركزية (كما كانت في عهود سابقة لذلك) بواسطة موظف يدعى **مار شبري** mar shipri (« ابن الرسالة ») الذي كان يسافر على الطرق الملكية . وكانت هذه الطرق شرايين الامبراطورية الرئيسة . وعلى الرغم من انها كانت طرقا منظفة فقط وليست طرقا معبدة حسب المفهوم الحديث او الروماني ، فقد كانت بالتأكيد محددة الى درجة انها استخدمت لتحديد الحدود من المقاطعات كما كانت معدلة الى درجة تسمح بمرور الجيوش الكبيرة ترافقها العربات بسرعة . وقد كشف عن طرق معبدة بشكل جميل ومعدلة بالحجارة والحصا ايضا غير ان هذه الطرق كانت مقصورة على شوارع العاصمة او الطرق المؤدية لها مباشرة . وعلى طول الطريق عبر الامبراطورية كان هناك محطات بريد تحت حراسة القوات الحكومية الدائمة وعلى مسافة رحلة يوم (أي ٢٠ الى ٣٠ ميل) بين الواحدة والاخرى حيث كان يتم في المحطة تبديل الخيل او البغال لكي تستخدم من قبل الرسل للمحطة الثانية . لذا فقد يسافر **المار شبري** راكبا من محطة الى محطة مع قوات حرس صغيرة وهو يحمل الرقيم الذي يتضمن رسالة حاكمه او جواب ملكه . وكانت محطات بريد الحيوانات مقصورة على طرق معينة . وبدون شك فان ذلك لضمان تواجد الحيوانات في كل جزء فيه وقد ادى ذلك احيانا الى نشوب بعض المنازعات . وهناك اكثر من رسالة واحدة تتضمن شكوى الى الملك ضد موظفي محطات البريد بدعوى ان احد كبار الموظفين قد ادعى حق استخدام الحيوان المتبقي في المحطة برحلة غير رسمية . وقد يؤدي ذلك الى اضطراب نظام المواصلات ، كما شعر بذلك احد الموظفين الحركين عندما قبض عليه في ورطة حيث ارسل للملك موضحا :

(ان الملك سيدي يعرف بانه ليس هناك محطة بريد الى شابيرويشو shabirishu وان (حيوانات المحطات) التي تذهب (هناك) لا تعود) .

لذا يظهر ان النظام الفارسي المشهور لمحطات البريد الذي كان يعمل في ارجاء الامبراطورية الفارسية لم يكن ابتداعا فارسيا بل تطويرا للنظام الذي كان

قد استخدم من قبل الاشوريين قبل ذلك بعدة قرون .

ومع ذلك لم يكن نظام المواصلات الامبراطوري الذي اوجز فيما سبق ليفي بحاجات جميع الظروف . لذا ، فقد يقطع احيانا سقوط الثلوج الكثيرة في المقاطعات البعيدة والجبلية المواصلات الاعتيادية ، غير انه كان لا بد للرسائل ان تصل الى البلاط . ويمكن التعرف على ما كان يحدث في مثل هذه الحالات من رسالة موظف يدعى دور ــ اشور ، وربما كان حاكم مقاطعة تشخان Tushkhan في اعالي الجبال في المنطقة المعروفة حاليا بجنوب شرقي تركيا . ويعلق دور ــ اشور في رسالته الى الملك قائلا : (لعل الملك سيقول : « لماذا لم ترسل ... بعهدة **مار شبري** ؟ » ان الثلج كثير جدا ، لذا ارسلت **ديالو** dayalu « راكض » مع رسالة ، ويمكن الاستنتاج ان (الراكض) كان من متسلقي الجبال الماهرين ويتمكن من ان يجد له طريقا عبر المناطق التي لا يمكن للخيل عبورها . ومن الحالات الاخرى التي لم يكن فيها استخدام **المار شبري** الاعتيادي عمليا هي عندما كان يراد ارسال المعلومات الى الملك او الحاكم شخصيا . وفي مثل هذه الحالات كان يستخدم مبعوث خاص يحمل رسالة تقديم موثقة بختم سيده . وبعد ان يقدم (اوراق) اعتماده ينتقل الى رسالته الشخصية بالسرية اللازمة . وكان للملك عدد من هؤلاء الوكلاء يدعون **قربوتي** qurbuti « المقربين » يسافرون في اشغالهم وعندما كانت هناك شكاية حول تصرفات بعض كبار الموظفين كانت العادة ارسال احدهم للتحقيق وتقديم تقرير الى الملك . وكان الحاكم نفسه ايضا معرضا لان يفتش من قبل وكيل الملك الشخصي حيث ان مثل هذا الموظف لم يكن ليترك مطلق التصرف في حدود منطقته . ولم تكن المبادرة المسموح بها مقيدة فقط طالما كان الحاكم يستلم التعليمات او يسأل عنها من العاصمة ليس حول السياسة العامة فحسب بل عن الامور التي تبدو بانها تفاصيل تافهة . ولكن قد يلحق حاكم في بعض الاوقات بحاكم مقاطعة مجاورة بينما كانت الشكاوي ضد الحكام غالبا تشغل بال وتحقيق الملك . ولكن من كان يجرأ على انتقاد حاكمه ؟ ان ما يبدو ان مثل هذه الشكاوي كانت تأتي اما من موظف آخر كان يشعر بان الحاكم موضوع الشكوى قد تجاوز بعض امتيازاته او من مواطن عادي ، قد يكون غير اشوري ، يشعر بانه قد عومل بالظلم فسيترحم العدالة من الملك . وهكذا لدينا رسالة للمدعو مردوخ ــ شم ــ اوصر الذي يسترحم من الملك ان ينصفه لان مقاطعته الصغيرة التي كان سلف الملك قد منحه اياها كارض مقطعة قد اخذت

من قبل حاكم بار خالزي على الرغم من انه ، كما يدعي مردوخ ــ شم ــ اوصر ، لم يسبق له ان فشل في تأدية خدماته الاقطاعية :

(الى الملك سيدي ، خادمك مردوخ ــ شم ــ اوصر . عسى ان تكون حالة الملك سيدي بخير . ليبارك الاله نابو والاله مردوخ الملك سيدي) .

لقد سلمني والد الملك سيدي حقلا مساحته عشرة هومرات في ارض خلافي . وقد تمتعت باستقلال الحقل لمدة اربع عشرة سنة ولم ينازعني احد عليه . والآن جاء الحاكم ... واساء معاملة الفلاح المستأجر ودمّر بيته واخذ حقله . ان الملك سيدي يعرف انني ملتزم حقل واني احافظ حراسة الملك سيدي ... والآن عسى ان يرى الملك سيدي اني قد حرمت من الارض عسى ان يهتم الملك سيدي بقضيتي كي لا اموت جوعا) .

ولا يعرف هل ان مردوخ ــ شم ــ اوصر قد نجح في قضيته ام لا كما لا تعرف الظروف التي يمكن فيها ان يصل استرحام المواطن الاعتيادي للملك ، ومما لا شك فيه انه كان بامكان الموظفين في حالات كثيرة ان يحولوا دون حصول القضايا على اجراءات ملكية ذات تأثير ، ولكن وجود مثل رسائل الشكاوي هذه في ارشيف الملك يبين ان بعض الرسائل كانت تصل الى هدفها في بعض الحالات على الاقل .

وكانت بعض المدن القديمة لا تزال تتمتع ، في عهد قمة قوة الامبراطورية الاشورية ، ببعض الاستقلال الذاتي الذي كان الملك احيانا مضطرا للاعتراف به على الرغم من محاولاته المستمرة لتقييده . اما الاسلوب الذي نشأت من خلاله هذه الحقوق او اتسعت (وفي هذه الحالات خارج بلاد اشور الاصلية) فمعروف من بعض الرسائل التي كتبت الى تجلاتبليزر الثالث عام ٧٣١ ــ ق . م . حيث وجد الكاتبان ، وهما موظفان في بلاد بابل ، نفسيهما في موقف صعب جدا ، فقد حدث عندهما عصيان وسيطر العصاة على العاصمة بابل . ولم تكن هناك قوات عسكرية اشورية كافية قريبة . وفي احدى الرسائل يكتبان الى الملك عن الخطوات التي اتخذاها حيث يقولان انهما قد تمركزوا خارج بوابة المدينة في محاولة للمفاوضة مع البابليين في الداخل . وقد حاولا بالطبع ان يخلقا شقاقا بين قادة العصيان الكلدانيين والسكان البابليين المحليين . ويذكرنا المنظر جميعه ، سواء بهذا الخصوص او غيره ، بالمفاوضات بين الرابشاقة وسكان اورشليم (سفر الملوك الثاني : الاصحاح : ١٨ : ٢٦ وما بعد) :

« لماذا تتصرفون بعداء ضدنا لحسابهم ؟ » صرح الموظفان الاشوريان ، « من الغريب ان تظهر بابل الميل الى القبليين » ثم يضيفان : « ان امتيازات مدينتكم قد سبق وان ثبتت بميثاق ملكي » . وواضح انهما يشيران الى ان بلاد اشور كانت على استعداد للاعتراف بجميع حقوقهم المحلية التقليدية مقابل تعاونهم . ورسالة اخرى تصف مفاوضات مشابهة في مكان اخر تخص المشكلة نفسها وهنا يعد الكاتب بصورة خاصة مستوطني مدينة قائد العصاة : « سأعفي من اعمال السخرة والضريبة كل الامي ينشق (عن العصاة) » .

وكانت الادارة الحكومية المحلية ضمن المدن القديمة لا تزال غالبا بايدي المسنين ، او قسم منهم ، يترأسهم **الخزانو** hazanu ، وهو موظف (سبق ذكره بخصوص مدينة ترقا في العهد البابلي القديم) يمكن ترجمة لقبه غالبا وللسهولة بمصطلح (المحافظ) Mayor ولو ان مركزه في بلاد اشور على الاقل كان دينيا ودنيويا . وقد يكون **الخزانو** ومجلس المسنين في المدينة كمدينة اشور مثار قلق دائم للملك ، وربما يعود ذلك الى تكرر تغيير العاصمة وقد يعزى ايضا الى وجود موظف اخر الى جانب **الخزانو** على ارتباط وثيق به في بعض المدن الكبيرة الذي كان لقبه يعني « الرجل على المدينة » : ويبدو ان هذه الوظيفة لم تكن بأية حال من الاحوال قديمة كقدم وظيفة **الخزانو** التي ورد ذكرها منذ بداية الالف الثاني قبل الميلاد على الاقل ، كما لم تكن تحتل الاهمية الدينية التي كانت تحتلها غالبا الوظائف القديمة . ومن المحتمل ان الملوك الاشوريين قد اوجدوا وظيفة « الرجل على المدينة » خصيصا بامل ان يقابل المعين فيها **الخزانو** ويكون بمقدوره حماية المصالح الملكية في المدينة . وقد استخدمت طريقة مماثلة لضمان بعض السيطرة الملكية في مؤسسات المعابد القوية في بلاد بابل بعد ذلك بفترة وجيزة . وكما لوحظ من قبل ، فان عددا من الملوك اعطوا المدن التي ساندتهم امتيازات قيمة بخصوص الاعفاء من الضرائب . وكان وجود المواثيق التي تتضمن مثل هذه الاميتازات يحرج الحكام التالين غالبا . وعلى كل

---

(١) ليس غريبا ان تشابها كبيرا وواضحا بين المفردات اللغوية الاكدية وما يراد منها من حيث المعنى او الاشتقاق في اللغة العربية ، فكلتا اللغتين مشتقتين من اصل واحد وكلتاهما تنتميان الى مجموعة لغوية واحدة هي عائلة اللغات العربية القديمة ، (السامية) ومن جملة المفردات الكثيرة المتشابهة بين اللغتين هو مصطلح خزانو الذي يقابله مصطلح خازن في اللغة العربية .

اضافة الى ذلك ، هناك العديد من المفردات اللغوية الاكدية التي ظلت تستخدم في اللغة العربية او احدى لهجاتها بمعاني قد تختلف قليلا عن معانيها الاكدية ، كمصطلح قنو الذي يعني اصلا (الحلقة) الذي ما زال يستخدم في اللغات العربية في شمال العراق .

حال ، فبخلاف ما كانت عليه الحال في بلاد بابل ، حيث كانت اراضي المدينة تمتد الى مسافة ثلاثين او حتى خمسين ميلا عن المدينة نفسها ، فيبدو ان الحدود القانونية لمنطقة حكم المدينة الاشورية كانت مقيدة جدا وان سلطة الخزانو لم تكن تمتد كثيرا خارج اسوار المدينة ، ان تجاوزت الاسوار . لذا كان الحل الاخير في بلاد اشوران ترهب الحكومة المركزية في اي وقت المدينة المشاكسة وذلك بوضع قوات في القنوّ المحيط بها ، وان تتدخل ، ان لزم الامر ، بتجارتها التي كانت تعيش عليها . وهناك امثلة حدث فيها ذلك فعلا . ففي احدى الرسائل يكتب خزانو مدينة اشور الى الملك يشتكي فيها ان اثنين من شيوخ قبيلة اتو Itu قد نصبوا خيمتهم مع رجالهم في القنو الواقع امام بوابة اشور الكبيرة وانهم كانوا يتدخلون في اعمال المدينة الاعتيادية :

« الى الملك سيدنا ، خادمك موتاكل — اشور الكاهن النائب وخادمك عشتار — نائد الخزانو . عسى ان يكون الملك سيدنا بخير . ليبارك الاله اشور ومعبد اشارا سيدنا الملك . ان بيبيٍّ ، شيخ شعب الاتو ونارديتو — اشور شيخ شعب الاتو ، جاثمين في قنو مدينة اشور امام البوابة الكبيرة وانهما يأكلان ويشربان الخمر سوية وانهما يعرقلان الخروج من اشور . وعندما فتحت الموضوع معهما اوقفا موظفّي ووضعوا اليد (عليهم) ... انه لا حول لي عليهم » .

ان اشور ، وهي مستوطنة ذات تاريخ مجيد ، كانت مشهورة بانها من احدى المدن التي تدعي بامتيازات خاصة بينما كانت قوات الاتو ، كما هو معروف عنهم من اشارات كثيرة في رسائل اخرى ، مجندة من القبائل وكانوا يستخدمون من قبل الملك وبشكل خاص في اعمال الشرطة لمعالجة قضايا بعض سكان المدن المثيري للمشاكل . لذا فان الخزانو لم يكن من البساطة ليفترض بان شيوخ الاتو قد نصبوا خيامهم في ذلك المكان غير الملائم من باب الصدفة فحسب .

اما المدن التي ضمت حديثا الى المقاطعات الاشورية عن طريق الفتح ، فلم تكن تثير نفس الصعوبات الادارية الى الحكومة المركزية كما كانت تثيره المدن ذات الاعراف القديمة ، وغالبا ما كان يثبت الحاكم المحلي الاصلي الذي سبق له وتعاون مع بلاد اشور ، او حتى في حالة خضوعه بعد المقاومة المسلحة ، في مركزه القديم كوكيل اشوري ويلقب بلقب (سيد المدينة) ، وكانت واجباته من وجهة نظر اشور تختص بالدرجة الاولى بجمع الضرائب لدفع المبالغ التي كانت مدينته مسؤولة عنها . اضافة الى ذلك فلا بد انه كان مسؤولا عن المحافظة على الامن في منطقته ، ولتحقيق ذلك فقد كانت تحت امرته حامية عسكرية صغيرة ، ولو ان السيطرة على هذه القوة كانت

كما يبدو ، بيد الضباط العسكريين الدائميين عندما كان الجيش الاشوري يقوم بحركاته العسكرية في المنطقة . وبصورة عامة ، اذا انحلَّ هذا الاستقلال الذاتي المقيد نتيجة تمرد المواطنين او عدم الاعتماد على (سيد المدينة) ، فقد تقع المدينة تحت السيطرة المباشرة لحاكم المقاطعة التي تقع فيها . وفي حالات قليلة يبدو ان المدن التي كان لها مثل هذه السوابق كانت توضع تحت حكم (الرجل على المدينة) (وهو موظف اشوري يختلف تماما عن سيد المدينة) الذي كان حينئذ مسؤولا امام الملك مباشرة دون الرجوع الى الحاكم المحلي .

وكانت هناك ثلاث واجبات رئيسة مفروضة على موظفي الادارة الاشورية هي : حماية المواصلات وجمع الضرائب المستحقة والمحافظة على النظام . وقد سبق ايجاز بعض المعلومات عن نظام المواصلات ، ولو ان هناك الكثير من التفاصيل التي ما تزال تحتاج الى الاستنتاج من الوثائق الاشورية . اما بالنسبة للضرائب ، فقد كان الاهتمام بها كبيرا في كل من العهد القديم عند الاشارة الى السيادة الاشورية وكذلك في الحوليات الملكية الاشورية ، ولو انه يجب بيان ان قوائم الضرائب التي يذكرها الملوك الاشوريون في نصوصهم تعطي في كثير من الحالات صورة مشوهة عن مقدار الضرائب الحقيقية التي كانت مفروضة على المواطن الاعتيادي في الامبراطورية الاشورية . وهناك عدة اسباب لذلك الاول ، انه قد يبالغ بالارقام في بعض الحالات من اجل زيادة هيبة الملك والثاني انه ليس هناك غالبا اشارة عن حجم وثراء السكان الذين كانت تجبى منهم الضرائب والثالث ان المواد المذكورة هي في كثير من الحالات ليست جزية بالمعنى الدقيق بل انها غنائم حرب ، وهي وان كانت عبأ ثقيلا غير مرغوب فيه في حينه غير ان اخذها من الرعايا لم يكن يتكرر . ويمكن تقدير المقادير الحقيقية للضرائب بشكل اوضح بمقارنة الطلبات الاشورية من رعاياهم مع طلبات مماثلة من حكام اخرين في العالم القديم . ولغرض عقد مثل هذه المقارنة فان ارقام العهد القديم هي الوحيدة في متناول الباحث .

فهناك اشارة الى عدة دفعات من الجزية او الضرائب في نصوص العهد القديم ومعظمها يتعلق بحكم سليمان وعهده اقدم من الفترة التي نحن بصددها وقد تكون ارقام مبالغ فيها . فمن المؤكد ان الرقم ستمائة وست وستون طالن من الذهب (سفر الملوك الاول ، الاصحاح : ١٠ : ١٤) الذي ذكر على انه مجموع المدخولات السنوية لحكم سليمان يشك انه يمثل الرقم المثالي وليس واضحا فيما اذا كان هذا الرقم في الحقيقة موثوق به وبالطريقة التي احتسبت فيها ، رغم ان الهدف من اعطاء الرقم كان لتمجيد سليمان وانه اذا كانت هناك

اية علاقة في الواقع فلا بد وان الرقم هو الرقم الافضل . وقد يقال ان هذا الرقم قد يضم ، اذا تم احتسابه من سجلات سنة واحدة معينة ، جميع ارباح بعثة بحرية الى اوفير ، اربعمائة وعشرون طالن ، التي لا بد ان توزع على ثلاث سنوات (سفر الملوك الاول ، الاصحاح : ٩ : ٢٦ ــ ٢٨ والاصحاح : ١٠ :٢٢) وربما احدى المدفوعات غير المتكررة البالغة ١٢٠ طالن اما من حيرام ملك صور (سفر الملوك الاول ، الاصحاح : ١١ : ١٤) او من مملكة سبأ (سفر الملوك الاول ، الاصحاح : ١٠ : ١٠) . وضد هذا الافتراض هو حقيقة ان ما جاء في العهد القديم ينص صراحة ان الستمائة وست وستون طالن التي تمثل المدخولات السنوية للملك سليمان الى جانب ما جاءه من التجار ومن مرور تجار التوابل ومن جميع ملوك بلاد العرب ومن حكام البلاد (سفر الملوك الاول ، الاصحاح : ١٠ : ١٥) ان الاصل العبري لهذا الشطر يتضمن عدة كلمات يظهر انها كانت مصطلحات تجارية وفنية او ادارية . وبسبب اننا لم نتمكن من فهم ذلك بصورة كاملة ، فان المعنى ليس واضحا تماما . وان ترجمة النسخة المنقحة ليست بالضرورة ادق من ترجمة نسخة عام ١٦١١ ولذلك فان المؤلف يرى ان رقم العهد القديم صحيح حتى وان كان يمثل الحد الاقصى للرقم المثالي الذي كان من الندرة ان يحصل عليه . ومن المفيد تقدير ماذا كان يمثل بالنسبة للعبء الذي كان على الاسرائيلي الاعتيادي . فعلى الرغم من سفر الملوك الاول ، الاصحاح التاسع : ٢٢ ، فان جزءا من المدخولات كانت تأتي بدون شك من تجارة الرقيق ، طالما ان المعروف منذ مدة من ادلة العهد القديم ان الملك سليمان حصل على عربات وخيول من مصر مقابل رقيق اسرائيلي ، بينما لم تنتج فلسطين القديمة الا القليل من البضائع الاخرى ، باستثناء النحاس من المنطقة الاسرائيلية في سيناء الذي كان صالحا للتصدير ، ولا بد وان بقية المدخولات الملكية كانت تأتي من نتاج اعمال السخرة ومن الضرائب المباشرة حيث ذكرت تفاصيل كلاهما في اسفار الملوك . وانه لمن الامور المحفوفة بالخطر ان يحاول المرء اعطاء تقدير دقيق لحجم السكان الذي كان يوزع عليهم هذا العبء ، ولكن هناك بعض الاشارات التي ذكرت في سفر الملوك الاول ، الاصحاح الثامن : ٦٣ ــ ٦٥ عن كميات الطعام التي استخدمت في وليمة تدشين وهناك وليمة تدشين مشابهة تماما استمرت ، كما في حالة الملك سليمان (والتي يبدو انها كانت على مرحلتين) لمدة اسبوع اقيمت عند قيام اشورناصربال الثاني باعادة

تأسيس العاصمة الاشورية كالح . وفي النص المكتشف حديثا عن الوليمة الأخيرة كانت كمية الاغنام والماشية تقرب من عشر الكمية التي استهلكت في وليمة تدشين معبد سليمان . ويذكر النص الاشوري ان عدد الحاضرين في وليمة اشورناصربال كان حوالي ٧٠ الف شخص ويمكن استنادا الى ذلك ان نتوقع ان عدد الاشخاص الذين شاركوا في وليمة افتتاح معبد سليمان كان يقرب من ٧٠٠,٠٠٠ شخص ، ويتفق هذا التقدير تماما مع اخبار العهد القديم (سفر الملوك الاول ، الاصحاح الخامس : ١٣ ــ ١٥) من ان مجندي عمل سليمان بلغوا ما يقرب من ١٨٠ الف رجل ويمكن احتساب الرقم الاخير اذا افترضنا ان كل شخصين بالغين قادرين من الذكور من مجموع معدل عدد افراد عائلة مكونة من ثمانية اشخاص في مجتمع مجموع سكانه ٧٢٠,٠٠٠ نسمة . ولذا فاستنادا الى ان ارقام العهد القديم واذا اعتبرنا الافتراض المحتسب اعلاه بانه غير بعيد عن الصحة كثيرا ، فان الحد الاقصى للمدخولات السنوية الملكية في اسرائيل كان ٦٦٦ طالن من الذهب من مجموع سكان يقدرون حوالي ٧٠٠٠٠٠ نسمة او طالن واحد من الذهب تقريبا من كل الف شخص من السكان او اربعة امنان (حوالي اربع لبرات) من الفضة من كل عائلة ، اذا اعتبرنا قيمة الذهب بالنسبة للفضة التي كانت تختلف دائما وتتراوح بين ٨ الى ١٢ امثال ، على اساس انها كانت واحد الى عشرة في ذلك الوقت ولا بد ان جميعها كانت تأتي بصورة مباشرة او غير مباشرة من اعمال السخرة . واذا افترضنا ان الارقام الخاصة بمدخولات سليمان موثوق بها الى درجة ما وان عدد سكان فلسطين لم ينقص كثيرا من القرنين التاليين فان ذلك يمثل عبأً سنويا على البلاد اثقل بكثير من مجموع مدفوعات مناحيم في المملكة الشمالية الى تجلاتبليزر الثالث (الف طالن من الفضة) وحزقيا في المملكة الجنوبية (ثلاثمائة طالن من الفضة وثلاثين طالن من الذهب) التي تبلغ ، استنادا الى الارقام المفترضة ، منا وربع منا من الفضة لكل عائلة . وحتى اذا كانت الارقام الخاصة بمدخولات سليمان مبالغ فيها او اذا كانت قيمة الذهب في عهد سليمان ارخص بالنسبة للفضة مما كانت عليه بعدئذ ، فانه لا بد من قسمة قيمة تلك المدخولات بالفضة على ثلاثة قبل ان يظهر فرض سليمان للضريبة على سكان فلسطين معتدلا كاعتدال ضرائب الملوك الاشوريين وصحيح ان الارقام ليست متكافئة تماما حيث ان مدخولات سليمان كانت تصرف الى درجة كبيرة على التعمير في فلسطين التي كان يمكن الحصول منها على بعض التعويض

الملموس من قبل منتجي الثروة الاصليين ، بينما كانت المدفوعات الأخيرة تذهب الى بلاد اشور نهائيا . غير انه يمكن مقارنة الرقمين بالنسبة للعبء الموجود على المواطن الاعتيادي . وهناك حقائق اخرى تشير الى الاستنتاج العام بان الضرائب الاشورية كانت اقل عبئا على السكان الفلسطينيين من طلبات الملك سليمان . وكان عبء الضرائب في عهد سليمان ثقيلا الى درجة ان القبائل الشمالية تقدمت بطلب خاص بعد وفاته الى خليفته في محاولة منها لضمان تقليص الطلبات الملكية (سفر الملوك الاول ، الاصحاح ، ١٢ ، ٤) وقد ادى رفضه الى العصيان على حال كانت الشروط التي عرضها القائد الاشوري الذي كان يحاصر مدينة اورشليم في عهد حزقيا تبدو مغرية الى درجة انه كان لا بد من اجراء محاولة من قبل سلطات المدينة لضمان عدم سماع العرض الاشوري من قبل عامة الناس (سفر الملوك الثاني ، الاصحاح : ١٨ ، ٢٦ ـــ ٣٠) .

وقد تضم الجزية الحقيقية التي كانت تجبى من المناطق التابعة مدفوعات مختلفة الانواع . فقد كانت الدولة المفتوحة تدفع بصورة عامة بعد خضوعها اثر عمليات عسكرية ما يسمى تامارتو Tamartu التي لا بد ان كانت نوعا من تعويضات الحرب . وهناك مصطلح اخر لعله استخدم لوصف الهدية التي كان يقدمها الحاكم التابع للملك الاشوري بعد استلامه مساعدة اشورية فعّالة عند حدوث عصيان او هجومَ خارجي وكان هذان النوعان من المدفوعات يدفعان مرة واحدة في مناسبات معينة . اضافة الى ذلك ، كانت هناك الجزية الحقيقية (بالاشورية مندانوّ mandattu) التي كانت عبارة عن مبلغ محدد يرسل سنويا بانتظام من قبل الدولة التابعة او المحمية الى العاصمة الاشوية (انظر لوحة ٣٦) .

اضافة الى الجزية المفروضة على الدول المفتوحة او التابعة هناك ضرائب مفروضة على الافراد وعلى مواطني بلاد اشور الاصلية بالدرجة الاولى ، ولو انها شملت في بعض الحالات مواطني الدول التابعة . وكانت هذه الضرائب المفروضة على الافراد ، كما هي الحال في جميع المجتمعات باستثناء الحديثة جدا ، من اولئك المرتبطين بنظام الاراضي بالدرجة الاولى . فجميع اراضي البلاد كانت نظريا ، والى درجة ما عمليا ، من ممتلكات الملك . وكان جزءا كبيرا منها يقطع الى المحاربين القدماء في الجيش والى بعض اعضاء الخدمة المدنية اما مكافأة لخدماتهم المخلصة او مقابل قيامهم بتقديم خدمات ذات مواصفات معينة. وفي حالة بعض المفضلين من الأفراد، فقد كانوا يعفون من دفع

الضرائب الاعتيادية وكانت مثل هذه الاعفاءات تثبت بميثاق خاص وفيما ياتي مقتبس من مثل هذه المواثيق :

«انا ، اشور بانيبال الملك العظيم ، الملك القوى ، ملك العالم المتمدن ، ملك بلاد اشور ، ملك الجهات الاربعة ، الراعي المخلص ، فاعل الخير ، ملك العدالة ، محب الحق ، الذي يجعل شعبه مرفها ، الذي يجازي بالفضل الموظفين الذين يقفون امامه ويحسنون خدمته باحترامهم وتنفيذهم اوامره الملكية .

اما بالنسبة لبولتا Bulta رئيس موظفي اشور بانيبال ، ملك بلاد اشور ، الرجل الجيد وذو الطباع الجيدة .. ذو القلب السليم تجاه سيده ، الذي وقف امامي باخلاص ، الذي تجوّل ، الذي حافظ على حرس قصري بامانة ..

حسب تفكيري الخاص ومشورتي الخاصة ، اعتبرت ... واعلنت اعفاء الحقول والبساتين (و) الناس الذين حصل عليهم تحت حمايتي ... وقد كتبت وضمنت (هذا الميثاق) بختمي الملكي وسلمته الى بلتا Bulta رئيس الموظفين وسوف لن يجبى من تلك الحقول والبساتين حبوبا ولايجبي تبنا ولايطالب بزيادة ماشيتها او اغنامها ولن تكون (الاراضي وملاكها) مسؤولة عن التجنيد وسخرة العبيد او خدمة الميليشيا وهم معفون من ضريبة الميناء والمعبر...»

ومن امثال هذا الميثاق يمكننا ان نكون صور كاملة تقريبا عن المدفوعات التي كان ملتزم الارض مسؤولا عنها . فقد شملت ٢٥٪ ضريبة على الحبوب و ١٠٪ ضريبة على التبن وضريبة (لاتعرف نسبتها) على القطعان وكذلك خدمة الميليشيا او دفع بدل عن ذلك وكذلك خدمة مماثلة او بدل نقدى للمعبد المحلي ، كما كان ملتزم الارض مسؤولا عن دفع الرسوم على منتوجاته عند نقلها بواسطة الماء .

اما الواجب الرئيس الثالث للموظفين الاشوريين ، وهو حفظ الامن الداخلي ، فانه موضوع لايعرف عنه الا القليل وربما لقلة ما يمكن ان يعرف عنه . ويبدو من غير الضروري الاشارة الى غياب قوة الشرطة بالمعنى الاوربي الحديث على الرغم من انه كان هناك بالتأكيد في مدن بلاد بابل ، وربما في بلاد اشور ، حراسة كانت تولف مانعا للجرائم والاخلال بالامن الداخلي . اما الاضطرابات الاكثر شدة فكانت تعالج بوساطة مجموعة خاصة من قوات الجيش . وكان معظم الجيش الاشوري (وليس جميعه) منظم ،كجميع الجيوش حتى العهد الاغريقي ، وفق اسس قبلية . وكانت احدى القبائل وهي قبيلة اتو

Itu تجلب غالبا الى المدينة لتقضي على اعمال الشغب الشديدة . وقد اشير الى حالة استخدام هذه القوات كاجراءات احتياطية بالنسبة لمدينة اشور (انظر صفحة ٢٨٦) . بيما هناك رسالة رسمية اخرى (اشير اليها على الصفحة ١٤٠) تذكر حالة كان لابد من استخدام هذه القوات في صيدا حيث اثار المواطنون (الذين كانوا يؤمنون بسياسة الاجراءات المباشرة) شغبا حول ضرائب الخشب الذي اعتادوا قطعه في لبنان وفي خضم حماسهم قتلوا جابي الضريبة .

ولعل من المناسب هنا ان نذكر شيئا عن تنظيم الجيش الاشوري ، فحيث ان النظرية التي كانت سائدة بان البلاد وسكانها كانوا من ممتلكات اله القبيلة الذي كان يعمل من خلال ممثله الملك ، فقد كان من الممكن ان يدعى للحرب كل رجل قادر على حمل السلاح اذا ما اعلن الاله القومي الحرب عند تثبيت الاقدار في احتفالات راس السنة الجديدة . وفي الواقع كان بامكان الكثير من المثرين ان يحصلو على الاعفاء من حمل السلاح . واضافة الى الميليشيا القومية كان هناك جيش صغير على اهبة الاستعداد يتالف من القوات المختارة في الوسط وحولها قوات الصاعقة والحرس الملكي وابناء الذوات الذين كان لهم امتياز الركض الى جانب عربة الملك . ولم يكن واجب تجهيز رجال الاحتياط مقصورا على بلاد اشور الاصلية فقط بل امتد الى المقاطعات ولابد ان مثل هذه القوات كانت تجند لاسباب واضحة استنادا الى القومية . اما الجيش الاشوري الوطني ، من جهة اخرى ، فقد كان ينظم باسلوب اكثر تخصصا في وحدات للعربات والمشاة (انظر لوحة ٤٧) ورماة السهام (انظر لوحة ٤٥) وقوات العاصفة والمهندسين وكذلك ما يقابل اليوم قوات الخدمات . غير ان حجم هذه الوحدات وكذلك حجم الجيش الكلي غير معروف ، وان التقديرات الحديثة للجيش الاشوري في المعركة تتراوح بين مائة الف الى مائتي الف جندي غير ان من الممكن الوصول الى تقدير ادق لو كانت جميع قوائم الاحصاء الموجودة في مناطق العالم المختلفة متيسرة للدراسة . وتضم هذه القوائم جداول باسماء الاشخاص في مختلف الاماكن من الذين كانوا مسؤولين عن الخدمة العسكرية وفي كثير من الاحيان فان قلة الرغبة الحقيقية بمجرد قوائم اسماء قد تسبب في تاخير نشر هذه النصوص الى وقت غير محدود .

وقد يقود القوات الاشورية في المعركة اي حاكم طالما ان جميع الحكام كانوا كما يبدو ، حكاما عسكريين . ومع هذا ، ففي العمليات الكبرى كان الجيش غالبا تحت قيادة الملك نفسه او احد كبار موظفي الدولة ، اما الرابشاقة

Rab-Shakeh (انظر سفر الملوك الثاني ، اصحاح : ١٨ :١٧ الخ) او **التارتان** Tartan (الذي ذكر في سفر اشعيا الاصحاح : ٢٠ :١) وكان من كبار الضباط الذين ياتون بعد القائد الاعلى هو **الراب ـــ موكي** Rab-mugi ، وهو لقب لعله انتقل الى الادارة العسكرية البابلية وقد يقابله لقب راب ـــ ماك Rab-mag المذكور في سفرارميا ، الاصحاح : ٣٩ : ٣و١٣ . وكان اسم احدى الوحدات العسكرية الرئيسة كصرد Kirsu وكانت مثل هذه الوحدة تحت قيادة قائد الكصره (بالاكدية راب كصر rab-Kisri) وياتي بعد **الراب ـــ كصر** امراء ثانويون يعرفون باسم امراء الخمسين و«امر العشرة» وتعرف القاب الضباط العسكرية الاخرى اضافة الى ماذكر يمثل بعضها رتب التدرج العسكري وربما يعني البعض الاخر وظائف مخصصة .

العهد البابلي الحديث :

لم يكن انهيار الاشوريين الذين حدث في الفترة ٦٢٥ ـــ ٦١٢ ق .م يتضمن انهيارا عاما في الحكومة في كافة ارجاء الامبراطورية ، ولو كانت الحال كذلك لكان من غير الممكن للدولة التي اعقبتها ، وهي الدولة البابلية ، ان تعيد تنظيم المنطقة بسرعة بحيث اصبحت الامبراطورية الحديثة في الواقع وبعد ثلاثين سنة من حكم نبوخذ نصر اقوى ظاهريا من قبل . ومع ذلك ، فان التغييرات الادارية كانت ملاز مة لسقوط اشور . فان انهيار الحكومة المركزية قد اعطى حرية اكثر لحكام الاقاليم ، وفي الواقع فان احد هؤلاء الحكام ، وهو نبوبلاسر في جنوب بلاد بابل ، تمكن اخر الامر من الاستيلاء على زمام الحكم . لذا فاننا نجد في عهد الامبراطورية البابلية الحديثة ان سلطة الملك المركزية كانت اقل بكثير وان تاريخ بلاد بابل الداخلي خلال القرن الذي اعقب ذلك كان في بعض اوجهة صراعا للاستحواذ على السلطة بين السلالة الحاكمة ومؤسسات المعبد انتهى اخيرا بانتصار مؤسسات المعبد .

ان لامركزية السلطة معروفة بشكل واضح في حالة مدينة اوروك (الوركاء) الواقعة حوالي مائة ميل جنوبي شرقي بابل . ففي عهد الامبراطورية الاشورية ، يبدو ان هذه المدينة كانت تحت سيطرة ملكية قوية على الرغم من وجود المؤسسات القديمة فكانت جميع القرارات الخاصة بالقنوات وتجهيز الحبوب والخضروات المتخذة ضد القبائل الكلدانية المثيرة للمشاكل التي كانت تتجاوز على الاراضي التابعة لاوروك ، كانت تاتي من العاصمة الاشورية . وعلى العكس من ذلك ، فان الوثائق المتوفرة لدينا من العهد البابلي الحديث تبرهن

على ان سلطات المعبد كانت تتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال الذاتي والتي حاول الملوك البابليون ان يعيدوها دون نجاح كبير . وفي بلاد اشور كانت جميع الاراضي نظريا ، والى درجة كبيرة عمليا ايضا ، جزءا من الممتلكات الملكية وكانت تقطع كاقطاعيات لمستاجرى الملك . وكان لهذا التفكير اثره في بعض اجزاء الامبراطورية التي كانت تسودها اصلا نظريات مختلفة . وفي عهد حمورابي عندما توحدت بلاد بابل واعيد تنظيمها اداريا تحت حكم سلالة قائمة قوية ساد وضع مشابه تقريبا لفترة قصيرة في بلاد بابل . وعلى كل حال فقد كانت معظم الاراضي بصورة عامة ، وفي معظم الفترات وعلى مسافة اميال كثيرة من المدينة البابلية ، تعود عمليا الى المعابد ، حيث ان النظرية التي اشير اليها صراحة في بعض الحالات ان الاراضي كانت ملكا للاله المحلي حتى منذ قبل ان تنشأ المدينة وان هذا الاختلاف يرتبط باختلاف الفكرة البابلية عن الفكرة الاشورية بشان مركز الملك التي ذكرناها في مكان آخر . وكما اشير سابقا (انظر صفحة ١٠٠ ومابعدها) كان الملك الاشوري يتوج كهنوتيا في بداية حكمه مرة واحدة والى النهاية (او لعله اصلا لفترة ثلاثين سنة قابلة للتجديد) لذا كان يعتبر ممثلا للالهة دون تحديد ، كان على الملك في بلاد بابل وحتى النهاية ان يضع شارات الملك بخضوع تام امام الاله سنويا وان يخضع لاهانة شخصية على ايدي الكاهن الاعلى ويعلن عن حسن نواياه وحينئذ فقط يستعيد سلطاته الملكية . لذا فقد ظل الملك في بلاد بابل الى النهاية مستاجرا خاضعا لرغبة الاله ولذلك لم يكن بمقدوره ان يستحوذ على اراضي المعبد ويجعلها املاكا ملكية دائمة . ولهذا السبب نجد ان رؤساء مؤسسات المعابد في اوروك قاموا بخطوات ووجهوا نشاطات كانت تعتبر في بلاد اشور ، وحتى في بلاد بابل تحت حكم حمورابي او تحت حكم حاكم اشوري ، من امتيازات الملك .

وكان معبد اي انّا Eanna الكبير في الوركاء الذي يبدو انه كان يملك معظم اراضي بلاد بابل من مدينة اور في الجنوب الى مشارف مدينة بابل في الشمال ، في بداية عهد الامبراطورية الحديثة يسيطر عليه ثلاثة اداريين يسمون شتامّو Shatammu (وهو لقب لعله يعني (حارس المنطقة) وقيبو Qipu (الناظر) والكاتب ومن المحتمل ان القيبو كان مرشحا ملكيا ولكن من الواضح من تناقص اهميته في وثائق هذه الفترة انه كان قد ابعد عن اية مساهمة حقيقية في السيطرة على شؤون المعبد ، لذا كان الملك بحاجة الى اتخاذ

الاجراءات لتقوية تاثير ممثله المتضائل في ادارة المعبد . وكان للملك امتيازات معينة ذات علاقة بالمعبد كحصة من بعض المدخولات . وقد عين نبونائيد في سنته الثالثة ٥٥٣ ق . م . موظفين ملكيين (سيد التعيين الملكي والموظف الملكي على خزانة الملك) بحجة حماية هذه المصالح وفي الواقع لموازنة قوة الشتامّو . ومن المعروف حقا ان نبونائيد عين تابعه الخاص شتامّو في مدينة بابل ، وهو امر لم يكن مرغوب فيه وقد ساعد على سقوطه فيما بعد كما يفهم من النص الفارسي عن نبونائيد الذي يروي احداث عهده من وجهة نظر منافسيه :

زيريا ، الشتامّو ، انحنى امامه ،
ريموت ، الزازكو ، انحنى امامه ،
ثبتوا تعليمات الملك ، وجعلوا حكمة الملك قائمة ،
... اقسموا .
نحن نعرف ما يقوله الملك فقط .

وليس من الموكد هل ساد وضع مشابه مدينة اوروك ام لا (فقد كان هناك اربعة موظفين متتابعين ، شغلوا وظيفة شتامّو معبد اي انا خلال حكم نبونائيد، ولكن يظهر انه اعتبر ادارة المعبد في السنة الاولى من حكمه بانها موثوقة بحيث عهد اليها ادارة مقاطعة ملكية واسعة في لارسا : ومع ذلك فقد يكون ذلك صفقة تجارية بحتة طالما ضمن عقد الايجار دخلا سنويا كبيرا واكيدا للملك .

ان ذكر جميع النشاطات المتنوعة التي كان الشتامّو ورفقاؤه مسؤولين عنها ، ولاسيما السيد الملكي للتعينات ، سيؤدي الى سرد قائمة مسهبة . ولكن يمكن ان نوجز ذلك بالقول بان واجباتهم شملت تاجير اراضي مقاطعات المعبد الواسعة وتحديد الحقوق والواجبات ذات العلاقة بالقنوات والاشراف العام على تخمين وجمع ونقل واستخدام وتوزيع نتاج الاراضي والقنوات وحفظ السجلات والحسابات الكثيرة المتعلقة بذلك .

وكانت البضائع التي تنتج على مقاطعات المعبد تجلب اولا الى المستودعات في الوركاء مهما كانت وجهتها النهائية . وكانت شبكة القنوات قد جعلت من النقل امرا سهلا لاي صنف من اصناف البضائع : وهناك رسالة تعطي تعليمات لارسال شحنه من الاغنام حيث يامر الكاتب ، ولعله شتامّو معبد اي انا :

اذا كانت الارض ملائمة دعهم ياتون على الاقدام والا دعهم ياتون بالسفينة .

وربما كانت السفن المستخدمة لذلك من ممتلكات المعبد في معظم

الحالات ، ولو انها كانت تستاجر بالتأكيد احيانا من اصحاب السفن . وبينما كان من الممكن ان يعهد بالسفن الى اي من موظفي المعبد الاقدمين ، فيبدو انه اذا ما اقتربت من الوركاء اصبحت جميع السفن التي كانت وجهتها النهائية للمعبد تحت سلطة **الشتامو** . وقد جاء ذكر هنا وهناك لسادة المواني على طول القنوات وربما كانوا ملكيين لديهم القوة لايقاف السفن العابرة واخذ الرسوم منها ، غير انه كان للسفن العاملة للمعبد كما يبدو امتيازا خاصا وكان بامكان **الشتامو** تزويد السفينة باشارة تدعي **خوتارو** hutaru ، التي لا تعرف طبيعتها بالضبط ، تحصل السفينة بموجبها عبورا حرا دون رسم مثل هذه المراكب كما تبين الرسالة التالية :

رسالة ادنّا وشمش ـــ اريبا الى **الشتامو** سيدنا . اننا نصلي يوميا الى بعل ونابو وسيدة اوروك وننا من اجل حياة ونفس وسعادة وطول ايام سيدنا . لقد جلبنا ٢٠٠ كور من التمر من القنال (المسمى) قطع نادن ـــ ابلي ، وقد اوقفنا من قبل سيد الميناء في بيت ـــ كسر لتأتي رسالة خطية من سيدي الى نونا Nuna سيد الميناء ليسمح لنا بعبور الميناء ... انه (يتحقق) علينا كل يوم نصف شاقل من الفضة اجرة السفينة وشاقل من الفضة اجرة الرجال المؤجرين . ليعرف سيدنا اننا حجزنا في الميناء منذ العشرين عن ان ياتي مع رسالة سيدى **ختارو** ولتبقى على السفينة .

وكان اي ـانّا معبد الوركاء الكبير ، كالاديرة بعد ذلك بفترة طويلة ، اكثر من كونه مركزا دينيا فقد كان مركزا تجاريا نشطا وكان جزءا كبيرا من البضائع التي تجمع هناك تذهب بالنتيجة ثانية الى اجزاء اخرى من بلاد بابل وحتى الى الخارج . وهناك بعض الرسائل تتوفر فيها عدد من الاشارات الى التجارة حيث كانت تستبدل منتوجات مقاطعات المعبد وبصورة رئيسة الزراعية ببضائع كالفخار والشب والسمسم والمعادن والخشب والقماش . وكانت الوركاء تنتج ايضا النبيذ للعاصمة طالما تذكر احدى الرسائل شكاية ساخطة من بعض السلطات في بابل بان النبيذ قد ارسل اليهم في سفينة تحمل القير ايضا .

ومن الطريف ان نجد انه حيثما كان **الشتامو** والسيد الملكي للتعينات اللذان كانا يهتمان بصورة اساسية بنفس النوع من الامور ، فقد كان الاول يعمل من مركز المعبد على حين كان الثاني يعمل الى درجة كبيرة من المدن والمستوطنات على مقاطعات المعبد خارج الوركاء ، وهذا لا يخالف فكرتنا عن الموظف الملكي للتعينات بانه اشبه بالمفتش الذي كان يراقب مصالح

الملك ، وان غيابه عن الوركاء لم يكن يضر بمصالح الملك داخل المعبد نفسه ، طالما كانت محافظته من قبل الموظف الملكي على خزانة الملك ، الذي يبدو انه كان كما يستدل من لقبه الكامل ، مقيما دائميا هناك . وقد كشف عن مراسلات كثيرة بين **الشتامو** والموظف الملكي سيد التعينات تشير الى ان هذين الموظفين قد عملا بصورة عامة سوية مع اختلافات بسيطة ولو ان احدهما كان يعلق على عمل الاخر .

وكان موظفوا المعبد المذكورين اعلاه ، وبصورة خاصة **الشتامو** والموظف الملكي سيد التعينات ، مسؤولين كذلك عن سيطرة وتنظيم الالاف العديدة من الناس في مقاطعات المعبد ممن كان مركزهم يتراوح من موظفي المعبد الاقدمين بحقوقهم المكتسبة القديمة مثل مار ــ باني mar-bani (وهم من اعضاء الأسر النبيلة او النبلاء المفروضة عليهم واجبات معينة) ، وحتى ادنى اصناف العبيد . وبين هولاء كان هناك الرجال الاحرار الذين كانوا يؤجرون انفسهم عمالا مقابل اجرة يومية . كما كان هناك طبقة كبيرة جدا من خدم المعبد الذين يعرفون **شيركي** Shirke (مفردها **شيركو** Shirku) ، ويعني المصطلح الاخير (الموهوب) وكان **الشيركي** من كلا الجنسين من الناس الذين وهبوا للالهة وكانوا لذلك عبيدها . وكان هذا المركز وراثيا . وكان **الشركي** في الوركاء يميزون بوجود وشم على شكل نجمة ، وهو شعار الالهة المحلية عشتار ، على الرسغ وقد ذكرت علامة النجمة هذه كدليل قاطع في وثائق المحاكم التي تتعلق بمركز الأشخاص المختلفين . ولذا فهناك قضية مسجلة جلب فيها شخص يدعى شمش ــ شم ــ ادن امام المحكمة وادعى بانه **شيركو** على اساس انه ابن سيليم ــ عشتار ابنة خار شينانا ، وهي **شيركو** تابعة لسيدة الوركاء (عشتار) ، وجاء الدليل الحاسم من الامرأة التي ساعدت في ولادة جدة الرجل المعني حيث اقسمت هذه المرأة المسنة :

«بالتأكيد انا رأيت النجمة وعلامة الوشم على ظهر يد خارشينانا امة عمي نادن ــ اخو ، جدة شمش شِم اِدن الذي وهب عمي نادن ــ اخو قبل ان تلد ليكون **شيركو** الى سيدة الوركاء»

وكان من الممكن ان يكون مركز **الشيركو** مختلفا كثيرا عن مركز الرقيق الاعتيادي ، وكان بعض هولاء الناس يحتلون مراكز ذات مسؤولية عالية . ولم تكن خدماتهم مقصورة على تنفيذ نوع معين من الواجبات ونجدهم في المراسلات بين موظفي المعابد انهم كانوا يعملون في حرف مهنية وتجارية

مختلفة داخل الوركاء وعلى مقاطعات المعبد . ولابد انهم كانوا تحت سلطة الموظف الملكي سيد التعينات المباشرة الذي كان ، كما سبق ان ذكرنا ، على علاقة شخصية اوثق بمقاطعات المعبد من **الشتامو** وربما حصل الملك على حقوق على هولاء **الشيركو** من خلال هذا الموظف بالدرجة الاولى .

ومن المؤكد ان في عهد كورش (٥٣٩ ــ ٥٢٩ ق . م) ، ولو ان السيطرة اليومية ظلت بيد موظفي المعبد ، لم تكن السلطة النهائية **للشركي** بيد **الشتامو** او مساعديه في ادارة المعبد بل بيد الحكومة المركزية .

ومن الواضح من الوثائق التي وصلتنا ان الملك في العهد البابلي الحديث كان ياخذ حصة من واردات المعبد ، وفي الواقع ، كما سبق ان اشير الى ذلك ، فان موظفين خاصين قد عينوا في المعابد لهذا الغرض . ومن المستحيل حاليا معرفة النسبة التي كانت تذهب الى الملك من واردات المعبد بصورة دقيقة حيث كان هناك آنئذ انواع عديدة من الاعشار والضرائب والرسوم التي كانت المعابد ، سواء في حالة الاستلام او الدفع ، ذات علاقة بها بطريق او اخر . ولم تكن حصة الملك في كل منها متساوية وكان من بين الواردات التي كانت تذهب بالتأكيد الى المعابد بالدرجة الاولى هي الاعشار على نتاج التمور وصيد السمك والاجرة (المدفوعة عينا) على الاراضي الزراعية ورسوم الماشية والقرابين التقليدية (ولو انها لم تكن اختيارية) التي يقدمها الفلاحون في مواسم اعياد معينة وبعض المدخولات الاخرى التي لا تعرف طبيعتها بصورة واضحة . وكانت هناك رسوم الموت التي كانت تجبى من المواطنين الاغنياء وقد كانت كرسوم بعض القنوات تذهب جميعها الى الملك ولو ان سلطات المعبد كانت مسؤولة عن فرضها وجبايتها . وبصورة عامة يبدو محتملا انه خلال القرن السادس قبل الميلاد تمكن ملوك الدولة البابلية الحديثة من السيطرة على حصة كبيرة متزايدة من واردات المعابد وبالتأكيد فان التغييرات الادارية التي بدات منذ بداية عهد نبونائيد كانت الى جانب مصالح الملك بينما كان الترحيب الحار بالفاتح الفارسي من قبل ادارة المعبد عام ٥٣٩ ق . م. اشارة الى ان السياسة الملكية الداخلية لم تكن شعبية اطلاقا ، ومن جهة ثانية يجب ان لا يغيب عن الاذهان بان اسباب عدم شعبية الملك قد تكون دينية وليست دنيوية وذلك على ضوء محاولة نبونائيذ ان يغتصب رئاسة مجمع الالهة من الاله مردوخ ويعطيها الى الاله سن .

وعلى الرغم من ثروة المعابد الزراعية ، فمن المحتمل ان الامبراطورية البابلية الحديثة كانت دولة اقل ثراء من الناحية الاقتصادية مما كانت عليه الامبراطورية الاشورية عام ٦٥٠ ق . م . على الاقل ، ويبدو انه كان هناك سببين رئيسين لذلك ، الاول الذي يبدو واضحا حتى من العهد القديم ان اشور على الرغم من انها كانت دولة حربية بالتأكيد الا انها لم تحتفظ عادة بجيش جاهز للمعركة وانما حددت الضغط على قواتها البشرية وذلك بالقيام بالحملات العسكرية لعدة اشهر من كل سنة فقط . اما بلاد بابل من جهة ثانية ، فكانت تعمل منذ عهد نبوخذ نصر مع وجود جيش جاهز للمعركة قد يبقى لعدة سنوات احيانا كما هي الحال في حصار صور الذي اشار اليه سفر حزقيال الاصحاح : ٢٩ :١٧ ــ ١٨ والذي استمر دون نجاح لمدة ثلاث عشرة سنة . والسبب الرئيسي الثاني للنقص الاقتصادي في الامبراطورية البابلية الحديثة اذا ما قورنت ببلاد اشور هو غلق الطرق التجارية الى الشرق والشمال الشرقي . فمنذ عهد اشور ناصربال فصاعدا كانت معظم مساعي الملوك الاشوريين موجهة للمحافظة على استمرار فتح الطرق التجارية القادمة من الاراضي المرتفعة في ايران التي كانت صادراتها اساسية لتقدم الحضارة في وادي دجلة والفرات ، ومع خصوبة المنطقة الاخيرة الطبيعية فقد كانت المنطقة من وجهة النظر القديمة خالية تقريبا من المواد الاولية باستثناء المنتوجات الزراعية والقير . ومنذ عهد ملوك الدولة البابلية الحديثة اصبحت الطرق الى الشرق والى الشمال الشرقي بايدي الميدين والفرس الذين كانت قوتهم تنمو بسرعة لذلك يبدو من المحتمل جدا كما ذكرنا اعلاه(انظر صفحة ١٧٣) ان دوافع نشاطات نبونائيد لمدة عشر سنوات تقريبا في جزيرة العرب التي توغل خلالها جنوبا الى المدينة كانت محاولة ان يسيطر على الطرق التجارية المهمة مع جنوب الجزيرة العربية كبديل عن تلك الطرق التي فقدها .

وفي مقاطعات الامبراطورية البابلية الحديثة ظل يعمل في الخطوط العامة للسياسة الاشورية لذا فان سبي نبوخذ نصر المشهور عام ٥٩٧ ق . م . وعام ٥٦٨ ق.م. لبعض سكان يهوذا لم يكن الا استمرارا للسياسة التي ادخلها اشور ناصربال الثاني وطورها تجلاتبليزر الثالث للتصرف بالتابعين المشاكسين . وفي الوقت نفسه يبدو ان نبوخذ نصر كان كالحكومة الاشورية في الظروف المشابهة يحاول جاهدا ان يحافظ على الادارة المحلية لحكم الاقوام المتبقية . وبعد تسليم اورشليم عام ٥٩٧ ق . م . وترحيل الملك الشاب يهوياخين مع

النبلاء حاول نبوخذ نصر الحكم غير المباشر مستخدما صدقيا كامير تابع مرتبط مع بلاد بابل وكانت المحاولة ناجحة لمدة تسع سنوات حتى بعد حصار اورشليم وفتحها الذي اعقب خضوع صدقيا للحزب الموالي لمصر ، لم يترك نبوخذ نصر المحاولة لاستخدام نوع من الحكم غير المباشر وغين نبيلا يهوديا هو كداليا Gedaliah كحاكم وبعد اغتيال كداليا من قبل المتعصبين اليهود (كما تعودنا ان ندعو جميع من يرتكبون جرائم القتل لاهداف سياسية في القرن العشرين) اصبحت يهوذا تحت الادارة البابلية المباشرة .

الفصل التاسع

التجارة والاقتصاد

التجارية الخارجية :

لم تكن بلاد ما بين النهرين منذ بداية العصور التاريخية المبكرة وحدة اقتصادية مقفلة ، حيث تعود ادلتنا عن التجارة مع المناطق البعيدة الى الفي سنة قبل العصور التاريخية ، الى عهد جرمو ، على اقل تقدير . وتقع جرمو على سفح التلول شرقي كركوك ويمكن تاريخها بواسطة تحليل الاشعاع الكاربوني الى حوالي ٥٠٠٠ ق . م . وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين الباحثين حول موقع هذه المستوطنة بالنسبة لبقية الثقافات المتتابعة في بلاد ما بين النهرين الا ان نقاط الخلاف لاتوثر بشكل رئيسي على تقويم المعلومات التي نزودنا بها بالنسبة للاقتصاد . فان الادلة الاثارية تشير الى ان المستوطن كان من الناحية الاقتصادية مكتفيا ذاتيا باستثناء مادة واحدة . وكانت تلك المادة الواحدة هي حجر الاوبسيدن الصلب الذي وان استخدم في الموقع الا انه لا يمكن الحصول عليه من مصدر اقرب من ارمينيا الواقعة على بعد بضعة مئات من الاميال الى الشمال . وهذا يشير الى وجود نوع من التجارة بين الاقاليم في هذه المنطقة منذ حوالي ٥٠٠٠ ق . م . وان لم يكن لدينا حاليا معلومات عن الاوجه الفنية لتلك التجارة . واغلب الظن ان الاويسيدين كان ينقل بواسطة الباعة المتجولين .

وفي الالفين سنة التاليين نجد في الحضارات التي اعقبت حضارة جرمون تايخيا ان الاقتصاد كان لايزال في بعض اوجهه مغلقا الا ان التجارة بين الاقاليم كانت تتسع تدريجيا . وفي حضارات حسونة يظهر الى جانب الاويسيدين

الاحجار شبه الثمينة الفيروز والملكيت على حين يدل وجود المحار في مواقع في شمال بلاد ما بين النهرين والتي لا يمكن ان تاتي الا من الخليج العربي ، على وجود علاقات تجارية بين مستوطنات حسونة واقوام المنطقة الجنوبية ولعلها في ايران . ومنذ عهد سامراء والعهود التالية فان انتشار بعض الطرز الفنية المعينة الواسع على الفخار ، والذي يرى فيه البعض بانه ماخوذ عن طرز خاصة بالسجاد والاقمشة والسلال ، قد يشير الى وجود تجارة في هذه المواد القابلة للتلف . وبالنظر لاساليب البحث عن الفنون التي سبقت الاساليب العلمية والتي كانت تستخدم بشكل واسع حتى عهود حديثة نسبيا من قبل بعض الاثاريين في الشرق الادنى ، فان المرء ليتسائل عما اذا كان هناك بعض اثار مثل هذه المواد القابلة للتلف والتي كان من الممكن التعرف عليها بواسطة المايكروسكوب او التحليلات الكيمائية غير ان المنقبين اغفلوها تماماً .

ويبدأ النحاس بالظهور في مواقع حضارة حلف ويمكننا ان نخمن مصدره فقط . وحيث انه ليس هناك مناجم للنحاس في العراق ، فان هذا ايضا يثبت وجود تجارة بين الاقاليم . ومن المحتمل ان المعادن كانت تنقل بواسطة الصاغة المتجولين ، وفي فترة متاخرة كثيرا(حوالي عام ١٩٠٠ ق . م .) نجد صور الصاغة من النوع المذكور على لوحة في مدفن مصري يبين عشيرة صغيرة من عمال المعادن الرحل تحمل حميرهم المنفاخ وبعض المعدات الاخرى ، وان انتشار فخار حضارة حلف التي امتدت على طول الاقليم الذي يحده في الغرب الساحل السوري الشمالي ومرسين في كيليكيا والى الشمال بحيرة وان والى الجنوب سامراء ، يدل على انتشار واسع للعلاقات ــ الثقافية واحتمال انتشار علاقات تجارية مشابهة . وان هذا لايعني بالطبع بان الفخار نفسه كان يصنع ويوزع من موقع واحد . كما ان غياب الادلة على وجود اثار حضارة حلف في ايران يشير الى غياب العلاقات التجارية في هذا الوقت بين ايران وبين بلاد ما بين النهرين .

وكان لاول حضارة مهمة في جنوب العراق ، وهي حضارة العبيد ، علاقة اكيدة مع ايران ولو ان هذه العلاقة لم تكن الى درجة تدل على وجود تجارة منظمة تنظيما جيدا . وفي الواقع هناك من يرى ان استخدام ادوات الطين المعتمدة من حيث الشكل على الاشكال المعدنية ، وهي من المميزات الخاصة بحضارة العبيد ، يدل على عدم قابلية الاقوام المعنية من ان تنظم تجارة النحاس بعد ان استقرت في منطقة تنقصها المناجم التي كانت مستخدمة لديها في

موطنها الاول (ولعله ايران) . وقد وجد فخار العبيد كفخار حلف في اماكن بعيدة وصلت حتى الساحل السوري وحيث ان الاخشاب كانت بالتأكيد ضرورية لمعابد دور العبيد ، فان ذلك يدل ايضا على ان التجارة بين سوريا وما بين النهرين كانت قد بدأت على نطاق واسع وكانت قطع الخشب تجلب من المناطق المرتفعة في لبنان الى كركميش ثم تطوف على نهر الفرات . ومن المؤكد انه كانت هناك طرق تجارية اخرى بدأ استخدامها في هذا الوقت حيث وجد في مرسين في كيليكيا فخار معروف في اقليم الالاخ (قرب خليج الاسكندرونة) انتج تحت تأثير فخار حلف والعبيد المشترك . وليس من الواضح هل هذه هي اولى الادلة على النقل البحري ام ان البضائع المعنية قد نقلت برّا؟ .

وفي الفترة التي اعقبت عام ٣٠٠٠ ق . م . مباشرة (دور جمدة نصر او اواخر العهد الشبيه بالكتابي في المصطلحات الاثارية) هناك ادلة اثارية كثيرة حول العلاقات الثقافية بين مصر وبلاد سومر او بشكل ادق حول التأثير السومري على مصر ، ومن المؤكد فيما يخص التجارة . وقد ذكرت الخطوط العريضة للادلة عن مثل هذه العلاقات على الصفحة ٢٧ اعلاه . غير ان وجهات نظر المتخصصين بالدراسات المصرية حول الموضوع هي خارج نطاق هذا البحث ويمكن ان يرجع القارىء الى المصدر التالي لمزيد من التفصيلات :

H. Frnakfort's The birth of Civilization in the Near East(1)

وكذلك مقالات H.J.Kantor المذكورة في الفهرس .

ومع هذا ، فلعل الاقتراح الوارد اعلاه من ان العلاقات التجارية موضوعة البحث كانت في جنوب الجزيرة العربية او في الصومال يستوجب التوضيح . فان النظرية تعتمد اساسا على افتراضات بشأن استعمال البخور . فهناك نوعان من انواع الصمغ الرارنجي الرئيسة التي استخدمت بخورا ، اي اللبان وصمغ المر وهي من منتوجات نماذج مختلفة من فصيلة اشجار لاتوجد الا في جنوب الجزيرة العربية وبلاد الصومال وشمال السودان واثيوبيا . فشيوع ذكر هاتين المادتين في النصوص المصرية من السلالة الخامسة فما بعد يؤكد وجودتجارة بين المصريين من جهة وبين بلاد الصومال او جنوب الجزيرة العربية من جهة اخرى وذلك منذ منتصف الالف الثالث على ادنى حد . وعلى الرغم من ان

---

(١) لقد ترجم كتاب فرانكفورت الى العربية تحت عنوان «فجر الحضارة» .

استعمال السومريين لهذين النوعين من البخور يظل تخمينا في الوقت الحاضر الا ان الرحلات السومرية الى بلاد الصومال او عدن في القسم الاول من الالف الثالث قبل الميلاد لايمكن اعتبارها سوى نظرية معقولة . وهناك عل كل حال ادلة اثارية قوية تشير الى العلاقات التجارية السومرية مع الشرق تعود الى حوالي ٢٨٠٠ ق . م . فثمة تشابه واضح بين الحضارة القديمة التي وجدت في جنوب بلوخستان والمعروفة بحضارة كولّي Kulli وبين حضارة عيلام وبلاد ما بين النهرين . فقد وجدت طرز كولي Kulli على آنية من سوسا ومن منطقة ديالي وعثر على بعض اواني زينة من الحجر منحوتة بزخرفة من النوع الموجود في جنوب بلوخستان في عدد من المواقع من هذه الفترة في بلاد ما بين النهرين ، بما في ذلك المقبرة الملكية في اور . ويظهر اناء منحوت على الطراز السومري من منطقة ديالي وختم اسطواني من اور ودمى من سوسا الثور الهندي ذو السنام المتميز وفي بعض الحالات في مشاهد دينية واضحة مما يشير لا الى التجارة السومرية مع منطقة الهند فحسب بل وكذلك الى وجود تجار هنود في بلاد ما بين النهرين من الذين كانوا بحاجة الى مؤاساة دينهم الخاص . وحيث انه لم يعثر على اثار حضارة كولي Kulli على الطرق البرية عبر ايران ، لذا فان هذه العلاقة التجارية ربما كانت بواسطة البحر .

اما الرحلات من بلاد سومر الى بلاد الصومال والى عدن في اواخر العهد الشبيه بالكتابي (جمده نصر) فهي مجرد نظرية .

وقد نمت الرحلات التجارية بين بلاد سومر ومناطق بعيدة على الخليج العربي بعد ذلك بقرنين او ثلاثة قرون ، وقد ذكرت ثلاث محطات تجارية على وجه الخصوص في النصوص التي جاءت من منتصف الالف الثالث قبل الميلاد فما بعد . وهذه هي دلمون وما كان (او ماكان) وميلوخا بهذا التسلسل بالنسبة لبعدها عن بلاد سومر وكذلك بالنسبة للصعوبة التي احدثتها العلماء العصر الحديث . ويتفق حاليا معظم العلماء تقريبا على ان دلمون من المحتمل انها البحرين حاليا رغم ان عالم السومريات المعروف كريمر يضفها على الجانب الشرقي من الخليج العربي . اما ما كان فتعتبر غالبا ، ولو باجماع اقل ، على انها ساحل عمان . بينما لايزال الاقليم الذي تقع فيه ميلوخا غير مؤكد وان النظريات الرئيسة تضعها اما على ساحل بلوخستان او شمال غرب الهند (غرب الباكستان في المصطلحات ــ السياسية) او في مكان ما في جنوب الجزيرة العربية او على ساحل الصومال . وكانت هناك تجارة رابحة بين هذه المناطق وبين بلاد بابل .

وقد اشار سرجون الاكدي (حوالي عام ٢٣٧٠ ق . م .) بفخر الى السفن التي تتاجر مع ميلوخا وماكان ودلمون والتي كانت ترسو خارج عاصمته على الرغم من انه لا يعرف فيما اذا كانت تلك التجارة يقوم بها سرجون او بعض الاجانب . وبعد عهد سرجون بفترة قصيرة انقطع الاتصال المباشر مع ميلوخا .

وقد استمرت التجارة المباشرة مع ماكان في بداية عهد سلالة اور الثالثة (حوالي ٢٠٠٠ ق . م .) حيث لدينا نصوص من هذه الفترة نذكر ان رجلا اعطي كميات كبيرة من المنسوجات والصوف والزيت والمواد الجلدية من مخازن معبد الاله ننّا (اله القمر في اور) لياخذها بالقارب الى ماكان لشراء النحاس ويبدو واضحا ان اسلوب التجارة كان اسلوبا متطورا من المقايضة . وقد شملت البضائع التي جلبت من ماكان ، كما يستدل على ذلك من قوائم التسليم الى المعبد ، اضافة الى (النحاس) المادة الرئيسة،احجارا كريمة وخرزا او عاجا ونوعا من المخضرات اطلق عليه بصل ماكان .

ان ماكَان ، اذا كان تشخيصها بعمان قريبا من الواقع لابدانها كانت تقوم مقام مركز تجاري دولي او مركز للتبادل حيث لا يمكن ان تكون المصدر الاصلي للعاج . وبالنسبة للمصدر الحقيقي للعاج في هذه الفترة ،من الجدير ان نذكر انه وجد في مواقع في بلاد ما بين النهرين من الفترة الواقعة بين ٢٣٧٠ ــ ٢٠٠٠ ق .م .) عدد من الاختام المنحوتة من الانواع التموذجية التي وجدت في خرابا Harappa في وادي الهند بينما عثر على اختام اسطوانية ، وهي بصورة عامة من مميزات بلاد ما بين النهرين ، في موهنجيدارو (في وادي الهند ايضا) .

وبعد انهيار سلالة اور الثالثة ذات التنظيم البيروقراطي العالي انقطع الاتصال المباشر مع ماكَان وفي القرون التالية فاننا نسمع عن دلمون بانها المنطقة التجارية الرئيسة مع منطقة الخليج العربي .

ان اقدم الوثائق المعروفة التي تشير الى دلمون هي الوثائق الادارية من ٢٥٠٠ ــ ٢٤٠٠ ق . م . وتوضح هذه الوثائق انه كانت هناك تجارة منظمة في ذلك الوقت بين بلاد سومر ودلمون وكان من اهم صادرات الاخيرة هي التمور . كما سبق ان بينا ان بعض النباتات والحيوانات التي تأقلمت فيمابعد في بلاد بابل ، كانت قد وصلت البلاد اصلا من خلال الاستيراد عن طريق دلمون وبعض النصوص الاخرى من اواخر الالف الثالث وبداية الالف الثاني قبل الميلاد تعدد بضائع كواردات من دلمون هي بالتأكيد ليست من منتوجات الجزيرة

نفسها بل لابد انها جاءت من بلدان بعيدة ، وهذه البضائع هي بالدرجة الرئيسة النحاس والاحجار الثمينة والعاج وقد عثر على نماذج من جميع هذه المواد في تنقيبات مواقع العصر البرنزي في البحرين ومن الواضح ان دلمون كانت مركزا تجاريا هاما منذ اواخر الالف الثالث قبل الميلاد على الاقل .

ان معلوماتنا المفصلة عن هذه التجارة البحرية مع دلمون تاتي من عهد سلالة لارسا (حوالي ١٩٠٠ ق . م .) ، ويبدو ان مدينة اور كانت في هذه الفترة الميناء الرئيس للدخول الى بلاد ما بين النهرين . وهناك مجموعة من الرقم الخاصة بالتجارة مع دلمون من هذه المدينة . وكانت واردات دلمون الرئيسة المذكورة هي النحاس (على شكل قضبان او ادوات مصنعة) واللازوارد واللؤلؤ (اذا كان هذا يعني العلامة الرمزية التي تعني حرفيا «عيون السمك») ، وانواع معينة من الخشب. وليس من الضروري ان نفترض ان جميع هذه البضائع جاءت اصلا من المكان نفسه ، حيث من المحتمل ان دلمون كانت تمثل منطقة لقاء حيادية لتجار من بلدان عديدة ، خاصة وانه كان ينظر اليها في المصادر السومرية انها جزيرة مقدسة تمتاز بعدم وجود نزاع فيها . واذا حكمنا على البضائع فقط فان العاج كان يصل دلمون اما من مصر او من وادي الهند ، غير ان ذكر الامشاط العاجية يشير الى الاخير طالما عثر على امشاط عاجية في وادي الهند .

وكانت الصادرات الرئيسة من بلاد سومر الى دلمون هي المنسوجات والزيت التي كانت تزود من قبل اصحاب رؤوس الاموال الخاصة وكانت العقود تبرم مبينة قيمة البضائع بالفضة وتنص على القيمة المتفق عليها بالفضة للنحاس الذي سيجلب من قبل التاجر ومن الوثائق النموذجية من هذا النوع الشكل التالي : «٢ منا من الفضة (قيمة) ٥ كور من الزيت (و) ٣٠ رداء اقترض لوميشلام ـــ تا ونيكرسبي ـــ سانسابا رأسمال للشركة من اور ـــ ننما ـــ كا ، لرحلة الى دلمون لشراء النحاس . بعد انتهاء الرحلة بسلام ، سوف لن يتحمل (الدائن) (اية مسؤولية) للخسائر التجارية (التي قد يتكبدها المدينان) لقد اتفق (المدينان) ان يرضيا اور ـــ ننما ـــ كا باربعة امنان من النحاس لكل شاقل من الفضة (كسعر) عادل» تمثل الترجمة ، مع تعديل بسيط ، ترجمة A.L. Oppenheim (Journal of American Oriental Society, 74 (1954) p.8 ويمثل تحويل اصحاب رؤوس الاموال الخاصة نقطة من نقاط الاختلاف عن التجارة البحرية المعروفة قبل ذلك بمائتي سنة حيث كان التاجر البحري

يمول ليس من قبل الافراد بل من قبل المعبد . ويظهر ان التنظيم المالي للتجارة مع دلمون هو اشبه بتجارة القوافل مع كبدوكيا التي سيشار لها فيما بعد ، ولكن هناك بعض الاختلافات الرئيسة ونظرا للارباح العالية التي قد تحققها هذه التجارة المترفة فمن المؤكد انها كانت تفضل التاجر البحري على قائد القافلة . ففي تجارة القوافل يبدو ان الملتزم الذي يمول وكيلا كان ياخذ ثلثي مجموع الارباح مع ضمان ٥٠٪ من المبلغ كحد ادنى للربح وليس هناك (في الواقع) اي خطر على رأس مال، اما في التجارة البحرية الى دلمون ، من جهة ثانية . فقد كان الملتزم ياخذ عادة عائدات ثابتة بدلا من حصة من الارباح . واذا ما اصبح المستثمر شريكا كاملا في المشروع التجاري فيبدو انه كان يتحمل حينئذ المخاطر كما يقتسم الارباح . وربما كانت ظروف التاجر البحري المفضلة ، مقارنة مع ظروف قائد القافلة ، تتعلق بحقيقة ان التجارة مع دلمون كانت «تجارة مغلقة» وان الانضمام اليها كان من الصعوبة بمكان فكانت تحتاج الى مهارة فنية للقيام بالرحلة الحقيقية كما كان من الضروري ان يكون للتاجر علاقات شخصية في الجزيرة قبل ان يبدأ تجارته اصلا .

وهناك بعض المعلومات المعروفة عن حجم تجارة النحاس طالما ان احد النصوص يذكر ثلاثة عشر الف منا (اي سبعة او ثمانية اطنان تقريبا) من النحاس . وكان المعدن يجلب بقضبان يزيد وزن بعضها على اربعة طالنات (اي حوالي ٢٠٠ وزنة) اي كما هو متوقع ، يقطع حجمها بحجم ما يمكن ان يحمله العامل ، وكانت السلطات الادارية في بلاد سومر التي تعمل من خلال المعابد تجبي ضرائب عالية على البضائع المستوردة .

وبعد عام ١٨٠٠ ق . م . لم تعد جزيرة دلمون لمدة تقرب من الف سنة مركزا تجاريا دوليا على الرغم من استمرار العلاقات التجارية معها وكانت صادراتها خلال هذه الفترة مقصورة على المنتوجات الزراعية اما سبب تقلص اهمية دلمون كمركز تجاري فقد يكون لادلة التغييرات العنيفة في منطقة بلوخستان بعد عام ٢٠٠٠ ق . م . بفترة قصيرة علاقة بذلك اذا سلمنا بان بعض البضائع التي تشترى من دلمون في الفترات الاولى كانت تاتي من بلوخستان او من وادي الهند .

ولدينا بعض الادلة عن الجانب الفني من التجارة البحرية القديمة ، ويبدو ان السفن السومرية والبابلية كانت ، بالمعايير الحديثة ، صغيرة جدا . وتزودنا

السجلات القديمة بحجم السفن بالنسبة لاستيعابها ولكن اذا احتسب ذلك بالوزن استنادا الى ثقل الحنطة المعين فيبدو ان السفينة السومرية في الالف الثالث قبل الميلاد كانت تحمل حوالي خمس وعشرين طنا والسفن البابلية في الالف الاول قبل الميلاد حوالي اربعين طنا . ومن الطبيعي كانت الحمولة تزن اكثر بكثير بالنسبة للنحاس الخام وكانت مثل هذه السفن ، كما يمكن الحكم من نموذج وجد في مقبرة اور (انظر لوحة ٢ ب) من نفس شكل الزورق العراقي الحديث (مركب طويل وكبير) وكان يزود بصاري وشراع ومجداف القيادة الذي يستخدم دفة للتوجيه . وكان الطوف من نوع الكلك ، ويتألف من مصطبة خشبية فوق قرب منفوخة لا تزال تشاهد في دجلة ، اما الفرقل ذو الاسفل المسطح الذي يسمى قفة ، وهو لا يزال يستخدم في العراق ، فكان يستخدم للنقل النهري في دجلة والفرات . وبالنسبة للتجارة الداخلية داخل وادي الفرات ودجلة فقد ظل النقل بواسطة السفن بهما خلال التاريخ البابلي جميعه ولدينا اشارات عديدة لنقل المواد الغذائية والنبيذ والمواد الانشائية والصوف والمعادن والجلود وغيرها بواسطة المياه من مدينة الى اخرى . وقد كشف في مدينة النمرود عاصمة بلاد اشور في بداية الالف الاول قبل الميلاد عن مسناة ضخمة مشيدة بقطع كبيرة من الصخر كانت تستخدم للنقل .

نعود الان الى الالف الثالث قبل الميلاد لنرى التجارة البرية في بلاد ما بين النهرين ، فقد راينا سابقا ان تلك التجارة كانت قد بدأت قبل فجر التاريخ في منطقة واسعة جدا ولدينا أدلة لمثل هذه التجارة مع ايران بصورة رئيسة في الملاحم الادبية السومرية ، التي تعكس الاوضاع الاجتماعية للفترة حوالي ٢٧٠٠ ق . م . غير ان دقة ذلك مازال موضع نقاش . واحد هذه النصوص (ومن الصعب فهمه بالتفصيل) يصف تجهيز وارسال قافلة من الحمير تحمل اكياسا من الشعير من مدينة في بلاد سومر الى موقع في الاراضي المرتفعة في لوبستان وقد اشير الى ظروف هذه الرحلة التجارية والظروف الاجتماعية التي حدثت فيها . ولدينا وثائق معاصرة لمثل هذه التجارة للفترة التي تسبق منتصف الالف الثالث مباشرة اما على شكل وصولات او اشارات في نصوص اهداء حكام دويلات المدن السومرية . ويشير عدد من هؤلاء الحكام الى جلب الخشب من المنطقة الجبلية . ويتحدث اخرون عن فرض الضرائب على الاقوام من الخليج العربي الى البحر المتوسط ولكن يبدو من المحتمل ان ما فعله الحاكم فعلا في معظم هذه الحالات هو ليس تثبيت سلطة سياسية بل

علاقات تجارية منتظمة ومضمونة مع المنطقة .

ويثير لنا سرجون الاكدي (حوالي ٢٣٧٠ ق.م) الذي اسس اول سلالة سامية في بلاد ما بين النهرين مشكلة خاصة . حيث تشير النصوص المعاصرة بانه قد ادعى سيطرته على سلسلة جبال لبنان وسلسلة امانوس وقد سميت بشكل ذي مغزى بالنسبة لاهميتها التجارية «غابة الصنوبر» و«جبال الفضة» . وهناك على كل حال بعض المآثر الادبية التي سبقت الاشارة اليها تنسب الى سرجون امبراطورية تجارية اوسع وليس من المستحيل انه كان لهذا الادعاء الواسع بعض الاسس التاريخية . فمن المحتمل جدا انه كانت هناك قبل نهاية الالف الثالث قبل الميلاد مستعمرات تجارية من بلاد ما بين النهرين في آسيا الصغرى او حتى في جزيرة كريت . وقد كشف في تل براك على الطريق من اكد الى آسيا الصغرى على قصر محصن شيده حفيد سرجون ، ومن المنطق ان يعتبر الهدف من تشييده هو حماية الطرق التجارية . اما بالنسبة للادعاء الخاص بكريت ، فان مكتشفات الفخار تشير الى وجود علاقة بين ايجة وبلاد ما بين النهرين منذ الالف الرابع قبل الميلاد وكانت بالتاكيد علاقة قوية جدا منذ بداية الالف الثاني طالما قد عثر على اختام اسطوانية بابلية من هذه الفترة في كريت نفسها ، بينما ترك احد الامراء البابليين الصغار نص اهداء في احدى الجزر (كثريا) **Kithira** بين كريت واليونان . ثم ان هناك دعوى قوية مؤداها حاليا ان احدى اللغات الاولى المعروفة في نصوص كريت من النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد لم تكن سامية فحسب ولكنها كانت سامية اكدية بصورة خاصة . وتعرف اللغة المعنية بالمينون لينار (أ) **Minoon Linear A** ويمكن ان تؤرخ النصوص التي استخدمتها الى الفترة بين القرن السابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد . اضافة الى ذلك فان الزخرفة على اناء كريتي التي تمثل مشهد حصاد يظهر ابناء البلد تحت امرة موظف يبدو انه مرتديا لباسا من بلاد ما بين النهرين . واذا ما اخذت هذه الحقائق مجتمعة فان ذلك يجعل الاقتراح بانه كان هناك تجار من بلاد ما بين النهرين في بحر ايجة في بداية الالف الثاني ولعله قبل ذلك في اواخر الالف الثالث قبل الميلاد اقتراحا معقولا ، ولابد ان بحرايجة كان خلال معظم الالف الثاني قبل الميلاد مسرحا لنشاط تجاري كبير وكان بارزا بشكل خاص في الفترة بين (١٤٠٠ و١٢٥٠ ق . م .) . ففي ذلك الوقت كانت تقطع جزيرة كريت نفسها طرق جيدة ملائمة لمرور العربات مع وجود محطات حراسة على طولها وهناك ميناء اصطناعي واحد معروف على

الاقل ، على الرغم من ان السفن بصورة عامة كانت صغيرة الى درجة يمكن سحبها للشاطيء .

وبالنسبة لاسيا الصغرى ، فقد لاحظنا انه من الممكن وجود مستعمرات للتجار من بلاد ما بين النهرين قبل نهاية الالف الثالث . ويجعل سجل مستعمرة تجار اشوريين في كول تبة (قانش القديمة) الامر غير مشكوك فيه منذ ١٩٠٠ ق . م . وما بعد . وهذا يبرهن على وجود قوافل مستمرة وواسعة بين قانش واشور وقد ساعدت هذه الوثائق العلماء ولاسيما بروفسور ليفي J.Lewy على البحث في النظام التجاري والاقتصادي بشيء من التفصيل . وكانت التجارة بواسطة قوافل الحمير ، التي قد تضم الى ما يقرب من مائتي حيوان ، وربما كانت تسير من ١٢ — ١٥ ميل في اليوم ، ولعلها كانت بواسطة العربات بين المدن في اسيا الصغرى مما يشير الى وجود بعض انواع الطرق . وكان قادة القوافل يعطون مخصصات عند بدئهم الرحلة وكانوا يسجلون نفقاتهم اليومية في الطريق ويقدمون الحساب الى المسؤول في نهاية الرحلة . وكان النحاس من الصادرات الرئيسة لاسيا الصغرى وهناك ذكر لكميات قد تصل الى خمسة اطنان . اما بالنسبة للبضائع التي كانت ترسل من اشور فكانت بشكل رئيسي من المنسوجات والرصاص او الرصاص الخام . وكان الرصاص الخام الذي يضم نسبة من الفضة يوجد في بلاد اشور قرب منابع الزاب الكبير وفي جودى داغ ، وهناك من يرى ان هذا المعدن الخام كان يصدر الى اسيا الصغرى للتنقية حيث كانت تتوفر الوقود بكميات كبيرة ، اضافة الى الفنيين، وقد ذكرت قافلة كانت تحمل احد عشر طنا من الرصاص كما عثر على قطع يقرب وزن الواحدة منها نصف طن في اسس معبد في اشور . وضمن الشحنات الاخرى الى اسيا الصغرى زيت الزيتون والجلود والصوف ، وكانت كمية الصوف تصل الى طنين . ومن المواد التي كان يتاجر بها بكميات قليلة (اونس واحد او اقل) في اسيا الصغرى هو القصدير الذي كان معدل سعره يقابل سعر الفضة مضاعفا خمسين مرة .

واننا لانعلم الا القليل عن الترتيبات الخاصة بالامن خلال هذه الرحلات ، وكان التجار ولاشك معرضين لمخاطر من اشكال مختلفة طالما ان قوانين حمورابي تنص على بعضها كالفقدان نتيجة للصوصية او بمشيئة الاله . واستنادا الى الادلة المتوفرة من مدينة ماري ، كانت القافلة التي تمر خلال مناطق اجنبية خاضعة لدفع بعض الرسوم الى الموظفين المحليين وكان لها حينئذ حق

الاستفادة من الابار وحماية الحاكم المحلي . وهناك رسالة ملكية من فترة احدث من ذلك مرسلة الى موظف الكمارك تمنح رجلا معينا اعفاءا من جميع ضرائب الترانسيت على حميره . وتخصص القوانين الحثية والعبرية والاغريقية التالية مواد لحماية التاجر الغريب في المجتمع ولعل اصول ذلك تعود الى فترة سابقة .

ويناقش كارل بولاني Karl Polanyi عالم التاريخ الاقتصادي الامريكي الجنسية في Trade and Markets in the Early Empires (1957) ان الاقتصاد في بلاد ما بين النهرين لم يكن اقتصاد سوق وحاول ان يعيد تفسير ادلة تجارة كبدوكيا هذه لتتلاءم وهذا الاستنتاج . ويقصد بمصطلح «اقتصاد السوق» الاقتصاد الذي تثبت فيه الاسعار استنادا الى العرض والطلب مباشرة . وان الخلاف هو ان هذا الوضع لم يكن موجودا في بلاد ما بين النهرين وان «الاسعار» اخذت شكل ما يقابلها وثبتت من قبل سلطة الكمارك او القانون او الاعلان (المصدر السابق صفحة ٢٠) . وان التجار البابليين والاشوريين لم يستفيدوا (استنادا الى هذه النظرية) ربحا من اختلاف الاسعار لذا كانت التجارة دون مخاطر . واستنادا الى نظرية بولاني كان التجار الاشوريون في كبدوكيا عبارة عن وكلاء يحملون مراكزهم بالوراثة او الممارسة او التعيين وكانوا مسؤولين عن تشجيع انتاج النحاس اولا وذلك بالتأكيد على ابناء البلد انه ستاتي كميات ثانية جزءا مما يقابله على الاقل ، ويفترض البضائع التي يرغب فيها الناس (انظر المصدر السابق صفحة ٢٠) وثانيا عن النقل الفعلي للنحاس وما يقابله من مكان الى اخر . ومن وجهة نظر بولاني فان جميع الواجبات كانت تسجل من قبل السلطة المعنية التي كانت تصحبهم وهذا يوضح ، لبروفسور بولاني ، عدم وجود اشارات لربح العمل او خسارته كما تفسر «لماذا لا يوجد هناك حجز الديون المستحقة» (المصدر السابق صفحة ٢١) والسبب ان سلطة حفظ الحسابات كانت تضيف حساب العاجز عن الدفع على المبلغ الذي يكافأ به الفريق الاخر (المصدر السابق صفحة ٢١) . وبالتأكيد ، فمن المحتمل انه كان يسيطر في النهاية على تجارة كبدوكيا واولئك العاملين فيها من قبل السلطات البلدية او المحلية في اشور ، ولكن الاعتراف بذلك لايعني قبول نظرية بولاني بصورة عامة . وان من الصعوبات التي تجابه نظرية بولاني بالنسبة لتجارة بلاد ما بين النهرين ان الافلاس او العجز عن سداد الديون كان يحدث فعلا في بلاد بابل ، ان لم يكن في كبدوكيا ، وان مثل هذه المخاطر كانت

تؤلف احدى الطرق الرئيسة التي كانت يؤول فيها الرجال الاحرار ومعتمدوهم الى العبودية . والاعتراف الاخر ان تحديد الاسعار نتيجة التفاعل بين العرض والطلب كان يحدث بالتأكيد في بلاد ما بين النهرين . وهناك امثلة معروفة عن ارتفاع الاسعار وقت الحرب والمجاعة (انظر صفحة ١٧٢،٧٤) ويذكر اشور بانيبال انه عندما هجم وسلب القبائل العربية كان عدد الجمال على الاخص كثيرا الى درجة ان سعر الواحد قد انخفض الى ان اصبح بشاقل ونصف . ولهذه الاسباب فان نظرية بولاني ولو انها تضفي على تجارة كبدوكيا بعض الخصائص وتضعها باطار اوضح الا انها غير مقبولة على انها تصف اقتصاد بلاد ما بين النهرين بصورة عامة .

وانتهت التنظيمات التجارية بين اسيا-الصغرى وبلاد اشور بعد عام ١٨٠٠ ق . م . بفترة قصيرة لاسباب غير واضحة تماما ، ولعلها ترتبط بالتحركات العرقية في اناضوليا . وبعد ذلك بفترة قصيرة برز الحثيون . وهناك ادلة من الوثائق الحثية انه كان للحثيين في النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد علاقات تجارية ليس مع بلاد ما بين النهرين فحسب بل وايضا مع مصر واخيا و Ahhiyawa ، وتمثل الاخيرة مملكة ميسينية امافي غرب اسيا الصغرى في رودس او اليونان نفسها ، ولعل الكلمة نفسها ترتبط بالمصطلح الاغريقي الاخيون Achaean . وكان النحاس والفضة تنتج بكميات كبيرة بينما كان الحثيون يحتكرون في جزء من الالف الثاني الحديد الذي كان لم يزل معدنا نادرا نسبيا . ويستفاد من رسالة ملكية يعتذر فيها الملك الحثي الى الملك الاشوري على عدم امكانه ارسال الكمية المطلوبة من الحديد ان تصدير الحديد كان من الاحتكارات الملكية . ومن العلماء من يشك بصحة هذا الاستنتاج اخذين اعتذار الملك على انه اعتذار فعلي ، ولكن من المؤكد ان هناك بعض الادلة التي تشير الى انتاج وتصدير بعض المعادن ذات الاهمية العسكرية وكانت غالبا تحت سيطرة قوية من الدولة واحسن مثال على ذلك ذو علاقة بالفلسطينيين الذين لم يسمحوا لغير الفلسطينيين عندما سيطروا على فلسطين في نهاية الالف الثاني قبل الميلاد ان يعملوا حدادين (سفر صموئيل الاصحاح : ١٣ : ١٩) وفي المستعمرة الاشورية في كبدوكيا من القرن التاسع عشر قبل الميلاد يبدو انه كان من غير المشروع تصدير القصدير بينما يشير ذكر مفتش البرونز وقلة الاشارة الى البرونز في النصوص بالرغم من ان الادلة الاثارية تشير الى وجوده ، خصوصا اسلحة في المنطقة ، الى ان تجارة البرونز كان مسيطرا عليها تماما .

ومن المناسب هنا ان يشار الى الدور الذي لعبته سوريا في التجارة الدولية حيث كانت سوريا لفترة من الزمن في تلك الحثيين بينما كانت شمال سوريا تمثل دائما نهاية لاحد الطرق التجارية الرئيسة من بلاد ما بين النهرين . وقد لاحظنا سابقا ان منطقة الالاخ كانت المحطة النهائية للطرق التجارية من جنوب بلاد ما بين النهرين وكيليكيا منذ الالف الرابع . وفي الالف الثاني كا لأالالاخ نهجا سياسيا متغيرا . فقد وقعت تحت سيطرة مصر وشمال بلاد ما بين النهرين والحثيين على التعاقب ولكن هذه الحقيقة بحد ذاتها هي دليل على اهميتها التجارية . وفي الفترة الواقعة بين ١٦٠٠ ــ ١٤٠٠ ق . م هناك ادلة من الفخار على التجارة مع قبرص وفلسطين ، وفي فترة متأخرة مع نوزي (شرقي اشور) وكذلك مع الايجيين بصورة عامة غير ان الصورة الحيوية عن التجارة السورية يزودنا بها مصدر مصري ، وهذا المصدر هو لوحة من مدفن محافظ في طيبة يرقى الى حوالي ١٤٠٠ ق . م . ويظهر سفنا من الطراز المصري مزدحمة بطاقم سوري يفرغ الحمولة في مدينة مصرية (لعلها طيبة) وكان هناك نوع من التفتيش على الطاقم حيث ان تفاصيل الصورة تظهر موظف الميناء وهو يسجل الاسماء وبعض الامور الاخرى لمجموعة من الملاحين . وكانت البضاعة الرئيسة تتألف من جرار للخمر او الزيت وانية من المعادن الثمينة . وتشير الصورة الى ان هذه المواد لم تبع الى الافراد بل الى موظف حكومي ولعله صاحب المدفن الذي كان مسؤولا عن مخازن البلدة ومع هذا يبدو انه كان هناك بالاضافة الى ذلك تجارة خاصة على نطاق ضيق حيث اظهرت المحلات على الشاطىء وكانت تباع فيها الاحذية والمنسوجات والمواد الغذائية .

وعلى احدى السفن هناك امراتان يبدو عليهما الياس والوحدة ومعهما طفل ولعلهما كانتا امتين جيء بهما رشوة الى الموظف المصري الكبير نفسه .

وكانت التجارة الدولية تيسر بوجود مستعمرات من التجار المغتربين في مراكز تجارية مختلفة . ومن الامثلة المعروفة في العهد القديم هو ما جاء في سفر الملوك الاول الاصحاح العشرون : ٣٤ (القرن التاسع ق . م .) حيث كان هناك في اوغاريت في سوريا حوالي عام ١٤٠٠ ق . م . اضافة الى المستعمرة التجارية النشطة التي اسسها التجار الميسنيون **Mycenaean** تجار اشوريون ومصريون ايضا كما يمكن الحكم على ذلك من وثيقة تسجل تسليم الخمر لاشخاص من هذه القوميات . وكانت التجارة الخارجية تشجع من قبل ملك اوغاريت حيث اننا نجد في عقد ملكي اشارة صريحة في نصه الى اعفاء

رجل من الضرائب الكمركية على سفينة القادمة من كريت . ويمكن التعرف على الاشراف الملكي على التجارة في اوغاريت ايضا من وثيقة اخرى اصدرها الملك نفسه (حوالي ١٤٠٠ ق . م .) وهي تمثل نوعا من الجواز صدر لرجل وابنه يعطيهما الصلاحية لاستخدام الطرق الى مصر والى بلاد الحثيين . وكانت تجارة المعادن ذات اهمية في اقتصاد اوغاريت . ولم تذكر المعادن الثمينة (بما فيها الحديد الذي كان لايزال ثمينا جدا) فقط في النصوص بل وجدت في الميناء اثار كثيرة للنحاس والبرونز اضافة الى كتل كبيرة من الرصاص وجدت في القصر . اما بالنسبة للقيمة ، فقد ذكر احد النصوص ان الذهب كان يساوى انذاك ثلاثة او اربعة اضعافه وزنا من الفضة .

وفي نهاية الالف الثاني وبداية الالف الاول قبل الميلاد ، اضطرب الاسلوب القديم للتجارة عبر بلاد ما بين النهرين وسوريا بشكل كبير بسبب ضغط الاراميين الذين توغلوا في بلاد بابل واشور (انظر صفحة ١٠٤ وما بعد) وربما كانت الصعوبات الاقتصادية الاشورية التي اعقبت ذلك من العوامل التي دفعت اشور الى محاولة السيطرة العسكرية على الطرق التجارية الى سواحل البحر المتوسط . وقد نجحت اشور اخيرا في ذلك حوالي عام ٧٤٠ ق . م . وسيطرت على سوريا وفينيقيا بما في ذلك مدينة صور وصيدا ، وقد كشف موخرا على رسائل معاصرة تتعلق بسيطرة الاشوريين على التجارة في المدن الاخيرة . ويستفاد من هذه الرسائل انه كان يسمح لاهل صور وصيدا بقطع الاخشاب من لبنان ولكن كان عليهم ان يدفعوا ضرائب على الخشب عندما تجلب الى المنابر . ولم تكن هذه السياسة شعبية حيث اثارت في الواقع شغبا ادى الى مقتل جابي الضرائب الاشوري (انظر صفحة ١٢٠) . وكان على الاشوريين ان يستدعوا القوات العسكرية لاعادة النظام ثم يسيطروا على التجارة بوضع قيود على التصدير : ويشير كاتب الرسالة الى الاوامر التي اصدرها :

«من الان فصاعدا اجلبوا الخشب الى هنا واعملوا عملكم (عليه)
(ولكن) لاتبيعوه الى المصريين او الفنيقيين)» .

يستنتج من ذلك ان الاشوريين كانوا يحولون الخشب الى اشور وان جميع الامر يتفق والسياسة الاشورية العامة في ممارسة السيطرة المركزية على اقتصاد وتجارة الدول التابعة . ولعل فتح الاشوريين لمدينة صور هو ما اشير اليه في سفر اشعيا ، الاصحاح : ٢٣ : ١ ــ ١٣ حيث يقول اشعيا خلال ذلك :

«عند وصول الخبر الى مصر يتوجعون عند وصول خبر صور» .
ومفهوم ان مصر تتألم بفقدان الخشب من لبنان نتيجة القيود الاشورية المذكورة اعلاه .

وكان يتمركز في هذا الوقت (النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد) الى الشمال من بلاد اشور حول بحيرة وان دولة قوية اخرى هي دولة اورارتو وان معظم تاريخ هذه الفترة يمكن تفسيره على انه صراع بين هاتين القوتين على الطرق التجارية الاساسية . ومما تجدر ملاحظته حقا ان النقاط الرئيسة للصراع السياسي ، واحيانا الاصطدام العسكري ، بين الدولتين الرئيستين لم تكن على طول حدودهم المشتركة بل في اقصى الغرب ، اي في شمال سوريا وجنوب كيليكيا ، وفي الشرق في المنطقة جنوب شرقي بحيرة اورميا .

لقد سبقت الاشارة الى اهمية شمال سوريا كمحطة نهائية لعدة طرق تجارية ، وقد بذلت كل من اورارتو واشور محاولات شاقة بالوسائل الدبلوماسية والعسكرية لضمان السيطرة على هذه المنطقة . وقد كان هناك في الغرب شمال سوريا تماما وغرب اورارتو دولة تدعى مشكو (Meshech) Mushku مسيطرة على الطرق البرية المؤدية الى المستوطنات الاغريقية على السواحل الغربية من اسيا الصغرى . وقد عرف ملكها ميتا Mita من قبل الاغريق باسم ميداس Midas واشتهر بثرائة . وقد اظهرت وثائق نشرت مؤخرا وذكرت في مكان اخر سرور الملك الاشوري عندما تمكن اخيرامن ضمان الحلف مع ميتا ملك مشكو . ولابد ان هذا التغيير السار للاحداث قد خفف الضغط على الاجزاء الشمالية الغربية من الامبراطورية الاشورية ولابد وانه قد يسر كذلك التجارة مع اليونان وما وراءها (ولو ان الادلة المتوفرة على ذلك حاليا اقل قوة) .

وهناك ادلة قوية على وجود طريق تجاري اخر الى شمال شرقي بلا اشور وربما كانت المنافسة للسيطرة عليه من الاسباب الرئيسة لنشوب الصدام بين اشور واورارتو . وان محطات الطريق موضوع البحث ليست معروفة بصورة اكيدة ، غير ان هناك بعض الادلة التي تلقي الضوء على الموضوع وقد اوجزت اعلاه على الصفحة ١٤١ وهناك نقطة ثانوية اخرى تبرهن على وجود الاتصالات التجارية في هذا الوت بين بلاد الاغريق والاقاليم الواقعة في بلاد اشور . حيث ان في هذه الفترة وجد رسم الديك لاول مرة على الآنية الاغريقية وان اسمه الاغريقي (الذي يعني «الطائر الفارسي») يشير الى انه قد وصل اليونان من

ايران ، ويحتمل ان طريق وصوله الى اوربا هو من خلال اورارتو .

واضافة الى الطريق عبر اورارتو فقد كان الطريق من بلاد ما بين النهرين الى كركمبش عبر الميناء Al-Mina قرب خليج الاسكندرونة مزدهرا في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد وقد اتخذت اشور خطوات قوية لضمان هذا الاقليم . وامكن تسهيل سرعة التجارة الحقيقية عبر الامبراطورية الاشورية من خلال تاسيس محطات البريد ونظاما سريعا للمواصلات الذي ينسب ابتكاره بصورة عامة الى الفرس.

وفي ٧٠٠ ق . م . كانت هناك نشاطات كثيرة لهجرة القبائل في ايران يُتوقع منها ان تشوّش الطرق التجارية هناك . ولا يمكن اثبات ذلك في الوقت الحاضر . ولعل مما تجدر ملاحظته ان في هذا الوقت وبعد فترة تقرب من الف سنة نسمع ثانية عن دلمون بخصوص تجارة النحاس . ومن الاستنتاجات الممكنة انه مهما كانت الاقوام في النهاية الشرقية من الطريق البري عبر ايران فقد غيّر اتجاه التجارة الى الطرق الجنوبية وربما استخدمت وسائل النقل البحري بدلا من الطرق البرية الثابتة عبر ايران . اضافة الى ذلك ، فعلى الرغم من ان اشور قد حققت فعلا انتصارات عسكرية على اورارتو الا ان الاخيرة قد اضمحلت بسرعة اكثر مما كان يستوجبه الموقف العسكري . ويمكن تفسير ذلك ايضا بقطع الطرق التجارية المارة بايران وارمينيا التي كانت سابقا تجلب الثراء الى اورارتو .

واضمحلت اشور نفسها بسرعة فائقة بالرغم من الخطوات القوية التي اتخذتها ، مثل الحاقها الفعلي لبلاد عيلام الذي جعلها تقوم بالاتصال المباشر مع الايرانيين ، وربما كان ذلك بسبب اضطراب الطرق التجارية . واصبحت بلاد بابل القوة الرئيسة في بلاد ما بين النهرين وكانت نشاطاتها الاقتصادية والعسكرية تتزايد كثيرا وان ذلك يؤيد ايضا النظرية القائلة ان التحركات العرقية في ايران قد غيرت اتجاه الطرق التجارية القديمة بصورة مؤقتة بحيث ان جميع الطرق المتجهة الى الغرب اصبحت تمر الان عبر جنوب عيلام وبلاد بابل ومن ثم الى اعالي نهر الفرات .

وقد فسحت الوحدة السياسية لمملكتي ميديا وفارس تحت حكم كورش المجال لكورش ان يهدىء الوضع في جميع المنطقة واصبح من الممكن استخدام الطرق التجارية القديمة عبر شمال ايران ثانية ، وان المتوقع ان يكون لذلك نتائج اقتصادية معاكسة بالنسبة لبلاد بابل . وان هناك في الواقع اشارات

لحدوث ذلك فعلا . فقد كان هناك تضخم مالي سريع في بلاد بابل فتضاعفت الأسعار فعلا في الفترة بين ٥٦٠ و٥٤٠ ق . م. ويبدو ان بعض ملوك الدولة البابلية الحديثة كانوا واعين للمشكلة فحاولوا اتخاذ التدابير اللازمة لذلك . قام احد الملوك وهو نركال ناصر (انظر صفحة ١٧٠) عام ٥٥٧ ق م . بحملة على كيليكيا في محاولة لضمان السيطرة على الطريق الغني المتجهة غربا من شمال سوريا . وعلى كال حال ، فقد تمكن كورش نفسه من التفوق على البابليين وتمكن نفسه وبسرعة ان يسيطر على اسيا الصغرى وتجارتها . وقد اتجه اخر ملوك الدولة البابلية الحديثة نبونئيد جنوبا وامضى عشر سنوات بعيدا عن بابل في تيماء شمالي غرب الجزيرة العربية (انظر صفحة ١٧٣) مؤسسا مستعمرات على الطرق من تيماء الى المدينة في محاولة لإعطاء مملكته اقتصادا اكثر ضمانا بالسيطرة على الطرق التجارية الى جنوب الجزيرة العربية . وقد حاول نبونئيد ايضا ان يقوم ببعض الاصلاحات الاقتصادية الداخلية . ومع ذلك . فقد كانت الاصلاحات البابلية اما متاخرة او غير ملائمة ، وفي عام ٥٣٩ ق م وقعت جميع الامبراطورية البابلية في ايدى كورش . وغير كورش في الحال سياسة ترحيل سكان الدولة المفتوحة وضربت هذه السياسة ، التي بدأ بها الاشوريون واتبعها نبوخذنصر ، اقتصاد بعض اقسام الامبراطورية تماما على حساب فوائد وقتية للحكومة المركزية . وقد اشار اوبنهايم في K.Polanyi (ed.), Trade and Market in the Early Empires (1957, page 34) انه على الرغم من وجود التجارة الخارجية في العهد البابلي الحديث (التي اشير اليها مثلا ، في الرسائل كما يمكن الاستدلال على وجودها اثاريا) فهناك عدد قليل فقط من الوثائق التجارية ذات العلاقة . ومن هذا المنطلق يناقش ويقول انه لابد من تمييز اسلوبين مختلفين تماما من النشاطات التجارية الواسعة النطاق في الشرق الادنى القديم ، الاول وتمثله تجارة كبدوكيا ومستوردي النحاس العاملين في اور في عهد لارسا (انظر صفحة ٣٠٥) ، استخدم جميع اساليب البيروقراطية السومرية بما في ذلك تثبيت عقد كتابة والاخر ، والذي يجب ان نفترض انه يطابق تجارة الدولة البابلية الحديثة ، يبدو استنادا الى اوبنهايم انه كان يفضل الاتفاقات الشفوية يتبعها انواع مختلفة من الاساليب العملية (المصدر السابق صفحة ٣٤) .

التجارة الداخلية :

يقتبس الرحالة الاغريقي هيرودتس (الذي زار بلاد بابل في القرن الخامس قبل الميلاد) بعض اقوال لكورش ملك فارس ويوضح . انه كان يقصد منها اقتصاد الاغريق ، لانه كان لديهم (اي الاغريق) اسواقا حيث يمارسون البيع والشراء ، لان الفرس انفسهم لم يعتادوا استخدام الاسواق وفي الواقع لم يكن لديهم سوق واحدة في بلادهم ، والغريب ان البروفسور بولاني (المصدر السابق ص ١٦) ياخذ ذلك ليبرهن ان البابليين لم يكن لديهم اسواق او اماكن للاسواق . وان مساواة الاقتصاد الفارسي مع الاقتصاد البابلي يغفل تماما الاختلافات بين التكوين الاجتماعي والاقتصادي للفرس الذين كانوا لايزالون قبائل رحل قبل مجيء كورش بقرنين من الزمان فقط وبين البابليين الذين كان لهم تراث من الحضارة المتمدنة لمدة تزيد على الفي سنة . لذا فانه لايمكن اعتبار ما ذكره هيرودتس ذا علاقة فيما اذا كان لدى البابليين اسواق ام لا . ويتحدث البروفسور ــ اوبنهايم (المصدر السابق ٣١) عن غياب اماكن الاسواق في مدن ما بين النهرين على حين يقترح بولاني (المصدر السابق صفحة ١٧) انه لم يكن في تلك المدن مساحات مفتوحة يمكن ان تستخدم كاسواق . ومن المؤكد فان الاقتراح الاخير غير مستند على اساس : فمما لاشك فيه انه كان هناك ، في المدن الاشورية على الاقل ، ساحات مفتوحة واسعة بحيث يمكن لرجل ان يغتصب امرأة تقاومه دون ان يعكر صفوه احد ، حيث تنص احدى مواد قانون اشوري على مثل هذه الحالة . كما كان في نينوى في الالف الاول قبل الميلاد ساحة مكشوفة واسعة الى درجة تكفي لاقامة مهرجان نصر على حين اشار المنقبون على وجه التخصيص انه كان في اشنونا في الالف الثالث قبل الميلاد . في جزء كبير من طريق الشمال طوله يتسع ليؤلف ساحة عامة كما كان هناك الساحات حول مداخل المدن حيث كانت تبرم الاتفاقات غالبا في الشرق القديم (سفر التثنية ، الاصحاح ٢٢: ١٥ ، سفر راعوث : الاصحاح : ٤ : ١ وما بعد سفر الملوك الثاني ، الاصحاح : ٧ : ١ والخ ..) بينما تشير كلا من الوثائق الاشورية والبابلية من الالف الاول قبل الميلاد الى باب (ش) ماخيري bab (sa) mahiri) ابوابة شراء ، وتشير في احدى الحالات بالتأكيد الى المكان الذي كان يتم فيه تبادل الفضة بالبضائع . وان مسألة انكار البروفسور بولاني لوجود الاسواق في بلاد ما بين النهرين تبدو انها لم تكن قد احكمت ولو انه يجب الاعتراف بان الادلة الايجابية على و جود الاسواق ليست هي الاخرى قوية .

لقد سبقت الاشارة الى ان اكثر من ٩٠٪ من النصوص المسمارية المتوفرة هي اقتصادية في محتوياتها . وان ذلك يجعل من المستحيل في بضع صفحات محاولة اعطاء موجز مفيد حتى للجوانب المهمة للتجارة والتبادل التجاري في جميع الفترات المختلفة . وان الموجز الذي سيقدم لابد ان يكون انتخابا لبعضها وقد اشير في مكان اخر الى بعض خصائص النظام الاقتصادي في دويلات المدن السومرية في الالف الثالث ، ولهذا السبب ستهمل هذه الفترة ، بالرغم من اهميتها القصوى بصورة عامة في سبيل تفصيل الفترات التالية لها .

كانت التجارة في العهد البابلي القديم بصورة عامة من اختصاص طبقة تدعى تمكارو tamkaru (ومفردها تمكارم Tamkarum) وقد جرت العادة على ترجمة هذا المصطلح بكلمة تاجر ولو ان الكلمة قد تعني اكثر من ذلك بكثير كما يشير الى ذلك العالم الهولندي ليمانز W.F. Leemans طالما لم يكن التامكارم في نشاطاته المختلفة تاجرا يتجول بالبضائع نفسه فقط بل ايضا وسيطا وصرافا ومرابيا ، وكذلك يمكن ان يضاف ، وكيلا للحكومة . وقد قام البروفسور بولاني في بحثه الذي سبق ذكره بمحاولة لاعادة تحديد مركز التامكارم من وجهة نظر تعتبر ان النشاط الاخير للتامكارم كان يشمل جميع النشاطات الاخرى . فبالنسبة لبروفسور بولاني كان التامكارم «امينا عاما» (المصدر السابق صفحة ٢٤) : فكان عمل التامكارم استنادا الى هذه الفكرة هو اتخاذ ما يلزم عندما يتقدم اي شخص اليه بلوح. اقتصادي ويقوم بتسليم الاجور والنفقات ويقبل الرهن وييسر النقل ويتحمل مسؤولية الاموال والبضائع التي يعهد بها الى من يحملها (المصدر السابق ٢٤) وهكذا . اضافة الى ذلك ، يذكر البروفسور بولاني بصراحة ان التامكارم لم يجن ربحا من عمله هذا ولو انه قد ياخذ اجورا بسيطة من الاراضي التي كانت تعطى له للاستثمار عند تعيينه (المصدر السابق ٢٤) .

ومن المؤكدان التامكارم كان في بعض الاوجه وكيلا للحكومة ، اما انه كان امينا عاما في المعني الدقيق الذي تتطلبه نظرية البروفسور بولاني ، فهو امر قابل للمناقشة . ومن المؤكد ان ما ذكر بانه لتمكارم» لم يجن ربحا من العمل ليس صحيحا دائما حيث ان قوانين حمورابي (المادة ١٠١ المذكورة ادناه) توضح تماما ان التامكارم كان معتادا ان يقدم القروض الى الوكلاء وكان يتوقع ربحا يساوي ١٠٠٪ على الاقل من راس المال (انظر ادناه صفحة ٣١٩)

وهناك عدة اشارات في قانون حمورابي الى التامكارم تلقي الضوء على نشاطات هذه الطبقة . فتجارتهم لم تكن مقصورة على داخل البلاد ، ومن المؤكد ان افراد الطبقة كانوا يقومون بتجارة الرقيق خارج البلاد حيث ان قوانين حمورابي تذكر انه اذا اسر مواطن بابلي اثناء الخدمة الملكية ووقع بيد تامكارم . ولم تكن تجارة الرقيق بالطبع مقصورة على البلدان الاجنبية . وهناك الكثير من الرقم التي تظهر بان افرادا من طبقة التامكارم كانوا يتعاملون في بيع وشراء الرقيق داخل بلاد بابل . اضافة الى التعامل بالرقيق ، فقد نظم التمكارو تجارة في مواد اخرى كالمواد الغذائية والصوف والخشب والملابس والاقمشة والحبوب والنبيذ والجعة والمعادن ومواد البناء كالحصير والاجر والماشية والخيل وكثير من وسائل العهد البابلي القديم تشير الى التجارة الداخلية بمثل هذه البضائع وتظهر ان تلك التجارة كانت انذاك ، كما كانت في جميع الفترات في بلاد بابل ، تنتقل بواسطة النهر . وتوضح الرسالة التالية نشاطات التامكارم التجارية :

> قل الى بن ــ ادينّام ، هكذا يقول حمورابي : لقد اخبرني
> ايلوشُ ــ رابي ، التامكارم ... بهذه الكلمات قائلا : القد
> سلمت ٣٠ كورا من الحبوب الى الحاكم ين ــ ماكَر ولدي رقيمه
> (بهذا الخصوص) . لمدة ثلاث سنوات كنت اواصل سؤاله
> ولكنه لم يسلم (اي لم يدفع) الحبوب اليّ ، لقد اخبرني بهذا الاسلوب .
> لقد رايت رقيمه . دع سن ــ ماكَر يسلم الحبوب والفائدة عليها : ثم
> سلّمها الى ايلوشُ ــ رابي

> والرسالة التالية تبين التامكارم وهو يرسل البضائع بواسطة النهر :
> لقد اجرّ التامكارم تاملاع ابن كيش ــ نونو سفينة الملاح
> اباتم وابحرها باتجاه التيار الى بابل وتلك السفينة التي ارساها قد حملت
> الاجر حتى الان ...

ثم تستمر الرسالة لتعالج الخلاف الذي نشأ بين التامكارم والملاح .

ولم يكن التامكارم نفسه تاجرا فقط بل مموّلا للتجار يموّل الغير ليقوموا برحلات تجارية له . وهنا ايضا يهتم قانون حمورابي بالوضع فينص على الشروط التي تنظم العلاقة بين التامكارم ووكيله ويبدو ان التامكارم كان بامكانه ضمان حد ادنى من الربح يساوي ١٠٠٪ من راس المال بالنسبة للانواع الاعتيادية من القروض التي كان يعطيها الى وكيل لرحلة تجارية ونذكر المادة

المعنية في القوانين :

«اذا سلم تامكارم فضة الى وكيل للبيع والشراء وارسله في رحلة تجارية ... وواجه (الوكيل) ربحا حيثما ذهب ، فيسجل الفائدة على الفضة بقدرما استلم ويعدّون ايامه ويدفع الى تامكاره . فاذا لم يواجه ربحا في المكان الذي ذهب اليه فيضاعف الفضة التي استلمها وعلى الوكيل ان يسلمها الى التامكارم» .

وقد ذكر نوع اخر من القروض (تدميقتم) يعيد فيه الوكيل راس المال كاملا الى التامكارم اذا خسر في مشروعه وربما كان اي ربح من هذا النوع من القروض يقسم بنسب ثابتة بين الوكيل والتمكارم .

وكانت عقود القروض من الخصائص الشائعة جدا في الحياة الاقتصادية البابلية في جميع العهود . ويلخص احدا لامثال وجهة النظر الى عقود القرض في الكلمات التالية :

«قرض الدين كعملية الاتصال الجنسي واستعادة الدين هي كولادة ابن»

وواضح هنا ان الاشارة الى الفائدة التي تضاف عند الدفع . وان الشعور الديني ضد الربا الواضح جدا في القوانين العبرية والاسلامية لم يكن له وجود في العالم السومري والبابلي ، حيث كان دفع الفائدة على الدين يعتبر عملا اعتياديا ومحترما وقد اشير اليه في كل من القوانين والعقود نفسها ولكن كان ينظر الى النسب الفاحشة من الفائدة باشمئزاز وينص قانون حمورابي على مصادرة مبلغ دين التامكارم الذي يتقاضى اكثر من النسبة القانونية :

> اذا اقترض رجل دينا ولم يكن لديه فضة لاعادته ولكن عنده
> حبوبا فعلى التامكارم ان ياخذ الفائدة حبوبا استنادا الى المراسيم
> الملكية ، ولكن اذا رفع التامكارم الفائدة عليه اكثر من ١٠٠ قا
> لكل كور (من الحبوب) ... فسيخسر كل ما اعطاه (دَينا) .

وتختلف نسبة الفائدة على القروض بالنسبة لنوعية البضاعة . ففي العهد البابلي القديم كانت النسبة عادة ٣٣ ١/٣٪ على الشعير و ٢٠٪ على الفضة واما مدة العقد في وثائق العهد البابلي القديم فليست واضحة غالبا كما لم يذكر بصراحة هل كان دفع الفائدة يتم شهريا ام سنويا وبصورة عامة كانت القروض تدفع بعد الحصاد التالي او بعد انتهاء الرحلة التجارية التي اعطي القرض بسببها .

ومن انواع القروض التي كانت شائعة جدا ما يسمى (خبوتاتم) hubuttatum الذي كان يعتبر عادة انه يعني قرض بدون فائدة ، بيد ان العالم

التركي Bilgis بين ان المصطلح يدل على قرض يكون فيه المبلغ المستلم من المقترض اقل من المبلغ الذي سجل في العقد ويمثل الفرق الفائدة الواجبة الدفع . واذا لم يدفع القرض في الوقت المحدد المتفق عليه اصلا يخضع حينئذ المبلغ المثبت في العقد للفائدة وفق الاسلوب الاعتيادي . ويمثل العقد التالي نموذجا لمثل هذه العقود :

«لقد استلم شمش ــ ناصر ، الحاكم ابن سن ــ اقيشام من اليشو ــ ناصر وننا ــ ابني ١٣٣ كور (و) ابي (و) ٤ سوتو من الحنطة كقرض خبوتاتم ولمدة سنتين لن يكون هناك فائدة واذا لم يُعد الحنطة في السنة الثالثة فعليه ان يضيف الفائدة (ثم يتبع اسماء الشهود مع التاريخ)» .

ان كمية الحنطة المذكورة في العقد تمثل قرضا كان مقداره اصلا ١٠٠ كور مضافا اليه فائدة تساوى ٣٣.١/٣٪ لمدة سنتين حيث ان الكور يساوي ٥ بي ويساوى ٣٠ سوتو .

وكان من الشروط الاساسية لنفاذ معظم العقود التجارية (بما فيها عقود الدين) هو وجود الشهود وتحرير وثيقة على هيئة عقد . وقد اشرنا سابقا الى رسالة يظهر فيها حمورابي مدققاً الرقيم الخاص بالدائن قبل ان يصدر حكمه لصالحه . وقد نصت قوانين حمورابي انه لا يمكن المطالبة بالقروض التي تبرم بدون عقد محرر وشهود . ومن الاستثناءات الظاهرة لهذا المبدأ العام هو ما كان يحدث في نفس الفترة تقريبا في مستعمرة التجار الاشوريين في كبدوكيا حيث نجد نوعا من القروض يسمى ابّوتو ebuttu الذي كان من الممكن ابرامه بدون شهود او عقد ولم يكن يخضع للفائدة . غير أن هذا يمثل وضعا خاصا جدا حيث كانت هذه القروض تبرم بين اعضاء من المستعمرة التجارية نفسها من الذين كان يعرف كل منهم الاخر ويثق به .

وكانت الرقم التي تسجل العقود التجارية تختم عادة بطبعات الاختام الاسطوانية الخاصة بالاطراف المعنية او ببصمة اظفر الاصبع ، وذلك في الفترات المتأخرة ، وكان الرقيم يغلف غالبا (في العهود الاولى) بغلاف طيني يحمل نسخة ثانية من النص (انظر اللوحة ١٢٦آ) مما جعل التزوير مستحيلا حيث لم يكن يكسر الغلاف الا اذا نشأ خلاف ، فكان يوخذ النص المحفوظ داخل الغلاف على انه النسخة الرسمية من العقد ، وقد اختفت هذه الطريقة في استخدام الغلاف وكتابة النص عليه في العهد البابلي الحديث .

وقد وقعت احيانا محاولات لتزوير وتحوير الرقم وكانت من الجرائم

الشائنة . وعلى الرغم من ان الرقم كانت عادة من الطين غير المفخور الا انه لم يكن من السهل ترطيب الطين في المكان المطلوب فقط وازالة النص القديم دون اتلاف بقية اجزاء النص ومن ثم اعادة كتابة النص مجددا ، وقد يحدث احيانا تزوير الرقيم بأكمله ، غير ان ذلك كان يحتاج الى التواطؤ مع كاتب قدير .

ومن وسائل عدم النزاهة الاخرى هو عدم وجود نظام موحد للاوزان والمكابيل التي قد تختلف قليلا من مكان الى اخر في البلاد نفسها ، وقد مهد ذلك الطريق بالطبع للاحتيال حيث قد يستخدم من لا ضمير له من المتعاملين بالقروض او الشراء نظاما معينا من الاوزان في البيع ويستلم بنظام اخر . ويفضح سفر عاموس ، الاصحاح : ٨ : ٤ ــ ٥ هذا النوع من التعامل :

«اسمعوا هذا ايها المتهمون المساكين لكي تبيدو بائسي الارض قائلين متى يمضي راس الشهر لنبيع قمحا والسبت لنعرض حنطة؟ لنصغر الايقة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش» .

كما ذكر ايضا استخدام الاوزان المختلفة حسب مصلحة الاشخاص في سفر التثنية ، الاصحاح : ٢٥ :١٣ وسفر الامثال الاصحاح :٢٠ :١٠ :٢٣ ، وقد امكن التغلب على هذا النوع من الاحتيال في بلاد ما بين النهرين غالبا وذلك بتثبيت شرط في العقد بان يكون الدفع وفق مقاييس معينة ، منا الاله شمش مثلا ، اي وفق نظام الاوزان المستخدم في معبد الاله شمش . ومع ذلك ، فقد كان يحدث احيانا هذا النوع من الغش في المعاملات التجارية في بلاد بابل حيث وردت اشارات لها كما جاء مثلا في احد النصوص السحرية الموجهة للافراج عن شخص من العواقب :

التسليم بالمقياس الصغير والاستلام بالمقياس الكبير
التسليم بالشاقل الصغير والاستلام بالشاقل الكبير
التسليم بالمنا الصغير والاستلام بالمنا الكبير

اما نقل البضاعة في داخل بلاد بابل ، فقد كان يتم غالبا بواسطة السفن ، ولابد ان نهر الفرات ، ولاسيما بين المدن الكبيرة ، كان ذا متظر مزدحم غالبا . ويبدو ان مدينة ماري الواقعة على وسط الفرات كانت من المراكز المهمة لبناء القوارب والسفن . وهناك عدة رسائل يستلم فيها نائب الملك يسمخ ــ ادد من والده شمش ــ ادد الاوامر لبناء القوارب . وقد اشير في احدى المرات الى ستين قاربا ، ولو انه لم يشر الى الحجم . وفي حالة اخرى

ذكر لبناء قوارب كبيرة وصغيرة بضمنها ثلاثون قاربا كبيرا . ويبدو ان ملاحي القوارب الذين كانوا يحرون هذه القوارب كانوا يؤلفون مجموعة مترابطة بلهجتها السومرية الخاصة استنادا الى احد النصوص الادبية . كما كانوا يؤلفون مجموعة مترابطة بلهجتها السومرية الخاصة استنادا الى احد النصوص الادبية . كما كانوا ياخذون زوجاتهم معهم كما يستدل على ذلك من رسالة يشكو فيها حاكم كركميش الى نائب الملك في ماري :

«لقد احتجزوا في طولون ثلاثين شاة وخمسين اناء من النبيذوزوجة احد الملاحين» .

وكان هناك مخاطر مختلفة اخرى تتعرض لها الملاحة الى جانب اندفاع الموظفين . وقد ذكر المناخ احيانا سببا وعذرا للتاخير . لذا نجد احد الموظفين يوضح في جوابه لشكاية :

«لقد ابحرت هذه السفن ولكنياوقفتها جميعا في طولون فمنذ اليوم الذي جاءت فيه هذه السفن الى هناك انفتحت السماء وظلت تمطر باستمرار .»

وثمة رسالة اخرى تذكر بعض الحوادث التي وقعت لسفينة تحمل حبوبا الى القصر : وكان على السفينة ان ترسو على الشاطىء ، وكان الموظف يطلب التعليمات حول الحبوب التي وضعت على شاطىء النهر . وليس واضحا ماذا حدث في هذه الحالة غير ان التصادم بين القوارب في الانهارلم يكن امرا غير شائع وتعالج المادة ٢٤٠ من قانون حمورابي حالة خاصة من هذه الحالات .

وبالاضافة الى الوثائق الخاصة ببيع او نقل البضائع فهناك كثير من الوثائق الخاصة بالعقارات وكانت العقود الخاصة ببيع الاراضي والبيوت شائعة جدا في جميع الفترات منذ عهد سلالة اور الثالثة وما بعد . ففي حالة بيع عقار يبرم عقد محرر يحفظ لدى المشتري وفيما ياتي نموذج من ذلك :

«١/٢ ١ سار (من الارض) مع بيت مشيد عليها جوار بيت كنونّو وجوار بيت ارّابا ، ازاد ـــ زوكَال اشترى من اراد ـــ ننّا ودفع له ١/٢ ٨شاقل من الفضة سعره الكامل .

وقد اقسم اراد ـــ ننّا (بحياة) الملك بانه لن يقول في المستقبل (انه بيتي) .(يتبع اسماء الشهود والتاريخ)»

وكانت الفقرة الخاصة بعدم الرجوع عن العقد شائعة جدا في بلاد ما بين النهرين وخاصة في العقود الخاصة ببيع العقارات . وقد يوضع شرط جزاء خاص احيانا في حالة الرجوع عن العقد ويقدم لنا المثال التالي نموذجا لذلك :

اسار (من الارض) مع بيت مشيد عليها ، جوا بيت شوبينا
وجوار بيت بور ـــ سن ، جانبه الطولي على قنال اشكن ـــ سن
وجانبه الطولي الثاني على طول بيت ميشار ـــ كَامل القديم ،ايلوش ،
ناصر ابن بور ـــ سن اشترى من ميشار ـــ كَامل صاحب البيت .
وقد دفع له فضة سعره الكامل . وطاب قلبه (ميشار ـ كَامل)
وثبت الامر (حرفيا : (كلمته كاملة)
واقسموا يمينا بعشتار وابال ـ بيل ، الملك ، انه سوف ـ لسن
يعود احد ضد الاخر في المستقبل وان من يطالب الاخر (قانونا)
يدفع ما نبين من الفضة ويقطع لسانه» .
(ويتبع اسماء الشهود واسم الكاتب) .

ولم يكن بيع الاراضي في جميع الظروف في العهد البابلي القديم من الاجراءات السهلة والبسيطة . والعقد التالي من مدينة ماري ، على الرغم من انه بسيط في شكله الا انه ربما صيغ بشكل خاص ليتحايل على الموانع القانونية لبيع الارض المذكورة في العقد :

«لقد منح الي ـــ بالخم بقسمة (الاملاك الشائعة) ٥ سار
(من الارض) مع بيت مشيد عليها الى يارم ـــ ادد . ومنح
يارم ـــ ادد بكامل حريته وبقسمة (الاملاك الشائعة) نصف
شاقل من الفضة الى اِلي ـــ بالخم (عدة اسطر من العقد
مفقودة) .. بحضور (عشر شهود ذكرت اسماؤهم) .
لقد اكلوا الخبز وشربوا الكاس ودهنوا انفسهم بالزيت» .

وقد اعتبر القسم الاخير من النص بانه يشير الى نوع من الولائم الطقوسية لعلها ضمت الشهود الذين حضروا البيع .

وان المصطلح الذي ترجم 'منح بقسمة (الاملاك الشائعة)' هو ليس المصطلح الاعتيادي لفعل «يبيع» ولكن ربما يشير الى تخصيص املاك القبيلة الى بعض افرادها ، وانه مرادف في الواقع للفعل العبري الذي يترجم عادة «يقسّم (او يوزع) التركة» سفر العدد ، الاصحاح : ٣٤ :١٧ :١٨ وسفر يوشع الاصحاح ١٩ :٤٩ : لذا يبدو ان العقد المبرم كان بيعا تحت صور قسمة املاك شائعة . وربما كانت هذه الصورة ضرورية لان الارض موضوع العقد كانت من ممتلكات القبيلة الممنوع التصرف بها . وفي وثيقة اخرى من ماري قام ثلاثة عشر من رؤساء قبيلة ادين، بما فيهم ممثلين عن القبيلة من الساكنين

في المدينة وفي الجزيرة ، وبالاسلوب نفسه بتخصيص حوالي مائة وخمسين اكر من اراضي القبيلة الى موظف كبير اطلق عليه بانه (اخاهم) لغرض ابرام العقد .

ان جميع الوثائق التي اشير اليها اعلاه هي من العهد البابلي القديم وكان بيع العقارات في منطقة نوزي (قرب كركوك) في الالف الثاني قبل الميلاد ذا شكل مختلف تماما ففي هذا المجتمع الذي كان متاثرا كثيرا بالحوريين ، لم يكن يسمح كمبدأ عام بالتصرف بالاراضي ، ومع ذلك فقد كان هناك حوالي عام ١٤٠٠ ق . م. عدد من الرجال الاثرياء في منطقة نوزي من الراغبين في اقتناء مقاطعات كبيرة ، وكان على الرجل من هذا النوع في سبيل التخلص من الصعوبات القانونية ان يبرم عقدا على ان الشخص الذي يريد ان يشتري الارض منه قد تبناه ثم يقوم بتقديم «هدية» الى ابيه بالتبنى تمثل في الواقع ثمن الارض ، ثم يستسلم من ابيه بالتبنى «ارثه» الذي هو قطعة الارض التي يرغب ان يشتريها . وفيما ياتي مقطتفات موجزة من عقد نمودجي من هذا النوع :

«رقيم تبني خاص ب س ابن ص نظمها حقا للتبني (بخصوص) م ابن
ن . س اعطى الى م (كارث) له حصة (مساحتها) ٨ ادنجاري
من الارض المروية في نوزي على شاطىء قتال ساري ... وفي اليوم
نفسه اعطى م الى س ٩ منا من الرصاص كهدية له»

اما بالنسبة للالف الاول قبل الميلاد فمن الواضح ان التجارة قد ازدهرت في عهد الامبراطورية الاشورية الحديثة وان الازدهار الاقتصادي كان حقاً اساسا للرفاهية الاشورية في هذا الوقت يقدر النجاح العسكري . وتفاخر عدد من الملوك الاشوريين بالرفاه الاقتصادي واعتدال الاسعار في عهودهم بالرغم من ان ذلك يرتبط بصورة خاصة بازدهار الزراعة اكثر من التجارة بصورة مباشرة لذا فان شمشي ـــ ادد الاول يتفاخر انه :

«عندما شيدت معبد سيدي انليل كانت الاسعار في مدينتي اشور
٢ كور من الحنطة بشاقل واحد من الفضة وا منا من الصوف
بشاقل واحد من الفضة» .

وكانت الاشارة الى الاسعار المنخفضة احيانا نتيجة اغراق الاسواق فجاة بالبضائع (كالجمال) في اعقاب حملة ناجحة وقد اشير في احدى الحالات الى علاقة الرفاهية الاقتصادية بالتجارة بشكل مباشر حيث يتحدث سرجون الثاني عن غزو مصر في اثناء حملة على فلسطين قائلا :

«فتحت (حدود) بلاد مصر المغلقة ومزجت شعب اشور ومصر سوية وتسببت في قيام التجارة» .

ومما تجدر ملاحظتة ايضا ان احدى شكاوي ناحوم الرئيسة ضد اشور هو انها قد «ضاعفت تجار(ها) عن عدد نجوم السماء» (الاصحاح : ٣ :١٦ ، انظر اعلاه صفحة ٢٧٢) .

وفي بلاد بابل في الالف الاول قبل الميلاد يبدو ان التجارة الداخلية كانت بالدرجة الاولى بايدي مؤسسات المعابد الكبيرة كمعبد اي ــ انّا **Eanna** في الوركاء ، ولعل ذلك يهيىء وضعا يساعد على ظهور كثير من وجهات نظر البروفسور بولاني (انظر اعلاه صفحة ٣١٠) حول طبيعة الاقتصاد القديم . ومع ذلك فقد اشار اوبنهايم (انظر اعلاه صفحة ٣١٦) الى ان التجارة الخارجية في هذه الفترة كانت تتم خلال بدع عملية تختلف عن تلك التي تميز بيروقراطية المعبد التقليدية . ومن المحتمل جدا ان كان هناك خارج اقتصاد المعبد المركزي البغيض تجارة حرة في الاسواق بين الافراد ، وربما كانت اتفاقاتهم لاتحتاج الى عقود مدولة . وبالتأكيد فانه من الممكن ان نجد حتى في تلك الفترة عقود لرحلات تجارية تاخذ الشكل التالي :

«ثلاثة منا من الفضة تعود الى شم ــ اوكن ... هي اجور زبابا ــ شم ــ اون ... لرحلة (تجارية) . زبابا ــ شم ــ ادن يتمتع بحصة مساوية من الارباح بقدر ما سيكون في المدينة او الريف مع شم ــ اوكن ...» .

كما ان الاشارات الى القروض شائعة جدا ولو ان الغرض من القرض ، كما في معظم العقود الاخرى لا يذكر ، الا انه يبدو انها كانت لاغراض زراعية اكثر من التجارة . ودليل اخر على وجود التجارة خارج نظام المعبد في هذا الوقت هو ان غالبا ما نجد عقودا تستأجر فيها سلطات المعبد السفن من الافراد . وهذا يدل على انه كان هناك سفن خاصة تبحر بين مدن بلاد بابل ومن المستبعد ان عملهم الوحيد كان نقل بضائع المعبد والا وقعوا تحت سيطرة المعبد المباشرة كما وقعت اخيرا كثير من مرافق الحياة الاخرى في العهد البابلي الحديث (بما في ذلك المقاطعات الملكية) .

ومع كل ذلك وعلى الرغم من احتمال وجود تجارة خاصة في العهد البابلي الحديث الا ان معظم المعلومات المتوفرة لدينا عن التجارة في العهد البابلي الحديث ذات علاقة بالتجارة التي كانت تديرها المعابد . وكان هذا النوع من

التجارة بصورة رئيسة من الامور الادارية التي تنظم من قبل الموظفين المختصين في المعابد المختلفة . ويبدو ذلك واضحا من الرسائل كالرسالة التالية التي كتبت عام ٦١٦ ق م . الى شتامّو Shatammu مدينة الوركاء (انظر اعلاه صفحة ٢٩٤ وما بعد) من قبل رجل لابد وانه كان يشغل منصبا مماثلا للشتامّو في معبد يقع الى الشمال من ذلك ، طالما انه يدعو شتّامو الوركاء بكلمة (اخي» :

«رسالة شوزدبو الى مردوخ ــ شاكن ــ شم (وهو معروف انه كان شتامّو معبد اي ــ انّا في الوركاء) ونادن ، اخوتي عس« الاله بيل ونابويقر عافية اخوتي .

لقد اسلت بيل تائد ــ ش الى بلاد البحر (جنوبي بلاد بابل) لخشب الشبيشو Shibeshu وهو لا يعرف المنطقة ليبعث اخوتي معه رجلا يعرف الطريق : ويعطوه المؤن .

ليبعث اخوتي عفصا (بما قيمته) منا من الفضة ولياتي رسولكم اليّ وسارسل سمما ابيض مقبولا لدى اخوتي (بما قيمته) منا عن الفضة ...»

وان هذه الرسالة تعطينا مثلا واضحا عن اسلوب استخدام الفضة اساسا للتقويم بدون استخدام الفضة فعلا . وكان هذا الاسلوب شائعا بطبيعة الحال في الشرق الادنى القديم وان وثيقة مصرية من الفترة التالية لعام ١٣٠٠ ق .م . مباشرة تقدم مقلا جيدا اخر لذلك فاستنادا الى هذه الوثيقة (قضية قانونية) ذهب تاجر من بيت الى بيت ليعرض امة سورية للبيع واخيرا اشترتها زوجة احد الموظفين . وقد بثت السعر بالفضة ولكنه دفع في الواقع اقمشة مختلفة وملابس وادوات برونزية وقد قومت كل مادة بشكل مستقل .

ويمكن تتبع حركة البضائع في بلاد بابل من رسائل كثيرة اخرى من العهد البابلي الحديث تبودلت بين موظفي المعابد . وحيث ان النظر الى مثل هذه العقود كان من وجهة النظر الادارية بالدرجة الاولى اكثر من التجارية ، فقد عولج الموضوع في مكان اخر .

الفصل العاشر

الديـــانة

«اي قيمة دينية يمكن ان تفترض حتى تتعلم من البادئين؟ تامل فقط سيدي ، حالنا نحن : فديننا في كتاب ولدينا جماعة من الرجال عملهم هو ان يعلمو الدين ولدينا يوم في الأسبوع مخصص للدين ، له حرمته عند اغلب الناس ، ومع ذلك ، فلنسأل اول عشرة من الرجال الكبار ممن تقابلهم واسمع ما يمكنهم ان يخبروك عن دينهم .»

(Baswell's Life of Johnson, 29 April, 1776)

وعلى الرغم من ان البابليين والاشوريين لم يكونوا باي حال من الاحوال بدائيين ، فان من المستحسن ان يبقى تحذير دكتور جونسون في الذهن عند البدء بدراسة ديانتهم . وعلى المرء ان يقرر منذ البداية فيما اذا كان الكلام عن الدين كما كان يطبق ويمارس من قبل الرجل الاعتيادي وعائلته في كوخه الطين ام انه يدرس اللاهوت المنهجي الموضوع من قبل الكهنة . وهناك اسلوبان مختلفان من اساليب البحث . وقد يحاول الباحث وصف الالهة والتعاليم والمعتقدات المرتبطة بالديانة او انه يحاول ان يصف الممارسات الداخلية والنظرة الخارجية لمتدين متعصب . ويقع الاختيار بين وصف الامور الخارجية والعلاقات الظاهرة والتي يمكن القيام بها الى درجة كبيرة من الثقة ، وبين محاولة الوصول الى البواطن والى النواحي الروحية المملوءة بالاحتمالات وسوء الفهم .

ان الديانة البابلية لم تغمض غموضا تاما فيتعذر معرفتها نظرا لان بعض تفاصيلها قد حفظتها بعض مؤلفات الكتاب القدامى وكذلك العهد القديم . ومن هذه المصادر فقط هناك من البقايا ما يكفي لتثبيت بعض الامور المعينة : فمن الواضح ان الديانة البابلية كانت قائمة على تعدد الالهة مع خصائص ذات علاقة بعبادة الخصوبة ممثلة بقوة . اضافة الى ذلك ، فان المصادر الكلاسيكية تسهب في هذه المعلومات مع بعض التفاصيل عن نظرية خلق الكون البابلية ، اي النظريات الخاصة بخلق الكون والبشر وحتى الالهة نفسها . وان المادة الرئيسة للنوع الاخير جاءت من اجزاء بحث كتبه بالاغريقية بيروسس ، وهو كاهن بابلي عاش حوالي ٣٤٠ ــ ٢٧٥ ق م . وان بحث بيروس نفسه غير موجود حاليا غير ان بعض المقتطفات منه وردت في مؤلفات الكتاب القدامى الاخرين .

وقد زادت هذه التفصيلات القليلة والمشبوهة بشكل كبيرة وتوضحت كثيرا بفضل النصوص المسمارية الكثيرة ذات الفحوى الديني التي بدأت تظهر منذ منتصف القرن الماضي . وتضم هذه المادة الملاحم والاساطير والتراتيل والصلوات والتعاويذ والاحجيات والامثال والاقوال والرقى والتعاليم الدينية وقوائم اسماء الالهة وغيرها . وحتى الايصالات الاعتيادية قد تلقي الضوء على الطقوس عندما تشير الى بعض الامور كتسليم الحيوانات للاضاحي او الادوات الخاصة باقامة الشعائر الدينية بل حتى قوائم اسماء الاشخاص لها اهميتها في دراسة الديانة حيث ان دراسة العناصر المقدسة الداخلة في تركيب الاسماء قد تبين اي الالهة كانت اكثر شيوعا في فترة او مكان معين . وان الوثائق المعنية تختلف كثيرا من حيث السهولة والمدى الذي يمكن ان تفهم به حاليا اما بالنسبة للغة فهي مدونة اما باللغة الاكدية او السومرية او كليهما . واحيانا تلقي بعض النصوص الحثية او الحورية الضوء على الممارسات الدينية داخل بلاد ما بين النهرين على الرغم من ان اصولها تعود الى منطقة خارج المنطقة التي تعنينا بالدرجة الرئيسة . وهناك نصوص في جميع هذه اللغات لا يوجد اجماع على معانيها التفصيلية حاليا وربما كان من الضروري ان نحذر من ان الكاتب المتحيز ، او غير المتخصص الذي يقتطف ترجمات غير دقيقة ، او الكاتب المتخصص بدراسة مقارنة الاديان والذي كان قد توصل الى فكرة معينة عن تطابق الديانة في بلاد ما بين النهرين لشكل معين ، او انه لم يطلع على احدث البحوث في علم الاوريات ، يمكنه غالبا ان يستخدم نصوصا من النوع المذكور

انفا كبرهان ظاهري على نظريات مشكوك في صحتها . وكمثل على ذلك نذكر ان بعض كتب العامة عن الديانات في الشرق الادنى القديم ما زالت تعطي تفصيلات عن الاله مردوخ وهو يموت ويحيا ثانية في احتفالات رأس السنة في بابل على الرغم من ان احد العلماء البارزين في اللغة الاكدية ، وهو فون زودن من جامعة منستر ، قد بين بان هذا التفسير للنص المعتمد على ترجمة قديمة لا يمكن اثباته .

ان من مميزات دراسة الديانات التوحيدية الكبرى هي انه يمكن للمرء ان يبتدى من تاريخ ثابت تقريبا غير ان ذلك ليس ممكنا بالنسبة للديانات غير الموحدة ، نظرا لان التغيرات في المعتقدات والتحويرات في اساليب التطبيق كما نجدها كانت قد مرت خلال تطور تدريجي من نظام تعود جذوره الى عصور ما قبل التاريخ . ويصدق ذلك بالذات بالنسبة للديانة في بلاد بابل واشور الى درجة انه قد اثيرت بعض التساؤلات حول امكانية اعتبار ديانة بلاد بابل واشور ديانة سامية على الاطلاق نظرا لتأخر وصول الساميين النسبي الى البلاد .

وهناك بعض العلماء من ينكر صراحة انها كانت ديانة سامية ويصر على ان اصولها السومرية ظلت واضحة المعالم خلال جميع عهود الحضارة البابلية الى درجة يمكن اعتبارها ديانة ذات طراز اسيوي مطعمة ومكسوة بغلاف ذي خصائص سامية . ومع ذلك ، فان الراي الغالب انه على الرغم من انه كان هناك خلفية سومرية قوية ، الا ان الافكار الدينية هي مشابهة بصورة عامة لافكار العبرانيين قبل موسى والكنعانيين والعرب قبل محمد ﷺ ولذا يمكن اعتبارها سامية . وتبدو هذه النقطة ذات اهمية خاصة عند دراسة ديانة العهد القديم نظرا للميل الموجود لدى العلماء الاسكندنافيين والعلماء البريطانيين والالمان الى درجة ما لايجاد نماذج معينة في ديانات الشرق الادنى القديم وبصورة خاصة فيما يتعلق بالملوكية واحتفالات راس السنة والطقوس الخاصة بالخصوبة . وانه ليس من الصعب ، مثلا ، ان نجد الاساليب والافكار في مزامير العهد القديم مشابهة لتلك في التراتيل البابلية ومن هذا النوع من التشابه يمكن الاستنتاج بسهولة ان مزامير العهد القديم كانت تستخدم في طقوس لابد وانها كانت مشابهة لمثيلاتها (ظاهريا) والتي كانت تستخدم فيها التراتيل البابلية ، على الرغم من انه ليس لدينا ادلة اخرى على وجودها . ومع ذلك ، فاذا كانت التراتيل

البابلية المعنية من التاليف السامية التي طغت على الطقوس القديمة وعلى وجه التحديد السومرية ، فان التماثل في الاشكال الادبية بين البابلية والعبرية قد لا يدل بالضرورة على التماثل في الاستعمال . ان هذا المثال النظري هو بمثابة تحذير وليس محاولة لتقديم او تفنيد نظرية معينة .

وعلى الرغم من وجود الهة متطورة ، سنناقشها باختصار فيما بعد ، منذ فترة اقدم النصوص المدونة ، فان الديانة السومرية البابلية كانت اساسا بالنسبة لحياة الشخص الاعتيادي ديانة حيوية . فالرجل الاعتيادي كان يرى نفسه محاطا بقوى كانت بالنسبة له اما الهة او عفاريت ، فهناك العفريت الغاضب الذي يظهر نفسه اثناء العواصف الرملية التي تاتي من جهة الصحراء ، ومن المحتمل ان يضرب الرجل الذي يعترض هذا العفريت ويصاب بالتهاب الجيوب المؤلم .

وكانت النار الها ، وكان النهر الها ، فكان يمسك عند الامتحان بالرجل الشرير الذي اتي بهتانا حيث كان الشخص المتهم يقفز في الماء . كما ان الوميض الذي يظهر على الجبال قبل شروق الشمس مباشرة هو وهج هالات العقارب الذين يحرسون الشمس عند بزوغها . وهناك عدد هائل من العفاريت الحاضرة دائما للقبض على الرجل او المرأة في حالات معينة ، كما في الاماكن المنعزلة او عند الاكل والشرب او في المنام او بصورة خاصة عند الولادة . ولم تكن الالهة نفسها مستثناة من هجوم العفاريت ، فكان خسوف القمر يمثل حالة يقهر فيها اله القمر سن بصورة موقتة من قبل هذه الكائنات حيث تقول احدى الاساطير :

اخترقت الهة الشر السبعة قبة السماء وتجمعت غاضبة حول هلال الاله القمر ... فاصبح مظلما في الليل والنهار — ولم يجلس على عرش سلطانه ... فرأى انليل ظلام البطل سن [اله القمر] في السماء فدعي السيد [انليل] وزيره نسكو [اله النار] : أيه ايها الوزير نسكو ، اذهب بالخبرالى الابيس . كرر الخبر على ايا في الابيس وقل ان ابني سن الذي حجب بحزن في السماء ... وسمع ايا في الابيس هذه الرسالة وعض على شفتيه وامتلا فمه بالعويل ودعا ايا ابن مردوخ ووجهه برسالة قائلا : اذهب ابني مردوخ ! ...؟

هذه الاسطورة مقدمة لترتيلة دينية يبلو انها كانت مخصصة لوقت الخسوف ، تهدف حماية الملك ومن ثم حماية البلاد من الهة الشر السبعة التي «اجتاحت البلاد كالاعصار وهاجمت البلاد كالزوبعة» وذلك بعد انتصارها المؤقت على سن .

وكان للبابليين عزاء في دينهم الرسمي والشعبي باشكال مختلفة ، للحماية ضد اخطار العفاريت او للخلاص في حالة الهجوم . وقد يحمل المرء تميمة للوقاية (كما تظهر في اللوحة ٥٦ ب) وان الالهة العظام نفسها لم تسخر من مثل هذه البدع حيث ان مردوخ في نزاله مع الوحش البدائي تيامت «مسك بشفتيه (شيئا) من الطين الاحمر وقبض بيده نباتا من السم القاتل» .

وكان شكل التميمة المتطور يحمل صورة العفريت الذي يطلب الحماية منه كما يحمل تعاويذ سحرية تناشد الالهة العظام ضد الشرير الخطر وتقرأ احدى هذه التمائم :

«تعويذة : ذلك الشخص الذي اقترب من البيت واخافني في منامي ومزقني وجعلني ارى احلاما مزعجة ، دعهم يعينوه عند الاله باين Bine حارس بوابة العالم السفلى ، بامرننورتا امير العالم السفلى ، بامر الاله مردوخ الذي يسكن في ايزاكيلا في بابل دع الباب والمزلاج يعرف باني تحت حماية السيدين . تعويذه» .

ويبدو ان من التمائم التي كانت شائعة تميمة تعلق للحماية ضد القلق المرعب بل وضد الريح الغربية التي تجلب العواصف الرملية من الصحراء في الصيف . وكان شكل هذه التمائم اما براس غريب لعفريب منحوتا نحتا مدورا او دبوس برونزي او حجري للمخلوق باكمله (انظر اللوحة ٥٧ آ) تظهر صدره الشبية بالطير واطرافه البشرية التي تنتهي بمخالب ماسكا باحدى يديه الصاعقة عاليا وذنبه المجعد واجنحته الاربعة . وفي كلا الشكلين (انظر الصورة اعلاه حيث تظهر الكتابة على ظهر التميمة ونذكر ما يلي (مع تغييرات بسيطة) :

«تعويذة انا الاله بازوزو ابن الاله خابني ، ملك عفريت الريح الشرير . انا الذي يثور بقوة في جبل (العالم السفلي) حتى يرتفعوا . اما بالنسبة للرياح التي ترافقهم ، فقد وضعت الريح الغربية امامهم ــ الرياح ، كسرت اجنحتها» .

ويبدو ان الحملة الاخيرة هي الجملة السحرية هنا التي تحيل تلاوتها بعد تشخيص العفاريت المعينة الرياح دون قوة ضد من يحمل التميمة . وعلى الرغم من عدم ملائمة النص تماما فقد اصبحت هذه التميمة تستخدم اخيرا لحماية النساء وقت الولادة ، ولعله بسبب التشابه العام لتميمة لاماشتو التي كانت تتعلق بصورة مباشرة بالمخلوقات التي كانت تهدد النساء وقت الولادة والامهات المرضعات . ويحمل اهم امثلة النوع الاخير على احدى جهاته اربع مشاهد

يضم المشهد السفلي والاكبر اهمية شكل وحش براس اسد وجسم امرأة كشكل رئيس . ويظهر هنا الوحش وهو على حمار ــ يركب في قارب في النهر ويرضع حيوانين وُلعله يمثل لاماشتو نفسها ، وقد طردت بهذا الاسلوب السحري (انظر اللوحة ٥٤ ب لمشهد مشابه) واضافة الى هذه التمائم فهناك مجموعة من الشعائر التي كانت تستخدم ضد هذا الكائن المخيف .



كتابة على تميمة بازوزو

واذا ما ظهرت على الضحية اعراض سيطرة العفاريت ، فكان يدعى الساحر لتشخيص القلة وطرد الكاهن الشرير وكان ذلك يتم بتلاوة التعويذة الملائمة واجراء الطقوس المناسبة ومناشدة الاله . وكان الاله مردوخ ، ابن الاله ايا ، اله السحر ، اكثر الالهة التي تناشد . وكان يمكن لاي من الالهة ان يتدخل لمساعدة البشر ضد العفاريت وهناك قائمة طويلة في بعض النصوص باسماء تلك الالهة .

ومع ذلك ، لم تكن جميع الالهة راغبة على حد سواء وفعالة في مساعدة الانسانية المعذبة . فقد كان ــ مثلا ــ اثنان من التثليث الاول ، وهما انو وانليل ، بعيدين جدا او سريعي الغضب ولا يمكن الاعتماد عليهما دائما في الوقوف الى جانب البشر اما الاله الثالث ، وهو الاله ايا ، فكان يعتمد عليه كثيرا فهو صديق دائم للبشرية . وكان الاله ايا مستعدا للمساعدة في وقت المحن ويقظ دائما لكبت عضب انليل او حقد العفاريت . وكان لهذا الاله ، وهو اله الحياة والحكمة ، سلطة السحر العليا وقد وهب معرفته بكامل حريته الى ابنه مردوخ . وكان الاسلوب الاعتيادي الذي يتبعه الرجل في الضيق هو ان يتضرع الى الاله مردوخ من خلال كاهن لمساعدته في تعاسته . وتصور الطقوس النموذجية لمثل هذه الحالات الاله مردوخ ذاهبا الى ابيه ايا وهو يذكر المشكلة المعينة وبتسلم الجواب الكيس :

يا بني ، ما هو الذي لا تعرفه ... ؟

بعقبتها النصيحة حول الاجراءات السحرية الواجب اتخاذها في تلك الحالة . وكما سنلاحظ فيما بعد ان النار كانت قوة كبيرة ضد السحر وتاثيرات الشر . وكانت الالهة الاخرى الفعالة ضد السحر الاسود هي الالهة النار الثلاثة : كِيرا وكيبل ونسكو . وكانت هذه الالهة تناشد دائما ضد العفاريت والسحرة بالاسلوب التالي :

تعويذة كَيرا المتوهج ابن انو البطل انت الاقوى بين اخوتك : انت الذي يحكم في القظايا كالاله سن والاله شمش احكم في قضيتي واتخذ قرارا بشأني : احرق عرّافي وساحرى اية كيرا التهم عرّافي وساحري اية كَيرا احرقهم! اية كيرا ، التهمهم! اية يَرا اربطهم! ايه يَرا امحقهم! ايه يَرا ارسلهم بعيدا ! .

وكان الكاهنان المعنيان بتخليص الناس من القوى السحرية الشريرة او من العفاريت والارواح هما (اشيبو ومشمشو) ، وكانا يقومان بتلاوة التعاويذ واجراء الطقوس المناسبة . وقد يستخدمان التعاويذ والطقوس لشفاء المرض اما وحدها او مع بعض العمليات الجراحية والاساليب الطبية الفنية الفعلية ويوضح النص التالي ، الذي يعطي علاجا لالم الاسنان ، التراكيب السحرية الممكنة والخضروات العملية التي يمكن اتخاذها :

بعد ان صنع آنو السماوات ، صنعت السماوات الارض ، وعملت الارض الانهار ، وعملت الانهار القنوات ، وعملت القنوات الطين ، وعمل الطين الديدان ، وجاءت الديدان امام الاله شمش باكية وذرفت الدموع امام ايا : ماذا ستعطيني لغذائي ... ؟ (اجاب ايا) : ساعطيك التين الناضج .. (وقالت الديدان) : وما قيمة التين الناضج لي ؟ دعني اشرب بين الاسنان واتركني على اللثة حتى امتص دم الاسنان واتلف جوهر اللثة . ثبت الوقد (اى الكلاب) وامسك الجذر لانك قلت هذا ، اية ايتها الديدان ، فليضربك الاله ايا بقوة قبضته .

وتضم الجملة التي تحتها خط بالطبع الارشادات الفعالة بينما يبدو ان الجملة الاخيرة المذكورة كانت ترافق اللوى الذي يصاحب قلع السن الذي اختبأت تحته الديدان المعتدية . ويختم النص بارشادات خاصة باعدادسائل لغسل الفم مركب من الجعة والزيت وبعض انواع الاعشاب .

وغالبا ما اعتمدت اساليب الكهنة على اجراءات اقل عملية ولاسيما استخدام السحر العاطفي (او الرمزي) ، وهذا احد النصوص الذي يوضح ذلك يذكر في بدايته انه :

قد وضعت لعنة شريرة على هذا الرجل كعفريت الكلّو
ثم يذكر الاعراض :
لقد وقع عليه صمت مدوّخ ،
صمت ضار ، لعنة شريرة ، سحر ، صداع ،
لقد ذهب عنه الهه ،
ووقفت جانبا الهته التي ترعاه ،
لقد غطاه كالهواء صمت مدوّخ .

ثم لاحظ الاله مردوخ ، كما يذكر النص ، الرجل فذهب الى ابيه ايا واوجز له الموقف وبعد تنازله المتواضع المعتاد عن تفوقه في المعركة اعطى الى مردوخ تعليمات العلاج :

اذهب ابني مردوخ ،
خذه الى بيت الاغتسال الطاهر ،
فك سحره ، فك سحره ،
حتى الشر الفعال في جسمه ،
سواء اكان لعنة ابيه او لعنة امه او لعنة اخيه الاكبر
او لعنة قتل رجل لايعرفه
بسحر الاله ايا ،
دع اللعنة تتقشر كهذه البصلة ،
دعها تنفصم كهذه التمرة ،
دعها تفل كهذه الفتيلة .

ثم يتبع ذلك تعاويذ مستقلة لكل مادة مذكورة (كالبصل والتمر والفتيلة) وكذلك لبعض المواد التي لم نذكر سابقا (كلفات الصوف وشعر الماعز) ويبدو ان الكاهن كان يقوم باجراءات رمزية للتخلص من اللعنة الشريرة .

تعويذه كهذه البصلة التي يقشرها ويرميهما في النار ،
فتلتهمها النيران تماما ... ولن تمسك
جذورها في التربة ، ولن تتفتح براعمها ،
حتى لا تستعمل لطعام اله اوملك ، لعل القسم واللعنة

... والمرض والتعب والذنب والخطيئة ،
والشر والاثم والمرض الذي في جسمي
او في لحمي او اطرافي ينتشر كهذه البصلة لتلتهمها النار
تماما
اليوم ، لتبتعد اللعنة بعيدا حتى ارى النور .

ان ذكر بيت الاغتسال الطاهر هنا قد يوحي ان مثل المراسيم موضوع البحث كانت تتم في المعبد ، غير ان مثل هذه الطقوس السحرية لم تكن تتم في المعابد غالبا بل في البيوت الخاصة او في غرفة المريض او في كوخ من الحصير او بجانب النهر او في العراء .

ومن الاساليب السحرية الاخرى المستخدمة التي تختلف عن السحر العاطفي ما يسمى بالبديل . ويزودنا نص من اشور بمثال على ذلك وفيما يلي ترجمة موجزة له :

لعمل بديل لرجل مطلوب من الهة الموت . عند غروب الشمس يمدد الرجل المريض جديا الى جانبه على المنام وعند الفجر تنهض (اي الكاهن) وتنحني (الى اله الشمس) ويحمل الرجل المريض الجدي في حضنه الى بيت فيه شجرة الطرفاء وتجعل (اي الكاهن) الرجل المريض والجدي يتمددان على الأرض . وتلمس حنجرة الرجل المريض بخنجر خشبي وتقطع حنجرة الجدي بخنجر برونزي ... ثم تلبس الجدي الملابس وتلبسه حذاء وتضع الكحل في عينه وتصب الزيت على راسه وتاخذ قبعة الرجل المريض وتربطها على راس الجدي وتكفن الجدي وتعامله كرجل ميت . ثم ينهض الرجل المريض ويقف في المدخل بينما يعيد الكاهن الرقية ثلاث مرات ويخلع الرجل المريض رداءه ويعطيه للكاهن ويذهب . ويولول الكاهن للرجل المريض قائلا : لقدمات فلان ابن فلان! ويامر الكاهن باقامة ماتم ويدفن الجدي .(١)

يعود ابسط اشكال التعاويذ من الانواع التي ذكرناها الى عهد سلالة اور الثالثة (حوالي ٢١٠٠ ق . م) على الرغم من انه لم تنظم مجموعات من هذه

(١) قد يعكس هذا الاسلوب في تخليص المريض من مرضه بتقديم بديل له اصداء لقصة الفداء الخاصة بالنبي ابراهيم عليه السلام سيما وان النص الاشوري يعود الى فترة تالية ولايستبعد ان ظلت حادثة الفداء عالقة في اذهان الناس حتى غدت من الاساليب السحرية التي يستخدمها الكهنة لشفاء الناس من الامراض .

لنصوص حتى وقت متاخر جدا . وتعرف المجموعات الرئيسة الثلاثة باسم **شُربُ** shurpu **ومَقلُ** maqlu **وأتُكّ لمنُتِ** utukki limnuti (الارواح الشريرة) وتوضح عناوين المجموعتين الاوليتين (وكلاهما يعني 'الحرق ') عن ان النار كانت وسيلة رئيسة لطرد تاثيرات الشر على الرغم من وجود وسائل اخرى لاسيما في خالة الارواح ، وعلى الرغم من ارتباط نوعي الحرق الوثيق لانهما يختلفان بمفعولهما . فتعاويذ **المقلُ** كانت تهدف بشكل رئيس لاحباط كيد العرافيين والسحرة من البشر : وكانت ترافق السحر الاسود وكانت تتلي وكان شكل الساحر الذي صنع الشر والمصنوع من الشمع او الخشب او البرونز او القماش يحرق بالنار . اما طقوس **الشربُ** ، من ناحية اخرى ، فقد كانت وسيلة للتخلص من الذنوب سواء كانت ذنوب المصاب او مخالفات الشعائر او انتهاك المحرمات التي اغضبت الاله وبذا جلبت المرض على المصاب . وكانت تتم على بعض المواد التي كانت تحرق بعد ذلك . اما تعاويذ وطقوس **اوتوكّ لمنُتِ** فقد كانت تطبق لطرد انواع معينة من الارواح الشريرة .

ولم تكن هذه الانواع الثلاثة من التعاويذ هي الوحيدة المعروفة او المستعملة ، فهناك نص يتضمن جدولا مفصلا لمثل هذه العناوين ويتضح الغرض منه من السطر الاول : عناوين المجموعات اللازمة لدراسة وتعلم كهانة طرد الارواح . وتتضمن القائمة التالية اضافة الى تلك التي ذكرت سابقا فقرات كالصداع والم الاسنان وبيت الاغتسال وفك اللعنة والشرور من جميع الانواع و«حسد العين» و«علاج لسع الثعبان» وعلاج لسع العقربة ، وطقوس سحرية للمدينة والبيت والحقل والبستان والنهر ، وكان البحث عن مثل هذه الطقوس السحرية يتم وتجمع لمكتبة اشور بانيبال ، كما تشير الى ذلك رسالة موجهة الى موظف تبين قائمة برغبات الملك .

وكانت جملة الارواح الشريرة التي تهدد البابليين والاشوريين على انواع عدة منها العفاريت 'اولاد انو 'و'ذرية من جبال الغرب 'وغالبا ما كان يشار الى هذه العفاريت بصيغة الجمع 'بالسبعة ' على الرغم من انه يمكن في الواقع تمييز اكثر من سبعة انواع . ولعل المصطلح كان يشير اصلا الى مجموعة معينة . وكان هناك **اللامشتو** التي سبق ذكرها ، وهي من الارواح المخيفة التي كانت تهدد النساء عند الولادة وتسرق الاطفال من صدور امهاتهم . ومن العفاريت المخيفة الاخرى عفريت **نامتارو** وهو عفريت الطاعون ورسول الاله نركَال، اله العالم السفلي . كذلك رابيصو ، اي الرابض الذي كان يتواجد في المداخل

والزوايا المظلمة . وكانت ليليتو ، ولعلها تقابل ليليت العبرية(١) (على الرغم من ان هناك من لا يعتقد بوجود علاقة بينهما انظر ادناه صفحة ٥٤٤ شيطانة تزور الرجال وتقلق نومهم باقتراحات الفسوق : وكان يولد من هذا الاتحاد مخلوقات كالالو والگلو ، وهي وحوش بدون اوجه تمزق من يقع تحت سلطتها التي كانت تتجمع حول منام الرجل المريض لتحمي ابلها بعد الموت ، كما يستفاد من الاشكال المماثلة في الاخبار اليهودية . اضافة الى هذا فهناك اشباح الموتى من البشر الاعتيادية وكانت هناك اشباح اولئك الذين ماتوا بالقوة او نتيجة لانتهاك المحرمات :

سواء اكان شبح من قتل بالسلاح او شبح من مات لذنب
اقترفه ضد الاله وجريمة ضد الملك .

فقد كانت تطوف بصورة خاصة ، كما كان حال من يهمل من قبل عائلته فيما يخص مراسيم الجنازة وشعائر ما بعد الموت :

شبح منسي او شبح لم يذكر اسمه او شبح من ليس له احد
يعني به .

ولم تكن مثل تلك الاشباح لتترك الرعب في قلوب من تتعقبهم بل قد توقع الضرر باولئك الذين تظهر لهم . وكانت هناك تعاويذ وطقوس لمواجهة مثل هذا الخطر وفيما يلي مثال على ذلك :

يعد خبز غير مخمر من مواد معينة بينما تتلي التعويذة ثلاث
مرات :
ايها الاموات ، لماذا تظهروا لي ، انتم يامن مدنهم الخرائب ،
وبيوتهم (؟) العظام؟ فانا لا اذهب الى كوثا
حيث تجتمع الاشباح . لماذا اذن تطاردونني؟ عسى ان
تطردوا باسم :
[وتتبع اسماء الالهة] . .

وعند غروب الشمس يؤخذ الخبز السحري الى جحر حفر حديثا فيسكب من خلال قرن ثور الطحين والماء ثم يوضع مشعل للمبخرة الموضوعة جانبا . وبينما كان لهيب المبخرة يتصاعد الى الشمس اثناء غروبها تتلي تعويذة اخرى تطلب من الاله الشمس ان يطرد الارواح الشريرة المعتدية :

---

(١) وربما اشتقت كلمة ليل وليلة العربية من الاصل نفسه .

سواء خيال شرير كان او الوشرير او شبح شرير او
كَلو شرير او شبح مدفون او شبح غير مدفون او شبح من
ليس له
اخ او اخت او شبح من ليس له احد يذكر اسمه او شبح من
كانت عائلته من الرحل او شبح منْ ترك في الصحراء ..
عينه لمحافظة اشباح عائلته .

واخيرا في حالة مرض الرجل نتيجة ضربة الشبح العقلية ، والمفروض ان الشبح كان يرغب ان يرى مريضه في القبر ، يعمل صورة للرجل المريض من الشمع وتوضع في مدفن العائلة مع اشكال طينية للاشباح . ولذلك غايتان ، الاولى دفن الاشباح بشكل رمزي وفي نفس الوقت . خدعهم بالاعتقاد ان ضحيتهم قد ماتت .

ومن العلاجات الاخرى التي كانت تطبق العلاج التالي ، وهو ليس كالوضعية السابقة بل كان يحتاج الى تشخيص محدد للشبح فكانت توخذ قطعة من الارض وتطهر وفق المراسيم باقامة الطقوس وتلاوة التعاويذ لمدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع يصنع فيها تمثال للشبح الاثم . وكان التمثال يدمج بالشبح وذلك بكتابة اسمه على فخذه الايسر ولكي يفقد الشبح قوته كانت تلوى قدميه ويرمي على الارض ويوضع سن كلب في فمه لسده . وتوضع دكه في الموضع الخاص حيث يسكب الشراب الى الاله شمش ، اله الشمس ، ثم يتلو الكاهن ثلاث مرات :

انا ادعوك باسم الاله شمش في غروبه ان تترك جسم فلان بن
فلان اذهب اتركه!
ثم يضيف .
هكذا تقول وتدفن ذلك التمثال في حجر عند غروب الشمس
وسوف لن يرى ذلك الرجل شبح الميت طالما كان على قيد
الحياة .

وكانت الاساليب المتبعة تختلف قليلا ان لم يكن العفريت قد تم تشخيصه سحريا لكي يخدع بالتمثال الطيني ، ومن ثم كان يتم التخلص من التمثال الذي يتقمص العفريت بطرق مختلفة والنصين التاليين مقتطفين من تعاويذ تتعلق بالعفريتة المخيفة لاماشتو :

رقية من اجل لاماشتو

طقوسها : تطهر المكان وتاخذ طينا من المكان وتصنع صورة للاماشتو وتضعه عند راس الرجل المريض وتملأ الموقد بالرماد وتضع خنجرا فيه ، وتضعها لمدة ثلاثة ايام عند راس الرجل المريض ، وفي اليوم الثالث في نهاية اليوم تجلبها وتضربها بالخنجر وتدفنها في زاوية الجدار :

رقية من اجل لاماشتو

طقوسها تعمل تمثالا لابنة الاله آنو (اي لاماشتو) من طين حفرة ، وتصنع تمثال حمار من طين حفرة وتزوده بالعلف ... تصنع شرابا من الخبز والجعة وتذبح خنزيرا صغيرا وتضع قلبه في فم ابنة انو ولمدة ثلاثة ايام تتلو التعويذة امامها ثلاث مرات في اليوم . وفي اليوم الثالث في نهاية اليوم تجعلها تخرج الى العراء .

ومن الامثلة المفصلة عن طقس لازالة روح شريرة هو بطريقة صيدها ببعض الاشياء ومن ثم ازالتها فعليا كما يزودنا بها النص التالي المترجم ترجمة مختصرة قليلا :

من اجل اله جامح يجلس على الرجل ويمسك فمه لا يتمكن من ان ياكل طعاما او يشرب ماء .

يربطون ذكر الماعز البالغ عند راس سريره ويقطعون عصا من البستان ويجدلون خيوط ملونة على العصا ويملاؤون كوبا بالماء ويكسرون غصنا من البستان ويضعون العصا وكوب الماء والغصن ثلاثتهم في مدخل المدينة ...

ثم يحمل الحمالون ذكر الماعز البالغ والغصن والعصا وكوب الماء الى الارض المتروكة ولاياخذوها جميعا الى منطقة ريفية واحدة بل يفصلون العصا وكوب الماء عن بعضهما البعض ويحملون الغصن وذكر الماعز البالغ الى المنطقة الريفية (التي تقع) على الطريق الرئيسي . ويذبحون ذكر الماعز وياخذون الاظلاف مع الجلد ويقطعون الرأس (ثم) يطبخون اللحم ويملاءون انية برونزية بالعسل والدهن ويجلبونها (الى هناك) (ثم يلبسون الغصن بالجلد ويربطون الارجل الامامية بالاوتار المصارين؟ ويحفرون حفرة ويسكبون العسل والدهن فيها

(ثم) يقطعون الارجل الامامية ويضعونها في الحفرة ...

ان بقية النص مهشم الى درجة لاتسمح باعطاء ترجمة لها غير ان خاتمة النص باقية وتنص على :

وسيعيش ذلك الرجل ويذهب الاله الذي عليه (ومن ثم) يفتح
فمه وياكل طعاما ويشرب ماء .

اما العفاريت التي يسبب هجومها على الرجل المرض ، فيمكن ارضاؤها او خداعها باساليب اكثر بساطة وذلك باعداد البديل ، وقد ياخذ البديل شكل حيوان او بل وجماد كقصبة بطول الرجل توضع الى جانب المصاب وتشخص معه بالتفصيل ويشرح نص مثل هذه المراسيم فيذكر :

لقد استقر عفريت ـــ الا ساكّو الشرير في جسم الرجل ، انه
يغطي الرجل كالرداء اثناء تجواله انه يمسك بيديه ورجليه
ويشل اطرافه :
وهناك اشارة اسطورية غامضة الى الالة ايا ، اله السحر ،
تتقدم النص الخاص بالطقس :
الجدي هو بديل البشر ، لقد اعطي الجدي من اجل حياته ،
اعطي راس الجدي بدلا من راس الرجل ، اعطيت رقبة
الجدي
بدلا من رقبة الرجل ، اعطي صدر الجدي بدلا من صدر
الرجل ،

ومن الممكن ان نشاهد ان الاعتقاد بان العفريت يحتاج الى مسكن اخر له عند تركه الرجل نشاهده في احدى قصص العهد الجديد ، وهي قصة خنزير الكَدارين (متى الاصحاح الثامن : ٢٨ ـــ ٣٢ ، لوقا الاصحاح الثامن ٢٦ ـــ ٣٣) . واستنادا الى الفكرة الواردة في الانجيل فقد دخلت الشياطين التي طردت من رجل واحد الى تلك الحيوانات السيئة الحظ وتعد رواية العهد الجديد ان الشياطين دفعت الضحايا الانسانية الى الصحراء وهي المنطقة المفضلة بشكل خاص بالنسبة للشياطين ، وانها كانت تخاف ان ترسل الى الابيس بعد ان تطرد : ان فكرة الابيس والكلمة نفسها يعودان كلاهما الى الابسو السومرية الاكدية ، وهي المياه الابدية العميقة . كما ان فكرة الفائدة من توفير مسكن اخر للشيطان المغرور تنعكس في قصة رمزية في العهد الجديد ايضا :

اذا خرج الروح النجس من الانسان يجتاز اماكن لبس فيها ماء
يطلب راحة ولا يجدها . ثم يقول ارجع الى بيتي الذي

خرجت منه . فياتي ويجده فارغا مكنوسا حزينا . ثم يذهب
وياخذ معه سبعة ارواح اخر اشرُّ منه فتدخل وتسكن هناك .
فتصير اواخر ذلك الانسان اشرُّ من اوائله (انجيل متى :
الاصحاح الثاني عشر ٤٣ ــ ٤٥) .

ولم تكن جميع العفاريت ذات موقف عدائي من البشر ففي الواقع ان بعض التعاويذ تختتم كالاتي :

ليذهب **الاوتكو** الشرير **والالو الشرير**
وليحضر الاوتكو الخير والجني الخير

وكما سبق ان ذكرنا عن العفاريت الخيرة التي كانت تقابل القوى الحاقدة : كان هناك ارواح **الاوتكو** الطيبة والممثلين الطيبين لمختلف انواع العفاريت ومن هذه الكائنات **الشيدو واللاماسّو** وكان هذان يقفان في مداخل القصور الملكية الاشورية على هيئة اسود وثيران مجنحة ضخمة (انظر لوحة ٥٣) وكانت تمثل قوى تقي ضد الشرور . وكانت الحماية للبيوت الخاصة او غرف النوم بنفس الطريقة فتوضع تماثيل واقفة في المداخل او تدفن تحت العتبة وقد عثر على كثير من هذه التماثيل . ففي مدينة اور ، مثلا ، عثر على تماثيل طينية في صناديق الاجر المفخور وضعت تحت الارضية اسفل الجدران .

وكانت هذه الصناديق المزودة بالغطاء مفتوحة من احدى نهاياتها باتجاه وسط الغرفة حيث كان التمثال يراقب ويحرس من خلالها . وكانت تماثيل الطين المكتشفة في اور هذه ، وفي بعض الاحيان قد طليت بالجير ثم طليت باللون الاسود والابيض ، على انواع مختلفة . فهناك اشكال ادمية مرتدية لباسا مولفا من قبعة مدببة ورداء طويل ملون بالحراشف : ويمثل هولاء الرجال ــ الاسماك ، وهي مخلوقات ذكرت في الاساطير . ولبعض الاشكال الاخرى جسم انسان ورؤوس واجنحة الطيور وبعضها يمثل الها صغيرا ذا نظرة خيّرة بذقن ورداء طويل (يشبه في مظهره اللوحة ٣٠) قد ضم يديه ووضعهما على صدره وكأنه ماسك بشيء ما . والبعض الاخر تماثيل طينية للمشورشّو او التنين الاحمر ، وهو مخلوق مركب من جسم كلب وراس ثعبان بذنب طويل . ولشكل اخر من التنين انظر اللوحة ٥٦ أ .

وقد كشف عن معظم الطقوس التي كان يتم خلالها عمل هذه الاشكال ووضعها لحماية البيت . وتبدأ بتعداد الاسباب الممكنة لسوء طالع البيت :

سواء ظل شرير كان او روح شرير او شبح شرير او غول

شرير او اله شرير او الرابض الشرير او لاماشتو او
لاباسو او القابض او ليلو او ليليت او وصيفة الليلو
او يد الاله او يد الالهة او وباء ... او عفريت
الطاعون او عفريت الحظ السيء [حرفيا : هو الذي يجلب
الاشياء السيئة في الحياة] او الموت او الحرارة او الخمس او
القاتل ... مهما كان هناك ... الذي يوذى الانسان ، في بيت
الرجل ...

يلي ذلك التعليمات الخاصة باعداد الاشكال من الخشب والطين لحماية البيت :

تنثر ماء مقدسا ، وتقيم دكة الطقوس وتقدم الخراف
للاضحية وتجلب لحم الخنزير والشحم واللحم المشوي .
وبعثر التمر والطعام الجيد وضع حلوى من العسل والزبد واقم
مبخرة مع خشب الصنوبر واسكب النبيذ وانحني احتراما ،
وطهر المبخرة والمشعل واناء الماء المقدس وخشب
الطرفاء ، واتلو ما ياتي امام شمش : تعويذة : ايه شمش ،
السيد العظيم ، القاضي المبجل ، الذي يشرف على اقاليم
السماء والارض ، الذي يرثه الاموات والاحياء ،
انت ... الطرفاء المقدس ، الخشب الطاهر لشكل التمثال
الذي ساقيمه في بيت فلان بن فلان للتغلب على الاشياء
الشريرة ، لقد انحنيت امامك ليكن الشيء الذي ساعمله ذا
فائدة كاملة .

وكانت الطرفاء التي ارتبطت بالاله الشمس تقطع بالاسلوب المقبول ويقول الكاهن :

تقول هذا ثم تشق الطرفاء بفاس من الذهب ومنشار من الفضة
وتقطعها بآلة **القلمو**[1] :

وكان يصنع بعد ذلك من الخشب مجموعات مختلفة من الاشكال وتوضع عليها الالبسة الملائمة وتوضع في الوضع المناسب وبعد ذلك تتلي التعويذة

---

(١) من المحتمل ان يكون هناك علاقة لغوية بين كلمة قلمو باللغة الاكدية والتي لايعرف معناها بالضبط وبين كلمة 'قلم' بالعربية سيما وان الكلمة العربية تستخدم في اللهجات العامية للدلالة على آلة معدنية على هيئة القلم من قبل النجارين على وجه الخصوص .

الخاصة بها . وفي الصباح التالي ، وعند شروق الشمس ، كانت توضع الاشكال سوية مع المخبرة والمشعل والاناء المقدس وسبع حبات من الفضة وسبع حبات من الذهب وقطعتين من الاحجار الثمينة في اناء يدعى **كولاتو**(١) Kullatu ثم يعمل شراب من اجل الاله شمش وتتلي تعويذة **كلاتّو كلاّتو** .

ويعمل بعد ذلك مجموعة من التماثيل . وهذه المرة من الطين . وحيث ان النماذج الطينية تبقى فترة اطول في التربة الرطبة من الخشب المنحوت ، لذا كانت الاشكال التي وجدت في اور وغيرها من هذا النوع ولابد ان معظم هذه التماثيل التي وجدت تحمل اصلا كتابات بجمل سحرية ، كما يشير الى ذلك النص الذي يذكر عند الاشارة الى هذا النوع من الاشكال الطينية وهي على هيئة الكلب :

اسم كلب واحد مغطى بالجبس : 'لاتقف لتفكر افتح فمك ' ،
اسم الثاني : 'لاتقف لتفكر عض ' ،
اسم كلب اسود :'التهم حياته! ' ، اسم الاخر ، 'دوي العواء ' ،
اسم كلب احمر : 'طارد عفريت الاساكّو asakku اسم الاخر :'ماسك العدائي '
اسم كلب اخضر : 'الذي يجعل العدو يهرب ' ، اسم الاخر :'من يعض عدوه ' ،
اسم كلب مرقط : 'مقدّم الخيرين ' ،
اسم الاخر : 'طارد الحاقدين ' .

وفي الشعائر الخاصة بتطهير البيت كانت جميع التماثيل المصنوعة من الخشب والطين توخذ الى شاطىء النهر وتوضع بمواجهة الشرق وعند شروق الشمس كانت تتم مراسيم اخرى للتضحية وتقديم الشراب الى الاله الشمس ثم تعاد التماثيل الى البيت ويعقب ذلك اضحيات اخرى وشراب في البيت ، وهذه المرة للاله مردوخ والى الالهة الثلاثة العظام ، والى اله والهة البيت والى الروح الحامية (شيدو Shedu) للبيت ، والى ملكة العالم السفلى باحد القابها العديدة الاله الشمس ثم تمسح النقاط المهمة في البيت كالزوايا والسقوف والهوائيات بمختلف المواد وتطهر ، ثم توخذ مواد التطهير بعد ذلك الى

---

(١) ربما ارتبطت هذه الكلمة بصيغتها ومعناها بكلمة قلّة العربية سيما وان الكتبة القدماء قلّما ميزوا بين القاف والكاف في كتاباتهم السماوية .

المدخل وعندها يكون الشر قد ابعد موقتا وعلى التماثيل يقع عبء المحافظة على البيت مطهرا روحيا ، لذا كانت الاضحيات تقدم بعد ذلك في التماثيل وتتلى التعاويذ التي تميزهم بانه :

> بسبب بعض الاشياء الشريرة التي تقف وتدعو لاغراض خبيثة في بيت فلان بن فلان ... لقد اقمتكم في المدخل على اليمين وعلى الشمال لتبددوهم من بيت فلان بن فلان ليترك اي شيء خبيث اي شيء ليس جيدا عنكم بمسافة ٣٦٠٠ ساعة مضاعفة .

وكانت الشعائر التي ذكرناها مطوله ومعقدة ، وبلاشك ذات كلفة عالية ، ولكنها كانت فعالة ضد جميع انواع تاثيرات الشرور ، وربما لفترة غير محدودة وكان من الممكن التخلص من تأثيرات شرور محددة بوسائل ابسط من ذلك غير ان فترة ضمان نفاذ ذلك كانت محددة لسنة واحدة .

> لتقطع قدم الشرير من بيت رجل ، عليك ان تدق وتصحن وتمزج بعسل الجبل بذر الـ ... (سبع نباتات مذكورة) ... قسمّها الى ثلاثة اجزاء ، ادفنها في عتبة الدار الى اليمين والى اليسار فلن يقرب المرض والصداع والأرق والوباء ذلك الرجل وبيته سنة واحدة .

ولم تكن تاثيرات الشرور كالتي كانت توجه ضدها مثل هذه الطقوس لتهاجم رجلا بمحض اختيارها . فغالبا ما كانت توجه بالسحر . وكمعظم الاقوام الاخرى ، فقد عرف البابليون السحر الضار والسحر الخيّر وكانت ممارسة السحر الاول غير مشروعة وممنوعة قانونا منذ عهد حمورابي (حوالي ١٨٠٠ ق . م.) وكان الساحر يعرض نفسه لعقوبة الموت . غير ان التشريعات كانت في كثير من الاحيان غير قادرة على منع الشرور وغير نافعة ضد نتائجها المؤلمة وبغية مواجهتها ، فقد كانت الحاجة لطرد الارواح قائمة . وهناك العديد من النصوص التي تضم اسلوب طرد الارواح لهذا الغرض ومثل هذه النصوص يتضمن اولا التشخيص ، ومثال ذلك :

> لقد عملت الساحرة سحرها الشرير ،
> لقد جعلتني اكل روحها غير الطيبة ،
> لقد جعلتني اشرب شرابها لتاخذ روحي ،

لقد غسلتني بماء غسيل قذر لان وجودي هو وجود رجل ميت ،
لقد مسحتني بزيتها الرديء لتدميري ،
لقد جعلتني امرض بمرض سيء هو قبضة اللعنة ،
لقد عينني لشبح غريب يتجول وليس له عشيرة ،

ويعقب التشخيص المعالجة ، حيث يعني الاله اسارلوخِي [مردوخ العظيم] بحالة المصاب ويخبر والده ايا اله الحكمة والسحر العظيم ويقول :

ابي الذي خلق البشر بيديه ،
لقد ذهبت الساحرة لتاخذ روحه ،

ويعيد الى ايا واقع التشخيص الذي ذكرناه انفا .

وفي نهاية الحديث يجيب ايا الاله مردوخ ويعطيه تعليمات العلاج :

اذهب ابني مردوخ اعطه شرابك الطاهر شراب الحياة دعه ياكل نبات الحياة ، دعه يدهن نفسه ويغتسل ، ... توصل الى ساحرته بريح فمك دع ريح فمك تصلها ، دع السحر والسم والقذارة بعيدا عنه بتعويذه الحياة الطاهرة دع اللعنة تذهب الى البرية ، دع شبح الغريب يختفي ... دع الرجل يعيش ، دع الرجل يكون صحيحا ، ودع الرجل يكون معافى امامك الى الابد ، وليفك مردوخ ما عملته الساحرة لقتله كما يعطي الحياة لرجاله .

ونظر للجوء ممارسي السحر غير المشروع الى الممارسة السرية فانه من لمتوقع ان لانجد الا اشارات قليلة حول نشاطاتهم ، ومع ذلك فمما لاشك فيه انه كان هناك سحر غير مشروع منتشر ومخيف كما يستدل على ذلك من الاشارات العديدة لطرد الارواح . وان طرد الارواح النموذجي قد يتضمن الفقرة التالية :

تعويذة . ساحرتي وعرافتي تجلس في ظل كومة من الآجر . تجلس وتعمل السحر ضدي . تعمل تمثالي انا . البيت ضدك ، نبات الخاشو والسمسم . ابدد سحرك ، اعيد كلماتك الى فمك ، ليكن السحر الذي صنعته ضدك ، ان تعويذتك سوف لن تقربني ، وكلماتك سوف لن تصلني بامر الاله ايا وشمش ومردوخ والاميرة بيليت — ايلي . تعويذة .

ويمثل هذا جزءا من النص الخاص بتعويذة يقوم الممارس الرسمي بها لابعاد قوي السحر التي وجهها السحر ضد ضحيته او ضحيتها لقاء اجور . وان النصوص المماثلة شائعة بكثرة . ومع ان النصوص الاصيلة التي استخدمت في الممارسات غير المشروعة للسحر الاسود اكثر ندرة ، الا ان بعضها معروف . واحد النصوص بهذا المعنى هو رسالة الى الاله تناشده بان يدمر ويسجن الكاتب وجميع عائلته وقرابته ويبدأ النص كالاتي :

تعويذة باوا ــ اخ ــ ادينّا ... يخاطب السيد العظيم ننورتا ،
هكذا : ايه ننورتا ، السيد العظيم ، مزق قلب وانهى حياة
واقتل زوجة وامحق اولاد واقرباء ومعارف واسم وبذور
ونسل واحفاء باو ا اخ ــ ادينّا

ثم يختتم النص بقسم عظيم يزعم ان باو ا ــ اخ ــ ادينا ، السيء الحظ . قد حلفه مؤكدا للاله الواثق ، ولعله المحتار ، ان باو ا ــ اخ ــ ادينا واقاربه يتحملون :

تاثير وعقوبة وذنب وخطيئة حنث هذا القسم

ومع ذلك ، لم تكن جميع الالام التي تصيب الرجل نتيجة السحر او العفاريت الخبيثة . فقد تصيب الرجل الام نتيجة افعاله وذلك بانتهاك المحرمات . لذا فقد كان من المعروف ان كانت هناك انواع معينة من الاطعمة والفعاليات المحرمة في ايام معينة وتقرأ في النص :

في شهر تشريت ،...
اليوم الاول ... لايأكل (الرجل) الثوم والا لسعته العقرب ،
ولاياكل البصل ، والا اصيب بالاسهال ...،
اليوم الثاني : سوف لن ياكل الثوم والا مات شخص مهم في
عائلته ، ... لايصعد الى السطح والا تزوجته وصيفة ليلو .
اليوم الثالث... سوف لن يتصل جنسيا بامرأة والا اخذت تلك
المرأة قابليته الجنسية ،
اليوم الرابع سوف لن يعبر نهرا والا ذهبت رجولته ،
اليوم الخامس سوف لن ياكل لحم خنزير والاكانت هناك
دعوى ضده ، وسوف لن ياكل لحما مطبوخا والا ضربه
العفريت الرابض ولا ياكل لحم البقر والا وضع عفريت

الاتوكو اليد عليه ، ولا ينحني الى صديقه والا ضربه الاله
الصغير شولاك .

وكانت تدقق مثل هذه الامور لمعرفة السبب فيما اذا احزن الرجل مرض او مشكلة وبعد ذلك هناك خطوة اخرى للاستفسار عن فعاليات الرجل الاخرى التي يمكن ان تطلق عليها محافظته للقيم الخلقية . لذا نجد تعويذة خاصة لمن هو مريض او في خطر او مذهول او شديد الاضطراب ، وقد ذكرت ذنوبه المحتملة ويقول النص انه يكون قد :

اكل ما هو محرم لالهه ، اكل ما هو محرم لالهه ... فرق بين
الابن وابيه ، والاب عن ابنه ، فرق بين البنت وامها ، والام
وبنتها ، فرق بين الكنة وحماتها ، والحماة وكنتها ، بين الاخ
واخيه ، والصديق وصديقه ،

او انه فشل في اداء واجباته حيث انه :

لم يطلق سراح الاسير ، لم يطلق سراح الرجل المقيد .. (بل)
قال بالنسبة للاسير 'احتفظ به اسيرا ' وبالنسبة
للرجل المقيد 'قيده جيدا ' .

اوانه

عامل الهه بعدم احترام ، واهمل الهه ... اهمل والده
ووالدته ، عامل اخته الكبرى بعدم احترام ، باع بالمقياس
الصغير واستلم بالمقياس الكبير ، قال 'ان هناك ' بينما لم يكن
هناك ، قال 'ليس هناك ' بينما كان هناك ... وضع حجر
حدود مزورة ، دخل بيت جارة ، نام مع زوجة جاره ، اراق
دم جاره ... فرق عشيرة مجتمعة ... قام باعمال وضيعة ،
وضع يده على السحر والعرافة .

ومن الذنوب الاخرى التي يحتمل انه اقترفها انه :

اكل شيئا محرما على المدينة ... تكهن لمدينته بالسوء .. ،
نام في منام شخص ملعون ، جلس على كرسي شخص
ملعون ،
اكل على مائدة شخص ملعون ، او شرب من كاس شخص
ملعون ،

وبعض هذه الذنوب هي من وجهة النظر الحديثة خلقية بحتة ومع ذلك فان

التمييز بين الذنوب الخلقية وبين انتهاك المحرمات غير المقصود لم يكن واضحا . وليس بذي معنى بالنسبة للبابلي والاشوري القديم الذي لم يكن ينظر الى واجباته الدينية بانها قوانين اخلاقية بل انها ارادة الالهة التحكمية والتي لا يمكن التنبوء بها غالبا .

وعلى الرغم من ان قرارات الالهة كانت فردية استبدادية الا ان الانسان لم يترك دون دلالات عن الارادة المقدسة . وكان يفترض ان رغبات الالهة تنعكس على الارض او تنذر بها الاحداث ، حتى التافهة جدا منها . وكان البابليون ينظرون الى الكون على انه وحدة واحدة ويعتقدون ان ما يحدث في احد الاجزاء هو منعكس على الاخر ، فاذا ما اعقبت حادثة معينة حادثة اخرى من الناحية الزمنية ، فلابد ان بينهما علاقة سببية . والمتوقع ان تحدث النتيجة نفسها عند حدوث الحادثة نفسها في مناسبة اخرى . وانطلاقا من هذه النظرة للامور ، فقد نظمت جداول بالاحداث غير الاعتيادية ونتائجها المتوقعة ونشأ من ذلك علم زائف كبير غرضه قراءة الفال . وكانت انواع الظواهر التي يمكن ان يستنتج منها الفال غير محدودة ولكن يمكن تمييز ثلاثة انواع رئيسة منها والانواع الثلاثة المعنية هي :

١ . تلك التي استخدمت اساليب معينة كالتنبوء بواسطة الكبد .
٢ . تلك التي تتنبأ عن الظواهر العرضية كالاحكام وحركة الحيوانات وولادة المشوهين .
٣ . التنجيم .

ويمكن تقسيم هذه الى مجاميع ثانوية كثيرة اخرى ، وان مسألة وقت ظهور اصول هذه التنبؤات قد اثار نقاشا طويلا . فبعض الاساليب كانت ولاشك قديمة جدا وهناك اخبار متوارثة في النصوص عن استخدام التنبؤ من قبل بعض ملوك ما قبل الطوفان ، على حين كانت بعض الاساليب مفضلة في اوقات واماكن معينة . فالتنبؤ بواسطة الكبد (هيبتاتوكوبي) كان معروفا منذ العهد البابلي القديم ، بينما لم يكن التنجيم كذلك على الرغم من انه اصبح ذا اهمية كبيرة في العهد الاشوري . وكذلك يقال بالنسبة للتنبؤ بواسطة الاحلام . فرغم انه كان معروفا منذ العهد البابلي القديم في كل من بابل وسوسا ، الا انه اكتسب شعبية كبيرة في العهد الاشوري المتاخر وبصورة خاصة في عهد الملك اشور بانيبال .

ويقع التكهن في نصوص الفال في صنفين رئيسين تلك التي تخص الملك

وكبار الموظفين والبلاد وتلك التي تخص الافراد الاعتياديين . وتتعلق تنبؤات التنجيم الخاصة وبالتكهن بالكبد بالشؤون العامة على حين تتعلق الانواع الاخرى (الاحلام واللقاأت العرضية وحركة الحيوانات وغيرها) بالافراد الاعتياديين .

وكان للتنبوء بالنسبة للانسان القديم (كما هي في كثير من الحالات بالنسبة لاحفاده الان) فائدة عملية : فالتنبوء بسوء الطالع يكون تحذيرا وقد تبعد الضحية المتوقعة الخطر باقامة الطقوس المناسبة . ويظهر ان الافتراض غير المنطقي بانه يمكن تفادي الاجل لم يقلق الانسان القديم .

وليس لدينا حتى الان تنبؤات سومرية مع ان في الاداب السومرية اشارات الى استخدام التنبؤات . والنصوص الاكدية المتوفرة ترجع الى فترة تبدأ من العهد البابلي القديم فصاعدا ، وتشكل جزءا كبيرا من النصوص الاكدية غير الاقتصادية بمحتواها ، وقد قدر بان حوالي ٣٠٪ من مجموع الرقم المكتشفة في مكتبة اشور بانيبال في نينوى والبالغة ٢٠ — ٣٠ الف رقيم تقع تحت صنف نصوص التنبوأت .

ويمكن استعراض بعض نصوص التنبوأت النموذجية ويتضمن الجدول الاول امثلة منتخبة من مؤلف قديم معروف باسم اول سطر فيه :
اذا شيدت مدينة على تل ويذكر نص التنبؤ فانه :
اذا شيدت مدينة على تل ، فلن يكون ذلك حسن بالنسبة الى السكان في تلك المدينة .
ويعقب ذلك (كالمعتاد) نقيضة :

اذا شيدت مدينة في منخفض فسيكون ذلك حسن بالنسبة لسكان تلك المدينة

ومنها ايضا :

اذا شوهد في بيت صاحب البيت الميت ، فان ابنه سيموت ،

اذا شوهد في بيت سيدة البيت الميتة ، فان صاحب البيت سيموت .

وعند بناء البيت :

اذا شوهد النحل الاسود في الاسس المشيدة ، سيشيد ذلك البيت و(سيعيش) صاحب ذلك البيت حتى يعمر .

اذا شوهد النحل الابيض ... اما بالنسبة لصاحب ذلك البيت

فانه بيته سيدمر .
اذا شوهد النحل الاصفر ... انهيار الاسس لن يشيد ذلك البيت .
اذا شوهد نحل احمر ... سيموت صاحب ذلك البيت قبل اجله

وكانت التنبوأت تستنتج من التصرفات العرضية لكثير من المخلوقات الاخرى .
اذا اعتدى ثعبان على رجل ومسكه ولسعه فسيمر بعدوه اوقات صعبة .
اذا مرثعبان من جهة الرجل اليمنى الى جهة الرجل اليسرى فسيكون له اسم حسن .
اذا مر ثعبان من يسار الرجل الى يمين الرجل سيكون له اسم سيء
[وتوضح هذه التنبوأت وما قبلها التفسير المتعارف عليه بان اليمين هو حظ حسن واليسار حظ سيء]
اذا ظهر ثعبان في مكان حيث كان رجل وزوجته واقفين يتحدثان ، فان الرجل والزوجة سيطلق احدهما الأخر
[وان الاشارة الرمزية هنا واضحة حتى الى الرجل المعاصر الذي يتحدث مستعملا لغة مجازية رمزية جدا عن 'الثعبان في الحشيش' ياتي 'بين الرجل وزوجته']
اذا ظل ثعبان يطوف في بيت رجل ، فسيهدم ذلك البيت ويدمر .

اذا قتل عفريت ثعبانا في بيت رجل ، فان اولاد ذلك الرجل سيقتلونه وسيموت [المخلوق الاصغر يدمر المخلوق الاكبر بشكل غير متوقع] .
اذا قتل النمس ثعبانا في بيت رجل ، (فان ذلك يعني) اقتراب الشعير والفضة .
اذا سقط ثعبان (من السقف) على رجل وزوجة وفرقهما سيطلق الرجل زوجته .
اذا اندس عقرب في منام رجل ، سيثرى ذلك الرجل .
اذا وقف عقرب على راس سرير رجل مريض ، سيتركه

مرضه سريعا [وتدل السحلية في نفس الظروف على التنبوء نفسه]
اذا وطاء رجل على سحلية عن غير قصد وقتلها ، فستفوق على عدوه .
اذا كان هناك نمل كثير في مدخل البوابة الكبيرة ستغلب المدينة .
اذا قتل النمل بعضه بعضا وقامت معركة بينه تقدم العدو وسقط جيش عظيم .
اذا كان في المدينة نمل اسود مجنح سيكون هناك مطر وفيضان غزير .

اذا كان قرن الثور الايسر بارزا باستقامة وقرنة الايمن متجها الى اليمين فسيكون ذلك الاصطبل عريضا [اي سيكون فيه ماشية كثيرة] .
اذا كان في كلا عيني ثور دموع ، سيقع بعض الشر على صاحب ذلك الثور .
اذا ركب حمار على رجل يباع ذلك الرجل بالفضة او تمر عليه اوقات صعبة .
اذا ولدت حمارة وكان (للمخلوق) رأسان ، سيكون هناك تغيير في العرش .
اذا دخل حصان بيت رجل وعض حمارا او رجلا فسيموت صاحب الدار ويتفرق اهل بيته
اذا كان نبيل راكبا عربة وسقط وراء العربة ، فان ما مثبت له غير مرغوب وسيستدعي من الحكومة من وظيفته [حرفيا سيجعله القصر يعود]

اذا ركض حصان من تلقاء نفسه الى داخل بيت نبيل وكسر كرسيا ... [للاسف التنبوء مفقود] .
اذا راى رجل سحليتين متجامعتين ومسكهما ولكنهما لم يفترقا وقتلهما ، فسيلحق به الأفاك (؟) وسيموت من الفضيحة .
اذا ظهر ثور وحشي امام البوابة الكبيرة فان العدو سيستولى

على المدينة .
اذا ذهب ثور وحشي الى قطيع من البقر ورعى معه يوميا ، فذلك حسن واذا انفصل وذهب في ذلك اليوم فهو غير حسن .

اذا ركض ثعلب في الساحة العامة فان تلك المدينة ستهجم .
[هناك رسالة الى ملك اشوري تذكر مثل هذه الحادثة التي كانت تعتبر ، كما يظهر ، امرا مهما ، وتذكر الرسالة : 'الى الملك سيدي ، خادمك نابوا . ليبارك الاله نابو ومردوخ الملك سيدي . في اليوم السابع من شهر كيسليمو جاء ثعلب الى مدينة اشور في حديقة الاله اشور وسقط في بئر وقد اخرج وقتل ']
اذا صكت الخنازير اسنانها تفرقت تلك المدينة .
اذا كانت خنزيرة دون صغار وولدت ثلاثة وكان راسهم ابيض وذنبهم اسود ، سترهن اثاث بيت ذلك الرجل بدل الفضة [والتنبؤات المماثلة تستمر في سلسلة تعدد فيها العدد والالوان]
اذا رفع كلب اسود رجله امام رجل ليتبول ... [المغزى مفقود]
اذا تمدد كلب* على سرير (سيدة) فان اله (سيده) غاضب عليه .
اذا تبول كلب ابيض على رجل ، فستمر اوقات عصيبة بذلك الرجل .
اذا تبول كلب احمر على رجل ، فستحل السعادة بذلك الرجل .

اذا ركب كلب على كلب فسترتكب النساء السحاق [وهنا افترض المؤلف الحديث الذي قد يكون مخطئا الاشارة الرمزية ، باقتراض معنى لفعل نادر لم يرد له مثل هذا المعنى]
اذا حدث فيضان في شهر نيسان وتلون النهر كالدم ، فسيحل الطاعون في البلاد [رغم ان الفيضانات القوية في

العراق تجلب الامراض والاوبئة في اثارها اذا لم تتخذ التدابير الصارمة ، فان العلاقة في التنبوء هي ببساطة بين لون المياه والدم والموت]

اذا كانت اسماك كثيرة في نهر (فذلك ينبيء) عن استقرار في البلاد [افواج السمك تشير بالطبع الى التجمعات الراضية من الناس في شوارع المدينة]

اذا كان في (احد) الامكنة بئر مكشوفة وكان ماؤها اصفر ، فلن تضع الاسماك والطيور بيضها في تلك البلاد .

اذا كان في (احد) الامكنة بئر مكشوفة وظهر القير فيه فستدمر تلك البلاد .

اذا كان في احد الامكنة بئر مكشوفة وظهر فيه الزيت (فان ذلك ينبيء) عن تقدم العدو نحو البلاد .

اذا افترس صقر طيرا على سطح بيت رجل وتركه هناك ، فسيموت احد في ذلك البيت .

وهناك نوع اخر من التنبوأت يمكن وصفها على النقيض من ذلك بانها تنبوآت عرضية يبحث عنها عن قصد . حيث يصلي الرجل الى الهه ومن ثم يتقبل اي حديث بالصدفة (egirru) كتنبوء ينطبق على نفسه . وان الاعتماد على فال الايكَروّ egirru كان مع ذلك يتاثر بالظروف التي يصل بها الى الرجل .

اذا اجاب الايكَرّو الرجل 'بنعم! ' مرة واحدة ، فتحقيق الرغبة .

اذا اجاب الايكرّو الرجل 'بنعم ' ، مرتين التسبب (؟)

اذا اجاب الايكَرّو الرجل 'بنعم ' ثلاث مرات ، فان ذلك يعني 'نعم ' الايكَرّو .

وكان الايكرّو يتاثر بنفس الاسلوب فيما اذا جاء من اليمين او اليسار او من امام او من خلف الرجل .

وبشكل غير منطقي ، فقد كان يعتقد انه من الممكن منع النتائج السيئة للتنبوأت السيئة ويتبع جدول التنبوأت الوصفات الملائمة ، فمثلا في حالة النمل :

للتخلص من شر النمل الذي يشاهد في بيت رجل ولكي لا يقترب ذلك الشر من الرجل وبيته ، ترش زيتا جيدا على

النمل وعلى جحرها وتقدم (؟) في جحرها الجبس والقلي من نباتات الاثنان وتستخرج غبارا اما مع ماء بئر او ماء نهر من قارب ، وطين من مروج النهر وغبار من عتبة المدخل الخارجي (للمدينة) وتنثرها وتوضع المباخر المشتعلة مع العرعر والمر على العتبة معا وسوف تتخلص من الشر (الذي ينبيء به) .

ولم يكن هذا الاجراء ليقام من قبل الشخص ، ولكن من قبل كاهن خاص يدعى **المشمشو** (انظر صفحة ٣٧٦) ولابد من التأكيد هنا ان الاجراءات المتخذة لم تكن قد وضعت للتخلص من النمل بل لابعاد الشر الذي ينبيء به وجوده .

وعلى الرغم من ان السحر قد لعب دورا كبيرا في حياة بلاد ما بين النهرين القديمة ، فانه من الخطأ اعطاء الانطباع بان السحر كان يؤلف جميع ردود الفعل لمحن ومشاكل الحياة ، بل على العكس كانت الصلاة ايضا ، وهي التعبير عن شعور معتمد كليا على الاله ، من الوسائل الشائعة التي كان البابليون ينشدون من خلالها السلوى والمساعدة . ولعل البابلي نفسه لم ير اي فرق رئيس بين نوعي الاتصال بالعالم الروحي ، (وهي وجهة نظر يلتقي بها المتدين المتزمت القديم والملحد الحمديث) حيث انه كان يبدأ نصوصه السحرية وصلواته بعبارة (تعويذة) ومع ذلك كان الاختلاف في الاسلوب واضح بالنسبة للقاريء الحديث وقد تبدأ الصلاة النموذجية كالاتي :

تعويذة الرب القوي الشهير الذي يعرف كل شيء
الرائع المتجدد ، الكامل ، بكر مردوخ ،
...
مستشار الالهة ... الذي يقبض بثبات على مراكز العبادة ،
الذي يجمع لنفسه كل العبادات ...،

ثم تستمر الصلاة بالطريقة نفسها بسلسلة من الالقاب والصفات حتى تنتهي بالجمل التالية :

... انت ترعى جميع الرجال ،
انت تتقبل تضرعهم ،
انت تنعم عليهم الرفاهية ،
جميع البشر يصلون لك .

ثم يقدم المتعبد حالته الخاصة :

انا بلاسو ، ابن الهه ، الذي الهه نابو والهتة تاشخيرتم ،
بسبب شر اندلاع النار في بيتي ،
انا خائف ، قلق ، قلق جدا .

ان الشر المشار اليه هو ليس الضرر الذي تسببت به النار نفسها بل الكوارث التي كان يعتقد ان مثل هذه الحوادث تبنىء بها . ويبدو هذا واضحا من حقيقة ان هناك صلاة مشابهة اعدت ليقوم بها الملك نيابة عن الشعب تشير غالبا الى 'شر خسوف القمر' . وتستمر الصلاة :

انا (معرض) للنهب (او) القتل الذي عقوبته كبيرة
انا من هو كئيب جدا . مضطرب ، ذو جسم مريض جدا ،
بحيث واجهتني المحرمات (و) الالم ، انا انحني لك ،
لقد غطاني المرض من السحر والعرافة
...
ايه ايها السيد ، حكيم الالهة ، اصدر امرا من فمك الطيب ،
ايه نابو ، حكيم الالهة ، لعلي اعيش بفمك .

ولا يرقى الشك الى فكرة التعظيم النسبية للالة الذي تشير اليه صلاة من هذا النوع ومع هذا فمن الواضح جدا ان الكهنة الذين يمثلون المحور الرئيسي لديانة بلاد ما بين النهرين القديمة لم يرو اي اختلاف رئيسي بين السحر والصلاة حيث نجد في الجزء الاخير من التأليف نفسه بعد الصلاة الى الاله القمر سن التعليمات التالية :

شعائرها : في الليل تكنس السطح امام سن ، وتنثر ماء مقدسا ،
وتكوم الحطب وتثبت على الحطب سبع ارغفة من الحنطة ، وتقسّم
خروفا مطهرا بدون عيب وتعد ثلاثة مكاييل من الطحين الذي طحنة ذكر ومكيال من الملح وتملاء سبع قناني من الطين بالعسل والقيمر والنبيذ والجعة والماء وتجمعهم على الحطب . وتسكب الشراب المعد وتنحني وترمي البقية (؟) في النهر .

ومثال اخر من بين الامثلة الكثيرة التي يمكن الاستشهاد بها لصلاة تدل على

فكرة اكثر نبلا للعلاقة بين الرجل والمعبود ، هي الصلاة التالية الى احدى الالهة :

تعويذة ايه ايتها البطلة ، عشتار ، طاهرة الالهات
مشعل السماء والارض ، شعاع البراري ،
الالهة ، (سيدة السماء ، بكر سن ، بكر نركال ،
الاخت التوائم (... البطل شمش [اله الشمس]
ايه عشتار ، انت انو [الاله الاعلى] انت تحكمين السماء ،
مع انليل المستشار تنصحين البشر ،
الكلمة خالقة طقوس وشعائر 'غسل الايدي' .
...
عندما تكون هناك محادثة فانت ، كشمش ، تنصحين ،
...
انت تغيرين الاجال فيصبح الحدث السيء حسنا ،
لقد ناشدتك من بين الالهة ، التوسلات اقدمها اليك ،
لقد جئت اليك من بين الالهات برغبة وتقديم التضرع ،
امامك [الجني] (الحامي) **شيلو** وخلفك
(الحامي) لاماسّو [نوع اخر من الجن]
على يمينك العدالة ، وعلى شمالك الطيب ،
وعلى راسك مثبت الاستماع ، الفضل ، والسلام ،
وقد طوقت جوانبك الحياة والرفاهية ،
ما احسن الصلاة اليك ، ما ابرك ان اسمع من قبلك!
لمماتك مقابلة ، كلامك هو النور .
اعطفي عليّ ، ايه عشتار! اصدري امرا برفاهيتي!
انظري الي بثبات . اقبلي ابتهالي! ،
...
لقد حملت نيرك ، ابعثي السكون (اليّ)!
لقد بحثت عن ضيائك ، فليكن وجهي مضيئا
لقد توجهت الى سلطانك ، فلتكن الحياة والعافية لي ،
ليكن (لي) (ايضا) **شيلو** مفضل كالذي امامك ،
ليكن لي (ايضا) **لاماسّو** كالذي يذهب وراءك ،

لعلي اكسب الرفاهية من يدك اليمنى ،
لعلى احصل على الفضل من يدك اليسرى ،
...
اطيلي ايامي ، امنحي الحياة !
دعيني اعيش ، دعيني اكون طيبا ، دعيني اعلن عن قدسيتك ،
دعيني احقق ما ارغب...
وفي نهاية الصلاة تاتي التعليمات :

كلمات 'رفع اليد الى عشتار ' ، تضع امام عشتار مبخرة مع خشب الصنوبر وتسكب شراب العصيدة وتتلو رفع اليد ثلاث مرات وتنحني .

ويستدل من التراتيل والصلوات التي اشرنا اليها على التفريد والتفضيل . ويستدل على ان ذلك كان يمثل ميل مدرك في الدين البابلي والاشوري من نصوص من النوع الذي تشخص اجزاء من الاله المعبود بآلهة اخرى ، كما في الترتيلة التالية الى الاله ننورتا :

ان عينيك ، ايه ايها الرب ، هي انليل وننليل ...
انوم وانتم هي شفتاك الاثنتين ...
اسنانك هي 'السبعة ' التي تغلب الشر ،
مقدمة وجنتيك ايه ايها السيد ، هي ظهور النجوم ،
واذنيك الاثنين هي ابا [اله الحكمة والمعروفة] ودامكينا (زوجهُ) افراد الحكمة ...
رقبتك الاله مردوخ ، قاضي السماء والارض .

ومع ذلك يجب ان ينظر الى هذا الميل الى التوحيد على ضوء الشرك المنتشر الذي يميز الدين البابلي ـــ الاشوري . فهناك منذ عهد عصور فجر السلالات اربعة الاف اله معروف بالاسم . وقد رتبت وصنفت هذه الالهة من قبل الثيولوجين المتاخرين ومع هذا فهناك دائما مجموعة كبيرة من الالهة الاخرى .

مجمع الالهة (البانثيون) :

يقف الاله آنو (آن السومري) على راس البانثيون طيلة ثلاثة الاف من السنين بكاملها للديانة السومرية ـــ الاكدية ، وغالبا بشكل مبهم . وخصائصه الرئيسة الملوكية ومنه استلم البشر والحكام بالدرجة الرئيسة هذا النظام وشاراته . واستنادا الى ملحمة اتانا (انظر صفحة ٤٥٢ فما بعد) فان الصولجان والتاج

وغطاء الراس الملكي وعصا الراعي موضوعة امام انو في السماء . وكان الرمز الرئيسي الذي استخدم لتمثيل هذا الاله هو القلنسوة ذات القرون ، على الرغم من انها قد تستعمل للالهين الاخرين في التثليث الاول من الالهة . وبعد ان اعقب عالم دويلات المدن القديم اتحاد قومي ، كان هناك ميل لابدال آنو بالاله القومي اشور في بلاد اشور وبالاله مردوخ في بلاد بابل . بينما كانت زوجة الاله آنو الاكثر غموضا ، وهي انتم Antum، غالبا ما تستبدل او تدمج مع عشتار ، الالهة الام العظيمة والهة الحب والتي عرفت في السومرية باسم انّن . وكان المتعارف عليه بصورة عامة انها تمثل انانّا 'سيدة السماء' . وعلى الرغم من انه كان لانو معابد في مناطق اخرى ، غير ان المدينة الرئيسة التي كان يرتبط بها الاله انو بصفة خاصة في عهد دويلات المدن السومرية هي مدينة اوروك (في العهد القديم اريج) حيث كانت زوجته انانّا تقدس في المعبد الكبير اي انا Eanna، وبالتالي طغت انانّا ــ عشتار تماما على زوجها في اوروك . ولذا ففي العهد البابلي الحديث عندما اتسع سلطان وقوة اي انا الى درجة اصبح فيها مرادفا لاوروك في كثير من الغايات ولم يعد هناك الا اشارات عرضية لـلاله انو بعلاقته مع اي ــ انّا .

والى جانب آنو ، كان انليل (او اللّيل) ابنه القوى ، حرفيا 'سيد الريح' اله مدينة نيبور وحاميها . وعلى الرغم من انه كان مرتبطا بمدينة معينة الا انه كان الاله القوى لبلاد سومر وليس محليا فحسب ، وان السيطرة على جميع بلاد سومر من قبل حاكم اي مدينة كان يعتمد على اعترافه به . ويتحدث احد النصوص السومرية عن وقت عاشت فيه شوبور Shubur (بلاد اشور او ، استنادا الى تفسير اخر ، عيلام والاراضي الشرقية الاخرى) وبلاد سومر واكد ومارتو (الاقوام الغربية الرحل) بسلام وكانت جميعا تمجد الاله انليل . وكما كان آنو ملك السماء كان انليل ملك الارض وكما كان الاله آنو كذلك كان الاله انليل يدعى ابو الالهة او ملك الالهة وغالبا ماكان آنو وانليل يشتركان في قيادة الالهة . وكان شهر نيسان ، وهو الشهر الاول من السنة الذي كانت تقرر فيه اقدار السنة ، مقدسا لكليهما معا وكانت الواح القدر التي تقرر مضائر البشر والالهة ، تعود اصلا الى انليل . ولكن بنمو الديانة القومية والميل الى التفريد ، فقد أخذت بعض مظاهر انليل الاخرى من قبل الاله مردوخ . ومع ان انليل كان سيد الارض الا ان نظرته نحو البشر كانت متناقضة ، فكان حدوث الطوفان في العالم نتيجة الحاحه الشديد كما انه خلق ، حسب اسطورة اخرى ، وحش

اللابّو Labbu ليقضي على البشر . وكانت زوجته ننليل ظلا خفيفا لانليل واخيرا ادمجت مع عشتار في احد اوجهها .

وكان ثالث الآلهة العظام على راس البانيثيون يعرف باسماء مختلفة ، وكان الاسمان الرئيسان اللذان عرفب هما هما انكي «سيدكي» وكي تعني الأرض (او منطقة ما تحت الارض) وايا (اله) بيت الماء ، وكلا الاسمين سومريين غير ان الاخير كان يستعمل بالدرجة الاولى في المحيط السامي . ومع ان مصطلح 'التثليث ' يستخدم غالبا (كما هي الحال في هذا البحث في اماكن اخرى) للدلالة على الالهة الثلاثة آنو وانليل وانكي سوية فمن الخطأ اعتبار معنى التثليث لاهوتيا بانه اكثر من كونه ثلاثة الهة ذات مرتبة واحدة تقريبا . ويقف انكي في كثير من الحالات منعزلا عن آنو وانليل وان فكرة الثالوث (في معناها الدقيق بانها تمثل ثلاثة معبودات ذات علاقة متبادلة وهي من جوهر طبيعتهم) لم تكن بالتاكيد موجودة في الديانة السومرية في مراحلها الاولى المعروفة لدينا . وكان انكي ـ ايا اله الحكمة واله المياه ، وكان يرتبط بالحياة البدائية العميقة وكان من بين الالهة من المرتبة الاولى الذي ابدى العطف باستمرار نحو الجنس البشري وحتى الى الالهة رفقاءه . فعندما كانت اِنِن تستعد لمواجهة اخطار النزول الى العالم السفلي وجهت وزيرها ، في حالة عدم عودتها ، بان يستغيث اولا بالاله انليل ومن ثم بالاله القمر ننّا من بعده ، واذا لم يساعدها هؤلاء فمن المؤكد ان انكي سياتي لمساعدتها . وكان الاله انكي يرتبط بمدينة اريدو ، اقدم المدن السومرية ، وان العلاقة بين اريدو واله الحكمة تعكس حقيقة ان اول الثقافات السومرية التي ازدهرت كانت في ذلك المكان .

وكاله الحكمة ، فان ايا يحمل اسم نن اكي ـ كو Nin-igi-Ku 'سيد العين البراقة (الذكية) ' على حين كان يدعى في مظهر اخر نو ـ ديم مِود Nu-dim-mud 'والد البشر ' . وكانت وزوجته تدعى ننكي (وهو اقدم الاشكال البدائية وهي عبارة عن الصنو المؤنث لانكي) او ننخرساكَ Nin-hursag اودامكينا Damkina.

ان الاساطير السومرية الاكدية متناقضة بالنسبة للعلاقة الدينية بين الالهة الثلاثة العظام ، ولكن استنادا الى اكثر الروايات المشهورة ، وهي قصة الخليقة ، كان اصل آنو وايا على هذا الشكل ، فالوحشان البدائيان لاخمو لخامو ، كانا قد ولدا من الابسو (الاعماق) وتيامة (المحيط) ومنهما ولد انشار وكيشار ، العالم مافوق وما تحت ثم :

امتدت الايام ، وتضاعفت السنوات ،
انو ابنهم مثيل اباءه ،
صنعه انشار (اي ان) آنو هو بكره شبيها (بنفسه)
وولد آنو شبيهه نو — ديم مود ...
الكل يسمع (حرفيا : 'اذ ان عريضة) يفهم ، قوي في
القوة ،
اقوى بكثير من انشار ، والد ابيه
لامثيل له بين الالهة اخوته .

ولم يحدد اصل انليل بوضوح من قبل رجال اللاهوت القدماء فاحد النصوص يعتبره ابن الاله آنو مع انه يعتبر في مكان اخر بانه ابو الالهة وتعتبره التاملات اللاهوتية (وكذلك آنو) الخلف الاخير لسلسة من اثنتين واربعين من الاسلاف المعروفين بالاسماء جاء ذكرها مزدوجة كالدهور في اللاهوت الغنوسطي المتاخر . ومن المحتمل ان كان اصلا لانليل مركز بارز في قصة الخليقة . وكان ، كما يفترض في الفكرة الاصلية ،الابن الرائع الذي ولده ايا ليقهر تيامة ، وهو العمل الذي تحملته بالتالي الالهة القومية مردوخ في بابل واشور في بلاد اشور .

كانت المجموعة الثانية من المعبودات تتالف من الشمس والقمر والزهرة التي كانت اسماؤها السومرية والسامية هي اوتو او شمش ننا او سن واين او عشتار على التوالي . ومن الخطأ هنا ايضا التحدث عن تثليث اكثر من المعنى المقصود من ثلاثة حيث يحدث احيانا ان يذكر شمش وعشتار وادد سوية . وكان الاله القمر اعظم المعبودات الثلاثة المذكورة فكان الاله سن المسيطر على الليل وعلى الشهر وعلى السنة القمرية ، الاله الذي تهم حركاته البشر بشكل اساسي وكانت التراتيل والطقوس الخاصة بسن والتقارير الخاصة بظهور القمر والتنبوأت المستنتجة من مثل هذه الظواهر كثيرة جدا ، وكان سن نفسه ابن آنو او انليل ، حسب الاخبار اللاهوتية المختلفة ، وكانت زوجته نن كال Nin-gal 'السيدة العظيمة ' وكان شمش وعشتار ولديهما . ومع ان الاسم سين قد استخدم من قبل الساميين فانه ، كاسم الاله ايا ، لم يكن اسما ساميا بل كلمة دخيلة من اللغة السومرية (سو — اين Su-en) . وكانت المدينة الرئيسة التي ترتبط بالاله ننّا — سن هي مدينة اور — وكانت حرّان في الشمال ايضا مدينة الاله القمر ، ونظراً لارتباط كلا المدينتين بابراهيم في رواية العهد القديم ، فقد

كانت هناك محاولات للنظر الى تقرير عبارة الاله القمر بانها جذور الدين الذي اوحى الى ابراهيم غير ان مثل هذا الاستنتاج (الذي اذاعه السير ليونارد وولي) هو تخمين . ومن الموكد ان في فترة متاخرة جدا (القرن السادس قبل الميلاد) حاول نبونائيد اخر ملوك الدولة البابلية الحديثة القيام ببعض الاصلاحات ثبت بانها لم تكن شعبية اطلاقا معتمدا على عبارة وضعت الاله سن فيها على راس البانثيون . وكان رمز الاله سن ، كما هو متوقع ، الهلال (الذي ترك اثره في الاسلام كما اخذ رمز الشمس القديم وهو الصليب من قبل المسيحية) . وحيث ان الهلال في بلاد ما بين النهرين يظهر عادة بتحدبه الى الاسفل فقد نشأت الفكرة التي تمثل الهلال كقارب يحمل الاله القمر عبر السماوات .

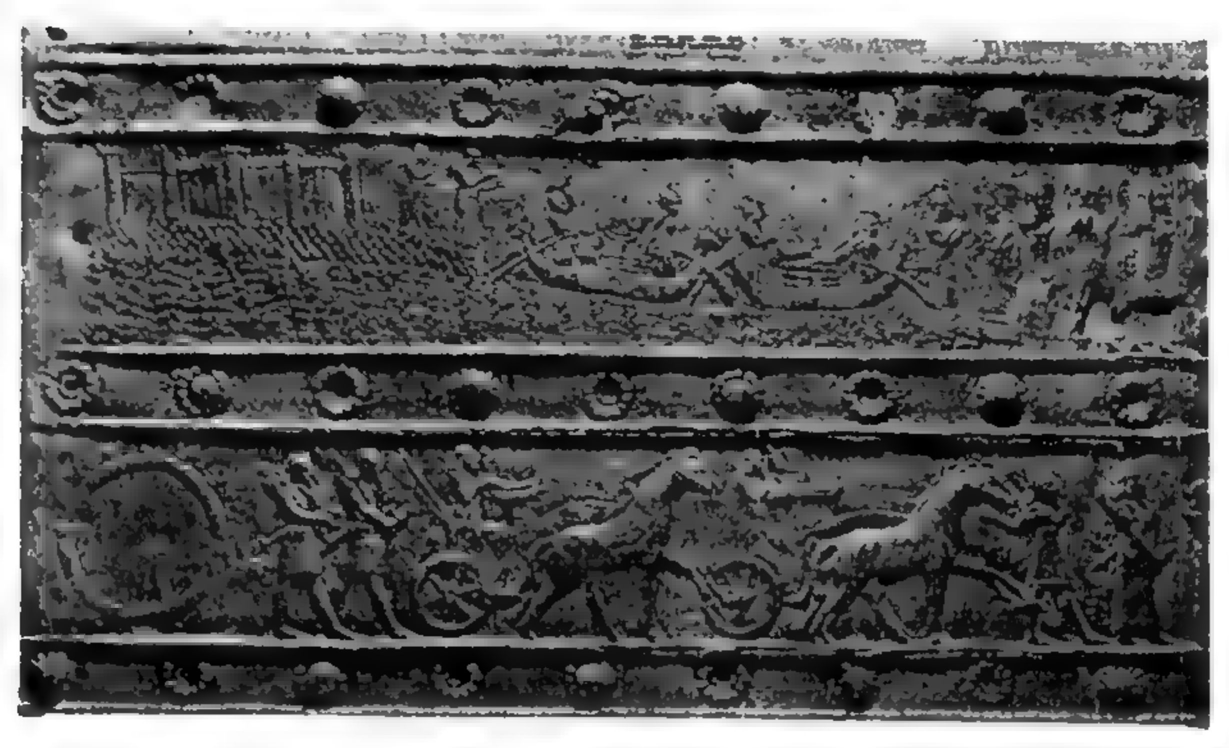
اما الاله اوتو ـ شمش ، فهو يبدد جميع الظلمات خلال رحلته اليومية عبر السماوات ويقدر ان يرى جميع اعمال الانسان ، وباعتباره 'الذي لا يمكن ان يخفى عنه سر' فقد كان اله العدالة وكان هو الاله الذي صور على مسلة حمورابي يسلم رمزيا القوانين العامة الى الملك (انظر لوحة ٢١ب) . وكاله العدالة ، كان شمش يمثل عادة بالصولجان والحلقة دلالة على الاستقامة والكمال ، اي الحق والعدالة (هناك معبودات اخرى تحمل احيانا الصولجان والحلقة) وكان رمزه في بلاد اشور القرص المجنح وفي بلاد بابل القرص بنجمة ذات اربع اضلاع مدببة ويتخللها الشعاع كما في اللوحة ٤٩ . وكانت المدن الرئيسة التي يرتبط بها شمش هي مدينة سيار ولارسا .

واحتلت انن ـ عشتار مركزا ذا اهمية كبيرة في الديانة السومرية البابلية لاسيما بعد ان اصبح الساميون هم المسيطرون . عندما اصبحت في الواقع المعبودة المؤنثة الوحيدة وادمجت شخصية ووظائف الالهات الاخريات حتى اصبحت كلمة عشتار تستخدم مصطلحا 'للالهة' واحد النصوص السومرية يذكر عنها :

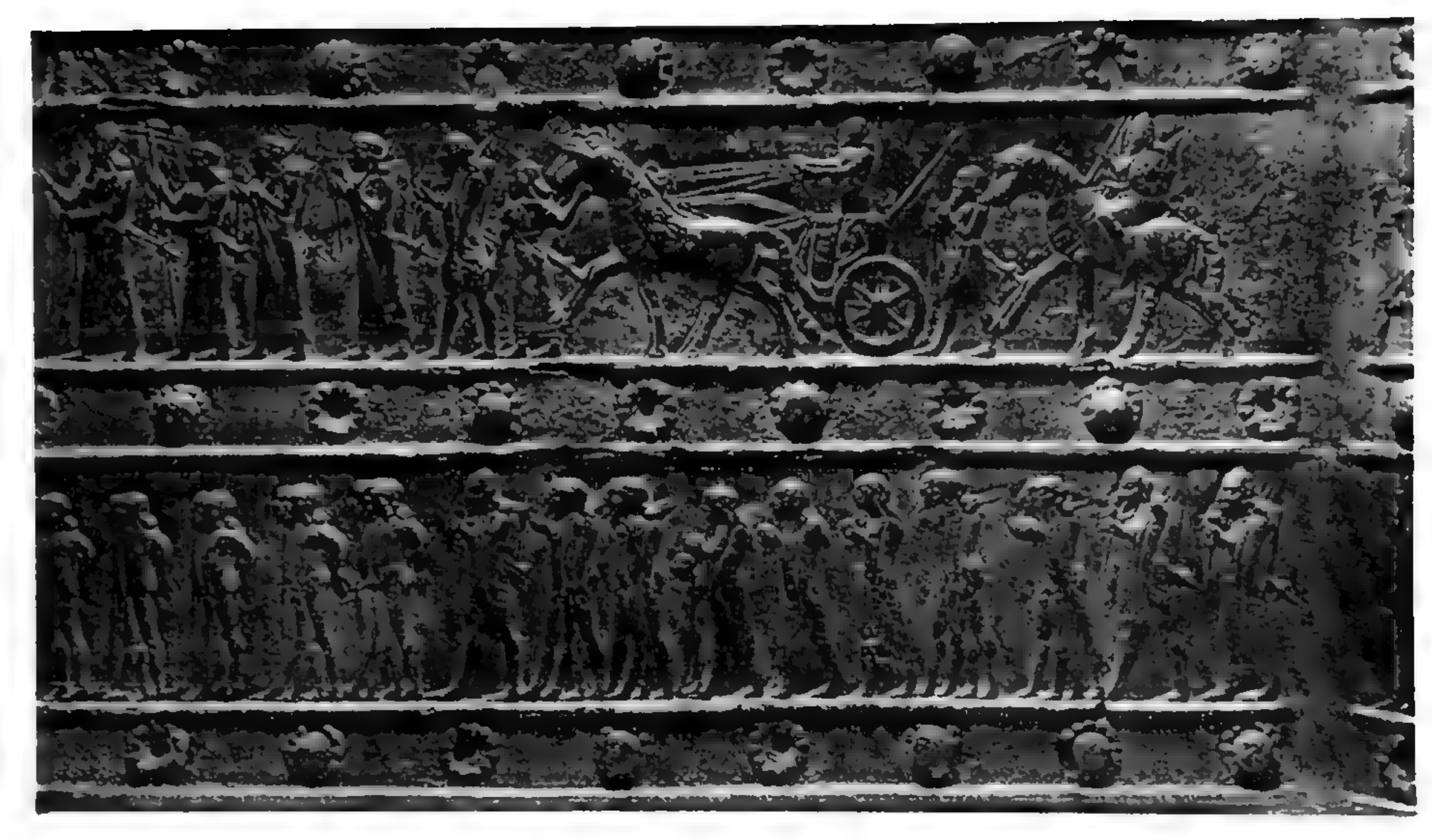
... هي المهيمنة ، هي سيدة الارض .
في ابسو اريدو واستلمت (صلاحية اتخاذ) القرارات ،
اعطاها اياها ابوها انكي .
ووضع في يدها كهانة الملوكية العليا
واقامت (لها) مع آنو مسكنا في المعبد الكبير
ومع انليل في بلاده (سومر) تثبت الاقدار .
وشهريا عند بزوغ الهلال الجديد ومن



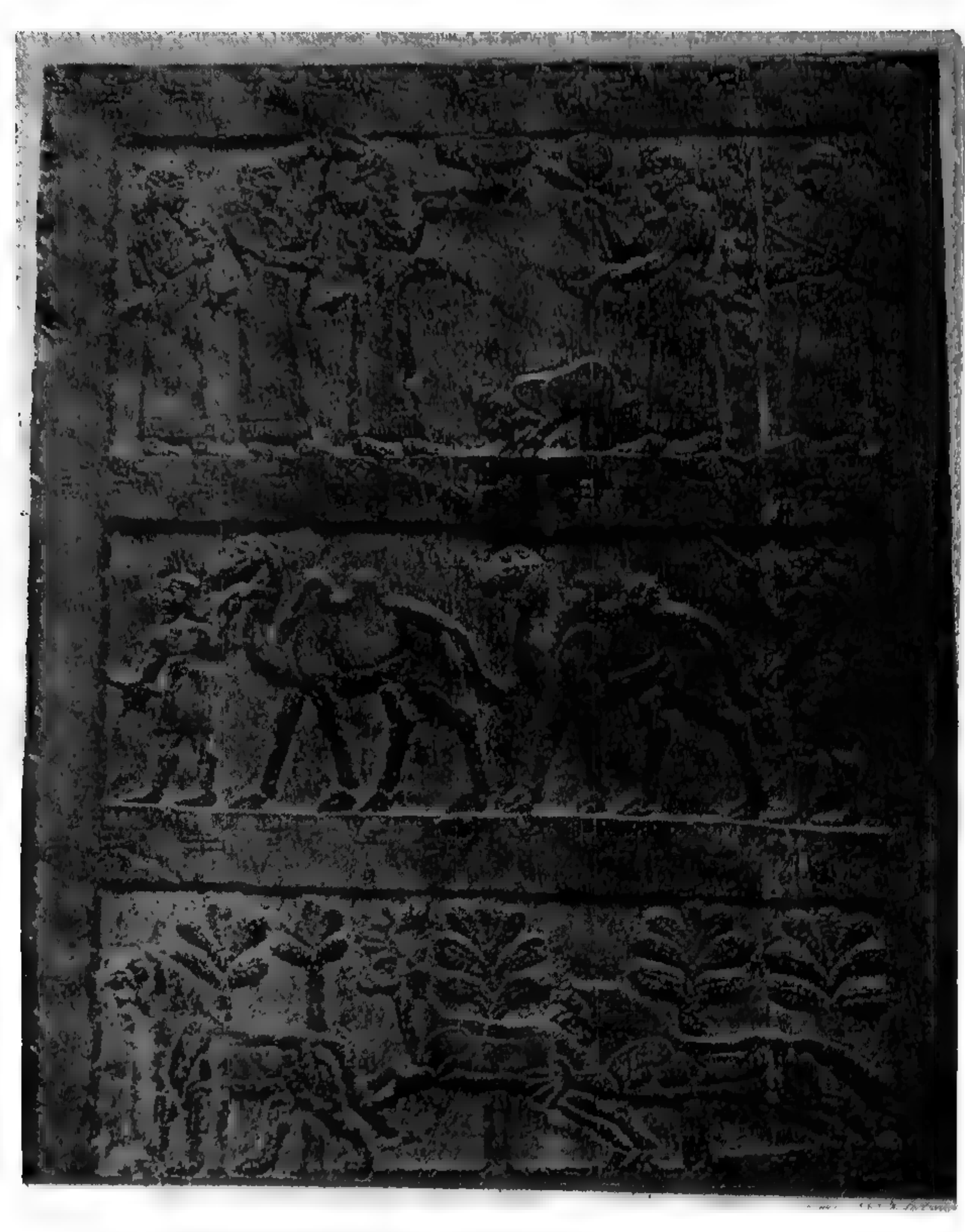
٣٣أ مشاهد من الباب البرونزي للملك شليمنصر الثالث
(القرن التاسع قبل الميلاد)



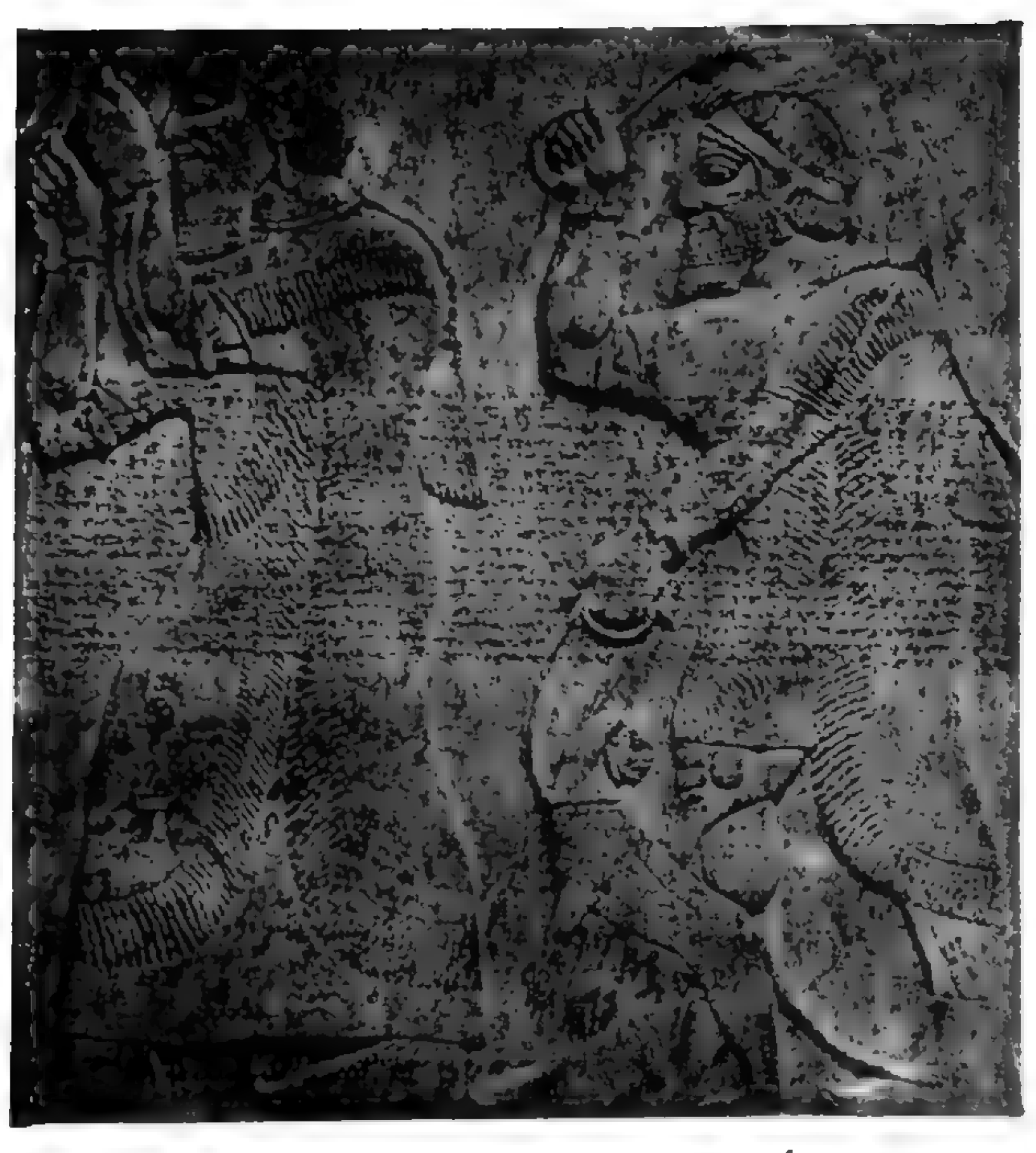
٣٣ب مشاهد من الباب البرونزي للملك شليمنصر الثالث
(القرن التاسع قبل الميلاد)



٣٤ . قوات اشورية (في الافريز الاسفل) اسرى الحرب



٣٥· منحوتة على مسلة شلمنصر الثالث تظهر (القسم الاعلى)
يهوا ملك اسرائيل وهو يقدم الجزية



٠٣٦ أجانب يقدمون الجزية الى اشور (من منحوتة اشورية)



٥٣٧ اسرحدون مع ملوك مصر المأسورين

٢٨. صيد الخيل البرية (من محجوة انخويدا)





٤٠. اسود تطلق للصيد (من منحوتة اشورية)



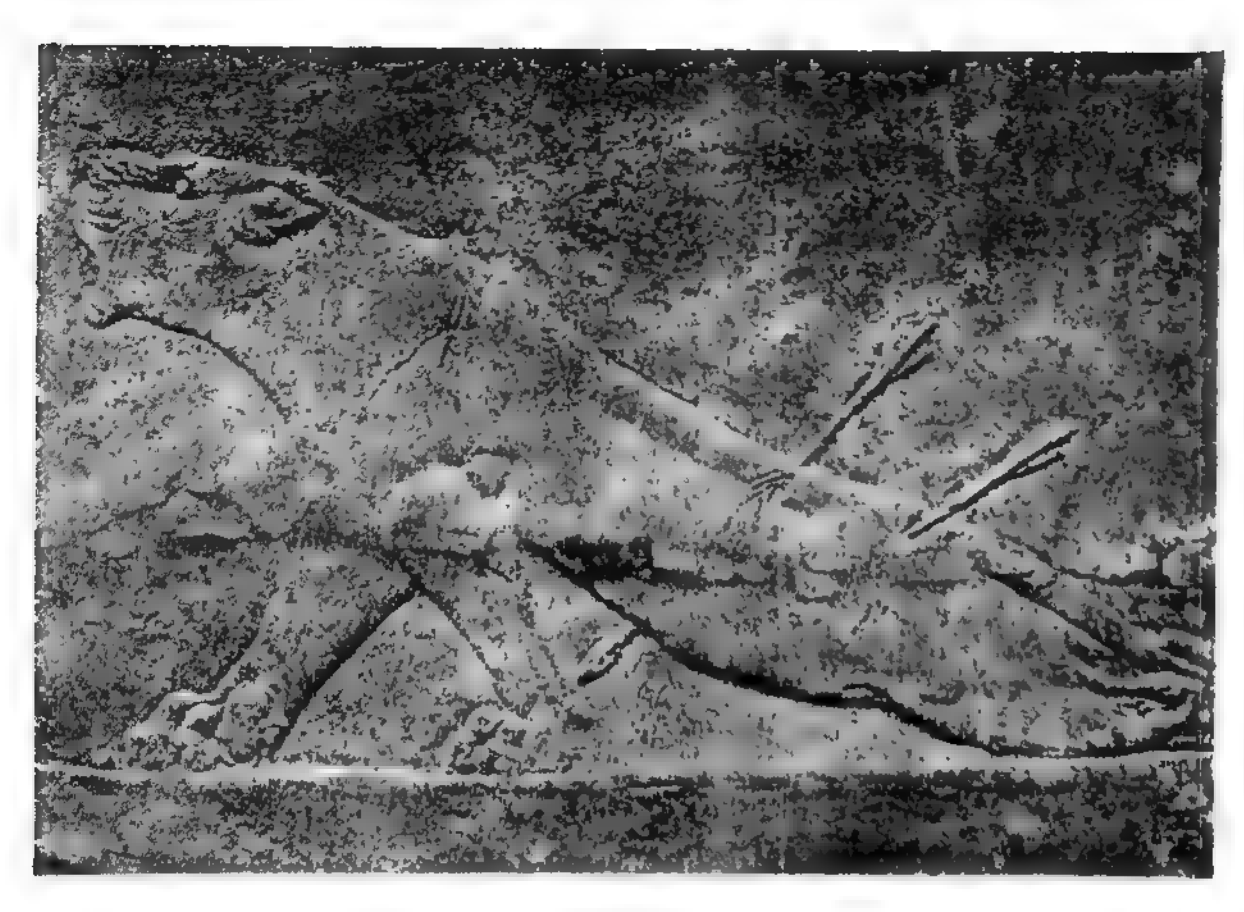
٠٤١ كلاب الصيد ورجل بشباك (من منحوتة أشورية)



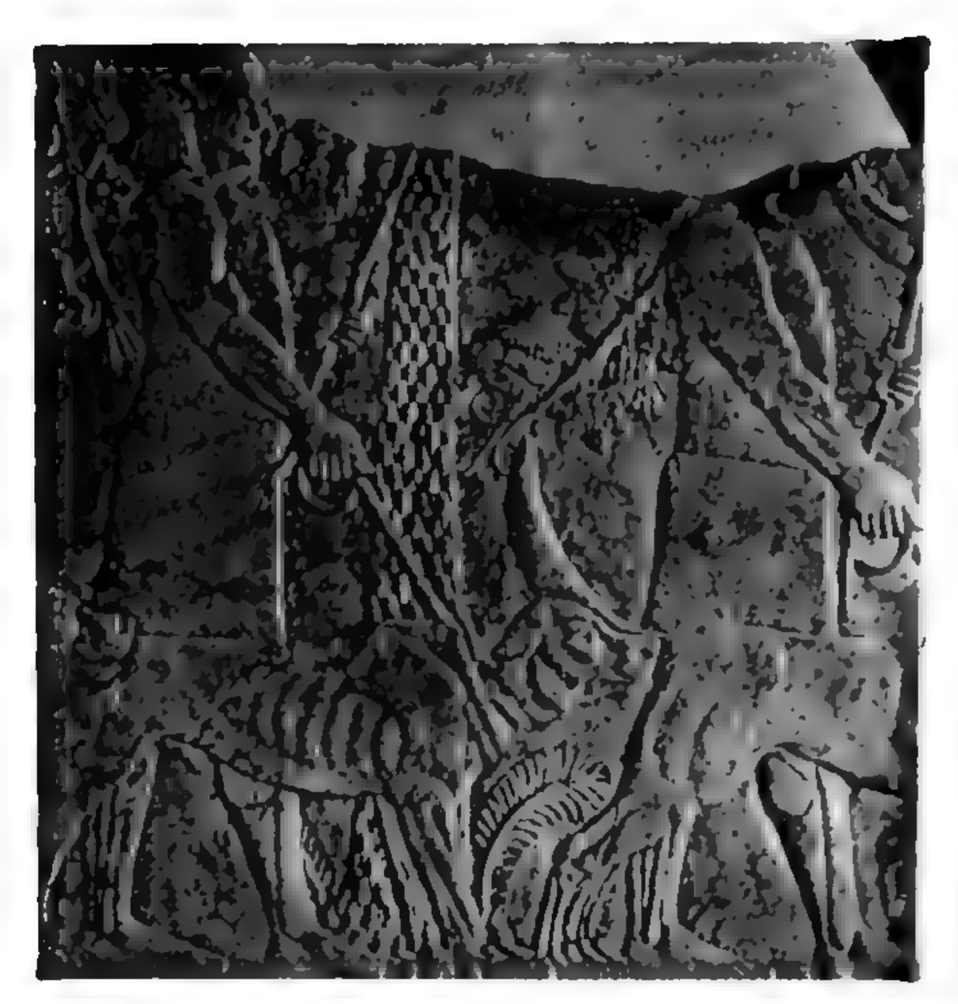
٤٢. صيد الايل (من منحوتة اشورية)



٤٣ آ الاسد المحتضر



٤٣ ب اللبوة المحتضرة



٤٤أ كلاب الصيد



٤٤ب مشهد صيد



٥٤٠ حامل قوس وحامل ترس أشوري (من منحوتة أشورية)

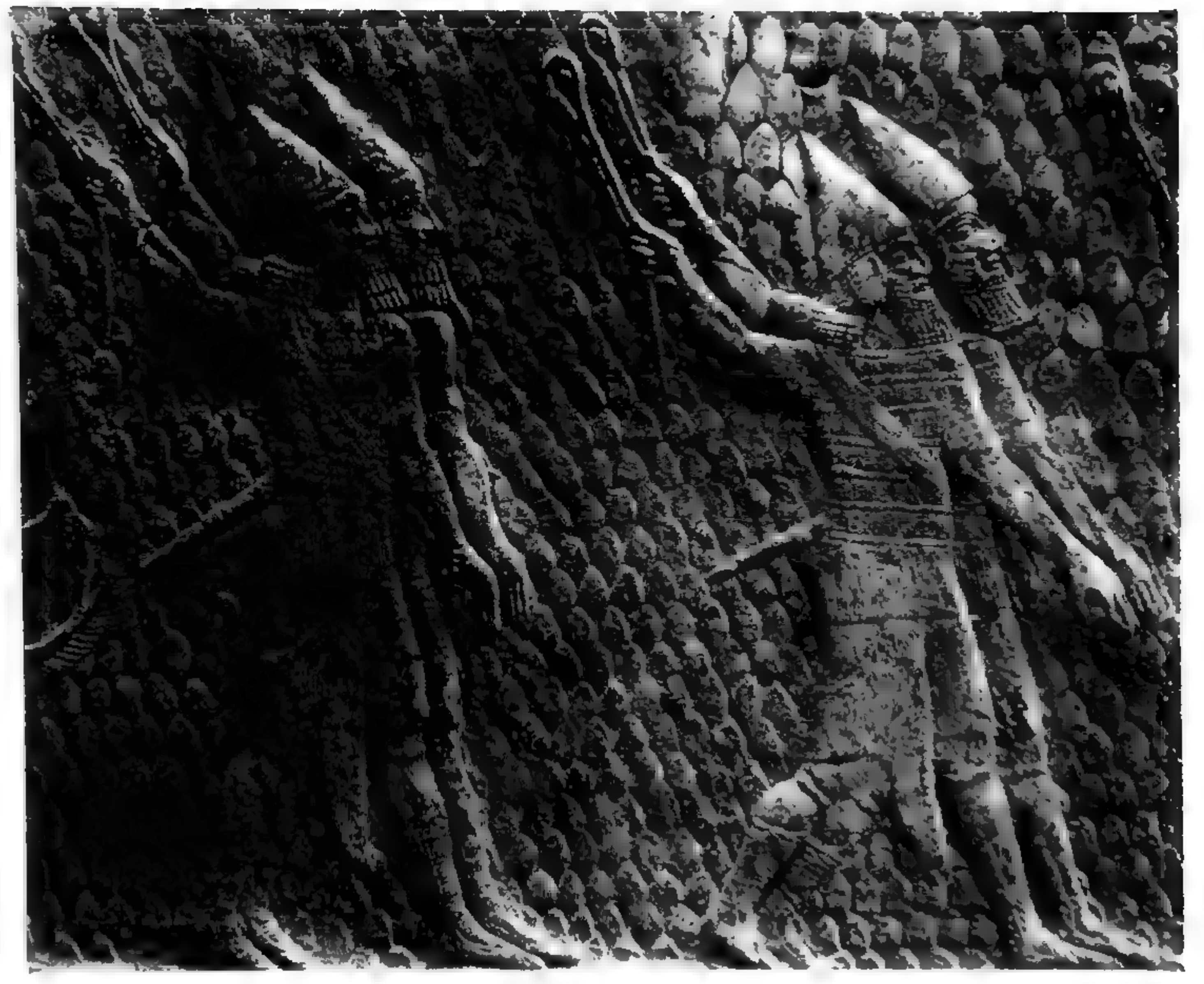


٤٦أ التعذيب الآشوري (من منحوتة آشورية)



٤٦ب اسلوب الحصار الآشوري يظهر طرز الدبابات الحربية الاولى (من منحوتة آشورية)

٤٧. مشهد معركة (من منحوتة آشورية)



٤٨ . حاملى مقالع آشورية
(من منحوتة آشورية)

اجل ان تجعل الامر مقدسا صحيحا ،
يجتمع امامها الهة بلاد [سومر] ،
ويبجلها الانونّا كي [الالهة الرئيسة] العظماء ،
وتعلن سيدى بحضورهم قضاء بلاد [سومر] .

وكما هي بالنسبة للسيدة العذراء في الكنسية الكاثوليكية (ولا اريد للتشبيه اكثر من ذلك) فقد كانت عشتار تحت مظاهر محلية مختلفة . وكان عبدتها يشعرون بان الهتهم تختلف في شيء ما عن غيرها لذا اننا نجد عشتار ــ نينوى وعشتار ــ اربيل وعشتار ــ بيت كتموري مذكورة سوية وان ماهو معروف عن بلاد اشور عن الالهة التي عرفت بهيئة عشتار ــ نينوى قليل على الرغم من انها كانت بالتأكيد من المعبودات العظيمة ، حيث لم يعثر على طقس ديني واحد في بلاد اشور خاص بها ، وهناك من يرى ان ذلك نتيجة كون عبادتها في بلاد اشور ذات طبيعة غامضة . وكانت عشتار معظمه جدا خارج بلادها بين الحوريين (حيث لعبت دورا مهما في احدى اساطيرهم) والحثيين . اضافة الى ذلك ، ففي الفترة حوالي ١٤٠٠ ق . م . (وفي ظروف سبق ذكرها في الصفحة ٩٣) ارسلت بالتاكيد في احدى المرات ولعلها ارسلت مرة ثانية الى مصر من اجل الفرعون .

وكانت صفتا انن ــ عشتار البارزتان قد وسمتها بالهة للحرب والهة للحب الجنسي والتناسل . وقد يبدو واتحاد هاتين الفكرتين المتباينتين في معبود واحد متناقضا بالنسبة للفكر الحديث ، ولكن لعل من الممكن تفسيره بانها تبلور الفكرة بان عشتار تظهر كلما قضي على حياة بقسوة المعركة او خلقت حياة باتقاد العملية الجنسية . وباعتبارها الهة الحرب ، كانت عشتار تتقدم الجيوش الاشورية . وفي احدى الحالات المشهورة تجلب بنفسها بمظهرها الالهي لجميع الجيش وكانت عادة تظهر نفسها للانسان كنجمة الصبح ونجمة المساء ، اي كوكب الزهرة ، وقد ارتبط مظهرها كالهة الحب والهة الحرب بنجمة المساء ونجمة الصبح على التوالي . وكانت ، كالاله شمش ، ابنة الاله القمر سن وكانت تعبد في معظم الفترات من العهد الشبيه بالكتابي على الاقل في اورك وحتى القرن السابق للعهد المسيحي في بابل .
وغالبا ما كانت هذه الالهة تمثل في الفنون ، وبصورة خاصة على الاختام الاسطوانية ، اما بشكل مجسم او بشكل رموز معينة . وكان رمز الالهة بالهيئة السومرية انن ، على نصب مدينة الوركاء من العهد الشبيه بالكتابي فما

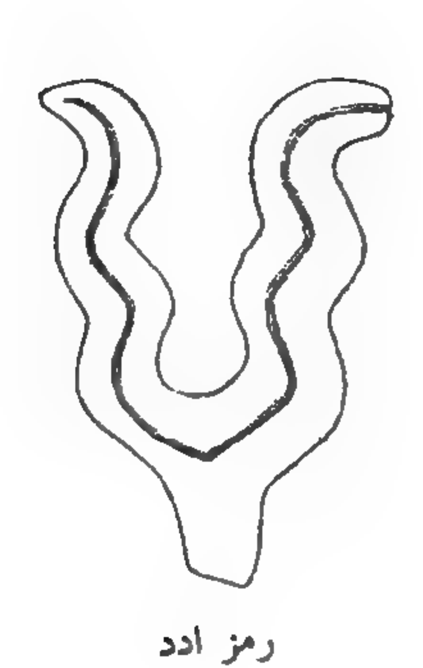
بعد ما يعرف عادة 'بعامود المدخل' gatepost بنهاية طويلة (انظر التوضيح ادناه) .

وكان هذا يمثل اصلا حزمة من القصب كانت تؤلف عامود باب كوخ القصب ، وان العلاقة بين كوخ القصب هذا هو انه كانت هناك علاقة بين بناء من هذا النوع وبين عبادة الخصوبة المبكرة جدا في مدينة الوركاء التي كانت الالهة تمثل فيها الشخصية الرئيسة . وبشكلها السامي كمعبودة سماوية ، كانت هذه الالهة باسم عشتار تمثل بالنجمة ذات الاضلاع الثمانية المدببة .
ولم يكن للالهة انن ــ عشتار مظهرا نجميا واخر ارضيا فحسب بل كان ذلك لكثير من المعبودات الاخرى . ولعل ذلك كان من نتائج التوفيق في المعتقدات بين الديانة السومرية التي كانت بصورة رئيسة ديانة خصوبة ذات مظهر ارضي والديانة الاكدية التي كان لها خصائص نجمية واضحة كبقية الديانات السامية .
ومن الالهة التي احتفظت بمظهرها الارضي حتى فترة متاخرة هونركَال ، اله العالم السفلي (انظر ادناه صفحة ٣٦٧) . ومن معبودات الخصوبة الارضية الاخرى دموزي (تموز) الذي كان على علاقة وثقى بانين وقد تحدثنا عن هذا الاله ، الذي شغل مركزا ذا اهمية كبرى في الديانة الشعبية ، بشكل مختصر في الفصل التالي (انظر صفحة ٤٠٦ فما بعد)

ومن الالهة التي ترافق الاله شمش وعشتار غالبا هو الاله ادد ، اله الجو ، وكانت مظاهرة البرق والرعد كما كانت العلاقة الرمزية التي تستخدم لتمثيل اسمه هي العلاقة الرمزية الخاصة بالريح وكان اله الجواشكرIskurمعروفا لدى السومريين ولكن لم تكن له اهمية خاصة بينما كانت عبارة اله الجو عند الساميين ، وبصورة خاصة عند الساميين الغربيين ، مشهورة جدا . ويمثل اسمه الاكدي 'ادّو' او'ادّادو' (حيث ان الضمة الاخيرة هي عبارة عن حركة الاعراب) الاسم السامي الغربي هداد المعروف من اسماء كابن هداد وهداد ــ ديمون (والاخير يعني 'هداد الراعد') الواردة في العهد القديم (سفر الملوك الاول الاصحاح ١٥ : ١٨ وغيرها ، سفر زكريا الاصحاح ١٢ : ١١) . وكان هذا الاله ، بالنسبة للاقوام السامية الغربية التي اسست مملكة ماري وبابل في بداية الالف الثاني قبل الميلاد ، من بين الالهة ذات المرتبة الاولى . ويرد اسم ادّو في وثائق ماري اكثر بكثير من اسم اي اله اخر في تركيب الاسماء حيث انه يتكرر اكثر من ضعف المرات التي يتكرر فيها اي اله اخر وياتي بعده في الشيوع الاله سن وشمش وداكَان (وهو الاله الذي ذكر بصيغة داكَون في العهد

القديم سفر القضاة الاصحاح ١٦ ـــ ٢٣) التي ترد بشكل متقارب . وقد ذكر حمورابي الاله ادد في مسلتة في المقدمة والخاتمة وكذلك في متن القوانين نفسها . ولا تدع هذه الاشارات مجالاً للشك في ماهية وظائف هذا الاله حيث ان القوانين تتحدث عن النتائج القانونية اذا اغرق ادد فعلا ، اي اذا غرق الحقل نتيجة المطر الغزير ، بينما وضعته في خاتمة القوانين بانه 'سيد الغزارة' المسيطر على ابواب 'فيضانات السماء والارض' وكان الاله ادد في بلاد اشور ايضا من بين اعظم الالهة ، ومن اثار بلاد اشور هناك منحوتة على الصخر في معلثايا تظهر سلسلة من المعبودات الاشورية وعلى راسها الاله اشور وزوجته اما الالهة التي تتبعه فهي انليل وسن وشمش وادد وعشتار . وقد عرف ادد في هذه المنحوته وغيرها برمزه، وهو عبارة عن الصاعقة على هيئة الشوكة ، والشكل الموضح هنا هو الرمز الذي وجد على حجر حدود من العهد الكاشي .

وكيهوى (سفراشعا) الاصحاح : ١٩ : ١) كان الاله ادد يركب الغيوم وكان صوته الرعد (قارن : سفر صموئيل الاول الاصحاح ٢ : ١٠ الاصحاح ٧ : ١٠ ، سفر ايوب الاصحاح : ٣٧ : ٥٢٤ وهكذا) كما كان ايضا الها مقاتلا وفي الاسطورة التي توضح خسوف القمر غلب هو والاله شمش من قبل القوى المعادية .



رمز ادد

وكان ننورتا (الذي يكتب اسمه احيانا انورتا وفي الكتب القديمة ننيب) معبودا اخر يحمل بعض صفات اله العاصفة ، وكان ننجرسُ احد مظاهره في العهد السومري ، وهو اله جرسُ الحامي ، وهو حي من احياء مدينة لجش ويظهر هذا الاله شبها كبيرا بالاله انليل ، وفي بعض الأوجه يظهر انه ادمج معه ، ويستدل على ذلك من رمز هذا الاله العددي حيث كان كل اله يعرف برقم رمزي معين حسب النظام التالي : فالرقم ٦٠ خاص بالاله آنو رئيس الالهة (وهو الرقم الكامل في النظام الستيبه) ورقم الاله انليل ٥٠ وايا ٤٠ وسن ٣٠ (اشارة الى ايام الشهر القمبي) وشمش ٢٠ وعشتار ١٥ وادد ١٠ ولا يحتل الرقم ٥٠ في هذا النظام الاله انليل فقط بل كذلك الاله ننورتا على حين كان معبد ننجرسُ في لجش يحمل اسم **اي ننّو** اي (بيت الخمسين) .

وباعتباره الاله المحمارب ، فقد منح ننورتا (السلاح المعلّى) الى ملك كحمورابي الذي جلب له الانتصار كما كان ننورتا بطل انليل في اساطير معينة . وباعتباره الاله المحمارب العظيم واله الصيد ، فقد حصل ننورتا على شهرة خاصة في العهد الاشوري الوسيط وكانت عبادته شائعة لاسيما في مدينة كالح (ذكرت في سفر التكوين الاصحاح ١٠ : ١١ : ١٢) وكالاله نركَال ، كان ننورتا اله الصيد . ومن الطريف ذكره ان المدينة القديمة كالح التي كانت مقدسة بالنسبة له بصورة خاصة ، تعرف الان نمرود ، وهو اسم يمثل بوضوح نمرود الصياد القوي امام الرب في سفر التكوين ، الاصحاح العاشر ٩ ويمثل ننورتا الشخصية المركزية في اسطورة تحكي لناكيف ان الاحجار المختلفة كانت اما مساعدة له في حروبه او معارضة ، فحجر الصوان بصورة خاصة تمرد ضده فاوقع عليه عقوبة التقشير .

وكانت كَولا زوجة ننورتا التي ادمجت بالاله نِن ــ نبرو**Nin-nibru**'سيدة نيبور ' وهي حقيقة اخرى توضح العلاقة الوثقى بين ننورتا وانليل حيث كان الاخير اله نيبور الحامي . وكانت الالهة كَولا نفسها الهة الشفاء وتظهر في الفن مرتبطة بالكتب . وكانت زوجة ننجرسُ (وهو شكل ننورتا المحلي في كش) هي باوا (التي يعرّب اسمها احيانا بابو او باو) .

وكالن نركَال الها قويا ومخيفا جدا ، وهو اله الطاعون والعالم السفلي والاله الحمارس العظيم لمدينة كوثا . واطلق على مدينة كوثا (التي ذكرت في سفر الملوك الثاني ، الاصحاح : ١٧ : ٣٠/٢٢٤) في النصوص السحرية اسم 'مجمع الاشباح ' (انظر اعلاه صفحة ٣٣٩ . وكاله كوثا الحامي ، كان

لنركَال زوجة هي الالهة لاص ولكن كانت زوجته باعتباره سيد العالم السفلى اريش كيكَالErish-Ki-gal. وكانت الالهة اريض كيكَال اصبح ملكا في تلك المملكة ، فقد اقام الالهة وليمة ، وحيث ان الالهة اريش كيكَال لم تتمكن من ترك العالم السفلي لتصعد وتشارك في الوليمة فقد دعيت بان ترسل رسولها لاستلام حصتها . واستنادا الى ذلك ارسلت اريض كيكَال رسولها الىَ مجلس الالهة وكانت تمثل مركزا مخيفا الى درجة ان وقف جميع الالهة عند وصوله احتراما لسيدته ومع ذلك لم يقدم احد الالهة ، وهو نركَال ، هذا الاحترام ، فأمر ان ينزل الى العالم السفلي ربما لاصلاح ما افسد واعطاه الاله ايا (اله الحكمة) تعليمات مفصلة حول كيفية التصرف وحذّوره بصورة خاصة من ان يتقبل اي طعام او شراب او ان يلين الى اغواء اريش كيكَال . وقد حاول نركَال جهده طاعة ذلك ولكنه اخيرا غلب بسحر اريش كيكَال ونام نركَال مع ملكة العالم السفلي في مخدعها لمدة ستة ايام متتالية واقنع اريش كيكَال في اليوم السابع ان تسمح له بالعودة موقتا الى العالم العلوي ليهدىء القلق حول سلامته .

وعندما ذهب نركَال شعرت ايرش كيكال بشوق شديد له طالبة اياه كزوج لها ، لذا ارسلت رسولها طالبة نركَال ومستخدمة بغية الامتثال لطلباتها قوتها على اتلاف جميع المنتجات والخصوبة والحياة على الارض ، وعاد نركَال وذهب الى اريش كيكَال واخذها من شعرها وسحبها من على عرشها ونام الزوجان سوية لستة ايام اخر . واخيرا جاءت رسالة من الالهة في العلى تسمح لنركَال ان يبقى في العالم السفلى حيث حكم من بعد ذلك كملك .

ومع ان كلا من اسم وفكرة نركَال هي سومرية الا انه من المحتمل ان هذه الاسطورة تعكس واقع المجتمع السامي الذي لا يقبل فيه زعامة الانثى (ويمكن ملاحظة نفسية الدين السامي ذاتها في تعصب القديس بول والكنيسة الحديثة ضد القسس من النساء) وقد لقي ارتفاع نركَال في الديانة ذات الصبغة السامية العون ايضا من حقيقة انه ، كالاله مردوخ ، يمثل الشخصية الزوجية للاله الشمس وفي حالة نركَال فانه الشمس القاتلة لحرارة صيف بلاد ما بين النهرين .
ويمكن ذكر اسماء الهة اخرى كثيرة غير ان معظمها كان له اهمية محلية او فصلية اشبه بالقديسين الثانويين في الكنيسة الكاثوليكية (سولا تريد التشبيه اكثر من ذلك) . ومن بين الالهة الثانوية التي يجدر ذكرها الهة النار ، حيث كانت

تناشد عادة في النصوص السحرية وترد اسماؤها على هيئة كَبيل Gibil وكَيرا Gira مدمرى السحر والسحر الاسود . ويظهر اله النار نفسه تحت اسمه نسكو في اللهيب القرباني ليلتهم القرابين ويرسل الرائحة الى الآلهة العظام . وكان رمزه في الفن الشمعة على الرغم من ان ذلك يرد بشكل نادر نسبيا .

وفي الفترات المتاخرة ربما منذ النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد بلغت الالهة القومية ، مردوخ في بلاد بابل واشور في بلاد اشور ، مركز السيادة في مجمع الالهة . ففي العهود السومرية ، كان لكل دويلة مدينة الهها الخاص ، او بالاحرى اذا نظرنا الى الامر من خلال ومجهة النظر السومرية ، كان لكل اله مزرعة اخذت بشكل دويلة مدينة او (في بعض الحالات حيث كانت القوى المجاورة قد نمت واتسعت في مدينة واحدة) جزءا من دويلة مدينة . ولم يكن مثل هولاء الالهة المحلية دائما من بين المعبودات الرئيسة في مجمع الالهة كما انهم لم يدمجوا اخيرا وفي جميع الحالات بشخصيات الالهة العظام . وبصورة عامة ، فاذا ما اتسعت الحدود التي تسيطر عليها دويلة المدينة بالفتوحمات : كانت سلطة اله المدينة تميل للتوسع كذلك على الرغم من ان هناك عوامل اخرى ، ولاسيما الوفاء المحلي لكهنة الهياكل الكبرى القديمة ، تخفف من هذا الاتجاه . وكانت زعامة المجلس المقدس وكذلك السيطرة السياسية على بلاد بابل نظريا بايدى الالهين آنو وانليل . وبسبب بعد الاله آنو ، فقد كانت زعامة المجلس المقدس الفعلية غالبا بيد انليل اله مدينة نيبور الحامي وتطابق هذه النظرة للامور نظرية قديمة ترى ان بداية العملية التي ارتفع فيها الاله المغمور مردوخ اله مدينة بابل الى الهيمنة هي سيطرة حمورابي على مدينة ثيبور . ومما يشار اليه ضد هذه النظرية انه ليس هناك اي شيء لمحاولة صريحة مقصودة من حمورابي ترفع شان الاله مردوخ الى مرتبة آنو وانليل ، فمن الواضح انه عندما اعطى انليل الى مردوخ في قوانين حمورابي السيادة على جميع شعب (بلاد بابل) **انليلوتوكيشات نيشي enlilutu kishat nishe** فقد اعطاه اياها كما يعطيها لحاكم اما السلطة العليا فقد ظلت مع انو وانليل . وفي المقدمة ، فان مردوخ يتبع رسميا كلا من انو وانليل على حين لم يذكر معبد الاله مردوخ الا بعد معابد انليل وايا في مدينة نيبور واريدو وفي الخاتمة لم يدع حمورابي اي علاقة مع مردوخ اكثر من تلك التي كانت له مع بقية المعبودات ، بينما نجده يستلم في المنحوتة البارزة اعلى المسلة العصا والحلقة التي ترمز الى

العدالة من شمش وليس من مردوخ . اضافة الى ذلك ، فان مردوخ ياتي في نصوص الابنية العائدة الى حمورابي بعد انليل ونتورتا وشمش او بعد انو وانليل وشمش . وتظهر نصوص الابنية الخاصة بخلفاء حمورابي حتى نهاية السلالة الصورة نفسها . وجميع ذلك لا يقدم اي دليل على رفع شان مردوخ المقصود في هذه الفترة كما يستنتج هذا الراي من تدقيق تاريخ السنوات . ففي عهد السلالة الاولى (كما في السابق) كانت كل سنة تعطى اسما يعرف بتاريخ السنة (انظر صفحة ٧٤ ــ الملاحظة) تشير الى بعض الاعمال التي تمت في تلك السنة وغالبا ما كان تاريخ السنة يضم اسم اله طالما ان غالبية الأعمال كانت اما نصب تمثال او ترميم معبد . وبين اسماء الالهة في تقاويم السنين هذه ، فان مردوخ ياخذ مركز القيادة في حكم خليفة حمورابي الثالث امي ديتانا فقط حيث ذكر احد عشر مرة من بين اسماء اربعين سنة ، ومع ذلك ، فحتى ذلك يبدو انه نتيجة للصدفة وليس له اهمية بالغة . ان هذا الاتجاه لا يستمر في حكم الملك التالي . ويبدو انه رغم سمو مدينة بابل السياسي والاتجاه الناتج عن ذلك لان يحصل الهها على مرتبة مرتفعة في مجمع الالهة الا ان حمورابي وخلفاؤه لم يستطيعو ان يرفعوا من شان مردوخ الى السيادة نظرا لرسوخ مصالح كهنة ثيبور واور وسبار ولارسا (حتى لو افترضنا انهم رغبوا في ذلك) . لذا كان ارتفاع شان مردوخ الى مرتبة السيادة لايمكن ان يكون قد حدث حتى القرون المظلمة بعد سقوط سلالة حمورابي .

وكان مردوخ في شكله السومرى الاول (اصله امار ــ اوتوك) يعني (ثور الشمس الصغير) يمثل مظهرا ارضيا للاله الشمس ويعتبر البعض انه كان يرتبط اصلا بمدينة اريدو اقدم مدينة سومرية ، حيث كان ابن الهها انكي ــ ايا ومن الموكد فان اسم ايساكلا 'بيت الرأس المبجل' الذي استخدم فيما بعد للدلالة على المعبد الكبير المقدس بالنسبة لمردوخ في بابل ، كان اصلا يشير الى معبد في اريدو كما يستدل على ذلك من احدى اساطير الخليقة . وكنتيجة لعلاقته مع اريدو ومع انكي ــ ايا ، كان مردوخ الها للسحر (تحت اسم اسار ــ لوخي او اسالوخي عادة) وعند التطبيق كان اله السحر بلا منازع على الرغم من انه ظل لاهوتيا تابعا لابيه بهذا الخصوص وان الطقوس السحرية تضم دائما جملة تشير الى مردوخ وهو يسال اباه ايا عن الارشادات السحرية حول الاجراءات السحرية المطلوبة (انظر صفحة ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧) .

وفي وقت تنقيح انيوما ايليش الاخير (ملحمة او بالاحرى اسطورة الخليقة

وهي الاسطورة العظيمة عن نشأة الكون التي كانت تتلى في احتفالات راس السنة كان مردوخ قد اصبح على راس مجمع الالهة في بلاد بابل . والاعتقاد السائد ان اينوما ايليش في شكلها الحالي يعود تاريخها الى العهد البابلي القديم غير ان الصعوبات التي تعترض قبول مردوخ كاله مهيمن في هذه الفترة يكون اعتراضا قويا كما ان الاسس التي تعتمد عليها ارجاع اصل الشكل الحالي لاينوما ايليش الى تلك الفترة ضعيفة . وتوضح الاسطورة الظروف التي ارتفع فيها مردوخ الى مرتبة السيادة : 'المخلوق في مياه الابسو النقية ' الذي 'ولده اباه ايا وولدته امه دامكينا ' والذي 'كان شكله غامضا ومبهما وفوق التصور ' الذي كان له اربعة عيون واربعة اذان والذي 'اذا تحركت شفتاه اندلعت النار منها ' ظهر امام انشار ، المعبود الاول وعرض خدماته ليدمر الوحش البدائي تيامة :

سيد الالهة ، مصير الالهة العظام ،
اذا كنت انا الذي سياخذ بثارك ،
اذا كنت ساقيد تيامة واعطيك الحياة ،
اقم مجلسا اجعل مصيرى متفوقا واعلن ذلك!
اجلس سوية في فاتحة المجلس بسرور !
ودع كلام فمي يحدد الاقدار مثلك ،

وقد دعي فعلا مجلس الالهة ومنح مردوخ القوة المهيمنة التي طلبها :

واقاموا له عرشا عظيما
لياخذ مكانة للتشاور امام ابائه ،
'انه انت ' (اعلنوا) 'المشرف بين الالهة العظام ' ،
ان قدرك لا منافس له وكلامك هو آنو .
ايه مردوخ ! انت المشرف بين الالهة العظام ...
لقد اعطيناك الملوكية على كل شيء .

وفي نهاية الرقيم السادس من انيوما ايليش وفي الرقيم السابع (والاخير) اعلن الالهة في المجلس «الاسماء الخمسين» للاله مردوخ المنتصر . فقد كان 'ابن الاله الشمس ' 'مردوخ الاله الذي يخلق كل شيء ' 'ماروتوكو هي سند بلاده وشعبه ' 'لوگالديميرامكيا Lugaldimmiramkia (وهي كلمة سومرية تعني 'ملك الهة السماء والارض ' 'اسارو الذي يهب الارض الخصبة ' ...'الذي يخلق الحب والنبات ويجعل الخضار ينبت ' ، 'توتو كمن ليس بين الالهة

مثيلهُ ' ، كان هو 'اشازو الذي يعرف ما في القلوب ويرى ما في داخل الالهة ' وانونا ، مستشار ايا (اله الحكمة) وفي مظهره المرئي كان نيبيرو ، كوكب المشتري وحتى ايا وحد نفسه مع مردوخ :

سمع ايا وفرح قلبه
وقال :'ان الذي جعلت الالهة اسماءه باهرة
دعه يكون مثلي دع اسمه يكون ايا ' .

واخيرا يجعل اخر اسمائه الخمسين «خمسين» فقد اد مجه مجلس الالهة رسميا بانليل الذي يعود اليه ذلك الرقم المميز وقد دعي مردوخ بحق 'انليل الالهة ' ويعتبر ادماج مردوخ المقصود هذا بكثير من الالهة الاخرى من قبل عدد من العلماء بانه يدل على الاتجاه نحو التوحيد . ومع ذلك فان استخدام كلمة 'التوحيد ' بهذا الخصوص تضع الامر اكثر قوة مما ينبغي . وان اكثر ما يمكن الاقتراض هو الميل نحو التفريد . وقد لا يكون هناك ضرورة للتأكيد على الاختلاف بين اتجاه اللاهوت البابلي هذا وبين ظهور التوحيد في اسرائيل . ففي اسرائيل بالرغم من ان بعليم Baalim قد يكون قد قبل من قبل بانه موجود حقيقة . فقد كانوا يعتبرون دائما في الديانة كما او حيت من خلال الانبياء مختلفين عن يهوى (الرب) ليس فقط في الدرجة ولكن في طبيعتهم الرئيسة . وان ادماج الاله الاعلى بالمعبودات الاخرى المعروفة في بلاد بابل كان من الامور الرئيسة التي قاتل ضدها الانبياء في اسرائيل .

وباعتباره السيد دون منازع فقد اطلق على مردوخ لقب **بيل** (السيد) بالضبط كما كانت تدعى عشتار غالبا **بيليت** (السيدة) وقد ذكر تحت هذا الاسم في العهد القديم (اشعيا الاصحاح ٤٥ :١) وفي الكتاب الطريف 'بصل والتنين ' في الابركريفا **Aprcrypha** .

وكانت زوجة مردوخ سربا نيتم **Sarpanitum** 'المشرقة ' التي كانت اهميتها منفردة قليلة على الرغم من تحريف اسمها واعتباره زير — بانيتم 'خالقه البذر ' وادماجه بالهة الخلق ارورو **Aruru** .

ويرتبط الاله نابو ارتباطا وثيقا بمردوخ ، وهو اله بورسيبا الذي اشير الى علاقته باله مدينة بابل في العهد القديم (اشعيا ، الاصحاح ٤٦ : ١) (نيبو Nebo وهو الاسم العبرى لنابو) وكان نابو لاهوتيا ابن مردوخ ومرتبطا به ارتباطا وثيقا في اعياد راس السنة في مدينة بابل . وهناك من يقترح اقتراحا معقولا مضمونة انه كما ان مردوخ قد حل محل انليل في السيادة على مجمع

الالهة وكما ان انليل نفسه كان قد ازاح الاله الاعلى الاصلي آنو الى الخلف في فترة سابقة كذلك كان نابو عندما ماتت الحضارة البابلية اخيرا ازاء منافسة الافكار الجديدة من فارس واليونان وفلسطين في موقف ليحل محل مردوخ .

وبالاضافة الى علاقة نابو المباشرة بمردوخ ، فقد لعب نابو ايضا دور الاله الحامي لفن الكتابة ، وكان الها للحكمة كالاله ايا ورمدوخ وكانت زوجته تحمل اسم 'تشميتم' الذي يعني 'السمع' وكانت فعليا تجسيد لصفة هذه المعبودة الخيّرة التي وصفت بانها 'الاذان' الواسعة اي بمعنى المستعدة لسماع الصلاة .

وفي بلاد اشور ، كما في بلاد بابل ، حدث علو شان الاله القومي ، وكان الاله في هذه الحالة هو الاله اشور . وقد حملت البلاد والعاصمة القديمة والمعبود الاسم نفسه ، وليس من الموكد حتى الان على اي من الاسماء الثلاثة اطلق الاسم اشور اول الامر . واذا امكن اثبات ان اسم الاله كان الاسبق ، فان ذلك قد يشير الى ان اشور كان اصلا الها قبليا اكثر من كونه اله مدينة ، بالاسلوب نفسه كما كان يهوى (جهوفا) بين العبرانيين .

وفي نسخة من انيوما ايليش وجدت في مدينة اشور ، فقد اعيد كتابة النص البابلي بنزاهة باستثناء اسم اشور الذي وضع بدلا من مردوخ وباسلوب مشابه ، خلال الفترة السرجونية ، فقد استخدمت العلامة الرمزية الخاصة بانشار ، الذي ربما كان يمثل احد الدهور او ما قبل الالهة الذين وجدوا قبل ان توجد الالهة العظام . للدلالة على اشور .

وفي مدينة اشور التي كانت مركزا لعبادة الاله اشور ، كان الاله يسكن في معبد يسمى اي شار ــ دا . وكانت زوجته ننليل التي كانت اصلا النظير المؤنث وزوجة انليل الذي نبنى لذلك شخصبة الاله اشور ، كما تبنى لقبه كور ــ كَال (الجبل العظيم) .

وفي النصوص الاشورية التاريخية كان لاشور بدون استثناء تقريبا المكان الاول بدون جدال ، فهو يسبق آنو وانليل وايا . وهناك مثال مشهور على ذلك تضمه رسالة مكتوبة من قبل سرجون الثاني وموجهة الى الالهة تعطي تفصيلا لحملته الناجحة على اورارتو وحلفائها عام ٧١٤ ق . م . وقد ذكر الجزء المعني منها على الصفحة ٣٩٩ ادناه حيث يمكن ملاحظة ان اشور ياخذ الاسبقية . وبالاسلوب نفسه يرد اشور في المقدمة في عدد من المنحوتات الحجرية في اجزاء من بلاد اشور التي تمثل مواكب الالهة وقد مثل اشور بالفن

وهو يحمل كالاله شمش وانليل العصاة والحلقة ماسكا بيده اليمنى السلاح المقوس الغريب الذي يوصف عادة من قبل الاغريق بمصطلح هاربي Harpé وهو يقف على حيوانين خرافيين هما التنين والاسد ذو القرون . وكالاله مردوخ ، فقد اخذ الاله اشور العديد من صفات قادة مجمع الالهة لنفسه كما كان له ايضا كمردوخ مظهرا شمسيا وفيما يخص النقطة الاخيرة يعتبر عادة احد اشكال قرص الشمس المجنح بانه يمثل بشكل خاص اشور رغم انه قد اثيرت حول هذا التفسير التساؤلات .

وكانت زوجة الاله اشور اصلا هي الهة الخلق التي تحمل اسم شيروا Sherna ، ولكن في الفترات التالية وكنتيجة للدمج الذي نتج عنه اخذ الاله اشور قيادة مجمع الألهة التي كانت لانليل ، فقد كانت زوجة عادة ، كما اشرنا الى ذلك ، ننليل .

ومن الالهة الاخرى الجديرة بالذكر داكَان الذي يعتبر بشكل ما الها قوميا . وكانت له اهمية خاصة (رغم انها لم تكن العليا) في مملكة ماري . وان هذا الاله مالوف لدينا من العهد القديم (سفر القضاة الاصحاح ١٦ : ٢٣ ، ١ صموئيل : الاصحاح ٥ : اخبار الايام الاول ١٠ : ١٠ : ٧ : ٢ : ٥) غير انه كان معروفا في بلاد بابل قبل تاريخ الاشارات في العهد القديم بزمن طويل حيث وجد في تركيب اسماء الاشخاص الذي يشير الى ادلة تغلغل الساميين الغربيين في فترة ايسن لارسا كما يوجد اسم داكَان كعنصر في اسماء الاشخاص في الفترة نفسها تقريبا في بلاد اشور وتحت تاثير مشابه . كما يرد هذا الاله ايضا في الاساطير الاوغاريتية كأب لبعل : وهذه الاساطير وثائق من القرن الرابع عشر قبل الميلاد وجدت في راس شمر اعلى الساحل السوري وتمثل ادبا دينيا كنعانيا قديما .

وتظهر احدى رسائل ماري المسمارية الاسلوب المباشر الذي تدخل فيه داكَان في سياسة مملكة ماري . فقد راى احد الاشخاص حلما اعتبر ذا اهمية تستوجب اخبار الملك زمري ـــ لم. وقد راى الحالم في حلمه انه كان في رحلة وفي طريقه دخل معبد داكَان في ترقا ليسجد امام الاله . وقد ساله الاله فيما اذا حل السلام بين زمريليم وشيوخ قبائل البنيامين* Benjamina المشاكسة واخبره

* ليس هناك شيء ما عدا الاسم يشير الى علاقة بين هذه القبائل وقبيلة بنيامين في العهد القديم وانه كما اشار بعض العلماء (واحدلهم I.J. GELB في JCS, XV, 1961,31-38) انه حتى قراءة الاسم في وثائق ماري (بنيامينا) ليس مؤكدا وقد تكون 'مار ـــ بامينا ' او مجرد 'بامينا ' .

بان ذلك لم يتم بعد ولم يكن داكان مستغربا وعلى ذلك :

لماذا لايمثل رسل زمريليم امامي بانتظام ويضعون امامي
تقريره المفصل ؟ لو كان ذلك قد حصل لكنت قد سلمت
شيوخ قبائل بنيامين في يدى زمريليم منذ وقت بعيد .

وقد اخبر الحاكم في حلمه ان يخبر بذلك وقد فعل ذلك فعلا وان الرواية تشير الى مركز داكان القومي بانه يتمكن من ان يهب الانتصار .

خدمة الالهة :

كانت الالهة باعتبارها الاسياد الاصلية لمقاطعات المعبد والمدن ، تستلم من البشر ، الذين يمثلون مستاجريها ، الاجرة والخدمة المفروضة عليهم . ولم تكن خدمة الالهة عملا اختياريا اضافيا . ففي لاهوت بلاد ما بين النهرين القديم تصف اكثر من قصة واحدة من قصص الخليقة ان البشر خلق بشكل خاص لكي يريح الالهة من تعب العمل (انظر اعلاه صفحة ١٨٣ وما بعد) . ومن اجل الحصول على حقوقها وكذلك لايصال قواها السخية الى الناس ، كان من الضروري للالهة ان تعين ممثلين لها من البشر في مقاطعاتها . وفي التنظيم الاجتماعي الاصلي ، كما يمكن لنا حتى الان التوغل خلال عصور ما قبل التاريخ ، كان ممثل الالهة من البشر يعرف باسم **ان En** الذي لابد انه كان ملكا كاهنا ورمزا للخصوبة كالملوك الكهنة في Frazer's Golden Bangh 'الغصن الذهبي لفريز ' وانهم كذلك قد لاقوا اصلا موتا طقوسيا يمكن ان تحتوي 'المقبرة الملكية في اور (من فترة عصر فجر السلالات الثالث) الضحايا الراغبين (انظر ادناه صفحة ٤٠١ وما بعدها) وكان **ان** En في الفترات الاولى يعيش باعتباره الممثل المباشر للمعبود في المعبد في جناح يدعى **كَبارو** Giparu ويمثل جلجامش مثلا مبكرا واضحا لهذه الشخصية .

وفي وقت مبكر ايضا حدث تطور جديد في المجتمع السومري ، حيث انتقل **الإن** En من المعبد الى قصر مستقل ، ويرتبط بذلك انقسام الواجبات . واصبح الحاكم الدنيوى (الذي ظل ، مع ذلك ، يقوم بدور في كثير من الامور الدينية وشؤون المعبد) يدعى **انسي** Ensi على حين قام كاهن بالاشراف على شؤون الالهة اليومية في المعبد . واخيرا وبانضمام عدد من دويلات المدن في وحدة سياسية واحدة (لاسيما عندما كانت تضم مدينة نيبور) اصبح **انسي** المدينة المسيطرة **لوكَال** اي ملك ، وخلال التاريخ البابلي والاشوري جميعه

ظل **الانسي** او **اللوكَال** مع ذلك الممثل المباشر للالهة وكان مسؤولا عن ضمان خصوبة الأرض من خلال مساهمته في طقوس راس السنة .
وخلال ذلك تطور في المعابد نظام اداري كهنوتي كامل وكان مجال نشاط هذا الادارة الكهنوتية يشمل الناحية الاقتصادية اضافة الى الناحية الكهنوتية . وقد لا يكون التميز بين الاثنين بالضرورة معترفا به في العالم القديم ومع هذا ، وللسهولة ستناقش الناحية الكهنوتية للكهنة هنا بشكل مستقل قدر المستطاع .

وقد استخدم مصطلح **اريب ـ بيتي** Erib biti (ويعني حرفيا 'الداخل للمعبد ') منذ العهد البابلي القديم للدلالة على اولئك الكهنة المسموح لهم بالدخول الى جميع اقسام المعبد : واحيانا يعني الكهانة في المعبد برمتها ، ولو انه كان يعني في العهد البابلي الحديث عامة الكهنة الذين يلون اصحاب الرتب الكهنوتية العليا على وجه الخصوص . ويبدو ان **الاريب بيتي** كانوا يقومون باداء الطقوس الاعتيادية الخاصة بالقرابين المقدمة للالهة ويساعدون بقية اصناف الموظفين في انواع معينة من المراسيم كما تقرأ ذلك :

> سيقود رئيس **الاريب ـ بيتي** Erib-biti المشعل من الزقورة
> مع كهنة **المشمشو** mashmashu **والكالو** Kalu طارد
> الارواح والمغنين ...

او

> سيذهب الملك **والاريب ـ بيتي** الى الهيكل ويقدم
> **الاريب ـ بيتي** حوض الماء الخاص بغسل الايدي الى
> عشتار .

وكان **المشمشو** Mashmashu **والاشيبو** Ashipu (وهو مصطلح استخدم للدلالة اما على مساعد **المشمشو** او لكاهن مختص يناظره) من اصناف الكهنة المعينين بالعرافة ، والكلمة ترتبط **باشيبو** Ashipu المستخدمة في سفر دانيال للدلالة على العراف (الاصحاح الثاني : ١٠ وغيرها) وقد سبقت الاشارة الى التعاويذ من النوع المستخدم من قبل **المشمشو** كما اشير الى منهاج تدريب هذا الصنف من الكهنة ، انظر اعلاه صفحة ٣٣٨ وما بعد .

وان كثيرا من الطقوس والتعاويذ المذكورة اعلاه التي كان يقوم بها **المشمشو** لم تكن تجري في منطقة المعبد ولكن في مسكن الرجل المصاب .
ومع هذا كان على **المشمشو** واجبات يؤديها في ادارة المعبد الاعتيادية وكان يقوم بشعائر التطهير قبل طقوس المعبد .

وكان **الكالو** Kalu (وبالسومرية Gala) طاردا للارواح ، وكان جزء من واجبه ان يطيب قلب الاله بموسيقاه ، وهناك نص طقس ديني يعطي وصفا لاعداد الطبل المقدس المستخدم من قبل هذا الصنف من الكهنة .

وكا **النارو** Naru (وهو مصطلح اخر من اصل سومري) هو 'المنشد' . وكان هناك اعضاء من الذكور والاناث وهؤلاء على صلة وثيقة بطاردي الارواح **الكالو** Kalu وكان الصنفان يشتركان في ترنيم النواح .

وفي طقوس المعبد ، كان المدير الرئيس هو **الشيشكَلوّ** Sheshgallu (من السومرية **شيش كَال** Shesh-gal اي 'الحارس العظيم') وهو الذي كان يقوم في فترة تالية باداء الطقوس في عيد راس السنة في بابل ويمنح الملك شاراته . وكانت الاضاحي تقدم بوساطة كهنة يدعون **شينكَو** Shangu (بالسومرية **سنكَا** Sanga) وكان على راسهم **شانكَمخّو** Shangamakku ('**السنكَا** الاعلى') . وكان لقب **سنكَا** اصلا يعود للملك ثم اخذه كاهن مستقل في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد ، وكان هناك صنفان من الموظفين استخدما لاجراء بعض الامور العملية الخاصة بطقوس المعبد هما **مارى امّاني** Mari-ummani (الحرفي) **وناشي — باطرى** Nashi-patri (حامل السيف) . فكان الصنف الاول يقوم بواجبات كعمل التماثيل اللازمة للطقوس على حين كان يقع على عاتق الثاني واجب نحو الحيوانات المقدمة للتضحية . وكان من الطقوس الاخرى المرتبطة **بالناشي — باطري** هو القطع الرمزى لرؤوس بعض التماثيل .

وثمة اصناف اخرى من الكهنة (تدعى **رامكو** Ramku **وباشيشو** Pashishu على التوالي) مسؤولة عن طقوس الغسل والتزييت وكانت طقوس الغسل تتم في جزء من المعبد او القصريسمى **بيت — رمكي** Bit-Rimki اي 'بيت التطهير' .

وكان علم قراءة الطالع الكبير يحتاج الى حكماء وكان هولاء يدعون كهنة **البارو** Baru ('المراقبين') وقد يكون تاثيرهم على امور الدولة كبيرا حيث كان بيدهم تفسير العلامات عندما كان الملك يضع امامهم قضية من قضايا الدولة — وغالبا ما كان **البارو** العراف يستخدم طريقة صب الماء في الاناء مع الزيت lecanomamcv ويعمل بواسطة **مكلته** makeltu او قدح التكهن : ولا يخضى على القارىء ملاحظة الشبه مع الاساليب السحرية عند يوسف (سفر التكوين الاصحاح ٤٤ : ٥) وقد يرافق **البارو** الجيش وقد ينال مرتبة عالية من

الشرف بتنبواته الصادقة او الخزي ان كذبت تنبوأته . واستخدم كهنة **البارو** في تفسيراتهم للطوالع التعليقات التي نظمت بأجزاء كانت تحمل مصطلحات فنية ترتبط باعضاء الحيوان المقدم للاضحية ولاسيما الكبد . وكان لابد ان يتبع الاضحية الاولى اضحية ثانية للتأكد وفي حالات معينة باضحية ثالثة . ويبدو ان الفكرة الاساسية في ذلك كانت ان الاله اذا ما تم التوجه اليه بصورة صحيحة قبل التضحية واخبر بالمشكلة المطلوب حلها 'يكتب جوابه الالهي في جسم الاضحية' .

وكان من اصناف العرافين المتخصصين كهنة **الشائيلو sha'ilu** الذين ذكروا غالبا الى جانب كهنة **البارو** وان كان للصنف الاخير كما ظهر مركز اعلى وكان هناك اعضاء اناث من هذا الصنف (يعرفون باسم **شائلتو sha'ltu**) وتشير النصوص ان النساء بصورة خاصة كن يستشرن العرافات **الشائلتو** للتثبت من رغبة الالهة ويظهر ان **الشائلة** كانت تعمل خارج الدين الرسمي المتمركز في المعبد . وفي احدى التراتيل وصف كاهن **الشائلو Sha'ilu** بانه 'الشخص الذي يفسر الاحلام' ويبدو ان ذلك كان واجبه الرئيس وان كان عمل نظيرته من الاناث كما يبدو لا يقتصر في الديانة الشعبية على ذلك . ويبدو ان **الشائلو** كان يطلب تفسير الحلم من الاله الذي ارسله غير ان الاسلوب الحقيقي المتبع في ذلك غير واضح وهناك من يرى ان ذلك غير واضح وهناك من يرى ان ذلك كان يتم بمراقبة دخان مبخرة تشتعل .

وكان من اصناف الموظفين الذكور الاخرى في المعبد **الكُركَرّ kurgarru** **والاسِنُّ Assinnu** (او اسنُّ Isinnu) ربما الخصيان الذين كانوا يشاركون في اداء بعض الطقوس كممثلين ولعلهم بازياء نسائية حيث ان هناك نص يشير الى ان :

> **الكُركَرُّ والاسن** الذين غيرت الالهة عشتار رجولتهم الى انوثة ليلبسوا القناع امام الناس

وكان كلا الصنفين يحمل اشياء معينة (اسلحة او الات) شارات لهم ويرى البروفسور اوبنهايم ان السلف الاسطوري لهذه المخلوقات الخنثى كان قد خلق ليخدع لعنة ارشككال Erishkigal والاخيرة هي ملكة العالم السفلي عندما كانت عشتار سجينتها وقد منعت اي اله او مخلوق ذكر او انثى من دخول او ترك العالم السفلي لانقاذ الاسيرة وتمكن الاله ايا Ea الذكي من الالتفاف حول هذه اللعنة بخلق مخلوقات خنثى وبذلك انقذ عشتار .

اضافة الى الاصناف المذكورة ، كان يرتبط بالمعبد عدد من خدم المعبد الاناث يمكن ان يطلق على بعضهن اسم كاهنات والبعض الاخر بغايا المعبد . وكانت **الاينة** Entu (والكلمة صيغة مونثة للاسم السومري **ان** En) على راسهن ويمكن ان يقال انها كانت ، (الكاهنة العليا) وانها كانت استنادا الى العلامة الرمزية السومرية 'زوجة الاله ' او (استنادا الى تفسير اخر) 'السيدة التي هي الهة ' وقد تعني العلامة الرمزية الخاصة **بالاينة** Entu صنف من الكاهنات يطلق عليه اسم **اكيبة** Ugbabtu وهو صنف اقل درجة ولكن ذو واجبات مشابهة في الطقوس وكانت **الاينة** ذات مرتبة عالية جدا وقد يعين الملوك بناتهم **اينة** الاله كما عين الملك نبونائيد ابنته في معبد الاله القمر في اور . وفي الفترات المبكرة كانت **الاينة** تمثل نظيرة **الان** المؤنثة في الزواج المقدس الذي اعتمدت عليه خصوبة البلاد ، وبهذا المعنى كانت فعلا 'الزوجة البشرية للاله ' وكان ذلك اساس ما ذكره هيرودتس (الجزء الاول صفحة ١٨١ ــ ١٨٢) بان على قمة المعبد المدرج ذي الطبقات الثمانية (الزقورة) في بابل :

> يقوم معبد عظيم فيه مضجع مؤثث بفخامة ... ولا يقضي الليل هناك الا امرأة اشورية واحدة ، يختارها الاله نفسه ، او هكذا يقول الكلدانيون الذين هم كهنة بعل . ويقول هولاء الكلدانيون ايضا ــ وان ذلك لايعني اني اصدقهم ــ ان الاله نفسه ياتي الى المعبد ويرتاح على المضجع . ويروى المصريون قصة مشابهة عن طبقة في مصر ... وكلتا المرأتين كما يرون ، ممنوعتان من مجامعة الرجال .

وكانت **الاينة** تعيش في جناح من المعبد يسمى **كَيار** Giparu او (**اكَيبار** Egipar) ، وهو مصطلح كان يطلق في الاصل ايضا على مقر سكنى **الان** .

ومن وجود مصطلحين هما **اينة** العظيمة **واينة** الصغيرة اللذين يردان احيانا يمكن القول انه كان هناك كاهنات من صنف **اينة** ذات اهمية كبيرة واخرى قليلة وواضح من نصوص فسأل مختلفة التي تنبيء بحدوث الكوارث اذا جامع رجل اينة ان المتوقع من هذه النساء (كما يقول هيروتدس) ان يعشن عفيفات . وكان بامكان **الاينة** كما يفهم ذلك من قوانين حمورابي ، ان تتزوج في ظروف معينة ، وان كان الافتراض في النصوص ان اي ولد قد تحصل عليه يجب ان يكون عن طريق التبني ، وربما يعني ذلك انه كان عليها ان تبقى باكرا الى ما

بعد عمر انجاب الاطفال ولعلها كانت تتقاعد بعد ذلك عن خدمة الاله كما كن عذراوات الهة النار في روما يفعلن بعد ثلاثين سنة (من خدمتهن) وهناك من يرى من جهة اخرى بان مثل هولاء النساء كن اما يجعلن عقيمات (وليس هناك اي دليل مقنع على ذلك) او كان يصار في حالة الحمل غير المرغوب فيه الى الاجهاض (وهو امر كان معروفا عند الآشوريين وكان يعتبر جريمة كبرى) وكانت ام سرجون الاكدي ، كما تقول الرواية من هذا الصنف حيث تخلصت من طفلها غير المرغوب فيه ورمته .

وقد ذكرت **الاينة** مقرونة باسماء كثير من المدن المقدسة القديمة (اور — الوركاء ولارسا ولجش وايسن وسبار ونيبور وكيش واشور) ويبدو انها قد بطلت بصورة عامة بعد العهد البابلي القديم بفترة ما وفي وصف نبونائيذ في القرن السادس قبل الميلاد كيف ان الاله ننا **Nanna** 'اعرب عن رغبته بكاهنة عليا ' يشير الى حقيقة ان وظيفة **الاينةُ** قد هجرت (في اور) منذ ايام بعيدة .

وصنف ثان من نساء المعبد ، وهو صنف يرتبط ب**الاينة** غير انه اقل مرتبة هو صنف **النادية naditu** (او **ناطيةُ natitu**) حيث ان التعريب الدقيق غير موكد) وكان لها مثل **الاينةُ** ان تتزوج غير ان القوانين البابلية لا تصورها بانها كانت تنجب الاطفال كما هي الحال بالنسبة **للاينةُ** وربما كانت التقاليد بالنسبة لكلا الصنفين من النساء واحدة .

وكثير من نساء المعبد — ان لم يكن جميعهن — كن يعشن ضمن حرم المعبد في منطقة تسمى **كَاكَو Gagu** 'دير ' وهي مجمع من الابنية له ادارته واراضيه الخاصة . وان معظم معلوماتنا عنهن مستمدة من قوانين حمورابي وان هناك من يرى بان تكرر ذكر اصناف نساء المعبد في القوانين يدل على انهن كن في خطر احتمال صيرورتهن طبقة مظلومة فوجد حمورابي ان من الضروري تشريع القوانين لحمايتهن تمشيا مع اهدافه المعلنة لحماية الضعيف .

ومن اصناف النساء التي وجدت اسماؤها في العهد القديم على الاقل هي **قادِشةُ Qadishtu** وقد ترجمت الكلمة العبرية المقابلة **قادِشة Qadishah** في النسخة المنقحة سفر التثنية الاصحاح : ٢٣ : ١٧) على هيئة 'زانية ' الى جانب نظيرها الذكر 'المابون ' الذي وجد بالتأكيد في احدى الفترات التالية ضمن طقوس المعبد (سفر الملوك الثاني الاصحاح ٢٣ :٧) . وهناك اسباب مقنعة لافتراض ان **القادشةُ** كنظيرتها العبرية كانت مكرسة للبغاء الديني وهناك عقد زواج من العهد الاشوري القديم يشترط بان ليس للرجل المعني ان ياخذ

امرأة اخرى في البلاد بل له ان يجامع قادشة في المدينة (اي في مدينة اشور) ويذكر هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد فقرة ذكرها الكثيرون (الجزء الاول : ١٩٩) ان في بابل :

> على كل امرأة ان تذهب مرة في حياتها وتجلس في معبد افروديت وتجامع غريبا ... ومعظمهن يجلسن في فناء المعبد ويلبسن عصابة من حبل مجدول* حول رؤوسهن .. والممرات موشرة في جميع الاتجاهات خلال جموع النساء حيث يمر الرجال ويختارون . وعندما تاخذ المرأة مكانها فلا يجوز لها ان تعود الى بيتها حتى يرمي احد الغرباء قطعة من الفضة في حضنها وياخذها خارج المعبد ليضطجع معها . عندما يرمي قطعة النقود عليه ان يقول 'باسم الالهة ميليتا Mylitta (وتمثل الكلمة الاكدية **مُالتُ** Mu'allitu التي تسبب الولادة وهو لقب عشتار) . وقد تكون قطعة الفضة صغيرة جدا ولكن لايجوز رفضها ، وتعتبر تلك القطعة مقدسة ولا يسمح للمرأة بالاختيار وعليها ان تذهب مع اول من يرمي لها النقود وعندما تسلم نفسها يكون واجبها تجاه الالهة قد اكتمل ولها ان تعود الى بيتها ومنذ ذلك الوقت فان من المستحيل اغواءها مهما كان المبلغ الذي يعرض عليها كبيرا !

ومع ان من المتفق عليه ان ما ذكره هيرودتس مضلل بحالته هذه وان فهم المؤرخ كان خاطئا ، فيبدو من المحتمل ان اساس القصة هو التقاليد المرتبطة بنساء **القادشةُ** وقد تكون **الكُلمَشةُ** Kulmashitu صنفا مشابها من النساء

قرابين الالهة ، الاضحيات :

مُثّل المتعبدون عادة على الاختام الاسطوانية المبكرة وهم يجلبون قربانا قوامه ما عز الى المعبود . وهذا يوضح الفكرة ان من اولى الخدمات التي كانت تطلبها الالهة من عبدتها تزويدها بالطعام والشراب والزيت للمسح . لذا نجد

---

* ان ذكر التجديل بسفر الملوك الثاني الاصحاح ٢٣ :٧ حيث جاء فيه ان النساء المرتبطات بالسدوميين «ينسجن السواري»

الزيت مثلا قد ذكر في رقم الحسابات التي تحتوى مواد كالتالية :

٤ قا من احسن زيوت ماري لمسح عرش شمش .

او

١/٢ قا من احسنزيوتماري لنركّال .

او

١ قا من زيت دِقراتمُ digaratum لمسح الالهة . وكانت الالهة تتمتع بوجبات طعام منتظمة اثنتان او — في بعض الاماكن في فترة متاخرة — اربعة في اليوم ، وجبة كبيرة ووجبة (صغيرة) توضع على مناضد امام تماثيلهم المقدسة في الصباح والمساء . وكان ريموش ملك اكد في الألف الثالث قد اهدى خبزا وجعة للقرابين اليومية لمائدة شمش ويذكر نص من الفترة السلوقية تفاصيل مؤن الالهة في الوركاء التي ضمت بين الاشياء الاخرى مجموعا يقرب من الالف وزنة من الخبز يوميا (مصنوعا من الدقيق الذي كان ثلاثة ارباعه من الشعير والباقي من الحنطة) وخمسين شاة وثورين و جمل واحد وثمانية خِرأف وخمسة واربعين اناءا من الجعة والنبيذ من مختلف الاصناف ... وهذا يذكر بتفاصيل قصة بعل والتنين حيث جاء فيها :

كان للبابليين صنم يسمى بعل وكان يصرف عليه يوميا اثنا عشر مكيالا كبيرا من الدقيق الجيد واربعون شاة وستة براميل من النبيذ . (بعل والتنين فقرة ٣) .

وبين الاطعمة الاخرى التي كانت تقدم وجبات طعام الالهة العسل والسمن والزيت الجيد والحليب والتمر والتين والملح والصعف والكعك والدواجن والسمك والخضراوات والفاكهة الذهبية — ربما نوع من الحمضيات — وكانت بعض الحيوانات وغيرها من الاطعمة محرمة على الهة معينة . لذا فقد خصص على انه لا يجوز ان يقترب لحم الغنم من اله معين ولحم البقر اله ثان والدواجن من اله ثالث .

وكانت وجبة طعام الاله فنيا وليمة تدعى لها الهة اخرى وقد يحضرها المتعبدون من البشر وحتى الموتى . وكانت الالهة نفسها تاخذ اجزاء معينة من الحيوان في كل من القرابين اليومية والاضحيات والبقية تذهب للملك والكهنة وموظفي المعبد .

وكانت قرابين الالهة اليومية تدعى سَتُكُ Satukku او كَينُ ginu (وهي مصطلحات مترادفة تقريبا) بينما يدل مصطلح كُقُ Guqqu على نوع معين من

القرابين الشهرية . وكان يميز بين الاضحيات من الخضروات (نِندابُ nindabu) والاضحيات من الحيوانات وكانت الاخيرة تشمل كثيرا من الطقوس والاحتفالات التي كانت ترافق ذبح الغنم او الماعز او الماشية ، وكما في اسرائيل (قارن سفر اشعيا الاصحاح : ١ : ٢ وسفر الخروج الاصحاح ٢٩ : ١٦) كان الدم يسكب امام المعبود ، ولهذا السبب فان المصطلح الذي يدل على الحيوان الاضحية هو **نيقُ** niqu الذي يعني 'السكب ' . وكان اختيار الضحية ، وغالبا كانت شاة ، يتم بدقة كما في العهد القديم (قارن سفر الخروج ، الاصحاح : ١٢ : ٥) حيث تخصص الشروط بالنسبة للعمر واللون والبكارة والكمال وفيما اذا كانت كاملة او مرباة على العشب ام على الحبوب وسواها . وكانت حنجرة الحيوان تقطع من قبل **ناش ــ پَطر** nash-patri 'حامل السيف ' الذي كان يتلو رقية اثناء ذلك وتكون الدماء المرافقة نفسها لسكب السائل . وكان الراس المقطوع يوضع قريبا من مبخرة محترقة ويرش بالماء المقدس ويرافق ذلك تلاوة رقية اخرى . وكان الاضحيات الفعلية تقدم على مذابح خاصة او على سقوف المعابد من قبل كاهن **الَشنكَكُ** Shangu .

وهناك نصوص تعدد مختلف انواع القرابين والاضحيات كالتي تذكر '**ينق** الملك ' '**نيقُ** المتعيدين ' قرابين **كَينُ** ginn قرابين لايام **الاشيشُ** eshsheshu ، لقرابين الليل ، ولتحية البيت (اي مراسيم الصباح الباكر) وكان هناك اضحيات خاصة لايام معينة من الشهر ، لاسيما يوم الهلال الجديد ويوم البدر الكامل اي اليوم الاول واليوم الرابع عشر من الشهر في التقويم القمرى .

(وكان يوم البدر الكامل اي اليوم الاول واليوم الرابع عشر من الشهر في التقويم القمرى) . وكان يوم البدر يحمل الاسم **شَباتُ** Shapatu الذي اشتق منه الاسم العبرى **سبّث** Sabbath وكان للاخير الذي اصبح يدل على اليوم الاخير من الاسبوع اصلا نفس المعنى اي يوم البدر كما هو واضح مثلا في سفر الملوك الثاني الاصحاح ٤ :٢٣ : سفر اشعيا الاصحاح الاول : ١٣) وكان **الاشيشُ** eshsheshu هو الاسم الذي يطلق على العيد الذي كان يقع اصلا في اليوم الاول والسابع والخامس عشر (اي انه اطلق على اعياد الهلال الجديد والكامل) وبعد ذلك زحفت اعياد **الاشيش** فكان يحتفل بها اكثر تكرارا وصلت الى ثمانية ايام في الشهر في مدينة الوركاء وتقرأ في النصوص المسمارية عن اللحم 'الذي يقدم على مائدة بعل في ايام اعياد **الاشيش** وهناك ذكر لانواع

مختلفة من الكعك لهذه الاعياد تذكر بالفقرة الواردة في سفر ارميا الاصحاح ٧ : ١٨ التي عجنت فيها النساء العجين لتصنع الكعك الى ملكة السماء (انظر ايضا سفر ارميا الاصحاح ٤٤ : ١٩) .

ومن جوانب الطقوس الاخرى صب السوائل (الذي ذكر عرضا اعلاه) والذي كان يختلف عن الشراب المقدم الى الالهة في وجبات طعامها . وكانت السوائل تصب للالهة منذ العهود السومرية الاولى على هيئة ماء او جعة او نبيذ او زيت او دم الحيوان المضحى (وهناك مثال مدهش عن صب الماء في سفر صموئيل الثاني الاصحاح : ٢٣ : ١٦ ، حيث ذكر فيه ان داود عندما استلم الماء الذي جلب له (لم يشرب بعد ذلك بل صبه للرب) وغالبا ما يمثل صب السوائل في فن بلاد ما بين النهرين وقد قسم المشهد عادة الى ستة انواع استنادا الى تفاصيل معينة كصب السائل على مذبح او في اناء او على الارض او على الحيوان وعلى كل حال فليس من الواضح الطرق الاساسية التي اختلفت فيها حركات الطقوس المتنوعة عن بعضها البعض . وهناك مشهد اشوري مشهور يمثل اشوربانيبال وهو يصب السائل على الاسود التي قتلها اثناء مطاردته ولكن النص الذي يرافق المشهد ، وان كان يويد راينا عما كان يحدث فعلا ، الا انه لا يضيف شيئا لفهمنا للهدف الكامن وراء صب السائل . وفي العهود المبكرة مثّل القائم بذلك عاريا مما يشير الى انه كان عند السومريين علاقة بين العرى وطقوس صب السوائل ، ولكن ذلك نادر جدا بعد الفترة الاكدية ويختفي تماما بعد عهد سلالة اور الثالثة .

وكانت المباخر من الخصائص الاعتيادية جدا لطقوس المعبد وكان حرق الاخشاب ذات الروائح العطرة قد تقدم اما كشعيرة تطهير او كخدمة للاله حيث كانت الالهة تسر جدا بالروائح الزكية ويذكر هيروتدس ان حوالي طنين ونصف من اللبان كانت تحرق سنويا في معبد بعل في بابل ولكن لا يمكن اثبات ذلك الان من المصادر المسمارية التي ذكر فيها بصورة عامة ان المباخر المستخدمة في الطقوس ضمت اخشاب ذات رائحة زكية كالصنوبر والارز اكثر من عروق صمغ اللبان الذي كان يستورد من جنوب الجزيرة العربية والذي ربما يعود له اسم 'اللبان' .

مجمع المعبد

خلق الانسان لخدمة الالهة وان الالهة نفسها قد حددت الشعائر والمراسيم والخدمات الواجبة على الانسان وكان معظم ذلك يتم داخل مجمع المعبد .

وقد امكن تتبع اثار مجمعات المعابد الكبيرة في بعض الحالات بالتنقيبات الاثرية الى بناياتها الاولى وتبين بان المعبد الاصلي كان مصلى متواضع جدا بينما يشمل مجمع المعبد في شكله النهائي مساحة واسعة تبلغ عدة دونمات وقد يشمل بنايات ذات انواع متعددة . وكانت الميزة الرئيسة في منطقة المعبد هي الزقورة ، الصرح الكبير المدرج من ثلاث الى سبع طبقات الذي كان يسيطر على المدينة . وكان حجم الزقورة يختلف من مدينة الى اخرى غير ان مساحة قاعدتها قد تصل الى مائة ياردة مربعة بينما قد يبلغ ارتفاع البناء بكامله خمسين ياردة وعلى القمة يقوم 'المعبد العالي ' الصغير ولعله كان مغطى ببلاط مزجج ازرق . وان الوظيفة الدينية الدقيقة لهذه الصروح ما تزال موضع نقاش ولكن من الممكن بيان وبشكل موكد ما لم تكن تمثله هذه الصروح . فلم تكن (بالدرجة الاولى على الاقل) مراصد مراقبة كما لم تكن مقابر للملوك ولم تكن الزقورات باي شكل من الاشكال مشابهة من حيث الوظيفة للاهرامات في مصر وان اي تشابه خارجي بين الاثنين هو ناتج عن طريق الصدفة .

اما فكرة ان الزقورة تمثل جبل الكون كقبر ليس للملك بل للاله المحتضر الذي يقوم ثانية ، فلا يمكن رفضها بنفس الثقة . وقد امكن تقويم ادلة مادية (ولو انها ليست قاطعة باي حال من الاحوال) لتأييد هذه النظرية . ومن بين مثل هذه الادلة فان من المهم ان المصطلح الفني كَكَنُ gigumu نفسه كان يدل على الزقورة وعلى بعض الابنية في مستوى اقل انخفاضا . وان الاقتراح المقدم ان المعنى الاخير لـكِكَنُ giginu يشير الى غرفة دفن تحت الارض غير ان ذلك لم يثبت بعد وفي الواقع انه يبدو غير محتمل في الوقت الحاضر . ومن الحجج القوية ضد تفسير الزقورات بانها مقابر للالهة المحتضرة التي تقوم ثانية ان الالهة المرتبطة بالزقورات لم تكن جميعها تموتُ وتحيا ثانية كما اصبح من غير المؤكد الان (انظر صفحة ٤١١ ، ٤١٤) ان حتى الاله مردوخ وتموز — وهما الالهان اللذان كان يفترض سابقا بان لهما من غير شك هذه الخاصية — كانا في الواقع يفعلان ذلك في الدين الرسمي .

ويرى علماء اخرون الزقورة بانها عرش للمعبود ، وقد اشاروا الى فقرات في العهد القديم ، كتلك الواردة في سفر اشعيا الاصحاح ١٤ : ١٣ لافكار مشابهة كما اعتبرت الزقورة ايضا مذبحا ضخما ، وهي فكرة قدم لتايدها ما جاء في سفر حزقيال الاصحاح : ٤٣ : ١٣ — ١٧ الذي يصف مذبحا على شكل زقورة مصغرة .

واكثر تفاسير الزقورة شيوعا اليوم يعتمد في اساسه على نظرية اندريه W.Andrae ، ولوانه قد صورت في بعض اوجهها على يد عدد من العلماء . ويصف اندرية الزقورة بقوله : انه كان هناك معبدان مرتبطان تماما ، احدهما على قمة الزقورة والاخر عند قاعدتها . وكان «المعبد العالي» ، استنادا الى راي اندرية ، المقر الخاص لسكنى المعبود الذي كان ينزل في الاوقات المناسبة الى 'المعبد السفلى ' . وان الانتقادات تشير الى ان هذه النظرية ، المعتمدة اساسا على اعتبارات معمارية ، لاتنصف النصوص تماما ، التي تتحدث بصورة خاصة احيانا عن المعبد السفلي كمقر سكن المعبود . لذا فان بعض العلماء قد حوروا النظرية معتبرين 'المعبد العالي ' مكان استراحة موقت للاله في طريقه بين السماء و«المعبد السفلى» وان مدرجات الزقورة تفسر اذن على انها اما مجرد واسطة للصعود المناسب الى 'المعبد العالي ' او انها نوع من السلالم ترتفع الى السماء من الارض . وبالنسبة للنظرية الاخيرة يمكن ان توخذ قصة صرح بابل الواردة في سفر التكوين الاصحاح التاسع : ٣ ــ ٥ بنظر الاعتبار والتي تتعلق بدون شك بزقورة بلاد ما بين النهرين ، او ماورد ذكره في حلم يعقوب (سفر التكوين الاصحاح ٢٨ : ١٢) حول السلم الذي يخبرنا بانها كانت 'سلما منصوبة على الارض وراسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها ' .

ويشير لنزن H. Lenzen ، وهو حجة في موضوع الزقورة ، الى بعض الصعوبات في قبول نظرية اندرية باكملها كتفسير لاصل الزقورة ، طالما ان في المراحل الاولى من حضارة بلاد ما بين النهرين يبدو انه كان هناك في بعض الحالات 'معبد عال ' فقط وليس هناك 'معبد سفلى ' . ويؤكد لنزن ان 'المعبد العالي ' لم يكن مجرد مكان لاستراحة المعبود بل ان طقسا حقيقيا كان يتم اجراءه هناك : ولذا فقد كانت الزقورة بهذا المعنى حقا مذبحا عظيما .

وفي داخل المعبد ، قريبا من قاعدة الزقورة ، كانت غرفة الاله الرئيسى وعدد من المصليات الصغيرة المقدسة بالنسبة للمعبودات المرتبطة به على حين يوجد خارج هذه الهياكل الرئيسة ساحة كبيرة حيث تجتمع العامة في اوقات الاعياد .

وكان هناك غرفة لخزن التجهيزات (كالملابس والالات الموسيقية والادوات والعجلات المستخدمة في الطقوس) وقد يكون هناك ايضا مكتبة المعبد (كِركِناكُ) (girginakku) المرتبطة بصورة عامة بمعبد للاله نابو ، اله فن الكتابة .ـ وكانت يوجد اجنحة خاصة للكهنة والكاهنات ، وكانت الكاهنات

يسكنّ في منطقة تسمى كَاكَكُ gagu ويبدو ان بيت ــ اشتَمّي bit-ashtammi (بيت الدعارة) كان جزءا منها . وقد يكون هناك دكاكين للصناع الفنيين وقد يكون لمجمع المعبد ميناؤه الخاص ومخازنه وعنابره لخزن محصول اراضي المعبد والبضائع التي يحصل عليها عن طريق التجارة .

وكان الاله نفسه يقف ، ممثّلا بتمثاله او رمزه ، في الغرفة الطولية التي كانت تمثل بؤرة المعبد . وقد يقوم التمثال عل قاعدة ، ربما في كوة وراء ستارة لحمايته من اعين الناس وكان موضع المدخل الرئيسي الى هذه الغرفة الطولية مختلفا ، فاما ان يكون في الضلع الصغير مقابل الاله في النهاية البعيدة او في الضلع الطولية . وفي الحالة الاخيرة فان النظر سوف لن يقع على المعبود من خلال الباب المفتوح : وان الاختلاف يرتبط باختلاف وجهات النظر بخصوص تعرض المعبود الى نظر العامة . وفي مملكة ماري يبدو ان المسافر الذي كان يمر بمدينة ماري قد يذهب دون مراسيم كثيرة الى المعبد ليتعبد امام المعبود (انظر اعلاه صفحة ٣٧٤) ولكن ليس هناك ادلة ان وصول العامة للاله بهذا الاسلوب كان عادة هو الحالة في بلاد بابل او اشور .

وقد ينحت التمثال المقدس نفسه من قطعة من الخشب ويزين بالمعادن والاحجار الكريمة ، وهي حقيقة استهزاء بها اشعيا (الاصحاح ٤٤ : ١٢ ــ ٢٠) وبالنسبة للبابليين فقد كان هناك نقطة معينة في الصنم المصنوع حيث ياخذ فيها المعبود مكانا لسكناه ، وهناك شعيرة معروفة حول 'فتح الفم' وكان المشغل يجهز بانائين من الماء المقدس حيث كان يتم غسل الفم لاول مرة للتمثال المصنوع حديثا ثم يتلو القائم بالخدمة الرقى ، تعلن احداها الى الاله : 'من هذا الوقت فصاعدا سنذهب امام اباك ايا '. ثم يوخذ الاله بعد ذلك في الليل على ضوء المشعل الى شاطىء النهر ويوضع على مطرح من القصب مواجها الشرق وتقدم القرابين وتصب السوائل وتتلى الرقى ويعاد غسل الفم ، ثم يوجه الاله الى الغرب وتقدم قرابين اخرى وتصب السوائل وتتلى الرقى ويتم غسل الفم . وفي الصباح ، بعد تقديم قرابين وتلاوة رقى اخرى ، فان كل عمل سحري مؤكد يكمل جزءا من التمثال ويضحي بكبش ثم ياتي دور الرقية 'تمثال مقدس اكتمل بطقوس عظيمة' ثم 'يفتح الكاهن عيني الاله بلمسهما ببعض الطرفاء السحري ثم يقاد الاله باليد ترافقة تلاوة الرقية 'القدم الذي يتقدم' وعندما يذهب الى الشارع الى معبده . وبعد ان تقدم القرابين في المدخل يقاد الاله الى الداخل ويجلب الى هيكله ويوضع على عرشه . وبعد غسل الفم اربع

عشرة مرة تجلب شارات التقديس وتوضع على الاله في الليل .

وفي داخل المعابد كانت الالهة منذ العهود السومرية الاولى ، قد تتمتع برفقة الندماء المقدسين وتماثيل المتعبدين ، لذا فان الملك قد يصنع تمثالا له وهو يصلي الى الاله وتذكر النصوص ان مثل هذا التمثال يكون تذكيرا دائما ليضع صلاة الملك امام الاله .

ولم تكن الالهة محصورة دائما في المعابد . ففي اعياد معينة تخرج بملابس ومحمولة يشرف على اكتاف الكهنة لتعرض على العابدين وان فرص تنقل التمثال في مثل هذه المناسبات ، التي تعطي ايماءة واضحة الى المتعبدين او بدء الافتراق عنه ، كانت لها اهمية ذات حدين . وقد يقوم الاله بزيارة طقسية الى معبودات اخرى بمناسبة الاعياد الكبيرة ، لذا فان نابو في بورسبا يزور بانتظام والده مردوخ في عيد رأس السنة الجديدة في بابل .

الفصل الحادي عشر

الـمـلــك

كانت الملكية في بلاد ما بين النهرين سمة من سمات الحضارة : حيث كانت احدى الهبات التي حصلت عليها الالهة انن Inin (انانا Inanna) من الاله انكي لتمن بها على اصحاب الحضارة السومرية التي كان مركزها في الوركاء (انظر اعلاه صفحة ٥٣) . وقد هبطت الملكية ، كما تحدثنا جداول الملوك السومرية من السماء ، وفي اثناء الطوفان لابد انها عادت الى السماء ، حيث انها هبطت ثانية بعد ذلك . لذا فان نظام الملكية وحتى شاراتها ، كانت بالنسبة للسومريين وخلفائهم موجودة وبشكل مستقل قبل الملوك من البشر وتقرا في ملحمة اتانا :

> 'في ذلك الوقت لم يكن قد لبس تاج .... وكان الصولجان ورباط الراس والتاج والعصامودعة في السماء امام آنو . ولم يكن هناك توجيه (ملكي) لشعبها [الالهة] ، (ثم) هبطت الملكية من السماء .

وكان الملك نفسه ينتخب من قبل الالهة ويقلد صفات الملكية من قبلها . ومنذ وقت مبكر كان الاله انليل نفسه ، وهو اله البلاد القومي ، يدعي (ملك البلاد) ثم عرف بعد ذلك ب «ملك الالهة» حتى في بلاد اشور ، حيث ادمج به الاله اشور اله بلاد اشور القومي .

كان الملك في القدم ينتخب اصلا من قبل المجلس ومن الممكن تلمس ذكرى ، او حتى مثالا حقيقيا لذلك ، في عهود متاخرة قد تصل الى العهد الاكدي (حوالي ٢٣٠٠ ق م) . وهناك نص يعتبره بعضهم بانه يضم اخبارا تاريخية صحيحة يذكر ان :

في 'مشاع انليل ' ، وهو حقل يعود الى اسابد Esabad معبد كُولا Gula ، اجتمعت كيش ، ورفعت للملوكية ابخُر ــ كيش phur-Kis رجل كيش ... '

ولم يكن الملك في بادىء الامر اكثر من Primus inter Pares ، اي قائدا موقتا ينتخب وقت الحرب ، غير ان ذلك قد تلاشى قبل نهاية عصور فجر السلالات . وان المصطلح السومري الذي يترجم 'ملك ' (لوكَال) كان يعني اساسا 'رجل عظيم ' فقط ولم يكن يستخدم للدلالة على الرئيس السياسي للدولة فقط بل وكذلك على السيد في علاقته مع عبيده .

وحيث ان اهتماما كبيرا قد وجه من قبل الطلبة الذين يدرسون مقارنة الاديان حول الشكل المفترض لفكرة الملوكية في الشرق الادنى القديم ، فان من المفيد ان يشار الى ان هناك اختلافات مهمة بين نظريات الملكية السومرية والعبرية . فعندما ظهرت الملكية اخيرا في اسرائيل اثارت سخطا دينيا حادا بين بعض الفئات حيث كان الشعور بان الرب وحده هو الملك (سفر صموئيل ، الاصحاح ٨ : ٧) . وفي الواقع ان نظام الملكية لم يكن نظاما عبريا على الاطلاق بل انه تقليد لنظام اجنبي ، كما يبين ذلك وبوضوح سفر التثنية ، الاصحاح ١٧ : ١٤ وسفر صموئيل ، الاصحاح ٨ : ٥ لذا كانت الملكية في اسرائيل تعتبر حسب الاتجاه الرئيسي في الافكار الدينية الرسمية ، نظاما بشريا على وجه التخصيص ولو ان الشخص المعين يجب ان ينتخبه ، او على الاقل يوافق عليه الرب . وباستثناء الفكرة ان الرب نفسه كان ملكا ، فان الملكية لم تكن بالتاكيد احدى الافكار الاساسية في الحضارة العبرية .

ان المناقشات المكثفة حول فكرة الملكية المقدسة في بلاد ما بين النهرين وبقية انحاء الشرق الادنى القديم قد توصلت الى الاستنتاج العام بان من الخطأ الحديث عن الملك في بلاد ما بين النهرين بانه كان مقدسا . وفي الجزء التالي من هذا الفصل استخدم مرة مصطلح 'الملك كاله ' وان ذلك صحيح في النص ، الذي يشير الى موقف معين في طقس ديني عندما يتحد الملك مع الاله

للزواج المقدس ، ولكن من الخطأ الكلام عن الملك كاله خارج مضمون هذا الطقس . وبعض الملوك ، وبشكل واضح جميع ملوك سلالة اور الثالثة باستثناء الاول منهم ، كتبوا اسماءهم احيانا مسبوقة بالعلامة المسمارية **دنكَر** Dingir (وهي علامة دالة تشير الى ان الاسم الذي يليها من صنف الاسماء المقدسة)(١) . وقد استنتج بعضهم من هذا ان الملوك المعنيين كانوا يعتبرون في الواقع الهة . وثمة راي يخالف هذا يقول ان الملوك ، حتى الذين كتبت اسماؤهم بهذا الاسلوب ، لم يكونوا بالضرورة قد فعلوا ذلك منذ بداية حكمهم ولا في كل مدينة من مدن المملكة التي كانت تحت حكمهم . وقد قدم اقتراح معقول ان تاليه هولاء الملوك الظاهري مشتق اساسا من فكرة اختيارهم من قبل المعبود ، بطريقة غير معروفة حتى الان ، بانهم مناسبين لتمثيل الاله في الزواج المقدس . وحتى في عهد سلالة اور الثالثة كان هناك اختلاف كبير بين ما يسمى ب'الملوك المقدسين' والالهة الاصلية . صحيح ان اسماء مثل هؤلاء الملوك وردت في قوائم قرابين الطعام مع اسماء الالهة غير انه يجب التفريق بين قرابين الطعام وبين الاضحيات ، وان الاضحيات الحقيقية كانت تقدم للالهة فقط وليس للملوك اطلاقا . اضافة الى ذلك ، فان الملك المقدس المفترض قد يشيد المعابد الى الالهة امن اجل حياة الملك نفسه مما يدل على قبول فارق رئيس في المركز بين الالهة والملوك المقدسيين .

كان الملك ، من وجهة النظر الدينية ، بالدرجة الاولى الواسطة بين الالهة والناس الذين خلقتهم لخدمتها . فكان يمثل الناس امام الالهة وبالمقابل فقد كان الواسطة التي تنظم الالهة من خلالها شؤون الدولة للناس .

وحيث ان رفاهية الشعب كانت تعتمد على رفاهية الملك ، فقد كان اي خطر يهدد الملك ذا اهمية قصوى . وعندما يشير الطالع والنذير الى اقتراب مثل هذه الاخطار ، كان لابد من اتخاذ اجراءات معينة . وفي ظروف خاصة كان

(١) استخدم الوانيول القدماء العلامات الدالة قبل او بعد الاسماء لبيان صنف ماهية تلك الاسماء وذلك لتسهيل مهمة القارىء نظرا لصعوبة وتعقيد الخط المسماري واستخدامه الطريقة الرمزية والصوتية في ان واحد . وكان هناك علامة خاصة توضح قبل اسماء الالهة واخرى قبل اسماء الذكر ، من الاشخاص وثالث فعل اسماء الاناث ورابعة قبل اسماء القبائل وخاصة قبل اسماء المواد المصنوعة من الخشب وهكذا في حين كانت بعض العلامات توضع بعد الاسم المقصود فكان هناك علامة دالة توضع بعد اسماء المدن واخرى بعد اسماء الطيور وثالثه بعد اسماء الاسماك وهكذا .

ينتخب احد الاشخاص بديلا عن الملك بل (حسب احدى التفسيرات) ، يقتل بدلا عنه ، واحسن ما يعرف عن هذا النظام هو من الرسائل الاشورية من عهد اسرحدون ، ولوانها معروفة من فترات اخرى .
واقدم حادثة معروفة هي من العهد البابلي القديم عندما مات ملك ايسن (حوالي ١٨٦٠ ق م) وهو يأكل ثريدا حارا في وقت كان قد عين بديلا موقتا للملك : وظل الملك البديل على العرش بصورة دائمية .

ويبدو ان الاجراءات اللازمة لتعيين البديل الملكي في العهود الاشورية كان يباشر باتخاذها خوفا من الكسوف او الخسوف الذي كان ينذر بوقوع كارثة عظمى للملك . ويبدو محتملا ان البديل كان ينتخب من قبل الالهة من خلال الكهنة الملهمين . وفي عهد اسرحدون ، كان البديل يعتلي العرش مدة مائة يوم ويتمتع بجميع الامتيازات الملكية على حين كان الملك الحقيقي وابناءه يحجرون في القصر . وكان دور الملك البديل ان ياخذ على نفسه تقبل جميع النبؤات السيئة التي كانت تهدد الملك : وهناك رسالة تتحدث عن مثل هذا البديل حيث تذكر انه 'اخذ على نفسه تقبل جميع تنبؤات السماء والأرض ' وهي عبارة ربما اشارت الى طقوس معينة ولو ان ذلك لم يثبت بعد . ومرة مات البديل الذي اخذ على نفسه ان يتقبل النبوءات المشؤومة التي كانت تهدد حياة الملك ، او هكذا يفترض كثير من العلماء استنادا الى تفسير مويد باخبار وصلتنا بالاغريقية عن الكاهن البابلي بيروسس . ومع هذا ، فقد اشار العالم الفرنسي لابات R. Labat الى ان العبارة الحقيقية التي استخدمت في الرسالة التي تتحدث عن نتائج تنصيب البديل هي ان البديل «ذهب الى اجله» وان مصطلح «ذهب الى اجله» هو بالتأكيد مصطلح شائع بمعنى «مات» ولكن غالبا ما يشير الى الموت الطبيعي على وجه التخصيص ، وان الموت غير المتوقع يوصف احيانا ، كما يذكرنا لابات ، بالمصطلح (مات في يوم ليس باجله) وهذا يجعل تفسير النص الذي يذكر بان بديل الملك «ذهب الى اجله» بمعنى انه مات بالاعدام اقل احتمالا . ولهذا السبب فان لابات يعتبر المصطلح يعني ان البديل كان يضع نفسه على استعداد لاي موت محتمل ينتظر الملك : وان مضمون المصطلح يصبح اذن ان موت البديل من عدمه هو رهن الاجل ، ولكن مهما يحدث من سوء حظ فانه يقع على البديل وليس على الملك الحقيقي .

ولا بد من ملاحظة ان نظام الملك البديل (سواء تضمن في النهاية الاعدام ام لا) كان يختلف تماما عن التقليد الواسع الشيوع في الديانات البدائية الذي يقضي بتدمير الملك نفسه عندما تبدأ قوته بالانهيار . ومن المؤكد ان التقليد

الاخير كان معروفاً في مصر في عصور ما قبل التاريخ على حين يرى بعضهم انه ظل معروفا بعد العصور التاريخية بفترة طويلة . وعلى كل حال ، فان تقليد الملك البديل لم يكن معروفا في مصر حيث لم يكن بامكان اي بشر اعتيادي ان ياخذ مكان الاله الملك الذي كان هو الفرعون .

ان مختلف قصص الخليقة البابلية ، على الرغم من اختلافها في التفاصيل ، فيها فكرة عامة ، وهي ان خلق الانسان كان يهدف قيامه بخدمة الالهة . لذا كان من بين واجبات الملك الرئيسة الناتجة عن ذلك هي مسؤوليته عن بيت الاله . وفي احدى قصص الخليقة السومرية تقول الالهة نِنتُ Nintu :

سنجعل البشر يعيشون في مستوطناتهم ،
حتى تشيد المدن ...
وحتى يصب اجر بيوتنا في مكان نظيف ،

لذا لم يكن توجيه الملك اهتمامه الى بناء وتعمير معابد الالهة مجرد علامة من علامات التقوى بل واجبا مطلقا . وهناك كثير من المشاهد التي تمثل الملوك والامراء وهم يقومون بهذا الواجب الديني : وتقدم اللوحة ١٨ ا احد الامثلة ، ويمكن ان توخذ مثلا المسلة التي تظهر اور ــ نمو ، موسس سلالة اور الثالثة ، وهو يحمل على اكتافه الادوات التي سيقوم بوضع اسس الزقورة بها . وان هذه الفكرة ، وهي واجب اعداد بيت للالهة ، معروفة لنا في العهد القديم طالما كانت من الامور التي اهتم بها الملك داؤد الذي :

قال لنا ثان النبي انظر . اني ساكن في بيت من ارز وتابوت الله ساكن داخل الشُقق . (سفر صموئيل الثاني ، الاصحاح : ٧ : ٢) .

وفي احدى الاساطير الكنعانية القديمة (حوالي ١٤٠٠ ق . م) التي وجدت في راس شمرا (اوغاريت القديمة) في سوريا ، كان امرا ذا اهمية انه لم يكن لبعل بيتا مناسبا . وفي قصة الخليقة البابلية ، اعلنت الالهة نفسها عندما انتصر لها مردوخ على تيامة :

والان ايها السيد الذي ثبت خلاصنا ،
ماذا يمكن ان نهبك من فضل ؟
عنا نعمل مقاما ... ،

وكان هذا ، على كل حال ، قبل خلق البشر الذي تم بعد ذلك بدافع كريم من مردوخ ليخلص الالهة من مثل هذه الواجبات .

وكان للاهتمام بتعمير المعابد نتائج عملية مهمة ، فاذا تهدم معبد او دمر فقد تهجره الالهة . ويتحدث اسرحدون انه بسبب غضبه من احداث بلاد بابل ، فان مردوخ سمح بتدمير بابل . اذ ذاك «طارت الالهة التي كانت تسكن هناك كالطيور وارتفعت الى السماء» .

وكان تعمير معبد او بناء معبد جديد من الامور التي تحتاج الى طقوس دينية معقدة جدا اضافة الى استقصاءات دقيقة جدا للتأكد من ان رغبة الالهة قد فهمت ونفذت بصورة صحيحة . وان قرار اعاداة بناء معبد كان في الواقع يتخذه الاله الذي كان يخبر الملك بما هو المطلوب . واحسن الامثلة المعروفة عن التعليمات المقدسة لبناء معبد هو ما ورد في حلم جوديا المشهور . ففي كلمات نص جوديا :

> ظهر في الحلم رجل ضخم بقدر السماء ، ضخم بقدر الارض ،
> اما بالنسبة لنصفه العلوي فكان الها ، اما بالنسبة لجناحية فكان طير الأمدكُد Imduged * ، اما بالنسبة لنصفه السفلي فكان الزوبعة . والى يساره ربض اسد . وامرني ان اشيد معبدا ، ولكني لم افهم (تماما) قصده واشرقت الشمس امامي من الافق ، وكان هناك امرأة — من قد تكون ؟ ... كانت تمسك بقلم من معدن برّاق ونقشت على رقيم «نجمة السماوات المتلطفة . وظلت تتامل . وكان هناك بطل ثان ذراعاه مطويتان ماسكا بيديه لوحا من اللازورد وقد ثبت عليه مخطط البيت (الذي سيشيد) ووضع امامي الاناء الطاهر (طقوسيا) ونظم قالب الاجر الطاهر لي (و) ثبت 'اجر تقرير الاجال ' في قالب الاجر .

لذا التجأ جوديا الى معبد الالهة التي تهتم بالدرجة الاولى بالاحلام لتأكيد وتوضيح معنى حلمه .

وبعد ما يقرب من الفين سنة ، استلم الملك نبونئيذ من العهد البابلي الحديث التعليمات من خلال حلم لاعادة بناء معبد الاله سن في حرّان . حيث يذكر :

---

* انظر لوحة ١٠ ،

في بداية حكمي (المقدر منذ) الازل ، جعلتني (الالهة العظام) اری حلما . کان مردوخ ، السيد العظيم ، وسن ، كوكب السماء والارض المضيء ، واقفان سوية . وقال لي مردوخ : «نبد نئيد ، ملك بابل ، اجلب اجرأ بعربات احتفالاتك التي تجرها الخيل وشيد اخلخل Ehulhul [معبد سن في حران] ، ودع سن ، السيد العظيم ، يقيم مسكنه في وسطه ، وقلت لمردوخ باجلال ، رئيس الالهة [حرفيا : 'انليل'] : (اما بالنسبة) للبيت الذي امرت (باعادة) بنائه فان الأما نمندا Ummanmanda [انظر صفحة ١٦٣] يحيطون به وان قوتهم قاهرة ، ومع ذلك ، قال لي مردوخ : ان الا ما نمندا الذي تتكلم عنه هو وبلاده والملوك الذين الى جانبه لم يعد لهم وجود ...

ان التعليمات الواضحة من النوع الذي اشير اليه قد توضّح ، او حتى يستعاض عنها تماما احيانا ، بما يكشف عنه من الرغبات المقدسة من خلال التنبوأت . وكانت هذه احيانا تظهر بشكل مباشر ، حيث قد تحمل الرياح احيانا جميع الاتربة المتراكمة في معبد متهدم مما يدل على :

انها تريد ان يصبح المخطط مرئيا .

وكانت التنبوأت عادة تؤخذ من فحص كبد حيوان مضحي ، وفي الواقع ان نبونئيذ دوّن سلسلة كاملة من مثل هذه التنبوأت التي قام بها للتأكد من ان الوقت قد حان لاعادة بناء معبد سن في حران .

وعندما يصبح بدون شك ان الالهة قدْ قدرت فعلا اعادة بناء معبد ، كان لابد من تنظيف الموقع . وكان ذلك من الامور المقدسة ومن الاعمال التي تتطلب طقوسا وتراتيل خاصة كما تقرر النصوص من النوع التالي :

عندما تنهدم جدران المعبد ، فمن اجل هدم واعادة بناء ذلك المعبد ، ... تشعل النار لايا ومردوخ في شهر ملائم في يوم حسن (من الشهر) في الليل ، وتقدم اضحية لايا ومردوخ . وعلى كاهن **الكالو** Kalu ان يتلو رثاء ، يتلو المغني رثاء .

وفي الصباح ، عليك ان تضع ثلاث قواعد طقوسية على سقف المعبد لايا وشمش ومردوخ . وعلى كاهن **الكالو** ان يعزف الموسيقى بالناى ثم يتلو مرمور التوبة ...

وكان عليهم بعدئذ ان يقوموا بحفر الاسس للكشف عن مخطط المعبد الاصلي الموافق عليه الهيا وكذلك اعمال الآجر فيه . واذا لم يتم ذلك بدقة متناهية فقد ينهار المعبد نتيجة ذلك . وقد حدث ذلك بالنسبة لمعبد ابّار Ebabbar الخاص بالاله الشمس في سبار الذي كما يقول نبونائيد :

> شيده نبوخذ نصر الملك السابق ، وقد بحث عن اسس مصطبته القديمة غير انه لم (يفلح) برؤيتها ، (ومع هذا) بني ذلك البيت ثم انهارت جدرانه في خمس واربعين سنة

وقام نبوئيد بالواجب بدقة اكثر عند تعميره ذلك المعبد :

> لقد بحثت عن اسس مصطبته القديمة ونزلت في تربته الى (عمق) ثمانية عشر ذراعا فاراني اله الشمس ، سيد ابيّار العظيم ، مسكن راحة قلبه ، شخصيا اسس مصطبة نرام — سن بن سرجون ، التي لم يرها ملك من قبلي لمدة ٣٢٠٠ سنة .

وبعد ان يكشف عن الاسس كان يتم تطهيرها طقوسيا استعدادا للبناء الجديد . وكان ذلك يتم بطقوس ملائمة من قبل الملك نفسه ولم يكن التطهير الطقوسي مقصورا على اسس المعبد فقط بل كان ذلك يشمل المدينة باكملها . يرافق ذلك نوع من اللهو . لذا ، قبيل ان يقوم جوديا حاكم لحش ببناء معبده :

> اعطى امير المدينة تعليماته الى المدينة كما لو كانت رجلا واحدا وتبعته لجش بالاجماع كما يتبع الطفل امه ... الام لا تنهر طفلها ، والطفل لا يقل شيئا يزعج امه ، السيد لا يضرب راس العبد الذي اغضبه ، والسيدة لا تصفع وجه الامة التي فعلت شيئا خطأً . ولم يقدم احد دعوى امام جوديا ، امير المدينة ، الذي كان يشيد معبدا . ونظف امير المدينة وطهرها بالنار — وازال من المدينة كل شيء غير نظيف ...

واخيرا يأتي صب اول اجرة . وكان ذلك من مسؤوليات الملك المباشرة . وكبقية اعمال الملك المقدسة الاخرى ، كانت لاتجرى الا في يوم حسن وفي شهر مناسب .

وكان اعلان ملائمة اليوم يتم بواسطة التنبؤات الخاصة بذلك اضافة الى قوائم بالايام الحسنة والمشؤومة . وقد وُصف احد الاشهر ، وهو شهر سِوان Siwan (ويقابل تقريبا اواخر شهر مايس وبداية حزيران) في الواقع بانه «شهر قالب اجر الملك ، يصب الملك فيه قالب الاجر» . وهناك اشارات كثيرة لهذه

الاعمال يصفها جوديا بالتفصيل ويخبرنا كيف انها كانت تُسبق بليلة من الاعداد الروحي :

في المساء ذهب جوديا الى البيت القديم مصليا

....

وانتهى اليوم ، فغسل نفسه ،
واكمل جميع الامور المطلوبة بدقة وحسب التعليمات ،
(وفي الصباح التالي) اشرق اله الشمس عليه ساطعا ،
وذهب جوديا ... الى المدينة المقدسة ،
وقدم الماشية والماعز بدون شائبة ،
وذهب الى البيت ، وقام 'بالاشارة الطقوسية ' ، «وضع اليد على الوجه» .
واخذ الى اي ـــ نِنُّ E-Ninnu [اسم المعبد] الراس الطاهرة ، قالب اجر 'تقدير الاجال ' الحقيقي ،

.....

وصب الماء الذي يجلب الحظ في اطار القالب ،
وبينما كان يفعل ذلك كانت الطبول تدق ،
ود هن (القالب) بالعسل ، وباحسن انواع الزيت ، احسن واجود انواع الزيت ،

.....

ورفع اناء الملاط المقدس ، وذهب الى القالب ،
وخبط جوديا الطين في القالب ،
واتم الطقوس المناسبة ،
وصنع ببراعة الاجر للبيت .

.....

وضرب على القالب ، وجلب الاجر الى النور .
واشرق الاله الشمس سرورا على الاجر الذي وضعه (جوديا) في القالب

....

وجلب جوديا (القالب) الى البيت ،
واخرج الاجر من اطار القالب .

وكان القالب نفسه من الاشياء المقدسة ولابد ان يصنع من اخشاب معينة ثم يحفظ في المعبد . وكان يملأ ، كما يذكر جوديا ، بالطين من قبل الملك (او امير المدينة) ترافقه الصلوات والموسيقى والاضحيات . وبعد ان يتم عمل ذلك بنجاح ، ينتظر بدء عملية البناء الفعلية لحين جفاف اول اجرة (اشار اليها جوديا بان الاله الشمس اشرق سرورا فوقها) وصنع الاجر الاخر ، ومن ثم ، وعند حلول يوم ملائم اخر ، يمكن البدء بعملية البناء الفعلية . وفي احدى الحالات المعروفة فان الفترة بين صب الاجر الطقوسي والبدء الفعلي بالبناء كانت حوالي الشهرين . ويصف جوديا المشهد عندما تستخرج الاجرة الاولى بعد ان تجف وتتصلب ، من قالبها :

اعد جوديا الأجرة وجلبها الى البيت ،
ووضعها (لتثبيت) المخطط الارضي للبيت .
.....
واخذ جوديا الذي بني البيت
طبة الراس الخاصة بالبيت على راسه كما لو كانت تاجا
مقدسا ، ووضع الاسس
......

و'طبة الراس' المشار اليها كانت عبارة عن سلة ذات حافات قصيرة كان العمال يحملون بها الطين للبناء ، وكانت تسند على الراس . وتستخدم السلة بالطريقة نفسها في العراق حتى الان . وقد صنع الملوك القدماء وامراء المدن اشكالا تمثلهم وهم يقومون بهذه الاعمال الدينية (كما في المشهد الموضح في اللوحة ١٨ آ) ، وكانت هذه الاشكال تدفن في اسس المعبد . وكان على افراد الاسرة الملكية الاخرين ان يشاركوا في الواجبات المقدسة لبناء المعبد ، وهناك عدد من الحكام الذين سجلوا بان ابناءهم قد قاموا بذلك فعلا . وكانت عملية البناء الفعلية ، ترافقها الطقوس الدينية المناسبة في المراحل المختلفة ، فترة احتفال وتوزيع ارزاق اضافية للمواطنين .

وبعد ان يكون المعبد قد تم نهائيا ودشّن بالشعائر الدينية المناسبة ، يجلب تمثال الاله الذي يعود له المعبد من المكان الذي كان قد استضافه (في معبد اخر) ويعاد وضعه في البيت المقدس من قبل الملك بعد ان اصبح ملائما للاستعمال كمقر مقدس . ومرة ثانية كانت تزال من المدينة بهذه المناسبة المقدسة كل الخصومات والامور غير الطاهرة دينيا وكل شيء قد يزعج الاله .

ويصف جوديا مناسبة جلب الاله الى مسكنه الارضي الجديد المزين . حيث يخبر الالهة :

انا ، الراعي ، قد شيدت البيتَ ، اريد ان اقدم مليكي الى
بيته ،
الى بيته
الهة آنُنّا Anunna [الالهة العظام] — صلّ من اجلي
لذلك ! ،

ثم تستمر الرواية لتصف كيف ان جوديا .

يذهب الى السيد في اي — نِنُّ E-Ninnu ويصلي له :
مليكي ننجرسُ
السيد الذي يكبح مياه الفيضانات الفاضية ،
السيد الذي تعلو كلمته كل شيء ،
ابن انليل ، البطل ، لقد اعطيتني اوامر ،
ولقد قمت بتنفيذها حقا لك ،
اية ننجرسُ ، لقد شيدت بيتك لك ،
عسى ان تدخل هناك بسرور ،

واخبر جوديا كذلك الالهة باوا زوجة ننجرسُ ، بان مقامها ينتظر قدومها :

(سيدتي) باوا ، لقد اقمت مصلّاكِ لك ،
فخذي مكانك الجميل هناك ،

وتستمر الرواية لتقول :

وسمع صراخه (صراخ جوديا) ،
وتقبل السيد ننجرسُ ملكه قرابينه وصلوات جوديا :
وانتهت السنة ، واكتملت الشهور ،
وبدأت سنة جديدة في السماوات ،
وحل شهر هذا البيت ،
ومضت ثلاثة ايام من هذا الشهر ،
(ثم جاء ننجرسُ من اريدو ،
....

وقدم (جوديا) الذي امضى يومه بتقديم القرابين وليلته
بالصلاة ،... البطل ننجرس الى بيته .

وذهب كالملك (اي ننجرسُ) الى البيت ،
وكان كالنسر الذي يلقي نظره على ثور وحشي ،
وعندما دخل البطل البيت ،
كان كالزوبعة التي تدعو للمعركة .
ودخل ننجرس الى بيته ....

ولم يكن الملك ممثل البشر امام الاله فقط ، وبذا فهو المسؤول عن المحافظة عن مسكن الاله ، بل كان وكيلا للاله ايضا وبذا فهو المسؤول امام الاله عن رفاهية بلاده . وبناء على ذلك كان على الملك ان يقدم تقاريره الى الاله ، وليس الى الشعب ، وكانت كتابات اسس السومريين تكتب على مخاريط من الطين (انظر لوحة ٢٥) او على الاجر الذي كان يدفن بعيدا عن نظر الانسان . وفي الواقع فان النصوص التاريخية الاشورية قد تطورت من هذه المخاريط البسيطة التي تذكر فقط ان الحاكم الفلاني قد شيد المعبد الى الاله الفلاني . وقد حدث ذلك بمرحلتين، الاولى اضيف فيها ملاحظة في البداية تربط بناء المعبد بنقطة معينة من الوقت على هيئة : "عندما قام فلان بعمل الشيء الفلاني بني ... " ثم اضيفت بعض الامور التاريخية الاخرى قبل سرد اخبار عملية البناء حتى احتوت هذه المقدمة على اخبار كاملة عن حملات الملك العسكرية . ومع هذا ، ظل الهدف الفني من مثل هذه النصوص نفسه كما كان في نصوص الابنية البسيطة : فقد كان المقصود منها ان تقع عليها عين الاله وكانت اما بشكل مواد توضع في الاسس وتدفن تحت البناية او بشكل تقارير توضع امام التمثال المقدّس . ولا يمكن رؤية المواد التي توضع في الاسس من قبل اي شخص الا اذا كشف عنها ثانية امير تالي عند تعميره المعبد وكان مثل هذا المكتشف يوجّه فقط لدهنها وتركها في اماكنها .

واهم نص ملكي مشهور بشكل تقرير الى الالهة هي رسالة سرجون الثاني الى الاله اشور التي يسرد فيها اخبار جملة عسكرية كبيرة ضد الاعداء شرق وشمال بلاد اشور . وتبداء الرسالة :

الى اشور ، ابو الالهة ، السيد العظيم الذي يسكن في المعبد
العظيم إخورساجال ـــ كُركُرّ Ehursaggal-kurkurra
عسى ان تكون جيدة جدا !

الى الهة المصائر والالاهات التي تسكن في معبدها العظيم في
مدينة اشور عسى ان تكون جيدة جدا !

الى المدينة والى شعبها عسى ان تكون جيدة ! الى القصر
الذي يقع في وسطها عسى ان تكون جيدة جدا !
انها جيدة جدا مع سرجون الكاهن الطاهر ، العبد الذي يبجل
راس الهك العظيم ، و(هكذا) بالنسبة لخيمته .

ولم تكن مسؤوليات الملك المعروفة مقصورة على تقديم التقارير الى الاله حول شؤون الدولة فقط ، بل استشارته مباشرة حولها ، فكانت جميع القرارات الاتية حول شؤون الدولة الرئيسة ، كالقيام بحملة الى بلاد اجنبية او تعيين كبار الموظفين ، تقدم للاله للموافقة ، وكان المقترح يكتب على رقيم ويوضع امام الاله . وكان شمش (اله الشمس واله العدالة) مفضل بشكل خاص لهذا الغرض في فترات معينة وقد تاخذ الوثيقة شكلا كالاتي : 'ايه شمش ، هل اعين الرجل الذي دون اسمه على هذا الرقيم لادارة الاقليم الفلاني ؟ ' . ثم يذبح طقوسيا حيوان وتفحص اعضاءه الداخلية وكان المعتقد ان اله الشمس يدون ما يوحيه على الكبد اذا اتبعت الطقوس الصحيحة لذلك، وان فحص الكهنة المختصين باستخدامهم نموذجا طينيا مكتوبا (انظر لوحة ٢٧ ب) كمفتاح لذلك، يبين فيما اذا كان قرار شمش بالموافقة او بعدمها (وهنا لابد ان كان هناك امكانية تدخل بعض افراد الاسرة الحاكمة الاذكياء من الذين لديهم معلومات وافية لمنع تنفيذ الخطة غير المدروسة او غير الشعبية) .

ومن مسؤوليات الملك الاخرى كوكيل للاله هو المحافظة على اعمال الري التي كانت تعتمد عليها خصوبة البلاد ، وقد وصف كثير من الحكام اهتمامهم باعمال التقوى الخاصة بحفر وتنظيف القنوات ، ويذكر خمورابي في مقدمة قوانينيه انه كان :

السيد الذي جعل الوركاء تعيش ، الذي ثبت المياه الوفيرة
لشعبها ... الذي وضع اماكن الرعي واماكن المياه للجش
وجرسُ ... الذي سبب ان يكون هناك مياه وفيرة لكوثا .

والقنوات ، كالمعابد وغيرها من الاعمال الرئيسة ، كان يباشر بها في يوم مناسب فقط ، وكان العمل فيها يتطلب ان ترافقه الطقوس الدينية المناسبة في جميع المراحل .

وكممثل او وكيل الاله ، كان الملك ايضا (راعي) شعبه ، وكان هذا اللقب يستعمله الملوك بكثرة او عند حديث الناس عنهم . ويقتبس نص رسمي الى ملك اشوري في الالف الاول قبل الميلاد نشيدا يقول :

جميع الشعب يعتمد عليك ايها الراعي بخصوص (كلام)
فمك السمح .

وكان واجب الملك كراع ان يقود شعبه ، وفي احد النصوص استخدم التشبيه ان الملك لبت ــ عشتار (انظر صفحة ٧٩) قد يقود شعب بلاده كما تقود النعجة حملها ، وقد اخذت هذه القيادة بصورة عامة شكلا عمليا بان يقدم الملك لشعبه فوائد القانون العادل ، فيحمي الضعيف ويحاول السيطرة على الاسعار . ويتحدث كثير من حكام الالف الثالث وما بعده عن نشاطاتهم التي كانت تهدف الى ان لايظلم القوي الضعيف في حين شملت في الواقع الشارات الملكية التي تعطي الى الملك من قبل الالهة عصا العدالة . وقد سبقت الاشارة في موضع اخر الى اصلاحات الحاكم السومري اوركاجينا (انظر صفحة ٦٤) وادعى حمورابي بدوره في مقدمة قوانينه انه :

عندما خوّلني مردوخ ان اوجة شعب البلاد الى الحق
واجعل لديهم حكومة ، نشرت الحق والعدالة في البلاد
وجعلت الناس في رفاهية .

ويوكد الوجه الاقتصادي من هذا النوع من الادعاءات حقيقة ان عددا من الملوك ثبتوا معدل اسعار التبادل في مدنهم .

ويستدل كذلك على مركز الملك كحامي للعدالة من حقيقة ان القَسم كان يتم اما بالالهة وحدها او بالالهة والملك او بالملك وحده . وهناك بعض الادلة المختلف عليها كثيرا حول الديانة السومرية في الفترة المبكرة جدا ، لعلها تفيد في فهم نظام الملكية في العصور الاولى ، مستمدة ممّا يطلق عليه 'المقابر الملكية' في اور . وقد عرفت هذه المقابر ، التي اكتشفت من قبل وولي C.L. Woolley في السنوات التي اعقبت عام ١٩٢٧ ، بـ'الملكية' من قبله بالدرجة الرئيسة ، بسبب الطقوس الطويلة والمُعقدة التي يظهر انها قد رافقت الدفن اضافة الى روعة محتويات المقابر التي ضمت كثيرا من الحلي والاواني المصنوعة من اللازورد والذهب . وفي الواقع ليس هناك دليل قاطع على ان هذه المقابر كانت خاصة بشخصيات ملكية لذا كان الراى موضع جدل .

وقد تم الكشف عما يقرب من الفي قبر في مقبرة اور ولكن ستة عشر قبرا منها فقط يقع في صنف 'الملكية' . وتتميز بانها تضم غرفة الى اربعة غرف مشيدة بالحجر الصلد او الاجر ، وبانها تحمل ادلة على طول وتعقيد مراسيم الدفن ، وبانها قد حوت على جثث اشخاص يتراوح عددهم بين ثلاثة وسبعين

الى اربعة وسبعين كانوا ضحية لما يمكن ان يطلق عليه حاليا الضحايا البشرية .
وتشير تنقيبات وولي الى ان 'المقابر الملكية' قد عملت بالاسلوب التالي : فقد حفر اولاً خندق مستطيل بعمق احد عشر ياردة او اكثر مكونا حفرة مساحتها في الاسفل تصل الى اربعة عشر ياردة

وكانت جوانب الخندق اقرب ما تكون الى العمودية حسبما تسمح به طبيعة التربة . ثم سوّيت قاعدة الحفرة الناتجة وحفر خندق اخر من احد الجوانب بشكل ممر دخول ذا ارضية منحدرة او مدرجة يودي الى الحفرة من مستوى الارض ثم شيد القبر الفعلي من الحجر او الآجر في قاعدة الحفرة . وقد تضم غرفة الى اربعة غرف وقد يشغل ، ولكن ليس بالضرورة ، جميع مساحة الحفرة :

وفي الوقت المناسب ، يصطف في الحفرة عدد من الناس ، ومعظمهم من النساء ، بعضهم يحمل الات موسيقية وتربة . ثم تنزل عربات الاحتفال تجرها الثيران او الحمير الى مدخل الممر : ويفترض انها كانت تضم جثمان الدفن الرئيس وكذلك اثاث وحلي المدفن ، ويمكن ان نفترض (ولو انه ليس هناك دليل ثابت على ذلك) انه بينما كانت الجثة الرئيسة توضع في المدفن كان هناك نوع من المراسيم ترافقها الموسيقى في داخل المدفن او في الساحة المشكلة من بقية الحفرة . ثم ياتي دور الانتحار الجماعي ، فكان كل شخص في الحفرة او في مدخل الممر يزود بقدح صغير من الطين او الحجر او المعدن ، وكان ، او كانت ، يغطس هذا القدح في اناء كبير من السم . ثم كان الاشخاص يشربون المخدر بارادتهم ثم يصطفون ليقدموا انفسهم للموت : فقد كانت بقايا الجثث في صفوف منتظمة حتى ان دبابيس الراس الدقيقة الخاصة بالنساء لم تكن قد تحركت مما يشير الى ان الموت قد حدث في مشهد هادىء وانه لم يكن هناك حاجة لتحريك الجثث بعد الموت . وبعد انتحار الضحايا البشرية ، كانت الحيوانات المربوطة الى العربات تذبح لتسقط على سائسيها حيث وجدهم وولي ، ثم تعاد الاتربة المستخرجة بالحفر الى الحفرة فوق الضحايا . وعندما يصل ملء الخندق الى مستوى معين تسكب السوائل مرة اخرى مع وجبة طعام جنائزية يبدو من اثارها ، كما وصفها وولي ، انها تشبه الطعام الجنائزي للميت المعروفة في اماكن اخرى من الشرق الادنى القديم . ويفترض وولي ، مع الاعتراف بانه ليس هناك اي سند من الادلة الاثارية ، انه بعد ان تملأ الحفرة

تماما كان يشيد نوع من المصلي او النصب عند مستوى الارض مباشرة فوق المدفن .

وفي معظم الحالات حيث كانت الأدلة واضحة ، فان البعض قد قام بعدئذ بالحفر في المدفن وبصورة عامة من خلال السقف ـــ وسلبوا التابوت الملكي من محتوياته المباشرة ، وحسب رأي وولي ، فان ذلك من اعمال سراق المقابر ، ولو ان هناك تفسير اخر يختلف تماما قدّمه عالم اخر . وكان في وسط المدافن الذي وجد غير مشوش بقايا جثة امرأة ورد ذكر اسمها في نص على ختم اسطواني على هيئة شبعاد Shub-Ad وقد اشير اليها بصورة عامة بالملكة شبعاد ولو انه ليس هناك دليل ثابت على انها كانت ملكة . وكان في ارضية هذا المدفن ثقب محفور مخفي بخزانة ينفذ الى المدفن تحته ويعتبر وولي هذا قد تم في وقت اعداد مدفن شبعاد من قبل محتالين ارادوا سلب المدفن السابق الواقع تحته . ويشير الى حقيقة ان العظام في المدفن الاسفل كانت مبعثرة مما يشير الى ان الجثث هناك كانت قد تحولت الى هياكل في وقت السلب . ويتطلب ذلك ، استنادا الى وولي ، ان نفترض ان دفن الملك كان قبل دفن الملكة بسنوات وبذا فان المدفنين لا يشكلان جزءا من نفس المراسيم . ولم يعثر على اثار بقايا جثة ملكية في المدفن السفلي وان ذلك له اهمية كبيرة لمؤيدي نظرية اخرى ، ولو ان وولي يفسر ذلك ببساطة بانه نتيجة قيام سراق القبر ببعثرة كل شيء في عجالتهم .

ويمكن وضع تاريخ المدافن الحقيقي ، ويعتمد ذلك على النظام المتبع في تسلسل التاريخ في الالف الثالث ، بين ٢٧٠٠ و ٢٥٠٠ ق . م. (وحيث ان كتاب وولي 'اور الكلدانيين ' Ur of the Chaldees ما يزال يقرا على نطاق واسع فمن المفيد ان نذكر هنا بان وولي نفسه قد ترك التاريخ الذي اعطي في الكتاب للمقابر 'الملكية ' (حوالي ٣٥٠٠ ق . م .) ويمكن اثاريا مقابلة تاريخ المقابر باول سلالة في اور ذكرت في جداول الملوك السومرية (انظر صفحة ٥٢ ، والتي عرفت لذلك بسلالة اور الاولى .

وقد فسرت الوقائع الخاصة بالمدافن الملكية الستةعشر بطرق عدة وان النظريات الرئيسة (التي كانت معرضة لكثير من التغييرات في التفاصيل) هي كما يلي :

١ ان الملك (او الملكة) المعتبر كاله قدمات وان دفن الحاشية يمثل ضحايا بشرية (ولكنها ضحايا مقطوعة) على حين رافق بقية افراد البلاط سيدهم

المقدس (او سيدتهم) الى العالم الثاني .

٢ . ان المقابر لا تمثل جزءا من الطقوس الجنائزية الخاصة بشخصية ملكية متوخاة ولكن طقس خصوبة بدائي . وان الرجل والمرأة المشاركين الرئيسين في ذلك لم يكونا بالضرورة من العائلة المالكة بل شخصيات كهنوتية بالدرجة الاولى قتلا بعد ان مثلا الاله والالهة في الزواج المقدس الذي كان يعتقد بان خصوبة البلاد تعتمد عليه . وشكل اخر من هذه النظرية يعتبر شخصية الرجل الرئيس الملك نفسه (او بديل الملك) الذي احتفل بالزواج المقدس .

ان الاعتراض الرئيس على النظرية الاولى انه لا يبدو ان هناك اى اثر للضحايا البشرية في بلاد ما بين النهرين . وقد اعتبر النص السومري الذي يتعلق بموت جلجامش بانه يتحدث عن تضحية حاشيته لترافقه ، ولكن على الرغم من الجدارة العلمية الكبيرة التي يتمتع بها صموئيل كريمر الذي قدم هذا الاقتراح ، فان هذا التفسير لايبدو مؤكدا . اما وولي الذي تقدم اصلا بنظرية دفن 'الملك ــ الاله' ، فانه يرد الاعتراض بالاشارة الى ان الملك ، باعتباره اله ، لم يكن يعتبر قد مات بل كان ينقل مكان سكناه الى عالم اخر ، وانه كان من الملائم ان يرافقه افراد بلاطه جميعا . وهناك بعض المعلومات المعروفة من الاشارات في الرسائل وكذلك من النصوص الدينية حول الطقوس الجنائزية في فترة متاخرة جدا في بلاد ما بين النهرين ، وعلى وجه التخصيص في بلاد اشور في الالف الاول قبل الميلاد . وقسم من هذه الادلة يخص دفن 'الملك البديل' (انظر صفحة ٣٩٢ وما بعد) حيث يمكن التعرف على حالة مات فيها الشخص خلال الفترة التي اخذ فيها مكان الملك (سواء بالاعدام او موتا طبيعيا فذلك موضع نقاش) . لذا كانت الطقوس الجنائزية التي دفن بها ذلك الشخص هي تلك الطقوس الملائمة الى ملك نظرا لانه كان بالفعل ملكا من وجهة النظر الدينية . وقد اشير الى هذه الطقوس في رسالة ، ومن سوء الحظ انها في حالة رديئة وتحتمل تفسيرات كثيرة بالنسبة للامور التفصيلية . ويذكر القسم المعنى منها (استنادا الى تفسير فون زودن من جامعة منستر W.Von Soden of Munster بالدرجة الاولى) :

لقد عملنا مدفنا . وقد اعد هو وسيدة القصر بشكل ملائم
ووضع في المكان ... لقد دفنا وتم البكاء عليهما .

وان ذكر 'سيدة القصر' التي ماتت ايضا ، يمكن ان يوخذ ليؤبد الراي

القائل بانه حتى في الالف الاول قبل الميلاد لم يكن من غير المعروف ان يرافق الملك عند الموت اشخاص معينون مقربون له . ومع هذا فليس من الضرورة ان تفسر الرسالة بهذا التفسير حيث يمكن ان يفسر موت 'سيدة القصر' بعدة طرق اخرى .

ويمكن ايضا اثارة اعتراضات على النظرية المعاكسة التي تقول ان المقابر 'الملكية' تمثل موتا طقوسيا للمشاركين بعد الزواج المقدس . فمن المعروف انه كان يحتفل بالزواج المقدس في فترات اخرى من تاريخ بلاد ما بين النهرين سنويا ، لذا فالمتوقع ان يعثر على مدفن واحد لكل سنة بدلا من ستة عشر مدفنا تشمل فترة لاتقل عن مائة سنة . اضافة الى ذلك ، اذا كان كل من الاله والالهة قد مثلا بالمساهمين من البشر في طقوس الزواج المقدس وان كلامنهما قد قتل ، فالمتوقع ان يعثر على جثتين رئيستين في كل مدفن : غير ان الحالة لم تكن كذلك اطلاقا . واذا كان الاعتقاد ، من جهة اخرى ، بان الاله الرئيس في اور كان يذهب شخصيا الى عروسه البشرية التي تنتظره ، اواذا اضطجع معها الملك الذي يمثل الاله ، وان المرأة فقط كانت تقتل ، فالمفروض ان لا توجد سوى جثث اناث في اللحود المركزية في المدافن على حين كان هناك (استنادا الى وولي) رجال اكثر من النساء في اللحود المركزية . اضافة الى ذلك ، فان وولي يشير الى ان في نظرية 'الزواج المقدس' فان العروس المختارة للاله تكون عذراء ، وربما جميلة ، وبالتأكيد شابة بينما كانت شبعاد امرأة في سن الاربعين .

وان وولي غير منصف للنساء في سن الاربعين كما انه ليس منصفا للحقيقة . فقد يكون صحيحا انه كان هناك رجال اكثر من النساء في اللحود المركزية ولكن اليس ذلك معتمد وبشكل رصين على الادلة الاثارية ؟ وفي الواقع فقد عثر وولي في اربعة مدافن من مجموع ستةعشر مدفنا على بقايا الجثث الرئيسة الملحودة ، وفي حالتين كانت الجثث الرئيسة لامرأة (مدفن رقم PG/800 (مدفن شبعاد) و PG/054) وفي حالتين كانت لرجل (مدفن رقم PG/1648 و PG/1618) . وفي احدى المدافن التي كانت فيه الجثة الرئيسة لرجل PG/1618) كانت هناك بعض الخصائص الغريبة وان وولي نفسه يذكر انه لم يكن من السهل فهم الادلة . ومن المدافن الاثني عشر الاخرى ثلاثة تخص حفر فقط حيث لم يمكن تمييز اللحد مع الجثة الرئيسة المدفونة فيه على حين كان المدفون الرئيس في التسعة الاخرى ومحتوياتها قد سلبت في القدم .

وفي احدى هذه اللحود الاخيرة عثر على ختم اسطواني يحمل اسم آ ـــ كلام ـــ دكك A.Kalam. dug ملك اور ، وان ذلك قد يعرّف ، ولكن ليس بالضرورة ، المدفون الرئيس .

اما العالم الالماني مورتكات Moort gat الذي يقبل اساسا نظرية «الزواج المقدس» ليفسر ظاهرة مقابر اور 'الملكية ' ، فانه يقدم نظرية مفصلة ، ومن نواح كثيرة جذابة ، تربطها بعبادة تموز .

وبذكر تموز (دموزي السومري) ناتي الى احد الالغاز الرئيسة في ديانة بلاد ما بين النهرية . فقد كان تموز معبودا ارضيا ، بينما كان في اللاهوت الرسمي ليس اكثر من احد حارسي الباب اللذين يحرسان المدخل المؤدي الى غرفة الالهة العظام ، يحتل في الديانة الشعبية المنتشرة بشكل واسع بمظاهرها المختلفة احتراما خاصا باعتبارة (كما كان يفترض غالبا) اله الخصوبة المحتضر : وقد انتشرت العبادة التي تعود باصولها الى بلاد سومر في اوائل الالف الثالث ، الى خارج موطنها الاول ، وفي منتصف الالف الاول قبل الميلاد وجدت حتى في اورشليم ، عندما رأى حزقيال النساء تبكي تموز (سفر حزقيال الاصحاح ٨ : ١٤) . وقد فسرت سعة انتشار خصائص الخصوبة في عبادة الالهة العظام بطريقتين متضادتين . واستنادا الى احد الاراء . فقد كان هناك في بلاد ما بين النهرين ، كما كان في اسرائيل ، معارضة قوية بين الدين الرسمي والشعبي : على اعتبار ان عبادة تموز تمثل الدين الشعبي وان عناصر الخصوبة في عبادة الالهة العظام يفترض انها مشتقة من مواسطة Syncretism تالية ، حيث ادمجت بعض صفات تموز بالهة المدينة الرسمية . والرأي الاخر (وهو الرأي الذي ياخذ به المؤلف) ان كثيرا من الهة المدن السومرية (ان لم تكن جميعها) كان لها منذ البداية مظاهر ارضية ومظاهر ذات علاقة بالخصوبة .

وهناك بعض الادلة من الالف الاول قبل الميلاد تشير الى ان الملك عند وفاته قد ادمج (كما يفترض) بالاله المختصر تموز ، ويربط تفسير مورتكات لمقابر سلالة اور الاولى 'الملكية ' بهذه الفكرة .

ويشير الاستاذ مورتكات الى حقائق معينة عن مدفن الملك المجاور لمدفن شعباد ، ويدعي ان وولي لم يشرحها شرحا وافيا . فاولا ، ان جثة المدفن الرئيس لم تكن ، كما يمكن ان يفهم من وصف وولي ، مبعثرة ببساطة بل انها مفقودة تماما من المدفن ، ربما سرق السرّاق المجوهرات ولكن من الصعب ان

يسرقوا جثة او هيكلا عظيما ملكيا كاملا . ثانيا ، ان السرّاق المفترضين قد تركوا وراءهم مواد معينة ثمينة وواضحة ، كقارب فضي طوله اكثر من قدمين وارتفاعه ثماني بوصات (انظر اللوحة ٢ب) ، التي يصعب اغفالها مهما كان السلب سريعا . وثالثا ، ان حلي المدفن كانت غنية بامثلة من الطرز التي تعود جميعا (استنادا الى الاستاذ مورتكات) الى عبادة تموز على وجه التخصيص* . واخيرا ، اذا اخذنا بنظر الاعتبار الاهمية الطقوسية الكبيرة التي رافقت بالطبع دفن شعباد ، وتذكرنا الاهتمام الكهنوتي الشديد لجميع التفاصيل الدقيقة في الاعدادات التي تودي الى مراسيم رئيسة ، فان من غير المعقول ان نتصور بان العمال قد تركوا لحيلهم الخاصة ، ليحفروا في موقع المدافن المقدس لفترة طويلة تمكنهم من تحديد موقع وسلب المدفن الملكي . وان الحالة كذلك وبصورة خاصة عندما لم يكن وجود المدفن معروفا تماما فقط بل قد كشف عنه فعلا وعن قصد بهدف وضع مدفن شعباد الجديد باتصال فعلي معه (حسب نظرية وولي نفسه) .

ان الارتباط الوثيق بين مدفن شعباد ومدفن 'الملك ' لم يغرب عن بال وولي : ومع ذلك ، فقد فسَّر ذلك بانه نتيجة رغبة 'الملكة ' شعباد العاطفية لان تدفن اقرب ما يمكن من زوجها الراحل ، غير ان مورتكات يعتقد ان بين المدفنين ارتباطا اكثر من ذلك .

ويشير الاستاذ مورتكات الى عدم احتمال قيام سراق المدفن بنقل جثة الملك من مدفنها تاركين وراءهم كنوزا كالقارب الفضي . ثم ان غياب الجثة يحتاج الى تفسير ، فمورتكات يستنتج ان المدفن لم يسلب في الواقع بل ان جثة الميت كانت قد اخرجت من غرفتها من خلال السقف . ويوكد على وجود منشار وازميل ذهبيان في المدفن . ويشير الى انهما لا يمكن ان تكون لهما فائدة عملية (لان الذهب معدن لين جدا) وان وجودهما لابد انه كان رمزا له علاقة ببعض الطقوس* : وان اقتراح مورتكات على وجه الخصوص هو ان الطقس كان يتضمن عتق الملك الميت ، المندمج مع تموز المرتفع ، من المدفن . وهناك طراز وجد على اختام اكدية وبابلية قديمة تظهر اله (يوخذ بصورة عامة على انه الاله الشمس في شروقه يبزغ من جبل ماسكا منشارا (انظر لوحة ٥٠آ) ويقترح مورتكات ان هذا الطراز يمثل في الواقع الاله (ربما اله

---

* لامثلة هذه الطرز انظر لوحة ١١ ب
* قارن الاستخدام الطقوسي للفأس الذهبية المذكور اعلاه



ايل من اور (النصف الاول من الالف الثالث) بمقبض من الذهب والصدف واللازورد.

الشمس في مظهر ارضي ، وبذا فهو مواز لتموز) يرتفع من جبل العالم السفلي الذي كان قبره .
لذا فان الاستاذ مورتكات يفسر ادلة المدفنين ، مدفن شبعاد والمدفن المجاور له ، كما يلي . ان المدفن الذي وجد بدون جثة في مكان الدفن كان حقا مدفن ملك ـــ الملك الذي قام بدور تموز في احتفال راس السنة الجديدة ، واحتفل بالزواج المقدس الذي اعتمدت عليه خصوبة المدينة . ومن ثم قتل ودفن كتموز ليرتفع ثانية كذلك الاله (من خلال انسحاب جسمه الرمزي من سقف المدفن) . وكانت شبعاد رفيقة الملك في الزواج المقدس : وانها كانت اما الكاهنة العليا او الملكة ، ادمجت بالالهة الام اِنّن كنظيرة للملك كتموز . وان موت شبعاد قد يكون قد شغل نفس الموقع في الطقوس كما كان يشغله نزول اِنّن الى العالم السفلى في الاسطورة التي ظهرت عقب ذلك وتحمل ذلك الاسم (انظر صفحة ٤٤٩ وما بعدها) .

ويبدو اثنين من اعتراضات وولي على نظرية 'الزواج المقدس' لم يجب عليهما الاستاذ مورتكات ، هما حقيقة ان شبعاد كانت امرأة بسن الاربعين تقريبا وحقيقة ان الزواج المقدس كان في الفترة التي نعرف بانه كان معروفا بالتأكيد ، حدثا سنويا ، وليس هناك باي حال من الاحوال مدفن 'ملكي' واحد لكل سنة . وان هذه الاعتراضات ليست بالقاضية على نظرية مورتكات . اذ المعروف من ثقافات قديمة وبدائية اخرى (بما فيها مصر القديمة ، انظر صفحة ٣٩٢) ان الملك المقدس كان يقتل ليس في نهاية السنة بل عندما يجتاز ذروته وقواه الجسمة (التي اعتمدت عليها خصوبة البلاد) .

لذا فمن المحتمل ان الملك كان يدمج عادة (كما في العهود التالية) ليس بتموز بالدرجة الاولى بل باله المدينة الحقيقي ، وعندما كانت قواه تضمحل فقط كان يدمج اما بالاله المحتضر تموز او باله المدينة بطبيعته كالاله تموز . واذا قتل الملك المقدس ونظيرته المؤنثة ، الكاهنة العليا في مثل هذه الظروف ، فكان لابد من اختيار زوج جديد في عنفوان قوتهم الحقيقية لتمثيل الاله والالهة في احتفال الخصوبة السنوى : وعلى وجه التخصيص ، فالمتوقع (اذا اخذنا بنظر الاعتبار معدل اختلاف النضوج الجنسي في الانسان بين الذكر والانثى) ان يكون عمر الرجل المختار حوالي العشرين والمرأة محوالي الخمسة عشر سنة . لذا ، فان الذكر والانثى المشاركين في احتفال الخصوبة لابد انهما كانا دائما في نفس العمر تقريبا . فالمتوقع اذن ، اذا ظهرت على الملك علامات اجتيازه

فترة قوته بعد سن الاربعين فانه ليس من الغريب ان تكون نظيرته في ذلك الوقت امرأة بسن الاربعين تقريبا .

ويجدر ان نذكر انه في بداية الالف الثاني قبل الميلاد ، حيث من المؤكد ان الملك والكاهنة العليا لم يعودا يقتلان ، هناك ادلة (انظر صفحة ٣٧٩ وما بعدها) ان الكاهنة العليا كانت تظل في وظيفتها حتى تصل سن الياس حيث كانت تتقاعد بعدئذ وكان بامكانها ان تتزوج . وان ذلك اشارة واضحة (ضد نظرية وولي غير المسندة بان الالهة كانت تفضل الشابات الباكرات) ان الكاهنة العليا كانت تترك خدمة الاله في الاربعينات من عمرها : وقد يكون ذلك بقايا عادة قديمة كانت تترك فيها خدمة الاله في ذلك العمر خلال موت مهيب .

ولابد من الاضافة ان مورتكات طور نظريته ليضم بعض ادلة المدافن الملكية من سلالة اور الثالثة (نهاية الالف الثالث قبل الميلاد) . غير ان هذه لن تناقش هنا ، ولوانه من الملاحظ ان تفسير مورتكات يتميز كثيرا على تفسير وولي حيث انه لا يجعل المدافن 'الملكية' لسلالة اور الاولى تظهر وكانها خارجة تماما عن الافكار الدينية لجميع الفترات الاخرى من تاريخ بلاد سومر القديم . وقد واجه بعض العلماء ، الذين يقبلون بنظرية وولي الخاصة بالضحايا البشرية اساسا ، غرابة ذلك في بلاد سومر مما دفعهم الى افتراض وجود غزوة اجنبية قامت بها بعض الاجناس (ربما اجداد السكيثين) التي كانت تحدث عندها مثل هذه الوحشية (في فترة لاحقة) .

وقد نقدت نظرية مورتكات بدورها وكانت النقاط الرئيسة ضدها كما يلي :

صعوبة فهم لماذا كانت الجثة تنقل خلسة من خلال ثقب في السقف بدلا من المدخل الرئيسي . (وهناك صعوبة مساوية ومشابهة في فهم لماذا ان كنائس بعض المذاهب المسيحية في الشرق يتم القسم الاكبر من القداس فيها سرا وراء الستائر ولكن الصعوبة لاتبطل الحقيقة . وكذلك مما له علاقة ، يمكن ان يشار الى ان في المثيولوجيا المعاصرة فان المعتقد ان بابا نوئيل ينزل من المدخنة ولو ان الباب الخارجي متيسر . ومن المفيد ان يلاحظ ايضا ان استخدام الكهنة البابليين لثقب سري في الارضية مخفي بمنضدة كما كان الثقب في ارضية مدفن شبعاد مخفيا بخزانة كان معروفا — او على الاقل يزعم انه — في كتاب بعل والتنين ، الفقرة ١٣) .

٢ . ان احتمال ان بعض المدافن التي كانت تضم جثة امرأة كجثة رئيسة

في الدفن قد جعل فيها ايضا وعن قصد ثقوب في السقوف .

٣ . عدم قبول عام لرأى مورتكات الخاص بانتشار عبادة تموز كاله محتضر يقوم ثانية .

ان الاعتراض الاخير هو اكثرها وزنا . فقد تم العثور حديثا على نصوص ، كما ان نصوصا اخرى اصبح فهمها اكثر وضوحا ، القت الشك على الرأي السائد بصورةعامة ان تموز كاله محتضر يعود للحياة ثانية من قبل الام العظيمة . لذا فعلى الرغم من ان إنَّن (عشتار) كانت بالتأكيد تنزل الى العالم السفلي ، فقد اصبح من الواضح الآن بان غرضها من ذلك لم يكن للافراج عن تموز . اما ماهو غرضها الحقيقي من النزول فما زال غامضا : فقد يكون ذلك لمنح طيف الموتى عتقا موقتا ، ولكن هذه النظرية تنتظر ما يثبتها او يفندها حتى يتم العثور على بقية النص المسماري السومري المعين .

ان ما يبدو للكاتب (على الرغم من بعض الصعوبات الباقية في نظرية مورتكات) ان مقابر سلالة اور الاولى "الملكية" تمثل نهاية الزواج المقدس هو احسن تفسير للحقائق . وان تفاصيل الزواج المقدس معروفة بشكل مفصل من فترة تالية من الالف الثالث ، من النصوص من عهد شولگي ، احد حكام سلالة اور الثالثة ، وكذلك من فترة سابقة جدا من فن النقش . فهو العنصر الاساسي في احتفال راس السنة الجديدة ، حيث يلعب الملك في الطقوس ، تحت اسم اما ــ شُمكَال ــ آنّا Ama-ushum gal-anna دور الاله تموز (دموزي) : ومن المحتمل ان اسم آما أُشمكال آنّا الذي يعني "المصدر الكبير الوحيد لعذوق التمر" ، ويمثل انتاجية التمر ، زبما يكون اصلا اسم حاكم سومري حقيقي . وهناك ترنيمة تضع المشهد التالي :

في القصر ... ملك البلاد ...
اقيم مصلي للالهة نِن ــ إمكَال
الملك الاله موجود فيه

ان مراسيم راس السنة الجديدة بكاملها في الفترة السومرية يمكن تحليلها الى خمسة عناصر ، مشهد المقدمة ، والحمام الطقوسي ، وانا شيد حب ، والزواج المقدس ، وتقدير المصائر . وان الدور الرئيس الذي يقوم به الملك معلن عنه في ترنيمة لشولگي تشير الى نشاطات عيد راس السنة :

(ايتها) الالهة! ساقوم باتمام الطقوس التي تنظم ملوكيتي لك
ساكمل لك الاسلوب المقدس . ومهما كانت الضحايا

المتعلقة بيوم الهلال الجديد ويوم السنة الجديدة ، سأقدمها لك .

ونص اخر لشولكي يظهر هذا الملك وهو يقوم بالطقس فعلا . حيث يذهب الملك بالقارب الى المعبد ويقود شاة ويمسك جديا ويدخل إِنّا Inanna في مقام اي انّا Eanna ويقابل الملك بالترحيب الحار — ويملأ المدينة فرح عظيم . وعند رؤية الراعي الجيد شولكي ، وهو مرتد جلباب الاحتفال الرائع وغطاء الراس البراق ، وقعت إِنّا Inanna في غيبوبة وغنت في شخصية الكاهنة العليا التي تمثل الآلهة نشيد حب للملك الذي يمثل الاله :

من اجل الملك ، من اجل السيد ،
عندما اكون قد غسلت نفسي ،
عندما اكون قد غسلت نفسي للراعي ، الابن الحق*
عندما يكون جسمي موشحا بافتنان (؟)
عندما يكون وجهي قد ظهر ببريق من الكهرمان .
عندما يوضع القناع على عيني ...
عندما يقول السيد الذي سينام مع إِنّا الطاهرة ،
الراعي دموزي :
سأفتح النهود ' ...
عندما يجامعني على المنام ،
حينئذ ساظهر انا بدوري حبّي للسيد ،
سأثبت له مصيرا جيدا
سأثبت له
ان يكون راعي البلاد .

وهناك نص اخر يشرح كيف كانت تحدث هذه الامور ويذكر تفاصيل كيفية اخذ إِنّا حماما طقوسيا ثم تزينت بحليتها واساورها استعدادا لعشيقها الملك — الاله . ويذكر نص من العهد البابلي القديم (حوالي ١٨٥٠ ق.م)

* من المحتمل 'دموزي ' وليس 'الابن الحق ' (بالسومرية du-mu-zi مضافا اليها السابقة النحوية للقابل) . وان العلامة المسمارية لـ zi و gi متشابهة جدا ويمكن الالتباس بينهما .

قائمة طويلة بالملابس والحلي الخاصة بعشتار (نظيرة إِنّنا لدى الساميين) في احدى المدن . وقد ضمت خاتمين من الذهب ومشطا ذهبيا وتسع عشرة خرزة من الذهب على شكل 'اثمار ' وحليتين من الذهب للصدر وقرطين من الفضة وستة اختام اسطوانية وستة حلي من العاج للصدر وخاتم واحد كبير من العقيق الاحمر وتنورتين وثلاث جلبابات من الكتان وثلاث وشاحات من الصوف ودمية من الفضة للالهة الام ومئزرين . وكانت هذه المواد تستعمل لتزيين التمثال . ولابد ان الكاهنة التي كانت تاخذ دور الالهة قد زودت كذلك بالاسلوب نفسه .

ثم يتم الجماع بين الاله والالهة المتجسدين في غرفة المعبد المقدسة التي تعرف إِكَبار Egipar .

وبعد الزواج المقدس تقوم الالهة ، كما يذكر النص الذي اشير اليه ، 'بتثبيت مصائر ' الملك للسنة التالية ، وتخلع عليه القوى المقدسة لضمان خصوبة وامن البلاد . وبعد ان يتم ذلك ، يعقب فرح شعبي كبير يتضمن وليمة وموسيقى . وربما كان هناك بعض الالعاب التي يشارك بها الملك .

وكما في كثير من المجتمعات الاخرى ، كذلك في بلاد ما بين النهرين ، فان بعض الاعياد التي كانت اصلا متميزة اصبحت بالتالي متشابكة . لذا فان احتفال رأس السنة الجديدة الذي تركز على الزواج المقدس ادمج اخيرا مع الطقوس وحتى مع اسم عيد الاكيتو Akitu .

وان مصطلح اكيتو ، الذي يستعمل غالبا للدلالة على احتفال رأس السنة باجمعه ، يعني في الواقع جزءا من الاحتفال فقط وكان في الالف الثالث مختلفا تماما . وكان عيد الاكيتو (يكتب بالسومرية A.Ki-ti ولو انه لا يمكن معرفة اصل الكلمة بالسومرية اكثر مما هو معروف من الاكدية وقد تكون الكلمة غريبة في كلتا اللغتين) معروفا في مدينة اور في الفترة السابقة للعهد السرجوني وفي مدينة نيبور وربما ايضا في لجش واوما في نهاية الالف الثالث ق.م. ومنذ العهد البابلي القديم انتشر عيد الاكيتو انتشارا واسعا في الهياكل البابلية والاشورية .

وكان الاحتفال بعيد الاكيتو A.ki-ti في مدينة اور اصلا ، كما في مدينة نيبور ايضا ، مرتين في السنة ، في الشهر الثاني عشر وفي الشهر السادس او الرابع ، وكان يفرق بين العيدين فيطلق عليهما 'اكيتو موسم البذار ' و'اكيتو قطع الشعير ' . وتشير الادلة الى ان الاحتفال بالعيد كان اصلا من احداث

الخريف الذي نقل بعد ذلك ، مع تغيير التقويم ، الى الربيع .

اما تفاصيل ماكان يحدث في عيد الاكيتو فغير معروفة بعد . فكانت المناسبة تتركز حول زيارة الى بيت الاكيتو ، الذي كان نوعا من المعابد يشيد على او قريبا من قنال في الارض المفتوحة خارج اسوار المدينة . وكان هناك موكب حيث يترك تمثال الاله معبد المدينة ويركب سفينته ويقوم برحلة الى بيت الاكيتو ، ويعود ثانية الى معبده سالكا طريق المواصلات نفسه . وكانت مساهمة الملك في المراسيم اساسية ومن الواضح ان العامة كانت تشارك في ذلك وتجد فيه فترة فرح واعياد حيث ان اتونبشتم Utunapishtim ، بطل قصة الطوفان البابلية ، عندما كان يصنع سفينته استعدادا للطوفان يروي :

نحرت عجلين للناس ،
نحرت شاة كل يوم ،
واعطيت العمال لبنا ونبيذا احمر ، وزيتا ، ونبيذا ابيضا ،
بسخاء كما لو كانت نهرا من الماء ،
واحتفلوا كما لو كان يوم الاكيتو .

وهناك من يرى ان عيد الاكيتو الذي يرتبط اصلا بالارض المفتوحة في الخريف يعود باصوله الى تقليد نشأ من دافع العامة النفسي الواضح في مجتمع زراعي بان يخرجوا ويفتشوا الريف في نهاية الصيف وعندما يخفض الهواء البارد من الحرارة المتوهجة التي تغلف بلاد ما بين النهرين بين شهر مايس وايلول لتعلن ثانية عن حلول موسم حراثة وبذار الارض .

ويبدو من المؤكد انه لم يكن لعيد الاكيتو اصلا علاقة بالخصائص الرئيسة لديانة الزراعة المشروحة اعلاه ، اي بالزواج المقدس . وعلى كل حال ففي الالف الاول قبل الميلاد اصبح الاثنان عيدا كبيرا واحدا يلتف حول الملك ويقع في الربيع في الايام الاحد عشر الخاصة باحتفال راس السنة الجديدة . وقد كان هذا الاحتفال بالشكل الذي اخذه في الالف الاول قبل الميلاد موضوع دراسة وكتابة كثير من العلماء غير ان البحث الرئيسي يظل البحث الموسوم 'عيد الاكيتو البابلي ' لمؤلفه الدانماركي باليس . S.A. Pallis, The Babylonian Akitu Festival (1926) ولو ان هذا البحث بحاجة الى التصحيح في كثير من التفاصيل ، وبصورة خاصة بالنسبة للنص الذي اعتمده باليس ليستنتج ان مردوخ كان الها محتضرا عاد ثانية ، حيث تبين ان النص لا يحتاج الى هذا التفسير . ويمكن ايجاز احتفال رأس السنة بالشكل الذي كان عليه في بابل في الالف

الاول قبل الميلاد كما ياتي :

كان العيد يقع في الايام الواقعة بين الاول والحادي عشر من نيسان وهو الشهر الذي يقع فيه الاعتدال الربيعي في العشرين من اذار . ولانعرف حتى الان طقوس اليوم الاول . وفي اليوم الثاني يذهب كاهن **الششكَلّو Sheshgallu** (انظر صفحة ٣٧٧) بعد ان يستيقظ قبل شروق الشمس ويكمل مراسيم التطهير ، امام تمثال الاله مردوخ ويصلّي امامه طويلا ويشير الى انتصار الاله على اعدائه ويساله رعايته للمدينة والشعب والمعبد ، ثم تفتح الابواب ويسمح لبقية الكهنة ان يقدموا القرابين امام مردوخ وزوجته . وتبدأ طقوس اليوم الثالث بالاسلوب نفسه . وبعد ذلك تعطي المواد الى الحرفيين لصنع تمثالين من الخشب والذهب والاحجار الكريمة ويلبسونها بالاحمر ، احدهما يمسك بيده اليسرى حية ويمد يده اليمنى ، ويمسك الاخر عقربا بيده اليمنى . وكانت هذه التماثيل تستخدم في اليوم السادس . وفي اليوم الرابع يستيقظ **الششكلو** قبل شروق الشمس بثلاث ساعات وعشرين دقيقة ، وبعد اداء صلاة خاصة امام الاله والالهة يخرج الى ساحة المعبد حيث كان ينتظر ظهور مجموعة من النجوم تعرف باسم 'اكر Acre ' كانت مقدسة في بابل . ويحيي ظهور هذه النجوم برقية خاصة . وفي مساء اليوم الرابع تتلى قصة الخليقة إِنّما إِيلِش Enuma Elish (انظر صفحة ٤٣٨ وما بعدها) بكاملها : ويرى بعض الباحثين انه اثناء الترتيل كانت الحوادث التي تسرد تمثل بشكل دراما طقوسية اكثر من كونها تمثيلية غامضة من القرون الوسطى .

وفي اليوم الخامس ، وبعد تقديم الصلوات وقرابين الطعام النظامية كالسابقة ، كانت تتم مراسيم تطهير خاصة ، كان يغيب فيها **الششكَلو** ليتجنب النجاسة الطقوسية العرضية . وكان المعبد يرش بالماء المقدس والزيت المقدس ، وبعد ذلك يتم احتفال سحري خاص بشاة فكان يقطع راس الحيوان ثم يقوم الكاهن العزام بالدوران ومسح جسم الشاة ذات الراس المقطوع بجدران المعبد ، ربما لامتصاص جميع الشرور . ويذهب بعد ذلك الكاهن العزام وحامل السيف الذي قطع الراس باثقالهم الى النهر قاذفين براس وجسم الشاة في الماء . وكانا يعتبران انفسهما في وضع غير طاهر طقوسيا وكان عليهما البقاء في الارض المفتوحة حتى ينتهي احتفال رأس السنة الجديدة بكامله .

وخلال اليوم الخامس ايضا يقام سرادق خاص يطلق عليه 'السماء الذهبية' قريبا من مصلي معين في المعبد استعدادا لمجيء الاله نابو من بورسيبا وكانت الالهة ايضا تسال ان ترمي جميع الشرور استعدادا لمجيئه.

وهنا يظهر الملك فيقدمه الكاهن امام تمثال مردوخ حيث كان يترك وحده ثم يلحقه الششكَلو ويأخذ منه شارات ملكه، ويضعها امام مردوخ ويبرك الملك امام الاله ويتلو اعترافا بالسلب يدعي فيه بانه لم يغضب الاله بطرق معينة خاصة :

لم اذنب ياسيد البلاد ولم اكن مهملا بخصوص راسك الالهي،
لم ادمر بابل، ولم افرض (اي شيء) لازعجها،
لم ازعج اساكَلا Esagilla [مجمع المعبد في بابل]، لم اكن ناسيا لطقوسه،
لم اضرب ذقن الشعب تحت حمايتك،
لم اتسبب في اهانتهم،
لقد اهتميت ببابل، لم ادمر اسوارها.

ثم يضرب الششكَلو وجه الملك ويجر اذنيه : وكلما كانت معاملة الملك هذه اكثر الما كما كان ذلك افضل لبابل، حيث اذا ما نزلت الدموع من عيني الملك فان ذلك يعتبر بان مردوخ كان راضيا عن بلاده ثم يعيد الششكَلو الى الملك شارات ملكه.

وفي ذلك المساء وعند حلول. الليل يشترك الملك في شعيرة دينية في الساحة. فكان يحفر خندق ويوضع فيه حزمة من اربعين قصبة مربوطة بغصن نخلة. ويعقل ثورا ابيض الى جانب الخندق. ثم يشعل الملك مع الششكَلو النار في القصب ويضحي الثور ثم يشترك الملك والششكَلو بتلاوة الرقية التي تبدأ :

ثور مقدس، نار رائعة تقضي على الظلام.

وفي اليوم السادس كان الحديث الرئيس هو وصول نابو ابن مردوخ، من المدينة المجاورة بورسيبا. وكان التمثالان الصغيران اللذان صنعا في اليوم الثالث قد وضعا بطريقة بحيث اذا تقدم نابو كانا يوشران اليه، وعند وصوله يقطع حامل السيف راس هذين التمثالين ويرميهما في النار.وان معنى هذه

الشعيرة الدينية غامض ولكن من الواضح ان التمثالين الصغيرين يمثلان بعض القوى الشريرة او المخلوقات الشريرة التي يقضي عليها نابو .

اما طقوس بقية الايام الاحد عشر في احتفال رأس السنة الجديدة في بابل فمفقودة ، ولكن هناك اشارات كثيرة الى هذا الاحتفال في بابل وغيرها بحيث اننا نعرف بصورة عامة كثيرا مما كان يحدث فيها . فاولا من الواضح انه مهما حدث لم يكن يستغنى عن حضور الملك ، ففي بعض الامثلة ، وعلى وجه الخصوص في عهد نبونائيد ، فان عدم استطاعة الملك ان يقوم بالخدمة قد منع القيام بالاحتفال اطلاقا . وثانيا : فاننا نعرف انه كان يتم في الايام الباقية مهرجان الى بيت **الاكيتو** والزواج المقدس و'تقدير المصائر' للسنة وتمثيل الاساطير دراماتيكيا .

وهناك بعض المعلومات المعروفة عن الموكب الى بيت الملك **اكيتو** من التنقيبات التي اجريت في بابل نفسها . فقد وجد هنا علماء الآثار الالمان (وهم فرقة ذكية ومتفانية) بقايا الشارع المقدس الذي استخدم لهذه المراسيم ، وهو مبلط بالحجر ويمر خلال مدخل رائع يسمى باب عشتار (انظر لوحة ٦) وعلى طوله جدران مزينة بالآجر المطلي وعليه اشكال ثيران وتنين ظهرت بشكل بارز . وكان الملك نفسه 'ياخذ يد' مردوخ ليقوده من هيكله ، ثم يمر التمثال المقدس على طول الشارع الى بيت **الاكيتو** وينقل عند الضرورة بمركبة احتفال خاصة . وقد كشف عن ترانيم وغيرها من النصوص تتطرق الى الرحلة المقدسةالى بيت **الاكيتو** : وكان الموكب محملا باهمية منذرة ، ولا يعرف ماذا كان يحدث عندما يصل الاله ويدخل بيت **الاكيتو** : وهناك من يرى ان مبارزة طقوسية كانت تقع بين مردوخ والوحوش البدائية التي تحداها قديما وانتصر عليها ، كما تروي قصة الخليقة .

ان تفاصيل واسلوب الزواج المقدس الذي كان يتم الاحتفال به في بابل في الالف الاول قبل الميلاد غير معروفة . وربما كانت تختلف كثيرا عن تلك التي سبق وصفها بالنسبة لولكَي في الالف الثالث حيث ان مرواه هيرودتس من القرن الخامس قبل الميلاد (انظر صفحة ٣٧٩) يشير الى ان الكاهنة العليا لم تكن تمضي الليلة مع الملك بل كانت يقظة وحيدة في غرفة الزفاف المقدسة

حيث كان الاله نفسه ينزل لاخذها* .

وهناك طقس اخر خاص بالخصوبة يختلف تماما عن الزواج المقدس ، حيث كان الملك المشارك الرئيس فيه . ومن الممكن ان نطلق على هذا الطقس اسم 'مسح المخروط ' ، وهو طقس غالبا ما يمثل على النصب (ولاسيما الواحم النحت البارز الاشورية من الالف الاول قبل الميلاد) ويمكن تفسيره باشكال مختلفة . وقد اشير في اللوة ٣١ الى مثال للمشهد الذي يظهر جزءا من الافريز الكامل فقط . وفي الافريز الاصلي يواجمه الملك شكل مجنح ثان براس نسر وضع معاكسا للشكل الظاهر في اللوحة والمجموعة بكاملها هي امام شجرة مقدسة . وان اكثر التفاسير شيوعا لهذا الطقس يرتبط بتلقيح اشجار النخيل . وعلى كل حال فان من الصعب اسناد هذا التفسير طالما ان الشجرة الممثلة ليست هي النخلة غالبا وان المخاريط ، التي يفترض انها تمثل ذكر عندوق التمر ، تقدم ليس الى انثى الزهرة بل (كما هو واضح في اللوحمة ٣١) الى الملك واسلحته . ويبدو ان الاحتمال الاكثر هو ان الشجرة في الواقع هي شجرة الحياة حيث انها غالبا ما تغطي بالقرص المجنع وان الغرض من هذه الشعيرة الدينية لذلك (استنادا الى هذا الرأي) هو ادماج الملك سحريا مع شجرة الحياة وهكذا تسليمه خصوبة وطول حياة الشجزة .

وأخيرا لابد من الاشارة الى ان جميع ما قد قيل حول مكانة الملك في ديانة بلاد ما بين النهرين (وما قيل هو جزء قليل فقط مما هو معروف الان) فان هناك القليل جدا مما يمكن مقارنته منطقيا مع نظام الملكية بين العبرانيين القدماء . وقد جرت محاولة لايجاد مقارنة غير ان المناقشة غير مقنعة (في رأي الكاتب) ، فعلى الرغم من انه كان هناك طقس البغايا في المعبد في اورشليم في احدى الفترات فليس هناك اي دليل مهما كان بان طقس الزواج المقدس كان يتبع رسميا في احتفالات عيد رأس السنة الاسرائيلية في اي وقت من الاوقات .

لابد من الاشارة بان هناك ما يقابل الفكرة من جماع الاله مع عروس بشرية في الاخبار اليهودية . حيث يكتب العالم اليهودي راشي **Rashi**(في القرن الحادي عشر الميلادي) معلقا على الاسطورة القديمة التي وردت في سفر التكوين الاصحاح السادس ١ ـ ٢ قال رابي يودان **Rabbi Yudan**... عندما جعلوا (العروس) تبدو جيدة عندما كانت تتزين للدخول الى مخدع العرس ، كان يدخل عليها اولا كَادول [شخص عظيم تستخدم للدلالة على مخلوق غير طبيعي] ليمتلكها وانه ليس من باب الروح العدائية للمسيحية بان الكاتب يشير الى احتمال وجود نفس الفكرة في خلفية بشرى مريم العذراء . اضافة الى ذلك فان قضاء القديس بول بمساهمة الملك في الزواج المقدس ، فليس هناك سبب لان يعتبر الملك مقدسا (حتى في المعنى الضيق في بلاد ما بين النهرين) .

وقد راينا ان الملك في بلاد ما بين النهرين كان مقدسا وان قدسيته كانت مستمدة من اندماجه مع الاله في الزواج المقدس . واذا لم يكن هناك تقليد في اسرائيل ان على المرأة ان يكون لها علامة للسلطة على راسها ، بسبب الملائكة ، (سفر كورنثوس الاول ، اصحاح : ١١ : ١٠) قد يرتبط بنفس الفكرة .

الفصل الثاني عشر

الأدب

ان الدراسات الشائعة للادب البابلي والاشوري نضم عادة في نطاقها مواضيع كالتنبوأت والتسابيح والحوليات الملكية ونصوص الابنية والنصوص الطبية والكيمياوية واللغوية اضافة الى الاساطير والملاحم . وان ذلك مسوّغ طالما انه لم يكن في الفكر القديم صنفا من النصوص يقابل النصوص الادبية في مفهومنا الضيق (مع احتمال استثناء الاساطير والملاحم وبعض نصوص الحكمة) . ومع هذا ، فان من المناسب ان يكون هناك تمييز وتقسيم لاعتبارات مختلفة لتلك التآليف التي يمكن ان تسمى 'ادبا ' استنادا الى تصنيفنا الحديث . ولابد من ان يكون واضحا انه بالرغم من ان هذه التآليف هي احسن النصوص المسمارية المعروفة نظرا لفائدتها ، غير انها تولف كمّا جزءا صغيرا فقط من مجموع النصوص المسمارية المدونة المتوفرة . وليس هناك محاولة فيما يلي للتفريق

القاطع بين الاداب السومرية والاكدّية .

وبالمفهوم الحديث المحدد لكلمة 'ادب ' فان اعظم ، وبالتأكيد ، اطول تاليف اكدي هوملحمه جلجامش التي تسمى بالاكدية باسم السطر الاول منها 'شَى نَقْبَ اِمُرُ sa naqba imuru 'الذي راى العمق ' . وان التاليف معروف بالدرجة الاولى من الاثار الباقية من مكتبة اشور بانيبال في نينوى ، غير ان بقايا كسر كافية من مواقع اخرى ومن فترات سابقة تدل على ان التاليف كملحمة اكدية يرقى بتاريخيه الى العهد البابلي القديم : وتوضح بعض الكسر من بوغازكوي في تركيا ان التآليف قد ترجم حتى الى اللغة الحثية والحورية ويمكن مع ذلك تتبع بعض العناصر في التآليف الى ما قبل ذلك الوقت ، حيث ثبت بشكل قاطع انه يوجد قبل ملحمة جلجامش الاكدية اربع قصص سومرية في الاقل مستقلة وان الشاعر البابلي القديم قد تمكن باسلوب رائع ان يسبكها في

رواية واحدة ، وان اخر الرقم الاثني عشر التي توزعت فيها الملحمة الاكدية ، ولو انه ترجمة حرفية تقريبا لقصيدة سومرية اخرى ، ليس جزءا من اصل التاليف البابلي القديم ولكن اضافة مشوهة متاخرة .

وتدعى القصة ملحمة لا اسطورة نظرا لان المساهمين فيها هم من البشر اكثر من كونهم من الالهة . وتعود القصة حسب المصطلحات الاثارية الى عصر فجر السلالات الثاني ، عندما شيدت اسوار التحصينات اول مرة في بلاد بابل ، وكان جلجامش نفسه باني تحصينات مدينة الوركاء . وقد وصف بان ثلثه من مادة البشر وثلثيه من مادة الالهة ، وكانت امه الالهة نِنسُن Ninsun وابوه الكاهن الاعلى (او الملك الكاهن) في كلّاب Kullab ، وهي رواية تعكس الزواج المقدس الذي يضطجع فيه كاهن او كاهنة المدينة مع الالهة او الاله لضمان خصوبة التربة وخصب البشر والحيوانات في البلاد . ومما لاريب فيه ان جلجامش ، وهو نفسه إن En او ملك — كاهن ، يجسد ذكرى مبهمة لاحد الحكام الحقيقيين او سلسلة من الحكام في فجر التاريخ .

وتبدأ الملحمة بايجاز مآثر جلجامش ثم تستمر لوضع المشهد . كان جلجامش يضطهد الوركاء فيأخذ الابن من ابيه والفتاة من عشيقها . وسمعت الالهة الشكاوي الناتجة عن ذلك من شعب الوركاء واوكلت الى الالهة ارورو Aruru لتخلق غريما لجلجامش . وقد خلقت ارورو هذا الغريم وهو انكيدو ، من الطين وكان رجلا وحشيا مخلوقا في البراري :

يكسو الشعر جميع جسمه ...
ونمت فروع شعر رأسه بغزارة كالشعير ،
لا يعرف الناس ولا البلاد ...
وياكل العشب مع الظباء ...
ويفرح قلبه عند مورد الماء مع وحوش البرية .

واكتشف وجود انكيدو صياد فذعر واخبر والده ان الرجل الوحشي كان يحطم مصائده ويمنعه من اصطياد الحيوانات البرية . فنصحه ابوه بان يخبر جلجامش ليرسل له بغيّة معبد لتوقع الرجل الوحشي بفتنتها :

لتخلع ثيابها وتكشف عن مفاتنها ،
فيراها وينجذب اليها .

ويقول الرجل المسن ، وبعد ان يفقد براءته يسجد انكيدو ، ان الحيوانات البرية لن تقبله بينها ،

ونفذت الخطة بنجاح :
واسفرت البغي عن مئزرها وفتحت رجليها فاستحوذ على مفاتنها ،
لم تحجم بل تقبلت شوقه ،
فضت عنها ثيابها فاضطجع فوقها .
واستخدمت معه ، الوحش ، خدعة المرأة .
فانجذب اليها .

لبث انكيدو مدة ستة ايام وسبع ليال يضاجع البغي ثم انتهى شهر العسل وملّ انكيدو من لعبته الجديدة فعاد ثانية الى ظبائه . ولكنها اعرضت عنه وهربت . ولم يكن انكيدو قادرا على اللحاق بها ، فعاد الى البغي ، التي قالت عندما جلس عند قدميها كما قالت دليلة :

'ياانكيدو ، انت حكيم ، انت مثل اله ،
فعلام تركض مع حيوانات البرية ؟
دعني اقودك الى الوركاء ... '

وقبل انكيدو غصبا نصيحة الغانية وجلبته الى المدينة حيث تعلم لاول مرة كيف ياكل طعام الانسان الاعتيادي :

لقد كان معتادا على رضع حليب الحيوانات البرية ،
ولما وضعوا الخبز امامه ، تحير ونظر واطال النظر ،
لم يعرف انكيدو عن اكل الخبز ، ولم يعلم كيف يشرب
الشراب القوى .

وعلى كل حال ، فقد وثق بامرأته ، واكل وشرب حتى طاب قلبه واشرق وجهه . فقام ومسح نفسه ولبس كرجل ، بعد ان كان وحشا عاريا ، وساعد الرعاة في حماية القطعان . وقد استمر هذا حتى جاء رسول يدعوهم الى الوركاء ، والظاهر الى احتفال الزواج المقدس الذي يشارك فيه جلجامش 'باخصاب امرأة المصائر ' . وحالما وصل انكيدو الى المدينة ، عرفته الجموع المتجمهرة غريما لجلجامش ونشبت مبارزة بين البطلين . وقد يرجع الموضوع الرئيس الى التقليد المشهور الخاص بالملك الكاهن ، الذي اعتمدت عليه خصوبة البلاد ، ليدافع عن مركزه الديني ضد جميع القادمين الجدد . ويمكن ان يضرب مثلا لهذا التقليد من كتاب The Golden Bough حيث يصف فيه فريزر J.G. Frazer (الطبعة المختصرة صفحة ١) بدقة الكاهن في الغابة المقدسة ، متجولا والسيف بيده ومنتظرا الغريم الذي سيقتله عاجلا ام اجلا

ويعقبه في الكهنوتية ، كما حصل هو نفسه على تلك الوظيفة بقتل سلفه .

والتقي جلجامش وانكيدو وتصارع البطلان حتى ارتجت الجدران ، وتمثل الاختام الاسطوانية مثل هذه النزالات ويظهر ان الهدف منها لم يكن رمي الغريم ارضا ولكن رفع قدميه عن الارض . وانتهى الصراع بخسارة انكيدو :

وكان جلجامش هو الذي انثنى ، وقدمه (ثابت) في الارض ، وبعد ان قهر جلجامش غريمه لم يكن يحمل حقدا وسرعان ما اصبح البطلان صديقان حميمان وشرعا بالقيام سوية برحلة ضد العفريت ، حارس غابة الارز ، المسمى خواوا Huwawa (او خمبابا Humbaba) الذي كان صونه الزوبعة ، وفمه الاله النار ، ونفسه الموت ، وكان قويا لاينام ابدا (ولتمثيل وجه خمبابا انظر لوحة ٥٤ آ) . وشرع الصديقان بالسفر الى غابة الارز مزودين بفؤوس وخناجر كبيرة ، تزن كل قطعة منها ما يقرب من مائتي وزنة ، بغض النظر عن مناقشة شيوخ الوركاء ، وقد وضع جلجامش نفسه تحت حماية الاله الشمس شمش . وعندما وصلا جبل الارز غلب جلمامش الخوف لفترة قصيرة ولكن شجعه صديقه كما شجعته الاحلام التي ارسلتها اليه الالهة :

واامال جلجامش ذقنه على ركبتيه ،
ووقع عليه النوم الذي يصب على البشر ،
وفي الحراسة الوسطى ، انهى نومه ،
واستيقظ وقصّ على صديقه ،
'يا صديقي ، لم تنادني ومع هذا استيقظت ،
لم تلمسني ، ومع هذا ادرت رأسي ،
لم يمر اله ، ومع هذا تخدرت اطرافي ،
يا صديقي لقد رايت رؤيا ثالثة ،'
وان الرؤية التي رايتها كانت مرتبكة جدا .

وقد سبق ان وصف الحلمان الاولان . فالاول مفقود ، وفي الثاني سقط جبل وامسك جلجامش من قدميه وظهر رجل ذو جمال عظيم لينقذه وسحبه من تحت الجبل ليعطيه ماء ليشرب . وفي الحلم الثالث الاكثر فزعا يقص جلجامش لصديقه :

وقف الجبل قويا وثابتا ، واصبح ملبدا بالظلام ،
وابرق البرق واشتعلت بالنار ،
... وامطرت موتا ،

... وماسقط انقلب الى رماد .

واستمع انكيدو الى صديقه وجعله 'يقبل (تنبؤات) حلمه ' وهكذا استمر بمشروعه . ونتيجة ذلك استمر جلجامش يقطع اشجار الأرز ، فجلب انتباه خواوا اليه . وبمساعدة الاله الشمس هاجم جلجامش العفريت الذي خارت قواه بثمان رياح ارسلها شمش . وتضرع خواوا للاستسلام غير ان انكيدو اصر على قتل خواوا .

وعاد جلجامش الى الوركاء منتصرا وغسل شعره الا شعث واكتسى بحلل وغطاء راس نظيفة وعندما رات الالهة عشتار ، الهة الحب والخصوبة ، جمال رجولته الكامل ، عرضت نفسها على البطل :

امنحني ثمرتك هدية :
كن زوجي ، واكون زوجتك
ساعدّ لك مركبات من اللازورد والذهب
بعجلات من الذهب وحلل (؟) من الاحجار الكريمة ،
وستربط بها رياح ــ العاصفة كما لو كانت بغالا ضخمة
...

... الهضبة والبلاد ستحمل لك الجزية
وستلدعنزاتك ثلاثا ثلاثا وتلدنعاجك التوائم ،
وحـمير الحمل عندك ستفوق الحمار الوحشي ،
وسيكون لخيول عرباتك صيت لسبقهم .

ورفض جلجامش بوقاحة الشرف الذي عرضته الآلهة : وعاب عليها انها كـ :

باب خلفي لا يحفظ من ريح او تيار ،
....
قير يلوث من يحمله ،
قربة تنضح على الرجل الذي يحملها
....
نعل يرمي صاحبه ارضا .
واشار الى استهتارها
اي من العشاق من احبته على الدوام ؟ ...
تعالى ! اعدّد لك عشاقك ...

من اجل تموز ، حبيب صباك ،
قضيت بالبكاء المتكرر عليه سنة بعد سنة
لقد احببت طير اللّالُ Allalu المرقش ،
ومع هذا ضربته وكسرت جناحه ،
وها هو الان حاط في الغابات يصرخ 'جناحي ! '
احببت الأسد ، كامل القوة ،
ومع هذا حضرت له حفرا لاحصر لها .
احببت الحصان ، المجلّي في المعركة ،
ومع هذا سلطت عليه السوط والمهماز والجلدة ...
احببت الراعي ،
الذي كرس لك كعك التمري Tumri بانتظام ،
ونحر الجداء من اجلك يوميا ،
ومع هذا ضربته ومسخته ذئبا ،
وصار يطارده الفه من الرعاة ،
وكلابه تعض ساقيه ،
ويقول جلجامش .
وستحبينني ايضا وتجعلين مصيري كمصيرهم .

وذهبت عشتار الغاضبة الى ابيها انو منزعجة لتجند مساعدته وليثأر لاهانتها . وتحت ضغط عشتار ، خلق آنو اخيرا الثور السماوي الذي نزل الى الارض ليعاقب جلجامش وبعد ان دمر الثور مئات البشر التي لقيها اول الامر هجم على انكيدو ، ولكن :
قفز انكيدو ومسك الثور السماوي من قرنيه ،...
وامسك بالثور من ذيله ،...
وجلجامش ،
غرس سكينه ما بين الرقبة والقرنين ،
وعندئذ ،
عندما اجهزا على الثور السماوي اقتلعا قلبه ،
ووضعاه امام الاله شمش ،
وكاهانة اخيرة الى عشتار فرق جلجامش عظم فخذ الثور السماوى (ربما تعبير منمّق عن «العورة») وقذفه الى الآلهة قادحا :

اما بالنسبة لك فاذا مسكت بك ،
لفعلت بك ما فعلت به ،

واعقب ذلك فرح واحتفال شعبي وفي تلك الليلة راى انكيدو حلما قصه على جلجامس :

(رايت) آنو وانليل وآيا وشمش قد اجتمعوا سوية يتشاورون ،
وقال آنو الى انليل
لانهما قتلا الثور السماوي وقتلا خواوا
فينبغي ان يموت احدهما ،
وقال انليل انَّ انكيدو هو الذي سيموت ،
جلجامش لن يموت ،
ولكن انبرى شمش الى انليل البطل :
الم يقتلا الثور السماوى وخواوا بامر مني ؟
علام تقتل انكيدو البرىء ؟
غير ان انليل كان حانقا على شمش ..
وكان لابد من نفاذ قرار انو وانليل .
وعندئذ وقع انكيدو مريضا واشرف على الموت وحزن جلجامش حزنا عظيما :
وقع انكيدو (يموت) امام جلجامش ،
وبينما كانت دموعه تنهمر من عينيه ،
(بكى جلجامش) : «اخي» اخي العزيز لماذا يبرؤني بدلا منك ؟ ...

هل علي ان لا ارى اخي العزيز ثانية بعيني ؟

واخذ انكيدو يلعن ، وهو يندم على المصير الذي انتهى اليه بعد مغادرته البرية ، بوابة الوركاء والصياد والبغي ولكن عندما اشار له جلجامش مزايا الحياة وطقوس دفن المجتمع المتحضر الرائعة هدأ انكيدو وقلب لعنانة الى طلب البركات للبغي :

سيحبك الملوك والامراء والعظماء ...
ومن اجلك سيهجر الشاب اهل بيته ،
... ومن اجلك سيفك حزامه ،

وسيهبك اللازورد والذهب ...
ومن اجل حبك ستُهجر الزوجة الرئيسة ولو كانت امًا لسبعة .

وبعد ذلك رأى انكيدو جلجامش يخبره بأوضاع سكان العالم السفلى . ومن ثم مات بعد ان رقد اثني عشر يوما على فراش المرض وانشد ، جلجامش صاحبه المفقود برثاء :

والآن اي نوم هذا الذي امسك بك ؟
لقد اصبحت شيئا مخيفا لانك لا تستمعني ؟
... ومع هذا لم يقدر (من ان يرفع عينيه عنه)
فجبس قلبه وطالما انه لم يعد ينبض غطى صديقه كالعروس .
وزأر كالاسد .
وكاللبوّة التي اختطف منها اشبالها ،
وظل يدور حول صديقه ...
ودخل فزع الموت قلب جلجامش نفسه .
هام جلجامش على وجهه في البراري ،
وهو يبكي على انكيدو صديقه ،
انا نفسي ساموت افلا يكون مصيري مثل انكيدو ايضا ؟
لقد حل الحزن في عروقي ،
انا اخاف الموت وانا اهيم في البراري ،
قررت اخذ الطريق الى اوتونبشتم ابن ابار — توتو ،
وساذهب هناك سريعا ،

لذا توجه جلجامش ليستشير جده اوتونبشتم الخالد وعبر جبل ماشو في نهاية العالم حيث تشرق الشمس ليلا ونهارا وهنا صادفه :
البشر العقارب الذين يحرسون البوابة
الذين يبعثون الرعب ونظراتهم الموت ،
ويغطي جلالها المرعب على جبل الكون ،
الذين يحرسون الشمس عند الشروق وعند الغروب ،

ولكن البشر العقارب عرفوا بان ثلثي جلجامش من مادة الالهة وسمحوا له ان يعبر من خلال باب الجبل وان يتبع الممر الذي تسلكه الشمس عندما لاتكون مرئية في الارض . وسافر اثناء الظلام لاحدى عشرة ساعة مضاعفة حتى ظهر اول شعاع للشمس وعندئذ اصبحت الدنيا مضيئة ووجد جلجامش نفسه في

حديقة فيها اشجار تحمل الاحجار الكريمة . وهنا تكلم مع الاله الشمس العطوف الذي حذره مع ذلك :

الى اي شيء تهدف في تجوالك ياجلجامش ؟
انك لن تجد الحياة التي تبغيها ،

واستمر جلجامش في طريقه الى ان جاء الى مسكن السيدة سدوري ، وهي صاحبة الحانة التي تعيش على حافة الابيسى ونظرت وشاهدت جلجامش مقبلا :

لباسه من الجلود ...
ولو انّ في جسمه مادة الالهة ،
وفي عروقه حزنٍ عميق ،
وملامح وجهه تبدو وكانه قد قطع طريقا طويلا جدا ،

وبدا الذعر على سدوري من مظهر الغريب :

وناجت نفسها
ربما كان هذا الرجل غاصبا (؟) ...
وعندما راته صاحبة الحانة ، اوصدت بابها ،
ثم اغلقت الباب الخارجي واغلقته بالمزلاج .

وعلى كل حال ، هدد جلجامش ان يكسر المدخل والباب ولكن بعد ان عرفت سدوري تفسير زيارة الغريب سمحت له بالدخول وقص جلجامش رحلته وسالته سدور :

اذا كنت قد [فعلت كل هذه الاشياء] ،
فلماذا وجهك حزين ؟ ولماذا الغم على وجهك ؟
وعلام ملك الحزن عروقك ؟

واخبرها جلجامش عن فقد صديقه وكيف انه يرفض مواجهة حقيقة موته حتى دبت اليرقات على وجهه وعن فزعه من فكرة موته الذي لامفر منه وعن عزمه استشاره اوتونبشتم . وقال 'اخبريني الطريق الى اوتونبشتم' ،

'فاذا كان من الممكن فساعبر الابيس ،
واذا كان ذلك غير ممكن فساهيم على وجهي في البراري ،

وقالت سدور الى جلجامش ،

'ياجلجامش لم يكن هناك عبور من قبل ،
وكل من وصل الى هنا منذ قديم الزمان لم يتمكن من عبور الابيس

اجل ان الاله الشمس القدير يعبر الايبس حقا ولكن من غير
الاله الشمس يستطيع عبوره ؟
ان العبور شاق وان الطريق عسير جدا
وفي الجزء الوسطى استقرت مياه الموتِ على وجهه ،

ومع ذلك اخبرت سدورِ جلجامش عن وجود أُرشناب Urshanabi ، ملاح اوتونبشتم وعن مكان نوع من الاشياء المهمة تسمى ‹صور الحجر› . ويذهب جلجامش باندفاع ويظهر انه حطم ‹صور الحجر› ثم يجد رُشنابِ ويُسأل ثانية ليروي عن ظهوره غير الاعتيادى وعن رحلته الرائعة ويخبره أرشنابِ انه بسبب تحطيمه صور الحجر التي كما يبدو كان لها قوة سحرية معينة تمكن حاملها من عبور مياه الموتِ ــ فانه قد جعل الحصول على هدفه اكثر صعوبة ، ومع ذلك ، قال له أرشناب :

‹انحدر الى الَغابة واقتطع اعمدة طول كل منها ثلاثون ياردة ،
واطلها بالقير وغلف اعقابها واحملها الي ،

واتبع جلجامش هذه التعليمات واقلع هو والملاح ، وهما مزودان بذلك ، بالقارب الذي اسرع الى الامام بسرعة فائقة بسرعة تقابل خمسة عشر مرة من السرعة الاعتيادية . وهكذا وصلا الى مياه الموت حيث اعلم أُرشناب جلجامش ان يستخدم الاعمدة ويصبح الان واضحا الغرض من اخذ هذا العدد الكبير منها . حيث لا يجوز ان تمس قطرة واحدة من مياه الموت يدي جلجامش ، وكان يجب رمي كل عمود يدفع به جلجامش القارب في مياه الموت . واخيرا استنفذ جلجامش المائة وعشرون عمودا التي جلبها في القارب : وكانوا على مدى رؤية من الشاطىء البعيد ، حيث كان يرقبهم اوتونبشتم بدهشة :

ونظر اوتونبشتم من بعد ،
واخذ يناجي نفسه معلقا ،
وعندما خاطب نفسه (قال) :
‹علام حُطِّمت ‹صور حجر› السفينة ؟
ولم يركب عليها شخص آخر غير صاحبها ؟
ان الشخص القادم ليس من اتباعي . ›

واخيرا وصل جلجامش الى اوتونبشتم وكما في ملاقاته السابقة قدم تفسيرا لظهوره المذهل ورحلته الغريبة . وفي الاجابة اشار اوتونبشتم الى زوال جميع نشاطات البشر والطبيعة قائلا :

’هل نبني البيت (ليبقى) طول الدهر ؟ وهل نختم (عقدا ليبقى) الى الابد ؟
وهل يقتسم الاخوة (ميراثهم لتبقى تلك القسمة) الى الابد ؟
وهل تبقى البغضاء عند العدو الى الابد ؟
وهل يرتفع النهر بالفيضان ويظل الى الابد ؟
.....
ان الانوناكي والالهة العظام ، قد اجتمعت ،...
ووزعت الموت والحياة ،
ولكنها لم تكشف عن ايام الموت .

ومع ذلك لم يقتنع جلجامش واشار الى اوتونبشتم انه لا يبدو بانه يختلف في طبيعته عن جلجامش نفسه ، ومع ذلك فانه يتمكن من ان يتمدد بسلام دون اخطار قلقة قارضة عن الموت وسأل وقال «قل لي كيف امكنك الحصول على الحياة الابدية ؟ وفي الجواب على ذلك روى اوتونبشتم الى جلجامش قصة الطوفان الشهيرة :

’ياجلجامش سافتح لك عن سر محجوب ،
نعم ساطلعك على سر من اسرار الالهة ،
’شروباك ‘ المدينة التي تعرفها انت ،
الواقعة على شاطىء الفرات ،
ان تلك المدينة قديمة وكانت الالهة فيها ،
ان الالهة العظام قد حملتهم قلوبهم على احداث الطوفان ‘

ثم ياتي ذكر الالهة الرئيسة . وكان من بينهمالالة الحكيم والخبر ايا الذي سمي نِن ــ اِكَي ــ كُ Nin-igi-ku «سيد العين البراقة» ،
اي الذكي الذي عرف حماقة افناء البشرية فابتدع وسيلة يمكن من خلالها ان يحذّر انسانا مفضلا واحدا دون ان يُخل بثقة الالهة :

فنقل كلامهم الى كوخ القصب ،
’ياكوخ القصب! ياكوخ القصب! ياجدار! يا جدار!
اسمع ياكوخ القصب! وافهم ياجدار!
يارجل شروباك يا بان اوبار ــ توتو ،
قوِّض بيتك وابن لك سفينة ،
تخلَّ عن مالك وانشد الحياة!...

احمل في السفينة كل نوع من مخلوق ،

وعندما فهم اوتونبشتم تعليماته ، وعد ان يطيع آيا ، ولكن كان يريد ان يعرف كيف سيشرح تصرفاته الى الناس الاخرين في المدينة . وعلمه آيا الذكي جوابا فيه تورية يخدع اولئك الذين سيسمعون دون ان يوقع اوتونبشتم في كذبة حقيقية فكان عليه ان يقول :

'اني علمت ان انليل يبغضني ،
لذا لا استطيع العيش في مدينتكم ...
وعلي ان ارد الى الابيس واعيش مع سيدي آيا ،

وعليه ان يستمر في الحديث قائلا ، 'وعندما اكون قد ذهبت ، سينزل انليل عليكم زخات من مطر **الكِبات** Kibat ' ، حيث ان كلمة **كِباتِ** غامضة وقد تعني اما 'حنطة ' او 'سوء حظ شديد ' .

ثم يعقب وصف السفينة او الفُلك بالتفصيل . وكانت سفينة عظيمة مبنية بسبع طوابق ومساحة قاعدتها تقرب من الاكر وكان ارتفاع السفينة يساوي طول ضلعها الطويل . لذا فان البعض يرى انها كانت على شكل مكعب ولكن هذا الاستنتاج ليس ضروريا حيث قد تكون الطوابق مدرّجة وفي هذه الحالة سيبدو الفلك من حيث المقاييس والشكل وكانه زقورة عائمة . وكان العمال يُطعمون دون التفكير بالتكاليف حتى تم بناء السفينة . ثم حمّلها اوتونبشتم بما لديه من فضة وذهب وبالمخلوقات وبعائلته واقربائه وبالمخلوقات البرية ، والصنّاع ، وصعد اليها نفسه باشارة من الاله الشمس وسد نوافذ السفينة ثم سلّم دفة السفينة الى الملاح بوزر ــ اموري Puzur-Amurri

وفي الصباح بدأت العاصفة :
علت في الافق غمامة ظلماء ،
وفي داخلها ارعد الاله ادد [اله العواصف] ،
وكان يسير امامه الاله شلّات والاله خانش ،
وهما ينذران امامه في الجبال وفي السهول (؟) ،
ونزع ارّيكال [نركَال اله العالم السفلي] الاعمدة (السائدة) (الخاصة بسد المياه ما تحت الارض) ،
ثم اعقبه ننورتا الذي فتق السدود ،
ورفع الانوناكي المشاعل ،
وجعلوا الارض تلتهب بنورها ،

واعقب ذلك ظلام ، وباستمرار الطوفان اصبحت الدنيا مفزعة الى درجة ان :

حتى الالهة ذعروا من الطوفان
فانسحبوا وعرجوا الى سماء آنو ،
لقد استكان الالهة وربضوا كالكلاب في الزوايا (؟)
وصرخت عشتار كامراة في المخاض ،
وصاحت سيده الالهة ذات الصوت الشجي :
'واحسرتاه ! لقد عاد (انسان) الايام الاولى الى طين ،
لانني انا قررت الشر في مجمع الالهة ،
كيف حدث ان قررت الشر في مجمع الالهة ،
لادمّر خلقي ؟...
(والان لقد ملأوا البحر كصغار السمك ،
وبكى معها الالهة — اي الانوناكي — ،
جلس الالهة منكسي الرأس جلسوا يندبون .

وبعد سبعة ايام خفت وطأة الزوبعة واستطاع اتونبشتم ان ينظر الى كآبة المياه فكان البحر من جميع الجهات ثم ظهر عدد من الجزر التي كانت تمثل قمم الجبال . وعلى احدى هذه القمم وهو جبل **نصر Nisir** استقر الفلك . وبعد سبعة ايام بعد ان تناقصت المياه ارسل اوتونبشتم حمامة غير ان الحمامة لم تجد مكانا تحط عليه فعادت . وكذلك اطلق السنونو ولكنه ايضا لم يجد مكانا يحط عليه فعاد . واخيرا اطلق الغراب فوجد الغراب ان المياه كانت تنسحب الى مستواها الطبيعي ورأى اوتونبشتم ان الغراب :

كان ياكل ويحوم ويحط ولم يعد .

حينئذ كان بامكان اوتونبشتم ان يطلق كل شيء من الفلك واستعد هو نفسه ان يقدم الاضحيات الى الالهة على قمة الجبل . وشم الالهة رائحة الخشب المعطر و :

تجمع الالهة كالذباب حول صاحب القربان .

ووصلت عشتار وهي لا تزال تندب سخافة تدمير الكون . واعقبها اِنليل الذي كان غاضبا لانه وجد بان قراره لم ينفذ تماما :

أبصر انليل السفينة وكان ممتلأً غضبا ،
كان مملوءا بالغضب ضد الالهة العظام :
(كيف (نجا) مخلوق واحد (؟) كان المقدّران لا ينجُ
بشر من الهلاك ،

وقال له ابنه ومستشاره ننورتا :
'من ذا الذي يستطيع ان يدبر اي شيء بدون أيا ؟
لان آيا هو الذي يعرف خفايا الامور'

اما آيا فخاطب انليل بنيرة حانقة مشيرا الى عدم عدالة وعدم معقولية تدمير البشرية باجمعها دون تمييز :

حُمّل صاحب الخطيئة وحمّل المعتدي إثم اعتدائه
.....
بدلا من احداث الطوفان سلّط السباع لتقلل عدد الناس ،
بدلا من احداث الطوفان سلّط الذئاب لتقلل عدد الناس ،
بدلا من احداث الطوفان احلل القحط لتقلل الارض ،
بدلا من احداث الطوفان انشر الوباء واضرب الناس ،

وعندما صعد انليل بعد ان ارتاح بكلمات الاله الحكيم الى السفينة واخذ يد اوتونبشتم وجعل اوتونبشتم وزوجه يركعان له خاضعين ولمس ناصيتهما ووقف بين الاثنين وباركهما واعلن عن تأليههما :

'سابقا كان اوتونبشتم بشرا ،
ولكن منذ الان سيصبح اوتونبشتم وزوجه حقا الهة مثلنا ،
وسيعيش اوتونبشتم بعيدا عند فم الانها ! ،

وهكذا يختم حديث اوتونبشتم عن الطوفان الذي يؤكد فقط على وحدانية فرح اوتونبشتم وزوجه : اما جلجامش فليس له ان يتوقع خلاصا مشابها من مصير المخلوقات حيث يسال اوتونبشتم :

'من سيجمع الالهة من اجلك ،
لكي تنال الحياة التي تبغي ؟

وليؤكد اتونبشتم كيف لا يمكن لجلجامش ان يتحمل الخلود تحدّاه بان يبقى يقظا لستة ايام وسبعة ليال ، ولكن فجأة عندما جلس جلجامش القرفصاء هناك :

اخذه النوم وتسلط عليه كالضباب ،

واشفقت زوجة اوتونبشتم على البطل المتعب ، والّحت على زوجها ان يوقظه حتى يعود بسلام في طريقه الى الوركاء غير ان اتونبشتم كان قد خطط ان يعيد الى جلجامش ضعفه :

'ان الخداع من سمات البشرية وانه سيعمل على خداعك :
فهلمي اخبزي له ارغفة من الخبز وضعيها عند راسه ،
وعلمي على الجدار الايام التي سينام
ويوما بعد يوم فعلت ذلك وعندما وضعت الرغيف الذي خبز
لتوّه
لليوم السابع ايقظ اوتونبشتم جلجامش وسرعان ما اعتذر ،
لقد اخذته سنة من النوام :

لم تكد تاخذني سنة من النوم ،
حتى لمستني وايقظتني ،
فامره اتوبشتم :
'ياجلجامش عد ارغفتك
لتكن الايام التي نمت فيها معروفة لديك ! '

وفعل جلجامش ذلك فزعا ووجد ارغفة الخبز منها خبز مخبوز لتوه ومنها خبز حامض ومتعفن ومنها بقايا خبز يابس ظل لمدة اسبوع في الشمس .

واعترف على مضض انه قد فشل كليا في اختباره وقبل الموت نصيبا له :
'لقد قبض «الماسك» لحمي ،
وفي مضجعي يقيم الموت ،
وحيثما اضع قدمي يربض الموت ' .

واعد اوتونبشتم بعد ذلك جلجامش للعودة الى مدينته . ووجّه أرشنابِ ان يغسله وان يبدّل الجلود الوسخة التي كان يلبسها بالبسة جديدة جميلة وان يضع عصابة جديدة على رأسه . وحالما ركب جلجامش وأُرشنابِ ليبدأ بالسفر الى البحر في رحلة العودة حتى تمكنت زوجة اوتونبشتم من زوجها بان يعطي جلجامش بعض المكافئات على رحلته الشاقة . فطلب اوتونبشتم سر النبات السحري الى كلكامش ، وهو نبات فيه شوك يوجد في اعماق البحر ، نبات عجيب يسمى 'الرجل المسن يصبح شابا ' الذي يعيد الى الرجل الشيخ صباه وقوته . فربط جلجامش احجار ثقيلة بقديمه وغطس في البحر حيث تمكن من الحصول على النبات على الرغم من الشوك . وبعدان رمي عن قدميه الثقل رماه البحر الى الشاطيء حيث التحق به ثانية أرُشِنابِ وسارا مسافة خمسين ساعة مضاعفة توقفا بعدها ليبيتا الليل وهناك :

راى جلجامش بركة ذات مياه بارده
فورد ها واغتسل في مائها
فشمت الحية شذى النبات
فتسللت ... واختطفت النبات
وفي عودتها نزعت عنها جلدها .

وعندما اكتشف جلجامش انه فقد النبات الذي حصل عليه واتعبه كثيرا جلس وبكى . فلم يحصل على شيء لنفسه : فقد كانت الحية التي دعاها 'اسد الارض' هي التي حصلت على المكافات بتجديدها شبابها وتبديل جلدها سنويا .

ووصل جلجامش وأُرشناب الى الوركاء خالي اليدين واخذ جلجامش دليله الى اعلى اسوار الوركاء واشار له الى المدينة العظيمة . فالاجر لم يكن مجرد اجر مجفف في الشمس ولكن اجر مفخور وان المدينة نفسها كانت مقسمة الى ثلاثة اقسام متساوية ، المنطقة المشيدة وارض البساتين والحقول المفتوحة اضافة الى الاراضي التابعة الى المعبد الكبير الخاص بالالهة الوطنية عشتار وكان اظهار كل هذه الروعة الى ارشنابٍ وبيان انه هو نفسه كان مسؤولا عن تحصينات المدينة العزاء الباقي لدى جلجامش .

وقد بين البروفسور كريمر S.N. Kramer ان هناك عددا من القصص السومرية التي تكوّن خلفية ملحمة جلجامش بشكلها الاكدي المعروف . اضافة الى ذلك فان هناك ملاحم اخرى معينة باللغة الاكدية لها علاقة واضحة بملحمة جلجامش اما من حيث الاسلوب او المحتويات لذا فان الملحمة المعروفة لدينا باسم اتراخاسس Atrahasis وبالنسبة للبابليين باسم **اِنما اِلُ آوِلُم** **inuma ilu awilum** والموجودة على كسر رقم بابلية قديمة واشورية حديثة ، تتركز حول قصة فيضان ، وهي في ثلاثة رقم طينية لم يعرف الرقيم الاول منها بعد . وان هذه الملحمة هي اكمل من بعض الاوجه من قصة الطوفان في ملحمة جلجامش حيث انها توضح بواعث قرار انليل بتدمير البشرية كاملا . وان مقارنة قصة اتراخاسس مع ملحمة جلجامش تشير الى ان الاولى كانت احدى المصادر المستخدمة من قبل مؤلف الثانية .

فان الخوف من ازدياد عدد السكان وعواقبه الشريرة ليس شيئا جديدا ، ففي ملحمة اتراخاسس تتعرف على وضع زاد فيه عدد الجنس البشري في بلاد سومر الى درجة كان يسبب ازعاجا للالهة :

اصبحت البلاد واسعة واصبح الناس كثيرون...
وحزن الاله من صخبهم
وسمع انليل ضوء ضائهم
وقال متعجبا الى الالهة العظام
«لقد اصبحت ضوضاء البشر مرهقة
وبسبب ضجيجهم «سافك النوم» .

ولذلك قررت الالهة ان تخلق المجاعة فحبس الاله ادد المياه وجعلت الالهة نسابا Nisaba الهة الحبوب الارض لاتنتج غلالا من الحبوب ، وظهرت بلّورات الملح في الحقول اليابسة كالذي مازال يحدث في العراق حتى الان . ولمدة ست سنوات كانت المجاعة تزداد سوءاً حتى انقلب الناس اخيرا الى وحوش كاسرة .

وعندما حلت السنة السادسة كانوا يعدّون ابنة لوجبة الطعام
ويعدّون طفلا للطعام ...
وكان البيت يفترس الاخر .

واخيرا اشار الاله ايا العطوف الى اتراخاسس الرجل الذي يعني اسمه (المتناهي في الحكمة) ، وقام اتراخاسس لذلك يعمل شيء (ليس واضحا في الوقت الحاضر بسبب تلف النص) ليقضي على اللعنة وينتج المطر .

وعلى كل حال فان ازدياد عدد البشر ، بنتائجه غير الملائمة للالهة حدث ثانية ، وللمرة الثانية اتخذ الالهة الاجراءات . وهذه المرة اخذت العقوبة شكل الطاعون . واخبر انليل الالهة بعد ان صاغ شكواه كما من قبل :

الطاعون سيوقف ضوضائهم !

سيهب عليهم الرماد والدخان والبرد والحمى كالعاصفة ' .

وهكذا كان ، غير ان اتراخاسس تضرع الى آيا الذي اخبره عن الاجراءات اللازمة لوضع حد لنهاية الطاعون .

ومرة اخرى ازداد عدد البشر وللمرة الثالثة قررت الالهة تحت الحاح انليل ان تتخذ الاجراءات وكان القرار هذه المرة ان يكون التدمير كاملا بالفيضان وتدخل اِنكي (ايا) واخذ على نفسه ان يخلق (او بالاحرى «يلد») الطوفان الذي لابد انه كان ينظر بشكل مجسد على انه نوع من العفاريت ، واخذ السيطرة على العملية نفسه ، وهناك من يقترح اقتراحـا مقبولا بانه كانت بمقدور انكي بذكائه المفرط ان يتخذ اجراءات ضمن اطار صلا حياته وان يبقى (بدون علم

انليل) على عدد قليل من الجنس البشري . ويعقب ذلك الرواية التي تشبه الى درجة مدهشة رواية ملحمة جلجامش وكيف ان انكي حذر الرجل المفضل وطلب اليه ان يهدم بيته وبيني سفينته ويفترض ان بقية الرقيم المفقودة حاليا نضم رواية الطوفان مع قصة هروب اتراخاسس وتاليهه .

ومن التآليف الاخرى التي تحمل فكرة مشتركة ولوانها لا ترتبط بشكل مباشر بملحمة جلجامش هو التاليف المعروف باسم ملحمة آدابا الذي يشير الى امكان حصول الانسان على الخلود . ويعرف هذا التاليف من كسر من مكتبة آشوربانيبال في نينوى ومن قطعة وجدت في ارشيف النصوص المسمارية من القرن الرابع عشر قبل الميلاد المكتشف في العمارنة في مصر . وكان ادابا (الذي يقترح بان اسمه قد يرتبط باسم آدم في العهد القديم) عابدا يقوم بالشعائر الدينية في مدينة اريدوفي العصور القديمة وبينما كان يصطاد في قاربه احد الايام هبت الريح الجنوبية وقلبته فامسك آدابا بغضب بالريح الجنوبية وكسر جناحها وهكذا لم تتمكن الريح من ان تهب لمدة سبعة ايام . واحس الاله الاعلى آنو بذلك وتحير ثم طلب من وزيرة ان يقدم تفسيرا لذلك .

واجاب وزيره الآبرات : 'سيدي
لقد كسر ادابا ابن ايا جناح الريح الجنوبية ' ،

لذلك دعي ادابا للمثول امام آنو ووقف ايا ، على كل حال ، الى جانب آدابا واوصاه بالاسلوب الواجب اتباعه من اجل سلامته . فكان عليه ان يذهب وشعره اشعث مرتديا لباس الحداد وعند الوصول الى باب آنو سيجد الهين حارسين يسألانه عن سبب حداده وعليه ان يجيب :

'لقد اختفى الهان من بلادنا ،
ولهذا السبب انا كذلك ،

ويسأل الحراس :

'ومن هما الالهان اللذان اختفيا من البلاد ؟ '

وعلى ادابا ان يجيب :

'تموز وكزيدا :

وان هذين الالهين في الواقع هما الالهان الحارسان انفسهما وان اطراءهما سيكسب رضاهما ويضمن له تقديما جيدا الى آنو . وحذّر ايا انه سيقدم الى ادابا عند المقابلة خبز وماء الموت : وعليه ان لا ياكل ولا يشرب منهما :

'عندما تمثل امام آنو
حينما يقدمون خبز الموت لن تأكله .
حينما يقدمون لك ماء الموت لن تشربه ' .

وضمن ادابا دخولا حسنا الى آنو وفق الخطة وقدم لانو تبريرا لظروف اعتدائه وتكلم عنه تموز وكريدًا ورق قلب آنو وهدأ غضبه ثم قال آنو :

'اجلب له خبز الحياة حتى يأكله ' .

غير ان ادابا تذكر نصيحة ايا : وليس من الواضح هل ان النصحية قدمت بغية منع ادابا من الحصول على الخلود ام لعدم معرفة نوايا آنو . وكان نتيجة لذلك

عندما جلبوا له خبز الحياة لم يأكله (ادابا) ،
عندما جلبوا له ماء الحياة لم يشربه .

وحينما رفض ادابا نظر اليه آنو وضحك :

'حسن ' ادابا لماذا لاتاكل ولاتشرب ؟
لذلك لن تنال الحياة (الخالدة) ؟

وارسل ادابا الى الارض بعد ان ذهبت فرصته للحصول على الخلود .

والى جانب ملحمة جلجامش هناك تأليف ثان عظيم يمكن اعتباره من وجهة نظرنا الحديثة تاليفا ادبيا وهو الاسطورة المعروفة باسطورة الخليقة ، او نسبة الى اول كلماتها باللغة الاكدية **انما ايلش** **Enumna Elish** . وان هذا التأليف المكون من سبع رقم كان يتلي في بابل في اليوم الرابع من اعياد راس السنة الجديدة ، كما كان يستخدم في بلاد اشور بعد ان اجريت عليه تبديلات ملائمة فحلّ الاله الاشوري القومي اشور بدلا عن الاله البابلي القومي مردوخ .

ان تاريخ تنظيم هذا التأليف غير موكد ولو ان كثيرا من العلماء ينسبوه الى العهد البابلي القديم غير ان ذلك لم يثبت بعد بشكل حاسم . وطالما لا يوجد بين النصوص المعروفة الان ما يرقي الى ما قبل الالف الاول قبل الميلاد فقد اقترح ان التاليف نشأ في الواقع في العهد الكاشي فقط ، وهو عهد يعرف الان بانه كان عهد نشاط ادبي مكثف نشط فيه تمجيد الاداب الدينية البابلية . ويتفق مع وجهة النظر هذه الرأي (الذي يقدم على اسس اخرى) القائل بان مردوخ الاله القومي المعظم في النسخة البابلية للاسطورة لم يحصل على تفوقه القومي الا فيما بعد العهد البابلي القديم بفترة ليست بالقصيرة ، انظر صفحة ٣٧٠ وما بعدها .

وتقدم الاسطورة سردا لاصل وجود نظام العالم حيث كان يحكم العالم

مجمع الالهة ويتفوق بينهم الاله مردوخ ، وان الانسان ما خلق الاليخدم الالهة .
ولم تكن الحال كذلك دائما حيث كان يوجد في القديم ، استنادا الى الاسطورة ، المخلوقات البدائية فقط . وابتداء كان هناك ابسو Apsu وهي المياه البدائية العذبة او ابيس Abyss وتيامة Tiamat المحيط فقط . وهي تمثل عنصري الذكر والانثى على التوالي . ويرد في هذه المرحلة مصطلح مُمّو Mummu الذي يثير صعوبة كبيرة . ويرى بعض الكتاب المحدثين (ممن يتبعون دمسكيوس Damascius) ان الممّو Mummu يمثل العنصر الثالث في الثلاثي البدائي الاب والام والابن ، غير انه لا يمكن اسناد هذا الراي وقد ورد المصطلح في الواقع ، كما سنرى ادناه ، في مضمونين مختلفين . ففي الاول جاء كسابقة لاسم تيامة بينما ورد في الثاني كممثل لنوع من المخلوقات او العناصر التي تشاور معها ابسو . ولاهوتيا ربما يعني شبي كـ'خلق قوة الحياة ' وان الفكرة هي بالاحرى اشبه الى فكرة روح القدس في الافلاطونية الحديثة .
وقد وصف الوضع العام قبل الخليفة في بداية الاسطورة :

حينما في العلى لم تكن السماوات قد سميت بعد ،
وفي الدنى لم تذكر الارض باسم ،
حين كانت مياه ابسو فقط الموجود الاول الذي بذرهم ،
وممّو ــ تيامة التي ولدتهم جميعا ،
مختلطة معا .

عندما لم تكن مسطحات المستنقعات قد توحدت ولم يكن هناك هور قصب ،
حينما لم يظهر الى الوجود اى من الالهة ،
حينما لم تكن اسماء هم قد ذكرت وعندما لم تكن اقدارهم قد ثبتت بعد ،
ثم خلقت الالهة في وسطهما [اي في وسط مياه ابسو وتيامة المختلطة]
جاء الى الوجود لخمو ولخامو ، ودعيا باسميهما .
وطالت الدهور ــ وبرعمت .
ثم خلق انشار وكشار اللذان فاقاهما [اي الزوج السابق]
وطالت الايام كثيرا ومرت السنون .
وصنع انشار شبيها له آنو ابنه البكر ــ انو ،
انّه يضارع اباه .

وولد انو شبيهه نو ــ ديم ــ مد Nu-dim-mud [اي ايا]
وكان نو ــ دم مد خالق اباثه [حرفيا والد] .
وكان واسع الفهم حكيما ذا ذكاء حاد ،
واكثر قوة من انشار خالق اباه ،
ولم يكن له مثيل بين الالهة اخوته .

واستمرت هذه الالهة الحديثة والصغيرة بازعاج المخلوقات البدائية وذلك بتصرفاتها المقلقة والمزعجة .

وعندئذ صرخ ابسو الذي بذر الالهة العظام ،
ودعا وزيره ممّو ،
'ياممو ياوزيري الذي يفرح قلبي ،
هلمّ نذهب الى تيامة ،
ذهبا وجلسا قدام تيامة ،
وتشاورا في امر ابنائهما الالهة .
وفتح ابسو فاه
وقال لتيامة بشدة :

ان ذهابهم وايابهم مؤ ذ لي ،
لا استطيع الراحة في النهار ولا النوم في الليل ،
دعيني ادمّرهم نعم دعيني اتخلص من ذهابهم وايابهم ،
لكي يعود السكون ونرتاح ،
وعلى كل حال نزلت تيامة بقوة وخاطبته بغضب :

'ماذا اتد مر ماكنا انفسنا قد خلقنا ؟
حقا ان ذهابهم وايابهم مؤذٍ جدا ولكن دعنا
نبقى على وفاق معهم ،

ومن جهة اخرى فان ممّو وزير ابسو ، اي لاهوتيا ، تجسيد قوة كلمات ابسو المقدسة ، فضل تدمير الالهة المتمردة ودبر الاثنان مؤامرة . ووصل علم ذلك جيل الالهة الحديثة واتخذ ايا 'الذي يعرف كل شيء' الاجراءات فالف بدهاء تعويذة قوية التأثير وتلاها وجعلها تستقر في المياه . وبهذه الطريقة 'صبَّ النوم' على ابسو وشلّ ممّو وذبح ابسو وابتنى مكان سكناه ومقامه فوق جسده المذبوح (ولذلك فان ايا هو سيد ابسو مياه الكون) وجعل ممّو سجينا له .

وسكن ايا في ابسو مع زوجه دمكينا Damkina وهناك ولد لهما اله . وكان

الاله مردوخ الذي وصف بانه احكم واقوى الالهة . وتفصل القصيدة جلال الاله الجديد :

نظمّت مقاييسه بدهاء وجلال ،
من المستحيل فهمه بل ومن الصعب رؤيته .
وكانت عيونه اربعة واذانه اربعة
وعندما تتحرك شفتاه ينبعث منهما اللهب ...
وكان طويلا حقا ، وقوامه بين الالهة متميز .

وقد ساعد كل ذلك على ارباك ما صنع من قبل جيل الالهة الحديثة وبالتالي في الازعاج الذي حدث لتيامة . وذكر تيامة مستشاروها بمصير ابسو وممّو والحوّا عليها بالثأر منهم . وقد وجدت كلماتهم قبولا حسنا لديها واعدت سلسلة من العفاريت لتقاتل ضد جيل الالهة الحديثة :

الام خبر Hubur [وهو لقب لتيامة) التي تصنع كل شيء ،
اضافت اسلحة لاتقاوم ، ولدت التنانين ،
كانت اسنانهم حادة ، وانيابهم فتاكة ،
وملاءت اجسامهم بالسم بدلاً من الدم ،
وجعلتهم يحملون الهالات ، وجعلتهم كالالهة ...
وتسببت في خلق الافعى السام والتنين الاحمر وعفريت اللخامو
والاسد العظيم والكلب المكلوب والانسان العقرب ،
والعاصفة العنيفة والرجل السمكة والبيزون ،
تحمل اسلحة فتاكة ولاتهاب المعركة ،

وخلقت تيامة احد عشر عفريتا من مثل هذه الانواع ووضعت على راسهم كنكَو Kingu ، بكرها بين الالهة ، واخبرت كنكَو في اجتماعها :

'لقد الّفت تعويذة لك ولقد جعلتك عظيما في مجمع الالهة ،
لقد وضعت بيدك صلاحيات التشاور مع كل الالهة ،
انت حقا عظيم جدا انت الوحيد زوجي ! '

وعلمت الالهة الحديثة بان تيامة تعد للمعركة وسمع ايا بذلك واصابه الشرود واخيرا ذهب الى جده انشار واخبره بما قد سمع اضطربت انشار كثيرا للانباء وبعد ان نفّس عن كربه عرض ان يقوم ايا الذي سبق له ان واجه ممو وابسو باتخاذ الاجراءات ضد كنكَو . غير ان جواب ايا مفقود في الرقيم ولكن يبدو

انه لم يكن قادرا على قبول التحدي . فالتفت انشار الى انو وشرع انو يتصرف مع العدو ولكن ما ان اصبح قريبا من قوى تيامة العظيمة حتى خانه قلبه وعاد الى انشار . فجلس الانوناكي (جيل الالهة الحديثة العليا) بصمت وقنوط ، واخيرا عرض انشار ان يكون مردوخ بطلهم فدعى مردوخ الذي ، كما يبدو ، كان صغيرا وذو مرتبة دنيا لا تساعد على حضوره مجمع الالهة ، من قبل اباه ايا واخبر بان يقدم نفسه امام انشار . ففعل ذلك ، وكان فرح انشار عظيما ومع هذا فقد كان لمردوخ شرط :

اذا كنت حقا منتقما لك ،
لاوثق تيامة وامنحك الحياة ،
فادعو المجمع للاجتماع واعلن عن اقداري المتفوقة .
اجلسوا سوية فرحين في قاعة الاجتماع ،
ودعني اقدّر ــ بكلمات فاهي مثلك ،
حتى لايمكن تغيير اي شيء اخلقه انا نفسي ،
وحتى لا تحوّر ولا تغيّر الكلمة التي تصدر عن شفتي ؛

لذلك ارسل انشار وزيره كَاكَا Gaga الى جده الاعلى لخمو ولخامو اللذين جاءا مع الالهة الاخرى الى قاعة الاجتماع :

الالهة العظام جميعهم الذين يقدرون المصائر ،
دخلوا امام انشار ملاءوا قاعة الاجتماع ،
وعانق كل منهم الاخر في الاجتماع ،

وتحادثوا وجلسوا الى الوليمة ،
اكلوا الخبز واحتسوا النبيذ ،
وجعلوا النبيذ الحلو ينساب من انابيب الشراب* ،
وعندما شربوا الشراب القوى اصبحوا ثرثارين ،
وكانوا لا يبالون تماما وذهب عنهم القلق ،
وقدروا لمردوخ منتقمهم مصائره ،
ووضعوا له عرشا ملكيا ،

* بسبب تخن الرواسب كانت المشروبات الكحولية في العهود السومرية الاولى تشرب بواسطة انبوب في نهايته مصفاة : انظر للتوضيح صفحة ١٩٣. لاستعمال مثل هذه الانابيب . وقد عثر على مصاف من النوع المذكور خلال التنقيبات .

وجلس قدام ابائه لاعطاء المشوره .
ثم اعلن مجمع الالهة مركزه المتفوق :
انت الاكثر جلالا بين الالهة العظام ،
قرارك لا مثيل له ،وكلامك الاله آنو ...
ومن هذا اليوم بالذات لاتغيير لاوامرك ،
ان ترفع او تخفض فذلك حقا بيدك ،
ما يصدر عن فاهك يكون صحيحا ولن يكون كلامك خطأ ،
ولن ينفذ احد من بين الالهة حدودك ...
لقد منحناك الملكية على جميع العالم ،
اجلس في المجتمع ولتكن كلمتك هي العليا ! ،

ثم يلي ذلك تجربة بسيطة لاختيار فاعلية الاعلان الذي اعطيت بموجبه قوى معينة الى مردوخ . فوضع رداء في المجمع وكان على مردوخ ان يأمر اولا باختفائه ومن ثم بعودة ظهوره وقد تم ذلك بنجاح تام وفرح الالهة على فعالية قوانينهم :

لقد فرحوا وقدموا التبريكات : 'ان مردوخ ملك ! '
ثم اضافوا له الصولجان والعرش والبالو Palu [شارات الملكية]

ثم سلّحوه وارسلوه ليدمر تيامة . فاخذ القوس والسهم ومسك بيمناه العصا ومضى .

ساق البرق امامه ،

وملأ جسمه بالنار الوهاجة ،
وصنع ايضا شبكة لاصطياد تيامة ،
وثبت الرياح الاربعة حتى لايتسرب منها اي شيء ،
الريح الشمالية والريح الجنوبية والريح الشرقية والريح الغربية ،
ومسك بالشبكة ، هدية والده آنو ، الى جانبه ،
وخلق ريحاشريرة وزوبعة واعصار ،
الريح الرابعة والريح السابعة والاعصار والريح التي لا مثيل لها ،
ثم ترك الرياح التي خلقها تتقدم الى امام سبعتهم ،
ذهبوا وراءه ليقلقوا داخل تيامة .

ثم اخذ السيد ابوبو Abubu [الاعصار او الفيضان] سلاحه
العظيم ،
وركب مركبة العاصفة التي لا تقاوم وتبعث الرعب ،
وربط واوثق بها حزمة من اربعة (تسمى)
القاتل والقاسي والمدمر والمجنح ،
كانت اسنانهم حادة مملوءة بالسم ،

وتقدم مردوخ محاطا بالالهة الاخرى من تيامة الغاضبة ماسكا بشفتيه رقية سحرية حمراء وقابضا باحدى يديه نباتا سحريا يقي من السم ، وعندما التقت جموع مردوخ وتيامة رمى كل منهما الاخر بالسخرية وتحدى مردوخ تيامة الى مبارزة منفردة :

عندما سمعت تيامة هذا ،
جن جنونها وفقدت صوابها ،
وصرخت بصوت عال وبغضب ،
وارتعشت ارجلها من العروق ،
وتلت رقية وظلت ترمي سحرها .
ثم التحمت تيامة ومردوخ في المعركة :
ونشر السيد شبكته لاصطيادها ،
وساق الريح الشريرة ... في وجهها .

وعندما فتحت تيامة فاها لتلتهمه ،
ساق الريح الشريرة فيها فلم تتمكن من اطباق شفتيها ،
ونفخت الرياح الشديدة بطنها ،
ومسك احشاءها باحكام وظل فوها مفتوحا .
ورمى بسهم بقربطنها ،
وقطعت احشاءها وفتحتها وقسمتها نصفين .
واوثقها ثم قضى على حياتها ،
ورمى جثتها ووقف عليها .

ثم تقدم مردوخ المنتصر ليصفى الحساب مع جميع من ساعد تيامة واخذهم اسرى وكان بينهم قائدهم كنكو ، اخذ منه الواح القدر وعلقها على صدره ثم غاد مردوخ الى جثة تيامة ومنها خلق السماء والارض .

واستراح السيد ثم بدأ يدقق في جثتها ،

انه قد يقسم العفريب ويخلق في الوجود اعمالا ذكية .
ففلقها الى قسمين كقوقعة المحار ،
ومد احد نصفيها الى اعلى وجعل منه سماء ،
وغلق المزلاج وعين الحراس ،
وامرهم ان لا يدعو مياهها تخرج .

وهكذا خلقت السماء والارض المادية وفي القسم الثاني من الاسطورة هناك اشارات لبعض المظاهر الفلكية تذكر تثبيت الكواكب وموقع بعض الأجرام السماوية . وبعد اتمام خلق السماوات ارتاىء مردوخ ان يخلق مخلوق يعرف بانسان من اجل ان يخدم الالهة لكي ترتاح الالهة نفسها . فعرض مشروعه على ابيه ايا الذي وافق على المشروع ولكنه رأى من الضروري ان يتلاشى احد الالهة حتى يمكن ان يخلق الانسان :

اجابه ايا وقال له كلمة .

من اجل راحة الالهة شرح له تفاصيل الخطة ،
ليسلم احد اخوتهم ،
ليدمر ذلك الاله كي يمكن خلق البشر .
ليجتمع الالهة العظام .
ليسلم المذنب ويتحمل الالهة ذلك (؟) انفسهم ،

ودعى الاجتماع للانعقاد وطلب مردوخ بان يؤخذ قرار ضد من حرض تيامة ضد الالهة . اجاب الالهة واتهم كَنكَو . لذلك ربط مردوخ وقاده الى حضرة ايا .

لقد فرضوا عليه عقوبة ذنبه واراقوا دمه ،
وخلقوا من دمه الانسان ،
وفرض [ايا] الخدمة (على الانسان) وارا ح الالهة ،

وقسم مردوخ بعد ذلك ستمائه من الالهة الانوناكي في مجموعات مقرها في السماء والارض : وان الدلالات اللاهوتية لذلك غير واضحة ومن الصعب ان ترتبط بتقسيم الالهة الاخر الى الهة الانوناكي والهة الاكيكي .

وعرفانا من الانوناكي بخلاصهم اجهدوا انفسهم ليعملوا مقاما مناسبا لمردوخ . فاشتغلوا لمدة سنة كاملة وفي السنة الثانية تمكنوا من اقامة مجمع المعبد العظيم في بابل **ايساكلا** Esagila 'بيت الرأس الشامخ' بزقورته التي كان ينظر اليها بانها مرآة تعكس شكل ابسو الذي يرقد تحت الارض .

يعقب ذلك فقرة خاصة بتدشين وطقوس **ايساكلا** وتضم الفقرة كثيرا من الاشارات اللاهوتية الغامضة ولكنها في شكلها الحاضر وبالدرجة الرئيسة مؤلف لاهوتي مفصل اعلن فيه عن رفع شان مردوخ تحت اسمائه الخمسين (انظر صفحة ٣٧١).

وعلى الرغم من ان **إنمّا اليش Enuma Elish** هي اطول واكمل قصة الا انها ليست الاسطورة الوحيدة عن الخليقة المتوفرة من الوسط البابلي. وان موضوع صنع الانسان من دم مذبوح يرد في اسطورة اخرى حيث خلق الانسان من الهة: كانت هذه الاسطورة، التي يتوفر منها كسر من العهد البابلي القديم، تستخدم جزءا من الطقوس المتبعة عند الولادة. وفي النسخة البابلية القديمة تخاطب الالهة الحكيمة مامي Mami :

انت الرحم الاول الازلي، انت خالقة البشرية،
اخلقي اذن للو Lullu [ربما 'همجي' او'الضعيف']
ليحمل النير ...
ففتحت ننتو Nintu (اسم آخر للالهة الخالقة) فاها،
وخاطبت الالهة العظام 'الي يرجع صنع كل شيء لائق،
... فليكن للو!
... ليكن من الطين لتدب فيه الحياة بالدم!'
وفتح انكي فاه وخاطب الالهة العظام' .....
ليذبحوا احد الالهة ...
و لتمزج ننخرساك Ninhursag لحمه ودمه بالطين ...'

وتروى النسخة الاشورية المتاخرة تفاصيل كيف ان الالهة مامي اخذت اربع عشرة قطعة من الطين،

جمعت اربع عشرة قطعة وضعت سبعا منها الى اليمين
ووضعت سبعا الى الشمال، وصبت بينهما اجرة،

....
سبعة وسبعة ارحم: سبعة كانت اصل الذكور،
وسبعة كانت اصل الاناث،
الرحم الاول الازلي خالقة المصائر،
جعلتهم ازواجا كاملة،
جعلتهم ازواجا كاملة قدامها.

وجعلتهم مامي بشكل الناس الحقيقيين ،

ومن الواضح ان الأجرة المشار اليها كانت تستخدم في الطقوس السحرية عند الولادة حيث يستمر النص :

لتكن المولدة فرحة في بيت المراة في المخاض ،
وكما تلد الحامل [اي الالهة الام]
لتقلّص (؟) ام الطفل نفسها [ان معنى الفعل غير مؤكد
ربما اشارة الى التقلصات والحركات الفعلية الملائمة
لمساعدة المولدة]

وتقدم اسطورة خليقة اخرى (وهذه المرة اسطورة سومرية من الالف الثالث قبل الميلاد) تفسير اصل مجموعة من الالهة مكونة من ثمانية الهة . وتقع احـداث الاسطورة في بلاد دلمون التي يمكن تحديدها جغرافيا اما بالبحرين او ، استنادا الى عالم السومريات كريمر S.N. Kramer (الذي تعتمد رواية الاسطورة التالية على ما جاء في كتابه 'الاساطير السومرية ' (١٩٤٤) صفحة ٥٤ وما بعدها) بالبلاد الواقعة على الجانب الشرقي من الخليج العربي . وكان ينظر الى دلمون في الاداب السومرية على انها مركز قديم للحضارة ، اقدم حتى من مدينة اريدووقد تكون مستوطنا اولا للسومريين قبل هجرتهم الى بلاد ما بين النهرين . وتتمتع بلاد دلمون في الاسطورة بصفات العصر الذهبي :

دلمون ارض طاهرة ، دلمون ارض نظيفة ...
الاسد لا يفترس والذئب لا يمس الحمل ...
الطيور التي تلتهم الحبوب غير معروفة ...
ليس هناك امرأة مسنه تقول 'انا امرأة مسنة '
وليس هناك رجل من يقول 'انا رجل مسن ' ...

وهكذا كانت البلاد فرحة وخصبة وهنا قام الاله انكي بتلقيح الالهة ننخرساك وجعلها تحبل .

وقبلت في رحمها بذرة انكي

كان يومها كشهرها ،
ويوماها كشهريها ...

هكذا اتمت في تسعة ايام اشهر الحمل التسعة وولدت بتناهي ننمو Ninmu . ووقع عين انكي الزائغة على ننمو وضاجعها بدورها . وفي تسعة ايام انجبت بنتا هي ننكرّا Ninkurra وجـامعها انكي ايضا . وولدت ننكرا بنتا هي

اوتّو Uttu ، ولكن حينما اراد انكي ان يحبلها تدخلت ننخرساك ويبدو انه كان على انكي ان يقدم اولا هدايا من الخيار والتفاح والعنب . وعندما تم ذلك قبلت اوتّو بسرور عرض انكي وكنتيجة لذلك انجبت اخيرا عددا من النباتات . وخرج انكي مع وزيره لتفتيش النباتات وتقرير مصائرها السحرية ومن اجل ان يفهم تماما جوهرها كان عليه ان ياكلها . لذلك لعنت ننخرساك انكي الذي وقع في الحال مريضا جدا فحزن الهة الانوناكي كثيرا وكانت ننخرساك وحدها فقط قادرة على ان تشفى انكي غير انها كانت قد اختفت ، وعلى كل حال فان الثعلب ، بعد ان وعد بالمكافاة ،تعهد بان يجلب ننخرساك الى انليل قائد مجمع الالهة ، وقد تم ذلك في الحال وقامت ننخرساك بطريقة ليست واضحة بعد بمتابعة شفاء انكي ولهذا الغرض فقد وضع انكي على او الى جانب فرجها بينما ولدت هي ثمانية الهة لشفاء الامراض الثمانية التي سببتها النباتات التي اكلها انكي .

وضعت ننخرساك انكي عند فرجها ...
’اخي ماذا يؤلمك؟ ‘ ’اسناني تؤلمني ‘
’لقد جعلت ننسوتو Ninsutu تولد من اجلك ‘ .
اخي ماذا يؤلمك ؟ ’فمي يولمني ‘ .
’لقد جعلت ننكاسي Ninkasi تولد من اجلك ‘ .
اخي ماذا يؤلمك ؟’ضلعي يولمني ‘ .
’لقد جعلت ننتي Ninti تولد من اجلك ‘ .

وقد استعملت صيغة مشابهة للالام الثمانية المختلفة وهناك اقتراح معقول ان الاشارة الى الضلع قد يكون لها بعض الشبه بقصة العهد القديم الخاصة بخلق المرأة من الضلع ، وفي العبرية ليس هناك اي علاقة بين الكلمة الدالة على الضلع وبين اسم المرأة المخلوقة التي يعني اسمها ’حواء ‘ ’الحياة ‘ . وفي القصة السومرية من جهة اخرى هناك كلمة لغز ، فان كلمة ننتي Ninti قد تعني ’سيدة الضلع ‘ و’سيدة الحياة ‘ والثاني يقابل بالضبط معنى الرسم العبري للمرأة التي خلقت من الضلع .

وهناك عدد وافر من الاساطير الاخرى معروفة بشكل كامل تقريبا . فاسطورة نركَال وارشيكيكَال المعروفة فقط من ارشيف القرن الرابع عشر ق . م . المكتشف في تل العمارنة في مصر ، ومن نسخة من العهد الاشوري المتاخر اكتشفت في سلطان تبة في تركيا ، تقدم لنا تفصيلا عن اسلوب صيرورة

نركَال ملكا للعالم السفلي وزوجا لاريشكيكَال . وقد اوجزت اعلاه (انظر صفحة ٣٦٨) . واسطورة اخرى ذات علاقة باريشكيكَال والعالم السفلي موجودة باللغتين السومرية والاكدية ، ومن الواضح ان النص الاكدي لهذه الاسطورة ، المعروف بـ'نزول عشتار' هو اقتباس وتكييف للنص السومري الاقدم 'نزول انانّا (انّن) الى العالم السفلي ، وان الاختصار التالي هو للنص الاخر .

فلأسباب غير واضحة حتى الان رغبت انانا ان تنزل الى العالم السفلي : وكان يفترض سابقا ، استنادا الى تفسير معين للنسخة الاكدية ، ان الغرض من ذلك كان لاطلاق حرية الاسير تموز (دموّزي) ، الى الخصوبة المحتضر ، غير ان النص السومري لا يشير الى ذلك . وكبديل لذلك ، فقد اقترح بان من الجائز ان غرضها كان لعتق الارواح المحبوسة في العالم السفلى وهو يشبه عيد القديسين .

ومن اجل القيام برحلتها ، ليست اننا جميع حليها وشاراتها وتركت مدن بلاد سومر واكد لتنزل الى ارض اللاعودة . وكان وزيرها ننشبور Ninshubur معها فامرته بما يجب عليه ان يفعل اذا فشلت في العودة . فقد كان على ننشبور ان يقيم عزاء وبكاء ويلبس الحداد ويذهب الى الاكور Ekur ، وهو مقام انليل في نيبور . ليبين الخطر الذي وقعت فيه اننا . فاذا لم يأخذ انليل اي اجراء ، فعلى ننشبور ان يذهب الى اكيشنوكَال Ekishnugal ، معبد ننا Nanna الاله القمر في اور . فاذا لم يتخذ ننا اي اجراء فعلى ننشبور ان يقدم نفسه اخيرا الى الاله انكي في اريدو . وسيقدم انكي ، 'الذي يعرف طعام الحياة' ، ويعرف ماء الحياة بالتأكيد المساعدة .

وتقدمت اننا الى مدخل اول العالم السفلي قائلة بانها ترغب ان تشاهد مراسيم دفن كوكَالنّا زوج اختها الكبرى اريشكيكَال ، ملكة العالم السفلي . وبلغ خارس المدخل ذلك الى سيدته فامرته ان يسمح لاننا ان تستمر شريطة ان تسلم تاجها .

اطاع نيتي Neti رئيس حجاب العالم السفلي كلمة ملكته
وفتح ابواب العالم السفلي السبعة .

....

وقال لاننا الطاهرة 'هلمي ، يا اننّا وادخلي'
وعندما دخلت رفع تاجها السوكَورا Sugurra و'الان ، ماهذا ؟'
'اصمتي ياننا ! ، لقد نفذت اوامر العالم السفلي كما ينبغي .

يا اننا لا تجادلي في شعائر العالم السفلي . ويعقب ذلك مراسيم مشابهه في كل من المداخل الستة . فقدت خلالها اننا قلادتها اللازورد والاحجار الكريمة التي تزين صدرها والخاتم الذهبي ودرعها وملابسها .وهكذا دخلت العالم السفلي غير محصنة وعارية وهنا اخذت اريشكيكال مكانها على عرشها ورمى قضاة الانوناكي السبعة في العالم السفلي .اننانظرت الموت . واصبحت اننا جثة

هامدة ، ولمدة ثلاثة ايام وليالي ظل جسمها معلقا في عمود .
فاعلنوزيرها ننشبور ، موضع الثقة ، الحداد وقدم نفسه الى انليل . ولكن :
الاب انليل لم يقف الى جانبه في هذا الامر لذلك ذهب الى اور .
وفي اور فشل الاله القمر كذلك ان يقدم المساعدة لذا اخذ ننشبور نفسه الى انكي في اريدو . وكان انكي ، كما تنبأت اننا قلقا للامر . وا جاب الاب انكي ننشبور :

'ماذا حدث لابنتي ! انا مضطرب .
ماذا حدث لاننا ! انا مضطرب .

وكشط الاوساخ من تحت اظافر اصابعه وشرع يصنع مخلوقين لاجنس لهما يدعيان كوركَرّو Kurgarru وكلاتارّو Kalatarru : حيث لا يمكن لاي احد مولود من رحم ، سواء ذكر كان ام انثى ، ان يعود الى الارض من العالم السفلي ، ارض اللاعودة . ولكن هذه المخلوقات التي ليس لها جنس والمخلوقة من قبل انكي بحكمته لا تقع ضمن شروط المنع . واعطى الى كوكَرّو طعام الحياة والى كَلَترّو ماء الحياة وبعثهما لارجاع انّنا . ووصلاها ونثرا على جثتها طعام الحياة وماء الحياة . وافاقت ، وصعدت من العالم السفلي محاطة بجموع من العفاريت : ويمكن الاستدلال على هدفهم من ذلك حاليا من القسم التالي من الاسطورة فقط ، وهي ليست كاملة ، ولكن غالبا ما يفترض بانها كانت تبحث عن بديل لضحيتهم السابقة انّنا . وعند صعودها من العالم السفلي ، قابلت وزيرها ننشبور . واراد العفاريت في الحال ان يمسكوا به ويحملوه، غير ان اننا اوقفتهم وذكرت لهم خدمته المخلصة لها . وتقدمت المجموعة الى معبد مدينة اومّا حيث رمى اله المدينة الحامي المدعو شارا نفسه في التراب إمام انّنا فاوقفت لذلك العفاريت من القبض عليه . وفي مدينة ثانية ، بادتبيرا Bad-tibira حدث الشيء نفسه فوجهت اننا بهيئتها الشاحبة ، طريقهم الى مدينة انّنا الخاصة ، مدينة الوركاء ، الى محلة كلّاب . وهنا ظل الآله دومزي (تموز) جالسا على عرشه ولم يقدم الخضوع الي انّنا لذلك سلمته اننا

الى العفاريت الذين مسكوه ، ربما لاخذه الى العالم السفلي . وان نهاية الاسطورة لم يكشف عنها بعد .

واسطورة اخرى معروفة من عدد لاباس به من الكسر والتلميحات هي اسطورة زو Zu . وكان زو الاله ــ الطير الذي سرق الواح القدر (وهي الالواح التي تضم قوى سحرية تعطي من يلبسها السيطرة على العالم) من الاله انليل . وليس من الواضح ما هو موقع زو في مجمع الالهة السومرية ــ الاكدية . كما ليس من الواضح ايضا المعنى اللاهوتي للاسطورة . وربما تعود الى مرحلة من التطور الديني التي كان فيها الهة الخصوبة الارضية القديمة تابعة الى الهة السماء في وقت ما في ظل عصور ما قبل التاريخ عندما كان هناك طبقة جديدة من السكان تعرف افكارها الدينية في بلاد ما بين النهرين . وفي الاسطورة ارسل زو لسبب ما ليكون مع انليل . وقد غلبه الحسد والطموح . وحدقت عيناه على ممارسة السيادة العليا [حرفيا 'الانليلية '] وظل زو ينظر على تاج سلطانه وردائه قدسيته والواحة الخاصة بالاقدار .

اجل ، ظل ينظر على ابي الالهة ، الاله درانكي Duranki [اي انليل '
وضمر في قلبه ان يخطف السيادة العليا ...
اجل انا نفسي ساخذ الواح قدر الالهة .
واثبت عرشي ، واحكم الشعائر ،
واوجه جموع الهة الاكيكي ' .

وسنحت فرصة السرقة عندما كان انليل يغتسل :
عندما كان انليل يغتسل بالماء الطاهر ،
وقد نزل من العرش وخلع تاجه ،
خطف زو الواح القدر بيده ،
وهكذا اخذ السيادة العليا ...
وطار زو بعيدا والتجأ (؟) في جبله .

واكتأبت الالهة لهذا الحادث وطلب آنو متطوعا ليذهب ويذبح زو . وقال ان كل من يذبح زو سيكون الاعظم في مجمع الالهة . ودعا اله الجو آدد [وهو اله سامي غربي ، وقد يكون لذلك علاقة باصل الاسطورة] ولكنه رفض وقال لانو اياه :

«من هو مثل زو بين الالهة ابنائك ... ؟
لقد خطف الواح القدر بيده ،
وبذلك اخذ السيادة العليا ...
وحكمته الان هي (شبيهة) بكلمة درنكي Duranki ،
ان الذي يثور ضده ، سيصبح كالطين .

وطلب ذلك من اله ثان فير انه رفض كذلك . واخيرا ظهر بطل الالهة حمقا . ولو ان هويته غير مثبتة فقد ورد في المصادر المختلفة على انه اما شارا او مردوخ او لوكالبندا او ننجَرسُ الذي قام بالدور . وان التفاصيل الدقيقة لقهر زو تنتظر الاكتشاف .

وهناك اسطورة اكدية اخرى ، احسن ما هي معروفة لدينا من النسخة المكتشفة في مكتبة اشوربانيبال ، ولكنها معروفة ايضا من كسر من العهد البابلي القديم والاشوري الوسيط ، وهي اسطورة اتانا Etana . وقد اشير الى اتانا في جداول الملوك السومرية باعتباره احد ملوك ما قبل الطوفان في كيش ، وهي المدينة التي كانت المركز الحضاري في الشمال وتقابل الوركاء في الجنوب .

بعمد ان غطى الطوفان الارض ، عندما هبطت الملكية ثانية من السماء ، كانت الملكية (اولا) في كيش ... [ويتبع ذلك قائمة باثني عشر ملكا ، كل واحد حكم بين ٦٠٠ الى ١٢٠٠ سنة] .. وكانا اتانا الراعي الذي عرج الى السماء ووطد جميع البلاد ، ملكا وحكم ١٥٦٠ سنة .

وتبدأ اسطورة اتانا باشارة مخربة جدا الى ارسال الالهة الملكية الى الارض وعندما يصبح النصر واضحا تماما فانه يسرد العلاقة بين النسر والثعبان . ويقسم الاثنان قسم الصداقة امام اله الشمس شمش :

اقسما يمينا امام البطل شمش (قائلين)
'كل من يعتدي على حدود شمش ،
فليضربه شمش !... '

وكنتيجة لعهدهم اعتاد النسر والثعبان ان يذهبا للصيد سوية ويتقاسما صيدهما :

استيقظا وصعدا الى الجبل .
فاذا صادف ان مسك النسر ثورا وحشيا او حمارا وحشيا .
ياكل الثعبان ثم ينسحب ليأكل صغاره .
واذا صادف ان مسك الثعبان ماعزا جبليا او غزالا ياكل النسر
ثم ينسحب لتأكل صغاره .

وهكذا استمرت الحال حتى نمت صغار النسر واصبحت كبيرة ، ثم بدأ النسر يفكر في خيانة صديقه :

اخذ النسر طعاما ، ونمت صغاره وانتعشت ،
عندما نمت صغار النسر وانتعشت ،
اضمر النسر شرا في قلبه ...
ونوى ان ياكل فراخ صديقه
وفتح النسر فاه وقال لصغيره :
«انا نفسي سآكل صغير الثعبان . ولن (؟) يمسكني (؟)
الثعبان (؟)
(لاني) ساصعد الى السماء واسكن هناك ،
وانزل والتقط الفواكه من رؤوس الاشجار .

وحذر احد صغار النسر اباه من مغبة مثل هذه الخيانة :

ونصح احد صغار العاقل جدا اباه النسر ،
'لا تاكل يا ابي ! فان شبكة شمش ستمسك بك .
وان مصائد لعنة شمش ستوقع بك وتمسك بك ' .

ولكن النسر .

لم يستمع اليه لم يستمع الى كلمة ابنه ،
وهبط والتهم صغير الثعبان .

وعاد الثعبان فوجد صغيره مفقودا وذهب باكيا امام شمش بشكواه وطلب ان يثأر له من النسر الذي نعته بانه 'فاعل الشر زو ' :

'لقد وثقت بك ايها الشجاع شمش ،
امامن جانبي قسمت للنسر الوثام .
لقد تهيبت وقدست القسم بك .
ولم ابق اي شر ضد صديقي .
اما هو ، فعشه كامل ولكن عشي مبعثر ...
صغاره في سلام وصغارى ليس هناك .
لقد هبط والتهم فراخي
وانت تعلم ، يا شمش ، انه يسعى وراء الشر ...
فعسى ان لا يهرب من شبكتك ... '

ووافق شمش ان يثأر للثعبان المتضرر واعطاه تعليمات تمكنه من مسك النسر بنفسه :

فتح شمش فاه وقال للثعبان :
'خذ الطريق واعبر الجبل ،
ساربط لك ثورا وحشيا .
افتح داخله ومزق بطنه ،
واجعل مكانك في بطنه .
وستهبط كل انواع طيور السماء لتأكل اللحم .
وسياكل النسر اللحم معها .
وطالما انه لا يعرف الخطر ،
وعندما ياتي الى الداخل اقبض بجناحيه ومزقهما واقلع مخالبه
وانتف ريشه .

انتفه وارمه في الحفرة ...
دعه يموت من الجوع والعطش ،
ففعل الثعبان كما امره شمش ومسك الثور الوحشي واختبأ في
داخله . ووجد النسر الحيوان الميت ودعا صغاره لتاتي
وتاكل وحذر احد الصغار العاقل جدا اياه :
«لا تهبط يا ابي ، ربما يلتف الثعبان داخل هذا الثور الوحشي
ولكن النسر
لم يستمع اليه ، لم يستمع الى حكمة ابنه

ونتيجة ذلك وقع النسر تحت سيطرة الثعبان فامسك به وتوسل طالبا الرحمة ، ولكن الثعبان فعل كما اشار عليه شمش ورمى النسر بالحفرة .
واستعطف النسر من داخل الحفرة طالبا الرحمة من شمش واجاب شمش انه بسبب جريمته الفظيعة فانه سوف لن ياتي اليه ومع هذا فانه سيرسل رجلا يقف الى جانب النسر ويساعده .

وهنا تقدم لنا الاسطورة رجلا اسمه اتانا Etana . وكان اتانا يصلي يوميا الى شمش طالبا منه ان يهبه ابنا :
وكان اتانا يمثل امام شمش يوميا :
'يا شمش ، لقد اكلت شاتي السمينة وشربت الارض دم
خرافي

لقد قدست الالهة واحترمت الاشباح ...
ايها السيد ، ليصدر (الامر) من فمك ... اعطني نبات الولادة ،

ارني نبات الولادة ، ارفع عني حملي وثبت لي اسما [اي ذرية]

واستجابة لصلاته ، وجه شمش اتانا الى الطريق المار من فوق الجبل الذي يقود الى حيث الحفرة التي كان فيها النسر . وسيرشد النسر اتانا الى نبات الولادة ووجد اتانا طريقه الى الحفرة واطلق النسر الممتن . وبعد معرفة طلب اتانا ،تعهد النسر ان يحمله عاليا الى اعلى السماوات الى سماء آنو :

'هلم ساحملك الى سماء آنو ،
ضع صدغك على صدغي ،
ضع كفيك على ريش اجنحتي ،
ضع ذراعيك على جانبي ، '

وفعل اتانا كما امر .

وكان (النسر) قويا جدا ، حيث كان حمله ثقيلا : وحمله عاليا لمدة ساعة مضاعفة .
وتكلم النسر معه ، مع اتانا .
لاحظ يا صديقي ، كيف هي الارض ،
لاحظ البحر على جوانب جبل الكون
وقد احيطت الارض بالجبل وتحول البحر (في المظهر) كانه مياه في القنوات ' .
وحمله عاليا لمدة ساعتين مضاعفتين
وكلمه النسر ، كلم اتانا .

لاحظ يا صديقي كيف هي الارض [النص مكسور] ...
وحمله عاليا لثلاث ساعات مضاعفة
وكلمه النسر ، كلم اتانا :
لاحظ يا صديقي كيف هي الأرض ؟
لقد تحول البحر (في المظهر) الى خندق بستاني ؟

واخيرا وصلا الى سماء انو وجاءا الى بوابة انو وانليل وايا وتنخرم القصة عند هذه النقطة ولا يعرف فيما اذا كان الطلب قد نجح ام لا . ومن الموكد ان

جداول الملوك السومرية تشير الى ان اتانا قد حصل كما اراد على ابن ووريث ، ومن جهة اخرى فان كسرة اخرى من الملحمة تشير الى ان النسر واتانا معه ، قد سقطا على الارض .

ان التمييز الشكلي بين الاساطير والملاحم هو ان الاولى تتعلق بالالهة بينما تروى الثانية منجزات الابطال من البشر . ولا يمكن الحفاظ على هذا التمييز بشكل قاطع في ادب بلاد ما بين النهرين طالما كان ابطال مثل جلجامش او حتى دوموزي (تموز) يعتبرون في كثير من النصوص كالالهة وقد يكونون اصلا ممثلين لشخصيات تاريخية حقيقية . ومع هذا ، فهناك بعض الملاحم او الاساطير التي تقع بالاحرى تحت صنف اخر على حين لا يمكن اعتبارها تاريخيه بالمعنى الصحيح . الا انها نسجت حول شخصيات تاريخية في ظروف تاريخية معينة . وهناك مصطلح **نار naru** الذي يعني بالضبط مسلة منحوتة من قبل ملك تحمل سجلا لاحداث عهده ، وقد اطلق على الاساطير من النوع المشار اليه ادب **نارُ** لانها في الحقيقة تمثل نصوص **نارُ** المشكوك في صحة معلوماتها والمدونة في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد باسم ملوك مشهورين من العهود القديمة . واكثر القصص شهرة من هذا النوع هي قصة سرجون الاكدي . وتبدأ القصة :

انا سرجون الملك العظيم ملك اكد ،
كانت امي كاهنة عليا . ولم اعرف ابي ...
كانت مدينتي ازفران Azupirann تقع على شاطىء الفرات
حملتني امي الكاهنة ووضعتني سرا ،
وضعتني في سلة من الحلفاء وقفلت غطائي بالقير .
ورمتني في النهر الذي لم يرتفع فوقي .
وحملني النهر وجاء بي الى اكي Akki الساقي وانتشلني اكي عندما غطس دلوه .
....
واخذني اكي كابن له ورباني .
وبينما كنت بستانيا احبتني الالهة عشتار ولمدة ... سنة توليه الملكية .

وهناك ملك اخر من سلالة سرجون الاكدي نسجت حوله الاساطير وهو نرام ــ سن ، حفيد سرجون الذي اشير غالبا الى تلميحات عن احداث عهده

في نصوص التنبوأت . وان الاسطورة عن نرام ــ سن معروفة بصورة عامة ، كالجزء الاكبر من ادب بلاد ما بين النهرين ، من مكتبة اشوربانيبال في نينوى ولكن هناك ايضا كسر من العهد البابلي القديم وجزء في حالة جيدة من الحفظ من سلطان تبة في تركيا وقطعة بالحثية من بوغازكوي .

بعد المقدمة ، التي مازالت مخرومة ، والتي يقدم فيها نرام ــ سن نفسه حاكما صالحا ، هناك اشارات الى غزو جموع كبيرة من المقاتلين باوجه غربان .

مقاتلون باجسام الطيور ــ التي تعيش في الثقوب ، اناس باوجه غربان ،
خلقتهم الالهة العظام و ...ارضعتهم تيامة ...
تربوا في وسط الجبل ، واصبحوا رجالا ، وحصلوا على قوام ...

. . . . . ٣٦٠ كان عدد قواتهم .

وكان الملك ابوهم انوبانيني Anubanini ، وكان اسم الملكة امهم ميليلي Melili .

وقد ذكرت اسماء سبعة اخوة قادوا العساكر . وقد اجتاحت هذه الجموع القادمة من الجبال الشمالية ، يرشخاثدا ، وهي محطة تجارية اكدية فيما هو معروف الان بتركيا . ثم اندفعوا الى سوبارتو (بلاد اشور) وكوتم Gutium (اواسط كردستان) وعيلام (جنوبي غربي ايران) واخيرا وصلوا الخليج العربي واستمروا في غزوهم ليدمروا دلمون (البحرين) ، وما كَان (عمان) ، وميلوخا (ربما بلوخستان او وادي الهند) ، ولم يعرف نرام ــ سن أن هذه الجموع كانت من الرجال ام الشياطين لدو luddu ، انخسهم بالحربة !

فاذا نزف منهم الدم فانهم رجال مثلنا واذا لم ينزف منهم الدم ــ فانهم شياطين عفاريت اوباء ،
اشباح = شياطين شريرة رابضة من صنع انليل .
وعاد الضابط بتقريره :
'لقد وخزتهم بسلاح لدو
ونخستهم بالحربة ونزف منهم الدم' .

عندئذ استشار نرام ــ سن الالهة بواسطة الفأل ليحصل على الاذن بمهاجمة الجموع الغازية ، ولكنه لم يحصل على الاذن وبالرغم من ذلك فقد قرر ان يتخذ الاجراءات كمبادرة شخصية منه . وكانت النتيجة هي الكارثة . ففي

ثلاث سنوات متتالية ارسل جيوشا كبيرة (١٢٠٠٠٠ و٩٠٠٠٠ و٦٠٧٠٠ رجل) لتمحق كليا . اضافة الى ذلك ، فقد حل ببلاده رعب القحط والمجاعة والطاعون والفيضان وفي السنة الرابعة يبدو ان الاله ايا اقنع الالهة العظام ان تعطف وتعطي نرام ــ سن فالا حسنا في عيد راس السنة الجديدة . وكان من نتائج ذلك ان تمكن من عمل شيء (ربما قام بهجوم ناجح غير ان الفقرة مخرومة) نتج عنه اخذ اثني عشر اسيرا . وقد استخار الفأل فيما اذا كان يجب اعدام هولاء الرجال . ولكن كان حكم الالهة الابقاء عليهم . حيث كما شرحت كوكب الزهرة (اي عشتار) :

'في الايام التالية ، سيؤشر انليل صنيعهم الشرير ،
انهم ينتظرون قلب انليل الغاضب .
ستدمر مدينة اولئك المقاتلين ،
ستحرق النيران مستوطناتها وتحاصر ،
سينزف (رجال المدينة) دمهم ،
ستجعل الارض محصولها من البذور والنخيل من غلتها قليلا
ستموت مدينة اولئك المقاتلين
ستظهر المدينة عداوتها للمدينة الاخرى ، والبيت للبيت
الاخر .. '

ويبدو ان الغاية من ذلك انه اذا ظل الاسرى الاثني عشر ذكرى دائمة الى انليل فانه سيتدبر الشر الذي فعله قومهم بمرور الوقت ويمحي مدنهم بالحرب والمجاعة والحروب الاهلية .

وقد جاءت جميع الاساطير والملاحم التي ذكرت حتى الان ، كمعظم الادب الديني في الاصل ، من بلاد بابل (او بلاد سومر قبل ذلك) . وهناك ملحمة مهمة واحدة من التآليف الاشورية المحلية وتعرف هذه بملحمة توكلني ــ ننورتا . وتروى الملحمة من وجهة النظر الاشورية كيف ان الملك الاشوري الصالح توكلني ننورتا الاول (١٢٤٤ ــ ١٢٠٨ ق . م) تمكن بمساعدة انليل الذي وضعه الثالث في التسلسل الهرمي المقدس بعد نفسه وننورتا ، من القضاء على كاشتلياش الرابع Kashtiliash ملك بلاد بابل الكاشي ، الذي حنث بقسمه ونبذ من الالهه وقد وصفته الملحمة بحق بانها عمل دعائي .

ادب الحكمة : ان لقراء اللغة الانكليزية المام كامل بادب الحكمة القديم من اسفار العهد القديم كالامثال وايوب والجامعة ، اضافة الى بعض الفقرات

المتفردة في القضاة الاصحاح ٩ ، ٨ ــ ١٥ . وبصورةعامة ، فان ادب الحكمة يميل لان يكون عالميا اكثر من كونه قوميا من حيث النوع ، ويظهر ذلك واضحا في العهد القديم ، حيث تزور ملكة سبأ (مملكة سبأ في جنوبي الجزيرة العربية) سليمان بصورة خاصة من اجل «حكمته» على حين اشتهرت كل من ادوم (سفر عوبديا . الاصحاح الثامن ، سفر ارميا ، اصحاح ٤٩ ، ٧) ومصر (سفر اشعيا اصحاح ١٩ ، ١١ ، ١٢) و'اولاد الشرق ' (سفر الملوك الاول اصحاح ٤ : ٣٠) في اسرائيل بذلك .

ومن الواضح ان بعض تآليف ادب الحكمة (كما هي حقا في اساطير وملاحم معينة) قد ترجمت في القديم من لغة الى اخرى .

وفي بلاد ما بين النهرين ، يرقى تاريخ ادب الحكمة بالتأكيد في شكله المدون الى فترة لارسا (حوالي ١٩٠٠ ق .م .) او بشكل ادق الى الفترة بين عهد ريم ــ سن في لارسا وحكم امي صدوقا في بابل . وهناك من هذه الفترة مجموعة كبيرة من ادب الحكمة باللغة السومرية وليس من الموكد كم من الوقت مضى على نشوء مثل هذه النصوص قبل التدوين ، ولكنه اشير الى انه طالما لا توجد لدينا ادلة على وجود مثل هذا النوع من الادب من الفترة السابقة لفترة التاثيرات السامية القويةالواضحة فانه لا يمكن في الواقع اثبات اي جزء منها يتضمن فكرة سومرية بحتة .

وقد صنف ادب الحكمة السومري هذا شكليا الى ما بين خمسة واحد عشر صنفا رئيسا .. والاختلاف في عدد الاصناف يعتمد على ما اذا ضمت بعض الاشكال الادبية كالحكم والوصايا والامثال والنصائح تحت العنوان العام 'الامثال ' ام انها اعتبرت اصنافا مستقلة . وليس هناك محاولة فيما ياتي لاعطاء مثال على كل صنف يمكن تمييزه .

وان اكثر اصناف ادب الحكمة شيوعا في اللغة السومرية هو الامثال . ومن مئات الامثال المعروفة يمكن اقتباس بعضاً منها ·

اللذة من الخمر ، والتعب من السفر [هناك جناس في السومرية بين كلمة **كاش** Kash 'شراب ' **وكاسكال** Kaskal 'سفر '] .

وكانت فائدة الكحول في ارخاء التوتر معروفة تماما : من لا يعرف الخمر لا يعرف الخير . فالخمر يجعل البعض بهيما [من المفيد ان نذكر ان احدى علامات همجية انكيدو انه لم يكن يعرف الخبز والشراب]

تحلق شابا يعطيك ما تريد ،

ارم كسرة لجرو ، يهزلك ذيله ،
من لم يعل زوجة او طفلا
سلم انفه من الخشاش .
الاكثار من الزوجات (امر) يخص الرجل (نفسه) ،
ولكن الاكثار من الاولاد هو (امر) يخص الاله .
قضيب الزاني مثل فرج الزانية .
الحبل جميل ولكن الحمل شاق .
الفقراء هم الصامتون في بلاد سومر .

ومما لاشك به ما يشابه الامثال في الروح ولكن يتميز عنها بالشكل ما يمكن ان نسميه بالنصائح والحكم . و'النصائح ' ، تتضمن سلسلة من الجمل المفيدة تحمل النصح حول السلوك الخلقي ، وتقدم كنصيحة من والد الى ابنه . وان هذا النوع من التآليف معروف جدا من العهد القديم ومثال ذلك سفر الامثال الاصحاح ٣١ الذي يقدم النصائح الى الملك صموئيل من قبل امه . كما ن هذا الصنف معروف في النصوص المصرية على حين هناك مثال جيد اخر له هو 'كلمات اختصار ' بالآرامية . وليس هناك اكثر من اثنين او ثلاثة من هذه النصوص والنصائح معروفة في الوقت الحاضر باللغة السومرية . وبعض اجزاء احد هذه النصوص يذكر :

اطع كلام امك كانه امر الهي .
لاتدع الغضب يظهر على وجهك في اثناء الخصام .
اذا نشب الخصام كالنار ، تاكد انك تعرف كيف تطفىء (اللهيب) ...
اذا قال لك احد كلاما عدائيا فلا ترد عليه بالمثل ،
فذلك (يتضمن نتائج) وخيمة .
اذا حكمت على شيء فلا ترفق ذلك باستهجانك (الشخصي) .

وكمثال من النوع الذي يمكن ان نطلق عليه اسم 'الحكم ' والتي مثلت بالاكدية احسن من السومرية يمكن اقتباس المثال التالي ، كما ترجم من قبل البروفسور ــ جاكوسبون في شيكاغو (Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 102, 15) 'الملك الذي يحب العدل ... (يفرض العقوبة على الطرف المذنب) ... بعد ان يكون قد قوّم الشهادات

الخاصة ورأى القرارات الخاصة ، ولكن لن يحمل (الشخص المذنب) اجور الذنب الجسيم ' . (ورد هذا في نص يمتدح الالهة نانشة Nanshe باعتبارها حامية القيم الخلقية)

ونقتبس مثالاً اخر من نص دون باللغتين السومرية والاكدية كما يلي :

من ينام مع [بالنسخة الاكدية (يلقح)] زوجة رجل فذنبه عظيم .

من يقسم بانه سيعمل اعمالاً رديئة ، من يشتم
ومن يؤشر باصبعه بالشر وراء صديقه ،
من يصف عائلته بكلمات شائنة [في النسخة الاكدية 'اخوته '] ،
من يظلم التابع ،
من يسلم الضعيف الى القوي ...
يستحق الملامة (؟) .

ومن الاصناف التي ترد كثيرا في ادب الحكمة السومري هو ما اطلق عليه السومريون انفسهم اسم **ادَمَن ــ دُ ــ كَا** Adaman-du -ga (وان الرقم ١١ بعد 'د ' يعني ببساطة ان العلامة المقصودة هي العلامة الحادية عشرة حسب تكرر ورودها من بين العلامات السومرية التي تلفظ 'du' وتتالف العلامة الرمزية اَدَمن adaman من العلامة التي تدل على الرجل مكتوبة مرتين بهذا الشكل MANNAW وتعني دُ ــ كَا 'كلمة ' او 'كلام ' . لذا فان مصطلح ادَمَن ــ دُ ــ كَا adaman-du-ga لابد وان يعني 'كلام بين شخصين احدهما مقابل الاخر ' . وفي الواقع فقد استخدم المصطلح للدلالة على الفعل او المقابلة الفعلية بين طرفين مع اختلاف متميز في الصفات بينهما . وكمثال على ذلك الصيف والشتاء والراعي والفلاح والنحاس والمعادن الثمينة والفأس والمحراث ، لمناقشة مميزات كل منها ، وهناك من الباحثين من يرى ان مثل هذه التآليف كانت قد نشات للتلاوة او التادية من اجل تسلية البلاط وقت الاعياد . ولهذه التآليف اشكال معينة : فهناك اولا مقدمة اسطورية لاهوتية تصور مشهدا في فترة معينة من الزمن في اصل وتطور الكون وتقدم المتناظرين وتبين مكان كل منهما في نظام الكون ومن ثم تعطي اسس المناظرة . ويعقب ذلك المضمون الفعلي الذي يتفاخر به كل طرف بمزاياه الخاصة ويشير الى

عيوب ومساوىء مناظرة واخيرا يلجأ الاثنان الى الاله ، الذي يصدر حكمه بينهما فيتقبلانه ويصبحان اصدقاء ثانية . وهناك سبعة نصوص مدونة من هذا النوع (وان كانت ليست كاملة جميعا) باللغة السومرية .

واطول هذه النصوص هو الصيف والشتاء . وموجزه كما ياتي مستفيدين كثيرا من بحث كريمر من جامعة فيلادلفيا .

قرر الاله انليل ان يؤسس الزراعة في البلاد ومعها بركات الوفرة . ولتحقيق ذلك خلق اخوين هما الصيف والشتاء . وعين لكل منهما واجبات معينة فجلب الشتاء ولادة الخراف والجديان والعجول وجعل الالبان الغزيرة والخضرة في الحدائق وسبب نمو الاشجار فاثمرت وجعل الاسماك تبيض والغلال تنمو . جاء الصيف من جهة اخرى ، لبناء البيوت والمعابد والمدن . (ان نسبة البناء في الصيف تشير الى حقيقة انّ الصيف كان دائما وما زال حتى الان وقت صنع الاجر في العراق) وبعد ان انمّا الاخوان واجباتهما المقررة ذهبا الى نيبور لتقديم الشكر الى انليل ، وجلبا معهما الهدايا . وان ترجمة النص مازالت مفتوحة للمناقشة ولكن يبدو ان الشتاء جلب مخضرات مختلفة على حين ان :

الصيف ، ابن البطل انليل ،
جلب كقربان الى اي ــ نام ــ تلا E-nam-tila ،
(بيت الحياة) بيت انليل ،
جديا وماعزا وشاة جبلية

ونتيجة لذلك اصبح كل منهما يحسد الاخر وبدأ يتخاصمان وتجنب الصيف الشتاء كأنه عدو ، ولم يمشي الى جانبه حينئذ فقد الشتاء (الجبل) صوابه وبدا يخاصم الصيف (قائلا) :

'ايها الصيف ، يا اخي ...

وهذا يوشر بداية الخصومة الحقيقية ــ وبدأ كل من المتخاصمين يبين مركزه الرفيع . فاشار الشتاء الى الدور الهام الذي يقوم به في الطقوس :

ايها الصيف . يا اخي ،...
عندما يرتدى الملك ... ابي ــ سن المقدس ،...
حلة الاحتفال ورداثه الملكي ،
ليقوم بالشعائر في عيد الالهة ...
وحينما تعزف في بيت الحياة ، المسكن الملكي الرائع الذي

خلقه آنو ... الالات الوترية له ... حينئذ اكون انا المهتم
باعداد الزبد الحلو .

واجاب الصيف بحدة على الازعاج الذي يمثله الشتاء :

... واجاب الصيف الشتاء ،
'ايها الشتاء ، يا اخي ، في فصلك تتجمع الغيوم الكثيفة ...
وفي داخل المدينة تصطك اسنان (الناس) ،
ولا يجرأ احد منهم للخروج الى الطرقات في منتصف
النهار ،
وينتظر كلا من العبد والسيد المتمتعان بالنار ـ المساء ...

واخيرا يطلب المتناظران الى انليل ان يحكم بينهما . ويعرض كلا منهما قضيته ويبدأ الصيف بمدح انليل بينما يتكلم الشتاء بصورة مباشرة اكثر ، واخيرا يصدر انليل قراره :

واجاب انليل الصيف والشتاء :
'يسيطر الشتاء على الحياة التي تعطي الحياة للارض .
وهو مزارع الالهة ، الذي يكدس الغلال .
ايها الصيف ، يا بني ! كيف تقرن نفسك بالشتاء ؟ '

ويقبل القرار وتتم المصالحة :

حكمة انليل المعظمة ... الحكم الذي اصدره ...
من يجرأ على تجاوزه ؟
(لذلك) انحنى الصيف للشتاء وتضرع اليه .
وقدم الصيف الذهب والفضة الي الشتاء .

وجلب الى بيته جعة الشن Ulushin ونبيذا ،

ويضم صنف اخر مهم من ادب الحكمة السومرى تاليف إدبّا Edubba. وتعني كلمة ادبّا حرفيا 'بيت الرقيم ' اي «مدرسة الكتاب» . وهناك عدد من التآليف المنجزة ، رويت باسلوب تقريض ، تتعلق بتعلم الكاتب بصورة خاصة . وعلى العكس من الافتراض الذي كان شائعا في الماضي ، فان مدارس الكتاب لم تكن ترتبط بصورة خاصة (على الاقل بعد اضمحلال دويلة المدينة السومرية ، وليس هناك شيء معروف عنها قبل ذلك) بالكهنة والمعابد . وان معظم النصوص الادبية لم يعثر عنها في المعابد بل في بيوت خاصة . على حين يبين علم الاثار بان مدارس الكتبة كانت في العهد البابلي القديم غالبا مستقلة عن منطقة المعبد (انظر صفحه ٢٠٧) .

وعندما كانت اللغة السومرية في العهد البابلي القديم تضمحل بسرعة كلغة تخاطب ، نشطت مدارس الكتاب ، وبصورة عامة لتعليم الكتاب كتابة اللغة السومرية التي كانت لا تزال مسيطرة في الادب والدين . وتساعدنا النصوص على تصور الخطوط العامة لتنظيم مثل هذه المدرسة . ففي القمة يقف المدير او العميد (بالسومرية اومّيا Ummia وهي كلمة تعني تقريبا 'خبير' و'حجة' وياتي بعده في المرتبة «وكيل المدير» ويعرف بالسومرية **ادّا ادبا** adda edubba 'ابو بيت الرقيم' ، وكان هناك معلمون متخصصون لمواضيع معينه . مثل **دبشار نشد** dubshar nishid 'كاتب الحسابات' اي مدرس الحساب و**دبشار اشكا** dubsharashga 'كاتب الحقل' ، اي مدرس الهندسة(وربما مماثل للسابق) . وكان اهم معلم بين الجميع ، كما هو حال مدرس المواضيع الكلاسيكية في المدارس الخاصة حتى الوقت الحاضر ، هو **دبشار ـــ كنكِرا** dubshar Kengira 'كاتب بالسومرية' . وكان معظم التعليم الفصلي يتم من قبل الطالب ـــ المعلم . الذي عرف 'الاخ الجليل' ، والذي يبدو انه كان يفعل ما بوسعه لخدمة من هم اقل منه مرتبة . وكانت الادارة بيد سكرتير المدرسة الذي كان دوره يشمل ضبط النظام ايضا .

وان النص الذي اخذت منه معظم المعلومات المذكورة اعلاه قد نشر اولا من قبل كريمر (S.N.Kramer Journal of the American Oriental Society 69 (1949), pages 210 ff.)

ويعطي النص وصفا طريفا لتلميذ في سنته الاولى . ويبدأ التاليف بسؤال التلميذ :

'يا ابن بيت الرقيم ، اين ذهبت في ايامك الاولى ؟'

وهو يجيب :

'ذهبت الى بيت ـــ الرقيم ،...
قرأت رقيمي ، واكلت طعامي ،
اعددت رقيمي ، وكتبته ، واكملته .
وعندما فتح بيت الرقيم ، ذهبت للبيت .
دخلت بيتي ـــ وكان ابي جالسا ، هناك'

وحكى الولد الى والده بعض ماحدث في يومه ثم استعد لعشاء مبكر وذهب للنوم .

'انا عطشان ، اعطني شرابا ،

انا جوعان ، اعطني طعاما ،
اغسل قدمي واعد منامي اريد ان انام .
ايقظني في الصباح الباكر ،
يجب ان لا اتاخر ، والا ضربني المدير ' .

وفي الصباح التالي اعطت الام ابنها رغيفين من الخبز وذهب مسرعا الى المدرسة . ولكن كان اليوم نحس له . فعلى الرغم من كل شيء كان متاخرا . ووقع في مشكلة . انبه وكيل المدرسة لرداءة نوعية رقيمه لليوم السابق . وانّب الولد بالنسبة للمواضيع الاخرى وكذلك بالنسبة لسلوكه العام . وكان اليوم مليئا بالنوائب الى درجة ان الولد اشار على ابيه استرضاء المدير . وتم ذلك ، فقد اعد الوالد تسلية ضخمة للمدير وجهزه برداء جميل جديد واعطاه هدية واقام له مأدبة مناسبة . ونتيجة لذلك ، فقد فضل الولد وتنبأ له المدير بمستقبل باهر :

ويروى رقيم اخر بنفس المضمون ، نشر من قبل كاد
C.J.Gadd (Teachers and Students in the Oldest Schools, (1956), pages 28 ff.)

(المعلمون والطلبة في اقدم المدارس) التاريخ اللاحق لولد كان في السابق مخبولا وحديث عهد . وفي هذا النص الجديد كان الولد في سنته الثانية وقد انقلب ، كما يضع ذلك البروفسور كاد ، 'الى يافع وقح غير مطيع ، اوقعه تمرده المطلق الى الاصطدام المقصود مع الادارة ' . وان المتكلمين في الحوار هما الطالب والاخ الكبير . ويُسال الطلب اقتراحه عما يجب ان يكتب كتمرين . ويجيب بانه سوف لن يكتب التمارين التقليدية :

'انا مصر على ان اكتب شيئا خاصا لي ، انا ساعطي التعليمات ' .
ويؤنب الاخ الكبير اليافع المغرور :
'اذا كنت ستعطي التعليمات فانا لست اخاك الكبير ،
واين يكون موقف «اخي الكبير » (في مثل هذه الحالة) ؟
ان الغرور في فن الكتابة [حرفيا 'اسم مفرط '] يحطم علاقة الاخ الكبير .

ايها العقل الكبير ! يا اول عضو في بيت الرقيم ! ...
عسى ان تكون يدك ماهرة ، ولكن اليست هي يد غير ماهرة (جدا) في (استخدام) القلم (على) الرقيم ،

وتذكر عدم قابلية الطالب بالتفصيل :

'انه يكتب الرقيم ـــ ولا يحضرة بكفاءة
انه يكتب رسالة ، ويكتب العنوان خطأ (؟)
(اذا) ذهب لتقسيم مقاطعة ، فانة (لا يستطيع) ان يقسم المقاطعة .

وهناك امور اخرى في نفس الاتجاه ، ويسال الاخ الكبير المزدري اخيرا ! :

'ايها الرجل ، بدون المديح بين الكتاب ،
ما هي مهارتك ؟ ...

ومع ذلك ، فان الطالب لا ياخذ ذلك بشكل سلبي ولكن يهاجم ، بعد ان يدافع عن قابلياته الفنية ، مهارة الاخ الكبير ، فينقد حسابه وهندسته ووقته في استنساخ النصوص الدينية . وتتطور الاساءة ورد الاساءة حتى تصبح خصاما (كما يمكن الحكم من التكملة ـــ حيث ان الفقرة الخاصة مفقودة ، وقتالا عضليا ويعطي رقيم اخر نتائج الامر . فيظهر المدير وهو يرعد على الطالب المقصر :

'لماذا انتما الاثنان تتصرفان هكذا ؟
الواحد يطرح الاخر ارضا ...!
....
لماذا وجد اخوك الاكبر ؟
(لانه) اعلم منك في فن الكتابة .
....
ان المدير يقدر ان يفصل كل شيء .
انه محترم جدا مهما فعل ،
ولكن اذا فعلت ما يعجبك
فمن يتصرف مثلك يختصم مع اخيه الاكبر .
هناك هراوه في غرفة المخزن (؟) ساضرب مثل هذا الشخص بها ،
واضع القيد النحاسي في قدميه ،
سيكون (بوسعي) التجوال في البيت ، ولكنه سوف لن يتمكن من مغادرة بيت الرقيم لمدة شهرين .

ويأخذ المدير بعدئذ ، كما يذكر النص ، وبعد ان قال هذا التهديد المخيف ، الشابين الاثنين باليد دلالة على المصالحة .

ومن اصناف ادب الحكمة الاخرى ، والمعروف جدا في العالم اليهودي والمسيحي من سفر ايوب ، هو ما يعالج مشكلة الشر والعذاب ، وقد ناقش العالم الهولندي فان دايك بشكل مقنع ان هذه المشكلة ، على النقيض مما كان عليه الرأي سابقا ، كانت قد ظهرت في الفكر السومري . وعلى كل حال فان هذا النوع من التآليف يمثله في الوقت الحاضر نصان سومريان فقط من الصعب جدا تفسيرهما ، ولهذا السبب فان الامثلة من هذا النوع من التآليف سيكون من الامثلة الاكدية حيث مثلت بشكل واضح جدا .

ويمكن الاطلاع على جميع ادب الحكمة المعروف في اللغة الاكدية . في الطبعة الحديثة في كتاب لامبرت (ادب الحكمة البابلي ، W.G. Lambert's Babylonian Wisdom and Literature (1960) الذي امكن الاستفادة منه كثيرا في كتابة الموجز التالي حيث اعارني المؤلف مشكورا مسودة الكتاب قبل طبعه . واكثر التآليف لفتا للنظر هو المعروف باول سطر فيه «لُدلُل بيل نِمِقِ Ludlul bel nemeqi ('سامجدن سيد الحكمة ') او من الاتجاه العام لموضوع النص «قصيدة التقي المعذب» او 'ايوب البابلي ' . ومع ذلك فقد لا يستحق التاليف العنوان الاخير ، حيث انه على الرغم من ان هذه القصيدة تعالج ، مثل سفر ايوب في التوراة ، مشكلة العذاب فان التاليف التوراتي بما فيه من ادراك روحي وجمال تصور يسمو على القصيدة البابلية الى درجة لا يمكن مقارنة الاثنين .

وربما كانت قصيدة 'التقي المعذب ' ، تضم في الاصل اربعة رقم عبارةعن مناجاة فردية من خمسمائة سطر يزعم انها قيلت من قبل احد النبلاء البابليين . ويستدل من مميزاتها الادبية على انها اصلا من نتاج الفترة الكاشية . وتذكر القصيدة ان الراوي الورع قد هجر من قبل جميع الالهة ، لذلك اصبح الملك غاضبا عليه وتآمرت ضده الحاشية واصبح منبوذا ، ولم يستطع العرافون والسحرة مساعدته ويتذكر تقواه المثالية السابقة ويستنتج بالم ان الانسان لا يعرف ما يرضي الالهة :

لو علمت ان هذه الاشياء ستلقى الرضى عند الاله .
ما هو حسن للمرء انما هو اساءة الى الاله ،
وما هو سيء في قلب الانسان نفسه انما هو حسن بالنسبة للاله .

من يعرف راي الالهة في وسط السماء ؟
وحل بعدئذ بالرجل السيء الحظ المرض ، وصعدت جميع الشياطين من العالم السفلي لتمسك به ويبدو انها سببت له اعراضا كالشلل والدزانترى والتدرن والملاريا .

وراى المعذب ثلاثة احلام . ففي الاول ظهر له شاب وسيم الطلعة غير ان النص الذي يضم رسالته مكسور . وفي الثاني ظهر له شاب مثل طارد الارواح ، قام باجراء طقوس على المعذب حسب تعليمات اله . وفي الثالث ظهرت له امرأة وكانها ملكة او الهة واعطته وعدا بالخلاص ، وبعدها جاء كاهن تعاويذ ملتح وهو يحمل رقيما من مردوخ مع وعد بالرفاهية . وبظهور مردوخ الراضي ثانية الى المعذب ، تذهب عنه بسرعة جميع همومه ، فاعيدت الشياطين الى العالم السفلي واستعاد الرجل صحته واقدامه وتوجه الى معبد مردوخ . وان نهاية النص مشكوك فيها : ويرى بعض العلماء بان الرقيم الرابع المفقود يتمثل في الكسر الخاصة بالدخول الظافر الى معبد الاله مردوخ من قبل الرجل الذي كان منبوذا . والتأليف الرئيس الثاني في ادب الحكمة ولعله من تاريخ احدث قليلا من التآليف السابقة ، هو المعروف بالثيودوسي البابلي The Babylonian Theodicy (العدل الالهي البابلي) ، وهذا التاليف له شكل محاورة بين اثنين ، المعذب وصديقه . ومن وجهة نظر البناء الادبي ، فان التاليف مفصل ويحتوي اصلا على سبع وعشرين قطعة او مجموعة ابيات وتضم كل قطعة احد عشر سطرا وتبدأ جميعها بنفس المقطع .*وتولف المقاطع السبع والعشرون جملة تعني «انا ساكيل ــ كِنام ــ اُبّب ana Saggil-Kinam-ubbib الكاهن العراف ، عابد الاله والملك' . ويمكن تلخيص مضمون التاليف كما ياتي حيث ينشد المعذب وصديقه ابياتا متعاقبة
المعذب : انا طفل يتيم المولد ، ماتت امي اثناء الولادة وتركتني يتيما .
الصديق : الموت نصيب جميع الناس .
المعذب : انا في صحة رديئة ، كئيب وبعسر .

الصديق : تكافىء الالهة بالتالي المتقين .
المعذب : هناك اناس في رفاهية بدون تقوى : ولكني كنت تقيا بدون رفاهية .
الصديق : اننا لا نفهم طرق الالهة . فغير الصالح الذي يترف مؤقتا يهجر في النهاية .
المعذب : حسب ملاحظاتي لم تكن الحالة كذلك .

الصديق : ان من الكفر ان تجادل قرارات الالهة (هناك اربع قطع مفقودة او بحالة رديئة جدا)
المعذب : هناك ميزات للحياة كمستول دون مسؤوليات نحو المجتمع .
الصديق : هذا جنون .
ويستمر الحوار ويضع نظرية العقاب المقدس على الممارسات المتشعبة للحياة العقلية . ويتفق المتحاوران اخيرا على الاقتناع بان البشر غير عادلين ، وانهم كذلك لان الالهة خلقتهم كذلك . ولاعطاء ملامح الاصل نقدم ترجمة احدى القطع ، وان المقدمة التفصيلية للمجاملة للكلام المقتبس نصا هي من مميزات التأليف بكاملة :

يا صديقي : ان فكرك كعين منبعها لا ينضب ،
(انه) تجمع البحر العظيم الذي ليس له ابعاد .
ودعني اسالك : انتبه الى قولي !
انتبه لحظة واحدة ! اصغ الى كلماتي !
لقد اضعفت رشاقة بدني وغمرتي الكابّة ،
وذهب عني حظي وذهب عني نعيمي ،
وتحولت قوتي الى ضعف وانتهى رونقي .
وغيّر النحيب والحزن ملامح وجهي .
الارزاق من مزرعتي لا تكفيني
ونبيذي ، حياة الانسان ، لايسد (حاجتي) .

هل حدد لي وقت للرعاية ، اريد ان اعرف الطريق (للوصول) اليه .
ونوع اخر يشكل محاورة ، ولكن ذو خصائص تختلف تماما ، هو ما يعرف عادة بمحاورة التشاؤم . ويقص هذا سلسلة من التبدلات بين السيد وعبده . فيعرض السيد في كل مرة القيام بعمل معين وللموافقة عليه يعرض العبد في الحال شهادة متحمسة .
ويعقب ذلك حالا تغيير في مبدأ السيد ، الى جانب كلام العبد التالي الذي كان على استعداد لان يعرض حلا معاكسا . وفي النهاية فقط يعرض العبد رايا مستقلا ــ عندما يسال بصورة مباشرة ما هو العمل ذو القيمة حقا . فكان جوابه :
ان تكسر رقبتي ورقبتك .
وترمى في النهر فذلك جيد .

ومن الصعب ان ينكر ان للتاليف غاية هزلية ، ويجب اعتباره نوعا من اللمز . وهذا لا يعني مع ذلك ، ان تنكر وجود ما كان وراء المعالجات الهزلية من اعتبارات جادة لقضايا فلسفية ، وبمعنى اخر ما هو الهدف من الحياة ، وقد يعطي جزءا منها فكرة عن اسلوب التاليف :

ايها الخادم ـــ اجعل نفسك مقبولا ! 'اجل سيدي ، اجل '
'احضر لي في الحال ماءا واعطني اياه ' .
'حتى اقدم ضحية الى الهي ' . 'افعل ذلك ، يا سيدي ، افعل ' .
'فان من قدم الاضحيات الى الالهة ـــ ارتاح قلبه ' .
'واضاف دينا الى دين . '
'لا ، يا خادم لا اضحي لالهي اطلاقا . '
'لا تفعل ذلك يا سيدي لا تفعل ' .
اما بالنسبة للاله ، فيمكنك تدريبه حتى يركض وراءك كالكلب سواء اراد منك طقوسا ... او اي شيء آخر .

وقد مثلت نصوص الوصايا بالاكدية كما في السومرية (انظر صفحة ٤٦٠) واحسن مثال هو «وصايا الحكمة» التي تاخذ شكل نصائح اب ـــ ربما كان وزيرا ، وبالتاكيد كان رجلا ذا مركز مرموق ـــ الى ابنه . وان تاريخ التأليف غير مؤكد : وهناك من يظن ان العهد البابلي القديم او العهد الكاشي زمن التاليف وان نوع الوصايا المقدمة تمثل نصائح عملية جيدة وتعتمد كنصائح اللورد جسترفيلد Chesterfield الى ابنه على اعتبارات عملية اكثر من كونها مثلا خلقية . فقد نصح الاب ان يبتعد عن رفاق السوء والا :

و(تبتعد) عن العادات الحميدة وتصبح مرتبطا بارائهم .
(حيث) ستقلل من قيمة خدمتك . وتهجر نهجك .
(و)تسمح لرأيك الذي كان ثابتا ومعقولا ان يصبح مشوها .

وقد نصح الابن ايضا ان يتكلم بحذر ويتجنب التجديف والزور والقذف . ويتجنب التدخل في قضايا المحاكم . وان لا يجعل الامة سيدة بيته . ولا يتزوج من بغية المعبد التي هي ، الى جانب اعتيادها على قبول رجال اخرين ، فهي ليست زوجة عطوف وشديدة المراس . واذا عهد اليه ببيت خزائن اميره فعليه ان يحاذر من فرص الاختلاس ليس لاسباب خلقية كما يلاحظ بل لخطورة اكتشاف ذلك . وقبل كل شيء عليه ان يعبد الالهة العظام بانتظام وان يقدم

لها القرابين اللازمة وحينئذ ستكافئه بدورها .
عليك ان تصلي وتتضرع وتكرم
كل يوم : وسيكرم (؟) ربعك ،
....
القرابين تطيل الحياة
والصلاة تغسل الذنوب

وادب المناقشة الذي يقابل ادب ادَمَن ـ دُ ـ كَا ـ Adaman-du -ga السومري ممثل بشكل جيد في الاكدية ، وهناك ستة امثلة معروفة في الوقت الحاضر واحسنها حفظا مثال ، بعدد من الكسر منقّحة يرقى اقدمها الى العهد البابلي القديم ، المناقشة بين الطرفاء وشجرة النخيل . وكالامثلة السومرية . يبدأ التاليف بمقدمة اسطورية ، تعين الزمان والظروف التي خلق فيها المتنافسان ثم تستمر :

غرس الملك النخلة في قصره ،
ومعها دتّو ditto [وهكذا هو الاصل]... الطرفاء
وفي ظلال الطرفاء اقيمت مأدبة ...
ثم دخل الاثنان في المفاخرة . والحت النخلة :
انت ، ايتها الطرفاء من الاشجار غير النافعة .
ما هي اغصانك ، خشب بدون ثمر !...
البستاني يجزل الثناء علي ،
ففي وجودى نفع للعبد والسيد (على السواء)...
وتشير الطرفاء ، من جهة اخرى الى فائدة خشبها :
تاملي اثاث القصر الملكي !
اي شيء اخذ مني وقدم الى القصر الملكي ؟
الملك ياكل من على منضدتي ،
والملكة تشرب من قدحي ...

وهناك اشياء اخرى كثيرة في هذا الاتجاه . ولكن مع الاسف مخرمة جدا . ويبدو ان المتنافسين ذهبا اخيرا ، كما في الامثلة السومرية ، الى المعبد للاحتكام .

اما الامثال ، ومختلف الاصناف الاخرى ذات العلاقة كالاقوال المأثورة والوصايا وما يسميه بعض العلماء 'التجارب الصغيرة' ، فممثلة في الاكدية ،

كما في السومرية . وفي الواقع ان معظم الامثال الاكدية قد وردت في نصوص ثنائية اللغة الى جانب الاصل السومري ولكن هناك امثلة قليلة لمجموعة من الامثال كتبت باللغة الاكدية فقط اضافة الى بعض الذي ذكر بالمناسبة في الرسائل . وتقدم فيما يلي بعض الامثلة من الاصناف المختلفة :

الامثال

الرجل الجائع يحضر في البيت المشيد بالاجر
هل تقدم كتلة من الطين الى احد يرمي الاشياء جانبا ؟
عند باب بيت الحاكم يكون صوت المراة المذنبة اقوى من صوت زوجها .

الوصايا

لا ترتكب جريمة فلا يقلقك خوف الاله .
لا تتحدث بالشر ، فلا يدخل الحزن قلبك .
لا تعمل الشر فلا تلاقي مصاعب دائمة .

اقوال ماثورة

عندما تكون متدبرا ، فان الهك لك .
وعندما لا تكون متدبرا فان الهك ليس لك [وان روح ذلك القول ، 'ثق بالله واحفظ مسحوقك جافا ']

التجارب الصغيرة (او 'قصص هزلية ')*

عندما ركب الحصان حساويا ،
وحينما كان راكبا عليها همس في اذنها :
'ليكن المهر الذي تحمليه جوادا : مثلي .

لا تدعيه يكون جحشا عليه ان يحمل السلال '
دخل النمس في بربخ بعيدا عن طريق الكلب .
وعندما قفز الكلب علق في فوهة البربخ ،



٤٩ - الكاهن الاعلى والآلهة ترافق الملك الى الاله الشمس الجالس في هيكله خلف قرص الشمس



٥٠آ شروق الاله الشمس (طبقة ختم اسطواني)



٥٠ب البطل الميثولوجي (كلكامش؟) مع الاسد، (طبقة ختم اسطواني)



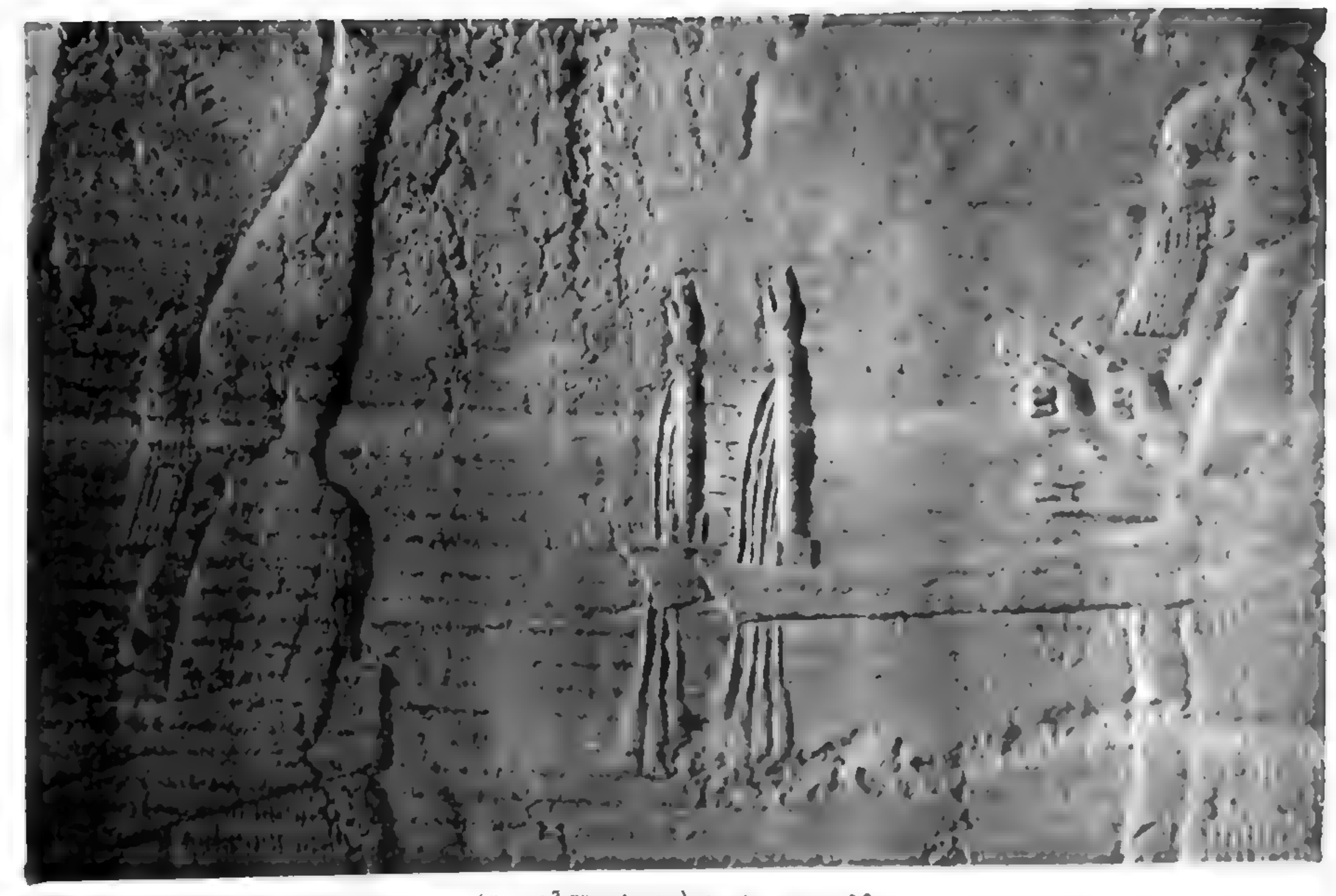
٥١أ   الملاكمة، ربما كطقس ديني (من لوح منحوت)

٥١ب   مشهد ديني ذي طبيعة غير معروفة
(من لوح منحوت)





٥١ب   قاعدة نحاسية على شكل متصارعين
(الالف الثالث)



٢:٥ دمسعمون (من منحوتة آشورية)



٥٥٣ اسد ضخم برأس انسان يمثل جنّي خير لحراسة قصر آشوري



٥٤أ وجه خمبابا وهو عفريت ذكر في ملحمة كلكامش



٥٤ب لاما شتو، عفريتة مخيفة (من تميمة)



٥٥. شبطان بابلي



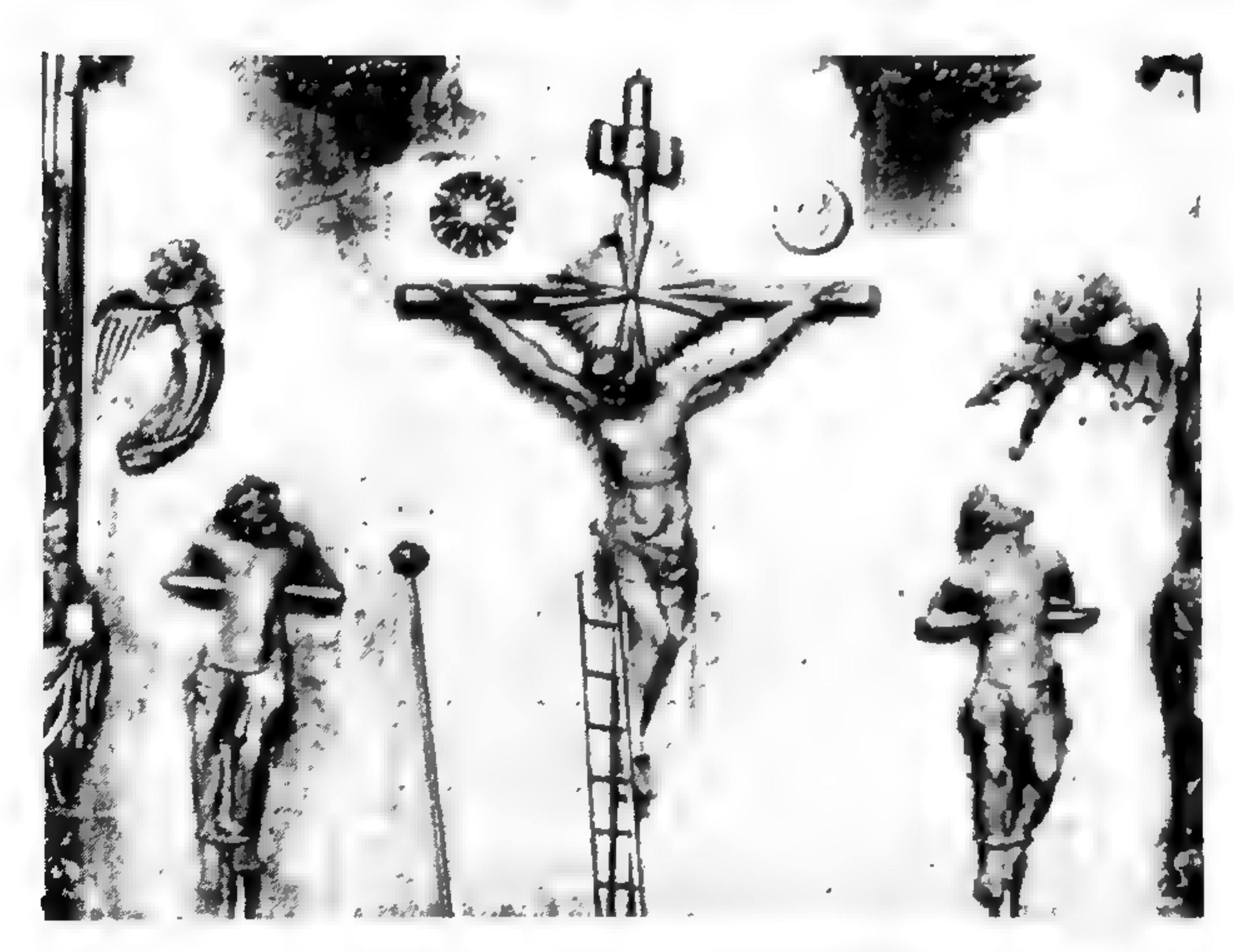
٥٦أ   وحش بابلي
(حوالي ١٩٠٠ ق٠م)



٥٦ب   تميمة تظهر آلهة
مع حيوانات اسطورية

٥٧أ عفريت الريح باز
مع (في الصف الاعلى)
طارد الارواح بقناع رأس
حيوان (تميمة من الرخام)





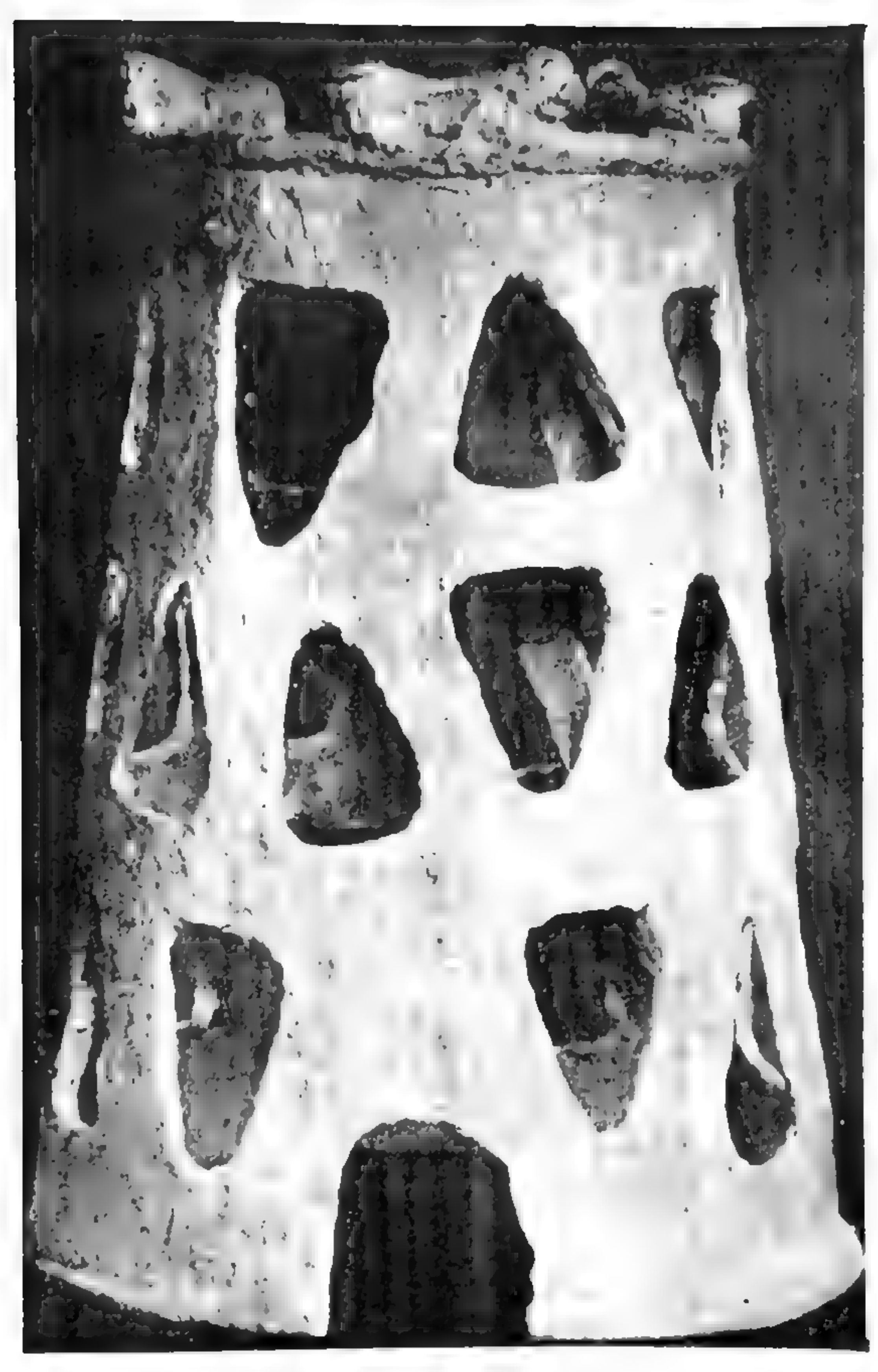
٥٧ب تفاصيل زخرفة شعار الكنيسة من صنع
Jacques de Baerze

٥٨آ   حلقة لجام من اور
(الالف الثالث)





٥٨ب   وزن على هيئة اسد (الالف الاول قبل الميلاد)



٥٩ موقد (من نوزي)



٦٠أ   قطعة عاجية منحوتة، سيدة في نافذتها (ربما طقس ديني)



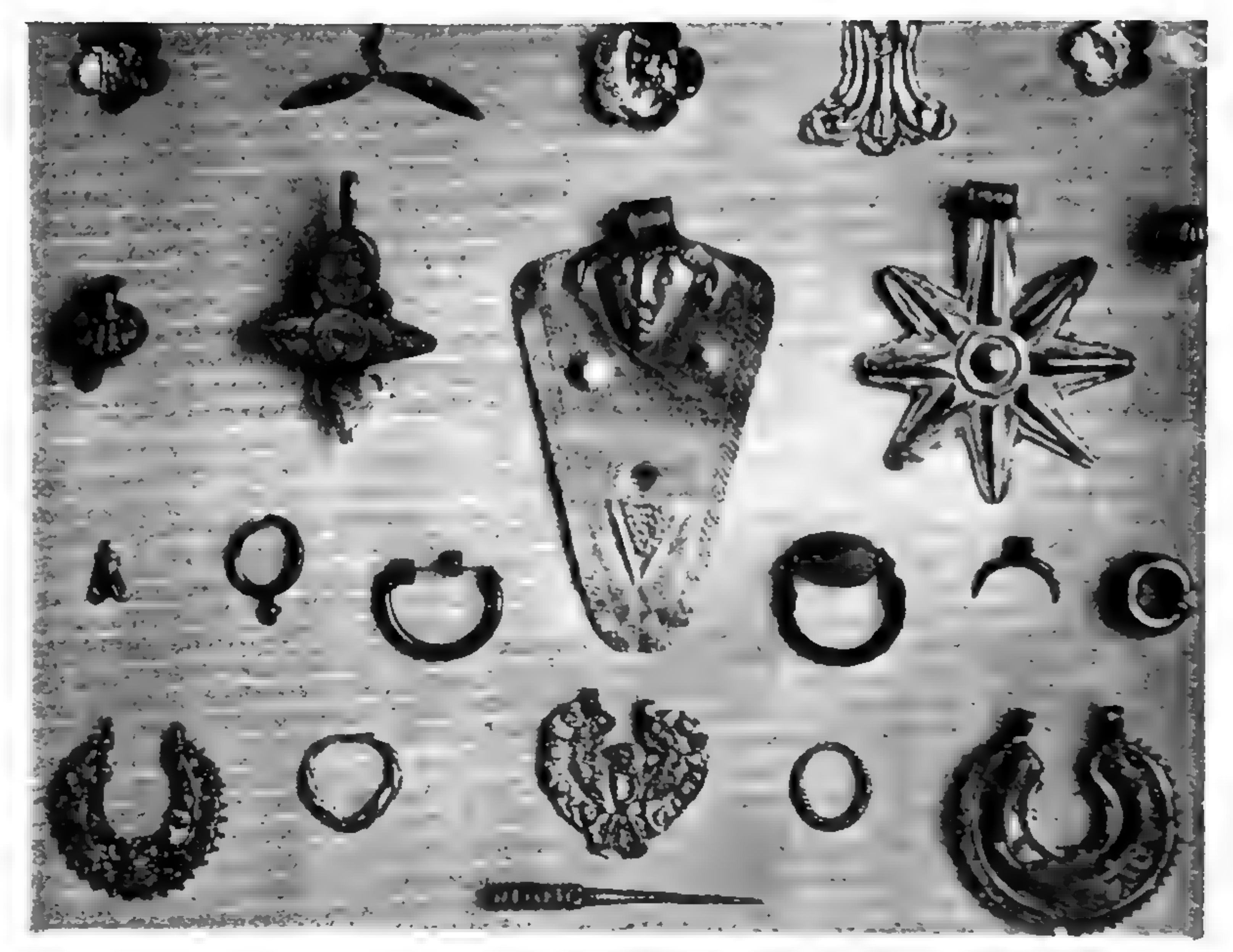
٦٠ب   قطعة عاجبة منحوتة



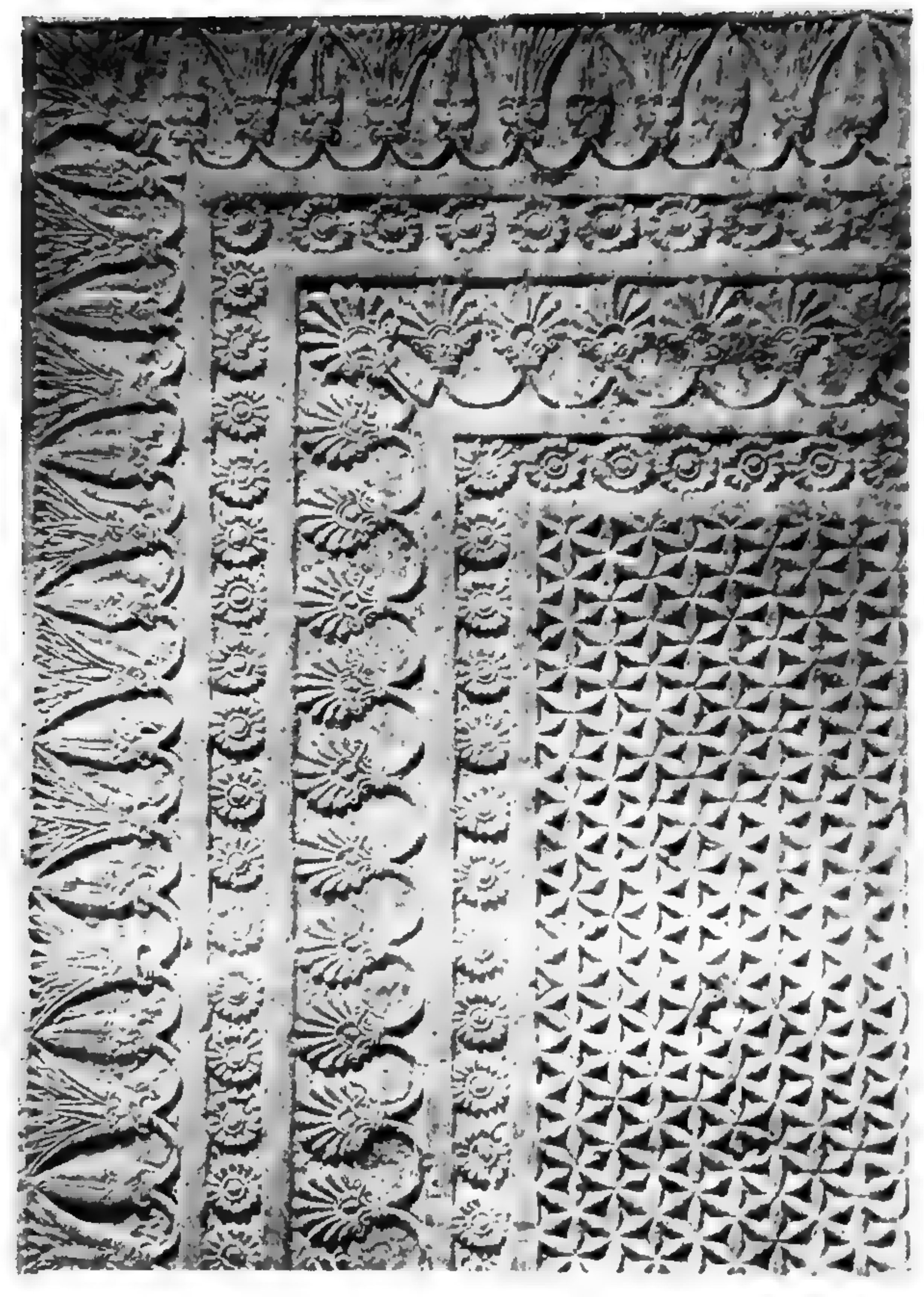
٦١ أ   وعل مجنح (الفترة الاخمينية)



٦١ ب   رأس تنين من البرونز من بابل (القرن السادس ق.م)



٠٦٢ حلي من
بلاد ما بين النهرين



٥٦٣ ارضية من الرخام المنحوت من مدخل قصر آشوري



٠٦٤ سكين جبل الآراك مع مقبض محفور يظهر سعفته من طراز ما بين النهرين بفن مصري (أوائل الالف الثالث)

وترك النمس يذهب .
قالت البعوضة ، وهي تجلس على الفيل .
'اخي بالدم ، هل ازعجك ؟ (فاذا كنت كذلك) فساذهب الى مكان السقي !
واجاب الفيل البعوضة :
«لم اعرف انك تجلسين هناك . ما انت على كل حال ؟
وسوف لن اعرف اذا ما ذهبت بعيدا ' .

الفصل الثالث عشر

الرياضيات والفلك ، الطب ، التكنولوجيا الكيميائية والفن

«من الاحاديث القيمة التي اعجبتني اكثر من غيرها هو حديث السير انت Sir G. Ent [رئيس كلية الأطباء] حول التنفس بانه ليس معروفا حتى اليوم او متقفا عليه بين الاطباء ولن يتم كذلك كيف تتم العملية بالطبيعة او لاي شيء هي»
(من يوميات ساموئيل بيبيس ، ٢٢ كانون الثاني ، ١٦٦٥ — ١٦٦٦)

العدد والحساب

من الامور المدهشة التي واجهها علماء الاشوريات عندما اصبحت النصوص المسمارية غير النصوص الاعتيادية ذات المواضيع التاريخية والدينية والاقتصادية متوفرة ومفهومة ، هي المرحلة المتقدمة من التطور الذي وصلت اليه الرياضيات البابلية في فترة مبكرة .

ان اصل الكتابة لم يكن ، كما اشير الى ذلك في مكان اخر ، مرتبطا بالادب بمعناه الضيق ولكن بالحاجات العملية لحفظ سجلات باملاك المعبد ومنتجاته . ولهذه الغاية فقد كانت الحاجة لايجاد رموز للارقام قائمة ايضا ، وقد وجدت هذه الرموز منذ بداية الكتابة في بلاد ما بين النهرين . وكانت رموز الارقام اصلا بسيطة جدا فالمسمار العمودي المنفرد 𒁹 (في العهود الاولى D طبعة بيضوية

الشكل ناتجة عن ضغط مائل لنهاية القلم المدورة) تدل كما هو منطقي على الرقم ١ . ولكتابة ارقام اكبر من الاحاد ، كانت تستخدم مجموعة من المسامير كما يلي :

وكان يشار الى الرقم ١٠ بمسمار على شكل زاوية عريضة (وفي العهود الأولى بطبعة دائرية) والى مضاعفات العشرة الى ٥٠ بمجموعة من الزوايا العريضة :

اما الارقام حتى ٥٩ التي لا تكون مضاعفات العشرة بالضبط فكانت تمثل بمجموعة من الزوايا العريضة للعشرات تعقبها مجموعة من المسامير العمودية للاحاد :

= ١١ = ١٥

= ٣٧ = ٥٤

وتبدأ التعقيدات عند الرقم ٦٠ . فقد كان هناك نظامان للعدد ، النظام العشري والنظام الستيني يستخدمان في بلاد بابل منذ بداية الحضارة السومرية . اما النظام العشري الذي يستخدم اس العشرة فلا يحتاج الى ايضاح . اما النظام الستيني فقد استخدم مضاعفات الستين (اي مضاعفات ١ ، ٦٠ ، ٣٦٠٠ وما يقابل ذلك في النظام العشري من الاحاد والعشرات والمئات) وفاق النظام العشرى ببعض المميزات ، لاسيما في الحسابات التي تضم الكسور التي كانت ايسر قسمة لان الرقم (٦٠) ستين يقبل القسمة على عدد كبير من الارقام (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٣٠) وكان من النادر ان يستخدم احد النظامين باستمرار ، وان الحالات الوحيدة التي استخدم فيها النظام

الستيني بصورة مستمرة ومنفردة هي في النصوص الرياضية او الحسابات الفلكية . اما في غيرها فقد استخدم النظامانّ جنبا الى جنب تماما كما هي الحال في بريطانيا حيث يستخدم النظام العشري الى جانب نظام يعتمد على مضاعفات الرقم ١٢ على حين يستخدم النظام الستيني للهندسة ومقاييس الوقت .

وحيث ان الرقم ٦٠ ستين كان يكون بحد ذاته وحدة في النظام الستيني ، فقد كان بالامكان الاشارة اليه بمسمار عمودي ، وكان يُميز اصلا عن المسمار الذي يمثل الرقم ١ بكبر حجمه على الرغم من ان التميز في الحجم قد اختفى بعد ذلك . لذا فاننا نجد للارقام من ٦٠ الى ٩٩ المجموعات التالية :

٧٠ = ، ٨٠ = ، ٩٠ = ، ٩٤ =

واستنادا الى هذا النظام تكتب المائة هكذا وكانت فعلا تكتب كذلك غالبا وبخلاف ذلك فقد كان بالامكان تمثيل المائة اما بدائرة كبيرة (في الفترات الاولى)(وتدل على النظام العشري البحت حيث تمثل المائة بدائرة كبيرة باعتبارها من مضاعفات العشرة الدائرة الصغيرة) او بعلامة خاصة هي (وتلفظ مي) وهي تمثل اصلا اللفظ السامي الحقيقي لكلمة ١٠٠ . وهناك تحويرات وتراكيب اخرى للدلالة على الارقام الكبرى لذا فان الرقم ١٢٠ يمكن ان يمثل = ٢×٦٠ (وكانت المسامير اصلا اكبر حجما من المسامير التي تمثل الرقم ١) او (في الفترات السومرية الاولى) =١٠٠+١٠+١٠، او = ١ مائة + ٢٠ .

وكان للرقم ١٠٠٠ في النظام العشري العلامة الخاصة ذات المغزى المؤلفة and وبذا تدل على ١٠×١٠٠ . وفي النظام الستيني كان الرقم ٣٦٠٠ وهو مربع الرقم ٦٠ ذو اهمية خاصة وكان يمثل اصلا بدائرة كبيرة جدا (استخدمت ايضا لمربع العشرة في النظام العشري كما اشير الى ذلك) واخيرا بالعلامة .

ويمكن ان يلاحظ من الامثلة السابقة ان اصل المرتبة العددية (وهو النظام الذي تعتمد فيه قيمة الرقم على موقعه بالنسبة للارقام الاخرى) كان موجودا في الارقام التي استخدمت في بلاد بابل منذ فترة مبكرة . وبالنسبة لغير الملمين بالرياضيات لابد من الاشارة بان نظامنا الحالي هو نظام المرتبة العددية لذا فان

الارقام التي تكتب ١٥ ، و٥١ يعني رمز الخمسة في الاول خمسة على حين يمثل الرمز المماثل في الرقم الاخير (خمسين) اما استخدام الارقام الرومانية فتمثل نظاما لا يعتمد على المرتبة العددية : لذا فعلى الرغم من ان المجموعات ١٧ و٧١ لها قيم مختلفة فان الرمز V يعني في اي موقع كان الرقم 'خمسة' ليس الا . وفي الكتابة المسمارية فان الرقم 𒁹𒌋 يختلف تماما عن الرقم 𒌋𒁹 حيث يعني 𒁹 في الرقم الاول 'ستين' في حين يعني في الثاني 'واحد' . لذا فان المجموعتان اللتين تولفان هذه العلاقة جزءا منهما تعني بالتتابع 'سبعين' و'احد عشر' . وقد استغل الملك اسرحدون حقيقة استخدام هذين الرقمين . واختلافهما في الكتابة المسمارية بالنسبة لموقع الرمز من المؤلفين لهما فقط استغلالا سياسيا بارعاء ٠

وقد تطور نظام المرتبة العددية واستخدم على نطاق واسع من قبل الرياضيين البابلين ابتداء بتاثير نسب الاوزان التي ترد في الوثائق الاقتصادية من العهود السومرية فما بعـد . وكان اساس نظام الاوزان السومري والبابلي هو المناويزن المنابين الباون والباونين وكان مقسما الى ٦٠ شاقلا ، في حين كان كل ٦٠ منا يولف وحدة كبيرة تدعى طالن . لذا فقد كان البابليون معتادين على الارقام س ـــ ص ـــ ع حيث كانت ع تمثل ٦٠ صنفا لتلك في ص ووحدات ص تمثل ستين ضعفا لتلك في س . ومن هذه الفكرة نشأت امكانية استخدام نظام المرتبة العددية المفصل المعتمد على النظام الستيني الذي يمكن ان تعني فيه س ـــ ص ـــ ع اما :

(ع×٦٠×٦٠) + ص×٦٠) + س

أو (ع×٦٠) × (ص) + (٦٠/س)

او حتى (ع) + (٦٠/ص) + (٦٠×٦٠/س)

ومثل هذا النظام فيه اثنتين من المساويء وكلتا هما ناشيء عن عدم وجود علامة للصفر او علامة تقابل الفاصلة العشرية (وبالاحرى هنا الفاصلة 'الستينية') . ففي نظامنا العشري فان رقم كالرقم ٥٣٨٫٤ هو رقم واضح لان المتعارف عليه ان الرمز الاول الى اليسار من الفاصلة يمثل الاحاد في حين يمثل الرمز الثاني لليسار العشرات والثالث المئات اما الرمز الاول الى يمين الفاصلة فيمثل الاعشار . ولعل الملمين بالرياضيات سيعذروننا اذا اوضحنا بعض الامور البديهية بالنسبة لهم ، ولكن لعل هناك بعض القراء ممن ستكون هذه الامور مفيدة لهم او حتى مدهشة كالتأكيد على ان نظامنا العشري هو ليس من طبيعة

الارقام نفسها بل مجرد اتفاق (غير انه مفيد جدا) . ففي كتابة الرقم ٥٣٨ مثلت 'العشرات الثلاثة' فعليا بالرقم ٣ و'المئات الخمسة' بالرقم ٥ وفي كل حالة دون وجود اي غموض بسبب موقعها . وقد يظهر الغموض اذا لم يكن هناك في الرقم عشرات او احاد : وفي مثل هذا المثال ازيل الغموض في نظامنا بوضع الصفر في المكان الملائم ، فاذا لم يكن هناك عشرات او احاد بالتتابع واذا اردنا ان نعبر عن 'خمسمائة وثمانية' او'خمسمائة وثلاثين' فاننا بصورة عامة لا نكتب ٥٨ او ٥٣ التي قد تكون غامضة بل تستخدم الرموز ٥٠٨ و٥٣٠ (وقد نجد استثناءات لهذا التقليد في استخراج نتائج الضرب او القسمة عندما يمثل الرقم على هيئة ٥٣ اما بالرقم ٥/٣ او ٥٣٠ دون ان يقع الحاسب في اي خطأ في غالب الاحيان) .

واذا ما طبقتنا ذلك على الارقام البابلية فان الغموض في النوعين المشار اليهما قد يظهر على الشكل التالي . ففي كتابة الرقم يمكن ان تمثل المسامير العمودية اما 'الاحاد' او'الستينات' والزوايا الاربعة اما 'كسور الستين' او'الاحاد' . لذا فان مثل هذه الكتابة (وتكتب عادة ٢ر٤٠)

قد تعني في حسابنا اما :

(٢×٦٠) + ٤٠ ، اي ١٦٠

او ٢ + ٤٠/٦٠ اي ٢/٣ ٢

والالتباس الثاني ان مجموعتي المسامير هذه قد لا تدل على مضاعفات النظام الستيني المتعاقبة ، اي في الكتابة المسمارية التي ذكرناها اعلاه اذا كانت الزوايا العريضة الاربعة تمثل اربعين وحدة ، فالمسمارين العمودين قد لا يمثلان 'ستينين' بل 'اثنين' من مضاعفات الستين التالية ، اي 'مرتين ستين مربع' اي ٣٦٠٠×٢ لذا فان الرقم قد يمثل ٧٢٠٠+٤٠= ٧٢٤٠ . وقد امكن التغلب على هذا الغموض في العهود الاولى احيانا وذلك بترك فراغ واضح بين الرمزين عند كتابة رقم ذي عنصرين يمثلان مضاعفات الستين المتعاقبة لذا فان الرقم ٧٢٤٠ الذي يساوي :

(٢×٦٠×٦٠) + (٠×٦٠) + (٤٠×١) قد يكتب

أي ان المجموعتين بعيد بعضهما عن بعض غير ان ذلك لم يستخدم دائما :

وفي العهد السلوقي استخدمت علامة خاصة للصفر ( ) في مثل هذه الحالات :

ومن الواضح انه من الممكن ان تقع اخطاء في مثل هذا النظام ومن المؤكد انه قد حدثت احيانا . ومن الجدير بالذكر ، مع ذلك ، ان نويكَباور Neugebauer ، وهو اقدر عالم محدث بالرياضيات البابلية ، قد اعترف بانه ارتكب اخطاءا في تدقيق الحسابات القديمة اكثر من الاخطاء التي ارتكبها كتاب النصوص الاصلية .

ان النصوص الرياضية المعروفة لدينا تعود الى قرنين تاريخيين مختلفيين يفصل بينهما اكثر من الف سنة تعود المجموعة القدمى والكبرى الى فترة العهد البابلي القديم في حين تعود البقية الى العهد السلوقي بعد ٣٠٠ ق.م .

كان الاعتقاد السائد هوانه سبق الرياضيات البابلية القديمة المتقدمة نسبيا فترة طويلة من التطور التدريجي ، غير انه ليس هناك دليل مادي يؤيد هذا الافتراض ويشير نويكَباور الى انه في جميع حالات فترات التقدم في الرياضيات التي نعرف ما سبقها فعلا فان الحقيقة انه كان هناك قرن من الزمان تقريبا من التقدم السريع يمثل حلقة الوصل بين قرنين طويلين من الركود .

ولعل من المفيد ان نوكد ثانية هنا ان غالبية مئات الالاف من الرقم المسمارية المعروفة حتى الان هي اقتصادية في محتواها وتعالج مواضيع مختلفة ، كالايصالات والقروض وقوائم الارزاق ، اما النصوص الرياضية البحتة المعروفة فلا تتعدى المئات وتضم مائة 'قضية' ومائتين من 'الجداول' .

ونصوص القضايا تتعلق بقضايا الجبر والهندسة في حين تضم نصوص الجداول الضرب والقسمة واحتساب المتداول والتربيع والجذر التربيعي والتكعيب والجذر التكعيبي وهكذا . وكثير من نصوص الجداول هذه التي جاءت بالدرجة الرئيسة من مدينة نيبور هي تمارين مدرسية ، ويبدو ذلك واضحا من بعض النصوص حيث اعيد كتابة نفس الجدول بايد مختلفة في حين يلاحظ ، في نصوص اخرى ان الجداول الرياضية قد كتبت على احد الاوجه وكتب على الوجه الاخر مفردات مختلفة (هي احدى الفقرات التي كانت تستعمل كثيرا لتدريس الكتبة) من المعروف الان ان مدينة نيبور كانت في العهد البابلي القديم مركزا مزدهرا لتثقيف الكتبة وان الرياضيات كانت بالطبع جزءا من منهاجهم .

اما بالنسبة للمستوى الحقيقي للمنجزات الرياضية في العهد البابلي القديم (حوالي ١٨٠٠ ق م) فان نويكَباور يقارنه باوائل عهد النهضة . وكانت الرياضيات جبرية في اصلها ولكن خصائص التتابع الابتدائي كالمتوالية العددية والهندسية كانت معروفة اضافة الى عدد من العلاقات الهندسية ، وانه من

الواضح الان ان مضمون ما هو معروف لدينا بنظرية فيثاغورس ، اي ان مساحة المربعين المنشأئين على ضلعي المثلث القائم الزاويةتساوي مساحة المربع المنشأ على الوتر ، كانت معروفة لدى العاملين كحقيقة عملية : ولكن ليس هناك دليل على ان البابليين كانوا متمكنين من اثبات النظرية على الرغم من ان بعضهم قد افترض ان احد الرقم البابلية القديمة المرسوم عليه اشكال هندسية (انظر اللوحة ٢٣ و ٢٤) ذو علاقة ببرهان نظري للعلاقة بين مساحات ذات اشكال مختلفة ، فان اسلوب الرياضيات البابلية (كبقية جميع العلوم البابلية) كانت تعتمد اساسا على المعرفة من خلال التجارب اكثر من اعتمادها على الرهان النظري. فكانت قيمة النسبة الثابتة معروفة بدقة بانها تساوى ٣ ١/٨ وهذا صحيح الى ٦٪ ، ويجدر مقارنة ذلك بالوضع في اسرائيل في عهد سليمان بعد الف سنة تقريبا حيث يشير سفر الملوك ، الاصحاح السابع فقرة ٢٣ ، ان النسبة الثابتة كانت تعتبر خطأً بانها تساوي ٣ بالضبط . وكانت المعادلات التربيعية التي تشمل حتى الدرجة الثامنة معروفة وكان هناك ، كما ذكرنا جداول بالجذر التربيعي والجذر التكعيبي .

وفيما يلي موجز مختصر لمسالتين بسيطتين من مسائل العهد البابلي القديم الاولى هي مثال عن المعادلات التربيعية . وقد اوردنا ابتداء الترجمة الحرفية ثم بشرح كاف (كما نرجو) لتكون واضحة للقارىء الذي لابد ان يكون له المام بمبادىء الجبر .

لقد اضفت مساحة المسطح وضلع المربع : ٤٥َ
يجب ان نضع ١ ، الاحاد
عليك ان تقسمه الى نصفين : ٣٠َ
عليك ان تضرب ٣٠َ في ٣٠َ : ١٥َ
عليك ان تضيف ١٥َ الى ٤٥َ : ١
هذا هو مربع ١
تاخذ ٣٠ جانبا التي ضربتها بنفسها من ١ : ٣٠َ ضلع المربع .

واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان النظام الستيني كان يستخدم في القضايا الرياضية فان الموضوع يصبح واضحا :

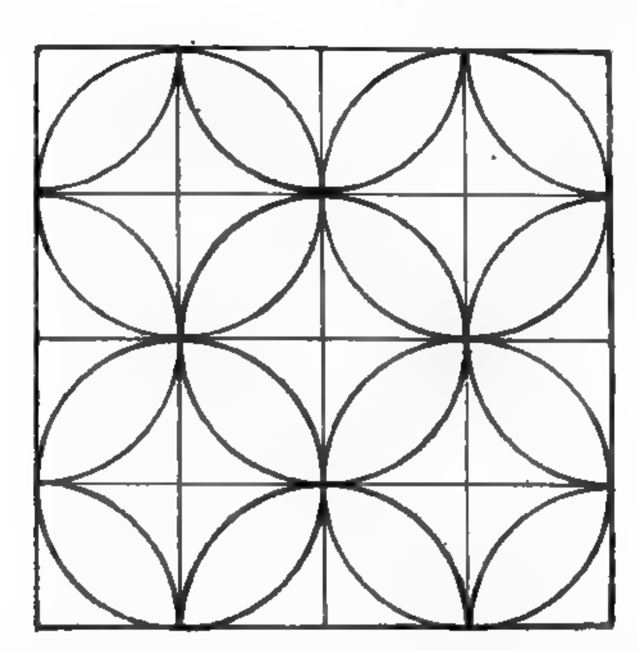
٤٥ تمثل اذن ٤٥/٦٠ = ٣/٤ ، ٣٠ تمثل ٣٠/٦٠ = ١/٢ و ١٥ تمثل ١٥/٦٠ = ٤/٤ والمجموع يمكن ان يكتب كالاتي :

مساحة المربع زائدا ضلع مربع = ٣/٤
خذ المعامل (من مقاييس الطول) كوحدة
نصف المعامل = ١/٢
مربع ١/٢ = ١/٤
١/٤ زائدا ٣/٤ = ١
مربع جذر ١ = ١
١ ناقص ١/٢ = ١/٢

واخيرا يمكن التعبير عن المسألة بالرموز الحديثة كالاتي :

س ٢+ س = ٣/٤
س ٢ + س +(١/٢) ٢= ٣/٤ + ١/٤
(س +١/٢) ٢ = ١
س + ١/٢ = ١ = ١
س = ١ ــ ٢/٩ = ١/٢

(ويبدو واضحا ان الرياضي البابلي لم يهتم بقيمة س (السالبة) ومن رقم العهد البابلي القديم التي تعالج بعض العلاقات الهندسية ما موضح في اللوحة ٢٣ و ٢٤ . والنص مقسم الى اجزاء كل واحد يضم شكلا وتحته ملاحظة عن رسم الشكل . ويظهر ان الطالب كان عليه ان يحتسب مساحة الاشكال المختلفة المرسومة واحد الاجزاء كالتالي :



مربع الضلع ١ ، في داخله ٤ ارباع دائرة (و) ١٦ شكل قارب . لقد رسمت ٥ اشكال مربعة ذات اضلاع مقعرة . هذه المساحة كم هي ؟

الفلـــك :

ان القليل من الاوربيين الغربيين من الذين يدعون الحضارة يتمكنون من العيش بعيدا عن المدينة بجميع ما تحتويه من تلوث جوى واضاءة الشوارع البراقة وكلاهما من العوامل التي تحجب وضوح السماء في الليل . وينعدم وجود هذين العاملين تقريبا في معظم انحاء العراق في حين يضاف الى ذلك ان من الامور الجميلة في معظم اوقات السنة ان يجلس المرء في العراء بعد حلول النظام ليتمتع ببرودة الهواء بعد حرارة النهار . لذا فان ما يحدث ان السياح او علماء الاثار عندما يسافرون الى العراق ويغيروا استنادا الى ذلك من عاداتهم يرون سماء الليل لاول مرة بشكل حقيقي ويدهشون بما يرون . ومن النتائج الطريفة لذلك فان كتب علماء الاشوريات وغيرهم تميل لان تضم احاديث مسهبة عن تالق سماء الليل في بلاد بابل وكمثال على ذلك يذكر احد العلماء الدانماركيين :

«لقد اشار الرحالة المحدثون عن المظهر المختلف تماما بالنسبة للعين البشرية للنجوم ولاسيما الكواكب السيارة في هواء ليل بلاد ما بين النهرين الجاف البارد الخالي من الغيوم وهو ما اتمكن من تثبيته بالتشريح . فعلامات السماء الصامتة قد دفعت بالطبع الى الملاحظة منذ اقدم العصور وان الزقورة .. لابد انها كانت مراصد نموذجية» .

ويشير نويكباور ان تالق السماء البابلية الاستثنائي المفترض هو اسلوب ادبي اكثر منه حقيقة واقعة وهذا استنتاج توصل اليه غيره من الملاحظين وبشكل مستقل . والاختلاف في الراى هو اكثر من كونه في التفسير حيث انه يوثر على تقديرنا للدقة الحقيقية والممكنة للارصادات البابلية للظواهر الفلكية القريبة من الافق لاسيما بزوع وغروب الكواكب التي قد تتاثر دقة ارصادها كثيرا بالغبار .

ومن الامور المسلم بها بصورة عامة ان علم الفلك نشأ عن التنجيم غير ان الادلة من بلاد بابل لاتويد هذا الاستنتاج بصورة جلية ومن المؤكد ان بعض الارصادات الفلكية الاولى قد استخدمت لتزويد المادة لقراءة الفال ولكن لابد من التفريق بين قراءة الفال المستندة على حركات الاجرام السماوية كظواهر واضحة وبين التنجيم المعتمد على نظرية التماثل بين الارض والسماء . وعلم التنجيم بحد ذاته يقسم الى نوعين التنجيم بمفهومه الحديث اي التنجيم الخاص بالابراج ويتضمن الاعتقاد ان حظ الفرد يرتبط بموقع الاجرام السماوية في لحظة

مولده وكان بالتاكيد ذو اصول مناظرة (بالنسبة لتاريخ بلاد ما بين النهرين) ولم ينشأ حتى النصف الثاني من الالف الاول قبل الميلاد . وقد سبق ذلك نوع من التنجيم العام الذي يدعى عادة Judicial 'تنجيم معرفة الاحكام ' (الذي يختلف عن تنجيم الابراج) وهو يتضمن رصد الاجرام السماوية وملاحظتها والتنبؤ من ذلك عن المستقبل القريب للملك والبلاد فيما يتعلق بامور كالحصاد والفيضانات والغزوات وفيما يلي مثال على هذا النوع من التنجيم .

(اذا كانت الشمس في موقع القمر سيكون ملك البلاد امنا على العرش . واذا كانت الشمس فوق القمر او تحته فستكون اسس العرش آمنه وسيقف ملك البلاد بعد اله . واذا كانت الشمس والقمر غير مرئية ، فسيوسع الملك الأذان (اي يظهر الحكمة) .
وفي الليل اقترب زحل من القمر . وزحل هو نجم الشمس هذا هو الحل : انه حسن بالنسبة للملك (لان) الشمس هي نجم الملك اذا حدثت هزة ارضية في شهر نيسان فستثور بلاد الملك ضده
اذا رعدت في شهر اب [حرفيا : اذا اطلق اله الرعد فمه] وكان النهار مظلما والسماء ممطرة والبرق يلمع (فان) المياه ستتدفق في الخنادق واذا رعدت [حرفيا : اذا دعى اله الرعد] في شهر اب ستحدث مذبحة بين الناس .واذا كانت زوبعة من الغرب ستحدث مذبحة للناس في الغرب . واذا رعدت مرتين فان البلاد التي ارسلت اليك ــ رسالة عدائية سترسل لك رسالة سلام .

وقبل هذا النوع من التقارير كان هناك قراءة للفأل معتمدة على التنجيم وتعود بعض الأمثلة منها الى بداية الألف الثاني قبل الميلاد او حتى كما يرى بعض العلماء الى عهد سرجون الاكدي (حوالي ٢٣٧٠ ق .م) قد جمعت هذه فيما بعد في مجموعات (تعرف بالمسلسلات Series) واكثرها اهمية هي المجموعة المعروفة باسم انمّا انو انليل Enuma Anu Enlil التي وصلت الى شكلها النهائي في اواخر الالف الثاني او بداية الالف الاول قبل الميلاد . ومن المحتمل جدا في العهد الكاشي ولعل المقتطفات التالية تعطي مثالا على ذلك :
اذا حدث خسوف في شهر سيوان في اليوم الرابع عشر وكان

الاله (القمر) في ظلامه الدامس على الجانب الشرقي من فوق والنور على الجانب الغربي من تحت وهبت ريح الشمال في ليلة المراقبة الاولى وخفت(؟) في منتصف ليلة المراقبة فسيعطي الاله (القمر) ذي الظلام الدامس على الجانب الشرقي من الاعلى وذي النور على الجانب الغربي من تحت... قرارا لمدينة اور وملك اور . سيواجه ملك اور المجاعة وسيكون عدد الموتى كبيرا (اما بالنسبة) لملك اور فسيقاومه ابنه اما بالنسبة للابن الذي سيقاوم اباه فيقبض عليه شمش (اله الشمس) وسيموت لعقوقه والده وسيعتلي العرش ابن الملك الذي لم يعلن عنه للملوكية .

وليس هناك دليل في الوقت الحاضر على وجود ارصادات فلكية منتظمة في الالف الثالث قبل الميلاد وان اقدم الامثلة المعروفة لمثل هذه الارصادات هي من عهد امي ـــ صدّوقا احد ملوك سلالة بابل الاولى . وتتعلق هذه المدونات بشروق وغروب كوكب الزهرة ولعلها اخذت اساسا لقراءة الطالع على الرغم من انها قد تكون مرتبطة بتثبيت التقويم وعلاقته بالاحتفالات الدينية . ومن الطبيعي انه بالامكان معرفة موقع الزهرة في تواريخ محددة في الالف الثاني قبل الميلاد . لذا فان الارصادات البابلية لكوكب الزهرة المؤرخة لسنين معينة من حكم امي ـــ صدّوقا تعتبر مفتاحا للتسلسل التاريخي القديم غير ان الامر يصبح معقدا بعد ذلك نظرا لان كوكب الزهرة يعيد دورته بعد سنوات معينة لذا فان نفس الارصادات قد تكون خاصة باكثر من دورة واحدة من الدورات كما ان الارصادات البابلية لم تكن نفسها على درجة كبيرة من الدقة .

وما عدا هذه المدونات عن بزوغ وغروب كوكب الزهرة فان اقدم الوثائق الفلكية المتوفرة من بلاد ما بين النهرين هي ما يدعى بالاسطرلابية وهي عبارة عن رقم منقوشة بثلاث دوائر ذات مركز واحد ومقسمة بوساطة اثني عشر نصف قطر . وفي كل قسم من الاقسام الستة والثلاثين المؤلفة لذلك يوجد اسم برج مع بعض الارقام . ان الغاية من هذه الاسطرلابات ليست واضحة تماما غير ان الواضح انها تشكل نوعا من خرائط السماء وانه من المحتمل انها كانت ترتبط باصل دائرة البروج (الزودياك) وان الارقام المذكورة في الاسطرلابات ترتبط مع بعضها البعض بمتوالية عددية .

وفي نسخ يعود تاريخها الى حوالي ٧٠٠ ق.م. غير انها معتمدة على مادة

اقدم ، هناك نصان يعرفان بـ mul APIN . وقد صنفت النجوم الثابتة في هذين النصين في ثلاثة 'طرق ' وتؤلف هذه النصوص في الواقع وصفا صوريا مبسطا لافكار التنجيم الاساسية المنفصلة عن الميثولوجيا .

ومنذ ٧٠٠ ق.م. هناك تقارير منتظمة للارصادات الفلكية موجهة الى البلاط سبق ان اشرنا اليها من قبل . الغاية العملية الحقيقية من هذه التقارير كانت بالتاكيد مرتبطة بالتنجيم الذي دعوناه 'معرفة الاحكام ' غير انها لا تضم معالجات رياضية للظواهر الفلكية فحسب بل انها لا تفرق بين الظواهر الفلكية والارصادات . ومع ذلك فانها تبين بانه كان من المعروف ان الكسوف الشمسي لا يحدث الا في بداية الهلال والخسوف في تمام البدء مما يدل على التسجيل المنتظم لهذه الاحداث . ويتفق مع تقرير الفلكي الاغريقي بطليموس (الذي عاش في الاسكندرية في القرن الثاني الميلادي) وذكر ان تسجيلات الخسوف والكسوف كانت متيسرة لديه منذ عام ٧٤٧ ق.م. وما بعده لذا فانه بالرغم من ان الهدف الاصلي للارصادات من هذا النوع كان التنجيم فان مثل هذه الارصادات المنتظمة من عام ٧٠٠ ق.م. وما بعده قد زودتنا بمعلومات يمكن الافادة منها في معرفة تقرير المعدل الدقيق لدورات مختلف الظواهر الطبيعية .

وبكلمة اخرى فانه استنادا الى هذه المجموعة من الارصادات التي تمتد الى عدة قرون فقد اصبح من الممكن احتساب معدل الحركة الظاهرية للشمس والقمر والنجوم . ويرى نويكاباور Neugabauer ان هذه المعرفة لم تتطور الى نظرية رياضية منتظمة قبل عام ٥٠٠ ق .م. وقد اعتمد في رايه هذا على انه حتى عام ٤٨٠ ق . م . كان هناك كبس السنة بالمصادفة فقط وخلال التاريخ البابلي كان التقويم قمريا حيث يبدأ الشهر (كما هو الحال عند اليهود والمسلمين) بغروب الشمس في المساء الذي يمكن فيه مشاهدة الهلال بعد الغروب مباشرة وان اثني عشر شهرا قمريا تساوى تقريبا ٣٥٤ يوما ، اي انها تنقص ١/٤ ١١ يوما عن السنة الشمسية ، لذا كانت هناك حاجة الى شهر اضافي كل ثلاث سنوات تقريبا لجعل السنة القمرية متفقة والسنة الشمسية . وفي القرن الرابع قبل الميلاد ، كان ذلك يتم بالتاكيد وفق اسس رياضية حيث ان قاعدة كبس السنة سبع مرات في تسع عشرة سنة كان ، كما يظهر ، معروفا وان الاسلوب الحقيقي لكبس السنة في دورة السنوات التسع عشرة هو كما يلي :

وتشير النجمية الى السنة التي تضم شهرا كبيسا .

١ ★	٢	
٣ ★	٤	٥
٦ ★	٧	٨
٩ ★	١٠	
١١ ★	١٢	١٣
١٤ ★	١٥	١٦
١٧ ★	١٨	١٩

وكان الكبس في السنة الاولى في منتصف السنة في حين في السنوات الاخرى يكون في نهايتها .

وما ان تم احتساب قيمة المظاهر الدورية الرئيسة حتى كان التطور الرئيسي الاخر الذي طبق اصلا وبالدرجة الاولى على القمر وهو الاهتمام بالحركة المعقدة للاجرام السماوية باعتبارها مركبة من عدد من التاثيرات الدورية البسيطة ومطابقة للانحرافات الدورية كتصحيح لمعدل الحركة . وبعبارة اخرى ، اذا تحركت الشمس والقمر في السماء بسرعة الضوء المطردة فمن الممكن بسهولة احتساب موقعهما النسبي في اي وقت ، ولذا يتم في الحال معرفة موعد الهلال او البدر . وفي الواقع ان حركة القمر الحقيقية الظاهرة تختلف عن الشيء المثالي (او المعدل) للحركة الظاهرة : وكانت هذه الاختلافات تسجل ، ووجد بانها عرضة للمعالجة كظواهر دورية وطبقت بهذا الشكل كتصحيح للشيء المثالي (او المعدل) لحركة القمر . ويستنتج نويكَباور من تفصيلات الاسلوب الذي طبقت عليه هذه الطريقة في النصوص الفلكية انها كانت قد ابتدعت من قبل شخص واحد في القرن الرابع او الثالث قبل الميلاد وانه من الموكد بانها كانت موجودة في سنة ٢٥٠ ق.م. وان الطريقة لم تكن لتطبق بالنسبة للقمر فقط بل بالنسبة لحركة الكواكب ايضا . وتوضح النصوص المسمارية في القرنين او القرون الثلاثة السابقة للميلاد ان الطريقة التي استخدمت من قبل البابليين لحساب حركة القمر كانت كما يصفها نويكَباور 'من بين احسن الانجازات في العلوم القديمة ، ويمكن مقارنتها باعمال هيبارخوس Hipparchus وبطليموس فقط' . ولم يكن للبابليين سوى ادوات بسيطة للارصاد — ومن المؤكد انه ليس هناك اي اثر في النصوص او الأدلة الاثارية على وجود شيء يقابل التلسكوب بالرغم من انه قد وجدت عدسات من الحجر الكرستال —

ومما لا يشك فيه ان الارصاد الفردى لم يكن على درجة كبيرة من الدقة . لذا فان المنجزات العالية في فلك العهد البابلي المتأخر كان نتيجة لتطبيق الطرق الرياضية المتقدمة نسبيا ، وقد تطورت خلال الالف سنة السابقة ، الى سلسلة طويلة من الارصادات التقريبية اعطت نتائج اكثر دقة من النتائج التي يمكن الحصول عليها من اي ارصاد منفرد .

ان النصوص المشار اليها التي تتضمن جداول بمواقع الشمس والقمر والكواكب محسوبة بالنسبة لفترات زمنية منتظمة تعرف بالتقاويم الفلكية ، وكانت الغاية العملية منها للتنبؤ بالهلال الجديد والخسوف والكسوف وربما بزوغ الكواكب . ويرتبط ارتباطا وثيقا بالتقاويم الفلكية 'نصوص الاجراءات' التي تعطي القواعد لحساب التقويم الفلكي . وهناك ما يقرب من ثلاثمائة نص من هذه النصوص معروفة الان ، مائة من مدينة الوركاء والبقية من مدينة بابل . وان الفترة التي تشملها هذه الحسابات باكملها تمتد من حوالي ٢٣٠ ق.م. الى عام ٤٩ م . وبعض هذه النصوص فيه اشارات تعطي تاريخ الكتابة (وهوامش) ويشير ذلك الى ان الرقم كانت تكتب عادة في تاريخ قريب من بداية الفترة التي تغطيها الحسابات ، لذا كان اخر النصوص من هذا الصنف الي تنتهي الفترة التي يغطيها عام ٤٩ م ، ومقدارها ست وخمسون سنة ، من المحتمل انها كتبت في بداية العقد الاول بعد الميلاد . وان احدث النصوص الفلكية جميعا واحدث النصوص المسمارية المعروفة كلها مؤرخ عام ٧٥ م .

واخيرا تجدد الاشارة الى انه حتى في العهود المتاخرة وبالرغم من ان طرق واهداف نصوص التقاويم الفلكية كانت علمية ، فربما كانت الحسابات المعنية تعتبر بانها تضم بعض العواقب الدينية او السحرية ويستدل على ذلك من بعض الاشارات في نهاية النصوص التي تقول :

انه كتبها لحياة روحه لطول الايام لرفاهية نسله
لتثبيت اسمه حتى لا يكون هناك سوء حظ له .

الطــــب

كانت بغداد في العراق قبل ثورة عام ١٩٥٨ تضم حوالي خمس سكان البلاد ولكنها كانت تضم ثلاثة ارباع الاطباء . ولم يكن الوضع بين العاصمة وبقية انحاء القطر في بلاد بابل قديما يختلف كثيرا . فعلى الرغم من انه

من المؤكد ان الاطباء كانوا موجودين انذاك الا ان تيسيرهم لرجل الشارع (ويقصد بالمصطلح هنا ما يعنيه حرفيا) كان بشكل اوهم هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد ان يكتب عن البابليين :

> انهم كانو يخرجون جميع مرضاهم الى الشارع حيث لم يكن لديهم اطباء نظاميين وكان الناس الذين يمرون يقدمون النصيحة الى الرجل المريض ، اما مما وجدوه شخصيا بانه يشفى مثل هذه الشكوى او مما عرفوه من الغير بانه قد اشفاهم ولم يكن يسمح لاحد ان يمر من جانب المريض دون ان يسأله عما يولمه .

وفي الواقع كان هناك اطباء محترفين استخدموا طرقا منطقية للعلاج الى جانب قدر معين من الدجل وذلك منذ نهاية الالف الثالث قبل الميلاد على الاقل . ويستدل على قدم مهنة الطب في بلاد بابل وكذلك ماضيها من الكلمة التي تدل على 'الطبيب' فان هذه الكلمة آسو بالاكدية مشتقة من السومرية . a-zu or ia-zu التي تعنى 'الرجل الذي يعرف الماء (او الزيت)' والفحوى الضمني هنا ان الاسو كان اصلا يتكهن بالماء . لعله بمساعدة اله الماء ايا . وكان الطب تحت حماية الالهة كَولا الخاصة وكان هناك اله يدعى اله نِن . ازو Ninazu 'السيد الطبيب' وكان شعار ابنه نن كَزدّا Ningizidda العصا الملفوفة بالافاعي وهي ماتزال تستخدم رمزا لمهنة الطب .

وقد اشير الى ممارسي مهنة الطب وبعض اوجه مهنة الطب في التشريعات القانونية والرسائل والنصوص الاخرى في حين نجد ان النصوص السحرية ونصوص الفأل مملوءة بالاشارات الى الامراض . ومع ذلك فان معلوماتنا الرئيسة عن الطب البابلي مستمدة من العدد الكبير من النصوص الطبية المتوفرة ومعظم هذه النصوص من مكتبة اشور بانيبال المكتشفة في نينوى (تل قوينجق) التي تعود الى القرن السابع قبل الميلاد . وهناك مجموعة اخرى اقدم منها من اشور من ارشيف بوغازكوي من القرن الثالث عشر قبل الميلاد (مترجمة بالحثية) ومن العهد الكاشي كما تم التعرف على نموذج لوصفة طبية سومرية من عهد سلالة اور الثالثة .

وكان هناك صنفان رئيسان من النصوص التي يمكن تسميتها بالنصوص الطبية . ذكر في احد هذين الصنفين بيان للاعراض وفي الصنف الاخر قائمة بالوصفات لمختلف الاوجاع . ومع ذلك فان الصنفين لا ينفصلان تماما فقد

يجد المرء وصفة في نصوص التشخيص او تشخيص في نصوص الوصفات .

والرقم التي تضم التشخيص (او التكهن) لها اهمية خاصة حيث انها تلقي الضوء على الافكار الرئيسة ما وراء النظريات الطبية البابلية القديمة ، وتوكد ، كما يستدل على ذلك ايضا من النصوص السحرية والدينية انه كان ينظر الى المرض بانه نتيجة 'يد ' الاله او استحواذ روح شريرة . واستنادا الى هذه النظرة فقد كان الرجل المريض يعالج اما بالدواء المعقول (او الجراحة) لتقليل الاعراض او بالاجراءات السحرية (الفعال انذاك كما هي الان في بعض الحالات الهيستيرية) لطرد تاثير الارواح الشريرة المزعومة .

وقد نشرت النصوص التي تخص الاعراض والعلل من قبل العالم الفرنسي لابات بشكل جيد R.Labat, Traité Akkadien de Diagnostics et Pronostics Médicaux, I (1951)

وان هذه النصوص عرفت ليس من عدد من المدن في بلاد بابل واشور فحسب ولكن حتى من منطقة الحثيين ، وان تاريخ معظم النسخ المتوفرة التي يمكن تسميتها 'القانونية ' (باعتبارها تعود الى تقليد واحد) يتراوح بين عام ٧٢١ ق.م. و٤٥٣ ق.م. بالرغم من ان هناك ثلاثة نصوص لا تعود الى التقليد الرئيسي وهي اقدم من حيث التاريخ . ومن الممكن ان نفترض قياسا مع التآليف الفنية الاخرى ان اصل النصوص ذات التقليد القانوني يعود الى العهد الكاشي غير ان ذلك ليس موكدا بعد .

وكان البحث المقصود يضم اصلا اربعين فصلا وكان مقسما الى خمسة

اقسام وقد اشير ادناه الى نوعية المحتويات العامة لهذه الاقسام مع مقتطفات قليلة من كل منها .

القسم الاول ، ويضم رقيمين او فصلين ، وهو ليس طبيا تماما على الرغم من انه اعتبر من قبل الكتبة القدماء بانه جزء من المجموعة . وفي الواقع فهو يضم نصوص فأل خاصة بتفسير العلاقات التي شوهدت عندما كان طارد الارواح او شخص اخر في طريقه الى بيت المريض :

اذا صرخ [زقّ] باب دار احد حيث يرقد رجل مريض كالاسد ،
فقد اكل محظور الهه ، سوف يطول به المرض ثم يموت .
اذا راى [طارد الارواح] كلباً اسود او خنزيرا اسود ،
فسيموت ذلك الرجل المريض .

اذا راى [طارد الارواح] خنزيرا ابيض سيعيش ذلك الرجل المريض ...
اذا راى [طارد الارواح] خنازير ترفع ذيولها دائما ، (فاما بالنسبة لذلك الرجل المريض ، فان القلق سوف لن يقترب منه .
اذا نعق غراب بحزن امام رجل ، فسيذرف الدموع ، واذا نعق غراب بحزن وراء رجل فان خصمه سيذرف الدموع .
اذا سقطت حية على سرير رجل مريض سيشفي ذلك الرجل المريض .

ويضم القسم الثاني اثني عشر رقيما تستعرض الاعراض المتطورة في الجسم مصنفة اياها استنادا الى اعضاء واقسام الجسم المختلفة ، وان هذه النصوص تهتم بالاعراض نفسها وليس بالأمراض .

اذا ظل (الرجل المريض) يصرخ يافوخي ! يا فوخي ! فانها يد الاله .
اذا ضرب في راسه [وربما يعني اذا 'ارتج رأسه '] على الجهة اليمنى فانها يد الاله ادد .
اذا ضرب في راسه ونفث دما انها يد التوأميين انه سيموت .
اذا ضرب في راسه فاذا تاثرت عضلات حاجبيه ويداه وقدماه جميعها واحمرت واشتعلت فانها يد اله وسيعيش .

اذا كان مملوء ببثرات حمر من راسه الى قدمه وجسمه ابيض فقد هوجم من قبل امرأة وهو في المنام انها يد الاله سن .
اذا كان مغطي من راسه الى قدميه ببثرات سوداء وكان جسمه احمر نفس الشيء يد الاله شمش .
اذا كان سمينا (كنذر) للمعبد وكانت اذناه لا تسمع فان يد الهه وضعت عليه انه سيموت .
اذا كان حاجبه ابيض ولسانه ابيض فان مرضه سيطول ولكنه سيشفى .
اذا كانت اسنانه تصر ويداه وقدماه ترتجفان انها يد الاله سن ، انه سيموت .
اذا ارتجفت الاذن اليمنى لرجل مريض فان مرضه خطر ولكنه

سيعيش .
اذا ارتجفت الأذن اليسرى (فانه بسبب) القلق . اما اذا ارتجفت كلتا اذناه فانه سيموت .
اذا كان وجهه احمر واصفر واستيقظ فانه سينتكس .
اذا كان وجهه ابيض فانه سيعيش .
اذا كان وجهه ابيض وملبّد بالصفار وفمه وشفتاه مملوءة بالتقرحات وعينه اليسرى ترتجف فانه سيموت .
اذا ظلت رقبته ملتوية الى اليسار ويداه وقدماه ممدودتان وعيناه تحدقان الى السماء والزبد يخرج من فمه ويئن وهو في هذيان [حرفيا :'لا يعرف نفسه'] او في نهاية المسكة .. [معني الكلمات التالية غير واضح] انه الصرع (؟) يد الاله سن .
اذا ارتجفت رقبتة وظل راسه يسقط ويداه وقدماه تتورم وهو يحكها بالارض فقد مسكه عفريت الخادمة ليلو قد امسك به .

ويستمر النص بالاسلوب نفسه حول اعراض الحنجرة والمرىء والذراعين واليدين والاصابع والصدر والثديين والخاصرتين والظهر والبطن (في تقسيمات مختلفة) والوركين والشرج والقضيب والادرار والخصيتين والفخذين والقدمين وبقية اقسام الجسم لذا :

اذا نزف الدم من قضيبة (فانها) يد الاله شـمش علامة الارض التي لارجعة منها [اي العالم السفلى] .
اذا التهب قضيبه وخصيتاه ، فان يد الالهة دلبات [فينوس] قد وصلته في منامه .
اذا التهب قضيبه واذا غطت قضيبه قروح فقد ذهب الى كاهنة الهه العليا .

وفي القسم الثالث (الذي يضم عشرة رقم) فقد صنف تطور المرض استنادا الى تقدم المرض يوما بعد يوم ، وفي نهاية هذا القسم ذكرت مجموعات من الاعراض التي تدل على امراض معينة اما نصوص هذا القسم فان محتوياتها تاخذ الصيغة التالية :

'اذا ، عندما يمرض الرجل كذا يوم ، وتظهر الاعراض

الفلانية (او انها غير ظاهرة) فان مصيره سيكون كذا وكذا ' . وتزداد الفترة المشار اليها من يوم واحد الى ما يقرب من الشهر . وفيما ياتي امثلة على ذلك :
اذا بعد مرض ثلاثة ايام أستيقظ ففي الليل يخف المرض [حرفيا :'يفقد ']..
اذا بعد مرض اربعة ايام استمر في وضع يده على بطنه وكان وجهه مصفرا فانه سيموت .
اذا بعد مرض اربعة او خمسة ايام ظل يعرق فسيخف المرض :

واذا كان مريضا لاربعة او خمسة ايام ، فانها يد اخازو [اسم عفريت ومعناه حرفيا : 'الماسك '] .
اذا كان مريضا لخمسة ايام ونزف الدم من فمه في اليوم السادس فسيخف مرضه ، انها حمى السيتو Setu .
اذا كان مريضا لخمسة ايام وكان جلده مصفرا (و) عيناه محمرتان فانه سيموت ...
اذا كان مريضا لخمسة ايام او عشرة باستمرار ويعاني من صعوبة مستمرة في التنفس (؟) فانه سيموت ...
اذا كان مريضا مرضا شديدا لمدة خمسة او عشرة ايام باستمرار وتخرج قطرات من الدم من فمه باستمرار لخمسة ايام [اوربما 'في اليوم الخامس ']
(ثم) توقف فسيخف مرضه انها حمى السيتو وانه سيشفى ليس هناك 'ضربة '...

اذا كان مريضا لخمسة او عشرة ايام وليس هناك حمى او عرق انها يد الاله سين انه سيموت ...
اذا ظلت اصابع يديه وقدميه لمدة خمسة او عشرة او عشرين يوما متقلصة ولا يتمكن من فتحها او فصلها فانها يد الالهة عشتار ولكنها مع ذلك ستخرج عنه وسيتحسن ويعيش .
اذا ظل المرض ياتيه في منتصف حراسة (الليل) فقد اتصل جنسيا بزوجة اخر انها يد الاله اوراش .
اذا كان جسمه باردا جدا عندما كان مريضا فان مرضه

سيطول وسيموت واذا لم يقدر ان يحتفظ بالاكل الذي ياكله
في معدته ولم يقدر ان يحتفظ بالقوت في فمه بل يرميه خارج
فمه عندما كان مريضا فانه سيموت .
اذا كان مريضا في الصباح وتركه مرضه في العصر وعاوده
سريعا يخف مرضه وسينهض ويشفى ،
اليوم الثاني قبل منتصف النهار بفترة ،
اليوم الثالث في وقت ما بعد الظهر ،
اليوم الرابع قبل الغروب ،
اليوم الخامس قبل نهاية النهار ،
اليوم السادس قبل الحراسة (الاولى) ،
اليوم السابع قبل منتصف الحراسة ،
اليوم الثامن قبل (حراسة) الفجر ،
اليوم التاسع قبل ظهور النهار ،
او اليوم العاشر .

وكمثال على نوعية النصوص في نهاية القسم الثالث حيث وصفت مجموعة من الاعراض المعينة يمكن ايراد المثال التالي :

اذا كان جسم الرجل اصفر ، ووجهه اصفر ، وعيناه
صفراوتان ، وبشرته مترهلة فانه اليرقان .
اذا حل به الحزن وضاقت حنجرته وعندما ياكل طعاما او
يشرب ماءا لا يوافقه ويقول اه قلبي ويستمر بالانين فانه
مريض بمرض الحب وهو (التشخيص نفسه) للرجل والمرأة .
اذا كان قضيب الرجل وكذلك راس معدته محترقة ، فاذا
كان لديه حمى حارة واسفل معدته تزعجه ومعدته ،
مرتبكة ، اذا كان محترقا عند الذراعين والقدمين والبطن فان
ذلك الرجل يشكو من مرض تناسلي انها الالهة عشتار .

والقسم الرابع من البحث الذي يضم اصيلا عشرة رقم فانه تالف جدا ولم يبق منه الا القليل . ومن بين الاشياء الاخرى فان الكسر المتبقية تشير الى العلاج في حالات معينة كما تعطي اوصافا لاعراض مختلفة :

اذا اخذه شيء من النوم وكانت اطرافه غير ثابتة واذناه تطن
وفمه ممسوك ولا يتمكن من الكلام فانها يد عفريت الالو

الحاقد .
اذا خلده الاضطراب ووقع بعد الاغتسال بالماء وعندما ياتي من النهر فقد ضربه عفريت النهر الجاثم .
اذا وقع عليه الحزن ويتوسل لاي شيء يراه ، فاذا كان محترقا ،ويعرق يوميا ويظل غاضبا وراغبا في (الشيء) ويستمر بالسعال من معدته حتى ياتوا له بها وعندما يجلبوها له يراها ولكن لا يفقهها انها يد الشبح الذي ضربه في الماء .
اذا حولته يد الالهة عشتار الى الصرع (فان ذلك يدل على يد الاله سن — (وتشخيص اخر) يد الالهة عشتار . ولا نقاذه : بذر انسان وفاكهة البحر وفأر الخولو من كوخ القصب المغطاة قليلا بالشعر وشحمة اذن كلب اسود وشعر حمار ركوب اسود وذنب كلب اسود مع شعر جدي باكر ابيض واسود يكرر [ويظهر ان حكمة يكرر تدل استنادا الى ما جاء في الفقرة السابقة على انه و'عليك ان تضع عند رقبته ويستحسن '] . واذا حولته يد الالهة عشتار الى بيل — اورى [وهي عله غير معروفة] ، (انها) 'يد الاله شمس'
ولانقاذه : جذر البكر وجذر الشوك وجذر الشمر وبذر نبات التخذير وملابس الدم لامرأة واليتوع في جلد جدى باكر ، مكرر .

ويضم القسم الاخير ست رقم يتعلق بالنساء والاولاد الصغار وفيما ياتي مقتطفات من الجزء الخاص بالنساء الحوامل :
اذا كان اعلى جبهة امرأة حامل متوهجا بالبياض فان ما في رحمها هو انثى وستكون غنية واذا كان احمر فان ما في رحمها ابن رجل وسيموت .

اذا كانت حلمات امرأة حامل مصفرة فانها ستسقط ما في رحمها .
اذا كان رحم امرأة حامل على معدتها فستحمل طفلا اطرش .
اذا وقع رحم امرأة حامل على الجانب الايمن من معدتها فقد حملت بابن رجل .
اذا ظلت امرأة حامل تتقيأ فلن تكمل (حملها) .

اذا قذفت امرأة حامل شيئا من فمها فستموت هي ومعها ما في رحمها .
اذا خرج دم من فم امرأة حامل فسوف تموت عند الولادة .

وبعض الاعراض الاخرى تتكهن بولادة التوام ومختلف التفاصيل الاخرى عن صحة الام والطفل . كما تشير بعض الاقسام الاخرى الى حالات اتصال المرأة جنسيا في اوقات مختلفة من حملها : لذا فان التكهن بالنسبة للاتصال الجنسي في الفترة بين خمسة اشهر وثلاثة ايام وخمسة اشهر وعشرة ايام وخمسة اشهر من الحمل يعني 'الحياة' اما خمسة اشهر وثمانية او تسعة ايام فسيقبض على السيدة من قبل الماميتو [وهي كلمة تعني غالبا 'اللعنة' ولعلها تدل على نوع معين من المرض] او ستموت.

ويخص القسم الاخر من هذا الجزء الاطفال :
اذا اخذ طفل الثدى ولكنه لم يشبع وظل يصرخ فانه مجروح داخليا [حرفيا :'داخله مكسور']
اذا كانت معدة طفل ملتهبة وحين يعرض عليه الثدى لا يطعمه فقد اختطفت الساحرة ذلك الطفل .
اذا ظل الطفل باردا ويصك اسنان فان مرضه سيطول انها قبضة الاله كوبو .

ويتضح من نصوص التشخيص والتكهن هذه انه يمكن اعتبار بعض الاجزاء معقولة في حين يعتبر البعض الأخر خرافيا . واتجاه هذه النصوص العام هو تشابك بين الخرافات الفجّة* والملاحظات العملية الذكية .

وكان العلاج السحري المفترض منتشرا ، كما يمكن الاستنتاج من الفصل الخاص بالديانة (انظر صفحة ٣٤٠ وما بعد) في بلاد بابل وغالبا مرتبكا . وكمثال على ذلك فقد تحتاج الطقوس ان يقوم الكاهن باستخراج قلب الجدي

---

* ان الخرافات بالنسبة لهذه الاعراض ولعلاج المرض هي ليست مقصورة على كل حال ، على القدماء او غير المتعلمين . ويمكن ان نشير الى ان احد قساوسة كنيسة انكلترة سجل ملاحظة عام ١٧٩١ نصها : «مازال العين على جفن عيني اليمنى متورما وملتهبا كثيرا . وكما يقال عادة انه اذا مسحت جفن العين بذنب قطة سوداء فان ذلك يفيدها كثيرا ، اذا لم يشفها تماما ... وقبل العشاء بقليل قمت بتجربتها وبعد العشاء بقليل وجدت ان جفن عيني قد تخلص من الورم وتقريبا بدون الم» ان رجل الدين المحترم لم يتردد في ان يسخر الخرافات حيث اضاف ان ذنب اي قطة اخرى قد يكون له نفس الاثر على اكثر احتمال ولكني عالجت عيني بذنب قطتي السوداء توم..؟ من مفكرة بارسون وودفورد ، ١١ اذار ، ١٧٩١)

ويضغط به وهو لا يزال يرتجف في يد الرجل المريض في حين كانت الرقية تتلي . ومع ذلك فقد كانت تستخدم الطرق المنطقية لاستعمال الادوية ايضا وهذه معروفة بالدرجة الاولى من نصوص الوصفات التي تعتبر من حيث العدد اهم مجموعة من النصوص الطبية .

ومن المعروف الان ، كما سبقت الاشارة ، نص لوصفة يعود تاريخها على الاقل الى عهد سلالة اور الثالثة (٢٠٠٠ ق.م) . وان النص باكمله معقول ولا يضم كبعض الامثلة المناظرة من نفس الصنف اي اشارة الى الرقي التي كانت تصاحب تحفيز او اعطاء الادوية الموصوفة . وفي نصوص الوصفات المدونة بالاكدية هناك ثلاثة اقسام بصورة عامة :

١ ملاحظات عن الاعراض .
٢ قائمة بالمواد المستحضرة .
٣ تعليمات لكيفية اعداد واعطاء العلاج .

ويبدو ان العنصر الاول مفقود في النص السومري وان الوصفات الخمس عشرة المدونة على الرقيم قد صنفت استنادا الى اسلوب التطبيق . والعلاج المستخدم يضم : آ ـ الكمادات ب ـ الجرع ـ الاستحمام بالسوائل الحارة : وان اثنتي عشرة وصفة من مجموع خمس عشرة يضم استعمالات خارجية وفيما يلي مثال لكل نوع من هذه الانواع :

أ . بعد طحن جذور [نباتات معينة] مع قير النهر المجفف ، تسكب الجعة عليه ، وبعد مسح (المكان المصاب) بالزيت يوضع (المستحضر عليه على شكل كمّادة .

ب . بعد طحن بذور [نبات معين] ووضع (المزيج) في الجعة ، يشربها المريض .

وفي النوع الثالث من الوصفات يوجه القارىء لان ياخذ مركبات مختلفة تضم تينا مجففا وبعض انواع الملح او :

ج . بعد تسخينها تغسل (المكان المصاب) بالسائل [وهناك تعليمات اخرى لا يعرف معناها ومن المحتمل انها كانت تشير الى استخدام الحقنة بواسطة انبوب]

وما عدا النص السومري هذا ، فان اقدم نصوص الوصفات هي بعض الكسر من العهد البابلي القديم . وياتي بعد هذه بعض القطع الكاشية ومجموعة مهمة من بوغازكوي غير ان الجزء الاكبر ياتي من العهد الاشوري الحديث حيث هناك

سلسلة من النصوص تصف الوصفات استنادا الى اجزاء الجسم . لذا فهناك مجموعة كاملة من النصوص خاصة بوصفات اصابات المعدة .

اذا كانت معدة رجل حارة ولا تقبل طعاما ولاشرابا تاخذ
بذر الطرفاء وتمزجها مع العسل وخثرة اللبن وياكلها
ويشفى .

للتخلص من حرارة المعدة اسحق الادوية السبع البَيان
والقصب الحلو .. [الاسماء مفقودة] والحلتيت والتمر
وزيت التربنتين (نوع من اشجار الصنوبر) وبعد ان تصفى
تنقع
بالجعة وتسخن بالفرن ثم تصفى بعد تبريده . وتضيف عليها
قشور (؟) الشعير وتصب عليها ماء الورد وتضع ذلك في
شرجه فيشفى .

وكما يستدل من النص السابق فان استخدام الحقنة كان معروفا في العهد الاشوري الحديث بالتاكيد (قبل عام ٦١٢ ق.م) وفي وصفة اخرى هناك ٢٤ مادة عطارية (معظمها من الخشب وصمغ الخشب) كانت تمزج مع الجعة وتترك لتتصلب وتغلي وتصفى ثم يوجه المستحضر لان يضيف العسل والزيت النقي وبعدها :

وبينما هي دافئة اسكبها في شرجه ويفرغ ويشفى .

وطريقة اخرى لاستحضار الدواء يبينها المثل التالي وصفة اعدت من نباتات مختلفة ثم تاتي التعليمات :

...يبلعها بفمه ويستنشقها بانفه ويشفى .

وكان هناك طرق اخرى :

اذا مسك الالم رجلا ضع ... صمغ صنوبر حلب
وصمغ الجلينة والكركم على النار وبخر مناخيره (بذلك) ،
واملأ فمك بالزيت وانفخه في مناخيره فيشفى .

واحيانا هناك اشارة الى تلاوة الرقي في الوقت نفسه الذي كانت تتخذ فيه الاجراءات العملية :

ومجموعة اخرى من النصوص تتعلق باصابات الرئتين
والصدر :

اذا كان رجل مريضا بالسعال امزج صمغ الميعة بجعة قوية والعسل والزيت المنقى : اجعل لسانه ياخذه دون وجبة طعام ، دعه يشربها وهي تتبخر من الحرارة في الجعة والعسل . ودعه يتقيأ بواسطة الريشة . وبعد ذلك عليه ان ياكل مزيجا من العسل والخثرة ويشرب نبيذا حلوا ويشفى .

وكان الاستنشاق طريقة اخرى في العلاج فكانت تستحضر بعض الخضراوات ومواد اخرى وتذاب في الزيت والجعة والخثرة ثم ، تقول التعليمات :

اعد اناء كبيرا وقوم جوانبها بعجين الحنطة ، واغلي الشراب المخمر فوق النار ، ضع انبوب قصب فيه ودعه يستنشق البخار بحيث يضرب رئتيه ويشفي .

ويبدو واضحا ، لاسيما من نصوص التشخيص ، انه لا يمكن ان تنسب معرفة متقدمة جدا في علم التشريح والفسلجة للبابليين . حيث لم يعرفوا عمل معظم الاعضاء الداخلية التي كانت تعتبر مجرد مواقع الانفعالات المختلفة . لذا كانت الاذان مكان الفهم والقلب مركز الذكاء الخلاق . وعلى الرغم من ان الاختلاف في معدل ضربات القلب كان معروفا وان مرور الدم بالشرايين كان معروفا ، الا ان البابليين لم يذهبوا الى ابعد من هذا ويستدلوا على الدورة الدموية . وبالتاكيد فان معرفة علم التشريح والفيزيولوجي كان يعرقلها التحريم الديني على تمثيل جسم الانسان الميت ، ولكن كان من الممكن التغلب على هذا العائق بالملاحظات الذكية لتشريح الحيوانات . وعلى الرغم من ان بعض الملاحظات الدقيقة لبعض خصائص تشريح الحيوانات كانت تتم غالبا فان ذلك كان يتم لمصلحة العلماء الكاذبة الخاصة بكهانة الكبد او كهانة الرئة ، لذا فلم تكن هناك محاولة مفيدة للملاحظات العملية . اضافة الى ذلك ، طالما ان الحيوانات الجيدة فقط كانت تقدم للقرابين لهذا الغرض او ذاك ، فان الكهنة البابليين كانوا محرومين من الحصول على ممارسات واسعة لاعضاء الحيوانات المصابة باسلوب اختبار الحيوانات التي تقدم للتضحية نفسها مع احتمال ربط ذلك باعراض بعض الامراض الظاهرة . ومن العوائق الاخرى الاكثر شدة من تحريم التمثيل هو النظرية ان المريض هو نتيجة مسك العفاريت فان الاخذ بهذه النظرية ادت الى اعتبارا لبابلي بان من الفضول الباطل ان يحاول معرفة اكثر عن وظيفة اعضاء معينة من حالة المرض والصحة . وان النقطتين اللتين يجب العناية

بهما عند المرض هما العفريت الذي يكون اساس المشكلة والاعراض الخارجية .

وفي مثل هذه الاوضاع فانه من غير المتوقع ان نجد جِراحة متقدمة . ومن المؤكد انه كان هناك جراحون من نوع ما منذ عهد حمورابي حيث ان قوانين حمورابي تنص على الاجور التي تدفع الى الجراحين في حالة العمليات الناجحة مع بيان العقوبات التي يتعرض لها الجراح في حالة الفشل .

> اذا قام اسو asu بفتح جرح كبير لرجل بآله برونزية وتسبب في شفائه، او فتح نكَبتُ nakkaptu لرجل بآلة برونزية وتسبب في شفاءِ عين الرجل سياخذ عشر شيقلات من الفضة [ان معنى نكَبتُ لازال موضع جدال : وربما الاشارة هنا الى فتح زائدة لحمية او فتح جرح في المحجر] .

وكان الدفع اقل نسبيا اذا كان المريض من طبقة اجتماعية اقل ، ولم تكن مهنة الجراحة دون مخاطر ، فاذا تسبب الجرّاح في موت او عمى مريض من طبقة الاسياد كانت يده تقطع وهناك ثلاث مواد اخرى في قوانين حمورابي تشير الى **الاسو** فيما يتعلق بجبر الأطراف المكسورة .

وبالرغم من هذه الاشارات القديمة نسبيا للجراحة فانه ليس هناك اي نص معروف بين مئات النصوص الطبية المتاخرة يتعلق بصورة خاصة ومنتظمة بالموضوع ، وان ذلك قد يشير لاول وهلة الى ان طرق الجراحة لم تكن معروفة اصلا في العهود المتاخرة ولكن هناك تفسير اخر لنقص هذه النصوص اشير اليه سابقا . فالجراحة هي بالدرجة الاولى من الامور التي يمكن تعلم فنونها بالملاحظة والممارسة ، فليس هناك مكان لمنهاج الجراحة المماثل . لذا فمن المحتمل جدا ان الجراح المبتدىء في بلاد بابل كان يحصل على معرفته ومهارته بمراقبة المتمرسين بالمهنة في العمل ولم يكن هناك شيء يمكن الحصول عليه من جراء محاولة كتابة تفاصيل الاساليب الفنية .

وهناك نص او نصان مكسوران فيهما اشارة الى العمليات الجراحية . وليس من غير الشائع الاشارة الى امراض العين ولعلها اظلام العين ، cataracts في الجمل التي تتحدث عن عين الرجل المغطاة بالظل وان احد النصوص المكسورة يذكر :

> اذا كانت عين الرجل مغطاة بالظل ، فبالحربة...

فهل كانت بقية النص تشير الى عملية جراحية ؟ ولا يمكن تبيان ذلك في الوقت الحاضر . ونص اخر يذكر استخدام اله قاطعة ويقول :

> اذا كان المرض قد وصل الى داخل العظم فعليك ان تكشطه وتزيله .

وقد اعتبر ان ذلك يشير الى جرح عميق ولكن يمكن تفسيره بطريقة اخرى . وهناك فقرات اخرى تذكر استخدام الاطباء للالات القاطعة ولكن لعل ذلك يشير فقط الى فتح التقرحات ، وهي اساليب قد لا يمكن رفعها الى درجة الجراحة .

التكنلوجيا الكيميائية :

كانت المعرفة التكنلوجية ، كالطقوس الدينية ، من الاسرار الخفية جدا وقد يجد المرء في نهاية النصوص الخاصة باي من الموضوعين تعليمات كالتالية :

> دع المطلع يرى المطلع ولن يراها غير المطلع ، انها تخص الاشياء المحرمة للالهة العظام .

ولهذا السبب فان بعض التجارب التي كانت معروفة لدى التكنلوجيين في بلاد ما بين النهرين قد لا تكتب اطلاقا بينما كتب البعض الاخر وبشكل غامض مقصود ، وقد تفشل محاولات العلماء المحدثين لفهم النصوص المعينة .

وحد الامثلة لنص كتب بالالغاز هو طريقة (تعود الى القرن السادس عشر قبل الميلاد على ادنى احتمال) لعمل الزجاج ، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن العالمان كَاد C.J.Gadd وتومبسون R.C.Thompson في هذه الحالة من حل رموزها . وقد وجد ان التكنلوجيين القدماء قد استخدموا طرقا من النوع المذكور ادناه لاخفاء المعنى . فالكلمة التي تعني حجر 'آبنَ ' aban كانت تكتب عادة اما بالعلامة الرمزية او تكتب مقطعة بعلامات المقاطع الثلاث a-ba-an . غير ان التكنولجيين كتبوا الكلمة مع ذلك بالمقاطع الثلاث ha-bar-an التي كانت معروفة لديهم سرا بانها تمثل (h)a-ba(r)-an غير انها تعطي للخارجين كلمة خَبرَان habaran التي ليس لها اي معنى . وقد كتب معظم النص بهذا الاسلوب وما ان تم حل رموز اللغز حتى ظهر بان النص يحوي على تفاصيل يمكن للكميائيين المحدثين ان يقوموا بالعمليات التي جاء وصفها وينتجوا الزجاج فعلا بالرغم من اهمال بعض العمليات السحرية التي كانت اساسية للتكنولوجيين القدماء لتهدئة ارواح الاموات .

ومن الدراسات المفيدة حول الاجهزة الكيمائية في بلاد ما بين النهرين هي الدراسة التي قام بها مارتن ليفي Martin Levey في Chemistry and

'الكيمياء Chemical Technology in Ancient Mesopotamia (1959)
والتكنولوجي الكيمائية في بلاد ما بين النهرين (١٩٥٩) ' ويبين البروفسور ليفي ان المكتشفات الاثرية تؤكد ذلك ، فاضافة الى مقابض الهاون والهاون والمطاحن والمصفاة (وقد تكون جميعها للاستعمالات المنزلية) فهناك اشياء اخرى كالبودقة وجهاز التصفية وجهاز التقطير والعصر وقناني التقطير . وقد عثر على قناني التقطير المذكورة في نوزي (وهو موقع قرب كركوك الحالية ازدهر حوالي ١٤٠٠ ق.م) وقد اعتبرت هذه من قبل ليفي بانها ملائمة للمستحضرات الصيدلية الضرورية بصورة خاصة . وان جهاز التقطير المشار اليه اعلاه يتالف من اواني خزفية ذات حافتين ترقى بتاريخها الى ٣٠٠٠ ق.م. واناء يرتبط بذلك وفيه ثقب في حافته الداخلية لتصريف المياه . وقد اعتبر من قبل ليفي بانه جهاز عصر . فكانت المادة الخام توضع بين الحافتين ويغطى الاناء بالغطاء وكان المحلول (الماء او الزيت) يغلي من اسفل الاناء ويتقطر البخار على الغطاء ثم يسيل على المادة الخام وتستخلص المادة المطلوبة ويتقطر ثانية في اسفل الاناء . وان المبدأ هو مبدأ عمل القهوة بالجهاز الخاص بها .

وكانت تستخدم عدة انواع من الافران مصدرا للحرارة للتجارب الكيمائية : وقد مثلت احيانا بالفن في حين عثر على امثلة حقيقية منها خلال التنقيبات . وكانت النار توقد في الالف الاول قبل الميلاد بضرب قطعة من الصوان بالفولاذ لاشعال قطعة من الصوف بل ومن المحتمل استنادا الى راي كامبل تومسيون A dictionary of Assyrian Chemistry and Geology (1936), page 39 (قاموس كيمياء وجيولوجيا الاشورية)(١٩٣٦) ، صفحة ٣٩) ان ثقاب الكبريت كان معروفا وان هذا الاحتمال يكشف عنه احد النصوص الذي يذكر :

اشعل [ثقاب (؟)] الميسم بنار الكبريت .

ويمكن الاطلاع على المواد الكيمائية وبعض العمليات الكيمائية التي كانت معروفة لدى سكان بلاد ما بين النهرين في : R.Campbell Thompson's Dictionary of Assyrian Chemistry and Geology ومن بين الحوامض تمكن الاشوريون منذ الالف الاول قبل الميلاد من انتاج حامض الكبريتيك ، ولعلهم ايضا انتجوا الماء الملكي (وهو مزيج من حامض النتريكو حامض الهايدروليك) . ويستدل كاميل تومبسون على وجود الاخير من حقيقة ان الاشوريين استخدموا الذهب لاعطاء

لون احمر للزجاج ، ولاكمال هذه العملية لابد للذهب من ان يحلل في الماء الملكي . وكان هناك املاح مختلفة تستخدم من بينها البورق والملح العادي والملح الصخري (نترات البوتاسيوم او الصوديوم) وصودا الغسيل وملح النشادر وفوسفات النحاس في حين استخدمت عناصر ومركبات اخرى اضافة الى المعادن الاعتيادية والاوكسيدات المعدنية كان منها القصدير وكبريتيد الزئبقيك والكبريت وكبريتات المعادن المختلفة ومركبات مختلفة من الزرنيخ .

وقد شرحت العمليات الكيمائية التي كانت تجرى في بلاد ما بين النهرين بوضوح من قبل مارتن ليفي Martin Levey (المصدر السابق) على اننا سنذكر هنا موجزا فقط لبعض العمليات المعروفة بكثرة ومن بين هذه العمليات يمكن ذكر دباغة الجلود التي تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد على الاقل . فكانت الجلود تنقع اولا في الماء او في محلول مالح ثم تضرب وتكشط لازالة اللحم العالق او السمن او الشعر . واستنادا الى ليفي كان الضرب بالروث يتم بعد ذلك لتحسين لمس الجلد ، ثم يتم الدبغ الفعلي بعد ذلك بنقع الجلد في محلول معد من الشب والعفص : وكان كلا من الشب والعفص من المواد المهمة في تجارة بلاد ما بين النهرين . وكان الدبغ بالدهن قد يرافق طريقة الشب وحامض التنين او يستخدم كطريقة ثانية .

وكان الجلد بعد ذلك خاضعا في الغالب لعملية الصبغ وكان الصبغ من الاساليب الاخرى القديمة المعروفة وكانت تستخدم للصوف منذ الالف الثالث قبل الميلاد على الاقل بالرغم من اننا لانملك في الوقت الحاضر معلومات مفصلة عن الطرق التي استخدمت في ذلك . واضافة الى الالوان الطبيعية استخدم الاحمر والاصفر والازرق والاسود والارجواني كالوان للصوف .

وكان الصابون المستحضر من زيت المخضرات وقلويات المخضرات واحيانا معالج باضافة الكبريت او المواد الصمغية معروف بالتاكيد منذ ۲۰۰ ق.م. ولوان لفي يشير الى انه ليس هناك دليل لانتاج الصابون الحقيقي عن قصد (اي الصابون المصنوع بغلي الزيت مع القلويات الكاوية) . ومن الممكن مع ذلك استنادا الى لفي ان ينتج الصابون الحقيقي في بعض العمليات حيث كانت الاملاح تغلى مع الزيت فان وجود هيدروكسيدات الصوديوم كمادة قذرة قد تنتج الصابون الحقيقي .

الفـــن :

ان فن بلاد ما بين النهرين ، وهو احد المظاهر الحضارية الملموسة التي يمكن من خلالها النفوذ الى حضارة بلاد ما بين النهرين ولاسيما ديانتها ، معروف لدينا من وسائل عدة . ولعل الاختام الاسطوانية التي ترقى باصولها الى العهد الشبيه بالكتابي (الوركاء : الطبقة الخامسة) واستمرت حتى النصف الثاني من الالف الاول قبل الميلاد حيث استعيض عنها بالاختام المنبسطة، هي اكثر من غيرها انتشارا خلال جميع الفترات . كما ان النحت المدور ممثل بشكل جيد الى جانب النحت البارز وكذلك الشكل الذي يتوسط الاثنين والذي استخدم لنحت اشكال كالثيران الاشورية المجنحة . وقد حالف الحظ في المحافظة على مجموعة كبيرة من العاج المنحوت من فترات معينة (انظر اللوحة ٦٠ آ ـــ ب) وغالبا ما كانت جميلة بمعاييرنا كما انها مفيدة بالنسبة للديانة القديمة . ومن الاصناف الاخرى الممثلة هي الصناعات المعدنية والحلي والتمائم وزخرفة الجدران بالاجر الملون او المسامير الفخارية ذات النهايات الملونة المثبتة بالجص . كما ان هناك ايضا بعض اللوحات المعروفة على جدران مجصصة . ولا يعرف السجاد المصنوع والمنسوجات المطرزة بصورة مباشرة من بلاد ما بين النهرين غير ان هناك مثالا لقطعة سجاد سكيثية لعها من النوع الذي كان معروفا في بلاد ما بين النهرين . وقد حوفظ عليها باعجوبة شمالا في روسيا . وبالرغم من انه لم يبق من السجاد الاشوري اي شيء غير ان طرز السجاد التي استخدمت في القصور الاشورية معروفة لدينا من الطرز المحلية على قطع الرخام (انظر اللوحة ٦٣) . وكانت القطع توضع حول مداخل القصور ولابد انها تطابق اشكال السجاد الذي كان يعطي ارضية بقية الغرف .

ان تقييم الطرز والاساليب الفنية المستخدمة من قبل فناني بلاد ما بين النهرين هي من مهام مؤرخ للفن وان الكاتب لا يدعي بانه كذلك : ويمكن احالة القارىء الراغب في هذا المجال الى وصف ذلك في كتاب هنرى فرانكفورت 'فن وعمار الشرق القديم (١٩٥٤) ' . H.Frankfort, The Art and Architecture of the Ancient Orient (1954)

وان العرض الموجز المقدم ادناه هو وصفي وليس تحليليا . فخلال الالفين وخمسمائة سنة التي تهمنا في هذا البحث فان جميع الاعمال الفنية المعروفة هي مجهولة الهوية . كما ان جميع الاعمال الفنية كانت عملية بحتة وترتبط

بخدمة الدين . لذا فان الامثلة السومرية من النحت المدور لم تكن تصنع لتخليد موضوع القطعة امام الغير ولكن لكي توضع تلك القطعة برسالة الشفاعة التي تحملها الى جانب اذن الاله . وبذا يسمح للامير او النبيل الذي تمثله امتياز القرب من الاله لمدة اربع وعشرين ساعة في اليوم . وربما كان للقلادة المتقنة ، وبشكل ادق ما يلبس على الصدر ، التي وجدت في احد القبور الملكية في اور ، وظيفة اخرى اضافة الى وظيفتها الزخرفية ولعلها كانت تستعمل ضد الارواح الشريرة .

ومن الاعتبارات العامة الاخرى ان معظم الفن القديم كان من نتاج الحرفين اكثر مما هو من نتاج الفنانين . ففي بعض الفترات كانت الاختام الاسطوانية تنتج بكثرة في حين حتى المنحوتات الاشورية الرائعة كانت ، كما تشير الى ذلك بعض الاجزاء غير الكاملة منها ، تنحت اولا وبشكل ابتدائي من قبل نحاتين كفوئين ويضع الفنانون الماهرون اللمسات الفنية الاخيرة فقط .

ان اقدم فن معروف لدينا من بلاد ما بين النهرين هو الفخار المزخرف الذي يرقى الى عهد حسونة وسامراء وحلف وحاجي محمد واريدو والعبيد . وفي كثير من هذه الطرز جمالا رائعا حتى بالنسبة للعين في الوقت الحاضر . ومن الحقائق الغريبة انه لم يكن لهذه الامثلة الجميلة من الفخار المزخرف من عصور ما قبل التاريخ ما يخلفها في العصور التاريخية . وهناك من يرى ان سبب ذلك هو ان الانجازات التقنية بعد فترة العبيد لم تسمح الا بعمل الاواني الحجرية والمعدنية الجميلة . وان هذه كانت تستخدم للاغراض التي كانت تستخدم فيها الاواني الجميلة المطلوبة في حين ظل الفخار بصورة عامة يستخدم للامور الاقل تواضعا والتي لا تستحق باي شكل من الاشكال الاواني المزخرفة .

ومن الفروع الفنية الاخرى التي لم يكن لها ما يخلفها بشكل مباشر في الفترات التالية هو اسلوب العهد الشبيه بالكتابي في زخرفة الاعمدة والجدران . فقد كانت الاعمدة والجدران تغطي بالطين الطري . وكان يغرز فيه مسامير صغيرة من الطين المفخور ، طولها ما يقرب من اربع عقدات ، بعد تغطيس هذه المسامير باصباغ مختلفة . لذلك فان رؤوسها المسطحة كانت سوداء او حمراء او صفراء وبترتيب المسامير بشكل ملائم كانت تشكل اشكالا ملونة على الجدران والاعمدة وبذا تعطي تاثيرا زخرفيا مقبولا وغطاء واقيا من تقلبات الجو (انظر اللوحة ٢آ) .

كما وجد النحت المدور ، وهو شكل اخر من اشكال التمثيل في العهد

الشبيه بالكتابي فما بعده ، ايضا . ويعرف من هذه الفترة المبكرة بشكل حيوانات منحوتة بالحجر لغرض لصقها على جدران المعابد بواسطة الاسلاك ، ومن الامثلة الاخرى اشكال سائبة تمثل اشكالا ادمية او رؤوس . ولعل بعضها كان يمثل الالهة . ومن المؤكد ان البعض الاخر كان يمثل متعبدين من البشر ، ولا بد ان الغاية من ذلك كانت للوقوف امام الاله ، كما تشير الى ذلك وجهة النظر المميزة للعبادة (انظر فرانكفورت المصدر السابق لوحة ٩ل) . وتبدو النقطة الاخيرة اكثر ظهورا وتزداد الامثلة التي توضحها في عصور فجر السلالات ، في حين هناك من عهد جَوديا ملك لجَش وما بعده تماثيل دوّن عليها رسائل تنقل من خلال ذلك بصورة دائمية الى الاله . وكان الاله الرئيس في المعبد في العصور القديمة يمثل بتمثال واقف على قاعدة في كوة في احد جدران الهيكل ولكن لا تعرف ان كانت مثل هذه التماثيل تغطي غالبا بطبقة من الذهب او بعض المعادن الثمينة الاخرى لان عددا قليلا منها فقط وصلنا .

ويشير فرانكفورت الى ان تماثيل الادميين في عصور فجر السلالات تقلّصت الى ان وصلت الى اشكال هندسية تقريبا ، لذا فان عضلات الصدر كانت تمثل بخط تقاطع القطعتين المنبسطتين في حين قد يكون الرأس والرقبة ككرة تستند على اسطوانة قصيرة مع الذقن ، والشفتين والانف كسلسلة من الاسفينات وضعت على الكرة . ويبدو انه لم يكن هناك اية محاولة في هذه الفترة للتمثيل الطبيعي للاشكال الاصلية .

كما عرفت المسلات في عصور فجر السلالات ، ومن الامثلة الجميلة على ذلك هي مسلة اي اناتم ، حاكم مدينة لجَش التي تعرف عادة بمسلة النسور . ويُظهر هذا النصب ، الذي تلفت اجزاء كبيرة منه والمحفوظ حاليا في متحف اللوفر ، في اربعة مشاهد المناظر التي يفترض انها تمثل المعركة بين مدينتي لَجش ومدينة او ما ممثلة من وجهة نظر لجَش . ويمكن مشاهدة مجموعات من الجنود السومريين المتراصة بقيادة الملك في حين تنهش النسور بجثث الموتى . وفي مشهد اخر يظهر اي اناتم نفسه في عربته الحربية وعلى القفا يظهر ننكَرسُ الاله القومي لمدينة لجَش وهو يصيد قوات الاعداء بشبكته .

وشكل اخر من الفنون التي نجدها بكثرة في عصور فجر السلالات هوالتطعيم . وقد استخدمت راية اور الشهيرة هذا الاسلوب . وتتالف من ستة صفوف تضم مشاهد الحرب ومشاهد السلم . وتظهر قصة المعركة ووليمة الانتصار التي اعقبتها ، وفي مشهد الحرب (انظر اللوحة ١٢) مثلث المعركة

نفسها بطريقة الكارتون المجرد ، حيث مثلت العمليات بمراحلها المختلفة المتعاقبة وتبدأ اللوحة من الصف الاسفل فالاعلى . ويظهر الصف السفلي اولا ، اذا اخذ من اليسار الى اليمين ، عربة عسكرية مع حيوانات الجر تمشي ، في حين لم يبدأ طاقم العربة بالمشي . ثم تظهر الحيوانات وقد بدأت بالركض في حين يسلم قائد العربة الرمح ايذانا بالبدء . وفي الجزء الثالث يظهر سائق العربة وقد رمى سلاحه وقد ظهرت ضحايا اكثر من جانب الاعداء على حين بدأت الحيوانات الساحبة في حركة غاضبة ويظهر الجزء الرابع طاقم العربة وهم يستعدون لرمي رمح اخر . ويظهر الصف الوسطى اسرى عراة يساقون تحت الحراسة كما يظهر الصف العلوي مثل هؤلاء الاسرى وقد جلبوا امام حاكم المدينة الذي مثل بحجم اكبر من اي شخص اخر .

وهناك مسلات مشابهة لمسلات عصور فجر السلالات من العهد الاكدي غير ان المناظر المختلفة تقلصت منذ عهد نرام سِن من اجل الوحدة الفنية . وقد نحت احد الامثلة في اعلى صخرة في احد ممرات جبال كردستان (انظر لوحة ١٦ آ) في حين يحفظ الاخر حاليا ، وهو الذي يعرف بمسلة النصر ، في متحف اللوفر (اللوحة ١٦ب) . وهنا نلاحظ المقاتلين وهم يتسلقون الجبل في تعقب العدو : اما نرام سِن الذي صور بحجم رجاله مرة ونصف مرتديا غطاء الراس الخاص بالالهة ، فقد ظهر وهو يتقدم جنوده .

وقد استفاد عهد السومريين الحديث الذي اعقب سلالة اكد ، من 'الانجازات الفنية لعهد [اكد] ' كما يذكر فرانكفورت 'بدون اثر لروح ذلك الوقت ' . ومن المؤكد ان منحوتات العهد السومري الحديث بارعة ولكنها ميتة بالنسبة لعين الشخص الاعتيادي (انظر اللوحة ٢٠) .

ونجد في عهد ايسن لارسا انتاج كبير لتماثيل من الطين واللوحات المنحوتة بواسطة القالب لاغراض الافراد الدينية . وقد جاءنا من مدينة اشوروماري وبعض المدن الاخرى من هذه الفترة تماثيل الحكام المحليين .او الالهة : وان اكثرها روعة كلتا الناحيتين التقنية والفنية هو تمثال من ماري لالهة تمسك بمزهرية (انظر اللوحة ١٩) . وهناك قناة خلال المزهرية والالهة بحيث يمكن وضع الماء في التمثال فيخرج من خلال المزهرية على هيئة نافورة . ومن الطريف ملاحظة ان التمثال بشكله المجسم يعطي ، عند النظر اليه ، انطباعا جنسيا واضحا فهو تجسيد فعلي لقوة الخصوبة . وهناك عدد من الاعمال الفنية التي تمثل ، او اعتبرت بانها تمثل حمورابي ، واهم مثل من هذه الاعمال هو

رأس من حجر الكرانيت الاسود الذي يظهر فيه ، كما يقول فرانكفورت ، 'اداء الوجه انطباعي تقريبا ' يفصح عن معاني جلال العظمة والقوة . وان احسن تمثال معروف هو التمثال البارز في اعلى مسلة قوانينه المشهورة (انظرلوحة ٢١ ب) ولكن كعمل فني فان هذا النحت المثقل يقع دون الخط الأنيق المستخدم لنقش القوانين .

وما عدا الاختام الاسطوانية المتوفرة بكثرة من جميع الفترات ، فان الاعمال الفنية التي تميز العهد الكاشي الذي اعقب سقوط سلالة بابل الاولى ، اكثر من غيرها هي الكودورو ، وهي احجار حدود منحوتة تسجل منح الاراضي وحدود الحقل . وبالرغم من انها اكثر شيوعا تحت الحكم الكاشي الا انها في الواقع لم تكن مقصورة على هذه الفترة . وكانت الحجر عادة غير منتظمة الشكل يبلغ ارتفاعها قدما الى قدمين وتحمل رموز الالهة التي منحت الارض او وضعت الحدود تمت حمايتها ويصور احيانا الحاكم الذي قدم المنحة . ومن وجهةالنظر الحديثة فان احجار الحدود (الكودورو) غريبة ومفيدة بالنسبة للافكار الدينية التي تشرحها اكثر من اهميتها كعمل فني (انظر اللوحة ٢١ آ) .
وخلافا لذلك تماما فهناك بعض الامثلة من الفن الاشوري من الالف الاول قبل الميلاد التي مازالت تمتع الاوربي الاعتيادي من حيث الموضوع والاسلوب والقوة . والفن الاشوري ممثل من القرن الرابع عشر وما بعده بالقطع المنحوتة سواء بالنحت البارز او المدور . غير ان اكثر الامثلة دهشة تاتي من الالف الاول قبل الميلاد ، واول الفترات العظمى هي عهد اشورناصربال (الذي اعاد تاسيس العاصمة كالح) وعهد ابنه شيلمنصر الثالث ، اي الفترة من ٨٨٣ الى ٨٢٤ ق.م والفترة الثانية تغطي الفترة الاخيرة من العظمة الاشورية منذ اعتلاء تجلاتبيليزر الثالث العرش (٧٤٥) . وحتى نهاية عهد اشوربانيبال : ويقسم فرانكفورت الفترة الثانية الى فترتين استنادا الى اسس فنية معينة .

ولم يكن النحت الاشوري المدور ذا اهمية كبيرة في الالف الاول قبل الميلاد من الناحية الفنية وهناك امثلة تمثل الملوك والالهة (انظر لوحة ٢٨ ، ٣٠) وهذه الاشكال تحمل نوعا من الكبرياء وتبدو وكانها تنقصها الحياة .
ومن القطع التي يعتبرها معظم الناس بانها من المميزات الاشورية في هذه الفترة (ولو ان قطعا ذات علاقة بها وجدت في المنطقة الحثية في سورية) هي الثيران والاسود المجنحة الضخمة التي تحمل راس انسان والمنحوتة من قطع كبيرة من الحجر تزن عدة اطنان ، وقد وضعت لتحمي مداخل القصور



قطعة عاجية منحوتة ومزينة بالذهب والاحجار الكريمة من مدينة النمرود
(القرن الثامن ق . م)

الملكية . وقد صنعت هذه الاشكال الضخمة باسلوب هو وسط بين النحت البارز والمدور بحيث انها تعطي الانطباع بانها ذات وجود منفصل بالرغم من انها متصلة بقطع الحجر الاصلية . وقد يلاحظ اولئك المتعجبون بها في متاحفنا ان لكل مخلوق منهما خمسة ارجل (انظر اللوحة ٥٣) وهي طريقة لضمان المظهر الطبيعي اذا نظر اليه من الامام او الجانب .

ومع ذلك فان الانجاز الفني الكبيرة للفترة الاشورية المتأخرة هو المنحوتـــات .

وكان النحت البارز مستخدما منذ الالف الثالث قبل الميلاد ولكن كان مقيدا بالقيود التي يفرضها استخدام مسلة واحدة . وبقي استخدام المسلة الواحدة في الاستعمال عند الاشوريين لتمثيل بعض الطقوس الدينية الخاصة ذات العلاقة بالافكار اللاهوتية وان بعض المنحوتات من هذا الشكل هي غاية في التاثير . والاهمية الحقيقية لاستخدام الاشوريين للمنحوتات هي انها طورت الاسلوب القديم وسخرته لخدمة الرواية فقد يغلف جدار باكمله او قاعة بقطع الحجر المغطاة جميعها بسلسلة من المناظر المترابطة الى درجة انها تشكل رواية . وكان الاسلوب يطبق بالنسبة للمعادن كما في المثال المشهور ، وهو باب بلوات البرونزي (محفوظ الان في المتحف البريطاني) ، حيث احزمة من المعدن طولها ثمانية اقدام قد نقشت بلوحتين مشاهد من حملات الملك ، وكنماذج من بعض اجزائها انظر اللوحة ٣٣ و٣٤ .

اما المناظر على المنحوتات الحجرية ، فهي على نوعين رئيسين . فقد تظهر احداث الحملة الملكية (انظر اللوحة ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨) او مناظر الصيد ، حيث صور الملك وهو يذبح حيوانات الصيد الكبيرة . وهناك اثار الالوان التي استخدمت فعلا للتركيز على هيئة الملك وحاشيته مازالت ظاهرة .

وفي هذه المنحوتات فان غاية التفوق يمكن ملاحظتها في نقل الاشكال الحيوانية (انظر ، مثلا ، لوحة ٣٩) . ففي افريز صيد الخيل البرية (انظر لوحة ٣٨) ، تبدو الخيل بانها فعلا في حركة ، بينما يبقى الاسد المحتضر واللبوة المحتضرة (اللوحة ٤٣ أ و ب) ، في مشهد صيد الاسود المشهور في المتحف البريطاني ، من بين قطع النحت الرائعة في جميع الازمنة . وان حقيقة انه لم يكن هناك فكرة متطورة عن المنظور ومحاولات قليلة لتمثيل الفراغ في العمق لا يؤثر سلبا بالتقييم المعاصر لهذه اللو حات العظيمة . وكما اشار مرة جسترتون Chesterton «المنظور هو في الواقع العنصر الهزلي في كل شيء» و«انه يُترك

جانبا في الفن المحترم والزخرفي» .

ووجه اخر من الفن الاشوري الذي يجد قبولا حسنا للذوق الحديث هو الحفر على العاج . فالعاج المحفور ، والمطعم غالبا بالذهب (انظر اللوحة الملونة مقابل الصحفة) كان يستخدم كزخرفة للاثاث — وقد ذكر فعلا عرش من العاج المطعم بالذهب كملك من املاك سليمان (سفر الملوك الاول ، الاصحاح ١٠ : ١٨) ، بينما شيد اهّاب «بيتا عاجيا» . (سفر الملوك الاول ، الاصحاح ٢٢ : ٣٩) . وربما كان الصناع الحقيقيون في كلا من فلسطين واشور من السوريين . وعندما نهبت قصور كالح القديمة ، فقد خلعت افاريز العاج من على الأثاث من اجل تطعيم الذهب ، وان العاج المخلوع جمع الى جانب نار مشتعلة حيث عرض معظمها الى حرارة كافية فقط للمحافظة عليها دون حرقها . هكذا كانت القطع العاجية المحفورة الاولى التي اكتشفت بكميات كبيرة خلال تنقيبات ملوان الرائعة في النمرود (كالح) .

اما بالنسبة للرسم القديم ، فما يمكن الحديث عنه قليل ولو ان خلال جميع تاريخ بلاد ما بين النهرين كانت الجدران تغلف باللوحات الجدارية . وبعد انهيار الابنية التي تضمها فان احتمال بقاء هذا النوع من الاعمال الفنية في التربة الرطبة ضعيف جدا ، ولكن ، ولحسن الحظ ، فقد بقي عدد قليل من الامثلة الحقيقية . واقدم الامثلة المعروفة من تل العقير الذي يعود الى العهد الشبيه بالكتابي . ولم يعثر على لوحات جدارية من الفترة التالية حتى بداية الالف الثاني قبل الميلاد ، وليس من الواضح هل ان ذلك ناتج عن اهمال هذا الاسلوب الفني ام عن الاحداث التي رافقت الحفظ والاكتشاف . وفي قصر ملوك ماري (من بداية الالف الثاني) وجد عدد من الكسر من هذا النوع : وهي تضم اشكالا تقليدية ومشاهد حرب ومناظر دينية حيث يظهر كاهن او ملك وهو يقود ثور الاضحية ، ومشاهد اسطورية . وفي اواخر الالف الثاني ، كشف عن اللوحات الجدارية على نطاق واسع من الفترة الكاشية (حوالي عام ١٤٠٠ ق.م) في عقرقوف . وهناك امثلة قليلة للوحات جدارية من الالف الاول قبل الميلاد معروفة من الفترة الاشورية ، ومثل هذه اللوحات ، التي كانت باللون الاحمر والازرق والاسود والابيض ، وجدت في موقع النمرود وتل بورسيبا وخرصباد .

ومعظم الموضوعات في الامثلة الاشورية تضم اشكالا هندسية او مخلوقات اسطورية مكررة بانتظام لتعطي طرازا معينا ويمثل هذا الطراز عادة الشكل العام او اطار المشهد الرئيس الذي يصور مشاهد طقوسية .

اما الصناعات المعدنية ، التي كانت تصنع من مادة يمكن صهرها واستعمالها ثانية ، او اذا تركت في الارض صدفة فمن المحتمل تآكلها ، لابد وان كانت ممثلة في بلاد ما بين النهرين احسن بكثير مما يمكن ان يفترض من الامثلة الباقية (انظر لوحة ٥٨ أ لمثال مبكر) : واذا كان هناك اي شك في صحة هذا الاستنساخ فمن الممكن ان يشار الى النصوص التاريخية للملوك الاشوريين ، التي تتحدث دائما عن نهب كميات كبيرة من الاواني المعدنية ، بما في ذلك الاواني والتجهيزات .

وقد عرفت الاشكال المصبوبة من النحاس او البرونز من عصر فجر السلالات الثاني فصاعدا . واكثر الاشكال شيوعا في الفترات الاولى تمثل انسانا (او ربما مخلوقا مقدسا) اما واقفا او مستندا على نوع من المقبض ، وبذا يشكل وقفة طقوسية تستخدم لخدمة الالهة . كما عثر ايضا على قدم من النحاس من عصر فجر السلالات الثاني الذي لابد وان يعود الى تمثال بحجم الانسان الطبيعي تقريبا . وليس هناك بالطبع دليل على ان التمثال كان باكمله من المعدن حيث ربما كان الجسم يضم طبقة من المعدن على كتلة من احدى المواد الاخرى ، كما في راس اللوحة ٥ من العبيد .
ويشير فرانكفورت ان صناعة التماثيل في عصر فجر السلالات الثاني من الحجر كانت مستقلة تماما عن صناعتها من المعدن ، بينما في الفترات المتاخرة في بلاد ما بين النهرين يبدو ان صناعة الاشكال المعدنية كانت تتمتع بالرصيد الاكبر وانها كانت تؤثرفي الطرز المنفذة علىالحجر المنحوت من صب القطع المعدنية .

ومن فترة السلالة الاكدية تاتي اروع الامثلة للاعمال المعدنية من بلاد ما بين النهرين فرأس البرونز من هذه الفترة (انظر اللوحة ١٤) يعتقد بانه يمثل سرجون الاكدي نفسه . والراس هو بثلاثة ارباع الحجم الطبيعي وله قوة وعظمة لاتفوقها قوة في جميع الامثلة الفنية المعروفة من بلاد ما بين النهرين من الفترات التالية . ولابد وان العيون كانت مطعمة اصلا بالاحجار الكريمة حيث ان القناع البرونزي يظهر اثار قلعها .

والاعمال المعدنية من الفترة التالية معروفة بالدرجة الرئيسة من الأواني والمقابض المختلفة الانواع ومن الاوزان التي تاخذ شكل حيوانات (انظر اللوحة ٥٨ ب) ومن احزمة برونزية على الابواب (انظر صفحة ١١٣ و٥٣٨) ومن

اشكال ارتفاعها بضع انجات تمثل عفاريت او حيوانات خرافية (كما في اللوحة ٦١) ، وحول تطور عملية صب المعدن انظر ادناه صفحة ١٥٠ . وان عدد من اروع القطع من الالف الاول قبل الميلاد جاءت من الاقاليم المجاورة الرئيسة ، وبصورة خاصة من اورارتو في الشمال وفارس الى الشرق وكلاهما يدينان كثيرا الى تأثيرات اشورية : فالمخلوق المجنح في اللوحة ٦١ أ هو من الاعمال الاخمينية من الفترة بين القرن السادس والرابع قبل الميلاد .

الفصل الرابع عشر

التراث والاثار

'ان الهدف الرئيس من السفر هو مشاهدة سواحل البحر المتوسط . فعلى تلك السواحل كانت الامبراطوريات الاربعة العظمى في العالم وهي الاشورية والفارسية والاغريقية والرومانية . وان ديننا اجمع ومعظم قوانيننا تقريبا ومعظم فنوننا وكل شيء تقريبا رفعنا عن مستوى الاقوام البدائية قد جاء من سواحل البحر المتوسط ؟ '

(بوزويل ، حياة جونسون ، الخميس ، ١١ نيسان ، ١٧٧٦)

(Boswell Life of Johnson, Thursday, 11 april 1776)

لقد كان هناك وقت ليس بالبعيد حيث كان بالامكان كتابة كل ما هو معروف عن بلاد ما بين النهرين في بضع صفحات من التاريخ المشوه والاساطير المشوشة . اما الان وبعد ان حصلنا على معلومات اصلية مباشرة عن تلك الحضارة خلال القرن الماضي ، فمن الممكن على الرغم من ان معلوماتنا ما تزال في كثير من النواحي عامة وغير دقيقة او مفهومة ومحرفة ، لن نرى الى اي مدى بعيد تدين به حضارتنا لحضارة بلاد ما بين النهرين . وقد وصلتنا الافكار السومرية والبابلية القديمة واساليبها الفنية من خلال عدة مصادر وأنتقلت الينا . وجاءنا ، من خلال الكتاب المقدس غالبا ، عدد من الاساطير القديمة اضافة الى الافكار المرتبطة بالسحر والعرافة في حين اصبحت بعض الاساطير والملاحم الاخرى جزءا من ادبنا من خلال المآثر الاغريقية .

وقد جاءنا عن طريق اليونان وروما وبيزنطية والعرب عناصر من بلاد ما بين النهرين في نظامنا العددي وفي تقويمنا كما انتقل الينا التنجيم من خلال نفس

القنوات وكذلك انتقلت المعرفة بانواع مختلفة من البنايات الغذائية والعقاقير اضافة الى بعض التفاعلات الكيميائية . وفوق كل ذلك فان علم الفلك نفسه وكثيرا من الافكار الفلكية هوتراث مباشر من بلاد ما بين النهرين وقد سبق ان تطرقنا الى هذا الموضوع فيما سبق (انظر صفحة ٤٩٩ فما بعد) . وربما كانت بعض مبادىء بلاد ما بين النهرين تولف خلفية بعض قوانيننا وتجاربنا في حين يرجع بالتاكيد نظام المواصلات البرية البعيدة المدى في اصوله الى بلاد ما بين النهرين (انظر صفحة ٢٨١) . كما ان فكرة تفوق المتعلم ، وهي فكرة لم تلق القبول دائما في القرون الوسطى ، اقتبست في عهد النهضة من المآثر الكلاسيكية ولعلها ترتبط بالمنزلة الرفيعة التي كانت تمثلها المعرفة في بلاد ما بين النهرين (انظر صفحة ٢٠٧) . واذا كان العالم الحديث قد تعلم شيئا من روما حول الادارة الدولية وحفظ الامن فان بعض ذلك ايضا هو مما تدين به الى الشرق الادنى القديم حيث ان روما بدورها قد استفادت عن طريق احتكاكها باليونان وفارس واخذت الاخيرة بالتأكيد الكثير مما له علاقة بالادارة من الممارسات الاشورية كما ان بعض مواضيع الفن المسيحي جاءت من خلال تقاليد متصلة عن طريق بيزنطية من بلاد سومر على حين يمكن الجدل بان بعض خصائص الطقوس الدينية المسيحية ، كالاهمية الروحية للشرق في المعابد والدفن قد تعود باصولها الى بلاد بابل الوثنية .

عناصر بلاد ما بين النهرين في الكتاب المقدس :

ان اية محاولة لنقد الكتاب المقدس نقدا ادبيا او القول بانه كان لاي شخص ، عدا الله ، يد في اعداده قد يثير مشاعر قوية عند بعض القراء . فالى هولاء يقدم الكاتب اعتذاره المسبق مشيرا الى انه هو نفسه يعترف بالقيمة الروحية للعهد القديم باعتباره رسالة من الله ، ومع ذلك فمما لاشك فيه ان بعض قصص سفر التكوين ، وبصورة خاصة قصة التكوين وقصة الطوفان ، لها علاقة ما ، وفي حالة قصة الطوفان علاقة قوية ، بالاساطير البابلية والسومرية التي سبق ان تحدثنا عنها . وليس هناك اصول مسلم بها بشكل معقول عن قصة جنة عدن الحقيقية في بلاد ما بين النهرين (على الرغم من بعض الادعاءات التي جاءت في الكتب القديمة) غير ان البروفسور شبايزر قد بين بان التفصيلات الجغرافية التي جاءت في سفر التكوين الاصحاح الثاني : ٦ــ١٤ تتطلب منا ان نتصورها بانها جزءا من الشرق القديم يرتبط ارتباطا وثيقا ببلاد ما بين النهرين .

ومن العناصر الاخرى التي لا يعرف عنها بصورة عامة بانها عناصر من بلاد ما بين النهرين ، كما هي الحال بالنسبة للعناصر الموجودة في سفر التكوين ، هي الاشارات الواردة في العهد القديم ، ولاسيما في سفر المزامير ، الى السحر والعرافة . وفي الواقع انه حتى اذا ما اعترفنا بوجودها في العهد القديم فان الاستنتاج يجب ان لا يكون بالضرورة بان هذه الافكار قد جاءت من بلاد ما بين النهر ين ، حيث ان العرافة لم تكن احتكارا مقصورا على قسم معين من البشر . ومع ذلك فان تفاصيل مثل هذه الاشارات تشير بقوة الى تاثير بلاد ما بين النهرين المباشر ولعل اكثر الامثلة المقبولة هي الفقرة المترجمة في نسخة العهد القديم المنقحة :

ان احسنت افلا رَفع وان لم تحسن فعند الباب خطية رابضة .
(سفر التكوين الاصحاح : ٤ : ٧) .

ان الكلمة التي ترجمت 'رابضة ' هي في اللغة العبرية القلة روبص rôbes . واذا اخذنا بنظر الاعتبار تغير الحركات (ا و ي ي)(a o, i e) المعروفة انها قد حدثت في تطور اللغة العبرية فانها تقابل بالضبط كلمة رابيصُ rabisu ، وهو اسم عفريت بابلي مشهور . وكذلك الكلمة العبرية المترجمة 'خطية ' يمكن ان تفسر بنفس الطريقة . لذا فان ترجمة نهاية الفقرة المذكورة يمكن ان تكون :

العفريت الرابض يترصد على الباب

وفي سفر اشعيا الاصحاح ٣٤ : ١٤ هناك فقرة في لعنة ايدوم Edom ترجمت في النسخة المنقحة :

والوحش الليلي يستقر هناك ويجد لنفسه محلا للراحة ،

ان الكلمة العبرية التي ترجمت 'الوحش الليلي ' هي ليليت Lilith التي تشابه بشكل واضح الكلمة الاكدية ليليت Lilitu وهو اسم عفريت مشهور ومخيف جدا . وفي الواقع فقد شخصت ليليّت Lilith بليليتو Lilitu ، غير ان البروفسور درايفر يعترض على ذلك مستندا الى ان جميع المخلوقات المذكورة في الفقرة هي اما حقيقية او 'قد تكون كذلك ' : (G.R. Driver, Palestine Exploration Quarterly, 1959, pages 55-58) ومع ذلك فان وصف درايفر او 'قد يكون كذلك ' مشيرا بذلك الى المصطلح الذي ترجم 'ساتير ' Satyr (وهو احد الالهة الاغريقية الخرافية)(والذي قد يعني كذلك الماعز) يفسح المجال لترجمتها 'او غير ذلك ' وبذلك تجرد المناقشة من قوتها

الرئيسة . وحتى ما عدا ذلك فانه ليس هناك سبب لان تفترض ان العفاريت في مجتمع غير علمي لم تكن تعد اقل حقيقية من بقية الحيوانات . ويذكر الكاتب حالة القلق والاضطراب التي انتابت الشرطي المرافق له خلال زيارته لموقع الوركاء (قبل استئناف الالمان التنقيبات فيها) عندما بدأ الليل يقترب ، فقد كان واضحا ان الشرطي القوي لم يكن يفرق تماما بين الحيوانات البرية المتوحشة التي كانت مخابئها وسط الاثار وبين الجنّي المترصد وكلاهما كان خطر يجب التخلص مما عمله باسرع ما يمكن .

وكذلك ليس هناك سبب لان نفترض بانه كان هناك تفريق دقيق في فقرات اشعيا بين الحيوانات والحيوانات المقدسة .

وقد ربط بعض العلماء المحدثون سفرين كاملين من اسفار الكتاب المقدس ، وكذلك بعض اصحاحاته او فقراته المتفرقة الاخرى بالافكار الدينية لبلاد ما بين النهرين . والسفرين هما سفر ناحوم وسفر نشيد الانشاد ، وكلاهما يرتبط بطقوس الاله تموز (انظر اعلاه صفحة ٤٠٦) فيناقش العالم الاسكندنافي هالدر A.Haldar (في دراساته عن سفر ناحوم)
ان الفقرة الواردة في سفر ناحوم الاصحاح الثاني ٣ — ٤ تشير الى سياق طقوس كان يتم في احتفال عيد راس السنة . وان الكاتب لا يذهب الى هذا الحد ولكنه يعتقد ان هناك بعض الاشارات في سفر ناحوم وفي اماكن اخرى في العهد القديم الى طقوس الخصوبة ذات العلاقة ببلاد ما بين النهرين (انظر Journal of Theological Studies, XI (1960) pages 318-329) وان سفر نشيد الانشاد يقدم حالة اوضح بكثير من سفر ناحوم وعلى الرغم من ان بعض علماء اللاهوت لن يرتاحوا للموضوع الا انه لم يكن بامكان اي واحد منهم ان يفدم بشكل اساس الراي الذي جاء به ميك T.J. Meek بان ذلك كان اصلا جزءا من طقوس الخصوبة (Canticles and the Tammuz Cult in American Journal of Semitic Languages, XXXIX, Pags 1-14) (وان ذلك لا يمنع المسيحيين من ان يجلوا قيمة روحية في سفر نشيد الانشاد ، انظر سفر اعمال الرسل ، الاصحاح ١٧ : ٢٣) .

ان الاعتقاد بسيطرة العفاريت الذي يعود باصله الى نظرة البابليين لنظام العالم مازال موجودا بين بعض المثقفين والاذكياء من الناس* . فمن عام ١٩٦٠ م كان

* ولعل هؤلاء الناس وكذلك البابليين هم على حق ولو ان راي القرن العشرين السائد الان هو ضدهم .

بامكان نائب الاسقف الريفي في الكنيسة الانكليزية ان يعلن عن راي ، كما تشير الصحيفة المحلية ، بان :

هناك فرص اليوم لطرد الارواح الشريرة ...

وان عدد الاشخاص الذين سيطرت عليهم العفاريت في هذه البلاد هو اقل من العدد في افريقيا ، وذلك لان كل ابرشية في المجتمع المسيحي تتركز حول كنيسة حيث تحل فيها الاسرار المقدسة . وهناك ، مع ذلك ، حالات لا ينفع فيها الدواء . وعندما لا يتمكن الاطباء من اكتشاف سبب العلة فقد يبحث القس عن رضاء اسقفة ، وقد يحصل على نصيحة متخصص .واذا ما اعطي القبول فيمكن طرد الروح الشريرة وقد تدخل الارواح في القس ولهذا السبب كان يعين دائما اثنان سبق لهما ان اجتازا اعدادا روحيا .

ان الاساس العقائدي لمثل هذه المعتقدات هو التفسير الحرفي لبعضِ فقرات العهد الجديد التي تشير الى الشياطينِ كالحادثة التي وقعت في بلاد كادارناس Gadarnes (انظر اعلاه صفحة ٣٤٢) حيث يفترض انه ارسل حشد من الشياطين في قطيع من الخنازير . وهناك ايضا امثولة (كما يعتبرها الكاتب) للشيطان الذي طرد وعندما عاد وجد مسكنه القديم وحشوده البشرية السابقة قد كنست وزينت ، لذا سكن هناك مرة ثانية مع سبعة شياطين اخرين اكثر سوءا منه (انجيل متى ١٢ : ٤٣ ــ ٤٥ انجيل لوقا : ١١ : ٢٤ ــ ٢٦) . ومع ذلك فان مثل هذه الافكار تعكس ببساطة الافكار التي سادت اليهودية فيما بعد والتي ظهرت فيها العفاريت بشكل اكثر بسبب التاثير البابلي القوي الذي تعرضت له اثناء السبي . وان كانت هي فكرة سامية عامة ، قامت بدور بسيط في الافكار العبرية قبل السبي وان معظم الاشارات التي وردت قبل السبي الى المخلوقات الخارقة التي لم توصف بانها الهة تشير الى الهة قديمة تضاءلت تحت تاثير الدين الموسوي الى عفاريت : وما زالت هناك طقوس لمثل هذه الالهة التي انخفض مركزها بين الجهلة (سفر اللاوين ، الاصحاح : ١٧ : ٧ سفر التثنية ، الاصحاح : ٣٢ : ١٧) ولكنها لم تذكر اطلاقا بانها تهدد بالسيطرة على الانسان وان ما جاء في سفر التكوين الاصحاح الرابع : ٧ المذكور اعلاه هو استثناء للقاعدة العامة ، اذا ما قبل التفسير المقدم ، ولكن الاستثناء ناتج بوضوح عن تاثير مبكر من بلاد ما بين النهرين .

وعلى الرغم من ان العهد القديم لا يشير الا قليلا ، الى سيطرة العفاريت فربما كانت هناك تلميحات اكثر في النص العبرى الاصلي للسحر مما هو معروف عادة . وان ذلك لا يدل على اخفاء مقصود من جانب مترجمي النسخة المنقحة والمعوّل عليها ، بل الى عدم علمهم ببعض الكلمات العبرية او استعمالاتها غير المالوفة التي اصبحت واضحة في ضوء الدراسات اللغوية السامية المقارنة . لذا ربما كان بالامكان ترجمة ما ورد في سفر المزامير الاصحاح ٤٤ : ٢١ الذي جاء في النسخة المنقحة المعمول بها بشكل غريب على ضوء الابحاث المقنعة التي قام بها البروفسور كَولاومي A,Guillaume (Journal of The Royal Asiatic Society, 1942, pages 117 f) التي يمكن ترجمتها كما يلي :

هلا يقدر الذي يعقد التعويذ من ان يسحرك
الذي يدير الاذى ضد التمثال (المقدس) ؟

وكذلك ما ورد في سفر الامثال الاصحاح : ١٠ : ٣ ربما كان يعني في النص العبري الاصلي :

سوف لن يسمح الرب لروح الصالح ان تكون مسحورة ،
وان لعنة الشرير التي تقيده سيرميها بعيدا .

في حين يمكن ترجمة ما ورد في سفر الامثال الاصحاح : ١٠ : ١١ كما يلي :

ان نافورة الحياة هي (نتاج) فم الصالح ،
ولكن فم الشرير ينطق بالسحر الضار .

وهناك عدد لاباس به من الامثلة الاخرى ذات العلاقة في النص العبرى للعهد القديم وليس بالقليل من هذه الفقرات ما يستعمل نفس المفردات الفنية التي نجدها في النصوص الاكدية السحرية وتظهر جميعها التشابه الكبير بين الافكار مع السحر البابلي . وطالما لم يعترف المترجمون الانكليز بمثل هذه الفقرات عند الاصلاح الديني ، فليس لها تاثير مباشر على افكارنا الدينية ولكن من الممكن انها مع ذلك قد اثرت بشكل غير مباشرة على العالم الغربي . ففي اليهودية هناك اعتقاد تقليدي بالسحر كانت تفاصيله بشكل ربما اشتق اصلا من فقرات كالتي اشرنا اليها . لذا فان الاتصال باليهود ، المتاثرين انفسهم اصلا ببلاد ما بين النهرين بهذه الطريقة او غيرها ، هو احدى القنوات التي اعطت من خلالها الشكل الخاص الذي اخذته اخيرا بالخرافات الدينية التي كانت ذات

جذور ثابتة في اوربا في العصور الوسطى وعهد الاصلاح الديني (وبالتاكيد فان اللوم لا يقع على اليهود اصلا) .

ومن الافكار الدينية التي جاءتنا بسلسلة من المآثر المتصلة من الشرق الادنى القديم ، بعضها بواسطة الكتاب المقدس ، هي فكرة التتويج كما يذكر البروفسور كَاد C.J. Gadd (Ideas of Divine Rule in the Ancient East (1948) pages, 48f) 'لم يكن التاج في الشرق الادنى القديم مجرد رمز بل تميمة بقوتها السحرية الخاصة وكذلك كان الزيت الذي يدهن به الملوك ' وان هذه الافكار ظلت واضحة في مراسيم التتويج المتبعة بالنسبة للملوك الانكليز في القرن الحالي .

التنجيم والفلك والعد وتقسيم الوقت

ان احد اوجه الخرافات البابلية انتقلت الينا بالتاكيد عن طريق اليونان والرومان ، وان كان معروفا لدينا من خلال الكتاب المقدس . وان الخرافات موضوع البحث هو التنجيم ، وهو حماقة مازالت متاصلة في حضارتنا الخاصة كما يمكن الاستدلال على ذلك من المساحات المخصصة لها في بعض الصحف المحلية وفي المجلات الخاصة بالنساء . وكان الطالع يستنتج من انواع كثيرة من الاحداث في بلاد بابل . وكانت الدلالات على صنفين رئيسين . فهناك الدلالات التي توثر في افراد معينين تستنتج من الاحداث ، كالثعبان الذي يسقط من سقف الطين على منام الرجل ، والتي كان يقصديها ، حسب المنطق القديم ، شخص معين . وهناك تلك الدلالات التي لا تتعلق بفرد معين بشكل ظاهرى وكان يعتقد بانها تشير الى البلاد بصورة عامة او الى الملك باعتباره ممثلها الغامض . وان النوع الاخير من الطالع يعرف عادة 'الشرعي ' وكان التنجيم اصلا من هذا الصنف . وعلى ضوء النظرية البابلية الخاصة بالكون فقد كان واضحا ان الاحداث التي تقع في السماء مرتبطة بتلك التي تقع على الارض : وتنص قصة الخليقة بشكل خاص على ان الارض هي القسم المقابل للسماء لذا فان اي حدث في السماء لابد ان يكون له مقابل على الارض ، وحيث لم يكن في الفترات المبكرة علاقات ظاهرة معروفة بين الظواهر الفلكية وبين اي فرد معين ، لذا فان اية علاقة شؤم فلكية كان ينظر اليها بالضرورة بانها ذات علاقة بالشعب بصورة عامة .

ولم يكن الوصول الى الخطوة الاخيرة الى التنجيم المعتمد على الابراج السماوية حتى تم ابتداع بعض الاساليب الفنية التي مكنت من الربط بين الظواهر

الفلكية وفرد معين . ومن الوسائل الممكنة لعمل ذلك هي ملاحظة اي من الكواكب كان مرئيا واى منها كان مخفيا عند ولادة الفرد ، وهناك نص مسماري يشير الى ان ذلك كان متبعا قبل القرن الخامس قبل الميلاد . وعلى كل حال فان انتظام العملية النهائي في 'علم' ظل ينتظرحتى اختراع منطقة البروج ـــ الزودياك . ولم تخترع منطقة البروج لاغراض التنجيم ولكن ما ان تم اختراعها الا وكانت خطوة كبيرة ، للاستمرار من فكرة اعطاء تنبوأت عامة حول المستقبل على اساس الاجرام السماوية الى اعطاء تنبوأت حول الافراد وعلى اساس موقع الكواكب في منطقة البروج عند الولا دة . وما زالت تفاصيل كيفية الوصول الى هذه الخطوة غامضة جدا . وكان النقاش سابقا حادا حول ما اذا كان هذا التطور قد حدث في اليونان او مصر او في بلاد ما بين النهرين ولكل بلد ابطاله ، غير ان هناك اعتبارين اثنين يعطيان مجتمعين الاسبقية لبلاد بابل . فهناك الاعتبار النظري ان الفكرة لا يمكن ان تنشا الا في زمان حيث تعتبر الاجرام الفلكية مقدسة وموثرة في حياة البشر ، وهناك الحقيقة الواقعة ان الامثلة الاولى عن استطلاع الابراج السماوية المعروفة من بلاد بابل هي اقدم من تلك من بلاد اليونان او مصر ، وان المتفق عليه الان بصورة عامة بين مؤرخي العلوم ان الفكرة ظهرت فعلا لاول مرة في بلاد ما بين النهرين .

ويبين فاردن B.L.Van der Waerden ان هناك فكرتين يجب التفريق بينهما في مناقشة اصل منطقة البروج . الاولى هي دائرة البروج ، اي دائرة عرضها اثني عشر درجة تتحرك فيها الشمس والقمر والكواكب . وتقع في هذه الدائرة مجموعة البروج او 'علامات البروج' وقد اشار اليها النص البابلي mul APIN منذ عام ٧٠٠ ق.م. (انظر اعلاه صفحة ٤٩٩) وذكر خمسة عشر برجا فيها وان اسماء عدد من البروج المذكورة مطابقة لتلك التي مازالت مستعملة لعلامات البروج ، كالثور والتوائم والاسد والعقرب والرامي والجدي والفكرة الاخرى هي فكرة دائرة البروج التي حددت من قبل فاردن في(Archiv für Orientforschung, XVI, 216) 'بانها خط في وسط دائرة البروج ، وان فلك الشمس وموضع خسوف القمر مقسم الى اثنتي عشرة علامة برجية لكل منها ثلاثون درجة' . ويبين فاردن ان ذلك ايضا كان اختراعا بابليا استخدم عام ٤١٩ ق.م. على ادنى احتمال ، وقد نتج اصلا عن السنة التقويمية المستخدمة في نص mul APIN والمؤلفة من اثني عشر شهرا لكل شهر ثلاثون يوما .

وبابتكار الاثني عشر علامة برجية ذات العرض المتساوي . فان الشمس تبقى في كل من هذه العلامات مدة شهر تقويمي واحد .

وليس هناك استطلاع برجي اغريقي مبكر جدا ، فان اقدم ما هو معروف من بين ما يقرب من مائة وسبعون استطلاعا اغريقيا معروفا على ورق البردي والنقوش وفي الاداب الفلكية من الفترة الرومانية يعود الى عام ٦٢ ق.م. والاخر الى عام ٤ ق.م. او ما بعد ذلك . اما كشف الطوالع الديموطيقية المعروفة حتى الان من مصر فلا تذهب ابعد من النصف الاول من القرن الاول بعد الميلاد . وبخلاف ذلك فهناك نص مسماري معروف الان يتضمن قراءة طالع طفل ولد في ٢٩ نيسان من عام ٤١٠ ق.م. في حين هناك اربعة امثلة اخرى من القرن الثالث قبل الميلاد وقد قام البروفسور ساكس A.Sachs بترجمة مثال من عام ٢٦٣ ق.م. (Journal of Cuneiform Studies VI, page 57) كما يلي :

> (في) السنة ٤٨ (من العهد السلوقي في شهر) اذار ليلة الثالث والعشرون (؟) ، ولد الطفل . وكانت الشمس في ذلك الوقت في درجة ١٣ر٣٠ في برج الحمل ، والقمر في درجة ١٠ في برج الدلو ، والمشتري في بداية برج الاسد ، والزهرة مع الشمس ، وعطارد مع الشمس ، وزحل في برج السرطان ، والمريخ في نهاية برج السرطان ... ستنقصه الثروة.. وسوف لن يكفي طعامه جوعه . وسوف لن تستمر ثروة شبابه (؟) وسيكون له ثروة لمدة ست وثلاثون سنة وستكون ايامه طويلة [وهناك خمسة اسطر اخرى يصعب فهمها ومشكوك في تفسيرها] .

والتنجيم هو جزء من التراث البابلي الذي ربما حافظت عليه اوربا وهناك ما يقابل ذلك افكار عديدة اشتقت اصلا من الدورات الفلكية البابلية :

ويرجع الاسبوع اصلا الى تاثير بلاد ما بين النهرين وان كان هذا القول ليس كالقول بان الاسبوع هو من انظمة بلاد ما بين النهرين . فمنذ فترة مبكرة كان يحافظ على الطقوس الدينية في اليوم الاول من الشهر وفي اليوم الذي يكون فيه القمر كاملا . وفي يوم اختفائه ، اي في اليوم الاول والخامس عشر والثامن والعشرين (او التاسع والعشرين) . واصبحت فيما بعد ايام منتصف القمر كايام اعياد ، ويبدو ان التقسيم الناتج للشهر القمري في اربعة اقسام كان نموذجا للاسبوع كما استخدم من قبل اليهود ثم المسيحيين ثم المسلمين . (وهناك

نظرية اخرى مختلفة تماما حول اصل الاسبوع اليهودي تفترض ان الدين الموسوي كان تحت تاثير كنعاني قوي ، وان الكنعانيين هم قبيلة من الحدادين كان لهم تحريم قديم لاستعمال النار في اليوم السابع . وان هذه النظرية تهمل بعض الحقائق وتضم عدة نظريات غير مثبتة .)

ولا يقتصر ما تركته اساليب بلاد ما بين النهرين من اثار ما زالت واضحة في حضارتنا على التقويم بل على طريقة العد ايضا ، وبصورة خاصة فيما له علاقة بقياس الوقت . فالنظام الستيني السومري مازال يشاهد بشكل واضح في تقسيم الدائرة الى ٣٦٠ درجة وتقسيم الساعة الى ٦٠ دقيقة و ٣٦٠٠ ثانية ويمثل ذلك تقاليد متصلة جاءت من خلال علماء التنجيم القدماء وعلماء العصور الوسطى . وربما وصلت حضارتنا اهم خصائص نظام العد البابلي ، وهي قيمة المرتبة العددية ، من خلال تقاليد متصلة ايضا : ففي قيمة المرتبة العددية سبق وصفها بالتفصيل (انظر صفحة ٤٩٠ وما بعدها) كان الرقم الذي يكتب 𒐈 𒐖 اي : ٣ و٢ يعني ثلاث مرات ستين [الوحدة الستينية] مضافا اليها اثنين . ويبدو ان مبدأ قيمة المرتبة العددية البابلي لم يفقد نهائيا وانه انتقل الى علم الفلك الهندي حيث انتقل بواسطته في الالف الاول بعد الميلاد الى الحضارة الاسلامية ومن ثم الى حضارتنا فيما يتعلق بالارقام العربية حيث ظل الرقم ٣٢ يعني فيها ما يشابه ما كان يعنيه في النظام البابلي ثلاث مرات عشرة [الوحدة العشرية] مضافا اليها اثنين .

كما يعود جزئيا ايضا تقسيم اليوم الى ساعات الى بلاد ما بين النهرين . وكانت النتيجة النهائية في ذلك هي من نتائج تصادم التأثير المصري والبابلي . فقد استخدم الفلكيون المصريون والبابليون اساليب مختلفة لتقسيم اليوم . فالمصريون قسّموا الفترة من شروق الشمس حتى غروبها الى اثنتي عشر قسما فحصلوا على ساعات يعتمد طولها على الموسم . وقد فعل سكان بلاد ما بين النهرين الشيء نفسه تقريبا لذاقسُم الليل مثلا من غروب الشمس حتى شروقها الى ثلاث حراسات يضم كل منها ٢ بيرو **beru** وهي كلمة تترجم عادة 'ساعة مضاعفة' وان كان معناها بالنسبة لساعاتنا يختلف من حيث طول الفترة بالنسبة للموسم . ومع ذلك فقد قسم الفلكيون البابليون اليوم بكامله بما فيه الليل والنهار الى ستة اقسام ثانوية ذات اطوال متساوية وثابتة وفي فترة لاحقة اقتبس الفلكيون في الفترة الهلنستية طريقة تقسيم النهار والليل الى اقسام متساوية ولكنهم قسموا الاثني عشر بيرو على اثنين وجعلوا في الليل والنهار اربعة

وعشرون قسما ، كما في الاسلوب المصري ، ولكن كانت الاقسام ذات فترات متساوية وهكذا نسأت ساعات يومنا الاربع والعشرين .

ولا يقتصر تراث بابل على هذه الامور الفلكية العرضية بل ان الفلك نفسه — كما يحددة نويكَاباور O.Neugebauer بانه 'تلك الاجزاء من اهتمامات البشر في الظواهر الفلكية الخاضعة للمعالجات الرياضية ' (Journal of Near Eastern Studes IV,2) هو تراث من بلاد بابل . وفي الواقع انه كما يبين نوبكَاباور اكثر التراث جميعا جاءنا بشكل مباشر وانه الفرع الوحيد من العلوم القديمة الذي ظل على حالة تقريبا بعد سقوط الامبراطورية الرومانية . وقد تكلمنا بعض الشيء عن منطقة البروج سابقا (انظر صفحة ٥٤٩) وعن اكتشاف البابليين لطرق التنبؤ بواسطة مواقع الاجرام السماوية (صفحة ٤٩٩ وما بعدها) .

المفردات اللغوية

يظهر من ادلة المؤلفين التقليديين ان ممارسة الطب الاغريقي وبالتالي ممارسة الطب في العالم الحديث تدين الى مصر اكثر بكثير مما تدين به الى بلاد بابل . ومع هذا فمن المؤكد ان معرفة عدد من العقاقير (من اصول نباتية ومعدنية) التي استخدمت من قبل الاغريق لابد وانها جاءت من بلاد ما بين النهرين حيث ان عدد من الاسماء الاغريقية هي بوضوح كلمات اكدية دخيلة . ومن جملة الاسماء التي وصلت الى لغتنا في هذا الصنف (وغالبا بواسطة الاغريق) يمكن ذكر المفردات التالية :

الاكدي	الاغريقي	الانكليزي	العربي
Kharuba	Charrouba	Carob	خرنوب ، خروب
kurkanu	krokos	crocus	كركم
kamanu	Kuminon	cummin	كمون
gassu	gypsas	gypsum	جص ، جبس
zupu	hussopos	hyssop	حشيشة للزوفا
ladanu	ledanon	ladanum	لاذن صمع ال[illegible]
murru	murra	myrrh	مر
naptu	naphtaos	naphtha	نفط
azupiranu		saffron	زعفران

[جاء من خلال اللغة العربية زعفران]

ولا يمكن تقديم امثلة كثيرة لكلمات من اصناف اخرى جاءت من اللغة الاكدية او السومرية الى اللغة الانكليزية او اللغات الاوربية الحديثة الأخرى . وهناك محاولات دائمة في الوقت الحاضر لايجاد كلمات سومرية في اماكن غير متوقعة وبصورة خاصة في اللغة الهنغارية ولكن يمكن اغفال ذلك طالما انها تعتمد دائما على معرفة غير دقيقة باللغة السومرية وعلى فهم خاطيء بصورة عامة للتطور التاريخي للغة المقارنة بها . اما الكلمات الاوربية الحديثة التي ترتبط بشكل اكيد ، او لعلها ترتبط ، ببلاد ما بين النهرين فتضم المفردات التالية :

Alcohol من خلال الكلمة العربية كحل التي جاءت من الاكدية **كَحْلُ** guhlu . واستنادا الى فوربس R.J.Forbes (Studies in Ancient Technology, III (1955) p. 18) فان كلمة كحل كانت تعني اصلا 'مسحوق دقيق ' ثم اطلقت بعد ذلك على المواد المتطايرة ومن ثم على ما نطلق عليه كلمة كحول بصورة خاصة . Alkali من خلال اللغة العربية من الكلمة الاكدية **قَلاتِ** qalati 'الشيء المحروق ' (اشارة الى رماد النباتات التي كانت تحرق لعمل القلي (البوتاس)) .

Cane من خلال الاغريقية ، من الكلمة الاكدية **قانُ** qanu 'قصب ' . وقد جاءت كلمة Canon من نفس الكلمة في معناها المشتق الذي يعني 'عصا القياس ' 'مقياس ' . الكلمة الاغريقية chrusos 'ذهب ' ومشتقاتها الحديثة التي تبدأ chrys (مثال chrysalis التي تعني اصلا 'شيء من الذهب ' 'ذهبي ' ، chrysanthemum 'زهرة ذهبية ' لعلها ترتبط بالكلمة الاكدية **خراصُ** khurasu التي تعني 'ذهب ' ولعل للكلمتين الاكدية والاغريقية اصلا مشتركا ليس بسام ولا هندو — اوربي . Dragoman التي جاءت من خلال اللغة العربية والارامية من الكلمة الاكدية targumanu **تركَمانُ** . Horn (باللاتينية Cornu والاغريقية keras لعلها مرتبطة بشكل بعيد بالكلمة الاكدية karnu **قرنُ** التي لها نفس المعنى ، ولعلها تمثل كلمة اخرى لم يكن اصلها قبل العصور التاريخية ساميا او هندو— اوربيا . Jasper اشتقت من الاغريقية 'iaspis وهي من الكلمة الاكدية iashpu والكلمة الفرنسية mesquin والايطالية meschino التي تعني 'فقير ' 'بخيل ' هي اشكال مشتقة من الكلمة العربية التي تعتبر بدورها مشتقة اصلا من الكلمة الاكدية **مشكينُ** mushkenu 'رجل حرمن طيقة دنيا ' .

Mina جاءت اصلا من اللغة السومرية MA.NA او (كما يبدو) ان الكلمة

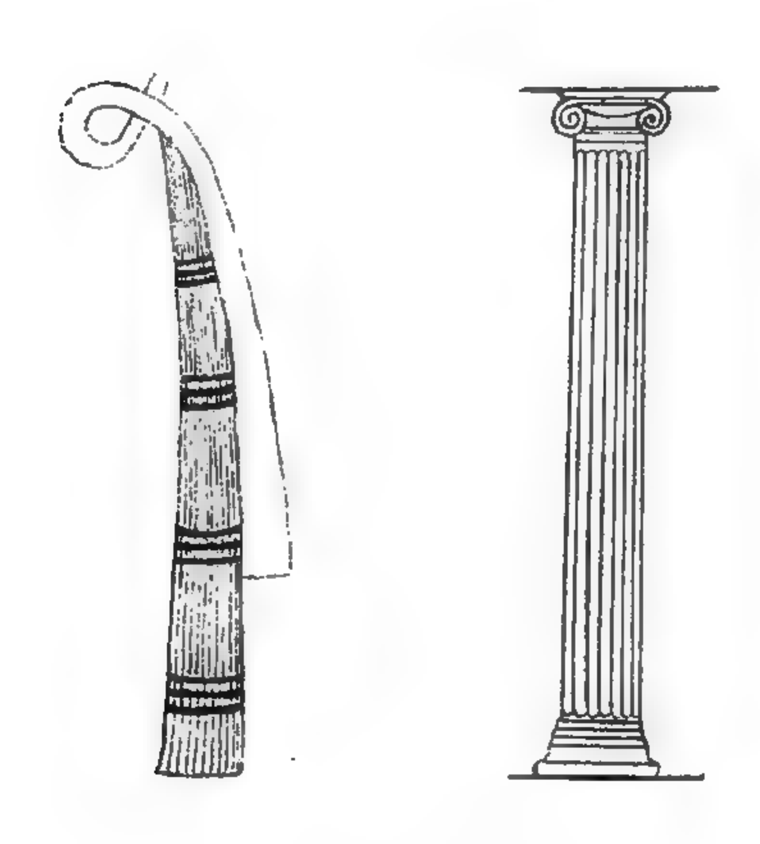
السومرية هي كلمة رمزية مزيفة تمثل كلمة سامية اصلية مشتقة من الفعل manû مانُ 'يعد' في اللغة الاكدية . ولم توخذ كلمة mina الى اللغة الاغريقية فحسب بل ان وحدة الوزن نفسها اخذت في نظام الموازين الاغريقي لذا فان كل ستين منا كما في بلاد بابل طالنا واحدا .

Plinth جاءت من الكلمة الاغريقية plinthos 'اجرة ، طابوقة ' التي اشتقت بدورها من الكلمة الاكدية لبتُّ libittu (لغويا لِبنْتُ libintu) وتعني اجرة مفخورة (مجففة)
الاسم Rachel جاء من العبرية Rahel 'صغير النعجة ' الذي ، اذا ما غيرت اماكن حرفين من حروفه تعود اخيرا الى السومَرية LAHARA وهو اسم اله له علاقة بالغنم .
shekel جاءت من خلال العبرية من الاكدية «شِقْلُ» shiklu وربما اشتق نوعان من الفاكهة اسميهما بالاوروبية من بلاد ما بين النهرين مما يشير الى انهما وصلتا اوربا بعد زراعتهما في بلاد ما بين النهرين . احداهما هي المشمش .

وتعرف هذه الفاكهة في اللاتينية باسم armeniaca التي كانت تعتبر سابقا بانها تشير الى ارمينيا وانها جاءت منها . ومع ذلك ، فحيث ان المشمش كان معروفا لدى الاشوريين والبابليين تحت اسم ارمانُ armanu فيحتمل ان الاسم اللاتيني هو كلمة دخيلة من الكلمة الاكدية وان الفاكهة والشجرة وصلت من بلاد ما بين النهرين . ومن اشجار الفاكهة الاخرى التي عرفها سكان بلاد ما بين النهرين هي الكرز cherry والفستق pistachio والتين fig والتفاح apple والرمان pomegranate والخوخ Peach والمشمش medlat والسفرجل quinee والنارنج citron والليمون Lemon والتوت mulberry وتاتي الادلة على ذلك من النصوص بالنسبة للنوعين الاخيرين من بقايا وجدت اثناء التنقيبات ومن المستحيل في الوقت الحاضر ان تقرر ايا من هذه كانت قد جلبت اولا للزراعة في بلاد ما بين النهرين ، ولكن من الموكد ان عددا من الملوك الاشوريين اظهروا اهتماما خاصا بالنباتات وجلبوا اشجارا غريبة ونباتات في حدائقهم . ويبدو ان الكرز (الاسم باللغة الاكدية كرشُ الذي يدل في الواقع على انواع ذات رائحة طيبة من اشجار الكرز التي وجدها الاشوريون في الجبال الكردية) هي الفاكهة الوحيدة الى جانب المشمش التي جاءت اسماؤها الاوربية من اللغة الاكدية (في الاغريقية kerasos وفي الالمانية kirsche الخ..)

العمـــارة :

من الامثلة على تراث بلاد ما بين النهرين المعماري الذي انتقل عن طريق الاغريق هو العمود الايوني . وهو طراز من الاعمدة ذي خطوط غائرة عميقة ومعوج بتاج ذي حلزونات جانبية ولعل الشكل الاصلي الذي تطور عنه هذا العمود هو ما كان يستخدم كرمز ديني في فن العهد الشبيه بالكتابي . وكان هذا الرمز اصلا عبارة عن حزمة من القصب الطويل مربوط وقد ربطت رؤوسها الى بعضها . واستخدمت هذه الحزم من القصب كاعمدة في بنايات خاصة بالطقوس الدينية وما زالت الطريقة الاصلية تستخدم في عمل الاكواخ لدى عرب المستنقعات في جنوبي العراق .



عمود ايوني واصوله

رموز الفن الديني :

من الممكن تتبع اثار بلاد ما بين النهرين في كل من الفن المسيحي والاسلامي ولو انه لا يمكن الافتراض ان اي رمز او طراز معروف للقدماء

وكذلك للديانات التالية بالضرورة اقتباس مباشر وكلما كان شكل الرمز اكثر بساطة كلما كان اثبات علاقته بالقدم اصعب . ومن الامثلة على ذلك الصليب والهلال فكلاهما كانا معروفين كرموز دينية في بلاد ما بين النهرين وكان الهلال شائعا جدا ، في حين كان الصليب اقل شيوعا من ذلك غير انه معروف . ومع هذا فان الصليب الاغريقي البسيط قد يكون قد تطور بشكل مستقل كرمز ديني في ظروف مختلفة . وتختلف الحالة بالنسبة للصليب المالطي الاكثر تفصيلا ، ومن الصعب اعتبار حقيقة وجوده كرمز ديني في عصر جمدة نصر (حوالي ٢٩٠٠ ق.م) بالشكل نفسه الذي نجده في الفن المسيحي الشرقي مجرد مصادفة . ومن المؤكد ان الصليب بشكله المالطي (انظر لوحة ١٢٧آ) كان رمزا دينيا قديما اقتبسته المسيحية فيما بعد (وهناك ايضا رمزان اخران يهوديان يمكن ارجاعهما الى فن بلاد ما بين النهرين وهما المنورة menorah او الشمعة الدينية ومجن داود او درع داؤد التي وجدت مجتمعة على ختم اسطواني اشوري قديم من بداية الالف الثاني قبل الميلاد .

ويكون التشابه في بعض الحالات بين الطرز المعقدة في بلاد ما بين النهرين وبين الفن المسيحي غريبا جدا . ويعترف مورخي الفن المسيحي بصورة عامة ببعض تاثيرات بلاد ما بين النهرين وان نقطة الجدل الرئيسة بين هولاء لا تتعلق بالاعتراف بتاثير بلاد ما بين النهرين ولكن بالاسلوب الذي جاء خلاله ذلك التاثير الى الفن البيزنطي وفن العصور الوسطى في اروبا .

ومن الرموز الدينية التي جاءت دون شك وبشكل مباشر من الشرق القديم هي شجرة الحياة . وقد وجدت هذه في بعض الفنون السومرية المبكرة واستمرت خلال تاريخ بلاد ما بين النهرين وبرزت بشكل واضح في الافاريز الاشورية من الالف الاول قبل الميلاد (انظر لوحة ٣٢) كما وجدت فكرة

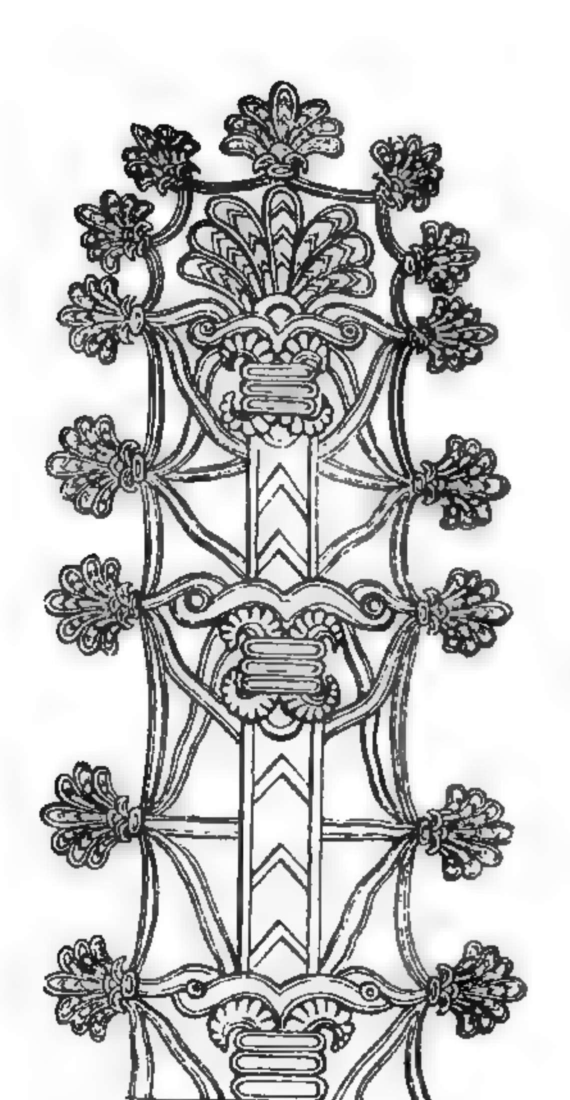
وعشرون قسما ، كما في الاسلوب المصري ، ولكن كانت الاقسام ذات فترات متساوية وهكذا نشأت ساعات يومنا الاربع العشرين .

ولا يقتصر تراث بابل على هذه الامور الفلكية العرضية بل ان الفلك نفسه — كما يحدده نويگاباور O.Neugebauer بانه 'تلك الاجزاء من اهتمامات البشر في الظواهر الفلكية الخاضعة للمعالجات الرياضية ' (Journal of Near Eastern Studies IV, 2) هو تراث من بلاد بابل . وفي الواقع انه كما يبين نوبگاور اكثر التراث جميعا جاءنا بشكل مباشر وانه الفرع الوحيد من العلوم القديمة الذي ظل على حالة تقريبا بعد سقوط الامبراطورية الرومانية . وقد تكلمنا بعض الشيء عن منطقة البروج سابقا (انظر صفحة ٤٩٠) وعن اكتشاف البابليين لطرق التنبؤ بواسطة مواقع الاجرام السماوية (صفحة ٤٥٧ وما بعدها) .

اي : ٣ و ٢

كان الرقم الذي يكتب يعني ثلاث مرات ستين [الوحدة الستينية] مضافا اليها اثنين . ويبدو ان مبدأ قيمة المرتبة العددية البابلي لم يفقد نهائيا وانه انتقل الى علم الفلك الهندي حيث انتقل بواسطته في الالف الاول بعد الميلاد الى الحضارة الاسلامية ومن ثم الى حضارتنا فيما يتعلق بالارقام العربية حيث ظل الرقم ٣٢ يعني فيها ما يشابه ما كان يعنيه في النظام البابلي ثلاث مرات عشرة [الوحدة العشرية] مضافا اليها اثنين .

كما يعود جزئيا ايضا تقسيم اليوم الى ساعات الى بلاد ما بين النهرين . وكانت النتيجة النهائية في ذلك هي من نتائج تصادم التأثير المصري والبابلي . فقد استخدم الفلكيون المصريون والبابليون اساليب مختلفة لتقسيم اليوم . فالمصريون قسّموا الفترة من شروق الشمس حتى غروبها الى اثنتي عشر قسما فحصلوا على ساعات يعتمد طولها على الموسم . وقد فعل سكان بلاد ما بين النهرين الشيء نفسه تقريبا لذا سُم الليل مثلا من غروب الشمس حتى شروقها الى ثلاث حراسات يضم كل منها ٢ بيرو beru وهي كلمة تترجم عادة'ساعة مضاعفة ' وان كان معناها بالنسبة لساعاتنا يختلف من حيث طول الفترة بالنسبة للموسم . ومع ذلك فقد قسم الفلكيون البابليون اليوم بكامله بما فيه الليل والنهار الى ستة اقسام ثانوية ذات اطوال متساوية وثابتة وفي فترة لاحقة اقتبس الفلكيون في الفترة هلنستية طريقة تقسيم النهار والليل الى اقسام متساوية ولكنهم قسموا الاثني عشر بيرو على اثنين وجعلوا في الليل والنهار اربعة



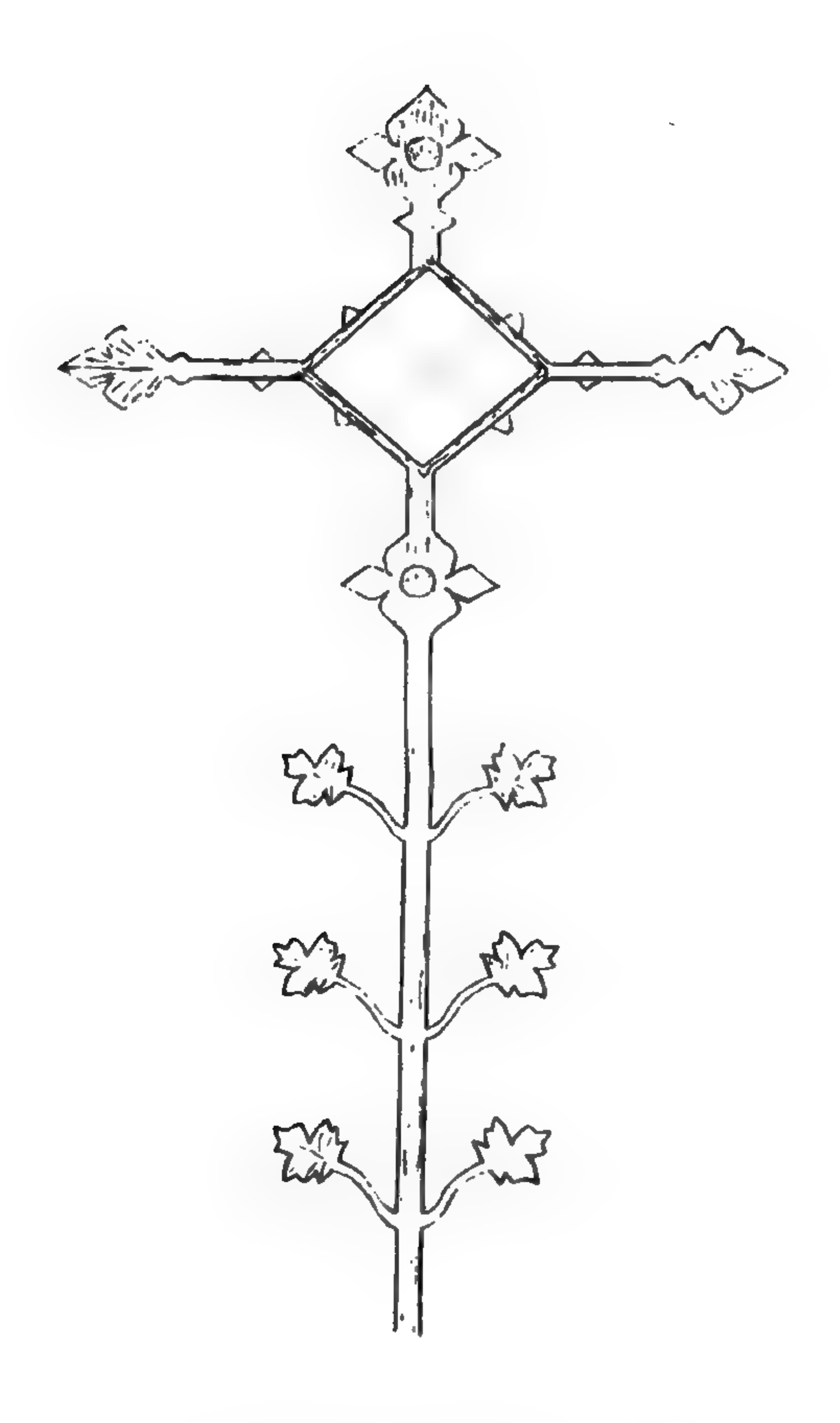
شجرة الحياة في سفر التكوين : الاصحاح الثالث : ٢٢ وقد مثل الرمز في السجاد الشرقي ووجد في الفن المسيحي منذ اقدم الازمنة .

وهناك عدد من الطرز الاخرى التي يعتبرها المختصون بتاريخ الفن بصورة عامة بانها جاءت الى الفن المسيحي نقلا عن بلاد ما بين النهرين اما بواسطة الفرثيين او من خلال رهبان الاودسا ونصيبين الذين استنادا الى دالتون O.M. Dalton (East Christian Art, (1925), page 9) من القرن الخامس ... اقرّوا التصوير المسيحي واعطوا للتعبير الفني قيما غير هلينية ...)

وكانت بعض هذه الرموز مرتبطة ببلاد ما بين النهرين بالاله تموز . وان الكاتب يحذر القراء غير المسيحيين من الاستنتاج السريع من ان المسيحية هي تاريخيا او عقائديا تطور عن عبادة الاله تموز فان ذلك الدور يخص عبادة الشمس Mithraism وهي عبادة معاصرة ومنافسة للمسيحية . وان رموز تموز قبلت على اعتبار انها تمثل بصورة عامة المنقذ الذي يموت ويبعث ثانية كما قبلت دائما اية فكرة سابقة للمسيحية تمثل الكفاح في الظلام بعد الوحي الذي جاء اخيرا الى المسيح (انظر سفر اعمال الرسل الاصحاح ١٧ : ٢٣) .

شجرة اشورية مقدسة

وان اللوحة ٥٧ ب ، وهي تفاصيل خلفية مشهد الصليب من عمل Jacques de Baerze (حوالي عام ١٣٠٠ م) مملوءة بالاساليب التي تبين التشابه مع بلاد ما بين النهرين . وليس هناك سبب يستوجب الافتراض ان هذه الاساليب قد اضيفت عند الترميم المعروف الذي تم عام ١٨٢٥ ، فرمز الشمس (الاشعة على الصليب) ورمز القمر والنجم ليس فيها نقاش في حين يبين الشيطان الصغير المجنح الذي يختطف روح اللص غير النادم نقاط تشابه واضحة مع العفريت



صليب على هيئة شجرة مقدسة،
مقتبس من نموذج نحاسي في كاتدرائية انكليزية

البابلي المعروف باسم بزوزو Puzuzu (انظر حول ذلك مقالة الكاتب في Archiv für Orientforschung XIW (1960), pages 123-127)

ولا تظهر الطرز المنفردة في الفن المسيحي بل بعض الاساليب ايضا المنقولة من بلاد ما بين النهرين . وهناك ميزتان من مزايا الاسلوب بصورة خاصة تقع ضمن هذا الصنف . الاولى هي استخدام المنظور الافقي ، اي وضع مشاهد خلفية فوق مشاهد امامية ، والأخرى هي اسلوب استخدام المقاييس المختلفة حيث تظهر فيها الشخصية الرئيسة في المشهد بحجم كبيرة بالنسبة للشخصيات الاخرى . وحتى اسلوب تمثيل المسيح يظهر احيانا في الفن المسيحي تاثير بلاد ما بين النهرين . ويبين البرفسور ـ تالبوت رايس D.Talbot Rice في (Byzantine Art (revised edition, 1954), page 81)

ان هناك تقليدين موجودين في الفن البيزنطي . فتحت التاثير الهيليني مُثّل المسيح بشكل شاب وسيم ولكن في التمثيل الشرقي يظهر بلحية وذا شخصية غامضة مع الخصائص الجليلة الخاصة بالهة بلاد ما بين النهرين القديمة .

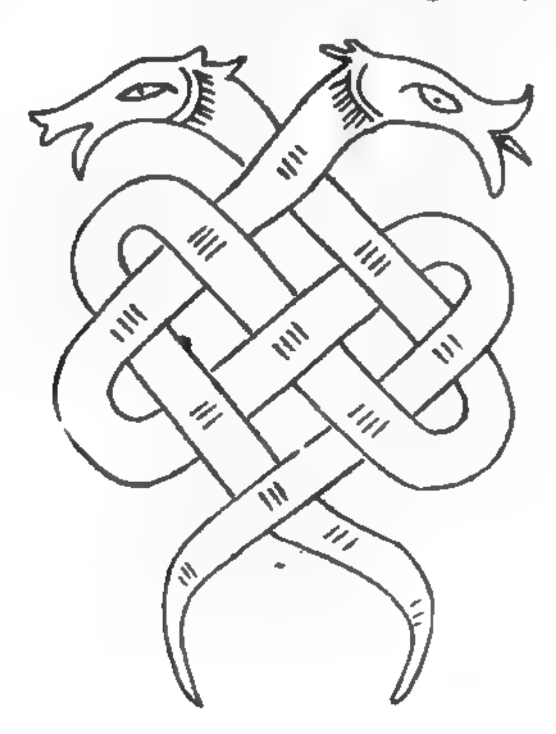
واستنادا الى كروزويل K.A.C. Creswell حجة الفن الاسلامي ، تظهر بعض المنائر الاسلامية الاولى وبعض الابراج الاخرى تاثيرات بلاد ما بين النهرين . وابرز منارة هي المنارة الملوية في سامراء التي شيدت بين عامي ٨٤٩ و٨٥٢ ، ومازالت قائمة . ويظهر المخطط فكرة عن مظهرها بشكل تقريبي .



ملوية سامراء

ان شكل هذه المنارة مستند ، استنادا الى كريزوليل ، بشكل (Early Muslim Architectures II page 261) مباشر على الزقورة ولو ان مخطط

المنارة دائري بدلا من ان يكون مربعا . وقد انتشر استخدام هذه الابراج الملوية في العالم الاسلامي بعد ذلك الى الصين حيث استخدم الفن المعماري نفسه بين القرن الحادي عشر والثالث عشر .



الثعابين الملفوفة في الفن الاسلامي

وقد كانت هناك محاولة لاثبات ان كثيرا من الاساليب الفنية الاسلامية هي بقايا من اساليب بلاد ما بين النهرين غير ان الكاتب لا يرى بصورة عامة ذلك مقنعا تماما (وربما بسبب الجهل بالفن الاسلامي) ولكن هناك تشابه بارز واحد هو الثعابين الملتفة المرسومة اعلاه (من حوض اسلامي من القرن الخادي عشر) التي تذكرنا بثعابين اللوحمة ١١آ التي تمثل غطاء مسرجة من نهاية الالف الثالث قبل الميلاد .

ان رمز الثعابين الملتفة قد انتقل بالتاكيد من القديم الى العالم الحديث طالما انه في كلا البيئتين يمثل رمز الشفاء . وفي بلاد بابل كان الرمز مرتبط بالاله نن كزدّا Ningizzida حامي الشفاء المقدس (انظر صفحة ٦٣ في حين يرتبط في العالم الحديث بالصيدلية .

الادب والاساليب الادبية والتراث الشعبي

من بين الاساليب الادبية يمكن ارجاع الحكايات الخرافية الى بلاد ما بين النهرين وان كان طراز قصة 'الفيل والبعوضة ' وليس المناظرات القصصية التي

يجب ان تعتبر اصل حكاية الايسوبيان Aesopian وقد اخبر الكاتب السيد مندي Mr.C.S. Mundy المحاضر الاقدم في اللغة التركية في جامعة لندن ان هناك قصة مطابقة تقريبا لقصة (الفيل والبعوضة) في التراث الشعبي في تركيا الحديثة (انظر اعلاه صفحة ٤٨٨) .

وهناك كثير من مظاهر التراث الشعبي والاقوال الشعبية التي يصعب غالبا اثبات او عدم اثبات انتقال الافكار فيها . فعندما يكون هناك مادة مشتركة بينها يمكن ان تفسر بطريقتين . فقد يمكن اعتبارها تشابه في اسلوب التفكير (وقد يكون بحد ذاته ناتج عن التقاليد الثقافية التي لم تمت تماما) او قد تكون تقاليد مباشرة مستمرة . ويمكن الاستدلال ببعض اوجه التشابه وان لم يكن هناك راي مقدم حول ما اذا كانت هناك اية علاقة تتعدى التشابه السيكولوجي بين البشر قديما وحديثا .

فان المبدأ القائل في التراث الشعبي الحديث 'ان الاحلام تفسر بالعكس' معروف جدا وقد فكر الاشوريون بالأسلوب نفسه .

اذا تحدث الاله (في الحلم) امام الرجل بالبركة..
فسيصيبه غضب الاله . واذا تحدث الاله بلعنة ضد الرجل
فستقبل صلواته . المختلفة .

وكانت صفات الحيوانات المختلفة في فكر بلاد ما بين النهرين مشابهة لما هي عندنا . فكان النسر ملك الطيور كما هو لدينا وكان له شهرة لا يستحقها في طيرانه العالي ، وكان للثعلب شهرة بالمكر ، وكان يعتقد بان الحية لا تكبر ابدا ، وهو اعتقاد ما زال موجودا في انحاء كثيرة من اوربا ، كما كان التصور البابلي للمخلوق ، الذي يطلق عليه اسم فرس النبي المصلي ' ، مشابه لما هو لدينا حيث اطلقوا عليه اسم 'كاهن السؤال في الريف ' .

والى جانب القصص التي يعود اصلها الى بلاد ما بين النهرين (وبصورة خاصة قصة الطوفان) التي جاءت الينا من خلال الكتاب المقدس ، هناك قصص اخرى معروفة لدينا من خلال المآثر الاغريقية . واشهر تلك القصص هي قصةهرقل الذي يعتبر بانه يدين كثيرا بصورةعامة الى قصص جلجامش السومرية البابلية . وقد ثبتت تفاصيل التشابه بين جلجامش وهرقل بجدول من قبل روبرت كَريفز ، (Robert Graves, The Greek Myths (1955), vol II, p89 ، وان لم يكن لبعض التشابه المفترض اصل . والى جانب شخصية هرقل نفسه هناك خصائص كثيرة اخرى في الاساطير الاغريقية التي يبدو انها اصداء لملحمة جلجامش ، فهناك مثلا الحية ونبات الحياة السحري (The Greek Myths,

(Vol.I, page 304) التي تذكرنا بالحية التي سرقت نباتا 'يصبح الرجل المسن شابا' (انظر اعلاه صفحة ٤٣٥) من جلجامش . وكذلك العقرب العملاق المسؤول عن موت اوريون Orion بعد رحلته الى مكان شروق الشمس يذكرنا بالرجال العقارب الذين وجدهم جلجامش في حافة العالم في طريقه الى جده (انظر اعلاه صفحة ٤٢٧)

ومن الاساطير الاغريقية الاقل شهرة التي ربما كان لها علاقة بعيدة ببلاد ما بين النهرين هي تلك التي رواها هسيود Hesiod حول اورانس Ouranos (السما) . فقد نامت اورانس مع كَيا Gaea 'الارض' ولكنها لم تسمح لتيتانس Titans الذي اصبحت حامل بها تولد . واخيرا وعندما تقدمت اورانس الى كَيا Gaea طعن احد التيتانس اورانس بسكين من الصوان بتحريض منها . وان هذا التمرد ضد اورانس بواسطة الة من الصوان لعله يمثل صدى ضعيفا للاسطورة البابلية التي تمرد فيها الصوان ضد الاله ننورتا ونظرا لقوته فقد قدّر عليه التقشر . وربما انتقلت هذه الاسطورة (ولعل الاخرى التي ذكرت ايضا) من بلاد ما بين النهرين الى بلاد الاغريق بوساطة الحثيين حيث لديهم اسطورة لاله يعض عضو تناسل الاله المقابل لاورانس .

لقد قيل بان اهم ميزتين في الافكار الغربية الحديثة هي انها علمية وتاريخية . اما في بلاد ما بين النهرين فعلى الرغم من انها اعطتنا كثيرا من اساليبنا الغنية واسس رياضياتنا وفلكنا الا انه لا يمكن ان تعطي فضل اعطائنا الاسس لحياتنا الحديثة . ولكن احدى قوى عاداتنا التاريخية الحديثة في التفكير قد تكون مشتقة اصلا من بلاد ما بين النهرين . فعندما يبحث المرء من بداية التاريخ يعتمد ذلك على ما هو مقصود من المصطلح . فاذا كان المرء يفكر به بانه الرغبة في معرفة الاصول وتطور المجتمع البشري فان بالامكان ان يحدده في الاساطير السومرية والبابلية الاولى ولكن اذا كنا نعني بالتاريخ' شيئا اكثر تخصصا ، اي الوعي بربط الحاضر بالماضي ، عندئذ يكون التاريخ من خلق الاشوريين كما اشار الى ذلك عالم امريكي H.Lewy في مؤتمر الاشوريات الذي عقد في جنيفا في حزيران ١٩٦٠ ولو انه بالطبع ربما يظهر في بعض الحالات وبشكل مستقل خارج بلاد ما بين النهرين ، كما هي الحال في سجلات بلاط داود التي تعتبر خلفية لكثير من اسفار صموئيل .

ففي بلاد ما بين النهرين كانت النصوص الملكية اصلا نصوصا للابنية ، ظلت في بلاد بابل حتى النهاية . وفي النصوص النموذجية يذكر الملك اسمه والقاية وترنيمة تمجيد باسم الاله واشارة مختصرة للوقت والظروف التي شرع

فيها بالبناء ومن ثم شرح لعملية البناء نفسها . وفي بلاد اشور في الالف الاول قبل الميلاد حوالي ١٣٠٠ ق.م. بدأ الملوك يفصلون في ملاحظاتهم للوقت ، فلا يعطون اشارة الى الحادثة التي سبقت مباشرة وادت الى عملية البناء بل ومختصر لجميع انجازات الملك العسكرية حتى ذلك التاريخ . واصبحت تلك النصوص بعد ذلك بفترة قصيرة تنظم بشكل مرتب استنادا الى الحملات السنوية واخيرا تطورت الى شكل حوليات مفصلة ، كما هي معروفة في نصوص الحكام الاشوريين من الالف الاول قبل الميلاد . ولم تكن مثل هذه الحوليات تقتصر في كثير من الحالات على ذكر الحقائق المجردة بل شملت الدوافع والانتقادات لسير الاجراءات وتقويم الاخلاق وملاحظات عن التغيرات السياسية وعموميات عن تاريخ الاقليم او خصائص الجنس والامور التي ، وان كانت ليست تاريخية بشكل اساس الا انها مرتبطة بصورة عامة بالتاريخ ، كالجوانب الجغرافية والطوبوغرافية والستراتيجية والتكنيكية للحملات . لذا يمكن اعتبار الاشوريين بحق بانهم اول المورخين ، وان كان امر اعتبار مؤرخينا على انهم مرتبطون بهم في تقليد متصل ومرتبط بالاغريق هو امر اخر . ومع هذا فان احتمال تاثير المؤرخين الاغريق بشكل مباشر بنظرة الاشوريين التاريخية حقيقة واقعة .

ويبدو ذو اهمية ان المؤرخ الاغريقي هيرودتس المشهور بابي التاريخ من القرن الخامس قبل الميلاد زار بلاد ما بين النهرين نفسه . وان لم تكن بلاد اشور حينئذ موجودة كوحدة سياسية قائمة غير ان اساليب التفكير لم تكن قد اندثرت بهذه السهولة وربما وقع هيرودتس من خلال العلماء البابلين المتاخرين الذين ورثوا التقاليد ، تحت تاثير فلسفة التاريخ الاشورية .

وهناك كثير من وجهات النظر الاخرى والممارسات واساليب التفكير التي يمكن للمرء ان يجد فيها تشابها بين الحياة المعاصرة وتلك في بلاد ما بين النهرين ولكن هناك قليل من العلماء من لهم معرفة دقيقة بتاريخ الحضارة لفترة الالفين وخمسمائة سنة التي تفصل بين الاثنين بحيث ان ما كتب عن بعض الامور قليل جدا . فمثلا اخبر احد المتخصصين بتاريخ القانون الكاتب ان القانون الخاص بالرهن يرجع اصلا بالتاكيد الى الشرق القديم عن طريق ممارسات الاديرة ، ومرابي العصور الوسطى من اليهود غير ان ذلك لم يثبت رسميا بواسطة البحث وهناك امثلة كثيرة اخرى لعلها تدين ، وان كان ذلك غير مثبت نهائيا بعد لبلاد ما بين النهرين في تنظيم حياتنا العائلية . فقد وضع هيكله

في بلاد ما بين النهرين . فخلافا لكثير من المجتمعات الشرقية بما فيها اليهود حتى القرن الثاني عشر بعد الميلاد والمسيحيين حتى الوقت الحاضر ، كانت العائلة في بلاد ما بين النهرين (باستثناء حالة الملك الخاصة) احادية الزوجة كما هي في حضارتنا الغربية ، ومع ذلك فقد كانت النساء في الواقع يتوقع منهن ان يكنّ وحيدات الازواج اكثر من الرجال.

المراجع

ان في قائمة المراجع هذه محاولة تهدف الى شيئين هما : اولا اعطاء فكرة عن المصادر الرئيسة التي استخدمت لاعداد هذا الكتاب وثانيا لذكر بعض البحوث المهمة المتوفرة للطالب الراغب في الاستمرار بالبحث في بعض المواضيع المعينة . وقد حدف عدد من البحوث المتخصصة المستخدمة في هذا الكتاب كالمقالات الخاصة ببعض المسائل النحوية والمعاجم او تسلسل التآريخ ومعظم تقارير التنقيبات ومطبوعات معينة (واحيانا نسخا من) النصوص المسمارية اذ ليس من المحتمل ان يحتاج اي قارىء لديه الاستعداد للاستفادة من مثل هذه البحوث المتخصصة الى ارشاد للوصول الى المصادر المستخدمة وقد اهملت بعض البحوث القليلة وبصورة خاصة بعض الكتب التي تعالج النظريات المتعلقة باصل السومريين عن قصد حيث قد تكون سببا في ارباك القراء غير المتخصصين الذين لا يستطيعون تدقيق المصادر الاساسية* .

استخدم الرمز + امام عدد من البحوث التي تكوّن وحدة متكاملة بنفسها وقد تكون مفيدة بصورة خاصة الى القراء الذين يريدون متابعة قراءة بعض المواضيع المعينة وليس لديهم معرفة بالتخصص الدقيق وان ذلك لايعني بالضرورة ان البحوث غير المؤشرة هي اما متقدمة او لا يعتمد عليها .

وقد طبعت عناوين الكتب والدوريات والمسلسلات بالحروف المائلة في حين طبعت عناوين المقالات المنشورة في الدوريات بحروف اعتيادية .

مراجع عامة

†Albright, W. F.: *From the Stone Age to Christianity* (Doubleday Anchor Books, New York; 2nd edition, 1957).

Andrae, W.: *Babylon, die versunkene Weltstadt und ihr Ausgräber Robert Koldewey* (Walter de Gruyter & Co., Berlin, 1952).

†Budge, E. A. W.: *The rise and progress of Assyriology* (Martin Hopkinson, London, 1925).

†Burrows, M.: *What mean these stones?* (New Haven, 1941).

†Bury, J. B. and others (editors): *The Cambridge ancient history*, volumes I-III (University Press, Cambridge, from 1925). [Volume I in particular is now very antiquated and a completely new edition, with the relevant section under the editorship of C. J. Gadd, is on the point of publication].

†Cameron, G. G.: *History of early Iran* (University of Chicago Press, 1936).

†Chiera, E.: *They wrote on clay* [Edited by G. G. Cameron] (Phoenix Books, University of Chicago Press, 1959).

†Cory, I. P.: *Ancient fragments of the Phoenician, Chaldaean, Egyptian . . . and other writers* (London, 1832). [Of interest in reflecting the little that was known of Assyro-Babylonian civilization before the beginning of excavations just before the middle of the nineteenth century].

†Driver, G. R.: *Semitic writing from pictograph to alphabet* (University Press, Oxford; revised edition, 1954).

Dussaud, R.: *La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam* (Paris, 1955).

Ebeling, E. and others (editors): *Reallexikon der Assyriologie* (Walter de Gruyter & Co., Berlin, from 1932). [Volumes I and II appeared before the Second World War. Publication was resumed in 1957, and two parts of volume III have now appeared, a third part being under preparation].

Ehrich, R. W.: Culture area and culture history in the Mediterranean and the Middle East (=page 1-21 in Weinberg, S.S. (editor): *The Aegean and the Near East*, 1956).

†Finegan, J.: *Light from the ancient past* (Princeton University Press, Princeton; Oxford University Press, London; 2nd edition, 1959).

†Friedrich, J.: *Entzifferung verschollener Schriften und Sprachen* (Springer-Verlag, Berlin/Göttingen/Heidelberg, 1954).

Gelb, I. J.: *A study of writing and the foundations of Grammatology* (Routledge and Kegan Paul, London, 1952).

Hommel, F.: *Ethnologie und Geographie des alten Orients* (Munich, 1926).

Kraus, F. R.: *Wandel und Kontinuität in der sumerisch-babylonischen Kultur* (Leiden, 1954).

Kraus, F. R.: Altmesopotamisches Lebensgefühl (*Journal of Near Eastern Studies* 19 (1960), 117-132).

†Mallowan, M. E. L.: *Twenty-five years of Mesopotamian discovery* (British School of Archaeology in Iraq, London, 1956).

---

* لقد طبعت قائمة المراجع التي تهدف الى الكمال في المواضيع ذات العلاقة بعلم الاشوريات بين حين واخر في مجلة Archiv für Orientforschung and Orientalia وللفترة من ١٩٥٤ فصاعدا هناك ايضا : **Bibliographie Analytique de l'Assyriologie et de l'Archéologie du Proche-Orient, edited by L.Vander Berghe and B.A. van Proosdij E.J.Brill, Leiden** الذي طبع من قبل التي ظهر منها حتى الان ثلاثة اجزاء (اثنين خاصين بعلم الاشوريات والاخر بفقه اللغة) .

MEISSNER, B.: *Babylonien und Assyrien* (Two volumes. Carl Winters Universitätsbuchhandlung, Heidelberg, 1920 and 1925).
MEYER, E.: *Geschichte des Altertums* (Five volumes in nine. Stuttgart and Berlin, 1925–58).
MOSCATI, S.: *Ancient Semitic civilizations* (Elek Books, London, 1957).
†MOSCATI, S.: *The Semites in Ancient History* (University of Wales Press, Cardiff, 1959).
†OLMSTEAD, A. T. E.: *History of Assyria* (New York, 1923).
PALLIS, S. A.: *The antiquity of Iraq* (Copenhagen, 1956).
†PARROT, A.: *Archéologie mésopotamienne; les étapes* (Albin Michel, Paris, 1946).
†PARROT, A.: *Archéologie mésopotamienne; technique et problèmes* (Albin Michel, Paris, 1953).
†PRITCHARD, J. B. (editor): *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament* (Princeton University Press, 2nd edition, 1955).
†SCHMÖKEL, H.: *Geschichte des alten Vorderasien* (Brill, Leiden, 1957).
†SEMPLE, E. C.: *The geography of the Mediterranean region; its relation to ancient history* (Constable, London, 1932).
SODEN, W. VON: *Der Aufstieg des Assyrerreiches als geschichtliches Problem* (Leipzig, 1937).
SODEN, W. VON: *Herrscher im alten Orient* (Berlin, 1954).
SODEN, W. VON: Aufstieg und Untergang der Grossreiche des Zweistromgebietes (Sumerer, Babylonier, Assyrer) (=page 37–64 in W. F. Mueller (editor): *Aufstieg und Untergang der Grossreiche des Altertums* [*circa* 1958]).
SPEISER, E. A.: Ancient Mesopotamia (=pages 35–76 in Dentan, R. C. (editor): *The idea of history in the ancient Near East. American Oriental Series* 38; Yale University Press, New Haven and Oxford University Press, London, 1955).
STAMM, J. J.: *Die akkadische Namengebung* (*Mitteilungen der vorderasiatisch-aegyptischen Gesellschaft* 44, 1939).
UNGER, E.: *Babylon; die heilige Stadt nach der Beschreibung der Babylonier* (Walter de Gruyter, Berlin, 1931).
UNGER, E.: Vom Weltbild der Babylonier, (*Kosmos*, Jahrgang 53, Heft 12 (1957), 588–593).
Weinberg, S. S. (editor): *The Aegean and the Near East* (J. J. Augustin, New York, 1956).
Wright, H. E.: Geological aspects of the archaeology of Iraq (*Sumer* 11 (1955), 83–91).
Maps of Iraq with notes for visitors (Government of Iraq, 1928).

عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية

BRAIDWOOD, R. J.: Earlier prehistory of highland Iraq (*Archiv für Orientforschung* 17 (1956), 428–429).
BRAIDWOOD, R. J.: Reflections on the origin of the village-farming community (=pages 22–31 in S. S. Weinberg (editor): *The Aegean and the Near East*, 1956).
BRAIDWOOD, R. J. and others: *Prehistoric investigations in Iraqi Kurdistan* (*Studies in Ancient Oriental Civilization* 31; University of Chicago Press, 1960).
†BROOKS, C. E. P.: *Climate through the ages* (Benn, London, 2nd edition, 1950).
†BURINGH, P.: Living conditions in the lower Mesopotamian plain in ancient times (*Sumer* 13 (1957), 30–46).

†CHILDE, V. G.: *New light on the most ancient East* (Routledge & Kegan Paul, London, rewritten edition, 1952).
†COLE, S.: *The Neolithic Revolution* (British Museum (Natural History), 1959).
FALKENSTEIN, A.: *Archaische Texte aus Uruk* (Harrassowitz, Leipzig, 1936).
†FRANKFORT, H.: *The birth of civilization in the Near East* (Doubleday Anchor Books, New York, 1956).
GARROD, D. A. E.: The Palaeolithic of Southern Kurdistan (*Bulletin of the American School of Prehistoric Research* 6 (1930), 13–23).
GARROD, D. A. E. and BATE, D. M. A.: *The Stone Age of Mount Carmel*, I (Clarendon Press, Oxford, 1937).
KANTOR, H. J.: The early relations of Egypt with Asia (*Journal of Near Eastern Studies* i (1942), 174–213).
KANTOR, H. J.: Further evidence for early Mesopotamian relations with Egypt (*Journal of Near Eastern Studies* 11 (1952), 239–250).
†KENYON, K. M.: *Digging up Jericho* (Benn, London, 1957).
LEES, G. M. and FALCON, N. F.: The geographical history of the Mesopotamian plains (*Geographical Journal* 118 (1952), 24–39). [For a criticism of the arguments of Lees and Falcon see *Geographical Journal* 120 (1954), 394–397].
McCOWN, D. E.: The material culture of early Iran (*Journal of Near Eastern Studies* i (1942), 424–449).
McCOWN, D. E.: *The Comparative stratigraphy of early Iran* (*Studies in Ancient Oriental Civilization* 23, University of Chicago Press, 1942).
MOORTGAT, A.: *Die Entstehung der sumerischen Hochkultur* (Leipzig, 1945).
PERKINS, A. L.: *The comparative archeology of early Mesopotamia* (*Studies in Ancient Oriental Civilization* 25, University of Chicago Press, 1949, reprinted 1959).
SPEISER, E. A.: *Excavations at Tepe Gawra*, I (University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1935).
SPEISER, E. A.: The Sumerian problem reviewed (*Hebrew Union College Annual* 23 (1950–51), I, 339–355).
SPEISER, E. A.: The rivers of Paradise (=pages 473–485 in Kienle, R. von and others (editors): *Festschrift Johannes Friedrich;* Carl Winter, Heidelberg, 1959).
VOÛTE, C.: A prehistoric find near Razzaza (Karbala liwa). Its significance for the morphological and geological setting of the Abu Dibbis depression and surrounding area. (*Sumer* 13 (1957), 135–148).

تاريخ ونظم الألف الثالث

CORNWALL, P. B.: Two letters from Dilmun (*Journal of Cuneiform Studies* 6 (1952), 137–145).
CORNWALL, P. B.: On the location of Dilmun [With appendix by A. Goetze] (*Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 103 (1946), 3–11).
DIAKONOFF, I. M.: Sale of land in pre-Sargonic Sumer (*Papers presented by the Soviet delegation at the XXIII International Congress of Orientalists; Assyriology*, 19–29).
DIAKONOFF, I. M.: Some remarks on the 'Reforms' of Urukagina (*Revue d'Assyriologie* 52 (1958), 1–15). [Students able to read Russian should note that several important works on Sumerian institutions and economics have been produced in Russian by this scholar and his colleagues.]
EVANS, G.: Ancient Mesopotamian Assemblies (*Journal of the American Oriental Society* 78 (1958), 1–11, 114–115).
FALKENSTEIN, A.: Die Ibbīsîn-Klage (*Die Welt des Orients* 1950, 377–384).

Falkenstein, A.: La cité-temple sumérienne (*Cahiers d'Histoire Mondiale*, I (Paris 1954), 784–814).

Gelb, I. J.: Hurrians at Nippur in the Sargonic period (=pages 183–194 in Kienle, R. von and others (editors): *Festschrift Johannes Friedrich;* Carl Winter, Heidelberg, 1959).

Gelb, I. J.: New light on Hurrians and Subarians (*Studi orientalistici in onore di Giorgio Levi Della Vida* [Rome, 1956], I, 378–392).

Jacobsen, Th.: The assumed conflict between Sumerians and Semites in early Mesopotamian history (*Journal of the American Oriental Society* 59 (1939), 485–495).

Jacobsen, Th.: *The Sumerian King List* (*Assyriological Studies* 11, University of Chicago Press, 1939).

Jacobsen, Th.: Primitive Democracy in ancient Mesopotamia (*Journal of Near Eastern Studies* 2 (1943), 159–172).

Jacobsen, Th.: The reign of Ibbī-Suen (*Journal of Cuneiform Studies* 7 (1953), 36–47).

Jacobsen, Th.: Early political development in Mesopotamia (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 18 (1956), 91–140).

Jestin, R.: Übungen im Edubba (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 17 (1955), 37–44). [Finally proves that, as had been supposed before, the living Sumerian language was tonal.]

Kraeling, C. H. and Adams, R. M. (editors): *City invincible. A symposium on urbanization and cultural development in the ancient Near East.* (*Oriental Institute Special Publications*, University of Chicago Press, 1960.)

Kramer, S. N.: New light on the early history of the ancient Near East (*American Journal of Archaeology* 52 (1948), 156–164).

Kramer, S. N.: Sumerian historiography (*Israel Exploration Journal* 3 (1953), 217–232).

†Kramer, S. N.: *History begins at Sumer* (Doubleday Anchor Books, New York, 1959).

Kraus, F. R.: Le rôle des temples depuis la troisième dynastie d'Ur jusqu'à la première dynastie de Babylone (*Cahiers d'histoire mondiale* i (Paris, 1953–54), 518–545; English summary xxx–xxxii).

Kraus, F. R.: Provinzen des neusumerischen Reiches von Ur (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 17 (1955), 45–75).

Lambert, M.: La période présargonique. Essai d'une histoire sumérienne (*Sumer* 8 (1952), 198–216).

Lambert, M.: Une histoire du conflit entre Lagash et Umma (*Revue d'Assyriologie* 50 (1956), 141–146).

Schmökel, H.: *Das Land Sumer* (W. Kohlhammer Verlag, Stuttgart, 1956).

Siegel, B. J.: Slavery during the Third Dynasty of Ur (*American Anthropologist*, New Series 49 (1947), No. 1, Part 2).

Sollberger, E.: Sur la chronologie des rois d'Ur et quelques problèmes connexes (*Archiv für Orientforschung* 17 (1954–56), 10–48).

Speiser, E. A.: *Mesopotamian origins* (Philadelphia, 1930).

Thureau-Dangin, F.: *Die sumerischen und akkadischen Königsinschriften* (Vorderasiatische Bibliothek, 1. Band, Abteilung 1, Leipzig, 1907).

Weidner, E.: Das Reich Sargons von Akkad (*Archiv für Orientforschung* 16 (1952), 1–24).

تاريخ الالف الثاني

Bauer, Th.: *Die Ostkanaanäer. Eine philologisch-historische Untersuchung über die Wanderschicht der sogenannten 'Amoriter' in Babylonien* (Leipzig, 1926).

[Though Bauer's general position has been generally abandoned now, this work is still of importance in that it has formed the starting point for much of the later discussion of the subject.]

DOSSIN, G.: *Archives Royales de Mari, I. Correspondance de Šamši-Addu* (Imprimerie Nationale, Paris, 1950).

DOSSIN, G.: *Archives Royales de Mari, IV. Correspondance de Šamši-Addu* (Imprimerie Nationale, Paris, 1951).

DOSSIN, G.: *Archives Royales de Mari, V. Correspondance de Iasmaḫ-Addu* (Imprimerie Nationale, Paris, 1952).

DUPONT-SOMMER, A.: Sur les débuts de l'histoire araméenne (=pages 40–49 in *Supplements to Vetus Testamentum*, volume I, *Congress Volume, Copenhagen*, 1953; Brill, Leiden, 1953).

EBELING, E., MEISSNER, B., WEIDNER, E. F.: *Die Inschriften der altassyrischen Könige* (*Altorientalische Bibliothek*, 1 Band; Quelle & Meyer, Leipzig, 1926).

EDZARD, D. O.: *Die 'zweite Zwischenzeit' Babyloniens* (Harrassowitz, Wiesbaden, 1957).

FINE, F. A.: Studies in Middle Assyrian chronology and religion (*Hebrew Union College Annual* 24 (1952–53), 187–273 and 25 (1954), 107–168). [These two articles were also published as a book, Cincinnatti, 1955.]

GARSTANG. J. and GURNEY, O. R.: *The geography of the Hittite empire* (British Institue of Archaeology at Ankara, London, 1959).

GELB, I. J.: *Hurrians and Subarians* (University of Chicago Press, 1944). [See also the two related articles by I. J. Gelb listed in the preceding sub-section.]

GELB, I. J.: The name of Babylon (*Journal of the Institute of Asian Studies* i (1955), 1–4).

GELB, I. J.: The early history of the West Semitic peoples(*Journal of Cuneiform Studies* 15 (1961), 27–47). [A valuable review article.]

GOETZE, A.: An Old Babylonian itinerary (*Journal of Cuneiform Studies* 7 (1953), 51–72).

GOETZE, A.: *Kleinasien* (C. H. Beck'sche Verlagsbuchhandlung, Munich, 2nd edition, 1957).

†GURNEY, O. R.: *The Hittites* (Penguin Books, London, 1952).

HALL, H. R.: Minoan fayence in Mesopotamia (*Journal of Hellenic Studies* 48 (1928), 64–74).

HALLO, W. W.: The last years of the kings of Isin (*Journal of Near Eastern Studies* 18 (1959), 54–72).

JEAN, CH.-F.: *Archives Royales de Mari, II. Lettres diverses* (Imprimerie Nationale, Paris, 1950).

KANTOR, H. J.: The Aegean and the Orient in the second millennium B.C. (*American Journal of Archaeology* 51 (1947), 1–103).

KNUDTZON, J. A.: *Die el-Amarna-Tafeln* (Two volumes. *Vorderasiatische Bibliothek*, 2. Stück; Hinrichs, Leipzig, 1915). [This is generally considered to be better than another later edition of the same texts.]

KUPPER, J.-R.: *Archives Royales de Mari, III. Correspondance de Kibri-Dagan* (Imprimerie Nationale, Paris, 1950).

KUPPER, J.-R.: *Archives Royales de Mari, VI. Correspondance de Baḫdi-Lim* (Imprimerie Nationale, Paris, 1954).

KUPPER, J.-R.: *Les nomades en Mésopotamie au temps des rois de Mari* (*Bibliothèque de la Faculté de Philosophie et Lettres de l'Université de Liège*, no. 142; Paris, 1957).

LEWY, J.: Šubat-Enlil (*Annuaire de l'Institut de Philologie et d'Histoire Orientales et Slaves* 13 (1953), 293–321).

LEWY, J.: On some institutions of the Old Assyrian empire (*Hebrew Union College Annual* 27 (1956), 1–79).

Lewy, J.: Amurritica (*Hebrew Union College Annual* 32 (1961), 31–74).
†Luckenbill, D. D.: *Ancient records of Assyria and Babylonia*, I (University of Chicago Press, 1926).
O'Callaghan, R. T.: *Aram Naharaim. A contribution to the history of Upper Mesopotamia in the second millennium B.C.* (Pontificium Institutum Biblicum, Rome, 1948).
Oppenheim, A. L.: The archives of the palace of Mari (*Journal of Near Eastern Studies* 11 (1952), 129–139 and 13 (1954), 141–148).
Schaeffer, C. F. A. (editor): *Le palais royal d'Ugarit*, III (Imprimerie Nationale, Paris, 1955).
Schaeffer, C. F. A. (editor): *Le palais royal d'Ugarit*, IV (Imprimerie Nationale, Paris, 1956).
Smith, S.: *Early History of Assyria to* 1000 B.C. (Chatto and Windus, London, 1928).
Smith, S.: *The statue of Idri-mi* (British Institute of Archaeology in Ankara, London, 1949).
Smith, S.: The chronology of the Kassite dynasty (*Compte Rendu de la deuxième Rencontre Assyriologique Internationale* (1951), 67–70).
Speiser, E. A.: Ethnic movements in the Near East in the second millennium B.C. (*Annual of the American Schools of Oriental Research*, vol. 13 for 1931–32, 13–54).
Speiser, E. A.: The Hurrian participation in the civilizations of Mesopotamia, Syria and Palestine (*Cahiers d'Histoire Mondiale* i (Paris, 1953–54), 311–327).
Weidner, E.: Hof- und Harems-Erlasse assyrischer Könige aus dem 2. Jahrtausend v. Chr. (*Archiv für Orientforschung*, Sonderreihe H.1; Wiesbaden, 1956).
Weidner, E.: Die Inschriften Tukulti-Ninurtas I und seiner Nachfolger (*Archiv für Orientforschung*, Beiheft 12; Graz, 1959).

تاريخ الالف الاول

Anspacher, A. S.: *Tiglath-Pileser III* (*Columbia College Contributions to Oriental History and Philology*, No. 5, 1912).
Barnett, R. D. and Watson, W.: Russian excavations in Armenia (Karmir-Blur) (*Iraq* 14 (1952), 132–147).
Barnett, R. D.: The Archaeology of Urartu (*Compte Rendu de la troisième Rencontre Assyriologique Internationale* (1954), 10–18).
Bauer, Th.: *Das Inschriftenwerk Assurbanipals. I. Teil: Keilschrifttexte. II. Teil: Bearbeitung* (Hinrichs, Leipzig, 1933).
Baumgartner, W.: Herodots babylonische und assyrische Nachrichten (*Archiv Orientální* 18,1–2 (1950), 69–106).
Borger, R.: *Die Inschriften Asarhaddons Königs von Assyrien* (*Archiv für Orientforschung*, Beiheft 9; Graz, 1956).
Boudou, R. P.: Liste de noms géographiques (*Orientalia* [old series] 36–38 (1929)).
Budge, E. A. W. and King, L. W.: *Annals of the kings of Assyria*, I (British Musuem, 1902). [No further volumes were published.]
Cavaignac, E.: Mushki et Phrygiens (*Journal Asiatique* 241 (1953), 139–143).
Delitzsch, F.: *Die babylonische Chronik* (Leipzig ,1906).
Dougherty, R. P.: *Nabonidus and Belshazzar. A study of the closing events of the Neo-Babylonian empire* (*Yale Oriental Series, Researches* XIV, New Haven, 1929).
Freedman, D. N.: The Babylonian Chronicle (*The Biblical Archaeologist* 19 (1956), 50–60).

FRIEDRICH, J., MEYER, G. R., UNGNAD, A. and WEIDNER, E.: *Die Inschriften vom Tell Halaf. Keilschrifttexte und aramäische Urkunden aus einer assyrischen Provinzhauptstadt* (*Archiv für Orientforschung*, Beiheft 6; Berlin, 1940).

GADD, C. J.: The Harran inscriptions of Nabonidus (*Anatolian Studies* 8 (1958), 35–92).

HALLO, W. W.: From Qarqar to Carchemish. Assyria and Israel in the light of new discoveries (*The Biblical Archaeologist* 23 (1960), 34–61).

LANDSBERGER, B.: *Sam'al. Studien zur Entdeckung der Ruinenstätte Karatepe*, I (Ankara, 1948). [No further volumes were published.]

LANE, W. H.: *Babylonian problems* (John Murray, London, 1923).

LANGDON, S.: *Die neubabylonischen Königsinschriften* (*Vorderasiatischen Bibliothek*, 4. Stück; Hinrichs, Leipzig, 1912).

LUCKENBILL, D. D.: *The annals of Sennacherib* (*Oriental Institute Publications* II; University of Chicago Press, 1924).

†LUCKENBILL, D. D.: *Ancient records of Assyria and Babylonia*, II (University of Chicago Press, 1927).

MALAMAT, A.: The historical setting of two biblical prophecies on the nations (*Israel Exploration Journal* i (1950–51), 149–159).

MELIKICHVILI, G. A.: Études de l'épigraphie ourartou et certaines questions de l'histoire d'Ourartou (*Rapport presenté au XXIV Congrès International des Orientalistes*, Moscow, 1957).

MILIK, J. T.: 'Prière de Nabonide' et autres écrits d'un cycle de Daniel (*Revue Biblique* 63 (1956), 407–415).

NYBERG, H. S.: Das Reich der Achämeniden (*Historia Mundi* III (1954), 56–115).

OLMSTEAD, A. T. E.: *Western Asia in the days of Sargon of Assyria* (*Cornell Studies in History and Political Science*, No. 2, 1908).

OLMSTEAD, A. T. E.: Assyrian historiography (*University of Missouri Studies. Social Science Series* III,1 (1916), 1–66).

OPPENHEIM, A. L.: The city of Assur in 714 B.C. (*Journal of Near Eastern Studies*, 19 (1960), 133–147).

PALLIS, S. A.: The history of Babylon 538–93 B.C. (*Studia Orientalia Ioanni Pedersen septuagenario . . . a collegis discipulis amicis dicata* [Einar Munksgaard, Copenhagen, 1953], 275–294).

RIGG, H. A.: Sargon's 'Eighth Military Campaign' (*Journal of the American Oriental Society* 62 (1942), 130–138).

SMITH, S.: *Babylonian historical texts* (Methuen, London, 1924).

SMITH, S.: *Isaiah chapters XL–LV* (*Schweich Lectures* for 1940; British Academy, 1944).

SPEISER, E. A.: Southern Kurdistan in the annals of Ashurnasirpal and today (*Annual of the American Schools of Oriental Research* 8 (1928), 1–42).

STRECK, M.: *Assurbanipal und die Letzten assyrischen Könige* (*Vorderasiatische Bibliothek*, 7. Stück; Leipzig, 1916).

TADMOR, H.: The campaigns of Sargon II of Assur: a chronological-historical study (*Journal of Cuneiform Studies* 12 (1958), 22–40, 77–100).

THUREAU-DANGIN, F.: *Une relation de la huitième campagne de Sargon* (714 *av. J.-C.*) (Geuthner, Paris, 1912).

VOGELSTEIN, M.: Nebuchadnezzar's reconquest of Phoenicia and Palestine and the oracles of Ezekiel (*Hebrew Union College Annual* 23 (1950–51), II, 197–220).

WATERMAN, L.: *Royal correspondence of the Assyrian empire* (Four volumes, University of Michigan Press, Ann Arbor, 1930–36).

WEIDNER, E.: Jojachin, König von Juda, in babylonischen Keilschrifttexten (*Mélanges Syriens offerts à Monsieur René Dussaud*, [Geuthner, Paris, 1939], tome 2, 923–935).

WEIDNER, E.: Hochverrat gegen Nebukadnezar II (*Archiv für Orientforschung* 17 (1954–56), 1–9).
WETZEL, F.: Babylon zur Zeit Herodots (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 14 (1944), 45–68).
WISEMAN, D. J.: *Chronicles of Chaldaean kings (626-556 B.C.)* (British Museum, London, 1956).
WRIGHT, E. M.: The eighth campaign of Sargon II of Assyria (*Journal of Near Eastern Studies* 2 (1943), 173–186).

التآريخ

لقد نشر عدد كبير جدا من المساهمات في مشكلة تسلسل الادوار التاريخية القديمة . وان التآليف المثبتة ادناه تهدف فقط الى تقديم الطالب الى عدد معين من النقاط الرئيسية تحت المناقشة . والمفترض ان مساهمة M.B. Rowton حول تسلسل التاريخ في الطبعة الجديدة من كتاب Cambridge Ancient History تتضمن قائمة شاملة بالمراجع .

التاريخ

[A very large number of contributions to the problems of ancient chronology have been published. The few works listed below are intended only to introduce students to certain of the principal points under dispute. The forthcoming contribution of M. B. Rowton on chronology in the new edition of the *Cambridge Ancient History* will presumably contain a comprehensive bibliography.]

ALBRIGHT, W. F.: Further light on synchronisms between Egypt and Asia in the period 935–685 B.C. (*Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 141 (1956), 23–27).
BRAIDWOOD, R. J.: Jericho and its setting in Near Eastern History (*Antiquity* 31 (1957), 73–81).
GELB, I. J.: Two Assyrian King Lists (*Journal of Near Eastern Studies* 13 (1954), 209–230).
LEWY, J.: Apropos of a recent study in Old Assyrian chronology (*Orientalia* 26 (1957), 12–36).
LIBBY, W. F.: *Radiocarbon dating* (University of Chicago Press; 2nd edition, 1955).
MEER, P. VAN DER: *The chronology of ancient Western Asia and Egypt* (Brill, Leiden; 2nd edition, 1955).
PARKER, R. A. and DUBBERSTEIN, W. H.: *Babylonian chronology 626 B.C.–A.D. 75* (*Studies in ancient oriental civilization* 24, University of Chicago Press, 1956).
PARROT, A.: Chronologie mésopotamienne (=pages 332–438 in Parrot, A.: *Archéologie mésopotamienne; technique et problèmes*; Paris, 1953).
ROWTON, M. B.: The date of Hammurabi (*Journal of Near Eastern Studies* 17, (1958), 97–111).
SMITH, S.: *Alalakh and chronology* (Luzac, London, 1940).
TADMOR, H.: Historical implications of the correct rendering of Akkadian *dâku* (*Journal of Near Eastern Studies* 17 (1958), 129–141).

[This section is very brief as most of the facts incorporated in the chapter dealing with the *Babylonian Way of Life* are incidental deductions from sources properly to be classified as historical, religious, literary, legal or economic.]

BARNETT, R. D.: An Assyrian helmet (*British Museum Quarterly* 18 (1953), 101–102).

BUREN, E. D. VAN: Some archaic statuettes, and a study of early Sumerian dress ([*Liverpool*] *Annals of Archaeology and Anthropology* 17 (1930), 39–56).

†CONTENAU, G.: *Everyday life in Babylon and Assyria* (Arnold, London, 1954).

GORDON, C. H.: The status of Woman reflected in the Nuzi texts (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 9 (1936), 146–169).

GORDON, C. H.: Belt-wrestling in the Bible world (*Hebrew Union College Annual* 23 (1950–51), I, 131–136).

KINAL, FÜRUZAN: Die Stellung der Frau im alten Orient (*Belleten* 20 (1956), 367–378).

†LAMBERT, W. G.: Morals in ancient Mesopotamia (*Ex Oriente Lux* 15 (1957–58), 184–196).

MÜLLER, V.: Types of Mesopotamian houses (*Journal of the American Oriental Society* 60 (1940), 151–180).

†SPYCKET, A.: La coiffure féminine en Mésopotamie (*Revue d'Assyriologie* 48 (1954), 113–129, 169–177, and 49 (1955), 113–128).

القانون وادارة الدولة والنظام الاداري

BIROT, M.: *Archives Royales de Mari, IX. Textes administratifs de la salle 5 du palais* (Imprimerie Nationale, Paris, 1960).

BOYER, G. and SZLECHTER, É.: Introduction bibliographique à l'histoire du droit suméro-akkadien. II (1939–55) (*Revue Internationale des Droits de l'Antiquité*, 3e serie, 3 (1956), 41–79).

BOYER, G.: *Archives Royales de Mari, VIII. Textes juridiques* (Imprimerie Nationale, Paris, 1958).

BOYER, G.: Nature et formation de la vente dans l'ancient droit babylonien (*Archives d'Histoire du Droit Oriental, Revue Internationale des Droits de l'Antiquité* 2 (1953), 45–85).

CARDASCIA, G.: L'adoption matrimoniale à Babylone et à Nuzi (*Revue historique de droit français et étranger*, 4e ser., 37 (1959), 1–16).

CROSS, D.: *Movable property in the Nuzi documents* (*American Oriental Series* 10 New Haven, 1937).

DOUGHERTY, R. P.: The Babylonian principle of suretyship as administered by temple law (*American Journal of Semitic Languages* 46 (1929), 73–103).

†DRIVER, G. R. and Miles, Sir J. C.: *The Assyrian Laws* (Clarendon Press, Oxford, 1935).

†DRIVER, G. R. and MILES, Sir J. C.: *The Babylonian laws. Volume I; legal commentary* (Clarendon Press, Oxford, 1952).

DRIVER, G. R. and MILES, Sir J. C.: *The Babylonian laws. Volume II; transliterated text, translation, philological notes, glossary* (Clarendon Press, Oxford, 1955).

EBELING, E.: *Neubabylonische Briefe aus Uruk*, 1.–4. Heft (Ebeling, Berlin, 1930–34).

EBELING, E.: *Neubabylonische Briefe* (Munich, 1949).

FALKENSTEIN, A.: Das Gesetzbuch Lipit-Ištar von Isin. I. Philologisches zum Gesetzbuch (*Orientalia* 19 (1950), 103–111).

Falkenstein, A.: *Die neusumerischen Gerichtsurkunden* (Three Parts. Munich, 1956–57).

Feigin, S.: The Babylonian officials in Jeremiah 39^{3}, ^{13} (*Journal of Biblical Literature* 45 (1926), 149–155).

Figulla, H. H.: Lawsuit concerning a sacrilegious theft at Erech (*Iraq* 13 (1951), 95–101).

Follet, R.: 'Deuxième Bureau' et information diplomatique dans l'Assyrie des Sargonides (*Rivista degli Studi Orientali* 32 (1957), 61–81).

Forrer, E.: *Die Provinzeinteilung des assyrischen Reiches* (Hinrichs, Leipzig, 1920).

Goetze, A.: *The laws of Eshnunna* (*Annual of the American Schools of Oriental Research* 31; New Haven, 1956).

Gordon, C. H.: Nuzi tablets relating to theft (*Orientalia* 5 (1936), 305–330).

Jacobsen, Th.: An ancient Mesopotamian trial for homicide (*Studia Biblica et Orientalja*, volumen III, *Oriens Antiquus* [Rome 1959], 130–150).

Klauber, E.: *Assyrisches Beamtentum nach Briefen aus der Sargonidenzeit* (Leipzig, 1910).

Klíma, J.: New discoveries of legal documents from pre-Hammurapian time (*Archiv Orientální* 19 (1951), 37–59).

Kohler, J. and Ungnad, A.: *Assyrische Rechtsurkunden* (Eduard Pfeiffer, Leipzig, 1913).

[Koschaker, P.], (in honour of —): *Symbolae ad iura orientis antiqui pertinentes Paulo Koschaker dedicatae* (Brill, Leiden, 1939).

Kramer, S. N. and Falkenstein, A.: Ur-Nammu law code (*Orientalia* 23 (1954), 40–51).

Kraus, F. R.: *Ein Edikt des Königs Ammi-ṣaduqa von Babylon* (Brill, Leiden 1958).

Kraus, F. R.: Ein Zentrales Problem des altmesopotamischen Rechtes: Was ist der Codex Hammu-rabi? (*Genava*, n.s. 8 (1960), 283–296). [An article of the highest importance.]

Kupper, J.-R.: Un gouvernement provincial dans le royaume de Mari (*Revue d'Assyriologie* 41 (1947), 149–183).

Lambert, M.: Les 'Réformes' d'Urukagina (*Revue d'Assyriologie* 50 (1956), 169–184).

Lambert, M.: Documents sur le §3 des 'Réformes' d'Urukagina (*Revue d'Assyriologie* 51 (1957), 139–144).

Landsberger, B.: Die babylonische Termini für Gesetz und Recht (*Symbolae . . . Koschaker dedicatae* [Leiden, 1939], 219–234).

Liebesny, H.: The oath of the king in the legal procedure of Nuzi (*Journal of the American Oriental Society* 61 (1941), 62–63).

Liebesny, H.: Evidence in Nuzi legal procedure (*Journal of the American Oriental Society* 61 (1941). 130–142).

Liebesny, H.: The administration of justice in Nuzi (*Journal of the American Oriental Society* 63 (1943), 128–144).

Manitius, W.: Das stehende Heer der Assyrerkönige und seine Organisation (*Zeitschrift für Assyriologie* [alte Folge] 24 (1910), 97–149, 185–224).

†Munn-Rankin, J. M.: Diplomacy in Western Asia in the early second millennium B.C. (*Iraq* 18 (1956), 68–110).

Nougayrol, J.: Le prologue du Code Hammourabien, d'après une tablette inédite du Louvre (*Revue d'Assyriologie* 45 (1951), 67–79).

Nougayrol, J.: Un fragment oublié du Code (en) sumérien (*Revie d'Assyriologie* 46 (1952), 53–55).

†Oppenheim, A. L.: On an operational device in Mesopotamian bureaucracy (*Journal of Near Eastern Studies* 18 (1959), 121–128).

†Praag, A. van: *Droit matrimonial Assyro-Babylonien* (Amsterdam, 1945).

PURVES, P. M.: Commentary on Nuzi real property in the light of recent studies (*Journal of Near Eastern Studies* 4 (1945), 68–86).

PURVES, P. M.: Additional remarks on Nuzi real property (*Journal of Near Eastern Studies* 6 (1947), 181–185).

SAGGS, H. W. F.: Two administrative officials at Erech in the sixth century B.C. (*Sumer* 15 (1959), 29–38).

SAGGS, H. W. F.: The Nimrud letters, 1952—Part V. Administration (*Iraq* 21 (1959), 158–179).

SAN NICOLÒ, M.: *Babylonische Rechtsurkunden des ausgehenden 8. und des 7. Jahrhunderts v. Chr.* (Munich, 1951).

SAN NICOLÒ, M.: *Beiträge zu einer Prosopographie neubabylonischer Beamten der Zivil- und Templeverwaltung* (Munich, 1941).

SCHOTT, M.: *Urkunden des altbabylonischen Zivil- und Prozessrechts* (*Vorderasiatische Bibliothek*, 5. Stück; Hinrichs, Leipzig, 1913).

SNYDER, J. W.: Babylonian suretyship litigation; a case history (*Journal of Cuneiform Studies* 9 (1955), 25–28).

SPEISER, E. A.: Authority and Law in the ancient Orient (Mesopotamia) (*Journal of the American Oriental Society*, supplement 17 (1954), 8–15).

STEELE, F. R.: *Nuzi real estate transactions* (*American Oriental Series* 25, Philadelphia, 1943).

STEELE, F.R.: The code of Lipit-Ishtar (*American Journal of Archaeology* 52 (1948), 425–450).

SZLECHTER, É.: Le code d'Ur-Nammu (*Revue d'Assyriologie* 49 (1955), 169–177).

SZLECHTER, É.: Le code de Lipit-Ištar (*Revue d'Assyriologie* 51 (1957), 57–82, 177–196; 52 (1958), 74–90).

SZLECHTER, É.: La saisie illégale dans les lois d'Ešnunna et dans le code d'-Hammurabi (*Studi in onore di Petro De Francisci* [Milano 1956], I, 271–281).

UNGNAD, A.: *Babylonische Briefe aus der Zeit der Hammurapi-Dynastie* (Vorderasiatische Bibliothek, 6. Stück; Hinrichs, Leipzig, 1914).

WEIDNER, E. F.: *Politische Dokumente aus Kleinasien. Die Staatsverträge in akkadischer Sprache aus dem Archiv von Boghazköi* (*Boghazköi-Studien*, 9. Heft; Hinrichs, Leipzig, 1923).

التجارة والاقتصاد والمواصلات والنقل

BOTTÉRO, J.: *Archives Royales de Mari, VII. Textes économiques et administratifs* (Imprimerie Nationale, Paris, [illegible]8).

CARDASCIA, G.: Les villes de Mése[illegible]amie: Leurs institutions économiques et sociales (*Recueils de la Société [illegible]an Bodin* 7 (1955), 51–61).

†CLAY, R.: *The tenure of land in Babylonia and Assyria* (Institute of Archaeology, London, 1938).

DEIMEL, A.: *Sumerische Tempelwirtschaft zur Zeit Urukaginas und seiner Vorgänger* (*Analecta Orientalia* II; Rome, 1931).

DELAGNEAU, R.: La batellerie. Son évolution en Mésopotamie du IVe au Ier millénaire avant J.-C. (*Positions des thèses des élèves de l'École du Louvre*, 1944–52 [Paris, 1956], 122–126).

DOSSIN, G.: Signaux lumineux au pays de Mari (*Revue d'Assyriologie* 35 (1938), 174–186).

DOUGHERTY, R. P.: Cuneiform parallels to Solomon's provisioning system (*Annual of the American Schools of Oriental Research*, vol. 5 [New Haven, 1925], 23–65).

DOUGHERTY, R. P.: *The Shirkûtu of Babylonian deities* (*Yale Oriental Series; Researches*, vol. V2; New Haven, 1923).

DUBBERSTEIN, W. H.: Comparative prices in later Babylonia (*American Journal of Semitic Languages* 56 (1939), 20–43).

FAULKNER, R. O.: A Syrian trading venture to Egypt (*Journal of Egyptian Archaeology* 33 (1947), 40–46). [Provides the Egyptian material referred to on pages 281 f.]

GARDINER, Sir A. H.: A lawsuit arising from the purchase of two slaves (*Journal of Egyptian Archaeology* 21 (1935), 140–146). [Provides the Egyptian material referred to on pages 297f.]

GORDON, C. H.: Colonies and enclaves (*Studi orientalistici in onore di Giorgio Levi Della Vida* [Rome, 1956], I, 409–419).

†HEICHELHEIM, F. M.: *An ancient economic history*, volume I (Sijthoff, Leiden, 1958).

JACOBSEN, TH.: On the textile industry at Ur under Ibbī-Sîn (*Studia Orientalia Ioanni Pedersen septuagenario . . . a collegis discipulis amicis dicata* [Einar Munksgaard, Copenhagen, 1953], 172–187).

JOHNS, C. H. W.: *Assyrian deeds and documents recording the transfer of property* (Four volumes. Deighton Bell, Cambridge; G. Bell, London; 1898–1924).

[The discussions in volumes III and IV, though in some respects antiquated, are still of value. Many of the cuneiform texts published in volumes I and II have been edited, with emphasis upon the juristic rather than the economic aspects, in Kohler and Ungnad: *Assyrische Rechtsurkunden, q.v. sub* previous section.]

KÖNIG, F. W.: Gesellschaftliche Verhältnisse Armeniens zur Zeit der Chalder-Dynastie (9–7 Jahrhundert) (*Archiv für Volkerkunde* 9 (1954), 21–65).

LAMBERT, M.: La période presargonique. La vie économique à Shuruppak (*Sumer* 9 (1953), 198–213, and 10 (1954), 150–190).

LAMBERT, M.: Textes commerciaux de Lagash (époque presargonique) (Parts I and II in *Revue d'Assyriologie* 47 (1953), 57–69 and 105–120; part III in *Archiv Orientální* 23 (1955), 557–574).

LAUTNER, J. G.: *Altbabylonische Personenmiete und Erntearbeitverträge* (Brill, Leiden, 1936).

LEEMANS, W. F.: *The Old Babylonian merchant* (Brill, Leiden, 1950).

LEEMANS, W. F.: *Legal and economic records from the kingdom of Larsa* (Brill, Leiden, 1954).

LEEMANS, W. F.: *Foreign trade in the Old Babylonian period* (Brill, Leiden, 1960).

LEHMANN-HAUPT, C. F.: [Summary of paper given at Leiden in 1931.] (*Actes du XVIII^{e} Congres International des Orientalistes;* Brill, Leiden, 1932).
[The source of the suggestion on page 113 of a possible connection between China and Urartu in the eighth century B.C.]

LEWY, J.: Some aspects of commercial life in Assyria and Asia Minor in the nineteenth pre-Christian century (*Journal of the American Oriental Society* 78 (1958), 89–101).

LUTZ, H. F.: *Legal and economic documents from Ashjâly* (*University of California Publications in Semitic Philology*, vol. 10, No. 1, 1–184; Berkeley, 1931).

†MENDELSOHN, I.: *Slavery in the ancient Near East* (Oxford University Press, New York, 1949).

OPPENHEIM, A. L.: A fiscal practice of the ancient Near East (*Journal of Near Eastern Studies* 6 (1947), 116–120).

OPPENHEIM, A. L.: The seafaring merchants of Ur (*Journal of the American Oriental Society* 74 (1954), 6–17).

†OPPENHEIM, A. L.: A bird's-eye view of Mesopotamian economic history (=pages 26–37 in Polanyi, K., *Trade and market in the early empires*, 1957),

†POLANYI, K.: *Trade and market in the early empires* (Free Press, Glencoe, Illinois and The Falcon's Wing Press, 1957).

PRICE, I. M.: Transportation by water in early Babylonia (*American Journal of Semitic Languages* 40 (1923), 111–116).

SAARISALO, A.: New Kirkuk documents relating to slaves (*Studia Orientalia* [Helsinki] 5/3 (1934), 1–101).

SALONEN, A.: Die Wasserfahrzeuge in Babylonien (*Studia Orientalia* [Helsinki] 8/4 (1939), 1–199).

SALONEN, A.: Nautica Babylonica (*Studia Orientalia* [Helsinki] 11/1 (1942), 1–118).

SALONEN, A.: *Die Landfahrzeuge des alten Mesopotamien* (*Annales Academiae Scientiarum Fennicae*, ser. B, tom. 72, 3; Helsinki, 1951).

SALONEN, A.: *Hippologica Accadica* (*Annales Academiae Scientiarum Fennicae*, ser. B. tom. 100; Helsinki, 1956).

SAN NICOLÒ, M. and UNGNAD, A.: *Neubabylonische Rechts- und Verwaltungs-Urkunden* (Hinrichs, Leipzig, 1935).

SAN NICOLÒ, M.: Materialien zur Viehwirtschaft in den neubabylonischen Tempeln. I-V (*Orientalia* 17 (1948), 273–293; 18 (1949), 288–306; 20 (1951), 129–150; 23 (1954), 351–382; 25 (1956), 24–38).

SMITH, S.: A pre-Greek coinage in the Near East? (*Numismatic Chronicle*, fifth series 2 (1922), 2–11).

SMITH, S.: The Greek trade at Al Mina (*Antiquaries Journal* 22 (1942), 87–112).

STEPHENS, F. J.: Notes on some economic texts of the time of Urukagina (*Revue d'Assyriologie* 49 (1955), 129–136).

الدين : السحر والعرافة

(آ) الطبعات او الترجمات الرئيسة للنصوص

BERNHARDT, I. and KRAMER, S. N.: Enki und die Weltordnung (*Wissenschaftliche Zeitschrift der Friedrich-Schiller-Universität Jena*, Jahrgang 9, Heft 1/2 (1959–60), 231–256).

CASTELLINO, G.: Rituals and prayers against 'Appearing Ghosts' (*Orientalia* 24 (1955), 240–274).

CASTELLINO, G.: Urnammu three religious texts (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 18 (1957), 1–57).

DOSSIN, G.: Un rituel du culte d'Ištar provenant de Mari (*Revue d'Assyriologie* 35 (1938), 1–13).

DOSSIN, G.: Une revelation du dieu Dagan à Terqa (*Revue d'Assyriologie* 42 (1948) 125–134).

EBELING, E.: Beschwörungen gegen den Feind und den bösen Blick aus dem Zweistromlande (*Archiv Orientální* 17/1 (1949), 172–211).

EBELING, E.: Ein babylonisches Beispiel schwarzer Magie (*Orientalia* 20 (1951), 167–170).

EBELING, E.: Kultische Texte aus Assur (*Orientalia* 20 (1951), 399–405); 21 (1952), 129–148); 22 (1953), 25–46; 23 (1954), 114–128; 24 (1955), 1–15).

EBELING, E.: *Die akkadische Gebetsserie 'Handerhebung'* (Akademie-Verlag, Berlin, 1953).

EBELING, E.: Ein neuassyrisches Beschwörungsritual gegen Bann und Tod (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 17 (1955), 167–179).

EBELING, E.: Beiträge zur Kenntnis der Beschwörungsserie Ṇamburbi (*Revue d'Assyriologie* 48 (1954), 1–15, 76–85, 130–141, 178–191; 49 (1955), 32–41, 137–148, 178–192; 50 (1956), 22–33, 86–94).

FALKENSTEIN, A.: Sumerische religiöse Texte (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 15 (1950), 80–150; 16 (1951), 61–91; 18 (1957), 58–75).

FRANK, C.: *Lamaštu, Pazuzu und andere Dämonen. Ein Beitrag zur babylonisch-assyrischen Dämonologie* (*Mitteilungen der altorientalischen Gesellschaft* XIV/2; Harrassowitz, Leipzig, 1941).

FRANKENA, R.: *Tākultu, de sacrale maaltijd in het Assyrische ritueel* (Brill, Leiden, 1954).

FALKENSTEIN, A. and SODEN, W. VON: *Sumerische und akkadische Hymnen und Gebete* (Artemis-Verlag, Zürich/Stuttgart, 1953).

FRANK, C.: *Kultlieder aus dem Ischtar-Tamūz-Kreis* (Harrassowitz, Leipzig, 1939).

GOETZE, A.: *The Hittite ritual of Tunnawi* (*American Oriental Series* 14; American Oriental Society, New Haven, 1938).

GURNEY, O. R.: Babylonian prophylactic figures and their ritual ([*Liverpool*] *Annals of Archaeology and Anthropology* 22 (1935), 31–96).

†HEIDEL, A.: *The Babylonian Genesis. The History of the Creation* (University of Chicago Press; 2nd edition, 1952).

JASTROW, M.: *Die Religion Babyloniens und Assyriens* (Two volumes in three. Giessen, 1905–12).

JESTIN, R.: Textes religieux sumériens (*Revue d'Assyriologie* 35 (1938), 158–173; 39 (1944), 83–97; 40 (1946), 47–54; 41 (1947), 55–66; 44 (1950), 45–71).

LABAT, R.: *Le poème babylonien de la Création* (Adrien-Maisonneuve, Paris, 1935).

LAMBERT, W. G.: Divine love lyrics from Babylon (*Journal of Semitic Studies* 4 (1959), 1–15).

†LANGDON, S.: *The Babylonian Epic of Creation* (Clarendon Press, Oxford, 1923).

LANGDON, S.: An incantation for expelling demons from a house (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 2 (1925), 209–214).

LEEMANS, W. F.: *Ishtar of Lagaba and her dress* (Brill, Leiden, 1952).

MEIER, G.: *Die assyrische Beschwörungssammlung Maqlû* (*Archiv für Orientforschung*, Beiheft 2; Berlin, 1937).

MEIER, G.: Ein Kommentar zu einer Selbstprädikation des Marduk aus Assur (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 13 (1942), 241–246).

MYHRMAN, D. W.: Die Labartu-Texte (*Zeitschrift für Assyriologie* [alte Folge] 16 (1902), 141–200).

NÖTSCHER, F.: *Haus- und Stadt-Omina der Serie*: Šumma âlu ina mêlê šakin (*Orientalia* [old series], vols. 31, 39-42 and 51–54; 1928–30).

†OPPENHEIM, A. L.: *The interpretation of dreams in the ancient Near East. With a translation of an Assyrian dream-book* (Philadelphia, 1956).

OPPENHEIM, A. L.: A new prayer to the 'gods of the night' (*Studia Biblica et Orientalia*, volumen III, *Oriens Antiquus* [Rome 1959], 282–301).

REINER, E.: *Šurpu. A collection of Sumerian and Akkadian incantations* (*Archiv für Orientforschung*, Beiheft 11, Graz, 1958).

ROST, L.: Ein Hethitisches Ritual gegen Familienzwist (*Mitteilungen des Instituts für Orientforschung* 1 (1953), 345–379).

†SACHS, A.: Babylonian Horoscopes (*Journal of Cuneiform Studies* 6 (1952), 49–75).

SAGGS, H. W. F.: Pazuzu (*Archiv für Orientforschung* 19 (1960), 123–127).

SODEN, W. VON: Ein neues Bruckstück des assyrischen Kommentars zum Marduk-Ordal (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 18 (1957), 224–234).

Thompson, R. C.: *The reports of the Magicians and Astrologers of Nineveh and Babylon*. Vol. II. *English translation and transliteration* (Luzac, London, 1900).

THOMPSON, R. C.: *The devils and evil spirits of Babylonia* (Two volumes. Luzac, London, 1903).

THUREAU-DANGIN, F.: Rituel et amulettes contre Labartu (*Revue d'Assyriologie* 18 (1921), 162–198).

THUREAU-DANGIN, F.: *Rituels accadiens* (Paris, 1921).

VIEYRA, M.: Ištar de Nineve (*Revue d'Assyriologie* 51 (1957), 83–102, 130–138).

WITZEL, M.: *Tammuz-Liturgien und Verwandtes* (*Analecta Orientalia* 10; Rome, 1935).

ZIMMERN, H.: Zu den 'Keilschrifttexten aus Assur religiösen Inhalts' (*Zeitschrift für Assyriologie* 30 (1915–16), 184–229).

(ب) الدراسات الرئيسة

†BOTTÉRO, J.: *La religion babylonienne* (Paris, 1952).

BUREN, E. D. VAN: The God Ningizzida (*Iraq* 1 (1934), 60–89).

BUREN, E. D. VAN: Fish offerings in ancient Mesopotamia (*Iraq* 10 (1948), 101–121).

BUREN, E. D. VAN: The Rod and Ring (*Archiv Orientální* 17/2 (1949), 434–450).

BUREN, E. D. VAN: *Symbols of the gods in Mesopotamian art* (Pontificium Institutum Biblicum, Rome, 1945).

BUREN, E. D. VAN: Foundation rites for a new temple (*Orientalia* 21 (1952), 293–306).

BUREN, E. D. VAN: The building of a temple-tower (*Revue d'Assyriologie* 46 (1952), 65–174).

BUREN, E. D. VAN: An investigation of a new theory concerning the Bird-man. (*Orientalia* 22 (1953), 47–58).

BUREN, E. D. VAN: The Sun-God rising (*Revue d'Assyriologie* 49 (1955), 1–14).

DANMANVILLE, J.: La libation en Mésopotamie (*Revue d'Assyriologie* 49 (1955), 57–68).

†DHORME, E.: *Les religions de Babylonie et d'Assyrie* (Presses Universitaires de France, Paris, 1949).

FALKENSTEIN, A.: *Die Haupttypen der sumerischen Beschwörung* (*Leipziger semitistische Studien*, neue Folge 1; Hinrichs, Leipzig, 1931).

FALKENSTEIN, A.: Was sagen die schriftlichen Quellen über das Tammuz-Problem aus? (*Compte rendu de la Rencontre Assyriologique Internationale* 3 (1954), 41–65).

FALKENSTEIN, A.: akiti-Fest und akiti-Festhaus (=pages 147–182 in *Festschrift Johannes Friedrich*; Carl Winter, Heidelberg, 1959).

FRANKFORT, H.: *The problem of similarity in ancient Near Eastern religions* (Clarendon Press, Oxford, 1951).

†GADD, C. J.: Babylonian myth and ritual (=pages 40–67 in Hooke, S. H. (editor): *Myth and ritual*; University Press, Oxford, 1933).

†HOOKE, S. H.: *Babylonian and Assyrian religion* (Hutchinson, London, 1953). [For those able to read French, the works by Bottéro and Dhorme are to be preferred.]

†JACOBSEN, TH.: Mesopotamia (=pages 137–234 in Frankfort, H., and others: *Before philosophy;* Penguin Books, Harmondworth, 1949).

JEAN, CH.-F.: *La religion sumérienne* (Geuthner, Paris, 1931). [This is badly out-of-date but is included because at present there is no other work which attempts to cover the same ground.]

KRAUS, F. R.: Tammûz (*Compte rendu de la Rencontre Assyriologique Internationale* 3 (1954), 69–74).

LEWY, J.: The late Assyro-Babylonian cult of the Moon and its culmination at the time of Nabonidus (*Hebrew Union College Annual* 19 (1945–46), 405–489).

MOORTGAT, A.: *Tammuz* (Walter de Gruyter & Co., Berlin, 1949).

OPPENHEIM, A. L.: Akkadian *pul(u)ḫ(t)u* and *melammu* (*Journal of the American Oriental Society* 63 (1943), 31–34).

OPPENHEIM, A. L.: Mesopotamian Mythology (*Orientalia* 16 (1947), 207–238; 17 (1948), 17–58; 19 (1950), 129–158).

PALLIS, S. A.: *The Babylonian Akîtu festival* (Copenhagen, 1926).
ROUX, G.: Adapa, le vent et l'eau (*Revue d'Assyriologie* 55 (1961), 13–33).
SMITH, S.: A Babylonian fertility cult (*Journal of the Royal Asiatic Society* 1928, 262–268).
SMITH, S.: The face of Humbaba ([*Liverpool*] *Annals of Archaeology and Anthropology* 11 (1924), 107–114).
SMITH, S.: Notes on 'The Assyrian Tree' (*Bulletin of the School of Oriental Studies* 4 (1926–28), 69–76).
SODEN, W. VON: Gibt es ein Zeugnis dafür, dass die Babylonier an die Wiederaufstehungs Marduks geglaubt haben? (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 17 (1955), 130–166).
SODEN, W. VON: Licht und Finsternis in der sumerischen und babylonisch-assyrischen Religion (*Studium Generale*, 13. Jahrg., Heft 11 (1960), 647–653).
SODEN, W. VON: Religiöse Unsicherheit Säkularisierungstendenzen und Aberglaube zur Zeit der Sargoniden (*Studia Biblica et Orientalia*, volumen III, *Oriens Antiquus* [Rome, 1959], 356–367).
TALLQVIST, K.: *Akkadische Götterepitheta* (*Studia Orientalia* ([Helsinki] 7 (1938), 1–521).

(ح) نصوص ودراسات حول العالم السفلي وافكار ما بعد الموت

BÖHL, F. M. TH. DE LIAGRE: Hymne an Nergal, den Gott der Unterwelt (*Bibliotheca Orientalis* 6 (1949), 165–170).
CURTIS, J. B.: An investigation of the Mount of Olives in the Judaeo-Christian tradition (*Hebrew Union College Annual* 28 (1957), 137–177).
EBELING, E.: *Tod und Leben nach den Vorstellungen der Babylonier*, 1. Teil: *Texte* (Walter de Gruyter & Co., Berlin und Leipzig, 1931).
EBELING, E.: Eine Beschreibung der Unterwelt in sumerischer Sprache (*Orientalia* 18 (1949), 285–287).
JESTIN, R.: La conception sumérienne de la vie post-mortem (*Syria* 33 (1956), 113–118).
KRAMER, S. N.: The death of Gilgamesh (*Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 94 (1944), 2–12).
KRAMER, S. N.: 'Inanna's descent to the Nether World' continued and revised (*Journal of Cuneiform Studies* 5 (1951), 1–17).
LEWY, H.: Origin and significance of the *Mâgên Dâwîd* (*Archiv Orientální* 18/3 (1950), 330–365).

†SAGGS, H. W. F.: Some ancient Semitic conceptions of the Afterlife (*Faith and Thought* 90 (1958), 157–182).
SODEN, W. VON: Die Unterweltsvision eines assyrischen Kronprinzen (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 9 (1936), 1–31).
TALLQVIST, K.: Sumerisch-akkadische Namen der Totenwelt (*Studia Orientalia* [Helsinki] 5, part 4 (1934), 1–46).
VANDEN BERGHE, L.: Réflexions critiques sur la nature de Dumuzi-Tammuz (*La Nouvelle Clio* 6 (1954), 298–321).

(د) المعابد والزقورات

Amiet, P.: Ziggurats et 'Culte en Hauteur' des origines à l'époque d'Akkad (*Revue d'Assyriologie* 47 (1953), 23–33).
BUSINK, T. A.: *De Babylonische tempeltoren* (Brill, Leiden, 1949). [In Dutch, with a short summary in English.]
EBELING, E.: *Stiftungen und Vorschriften für assyrische Tempel* (Institut für Orientforschung, Berlin, 1954).

LENZEN, H. J.: *Die Entwicklung der Zikurrat von ihren Anfängen bis zur Zeit der III. Dynastie von Ur* (*Ausgrabungen der Deutschen Forschungsgemeinschaft in Uruk-Warka* 4; Harrassowitz, Leipzig, 1941).

LENZEN, H. J.: Mesopotamische Tempelanlagen von der Frühzeit bis zum zweiten Jahrtausend (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 17 (1955), 1–36).

†PARROT, A.: *Ziggurats et Tour de Babel* (Albin Michel, Paris, 1949).

(هـ) الملكية والزواج المقدس

BERNHARDT, K.-H.: *Das Problem der altorientalischen Königs-Ideologie im Alten Testament, unter besonderer Berücksichtigung der Geschichte der Psalmenexegese dargestellt und kritisch gewürdigt* (Brill, Leiden, 1961). [This contains, *inter alia*, a very useful bibliography.]

BUREN, E. D. VAN: The Sacred Marriage in early times in Mesopotamia (*Orientalia* 13 (1944), 1–72).

DIJK, J. VAN: La fête du nouvel ans dans un texte de Šulgi (*Bibliotheca Orientalis* 11 (1954), 83–88).

ENGNELL, J.: *Studies in divine kingship in the ancient Near East* (Uppsala, 1943).

†FRANKFORT, H.: *Kingship and the gods* (University of Chicago Press, 1948).

FRANKFORT, H.: State festivals in Egypt and Mesopotamia (*Journal of the Warburg and Courtauld Institutes* 15 (1952), 1–12).

†GADD, C. J.: *Ideas of divine rule in the ancient East* (*Schweich Lectures* for 1945; British Academy, 1948).

GRAY, J.: Royal substitution in the ancient Near East (*Palestine Exploration Quarterly* 1955, 180–182).

HALLO, W. W.: *Early Mesopotamian royal titles; a philological and historical analysis* (*American Oriental Series* 43; New Haven, 1957).

LABAT, R.: *Le caractère religieux de la royauté Assyro-Babylonienne* (Adrien-Maisonneuve, Paris, 1939).

LAMBERT, W. G.: A part of the ritual for the substitute king (*Archiv für Orientforschung* 18 (1957), 109–112).

MÜLLER, K. F.: Das assyrische Ritual, Teil I: Texte zum assyrischen Königsritual (*Mitteilungen der vorderasiatisch-aegyptischen Gesellschaft* 41/3, 1937).

SCHMÖKEL, H.: *Heilige Hochzeit und Hoheslied* (Wiesbaden, 1956).

SMITH, S.: The practice of kingship in early Semitic kingdoms (=pages 22–73 in Hooke, S. H. (editor): *Myth, Ritual, and Kingship* (Clarendon Press, Oxford, 1958).

WIDENGREN, G.: *The king and the Tree of Life in ancient Near Eastern religion* (Uppsala, 1951).

الادب (بمعناه الضيق) والنصوص الادبية

(آ) الطبعات والترجمات الرئيسة للنصوص

BÖHL, F. M. TH. DE LIAGRE: *Der babylonische Fürstenspiegel* (*Mitteilungen der altorientalischen Gesellschaft* 11/3, 1937).

BÖHL, F. M. TH. DE LIAGRE: Die Myth von weisen Adapa (*Die Welt des Orients* 2 (1959), 416–431).

EBELING, E.: Eine neue Tafel des akkadischen Zû-mythos (*Revue d'Assyriologie* 46 (1952), 25–41).

GELLER, S.: *Die sumerisch-assyrische Serie Lugal-e ud me-lam-bi nir-gal* (*Altorientalische Texte und Untersuchungen* 1/4, 1917).

†GORDON, E. I.: *Sumerian proverbs* (University Museum, University of Pennsylvania, 1959).

GÖSSMANN, P. F.: *Das Era Epos* (Würzburg, 1955).

Gurney, O. R.: The Sultantepe tablets (*Anatolian Studies* 2 (1952), 25–35; 3 (1953), 15–25; 4 (1954), 65–99 [in collaboration with W. G. Lambert]; 5 (1955), 93–113; 6 (1956), 145–164; 7 (1957), 127–136; 10 (1960), 105–131).

Jacobsen, Th. and Kramer, S. N.: The myth of Inanna and Bilulu (*Journal of Near Eastern Studies* 12 (1953), 160–188).

Jensen, P.: *Assyrisch-babylonische Mythen und Epen* (*Keilinschriftliche Bibliothek* vi/1; Berlin, 1900).

Kramer, S. N.: Man's golden age: a Sumerian parallel to Genesis xi 1 (*Journal of the American Oriental Society* 63 (1943), 191–194).

Kramer, S. N.: Schooldays: a Sumerian composition relating to the education of a scribe (*Journal of the American Oriental Society* 69 (1949), 199–215).

Kramer, S. N.: *Enmerkar and the Lord of Aratta. A Sumerian epic tale of Iraq and Iran* (University Museum, University of Pennsylvania, 1952).

Laessøe, J.: The Atrahasis epic: A Babylonian history of mankind (*Bibliotheca Orientalis* 13 (1956), 90–102).

†Lambert, W. G.: *Babylonian Wisdom literature* (Clarendon Press, Oxford, 1960).

Lambert, W. G.: Three unpublished fragments of the Tukulti-Ninurta epic (*Archiv für Orientforschung* 18 (1957–58), 38–51).

Langdon, S.: *The legend of Etana and the eagle* (Geuthner, Paris, 1932).

Nougayrol, J.: Un chef-d'oeuvre inédit de la littérature babylonienne (*Revue d'Assyriologie* 45 (1951), 169–183).

Nougayrol, J.: Ningirsu, vainqueur de Zû (*Revue d'Assyriologie* 46 (1952), 87–97).

Reiner, E.: Deux fragments du mythe de Zû (*Revue d'Assyriologie* 48 (1954), 145–148).

Scheil, V.: Fragment de la légende du dieu Zû (*Revue d'Assyriologie* 35 (1938), 14–32).

Thompson, R. C.: *The epic of Gilgamish. Text, transliteration and notes* (Clarendon Press, Oxford, 1930).

(ب) الدراسات الرئيسة

Dijk, J. J. A. van: *La sagesse suméro-accadienne* (Brill, Leiden, 1953).

Ebeling, E.: *Die bablonische Fabel und ihre Bedeutung für die Literaturgeschichte* (*Mitteilungen der altorientalischen Gesellschaft* 11/3, 1937).

Falkenstein, A.: Zur Chronologie der sumerischen Literatur (nach altbabylonische Stufe) (*Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft* 85 (1953), 1–13).

Fish, T.: The Zu bird (*Bulletin of the John Rylands Library* 31 (1948), 162–171).

†Gadd, C. J.: *Teachers and students in the oldest schools* (School of Oriental and African Studies, University of London, 1956).

Güterbock, H. G.: Die historische Tradition und ihre literarische Gestaltung bei Babyloniern und Hethitern bis 1200 (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 8 (1934), 1–91; 10 (1938), 45–149).

Jacobsen, Th.: The investiture and anointing of Adapa in heaven (*American Journal of Semitic Languages* 46 (1929), 201–202).

Jordon, F.: *In den Tagen des Tammuz. Altbabylonische Mythen* (Munich, 1950).

Kramer, S. N.: Dilmun, the land of the living (*Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 96 (1944), 18–28).

†Kramer, S. N.: *Sumerian Mythology* (American Philosophical Society, Philadelphia, 1944).

Kramer, S. N.: The Epic of Gilgameš and its Sumerian sources. A study in literary evolution (*Journal of the American Oriental Society* 64 (1944), 7–23 and 83).

†KRAMER, S. N.: Mythology of Sumer and Akkad (=pages 95–137 in Kramer, S. N. (editor): *Mythologies of the ancient world*; Doubleday Anchor Books, New York, 1961).

LAESSØE, J.: Literacy and oral tradition in ancient Mesopotamia (*Studia Orientalia Ioanni Pedersen septuagenario . . . a collegis discipulis amicis dicata* [Einar Munksgaard, Copenhagen, 1953], 205–218).

LAMBERT, W. G.: Ancestors, authors and canonicity (*Journal of Cuneiform Studies* 11 (1957), 1–14).

LANDSBERGER, B.: Babylonian scribal craft and its terminology (*Proceedings of the XXIII International Congress of Orientalists* (1954), 123–126).

MEISSNER, B.: *Die babylonisch-assyrische Literatur* (Wildpark, Potsdam, 1930).

REINER, E.: Le char de Ninurta et le prologue du mythe de Zû (*Revue d'Assyriologie* 51 (1957), 107–110).

SODEN, W. VON: Das Problem der zeitlichen Einordnung akkadischer Literaturwerke (*Mitteilungen der Deutschen Orient-Gesellschaft* 85 (1953), 14–26).

SPEISER, E. A.: The case of the obliging servant (*Journal of Cuneiform Studies* 8 (1954), 98–105).

WILLIAMS, R. J.: The literary history of a Mesopotamian fable (*The Phoenix* [Toronto] 12 (1956), 70–77).

الرياضيات والفلك

BAQIR, T.: An important mathematical problem text from Tell Harmal. (On a Euclidean Theorem) (*Sumer* 6 (1950), 39–54).

BAQIR, T.: Another important mathematical text from Tell Harmal (*Sumer* (1950), 130–148).

BERRIMANS, A. E.: A new approach to the study of ancient metrology (*Revue d'Assyriologie* 49 (1955), 193–201).

BRUINS, E. M.: On the system of Babylonian geometry (*Sumer* 11 (1955), 44–49).

CARATINI, R.: Quelques aspects de la mathématique babylonienne (*Semitica* 2 (1949), 3–15).

CARATINI, R.: Quadrature du cercle et quadrature des lunules en Mesopotamie (*Revue d'Assyriologie* 51 (1957), 11-20).

CORNELIUS, F.: Die Venusdaten des Ammiṣaduga (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 14 (1952), 146–151).

GADD, C. J.: Forms and Colours. 1—Forms (*Revue d'Assyriologie* 19 (1922), 149–158).

HUBER, P.: Zur täglich[illegible]ewegung des Jupiter nach babylonischen Texten (*Zeitschrift für A*[illegible]*gie*, neue Folge 18 (1951), 265–303).

KILMER, A. [illegible]ORN: Two new lists of key numbers for mathematical oper[illegible] *[illegible]rientalia* 29 (1960), 273–308).

I[illegible]: Studies in Assyro-Babylonian mathematics and metrology *[illegible]rientalia* 20 (1951), 1–12).

LEWY, H.: Origin and development of the sexagesimal system of numeration (*Journal of the American Oriental Society* 69 (1949), 1–11).

†NEUGEBAUER, O.: The history of ancient astronomy; problems and methods (*Journal of Near Eastern Studies* 4 (1945), 1–38).

NEUGEBAUER, O.: Studies in ancient astronomy VIII. The water clock in Babylonian astronomy (*Isis, an international review devoted to the History of Science and Civilization* 37 (1947), 37–43).

†NEUGEBAUER, O.: *The exact sciences in antiquity* (Brown University Press, Providence, Rhode Island; 2nd edition, 1957).

Neugebauer, O.: The alleged Babylonian discovery of the precession of the equinoxes (*Journal of the American Oriental Society* 70 (1950), 1–8).

†Neugebauer, O.: Ancient mathematics and astronomy (= pages 785–804 in Singer, C., and others (editors): *A history of technology*, vol. 1; Clarendon Press, Oxford, 1954).

Neugebauer, O.: Babylonian planetary theory (*Proceedings of the American Philosophical Society* 98 (1954), 60–89).

Neugebauer, O.: *Astronomical cuneiform texts. Babylonian ephemerides of the Seleucid period for the motion of the sun, the moon, and the planets*, vols. I–III (Institute for Advanced Study, Princeton and Lund Humphries, London, 1955).

Neugebauer, O. and Sachs, A.: *Mathematical cuneiform texts* (with a chapter by A. Goetze) (*American Oriental Series* 29; New Haven, 1945).

Sachs, A. J.: A Late Babylonian star catalog (*Journal of Cuneiform Studies* 6 (1952), 146–150).

Sachs, A. J.: Babylonian mathematical texts II–III (*Journal of Cuneiform Studies* 6 (1952), 151–156).

Sachs, A. J.: Sirius dates in Babylonian astronomical texts of the Seleucid period (*Journal of Cuneiform Studies* 6 (1952), 105–114).

Sachs, A. J. and Neugebauer, O.: A procedure text concerning solar and lunar motion: BM 36712 (*Journal of Cuneiform Studies* 10 (1956), 131–136).

Saggs, H. W. F.: A Babylonian geometrical text (*Revue d'Assyriologie* 54 (1960), 131–146).

†Sarton, G.: Chaldaean astronomy of the last three centuries b.c. (*Journal of the American Oriental Society* 75 (1955), 166–173). [A useful review article.]

Schott, A.: Marduk und sein Stern (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 9 (1936), 124–145; 10 (1938), 205–210).

Thureau-Dangin, F.: La méthode de fausse position et l'origine de l'Algèbre (*Revue d'Assyriologie* 35 (1938), 71–77).

†Thureau-Dangin, F.: *Textes mathématiques babyloniens* (Brill, Leiden, 1938).

Unger, E.: Die Milchstrasse Nibiru, Sternbild des Marduk (*Die Welt des Orients* 2 (1959), 454–464).

†Waerden, B. L. van der: History of the Zodiac (*Archiv für Orientforschung* 16 (1952–53), 216–230).

Waerden, B. L. van der: Babylonian astronomy, I (*Jaarbericht Ex Oriente Lux*, Deel III (Nos. 9–10) (1944–48), 414–424); II (*Journal of Near Eastern Studies* 8 (1949), 6–26).

†Waerden, B. L. van der: *Science awakening* (Noordhoff, Groningen, 1954; reprint 1961).

الطب

Civil, M.: Prescriptions médicales sumériennes (*Revue d'Assyriologie* 54 (1960), 57–72).

Goetze, A.: An incantation against diseases (*Journal of Cuneiform Studies* 9 (1955), 8–18).

Horgan, E. S.: Medicine and surgery in the most ancient East (Babylonia and Egypt) (*Sudan Notes and Records* 30; Supplement (1949), 29–46).

Labat, R.: *Traité akkadien de diagnostics et pronostics médicaux*, I (Academie Internationale d'histoire des Sciences, Paris and Brill, Leiden, 1951).

Labat, R.: *La médecine babylonienne* (Paris, 1953).

Labat, R.: À propos de la chirurgie babylonienne (*Journal Asiatique* 242 (1954), 207–218).

Labat, R.: Une nouvelle tablette de pronostics médicaux (*Syria* 33 (1956), 119–130).

LABAT, R.: Remèdes assyriens contre les affections de l'oreille, d'après un inédit du Louvre (AO.6774) (*Rivista degli studi orientalia* 32 (1957), 109–122).
NOUGAYROL, J.: Présages médicaux de l'haruspicine babylonienne (*Semitica* 6 (1956), 5–14).
OPPENHEIM, A. L.: On the observation of the pulse in Mesopotamian medicine (*Orientalia* 31 (1962), 27–33).
SODEN, W. VON: Die Hebamme in Babylonien und Assyrien (*Archiv für Orientforschung* 18 (1957), 119–121).
THOMPSON, R. C.: Assyrian medical presciptions for diseases of the stomach (*Revue d'Assyriologie* 26 (1929), 47–92).

THOMPSON, R. C.: Assyrian prescriptions for the 'Hand of a Ghost' (*Journal of the Royal Asiatic Society* 1929, 801–823).
THOMPSON, R. C.: Assyrian prescriptions for treating bruises or swellings (*American Journal of Semitic Languages* 47 (1930), 1–25).
THOMPSON, R. C.: Assyrian prescriptions for diseases of the chest and lungs (*Revue d'Assyriologie* 31 (1934), 1–29).

الكيمياء والنبات وعلم الارض والتعدين والتقنية

BAUMGARTNER, W.: Untersuchungen zu den akkadischen Bauausdrücken (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 2 (1925), 29–40, 123–138, 219–253).
†COGHLAN, H. H.: *Notes on the prehistoric metallurgy of copper and bronze in the Old World* (*Pitt Rivers Museum, Occasional Papers on Technology* 4; Oxford, 1951).
†COGHLAN, H. H.: *Notes on prehistoric and early iron in the Old World* (*Pitt Rivers Museum, Occasional Papers on Technology* 8; Oxford, 1956).
EBELING, E.: Mittelassyrische Rezepte zur Herstellung von wohlriechenden Salben (*Orientalia* 17 (1948), 129–145, 299–313; 18 (1949), 404–418; 19 (1950), 265–278).
EISLER, R.: Die chemische Terminologie der Babylonier (*Zeitschrift für Assyriologie*, neue Folge 3 (1927), 109–131). [See also *op. cit.*, 205–214, 273–282.]
†FORBES, R. J.: *Metallurgy in antiquity* (Brill, Leiden, 1950).
FORBES, R. J.: *Studies in ancient technology*, I–VI (Brill, Leiden, 1955–58).
GADD, C. J. and THOMPSON, R. C.: A Middle-Babylonian chemical text (*Iraq* 3 (1936), 87–96).
†HARTMAN, L. F. and OPPENHEIM, A. L.: *On beer and brewing techniques in ancient Mesopotamia* (*Supplement to the Journal of the American Oriental Society*, No. 10; Baltimore, 1950).
†JACOBSEN, TH. and LLOYD, SETON: *Sennacherib's aqueduct at Jerwan* (*Oriental Institute Publications* 24; University of Chicago Press, 1935).
LABAT, R.: Les sciences en Mésopotamie (*Revue de la Mediterranée* 17 (1957), 123–158).
LAESSØE, J.: Reflexions on modern and ancient oriental water works (*Journal of Cuneiform Studies* 7 (1953), 5–26).
†LEVEY, M.: *Chemistry and Chemical technology in ancient Mesopotamia* (Elsevier Publishing Company, London/New York, 1959).
LIMET, H. *Le travail du métal au pays de Sumer au temps de la IIIe dynastie d'Ur* (*Bibliothèque de la Faculté de Philosophie et Lettres de l'Université de Liège*, Fascicule CLV; Paris, 1960).
MOORE, H.: Reproductions of an ancient Babylonian glaze (*Iraq* 10 (1948), 26–33).
NORTH, R.: Metallurgy in the ancient Near East (*Orientalia* 24 (1955), 78–88). [A valuable review of Forbes, R. J.: *Metallurgy in antiquity*.]

Safar, F.: Sennacherib's project for supplying Erbil with water (*Sumer* 3 (1947), 23–25).

†Singer, C., Holmyard, E. J. and Hall, A. R.: *A history of technology*, vol. I; *From early times to fall of ancient empires* (Clarendon Press, Oxford, 1954).

Thompson, R. C.: *A dictionary of Assyrian chemistry and geology* (Clarendon Press, Oxford, 1936).

Thompson, R. C.: *A dictionary of Assyrian botany* (British Academy, 1949).

الفن والعمارة

Bachmann, W.: *Felsrelie s in Assyrien, Bawian, Maitai und Gundük* (Hinrichs, Leipzig, 1927).

Barnett, R. D.: Early Greek and Oriental ivories (*Journal of Hellenic Studies* 68 (1948), 1–25).

Barnett, R. D.: *A catalogue of the Nimrud ivories with other examples of ancient Near Eastern ivories in the British Museum* (British Museum, 1957).

Debeoise, N. C.: The rock reliefs of ancient Iran (*Journal of Near Eastern Studies* 1 (1942), 76–105).

†Frankfort, H.: Cylinder seals (MacMillan, London, 1939).

Frankfort, H.: *Stratified cylinder seals from the Diyala region* (*Oriental Institute Publications* 72; University of Chicago Press, 1954).

†Frankfort, H.: *The art and architecture of the ancient Orient* (Penguin Books, Harmondsworth and Baltimore, 1954).

†Güterbock, H. G.: Narration in Anatolian, Syrian and Assyrian Art (*American Journal of Archaeology* 61 (1957), 62–71).

†Perkins, A.: Narration in Babylonian art (*American Journal of Archaeology* 61 (1957), 54–62).

Schäfer, H. and Andrae, E.: *Die Kunst des alten Orients* (Im Propyläen, Berlin, 1925).

الموسيقى

Follet, R. and Nober, P.: Zur altorientalischen Musik (*Biblica* 35 (1954), 230–238).

†Galpin, F. W.: *The music of the Sumerians and their immediate successors the Babylonians and Assyrians* (Heitz, Strasbourg; 2nd edition, 1955).

Polin, C. C. J.: *Music of the ancient Near East* (New York, 1954).

Wegner, M.: *Die Musikinstrumente des alten Orients* (Aschendorffsche Verlagsbuchhandlung, Münster in Westfalen, 1950).

التراث

Adolf, H.: The ass and the harp (*Speculum; a Journal of Mediaeval Studies* 25 (1950), 49–57).

Barnett, R. D.: Ancient oriental influences on archaic Greece (=pages 212–238 in Weinberg, S. S. (editor): *The Aegean and the Near East*, 1956).

Cresswell, K. A. C.: *The evolution of the minaret* (Reprint from the *Burlington Magazine*, March, May, June, 1926; London, 1926).

Cresswell, K. A. C.: *Early Muslim architecture*, II (Clarendon Press, Oxford, 1940).

Dalton, O. M.: *East Christian art* (Clarendon Press, Oxford, 1925).

Driver, G. R.: Lilith (*Palestine Exploration Quarterly*, 1959, 55–57).

Guillaume, A.: Magical terms in the Old Testament (*Journal of the Royal Asiatic Society* 1942, 111–131). [See also *Journal of the Royal Asiatic Society* 1943, 6–16, 251–254; 1944, 165–171; 1946, 79–80.]

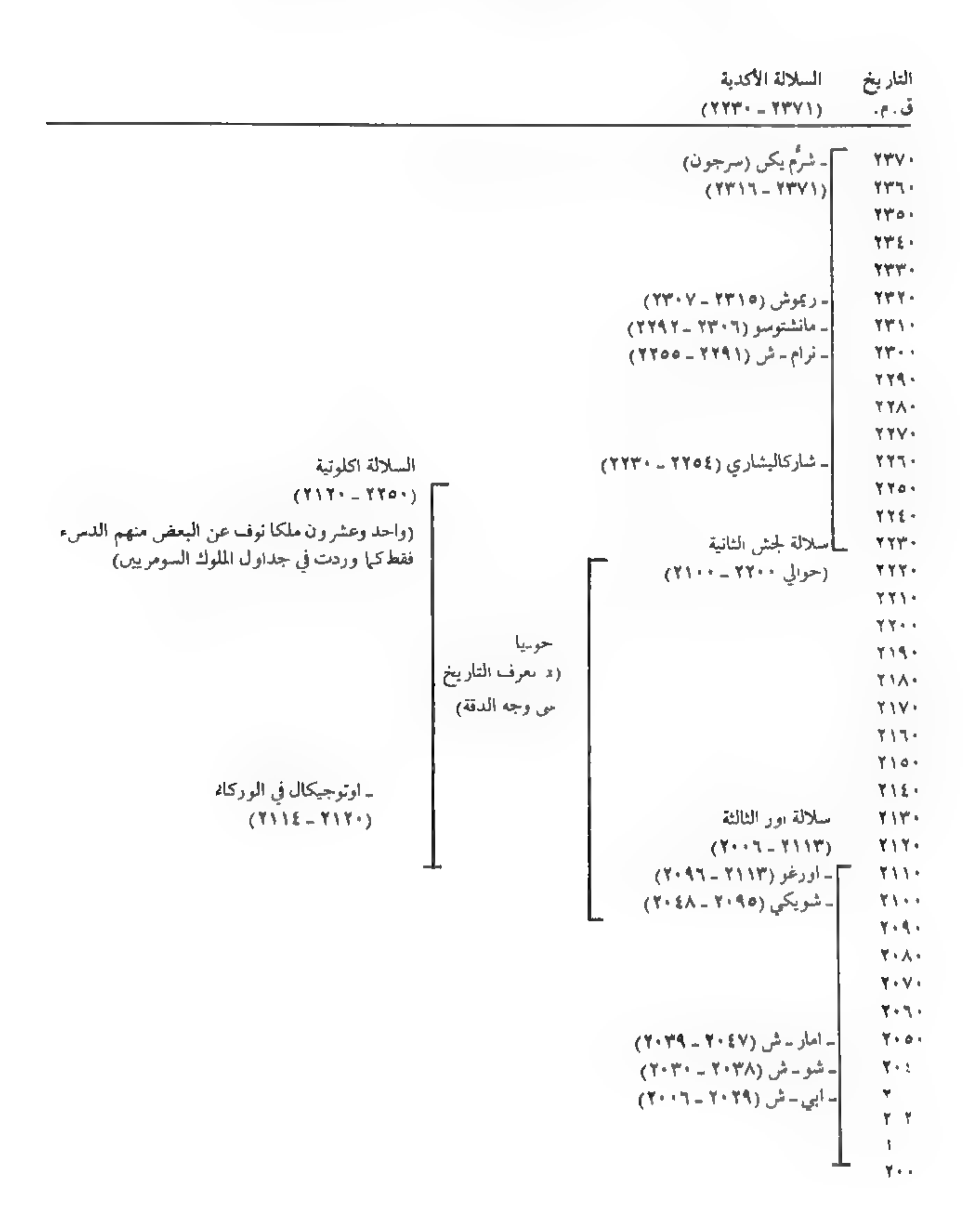
LANDSBERGER, B. *Der kultische Kalendar der Babylonier und Assyrier* (*Leipziger semitistische Studien* VI/1, 2; Hinrichs, Leipzig, 1915). [Despite the date this remains an important work.]
McCOWN, C. C.: *Man, morals and history. Today's legacy from ancient times and biblical peoples* (Harper and Brothers, New York, 1958).
†RICE, D. T.: *Byzantine art* (Penguin Books, London; revised edition, 1954).
†SPEISER, E. A.: Ancient Mesopotamia, a light that did not fail (*National Geographical Magazine* 49 (1951), 41–105).
WEIDNER, E.: Die astrologische Serie *Enûma Anu Enlil* (*Archiv für Orientforschung* 14 (1941–44), 172–195, 308–318; 17 (1954–56), 71–89).

جدول ١

حضارات عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية الرئيسية في بلاد ما بين النهرين

التاريخ ق.م.	شمال بلاد ما بين النهرين	جنوب بلاد ما بين النهرين
٥٠٠٠	جرمو	
٤٥٠٠	ـ حسونة	
	ـ سامراء	ـ اريدو
٤٠٠٠	ـ حلف	ـ حاجي محمد
		ـ العبيد
	ـ العبيد الشمالي	
٣٥٠٠		ـ اوروك
		ـ اوائل العهد الشبيه بالكتابي (اوروك ٤)
	ـ تبة كورا السابع	ـ اواخر العهد الشبيه بالكتابي (جمدة نصر)
٢٨٠٠	ـ تبة كورا السادس	ـ عصر فجر السلالات الأول
	ـ تبة كورا الخامس	ـ عصر فجر السلالات الثاني
		ـ عصر فجر السلالات الثالث
٢٤٠٠		ـ نهاية عصور فجر السلالات

جدول ٢
من قيام السلالة الأكدية حتى سقوط سلالة اور الثالثة



جدول ٣

السلالات الرئيسة في بلاد بابل واشور من سقوط سلالة اور الثالثة وحتى نهاية سلالة بابل الأولى

التاريخ ق.م.	ايسن	لارسا	بابل	ماري	اشور
٢٠٢٠	- اشبي - ارّا	- نبلانُم			
٢٠١٠	(٢٠١٧ - ١٩٨٥)	[لا تعرف الاسماء الحكام الثلاثة الذين اعقبوا في الحكم]			
٢٠٠٠					
١٩٩٠	- شو - ايليتو (١٩٨٤ - ١٩٧٥)				
١٩٨٠	- ادّن - داكان				
١٩٧٠	(١٩٧٤ - ١٩٥٤)				
١٩٦٠	- اشمي - داكان (١٩٥٣ - ١٩٣٥)				
١٩٥٠					
١٩٤٠	- لبت - عشتار				
١٩٣٠	(١٩٣٤ - ١٩٢٤)				
		- كونكوم (١٩٣٢ - ١٩٠٦)			
١٩٢٠	- اور - ننورتا (١٩٢٣ - ١٨٩٦)				
١٩١٠					ايلوشوما
١٩٠٠		- ابي - ساري (١٩٠٥ - ١٨٩٥)			
١٨٩٠	ثلاث حكام		- سومو - ابوم	اشطُب - ايل	ايريشم الأول
١٨٨٠	- غير مهمين		(١٨٩٤ - ١٨٨١)		
١٨٧٠			- سومو - لا - ايلوم		سرجون الأول
			(١٨٨٠ - ١٨٤٥)		
١٨٦٠	- انليل - باني				
١٨٦٠	(١٨٦٢ - ١٨٣٩)	ثلاث حكام			[عدد من الحكام لا يعرف عنهم الا الشيء القليل]
		- غير مهمين			
١٨٥٠					
١٨٤٠			- سابيوم (١٨٤٤ - ١٨٣١)	ياكيد - يم	
١٨٣٠	خمس حكام	ورد - سن (١٨٣٤ - ١٨٢٤)	- ايل - سن (١٨٣٠ - ١٨١٣)		
١٨٢٠	غير مهمين	- ريم - سن (١٨٢٢ - ١٧٦٣)		يخدن - يم	
١٨١٠			- سن - مبلِّط (١٨١٢ - ١٧٩٣)		- شمشي - ادد الأول (١٨١٤ - ١٧٨٢)
١٨٠٠				- يسمخ - ادد	
١٧٩٠	هوجمت ايسن من قبل لارسا		حورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠)	(١٧٩٦ - ١٧٨٠)	

(تابع جدول رقم ٣)

١٧٨٠					- اشمي - داكان
١٧٧٠				- زمري - لم	(١٧٨١ - ١٧٤٢)
				(١٧٧٩ - ١٧٦١)	
١٧٦٠		هوجمت لارسا من		- هوجمت ماري	
١٧٥٠		قبل بابل		من قبل بابل	
١٧٤٠			- سمسو - ايلونا		
			(١٧٤٩ - ١٧١٢)		
١٧٣٠	سلالة القطر البحري				
				الحثيّون	
١٧٢٠		[سلالة مستقلة في	- ابي - ايشوخ		[احكام غير مهمين
١٧١٠		جنوبي بلاد بابل]	(١٧١١ - ١٦٨٤)		اعقبوا في الحكم]
١٧٠٠					
١٦٩٠					
١٦٨٠			- امّي - ديتانا	لابرناس	
١٦٧			(١٦٨٣ - ١٦٤٧)		
١٦٦					
١٦٥٠				حتّو سيليس	
١٦٤٠			- امّي - صدوقا	الاول	
١٦٣٠			(١٦٤٦ - ١٦٢٦)		
١٦٢٠			- سمسو - ديتانا	مرسيليس	
١٦١٠			(١٦٢٥ - ١٥٩٥)	الاول	
١٦٠٠					
١٥٩٠				- حتيليس الأول	

جدول ٤
الممالك الرئيسة في الشرق الأدنى من عام ١٥٩٥ وحتى ١٢٥٠ ق.م.

التاريخ ق.م.	مصر	الحثيون	الميتانيون	بلاداشور	بلاد بابل
١٦٠٠					اكوم الثاني (كاكريما)
١٥٩٠		ـ خاتتيليس الأول (١٥٦٠ ـ ١٥٩٠)			
١٥٨٠	السلالة ١٨				
١٥٧٠	ـ اموسيس (١٥٥٠ ـ ١٥٧٥)				
١٥٦٠					[حوالي تسعة حكام]
١٥٥٠	ـ امنوفس الأول (١٥٢٨ ـ ١٥٥٠)			ـ ايريشم الثالث	
١٥٤٠		[ثمانية حكام غير مهمين]		ـ شمشي ـ ادد الثاني	
١٥٣٠				ـ اشمي ـ داكان الثاني	
١٥٢٠	ـ تحتمس الأول (١٥١٠ ـ ١٥٢٨)				
١٥١٠	تحتمس الثاني (١٤٩٠ ـ ١٥١٠)			ـ شمشي ـ ادد الثالث	
١٥٠٠			ـ باراتارنا	ـ اشور ـ نراري الأول	
١٤٩٠	تحتمس الثالث				
١٤٩٠)	(١٤٣٦ـ				
١٤٨٠					
١٤٧٠				ـ بوزور ـ راشور ـ الثالث	
			سوساتار		كاشتلياش الثالث
١٤٦٠		ـ تزالياس الثاني (١٤٤٠ ـ ١٤٦٠)		ـ انليل ـ ناصر الأول	
١٤٥٠					ـ اولام بورياش
١٤٤٠					اكوم الثالث
		ـ ارنو وانداس الأول			
١٤٣٠	ـ امنوفس الثاني (١٤١٣ ـ ١٤٣٦)	(١٤٢٠ ـ ١٤٤٠) (١٤٢٠ ـ ١٤٤٠)		ـ نود ـ ايلي ـ نود ـ ايلي	
١٤٢٠				ـ ايليل ـ ناصر الثاني ـ اشور ـ نراري الثاني	
		ـ خاتوسيليس الثاني	ارتاتاما	ـ اشور ـ بيل ـ نيشوشو	
١٤١٠	ـ تحتمس الرابع (١٤٠٥ ـ ١٤١٣)	(١٤٠٠ ـ ١٤٢٠)		ـ اشور ـ ديم ـ نيشوشو	ـ كاره ـ انداش
١٤٠٠	ـ امنوفس الثالث (١٣٦٧ ـ ١٤٠٥)	تدالياس الثالث (١٣٨٥ ـ ١٤٠٠)	شدتارنا الثاني	ـ اشود ـ عادن ـ اخي الثاني	كرشهان ـ حاربي
١٣٩٠			تشرتا	ـ اريبا ـ اهد الأول (١٣٦٦ ـ ١٣٩٢)	كوريكالزو الأول كدشمان ـ انليل الأول
١٣٨٠		ـ ادنو وانداس الثاني (١٣٧٥ ـ ١٣٨٥)			

(تابع جدول رقم ٤)

١٣٧٠		ـ شوبيلوليوما (١٣٣٥ ـ ١٣٧٥)			ـ بودنابورياش الثاني (١٣٤٧ ـ ١٣٧٥)
١٣٦٠	ـ احساتون (١٣٥٠ ـ ١٣٦٧)	[ادعى العرش الغاصب ارتاتاما]		ـ اشور ـ اوبالط الأول (١٣٣٠ ـ ١٣٦٥)	
١٣٥٠	سمنكارع ـ توت عنخ أمون (١٣٣٩ ـ ١٣٤٧)				ـ كاره ـ انداش؟ ـ نازي ـ بوكاش
١٣٤٠	ـ آي	ـ ارنو وانداس الثالث	ـ مدتيوازا		ـ كوريكالزو الثاني (١٣٢٤ ـ ١٣٤٥)
١٣٣٠	ـ حرم حب (١٣٠٨ ـ ١٣٣٥)	ـ مورسيليس الثاني (١٣٠٦ ـ ١٣٣٤)		ـ انليل ـ نرادي (١٣٢٠ ـ ١٣٢٩)	
١٣٢٠				ـ ارك ـ دن ـ ايلي (١٣٠٨ ـ ١٣١٩)	ـ نازي ـ ماردتاش (١٢٩٨ ـ ١٣٢٣)
١٣١٠					
١٣٠٠	ـ السلالة ١٩ رمسيس الأول سيتوس الأول (١٢٩١ ـ ١٣٠٨)	ـ مواتاليس (١٢٨٢ ـ ١٣٠٦)	شكّورا الأول	ـ ادد ـ نراري الأول (١٢٧٥ ـ ١٣٠٧)	
١٢٩٠	ـ رمسيس الثاني		واساشتا		ـ كدشمان ـ توركو (١٢٨٠ ـ ١٢٩٧)
١٢٨٠	(١٢٢٤ ـ ١٢٩٠)	ـ أرخي ـ تيشوب (١٢٧٥ ـ ١٢٨٢)	شكورا الثاني		ـ كدشمان ـ انليل الثاني
١٢٧٠		ـ خاتوسيليس الثالث (١٢٥٠ ـ ١٢٧٥)		ـ شيلمنصر الأول (١٢٤٥ ـ ١٢٧٤)	(١٢٦٥ ـ ١٢٧٩)
١٢٦٠		ـ			
١٢٥٠					

جدول ٥

بلاد اشور بين عامي ١٢٥٠ و٧٤٦ ق.م. مع الممالك المعاصرة الرئيسة

التاريخ ق.م.	مصر	فلسطين	بلاد اشور	بلاد بابل
١٢٥٠	السلالة ١٩			
١٢٤٠			ـ توكلتي ـ ننودتا الأول (١٢٤٤ ـ ١٢٠٨)	ـ كاشتلياش الرابع (١٢٩٢ ـ ١٢٣٥)
١٢٣٠				
١٢٢٠				
١٢١٠				
١٢٠٠			ـ اشور ـ نادن ـ ابلي (١٢٠٧ ـ ١٢٠٤) ـ جاكمين غير مهمين ـ انليل ـ كودود ـ اوصر ـ (١١٩٧ ـ ١١٩٣)	
١١٩٠	السلالة ٢٠	الفلسطينيون		
١١٨٠	ـ رمسيس الثالث (١١٩٢ ـ ١١٨٠)		نفورتا ـ ابال ـ اكود	(١١٨٢ ـ ١١٥١)
١١٧٠			ـ اشود ـ دانالأول (١١٧٩ ـ ١١٣٤)	عشر ملوك
١١٦٠				
١١٥٠				
١١٤٠			ـ ننودتا ـ توكلتي ـ اشود	
١١٣٠			ـ اشور ـ ريش ـ اشي	
١١٢٠			(١١٣٣ ـ ١١١٦)	ـ نبوخذنصر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣)
١١١٠			ـ تجلاتبليزر الاول (١١١٥ ـ ١٠٧٧)	
١١٠٠				ثلاث ملوك
١٠٩٠	ـ السلالة ٢١			
١٠٨٠			ـ اشارد ـ بابال ـ اكود الثاني	ـ مردوخ ـ شابك زير ـ ماتي (١٠٨٠ ـ ١٠٦٨)
١٠٧٠			ـ اشور ـ بيل ـ كالا (١٠٧٤ ـ ١٠٥٧)	
١٠٦٠				ـ مردوخ ـ ابال ـ ادنام (١٠٦٧ ـ ١٠٤٦)
١٠٥٠				
١٠٤٠				
١٠٣٠			خمس ملوك غير مهمين	
١٠٢		داؤد		
١٠١٠			ـ اشور ـ رابي الأول (١٠١٠ ـ ٩٧٠)	
١٠٠٠				
٩٩٠				

(تابع جدول رقم ٥)

٩٨٠				
٩٧٠		سليمان	- اشور - ريش - ابشي الثاني - تجلاتبليزر الثاني (٩٣٥ - ٩٦٦)	خمس عشر ملكاً
٩٦٠				
٩٥٠	السلالة ٢٣			
٩٤٠				
٩٣٠	يهوذا - رصبام (٩١٥ - ٩٣١)	اسرائيل - برتعام الأول (٩١٠ - ٩٣١)	- اشور - دان الثاني (٩١٢ - ٩٣٤) (٩١٢ - ٩٣٤)	
٩٢٠				
٩١٠			- ادد - نراري الثاني (٨٩١ - ٩١١)	
٩٠٠		اربعة ملوك		
٨٩٠		- عمري (٨٧٤ - ٨٨٥)	- توكلين - تنوتا الثاني (٨٨٤ - ٨٩٠) - اشود - ناصر - بال (٨٥٩ - ٨٨٣)	نابو - ابلا - ادّن
٨٧٠	ثمانية ملوك	- اخآب (٨٥٣ - ٨٧٤)		
٨٦٠				
٨٥٠		- ملكين	- شيلمنصر الثالث (٨٢٤ - ٨٥٨)	
٨٤٠				
٨٣٠		- يهو (٨١٤ - ٨٤١)		
٨٢٠			- شمتي - ادد الخامس) (٨١١ - ٨٢٣)	خمس ملوك
٨١٠				
٨٠٠		- خمس ملوك	- ادد - نرادي الثالث (١٨٣ - ٨١٠)	
٧٩٠				
٧٨٠			- شيلمنصر الرابع (٧٧٢ - ٧٨٢)	
٧٧٠			- اشور - دان للثالث (٧٣٤ - ٧٧١)	
٧٦٠	- غراديا (٧٤٠ - ٧٦٦)			
٧٥٠		- مناحيم (٧٤١ - ٧٥٢)	- اشود - نراري الخامس (٧٤٦ - ٧٥٣)	- تابو - ناصر (٧٣٤ - ٧٤٦)
٧٤٠				

جدول ٦
بلاد اشور وبلاد بابل بين عامي ٧٤٥ و٥٣٩ ق.م.، مع الممالك المعاصرة الرئيسة.

التاريخ ق.م.	مصر	فلسطين: يهوذا	فلسطين: اسرائيل	اشور	بابل	اورارتو	ايران
٧٥٠			منحيم (- ٧٤١)	- تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧)	- نابو - ناصر (٧٤٦ - ٧٣٤)		
٧٤٠					- نابو - نادن - زير - اوكن - زير (٧٣٢ - ٧٣٠)		
٧٣٠				- شيلمنصر الخامس (٧٢٦ - ٧٢٢)	- بولو (تجلاتبليزر الثالث) (٧٢٩ - ٧٢٧) - اولاليا (شيلمنصر الخامس)	- ساردر الثاني (- ٧٣٤) - روساس الأول (٧٣٣ - ٧١٤	
٧٢٠			- سقوط السامرة (٧٢٢)	- سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥)	- مردوخ - بلادان (٧٢١ - ٧١١)		
٧١٠				- سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١)	- سرجون (٧١٠ - ٧٠٥) (نائب الملك) - بحصيان (٧٠٣)	- اركيشس الثاني (٧١٣ - ٦٨٥)	
٧٠٠					- بيل - ابني (٧٠٢ - ٧٠٠) - اشور - نادن يشوم (٦٩٩ - ٦٩٤)	روساس الثاني	صدام بين عيلام واشور (٧٠٠ - ٦٩١)
٦٩٠	- تاركو (٦٨٩ - ٦٦٤)				- نرجال - اوشيزب - مشيزب - مردوخ (٦٩٣ - ٦٨٩)		
٦٨٠	- الغزو الاشوري (٦٧١)			اسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩) - اشوربانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦)	- سلب بابل (٦٨٩) الملك - اسرحدون (نائب الملك) - اسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩)		

(تابع جدول رقم ٦)

	- الغزو الاشوري (٦٦٧) - تانوتامن (جنوب مصر) (٦٦٤ - ٦٥٦)			- شمش - شم - اوكن (٦٦٨ - ٦٤٨)		
٦٦٠	- بسماتيك [شمال مصر] (٦٦٣ - ٦١٠) طرد القوات الاشورية (٦٥٨ - ٦٥١)					
٦٥٠		منطقة سوريا الطبيعية		الهجوم على الجامعات - الاشورية (٦٥٢) - حرب اهلية (٧٤٩ - ٧٤٨)	ساردور الثالث [اهجة اورارتس قليلة يعرف اسم بيك واحد آخر هو روساس الثالث]	غزو اشور - لعيلام (٦٥٥)
٦٤٠		- امون (٦٣٩ - ٦٣٨) - يوشيا (٦٣٧ - ٦٠٨)		- قندلانو (٦٤٧ - ٦٢٦)		عيلام - تضرب من اشور (٨٤٢ - ٦٣٩)
٦٣٠			- اشور - اتيلي ايلي (٦٢٥ - ٦٢٣)	- سن - شار - اوشكن - نابوبلاصر (٦٢٦ - ٦٠٥)		- اركشتا
٦٢٠			- سن - شار - اشكو (٦٢٢ - ٦١٢) سقوط اشور (٦١٤) -			
٦١٠	- نيخو (٦١٠ - ٥٩٥)	- معركة محيوط (٦٠٨) - يهواحاز - يهوياكيم (٦٠٧ - ٥٩٧) / اندخلو الاشوريين في كرمليش	سقوط نينوى (٦١٢)	- نبوخذنصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢)		
٦٠٠	- خفرا (٥٩٥ - ٥٧٠)	- يهوياكين (٥٩٧)				
٥٩٠		- صدقيا (٥٩٦ - ٥٨٦)				
٥٨٠		- سقوط اورشليم (٥٨٦)				
٥٧٠		سقوط صور بيد البابليين				

(تابع جدول رقم ٦)

٥٦٠				ـ كورش
			ـ امیل ـ مردوخ	ـ كورش يفتح
			(٥٦٦ ـ ٥٦٠)	
٥٥٠			ـ نرجال ـ شا ـ اوصر	اجزاء من
			(٥٥٩ ـ ٥٥٦)	آسيا الصغرى
			ـ لاباشي ـ مردوخ	وبلاد اشور
			(٥٥٦)	(٥٤٧)
			ـ نبونائید	
			(٥٥٥ ـ ٥٣٩)	
٥٤٠			ـ سقوط بابل	

السفر

كشّاف المواضيع

آ

* اي وما بعدها

الاستخبارات :

ت

ج

ح

ر

خ

د

ص

ق

ك

ل

«كشاف بأسماء الاعلام»

(لقد استبعدت التآليف الأدبية من هذا الكشاف ، وكذلك أسماء العفاريت (الأرواح الشريرة) وأدرجت هذه الأصناف في كشاف الموضوعات تحت عنوان «النصوص المسمارية» : عناوين النصوص «الأساطير والملاحم» و «العفاريت» . كما استبعد من الكشاف : (١) اسماء المؤلفين المحدثين ، (٢) اسماء الأماكن الحديثة ما عدا تلك المواقع الاثرية المهمة ، (٣) الاسماء التي ترد عرضا او في الوثائق المقتبسة) .

رموز الاختصار :

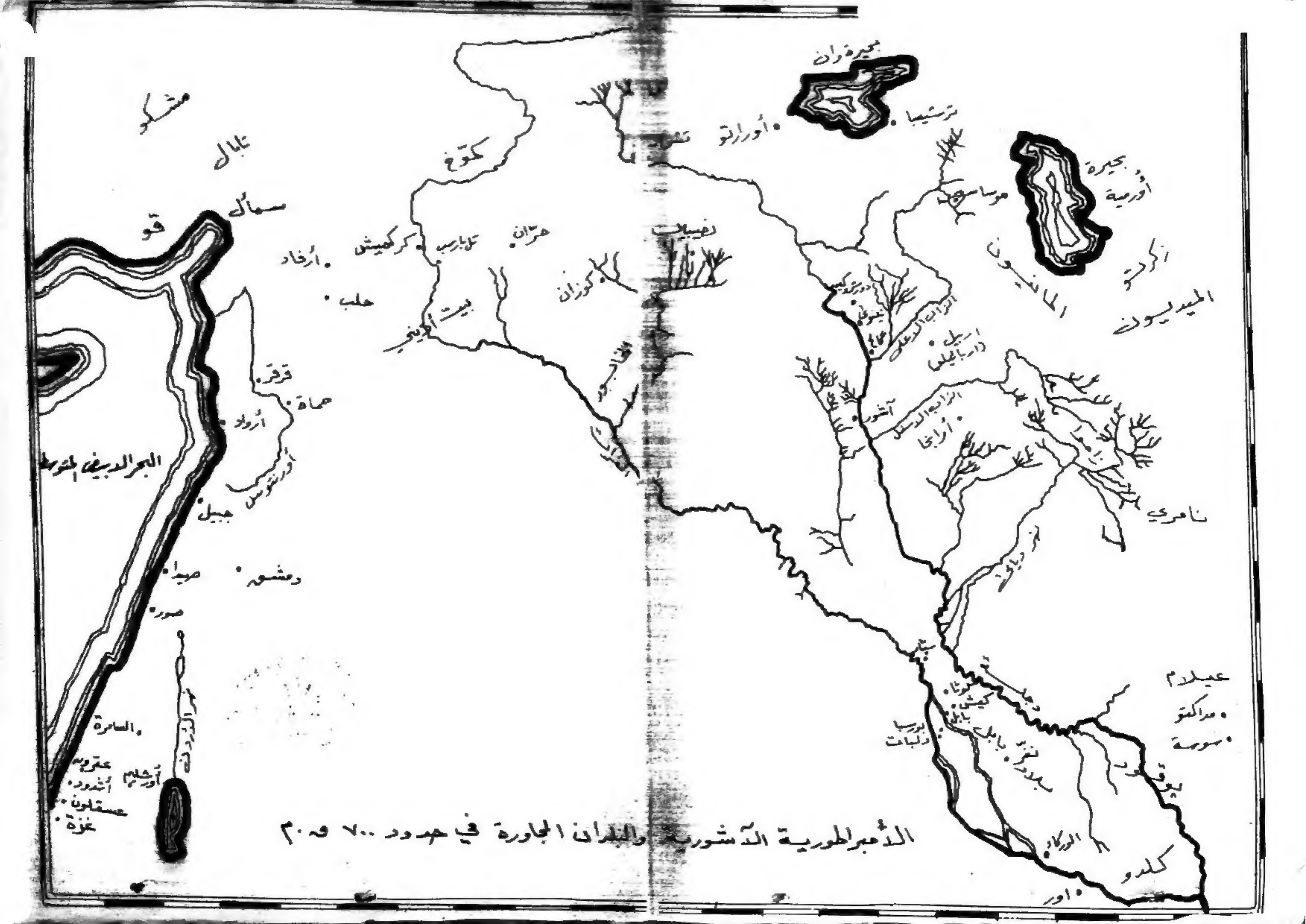
(م) مدينه
(أ) اله او معبود
(ع) معبد أو بناء ذي علاقة
(ن) بلاد أو اقليم أو دولة
(ش) اسم شخص (ليس حاكما او آلها)
(ح) اسم حاكم
(ث) موقع أثري
(ق) اسم قبيلة أو شعب .

كشاف بالكلمات السومرية والاكدية والعبرية والاغريقية

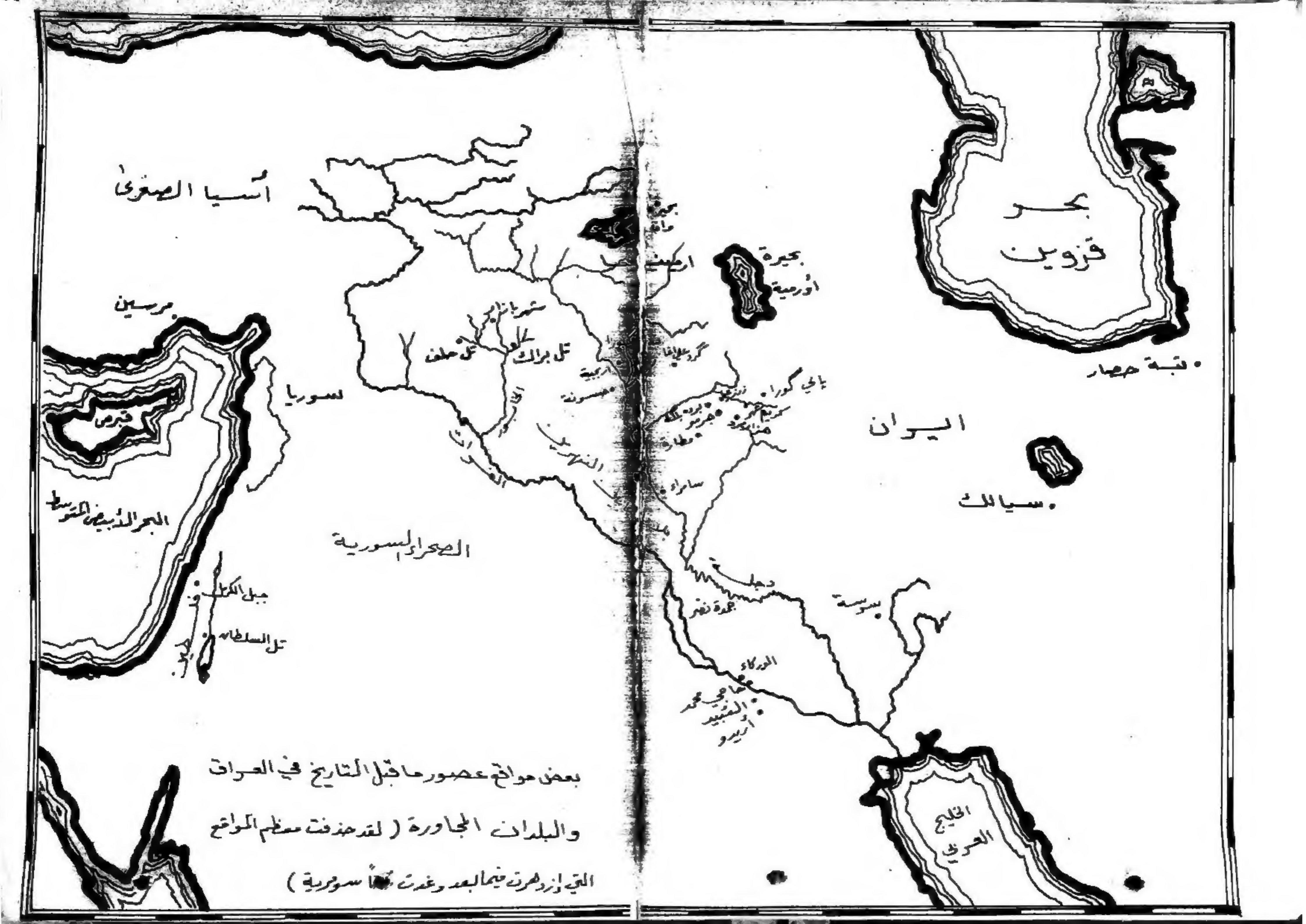
(لقد استبعدت الكلمات التالية من الكشاف حيث ادرجت ضمن كشاف الموضوعات او كشاف اسماء الاعلام : القاب الموظفين والمصطلحات التي تدل على الكهنة والكاهنات وملاك المعبد والكلمات التي ترد كاسم علم او مهنة) .

رموز الاختصار :

(د) مصطلح اداري
(ط) شيء طقوس
(ق) مصطلح اقتصادي
(س) شيء او شخصية اسطورية
(ش) مصطلح يدل على اشخاص وليس بلقب بالمعنى الدقيق
(ض) نوع من الاضاحي
(م) جزء من معبد او اي بناء مقدس آخر .



الامبراطورية الآشورية والبلدان المجاورة في حدود ٧٠٠ ق.م



بعض مواقع عصور ما قبل التاريخ في العراق
والبلدان المجاورة (لقد حذفت معظم المواقع
التي ازدهرت فيما بعد وغدت مدناً سومرية)